

اهداءات ٢٠٠٤

مركز البحوث الامريكية
القاهرة

بجته التأليف والترجمة والنشر

شرح ديوان الحامس

لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

٤٢١ - ٠٠٠

نشره

عبد السلام هارون

الأحمد أمين

القسم الثالث

الطبعة الأولى

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م

الجزء الثاني

من شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي

المعروف بكتاب الحاسة

صنعة

الشيخ الإمام أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن

الرزوقي الإصفهاني

٤٢١ — ٠٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٥٣

وقال حرّان بن عمرو بن عبّيد مَنّا^(١) ،

برنى زيد الفوارس^(٢) وغيره من أبناء عمومته :

- ١ - تَبَكِّي عَلَى بَكْرٍ شَرِبْتُ بِهِ مَسْفَهَا تَبَكِّيَهَا عَلَى بَكْرٍ
 - ٢ - هَلَّا عَلَى زَيْدِ الْفَوَارِسِ زَيْدٍ لَدِ اللَّاتِ أَوْ هَلَّا عَلَى عَمْرٍو
 - ٣ - تَبَكِّينَ لَارِقَاتِ دُمُوعِكَ أَوْ هَلَّا عَلَى سَلَفَى بَنَى نَصْرِ
- هذه امرأة ضايقت الشاعر - وهي من بطائه^(٣) - في بَكْرٍ باعة واشترى بِشَمْنِهِ خَمْرًا ، فآخذ يذكّر حالها ويُبكر بكاءها ، فقال : تبكى هذه المرأة على بَكْرٍ شَرِبْتُ بِهِ ، أى شَرِبْتُ خَمْرًا سَبَّأْتُ بِشَمْنِهِ . ويروى « شَرِبْتُ بِهِ » ، ويكون أظهر .

ثم قال ، بعد أن أخبر عنها بما أخبر ، كالتلفت إلى إنسان يحضرته : سَفَهَا تَبَكِّيَهَا عَلَى بَكْرٍ . فانتصب سَفَهَا على المصدر ، وهو المفعول له . وتبكيها في موضع رفع بالابتداء ، وعلى بَكْرٍ في موضع الخبر ، أى لسفها فَعَلَتْ ذَلِكَ ، لأنّه لم يبلغ

(١) كذا ورد اسمه في النسخين . وفي المصحح ٤٦ والتبريزي : « حرّان بن عمرو » ، آخر بين عبدة مَنّا . وقال ابن جني : « حرّان : جمع حرّانة ، وهي هبرة الرأس ، وهو ما ينتثر منه كالنخالة إذا سرخته » . ويدعو أنه شاعر جاهلي .
(٢) سبقت ترجمته في الخامسة ١٨٠ ص ٥٥٧ .
(٣) جمع بطانة . وفي ل : « بطائه » .

من قدر بَكْرٍ ما تكلفته . ولوروى : سَقَعَتْ تَبَكُّيْهَا عَلَى بَكْرٍ ، فَجُعِلَ التَّبَكُّى هُوَ السَّقَعُ لم يمتنع ، وكان خبيراً مقدِّماً ، وعلى بَكْرٍ يكون لغوا .

وقوله « هَلَّا عَلَى زَيْدٍ الْفَوَارِسُ » إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ ، هَلَّا حَرْفٌ تَحْضِيزٌ وَهُوَ يَطْلُبُ الْفِعْلَ ، وَذَلِكَ الْفِعْلُ هُوَ تَبَكُّيْنِ . يَخَاطِبُهَا ، أَيْ هَلَّا تَبَكُّيْنِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْجِبَالِ الَّتِي انْهَدَتْ ، وَالْمُحَوَّرِ الَّتِي غَاضَتْ بِزَيْدِ الْفَوَارِسِ أَوْ عَمْرٍو . ثُمَّ دَعَا عَلَيْهَا فَقَالَ : لَا أَرَأَا اللَّهَ دَمَعَكَ ، أَمْ هَلَّا تَبَكُّيْنِ عَلَى سَلَكِي بَنَى نَسْرٍ . وَإِنَّمَا ثَبَّتِي السَّلَفَ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْمَوْتَةَ وَالْخُزُولَةَ .

٤ — خَلَوْا عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَهُمْ فَبَقِيَتْ كَالْمَنْصُوبِ لِلدَّهْرِ

٥ — إِنَّ الرِّزِيَّةَ مَا أَوْلَاكَ إِذَا هَزَّ الْمُطَالِيعُ أَقْدَحَ الْيَسْرِ^(١)

٦ — أَهْلُ الْخُلُومِ إِذَا الْحُلُومُ هَفَّتْ وَالْعُرْفُ فِي الْأَقْوَامِ وَالْثَكْرُ

يقول : مضوا لسبيلهم ، وانتقلوا إلى جوارٍ مَنْ هُوَ أَمْلَكُ بِهِمْ ، وَتَرَكُوا أَعْيَاءَ الدَّهْرِ عَلَى ظَهْرِي ، فَهِيَ تَثْقُلُ عَلَيَّ وَتَعْرِضُنِي لِنَوَائِبِهِ وَأَحْدَانِهِ ، فَأَنَا كَالْفَرَسِ الْمَنْصُوبِ لَهُ ، لَيْسَ لِي مَنْ يَحْتَمِلُ عَنِّي ، وَلَا مَنْ يُؤَاوِزُنِي أَوْ يَشُدُّ أَرْزِي . وَمَعْنَى « خَلَوْا عَلَى الدَّهْرِ » أَيْ صَرَتْ فَرِيضَةً لِلدَّهْرِ ، فَكَأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ أَغْرَوْهُ بِنِجْمَا ذَهَبُوا عَنِّي وَأَفْرَدُونِي . وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ تُسْتَعْمَلُ فِي إِغْرَاءِ الْجَوَارِحِ عَلَى الصَّيْدِ .

وقوله « إِنَّ الرِّزِيَّةَ مَا أَوْلَاكَ » إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ ، يَرِيدُ : لِلْمَصِيبَةِ كُلِّ الْمَصِيبَةِ هُمُ أَوْلَاكَ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَأَسْنَتِ النَّاسُ ، وَاحْتِيجُ إِلَى مَجَامِيعِ الْأَيْسَارِ ، لِإِصْلَاحِ أَسْرِ الْفُقَرَاءِ وَالْأَيْتَامِ ، فَلَمْ يُوجَدْ مِنْ يُرْجِعْ إِلَيْهِ أَوْ يُعْتَمَدُ عَلَى إِفْضَالِهِ وَتَقْضِيهِ . وَقَوْلُهُ « مَا أَوْلَاكَ » مَا صِلَةٌ . وَمَعْنَى هَزَّ أَجَالَ . وَالْحَالِصُ : الْقَاسِرُ .

(١) التبريزي : « هر » بالراء المهملة . وقال : « ورواية من روى هر بالراء أجود من رواية من روى : هز ، لأنها أبلغ في الدح » .

والخَالَةُ: القِمار. وقيل إِنَّمَا مُنَى خَالَةً لَأَنَّهُ هُوَ اللُّوْلُجُ بِالْيَسْرِ، هُوَ الَّذِي يَخْلَعُ مَالَهُ غَيْرَهُ وَيَخْلَعُ هُوَ أَيْضًا مِنْ مَالِهِ، مُتَنَافِسَةً وَجِرْصًا عَلَى اللَّيْسَرِ وَاكْتِسَابَ الْحَدِّ فِيهِ وَلَهُ. وَقَوْلُهُ «إِذَا هَزَّ» هُوَ ظَرْفٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ «مَا أَوَّلَاكَ». يَرِيدُ أَنَّ الرِّزِيَّةَ افْتَقَارُ النَّاسِ إِلَى أَوْلَئِكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ فَلَا يُنَالُونَ. وَقَوْلُهُ «أَهْلُ الْحُلُومِ إِذَا الْحُلُومُ هَمَّتْ» يَصِفُهُم بِالرِّزَاةِ فَيَقُولُ: إِذَا دَمِمَ مِنَ الْأَسْرِ مَا تَهْفُو فِيهِ الْعُقُولُ وَتَزَلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ، هُوَ لَا لِأَصَالَةِ آرَائِهِمْ يَثْبِتُونَ عِنْدَ الْمَزَاوَلَةِ، وَيُدَاوُونَ الْأُمُورَ بِدَوَائِهَا مِنْ غَيْرِ طَلِيشٍ وَلَا عَتَقَةٍ، وَلَا تَجَاوُزَ حَدٍّ وَهَمَّتْ. وَقَوْلُهُ «وَالْعُرْفُ فِي الْأَقْوَامِ» أَرَادَ: وَهْمُ أَهْلِ الْعُرْفِ وَالشُّكْرِ فِي الْأَقْوَامِ. يَسْنَى أَنَّهُمْ يُنْزِلُونَ الْأَقْوَامَ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْمَوْلَاةِ وَالْمُدَاجَاةِ، فَمَنْ دَاجَى كَانَ لَهُ الشُّكْرُ مِنْهُمْ، وَمَنْ وَاَلَى كَانَ لَهُ الْعُرْفُ.

٣٥٤

وَقَالَ زُوَيْفَرٌ^(١) بَنُ الْحَارِثِ بْنِ ضِرَّارٍ:

١ - أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مُؤَيَّرًا أَنَا فِي صَرِيحٍ لِلْمَوْتِ لَوْ أَنَّهُ قَتَلَ^(٢)
يُرْوَى «صَرِيحُ الْمَوْتِ» بِالْخَاءِ لِلْمَجْعَةِ «لَوْ أَنَّهُ قَبِلَ» بِالْبَاءِ. وَمَعْنَى أَلَمْ تَرَ: أَعْلَمْ ذَلِكَ. أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَتَلْنَاكَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾. وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَرَ ذَلِكَ. فَيَقُولُ: أَعْلَمْ أَنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ هَذَا الرَّجُلَ وَرَدَّ عَلَيَّ مَا يَجْرِي تَجْرِي الْمَوْتِ الصَّرِيحِ الْخَالِصِ لَوْ أَنَّهُ قَتَلَنِي وَأَتَى عَلَيَّ، وَلَكِنَّ الْقَدَرَ بَيَّنَّ قَدَمِي فِي الْأَحْيَاءِ، فَلَمْ يُخَلِّني لِلْمَوْتِ. وَمِنْ رَوَى «صَرِيحٌ» بِالْخَاءِ وَ«قِيلَ» بِالْبَاءِ فَالْمُرَادُ: أَنَا فِي دَاخِلِ الْمَوْتِ. وَالصَّرِيحُ يَكُونُ الْمُسْتَفِيتَ

(١) التَّبْرِيزِيُّ: «زُوَيْفَرٌ».

(٢) صَرِيحٌ، كَتَبْتُ فِي الْأَسْلِ لَعْنًا بِالْهَمْزِ وَالْمَجْعَةِ، مَقْرُونَةٌ بِكَلِمَةِ «مَاءٌ».

والمغيث جميعاً ، والمراد أثنى داعي اللوت لو أنه قبلي لكنتُ لا أمتنع من إجابته لما استدعى ، وإغاثته لما استنث ، لكنه لما بقاني ولم يأخذني فكأنه لم يقبلي .

٢- وكانت عليّنا عرسه مثل يومه غداة غدت منّا يُقَادُ بها الجسلُ .
تقدير البيت إذا أزيل ما فيه من هُجْنَة التقديم والتأخير : وكانت عليّنا عرسه غداة غدت منّا يُقَادُ بها الجسل مثل يومه . والمعنى : كانت مفارقة عرسه لنا غداة انتقالها عنا ، وقد حُلّت الجلالُ وقيدَ بها طعنيتها مثل يوم فقهه ، أي كان ذلك اليوم مثل ذلك اليوم . كأنهم كانوا ألقوا من مقامها أيام عديتها أنسا بها ، وبقاء دارها على ما كانت تُتَمَدُّ من قبل ، فلما رأت من التقلُّ ما رأت ، وخَلَّت الديارُ منها ومن أسبابها وتغيّرت ، عادت للصيبة على أحيائها جَذَهاً ، والشرُّ مستفحلاً .

٣- وكان حميدنا ويضةً بيننا فكلّ الذي لا قيت من بعده جَلَلٌ^(١)
أي كان رئيسنا والمصودّ بالحاجات فينا ، وأصل بيتنا وأساس فخرينا . وقد تقدم القول في بيضة البلد^(٢) ، وأنه يستعمل في المدح والذم . فأما بيضة الخيل وبيضة البيت فلا يستعملان إلا في المدح . وقد صيغ من البيضة هذا فعلٌ ، حكى ابن الأعرابي قال : يقال اجتاحوم وابتاحوم ، إذا استأصروم . وقوله « فكل الذي لا قيت من بعده جَلَلٌ » أي صغير هين في جنب ما لا قيناه فيه . والجَلَلُ يستعمل في الصغير والكبير . وقال بعضهم : المراد ببيضة البلد أنه المعروف الموضيغ ، المرجوع^(٣) إليه في كلُّ شيء ، كما يرجع صاحبُ الأدعي إلى

(١) في الأصل : « الذي حلت » ، صوابه في ل والتبريزي .

(٢) انظر ما سبق في ص ٥٠٥ ، ٨٠٤ .

(٣) في الأصل : « الرجوع » ، صوابه في ل .

أَدْحِيَّةٌ^(١) كيف توجَّه في المرعى ، وأنَّ اجتَبَعَ ورعَى . والأجود أن يكون المراد به وقد أضيف إلى البيت ، وهو بيت الفخر والعز ، أنه الأصلُ والجُرثومة ، كما حكى عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال : « نحنُ عِترَةُ رسول الله التي خرَّجَ منها ، وبَيَضَتْهُ التي تَفَقَّأت عنه » .

٣٥٥

وقال ابن عَنَمَةَ الضَّبِّيُّ^(٢)

في مَقْبَلِ بِسْطَامَ بْنِ قَيْسٍ^(٣) :

١- لِأَمِّ الْأَرْضِ وَيْلٌ مَا أَجَنَّتْ بِحَيْثُ أَضْرُ بِالْحَسَنِ السَّيْلُ

يعظم شأن الأرض كيف ترشَّحت لسيَرِ بِسْطَامَ فيها ، ومن أين صارت يتسَّع بطنها له ميِّتاً وهي تضيق عن أفعاله وذِكْرِهِ حَيًّا . وقال الأصمعي في تفسير وَيْلٌ إِنَّهُ قُبُوحٌ^(٤) . ولك أن تقول « لِأَمِّ » فتتبع حركة الممزة حركة اللام . وارتفع وَيْلٌ بالابتداء وإن كان نكرة ، لأنه عُلِمَ أنه دعاء ، فحصل به مثل فائدة الماوقع . ومعنى « لِأَمِّ الْأَرْضِ وَيْلٌ » ثَبِتَ لِأَمِّ الْأَرْضِ وَيْل ، فهو في لفظ ما وقع . وقوله « مَا أَجَنَّتْ » ما استفهام ، وموضعه مفعول أَجَنَّتْ . يقول :

(١) هنا ما في ل وهو الأوفى ، وفي الأصل : « أدحيته » ، والأدحى والأدحية والأدحوة ، كلها بمعنى ، وهو مبيض النعام في الرمل .
(٢) سبقت ترجمته في الجلسة ١٨٩ ص ٥٨٢ .

(٣) هو أبو الصهباء بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني . شروح سقط الزند ١٩٧٢ . وقال ابن دريد في الاشتقاق ٢١٥ : « وبسطام اسم فارسي ، وبسطام أحد الفرسان الثلاثة المذكورين : حاسم بن اللقيط ، وعتبسة بن الحارث بن شهاب ، وبسطام هذا » . التبريزي : « قتله حاسم بن خليفة : وكان ابن عنة مجاوراً في بني شيبان ، تخاف على نفسه لما قتل بسطام ، فرثاه يستميل بذلك بني شيبان ، وهو من بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة » . وطامم ابن خليفة ضبي .

(٤) يقال قبح الله فلاناً قبحاً وقبوحاً ، أى أقصاه وإقصاه .

سَدَرَتْ رَجُلًا وَأَيُّ رَجُلٍ ، أَيْ سَدَرَتْ جَلِيلًا مِنَ الْأَمْلَاقِ رَفِيعَ بِنَاءِ الْعِزِّ ، وَاسِعَ بَاعِ الْفَخْرِ . وَقَوْلُهُ « بِحَيْثُ أَسْرَ » جَعَلَ حَيْثُ اسْمًا . وَمَعْنَى أَسْرَ : دَنَا . وَالْحَسَنُ : جَبَلٌ ^(١) . وَالْمَعْنَى بِمَكَانٍ أَسْرَ السَّيْلُ بِالْحَسَنِ فِيهِ ، أَوْ أَسْرَ السَّيْلُ بِالْحَسَنِ ، حَتَّى نَكُونَ مِثْلَهُ عَلَى الْمَذْهَبَيْنِ جَمِيعًا .

٢- تُقَسِّمُ مَا لَهُ فِينَا وَنَدْعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَعَ الْأَصِيلُ

يَقُولُ : نَقَسَمُ فَوَاضِلَ مَا عِنْدَنَا مِنْ غَنَائِمِ غَزَوَاتِهِ وَمَا بَقِيَ وَلَمْ يَقَسِّمْ فِينَا لَوَقْتٍ يَخْتَارُهُ ، فَبَقِيَ بَعْدَهُ . وَفِي اقْتِسَامِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ مَا يَهْتَبِجُ الْحَسَرَاتِ ، لِأَوَّلَاتِ النَّارَةِ فِي الْبُكْرَاتِ . ثُمَّ قَالَ « وَنَدْعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَعَ الْأَصِيلُ » يُشِيرُ إِلَى وَقْتِ الْأَصْنِيفِ ، وَأَنْ الْحَيَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَصِيرُ ضِجَّةً وَاحِدَةً ، تَلْهُمُكَ فِي إِثْرِ الْفَاتِتِ ، وَتَذْكُرُكَ لَهُ ، وَتَوَجَّعًا لِمَا قَدَّ مِنْ الْمُسْتَأْتَفِ مِنْ تِلْكَ الرُّسُومِ وَاسْتِعْرَارِهَا . وَمَعْنَى نَدْعُوهُ نَذْبُهُ وَقُولُ : وَابْسِطَا مَاهُ ! وَإِنَّمَا قَالَ « مَا لَهُ » لِأَنَّ مَا اجْتَمَعَ بِسَمِيهِ وَحَدِّهِ ، وَبِأَسِيهِ وَسَطْرَتِهِ ، كَانَ لَهُ . وَمَعْنَى جَنَعَ مَالٍ . وَالْأَصِيلُ : الشَّيْءُ . وَأَبُو الصَّهْبَاءِ : كَنِيَّةُ بَسْطَامٍ .

٣- أَجِدُّكَ لَنْ تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ تَخْبُثُ بِهِ عُذْفَرَةٌ ذَمُورٌ ^(٢)

أَلَمْ فِي هَذَا يَقُولُ النَّابِغَةُ :

* يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْتِي نَفْسُهُمْ ^(٣) *

كَأَنَّهُ لَشِدَّةِ الْأَمْرِ عَلَيْهِ يَكْذِبُ لِلشَّاهِدَةِ وَيَدْعُ التَّصْدِيقَ بِهَا فِي الْوَقْتِ

(١) يَأْقُوتُ : « الْحَسَنَانِ . . . : كَثِيبَانِ مَعْرُوفَانِ فِي بِلَادِ بَنِي ضَبَّةٍ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْحَسَنُ ، وَلِلْآخَرِ الْحَسِينُ » .

(٢) التَّبَرُّزِيُّ : « لَا تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ » ، ثُمَّ ذَكَرَ رِوَايَةَ لِلرَّزْوَاقِيِّ .

(٣) يَرَى حَسَنُ بْنُ حَلِيفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، كَأَنَّ شُرُوحَ سَقَطِ الزُّنْدِ ٨١٣ . وَهَجَزَهُ فِي

٨١٣ ، ٢٦٦ :

بعد الوقت ، إما استفظاماً للحال ، وإما لآفة تلحق العقل ، وضعف يتخلل التحصيل ، فكأنه بعد ما اقتص من الحال ما اقتص ، وشرح من الفجع ما شرع عاودته تلك الحالة وعادته ، فأقبل على نفسه يستبئها وقال : أعل جلدك منك ، وأتجد جلدك ، أنك في مستقبل الأوقات لا تراه متمكناً منه قريباً ، على عادتك في حال الأمن معه ، ولا تراه أيضاً من بعيد في الغزو وسير به انلجيب راحلة غوية خفيفة .

وقد ظهر بما ذكرته فائدة تكرار حرف النفي في كلامه ، لأن نفي قول القائل أسيفعل كذا زيد ؟ فيقول : لن يفعل . فقله لن تراه نفي الرؤية في حال السلم ، ولن تراه نفي لها في حال الغزو . وتنبه به في موضع الحال .

- ٤ - حَقِيَّةُ رَحَلِهَا بَدَنٌ وَسَرَجٌ تَعَارِضُهَا مَرِيَّةٌ دَوُولٌ^(١)
٥ - إِلَى مِيعَادٍ أَرَعَنَ مُكْفَهَرٌ تَضَنُّنٌ فِي جَوَانِبِهَا الْخِيُولُ^(٢)

يقول : تَخَبُّ به ناقة بهذه الصمة وقد شُدَّ في الحَقِيَّةِ التي ارتَدَّهَا دَرَعٌ قَدَرُ حَا يَسْتُرُ الْبَدَنَ ، وَسَرَجٌ لِمَا جَنِبَ مَعَهُ مِنْ فَرَسٍ تَعَارَضَ هَذِهِ النَّاقَةُ فِي السَّيْرِ ؛ وَهِيَ لَمَزُهَا وَكَرَمَهَا عَلَى رَبِّهَا^(٣) ، رُبَّتْ فِي الْبُيُوتِ وَلَمْ تُتْرَكْ هَمَلًا ، وَسِيرَهَا الذَّمِيلُ . وَيُقَالُ رَبَّيْتُهُ وَرَبَّيْتُهُ بِالتَّشْدِيدِ بِمَعْنَى . وَالذَّلَالُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ . وَالِاحْتِقَابُ : شُدُّ الْحَقِيَّةِ مِنْ خَلْفٍ ، وَكَذَلِكَ الْاسْتِحْقَابُ .

وقوله : « إِلَى مِيعَادٍ أَرَعَنَ » يَفْنَى بِهِ جِيْشًا كَأَنَّهُ رَعَنُ جَبَلٍ . وَقِيلَ : جِيْشٌ

(١) فِي الْمُسَخَّنِ : « دَوُول » بِنُقْطَةِ فَوْقِ الدَّالِ وَنُقْطَةِ عَمَّا مَقْرُونَةٌ بِكَلِمَةِ « مَاء » .
لِنَقْرَأُ بِالْإِجْمَاعِ وَالْإِمَامِ ، وَاقْتَصَرَ التَّبْرِيزِيُّ عَلَى رَوَايَةِ الدَّالِ لِلْمُهْمَةِ .
(٢) فِي الْأَسْلِ : « فِي جَوَانِبِهَا » ، وَهِيَ مُطَابِقَةٌ لِرَوَايَةِ التَّبْرِيزِيِّ فِي الصَّلبِ ، لَكِنْ التَّضْمِيرُ هُنَا يَفْتَضِي تَرْجِيحَ مَا أَهْمَنَّا مِنْ لَوْ تَضْمِيرُ التَّبْرِيزِيِّ .
(٣) فِي الْأَسْلِ : « أَتْنَاهَا » سِوَاهِ فِي ل .

أرعن : له فضول . والرَّعْنُ : أنف يتقدَّم من الجبل ، والجَمِيعُ الرَّعْنُ والرَّعُونُ .
مَكْفَهْرٌ ، أى مرهقٌ عالٍ . وقوله « تُضَمَّنُ فِي جَوَانِبِهَا الْخِيُولُ » أى تُقَرَّنُ
الخيولُ بالإبلِ في جوانبها ، إذْ كَانَ لِكُلِّ رَجُلٍ رَاحِلَةٌ وَفَرَسٌ يَقودُهُ معه .
ومثل هذا قوله :

* خَصَّنَ بَأَثَارِ الطَّيِّ الحوافِرِ ^(١) *

يقول : تسير به راحلةٌ معها جَنِيْبَةٌ ، إلى مِيعَادِ أَرْعَنَ ، أى جيشٍ كثيرٍ
ضَمَّنَ جَوَانِبُ رَوَاحِلِهَا الْخِيُولَ . ويروى : « تُضَمَّرُ فِي جَوَانِبِهَا » بالراء ، وللعنَى
تُضَمَّنُ الْخِيُولُ وتُضَمَّدُ فِي الْقَرَتَيْنِ ^(٢) فِي جَوَانِبِهَا . وللمرَاد أَن فَرَسَانَ هَذِهِ
الْكَلْبِيَّةِ دَأَبُهُمْ ذَلِكَ .

٦ - لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ

أَقْبَلَ يَخَاطِبُ الْمَرْءَ بَعْدَ الْإِخْبَارِ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْكَلَامِ .

وقال أبو عبيدة : كَانَ رَئِيسُ الْقَوْمِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا غَزَا بِهِمْ فَتَحَ أَخَذَ مِنْ
جَمَاعَةِ النِّعْمَةِ وَمِنَ الْأَسْرَى وَالسَّبْيِ عَلَى أَصْحَابِهِ لِلْمِرْبَاعِ ، وَهُوَ الرَّبْعُ ، فَلِذَلِكَ قَالَ
« لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا » ، فَصَارَ هَذَا الرَّبْعُ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِلرَّئِيسِ فِي الْإِسْلَامِ
خُتْمًا . وَكَانَ لَهُ الصَّوْتُ : وَاحِدَ الصَّفَايَا مِنْ جَمَاعَةِ النِّعْمِ وَالْأَسْلَابِ وَالْكَرَاعِ
قَبْلَ الْقِسْمَةِ ، وَهُوَ أَنْ يَصْطَفِيَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا : جَارِيَةً أَوْ سَيْفًا أَوْ فَرَسًا أَوْ مَا شَاءَ ،
وَبَقِيَ الصَّغِيْرُ عَلَى حَالِهِ فِي الْإِسْلَامِ : اصْطَفَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيْفَ مُنَبِّهٍ
ابْنِ الْحَبَّاجِ ذَا الْقَلَارِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَاصْطَفَى جُوَيْرِيَّةَ بِنْتَ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ .

(١) البيت للهاس المائذى ، كما في اللسان (ضعف) . وهو أول للفضيلة ٨٥ . ومصدره :

* أَوَّلُ فَأْوَلِي يَا إِسْرَأَ الْقَيْسِ بَعْدَ مَا *

(٢) القرطبان : القنطرة والصغى .

يَوْمَ الرَّبِّسِيع ، فَجَلَّ صَدَقَتَهَا^(١) عَتَقَهَا وَتَزَوَّجَ بِهَا ، وَاصْطَلَى صَيِّتَةً بِنْتُ سَيِّئٍ
فَقَتَلَ ذَلِكَ بِهَا .

وَقَالَ أَبُو عَيَّيْدَةَ : وَكَانَ لَهُ النَّقِيعَةُ أَيْضًا ، وَهُوَ بِمَدِينَتِهِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ فَيُطْعِمُهُ
النَّاسَ كَذَلِكَ . قَالَ :

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالشَّيْوَفِ رِجْلَهُمْ ضَرْبَ الْقُدَارِ نَقِيعَةَ الْقُدَامِ^(٢)
قَالَ : وَسَقَطَ فِي الْإِسْلَامِ النَّقِيعَةُ .

قَالَ : وَلَهُ حُكْمُهُ ، وَهُوَ أَنْ يَبَارِزَ الْفَارِسُ قَارِسًا قَبْلَ الْهَيَاءِ الْخَيْشَعِينَ
فَيَقْتُلُهُ وَيَأْخُذُ سَلْبَهُ . وَالْحُكْمُ فِيهِ إِلَى الرَّبِّسِ ، إِنْ شَاءَ تَقَلُّهُ وَإِنْ شَاءَ رَدَّهُ إِلَى
جُحْلَةٍ لِلنَّعَمِ . وَهَذَا بَاقِي فِي الْإِسْلَامِ .

وَلَهُ أَيْضًا « النَّشِيطَةُ » وَهُوَ مَا انْتَشَطَ مِنَ النَّعَامِ وَلَمْ يُوجِضُوا عَلَيْهِ بِمَجْلٍ وَلَا
رِكَابٍ . فَبَقِيَتْ فِي الْإِسْلَامِ . وَكَذَلِكَ^(٣) مِنْ ذَلِكَ ، لَمْ يُوجِضُوا عَلَيْهِ فَكَانَ لِلنَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً .

قَالَ : وَكَانَ لِلرَّبِّسِ الْبَسِيطَةُ^(٤) ، وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهَا الْبِسْطَ^(٥) ، وَهِيَ النَّاقَةُ

(١) كَذَا ضَبَطَتْ فِي النَّسَخَتَيْنِ . وَالصَّدَقَةُ بِالْفَتْحِ ، وَالضَّمُّ ، وَفَضْلَيْنِ ، وَبَعْضُهُمْ
وَيَنْفَعُ فُضْمٌ ، كُلُّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهُوَ الْهَرُّ ، كَالصَّدَاقِ بِفَتْحِ الصَّادِ وَكُسْرِهَا .

(٢) الْبَيْتُ لِهَلْهَلٍ ، كَمَا فِي الْهَاجِ (قَدَرٌ ، هَجٌّ ، قَدَمٌ) .

(٣) كَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ السَّابِقَةِ ، لَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْبَرَ
غَزَا اللَّهُ الرَّبْعَ فِي قُلُوبِ أَهْلِ نَدَاكَ حِينَ بَلَغَهُمْ مَا جَلَّ بِأَهْلِ خَيْبَرَ ، فَبَشَرُوا بِمَا لَمْ يَكُنْ عَلَى
النَّصَفِ مِنْ نَدَاكَ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ ذَلِكَ . السِّيَرَةُ ٧٧٦ — ٧٧٧ ، وَفِيهَا : قُرْبَةُ بِالْحِجَازِ ، بَيْنَهَا
وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ يَوْمَانِ .

(٤) آتَى فِي الْمَاجِزِ الْمُتَدَاوِلَةِ لَفْظُ « الْبِسُوطِ » ، وَلَمْ يَنْسَ فِيهَا كَذَلِكَ عَلَى الْمَعْنَى آتَى
ذَكَرَهُ أَبُو عَيَّيْدَةَ فِيهَا وَفِي الْبِسْطِ .

(٥) فِي الْأَسْلِ : « وَبَعْضُهُمْ قَالَ الْبِسِيطَةَ » ، صَوَابُهُ فِي ل ، وَقَدْ ضَبَطَتْ فِيهِ بِكُسْرِ الْبَاءِ ،
وَهِيَ تَقَالُ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ وَبَعْضُهُمْ .

أَوْ الْحِجْرُ مَعَهَا وَلِدَهَا ، فَجُعِلَ هِيَ وَلِدُهَا فِي رُبْعِ الرَّيْسِ وَلَا يُعْتَدُّ عَلَيْهِ بِالْوَلَدِ .
وَقَالَ : وَسَقَطَ الْبَسِيطَةُ فِي الْإِسْلَامِ .

وَكَانَ لَهُ « الْقُضُولُ » وَهُوَ مَا فَضَّلَ بَعْدَ الْقِسْمَةِ وَيَمْتَجِزُ عَنْ عَدَدِ الْفُرَاةِ ،
أَوْ لَا يَتَنَاوَلُهُ الْقَسْمُ ، وَهَذَا سَقَطَ أَيْضًا فِي الْإِسْلَامِ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : غَيْرَ أَنِّي
حَدَّثْتُ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ
لِلَّهِ وَالرُّسُولِ ﴾ ، قَالَ : هُوَ مَا شَذَّ مِنَ الْغَنَائِمِ ، كَالْفُضُولِ . وَقِيلَ إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ .

٧- أَفَاتَهُ بَنُو زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَلَا يُوفِي بِسِطَامٍ قَبِيلُ
٨- فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءَةِ لَمْ يُوسِّدْ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ^(١)

قَوْلُهُ « أَفَاتَهُ » فَاتَ يَتَصَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ . تَقُولُ : فَاتَنِي الشَّيْءُ ، فَإِذَا
أَدَخَلْتَ عَلَيْهِ حَرْفَ التَّمْدِيدِ تَمَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ . فَإِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ فَأَحْدُ
لِلْمَفْعُولَيْنِ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَفَاتَتِ النَّاسَ بَنُو زَيْدٍ بَنُ عَمْرٍو بِسِطَامًا ،
أَيِ الْإِنْتِفَاعِ بِسِطَامٍ . وَقَوْلُهُ « وَلَا يُوفِي بِسِطَامٍ قَبِيلُ » بَالِبًا يَرَوِي ، وَالْمَعْنَى
لَا يُوفِي بِدَمِهِ قَبِيلٌ ، كَأَنَّ الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا مُطَالِبُونَ بِدَمِهِ وَوَأَفُونُ بِهِ إِذَا أُتِيَ
بِهِمْ كُلُّهُمْ . وَهَذِهِ الرُّوَايَةُ أَقْرَبُ إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ صَدْرُ الْبَيْتِ وَأَشْبَهُ . وَيَرَوِي
« قَتِيلٌ » بِالتَّاءِ ، وَيَكُونُ الْكَلَامُ تَحْشُرًا ، وَالْمَعْنَى لَا يُوفِي بِدَمِ سِطَامٍ دُمُ
قَتِيلٍ . وَيَقَالُ وَفَى وَأَوْفَى بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

وَقَوْلُهُ « فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءَةِ » ، [مَعْنَاهُ^(٢)] سَقَطَ . وَالْأَلَاءَةُ : شَجَرَةٌ . وَلَمْ
يُوسِّدْ ، بِمَعْتَمَلِهِ كَثِيرًا فِي الْقَتِيلِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْقَتْلَ بَعْضُهُمْ يُوسِّدُونَ .
وَقَدْ يَقَالُ « وَسَّدَ فُلَانٌ يَمِينَهُ فِي ضَرْبِهِ » ، وَهَذَا أَيْضًا مَثَلٌ ؛ لِأَنَّ اللَّيْتَ

(١) التبريزي : « وخر » .

(٢) هذه من ل ، وقبلها في ل كلمة معنوسة أيضًا .

لا يوسد يمينه ، وإنما يراد : تجافى للكان به في حالتي الدفن والقتل . وقوله « كأن جبينه سيفٌ صقيل » يريد وجهه وإشراق لونه .

٣٥٦

وقال المهذلول بن هبيرة^(١) :

- ١- أَلَيْكِي وَفِرَ لَابِنِ الثَّرِيرَةِ عِرْضُهُ إِلَى خَالِدٍ مِنْ آلِ سَلَمَةَ بْنِ جَنْدَلٍ
 - ٢- فَأَبْتَنِي فِي مَالِكٍ بَعْدَ دَارِمٍ وَلَا أَبْتَنِي فِي دَارِمٍ بَعْدَ نَهْشَلٍ
 - ٣- وَمَا أَبْتَنِي فِي نَهْشَلٍ بَعْدَ جَنْدَلٍ إِذَا مَا دَعَا الدَّاعِيَ لِأَمْرِ مُجَلَّلٍ
 - ٤- وَمَا أَبْتَنِي فِي جَنْدَلٍ بَعْدَ خَالِدٍ لِيَطَارِقَ لَيْلٍ أَوْ لِيَقَانِ مُكْبَلٍ
- قوله « أَلَيْكِي » أى أعنى على أداء ألوكتي ، وهى الرسالة . وقد تقدم القول فى هذه اللفظة ، وأن أصلها أَلَيْكِي ، فُكِلِبَ وقُدِّم اللام على المهززة فصار أَلَيْكِي ، ثم حُذِفَت المهززة استخفافاً وأُلْقِيَت حركتها على اللام فصار أَلَيْكِي . وقوله « وَفِرَ لَابِنِ الثَّرِيرَةِ عِرْضُهُ » معناه أترك عرضَه وافرًا . يقال وَفَرْتُهُ أَفَرُهُ وَفَرًا ، وهو موفور . والمراد : خُصَّ برسالتى خالداً وأترك ابن

(١) كذا ورد فى النسختين . وعند التبريزى : « المهذلول بن هبيرة أحد بنى حرقه بن ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب » . قال ابن تيردز فى الاشتقاق ٢٠٣ : « ومن رجالهم المهذلول بن هبيرة ، قد رأسهم فى الجمالية ، وكان جراراً للبيوش » . وكان من خير الأبيات فيما روى التبريزى ، أن المهذلول أغار على بنى كوز وهاجر من بنى ضبة فأصاب ثلاثين امرأة أطلق سراحهن ، إلا منصوره بنت شقيق أخت حاصر بن شقيق ، واحتل بها حتى أتى أرض قومهم ، فخرج أخوها وزوجها لاستنقاذها ، فضكتا من ذلك بعد لئى ، ثم إن المهذلول تبعها فسه فأغار ثانية على بنى ضبة فاستصرخ بنو ضبة يئس سعد بن زيد مناة فالتقوا وقتل من بنى ثعلب ناس وهزموا أسوأ هزيمة ، ووقع ابن المهذلول — واسمه مشول — أسيراً ، أسره عبدالله وعبد الحارث ابنا ناضرة . ثم أنتم المهذلول فى ابنه وطلب من ابن التمررة — وهو أحد جندل بن نهشل — أن يغادى ابنه أو يمن عليه ، فوعده أن يفعل ، فلما طال عليه ذلك قال هذه الأبيات ، فألقى خالداً فأنشده ، فأعطى ابن ناضرة مائة من الإبل وأطلقه الهذليل .

الفريرة جانباً ، لا تذكر له قبيحاً ولا تولد مكرهاً . والرَّسالة ابتدأوها : « فما أبتنى في مالك » . والشاعر رتب أخطافاً وبطوناً ، وذكر أن كل واحد منها كان له رئيسٌ يدور أمره عليه ، ويستصم بأمره في اللغات ، وأنه بعد افتقاد ذلك فيهم فلا طائلَ ولا خيرَ عند واحدٍ منهم . ألا تراه قال : فما أبتنى في بني مالكٍ بعد خروج بني دارمٍ منهم ، وما أبتنى في بني دارمٍ بعد خروج بني نهشلٍ منهم ، وما أبتنى في بني نهشلٍ إذا صرَّح الصارخُ لأمرٍ عظيمٍ بعد خروج جنديلٍ منهم ، وما أبتنى في بني جنديلٍ لِسارٍ يسرى بليلٍ يطلبُ الضيافة ، أو أسيرٍ مكبلٍ يطلبُ مَنْ يفتكُ أسرَهُ بعد افتقادٍ خالدٍ . كأنه [كان ^(١)] يأخذ بعضهم بما يتأسك به البعض الآخر ، وفلك البعض يتأسك بآخر إلى آخر القصة . وهذا على ما رتبته في نهاية الحسن . وقوله « أسرٌ مجلجلٌ » أى معظم . والسيكبلُ : القيد ، ورجلٌ مكبلٌ .

٣٥٧

وقال إياس بن الأرت ^(٢) :

١ — وَلَمَّا رَأَيْتُ الضَّنْبِجَ أَقْبَلَ وَجْهَهُ دَعَوْتُ أَبَا أَوْسٍ فَمَا إِنْ تَكَلَّمَ
٢ — وَحَانَ فِرَاقٌ مِنْ أَخِي لَكَ نَاصِحٌ وَكَانَ كَثِيرَ الشَّرِّ لِلْخَيْرِ تَوَهُمًا

(١) هذه من ل .

(٢) ذكره ابن حديد في الاشتقاق ٢٣٥ في رجال طي ، من بني شمي . وفي القاموس (رتن) : « وإياس بن الأرت كريم شاعر » . وأشد له الجناح شعراً في الحيوان (٢٥٩ : ٤) . ابن جني في اللبج : « هو مصدر أوست أووسه أوسا ، إذا أعطته . وظنه السكري مصدر أيمت من كذا ، وليس كذلك . ولا أيمت مصدر ، لأنه مقولوب من يمت ، ولو كان له مصدر لم يكن كذلك مقولوباً ، ولما كان أيضاً تحتل فاؤه وعينه ، فيقال لست وأأس . والأرت : القى في لسانه جملة ، والأثي رثاء . وتظير لست أأس : هبت أهاب . التبريزي : « وقال أبو العلاء : الأرت : القى في لسانه حبة ، وهي الرثة . واسم الأرت خالد » .

لَمَّا عَلِمَ الظَّرْفُ ، وهو لتوقُّع الشيء لوقوع غيره ، ولذلك احتاج إلى الجواب ، وجوابه هنا دَعَوْتُ . فيقول : لَمَّا دنا الضُّبُع وأقبلَ وجهه يَنْفِلِقُ ويُثِيلُ ، دعوتُ هذا الرجلَ — يعني المرءَ — فأجاب . وإِنَّمَا خَصَّ وقتَ تَلَشُّمِ^(١) الضُّبُع ، لأنَّ المريض يخفُّ فيه ، فكأنَّه على عادته في تمرُّضه ، وتعرُّفِ خبره ، وتحذُّبه عليه في العارض له ، دَعَا فوجده ثَقِيلاً ، لا يُجِيب ولا ينطلق لسانه ، فتبيَّن منه قُربُ المغارقةِ والبُعَادِ بعدَ المقاربةِ ، فلذلك قال : « وحانَ فراقُ من أخ لك ناصح » . ومعنى حانَ : قُرب . والنَّصَاحَة : صَمَاءُ الوُدِّ ، وخُلُوصُ العقيدةِ من الغِلِّ . وقوله « وكان كثيرُ الشرِّ » يعني مع منابذِهِ ومُشَاقِّبِهِ . ولن يكملَ التقى حتى يكون مُستَصْلِحاً للخير والشرِّ ، فيُجِلِّ النَّاسَ سَخَالِمَ ، بِيَوْقِهِمْ مُسْتَحَقَّاهُمْ ، إنَّ خيراً خيراً ، وإنَّ شراً فشرّاً .

وقد عَمِلَ لطيفةً في الصِّمَّةِ الثانيةِ فقال « للخير نوما » فجَمَلَ الخيرَ ولَدَ معه غنساً^(٢) بنشته . يقال : غلامٌ نودم ، لذى وَلَدَ معه غيره . وأتامت المرأةُ نعى مُتَمِّتٌ . واشتقاقه من الرِّثَمِ ، والثناء فيه بدلٌ من الواو ، كالثناء في تَكَاثُفٍ وما أشبهها ، والجمع تَوَاطُمٌ ، وقُفَالٌ^(٣) في الجمع قليل . كأنَّ الولدَ وادمَ غيره في الإتيان ، أوى وافق . وفي المثل : « لولا الرِثَامُ هَلَكَ اللَّثَامُ^(٤) » . وقد استقصيتُ القولَ فيه في شرح كتاب الفصيح .

٣ — تتابع قِرَوَاشُ بْنُ لَيْلَى وعامِرٌ وكانَ الشُّرُورُ يَوْمَ ذَلِكَ مُدْمِماً^(٥)

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « تيسم » . (٢) ل : « ينفق » .

(٣) في الأصل : « ويقال » ، سواء في ل . وقد اختلف القويون والضعفاء في صيغة فعال ، هل هي جمع أو اسم جمع . وقد صنع الأديب جبران النحاس بحثاً عنوانه « صيغة فعال ليست جماعاً » طبع في الإسكندرية سنة ١٩٤٧ بمطبعة البصير . وانظر ليس في كلام العرب لابن خالويه ص ٢٣ .

(٤) انظر تحقيقه مسهباً في حواشي مقاييس اللغة (٦ : ٨٠) .

(٥) كذا في ل . وفي الأصل : « ما خص لبعض » .

يريدُ : أنهم قد تداعوا في الذهاب ، وتقاطروا في الموت ، فمات الواحدُ بقِبِ الواحد ، كأنهم دُعوا بلسان واحد فأجابوا ، وكان السرور يوم مات مُلقى مُهلكا غير باقي ، لأنَّ كلَّ من سمعَ بموته أخذَ قسطاً من الجزع له فغنى سرورُ الناس وظهورُ جزعهم . وقوله « يوم مات » يعنى أبأوس . هذا من باب ما خصَّ البعضُ بشيء من دون الجماعة ، فأعيد ذكره . والدَّمدمة : الإهلاك والانشغال . وفي القرآن : ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَذِثْنَهُمْ ﴾ . ويرى : « وكان الشرورُ يومَ ذلك مُذَمَّماً ^(١) » .

٤ — هَمَّتُ أَنْ لَا أُطِمَّ الدَّهْرَ بَعْدَهُمْ حَيَاةً فَكَانَ الصَّبْرُ أَبْقَى وَأَكْرَمًا قوله : « أَنْ لَا أُطِمَّ الدَّهْرَ بَعْدَهُمْ » انتصب أطم بأن ، ولو رُفِعَ لجاز على أن يكون أن غنفة من الثقلية ، ويكون اسمه مضمرًا ، والفعل مع ما بعده خبرٌ . كأنه قال : هَمَّتُ بِأَنْ لَا أُطِمَّ حَيَاةً بَعْدَهُمْ ، أَيْ كُنْتُ وَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَى الزُّهْدِ فِي الْحَيَاةِ ، وَجَعَلْتُ قَتْلَ نَفْسِي مِنْ مَمَى ، ثُمَّ نَفَرْتُ فَكَانَ الْإِتْسَاءُ بِالنَّاسِ فِي مَصَائِبِهِمْ ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَقَاسَةِ الْبَلَاءِ مَعَهُمْ ، أَبْقَى فِي الدُّكْرِ ، وَأَحْسَنَ فِي الْأَحْدُوثَةِ ، وَأَكْرَمَ عِنْدَ عَدُوِّ الْأَفْعَالِ وَعَرَضِهَا عَلَى الْعُقُولِ . وَرَوَى : « أَنْقَى » بِالتَّاءِ اللَّجْجَةُ ، وَالْمَعْنَى أَوْقَى ، لِأَنَّ التَّاءَ مُبْدَلَةٌ مِنَ الْوَاوِ ، أَيْ أَصَوْنُ لِلَّذِينَ وَالْعِرْضُ .

٣٥٨

وَقَالَ قَبِيصَةُ بْنُ النَّضْرَانِيِّ الْجَرِيُّ ^(٢) :

١ — لَا يَاعَيْنُ قَاحَتِي وَبِكَيْ عَلَى قَرْنِمٍ لَرَيْبِ الدَّهْرِ كَافٍ

(١) كذا على الصواب في ل . وفي الأصل : « مدمما » . وروى التبريزي رواية ثالثة : « مدمما » بإبدال المهملة ، وقال : « مدمم من دميت الشيء » ، إذا طليته وغطيته .
(٢) سبق ترجمته في المجلد ١٩٩ ص ٦١٠ .

- ٢- وما للثنين لا تبكي لِحَوَاطِ وَزَيْدٍ وَابْنِ عَمِّهِمَا دُفَافٍ
 ٣- وَعَبْدُ اللَّهِ يَا لَهْفِي عَلَيْهِ وَمَا يَخْنِي بَرِيدٍ مَنَاءَ خَافٍ
 ٤- وَجَدْنَا أَهْوَانَ الْأَمْوَالِ هُلُكًا وَجَدَّكَ مَا نَصَبْتَ لَهُ الْأَنْفَى

يقول : يا عين جاء وقت البكاء فميتي له ، واجمعي دموعك ثم فرقيها ،
 ولا مساع لتقصير ، ولا مجال لتعذير . والحافل من النعم : التي جمعت اللين
 في ضرعها . ومعنى بكى : أكرهى البكاء أو كثره ^(١) . والقَرَمُ : السكرم
 من الرجال ، وأصله في الفحول ، وكذلك القَرَم ، وقد تقدّم ذكره ^(٢) .

وقوله « رَبِيبُ الدَّهْرِ كَافٍ » قد حذف أحد مفعولي كفى ، كأنه كافٍ
 الناس ربّ الدَّهْرِ ، أى ما راب من أحداه .

ثم عدّدَ مَنْ فُجِيعَ بِهِ مِنْ أَعْرَظَتِهِ فَوَجِبَ الْبُكَاءُ لَهُ ، لِيُعْلَمَ عَظِيمُ شِقَاةِ
 وَمَا أَصِيبَ بِهِ فِي أَوْدَانِهِ .

وقوله « يَا لَهْفِي عَلَيْهِ » يجوز أن يكون المُنَادَى مَحذُوفًا كأنه قال : وَعَبْدُ اللَّهِ
 لَهْفَى عَلَيْهِ يَا قَوْمَ . ويجوز أن يكون نَادَى اللَّهْفِ لِيُرَى عَظِيمَ حَسْرَتِهِ ، وَكَالَ
 شِقْوَتِهِ فِي فَجْئَتِهِ .

وقوله « وَمَا يَخْنِي بَرِيدٍ مَنَاءَ خَافٍ » ، يجوز أن يكون موضعه رُفْصًا حُرِّ
 أَنَّهُ يَرْتَفِعُ يَخْنِي ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : مَا يَخْنِي خَافٍ بَرِيدٍ ، أَيْ زَيْدٌ مَنَاءَ لَا يَخْنِي ،
 لِأَنَّهُ انْخَفَى هُوَ زَيْدٌ ، وَهَذَا كَمَا تَقُولُ : لَقِيتُ بَرِيدًا أَسَدًا . ويجوز أن يكون
 قوله « بَرِيدٍ » هو التَّاعِلُ وَالْبَاءُ فِيهِ مِثْلُ الْبَاءِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ

(١) ل : « وكرهه » .

(٢) انظر ما مضى في ص ١٠٠٦ .

شَهِيداً^(١). وللعنى ما يعنى زيدٌ مَنَاءَ خفاء، وخافٍ في موضع خفاء، لكنه لم ينصبه كما لم يُنصب قوله:

* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِيقِ^(٢) *

ومثله:

* كَفَى بِالثَّانِي مِنَ أَسْمَاءٍ كَافٍ^(٣) *

وقتُ ثَامَا، وعُدَّتْ بِاللَّهِ عَائِذَا^(٤)، وقد مضى مثله.

وقوله « وَجَدْنَا أَهْوَنَ الْأَمْوَالِ هُلْكَاً » كأنه ثَبَّه^(٥) به على ما كانوا يُقيمونه من الضيافة، ويُنفقونه من الأموال في المُقَاة وأبواب البرِّ والإحسان، وأن أَهْوَنَ الْأَمْوَالِ هَلَاكاً على نفوس السكّرام وأخفها في العُشْدُور والقلوب ما وقِفَ على الأضياف، وصُرِفَ إلى ما كلهم، وكذلك من أشبه الأضياف. واتَّصَبَ « هُلْكَاً » على التمييز. ومعنى « وَجَدَكَ » وحقَّ جَدُّكَ.

وقوله « مَا نَصَبْتَ لَهُ الْأَثَافِي » في موضع للمفعول الثاني لوجدنا. والأَثَافِي، واحداً منها أَثْفِيَّةٌ. ويقال: نَفَيْتِ الْقِدْرَ وَأَثْفَيْتَهَا. فَأَثْفِيَّةٌ أَفْصُولَةٌ. ومن قال أَثْفَيْتَهَا فَأَثْفِيَّةٌ عِنْدِي فُغْلِيَّةٌ؛ لأنَّ الهَمْزَةَ أَصْلِيَّةٌ. من خَلَقَ قول النابغة:

* وَإِنْ تَأْتَيْكَ الْأَعْدَلَةُ بِالرَّقَدِ^(٥) *

(١) سبق قريباً في ص ٩٧٠ كما مضى في ص ٢٩٤.

(٢) سبق مع قرينه في ص ٩٧٠ كما مضى في ص ٢٩٤. وهو لبيسر بن أبي غلزم. وجزءه:

* وليس لحبها إذ طال شاف *

والشاهد فيها ترك إصهاب المثل المنسوب.

(٣) يعنى وضع اسم القاعل موضع المصدر.

(٤) ل: « يَنْبِي ».

(٥) صدره في الديوان ٢٦:

* لا تهذقي بركن لا كفاء له *

٣٥٩

وقال أبو صخرة البولاني^(١) :

- ١ — زُكْرَةُ وابنا أمِّه الهمُّ واللُّنى وفي الصَّدْرِ منهم كُلاً غَيْثُ هُلَيْسٍ
٢ — أَوْدُمُ وُدًّا إذا خَاصَرَ الحَشَا أضاء على الأضلاع والليل دَامِسُ
٣ — بنى رُجُلٍ لو كان حَيًّا أَعَانِي على ضَرِّ أعدائي الذين أُمَارِسُ^(٢)
- يعنى زُكْرَةُ وأخويه أولاد أخيه ، وكان نُوفًى والدُّمُّ فصارَ هو كافلهم .
فيقول : هم الذين أهتمُّ لهم ، وأتمنّى خيرَهم وبقاءهم ، وأقصرُ همِّي على ما نستقيم به
أحوالهم ، وتستيتبُّ له أمورهم ، ومتى غَيْثُ عنهم كان في صدرى هاجسٌ من
الفسكرِ فيهم ، وسارخٌ من التوفُّرِ عليهم ، يُحِلُّانِ بيني وبين الذَّهابِ عنهم ؛ فجسى
غائبٌ عنهم ، وهو آي حاضرهم . فلهذا التَّى أشار إليها نتائجُ العِنايةِ بهم ،
ومسبِّباتُ الرِّعايةِ في النِّيبَةِ عن أخيه فيهم . ثم أَخَذَ يذكر ما غَرَسَه الحبُّ في
قلبه لهم ، ووعاء صدره من التحنُّنِ والشفقةِ في بابهم ، فقال : أَوْدُمُ وُدًّا إذا
خَالَطَ الحشا في ظِلْمَةِ الليل أضاء على الأضلاع . وإنما قال هذا لأنَّ الشَّيءَ إذا
أشْرَقَ بالليل وعند التباسِ الظَّلامِ ، فهو بالنهار أوَّلُ بالإشراق . فكانَ اللَّغْيُ
أنَّ طلائعَ جِبْهَتِهِمْ في مكامِنِ صدره مضيئةُ الأرجاء ، نيرةُ الأكفانِ ، في كلِّ
حالٍ ووقت .

وقوله « بنى رجل » يعنى أخاه ، كأنَّه ذكر ما يقتضيه في أمرهم بما يأتيه ،

(١) عبارة الإنشاد مطبوعة في نسخة الأصل . وفي ل : « أبو سميرة » ، سواه في
التهريزي وشروح سبط الزند ١٢٤٣ حيث أنشد البيت الثاني ، والقاموس (مفتى) . وبولان ،
بالفتح : « بنى من طي » .

(٢) التهريزي : « بنو رجل » .

(٣) في الأصل : « ومتى » ، سواه في ل .

فأشار إلى الدواعي القائمة بينه وبين أولاد الأخ، فقال : أذكركُ بنى رجل لو كان فى جملة الأحياء لأعانتى على الأعداء ، وأنصفنى من الزمان ، ودفع عني من مضرّاتهم ومناكداتهم ما يخفُّ به ظهري ، ويقوى فيه نهوضى وجذابى .

٣٦٠

وقال النمطش^(١)

من بنى شفرة بن كعب بن ثعلبة^(٢) :

- ١ — أَلَا رُبَّ مَنْ يَفْتَانِي وَدَّ أَنْتَى أَبُوهُ الَّذِي يُدْعَى إِلَيْهِ وَيُنْسَبُ
 - ٢ — عَلَى رِشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْ لِنَيْتَةٍ فَيَغْلِبَهَا فَحُلَّ عَلَى النَّسْلِ مُنْجِبُ
- قوله « مَنْ يَفْتَانِي » من نكرة ويقتضى فى موضع الصفة له ، و « وَدَّ أَنْتَى » جواب رُبَّ . فيقول : رُبَّ إنسان يأكل كلِّ لحمى بظهر النيب ويتنقضى ، ومع ذلك يمتنى أن أكون أباه الذى يُسَمَّى به ويُنسَبُ إليه ، وإنما يبعثه على ذلك الجسدُ والتفضاء .

وقوله « عَلَى رِشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْ لِنَيْتَةٍ » فإن على يتعلق بقوله أننى أبوه ، كأنه يريد : وَدَّ أَبُوئى سوا لا كان ولده حلالٍ أو حرام . والرَّشْدَةُ : اسم الهيئة فى الرِّشَادِ . والنَّيْتَةُ : الفعلة الواحدة من النِّتْ . وهكذا يُخْتَارُ أن يقال هو لِرِشْدَةٍ بكسر الراء ، وَلِنَيْتَةٍ بفتح النين . وقوله « فَيَغْلِبَهَا » نصب جواب التمنى بالقاء ، والعامل فيه أن مضمرة . وهذا شرح النِّتَةِ ، كأنه قال : تمنى أن يكون ولدى على رِشْدَةٍ ، أو يغلبها لحلُّ مُنْجِبٍ عَلَى النَّسْلِ فتأتى به لِنَيْتَةٍ . وأراد بالفعل المنجب نفسه ،

(١) سبقت له الحماسة ٢٩٩ ص ٨٩٣ .

(٢) التبرزى : « بن ثعلبة بن سعد بن ضبة » . وقد كرر أبو تمام فى هذه الحماسة البيتين ٤ ، ٥ وما يتنا الحماسة ٢٩٩ . وقد سبق تلخيص هذا التكرار فى الحماسة ٣٣ حيث كررت فى رقم ٢٠٩ .

ويعنى يبالغها على النسل غلبة الشبهة ليرتبه من هجنتها . وإذا قال القائل وددت
أنتى أجيئك ففكرمتى ، قوله ففكرمتى انتصب ولم يعطف على أجيئك ، لخاتمة
آخر الكلام أوله ، وذلك أن قوله أنتى أجيئك متمى غير واجب ،
وففكرمتى ليس من التمى^(١) بل هو واجب ، فلما خالفه نوى بالأول الاسم ،
وأخبر بعد الفاء أن ، لتكون الفاء عاطفة لاسم على اسم ، فكانه قال : وددت
تجيئى إليك فإكرامك لى . وكذلك إذا قال ألا ماء فأشربه ، براد : لو كان
لى ماء لشربته ، تقديره : ألا ماء فشربه .

٣ - فبالخير لا بالشرّ أرجو مودتى وأى امرئ يقتال منه الترهّب
كانه أتبلّ على هذا المتناوب له ، الناحية أثبتة ، للداجي له بعداوة كاتبة
مستحكمة فى الصدر قال له : هذه المودة التى تظهرها من نفسك لى ، أرجو
انتفاذك بالخير لا بالشرّ ، لأنك إن فعلت غير ذلك فإعما تحتاج إلى إصلاحه من
نفسك^(٢) ، فأما إذا كانت المودة صافية ، والعقيدة خالصة ، فإن صاحبها لا يرجو
بها إلا خيراً ، وكيف يرجو غيره من ثماره وهو يفرس الخير لا الشرّ . وقوله
« أرجو مودتى » أى أرجو مودتك لى ، والمصدر يضاف إلى المفعول كما يضاف إلى
الفاعل . وقوله « وأى امرئ يقتال منه الترهّب » فنى يقتال يحتكم ، وهو يقتل
من القول . يريد : أى رجل يحتكم عليه ومنه الترهّب ، التهوّف ، وترتك
السكون والأمانة إليه . أى كيف يطلب ودّه على الرّمية منه .

٤ - أقول وقد فاضت ببقى عمرة أرى الأرض تبتى والأخلاء تنهب

(١) لو : من إليهم :

(٢) كذا وردت العبارة فى النسخة :

٥ - أَخْلَاهُ لَوْ غَيْرَ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الدَّهْرِ مَتَّعْتُ قَوْلُهُ « وَقَدْ فَاضَتْ بَيْنِي عِبْرَةٌ » اعتراض بين الفعل ومعموله . وقوله « أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى » متصل بقوله « وَقَدْ فَاضَتْ بَيْنِي عِبْرَةٌ » ، وهو من جملة الاعتراض . ومنقول أقول البيت الثاني . فيريدُ : أقول وقد اتصل البكاء مِنِّي ، وسالت المَيزَاتُ مِنْ عَيْنِي ، إذ كُنتُ أَرَى الْأَرْضَ بَاقِيَةً ، والإخوانُ الْخُلَصَ ذَاهِبَةً ، وَأَنَا لَا أَمْلِكُ شَيْئًا : أَخْلَايَ إِنِّي مَتَّعْتُ مَغْلُوبٌ ، مَأْخُوضٌ عَنْ عَزَائِي لِمَا أَنَاهُ الدَّهْرُ ، وَلَكِنِّي إِذَا أَفْكَرْتُ^(١) وَكَانَ سَبَبَ اخْتِرَائِكُمُ الْمَوْتَ الَّذِي تَسَاوَى فِيهِ الْأَقْدَامُ فَلَا يُبْقِي عَلَى شَرِيفٍ وَلَا وَضِيعٍ ، وَلَا صَغِيرٍ وَلَا كَبِيرٍ ، صَدَّقَنِي ذَلِكَ عَنْ الْقَتْبِ ، لِأَنَّ الْمَوْتَ لَا مَتَّعَ عَلَيْهِ ؛ وَلَوْ كَانَ الْجَنَانُ فِيكُمْ ، وَالسَّالِبُ لَكُمْ غَيْرَ الْمَوْتِ لَعَتَبْتُ عَلَى الدَّهْرِ ، وَقَلْتُ وَأَكْثَرْتُ فِي مَوْضِعِ الْقَوْلِ ، وَاتَّصَفْتُ وَأَسْرَفْتُ فِي مَوْضِعِ الْفِعْلِ . وَيَقَالُ عَتَبْتُهُ فَأَعْتَبَ ، أَيْ لُتُّهُ فَأَرْضَى . وَيُرْوَى « أَخْلَايَ » بِالْقَصْرِ وَإِثْبَاتِ يَاءِ الْإِضَافَةِ ، وَ« أَخْلَاهُ » بِالْمَدِّ وَحَذْفِ يَاءِ الْإِضَافَةِ ، وَهَذَا أَجْوَدُ .

٣٦١

وقالت امرأة^(٢) :

١ - الْآفَاقُ صِرَ مِنْ دَنَجٍ عَيْنِيكَ لَنْ تَرَى أَبَا مَثَلَهُ تَنْبِي إِلَيْهِ الْمَفَاحِرُ

(١) ل : « فُكِرْتُ » . وَالْإِنْكَارُ وَالنَّفْكَارُ بِحَسَبِ .

(٢) قَالَ أَبُو رِيَّاسٍ : « وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ لِحَمْدِ بْنِ بَشِيرٍ ، أَحَدِ بَنِي الْحَارِجَةِ ، رَأَى بِهَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْطَّلَبِ » . وَأَبُو عُبَيْدَةَ هَذَا وَالدَّهْنُ أُمُّ عَمْدٍ وَإِبْرَاهِيمُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ ، وَجَدَهُ زَمْعَةَ كَانَ أَحَدَ « أَزْوَادِ الرِّكَبِ » . فَذَكَرَ أَبُو رِيَّاسٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنٍ دَعَاهُ فَقَالَ ! إِنَّ هَذَا قَدْ جَزَعْتَ عَلَى أَيِّهَا قُلْتَ آيَاتًا تَسْلِيهَا بِهِنَّ عَنْهُ . فَقَالَ : قَدْ قُلْتُ ، فَقَالَ : قَدْ فَادَخَلَ . فَسُئِلَ إِلَيْهَا وَهُوَ مَعَهُ فَقَالَ :

٢- وقد عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ صَوَادِقُ إِذْ يَنْدُبْنَهُ وَقَوَاصِرُ
تَقُولُ مُتَسَلِّيةً وَرَافِعَةً الطَّعْمَ مَنْ أَنْ يَكُونَ الْجَزْعُ يَرُدُّ قَائِمًا ، قَالَتْ كُنِي
مِنْ دَمْعِ عَيْنِكَ ، وَتَهْنِئِي عَيْرَاتِكَ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى مَنْ تَتَأَصِّبُهُ مِنْ أَيْلِكَ
الَّذِي كَانَ إِلَيْهِ يَنْتَبِي لِلْفَخْرِ . وَمَعْنَى « تَنْتَبِي إِلَيْهِ لِلْفَخْرِ » أَنَّهُ غَايَةُ لِلْفَخْرِ ،
فَعِي إِلَيْهِ تَنْتَبِي . وَيُرْوَى : « يَنْمُو إِلَيْهِ الْمَفْخَرُ » بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَلِلْعَنَى يَرْتَقِي إِلَيْهِ
الْمَفْخَرُ إِذَا نَافَرَ خَصْمَهُ وَجَاذَبَهُ .

وقولها « وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ صَوَادِقُ » اسْتَشْهَدَتْ بِطَوَائِفِ الْأَقْوَامِ
عَلَى اخْتِلَافِهَا ، وَذَكَرَتْ أَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ بَنَاتِ هَذَا الْمُتَوَقِّفِيَا يَنْدُبْنَ بِهِ أَبَاهُنَّ
وَيَذْكُرْنَ مِنْ فَضَائِلِهِ وَإِفْضَالِهِ ، آتِيَتْ بِالصَّدَقِ غَيْرِ الْكَذِبِ ، وَعَاجَزَتْ عَنْ
بُلُوغِ النَّايَةِ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا أَبُوهُنَّ لِلرَّثَةِ ، فَإِنَّ الْقَوْلَ لَا يُحِيطُ بِحَدِّهِ ، وَالْوَصْفُ
لَا يَنْفُذُ كُنْهَ حَقِّهِ .

٣٦٢

وقال آخر (١) :

(١) سَقَى جَدًّا وَارَى أَرِيْبَ بْنَ عَصَمَسٍ مِنْ الْعَيْنِ فَعَيْتُ يَسْبِقُ الرَّعْدَ وَابِلُهُ

= إِنْ مَا ابْنُ زَادِ الرِّكْبِ لَمْ يَمَسْ بَأَتَا
فَقَوَى أَضْرَقِي يَأْخُذُ عَيْنِيكَ لَنْ تَرَى
وَكُنْتُ إِذَا مَلَأْتُ سَنِيَّتَ وَالْفَأْ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ
قَامَتْ فَصَاحَتْ فِي وَجْوَازِيهَا وَجَعَلَ يَصِيحُ مَعَهُ ، قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ : يَأْعُو اللَّهُ دَعْوَتَكَ
تَعَزَّيْهَا فَنَهَيْتَهَا عَلَى الْبِكَاءِ . قَالَ : وَمَا كُنْتُ عَسَى أَنْ أَعْزَى بِنْتُ [ابْنِ] زَادِ الرِّكْبِ ،
مَنْ يَمِزُّ أُنَا عَنْهُ ، لَا وَاقَهُ لَا أَعْزَى عَنْهُ وَلَكِنِّي أَمَرْتُ بِالْحَزْنِ عَلَيْهِ وَأَحْضَى عَلَى ذَلِكَ .
(١) التَّبَرُّزِيُّ : « وَقَالَ الْقَلَاخُ . قَالَ أَبُو هِلَالٍ : فِي الشُّعْرَاءِ ثَلَاثَةٌ يُقَالُ لَهُمْ الْقَلَاخُ .
أَحَدُهُمُ الْقَلَاخُ الرَّاجِزُ بْنُ حَزْنٍ بْنُ جَنْبَابِ بْنِ مَتَرٍ ، الْفَاعِلُ :
= « أَنَا الْقَلَاخُ بْنُ جَنْبَابِ بْنِ جَلَا » .

٣ - مُثٌّ إِذَا أَلْقَى بِأَرْضٍ بَمَاعَةٍ تَقَعَدَ سَهْلَ الْأَرْضِ مِنْهُ مَسَائِلُهُ
دَعَا لِقَبْرِ الْمُرْتَى بِالشُّعْيَا ، وَهُوَ أَرَيْبُ بْنُ عَسْتَس . وَمَعْنَى « مِنْ الْعَيْتِ »
مِنَ السَّحَابَاتِ الَّتِي تَنْشَأُ مِنْ عَيْنِ الْقَبْلَةِ ^(١) وَهِيَ أَغْزَرُ ، فَلِذَلِكَ خَصَّهَا . وَقَوْلُهُ
« يَسْبِقُ الرَّعْدَ وَابِلَهُ » يَطْلُبُ بِهِ الْكَثْرَةَ . وَالْوَابِلُ : لِلْمَطَرِ الضَّخْمُ الْقَطَرُ ، وَإِذَا
سَبَقَ لِلْمَطَرِ الرَّعْدَ كَانَ النَّوْهُ أَغْزَرَ .

وقوله « مُثٌّ » لم يرض بأن يكون سُقْيَاهُ عَارِضًا ، وَلَكِنْ جَعَلَ الْغَيْثَ
مُثْلًا ، وَهُوَ [بِمَعْنَى ^(٢)] مُقِيمٌ . وَقَوْلُهُ « إِذَا أَلْقَى بِأَرْضٍ بَمَاعَةٍ » يَرِيدُ إِذَا جَاءَ
مَطَرٌ عَلَى أَرْضٍ فَوَضَعَ أَثْقَالَهَا بِهَا امْتَلَأَتْ الْوَهَادُ ، وَتَقَعَدَتْ السَّائِلُ بِطَوْنٍ
الْبَاطِحِ السَّهْلَةِ . وَالْبَمَاعُ : الثَّقَلُ ، وَالْجَهَازُ . يُقَالُ : بَعَّ السَّحَابُ بَمًا وَبَمَاعًا .
إِذَا أُلْحَ بِمَكَانٍ فَأُلْقَى بِمَاعَةٍ فِيهِ .

٣ - فَاِمِنْ فَتَى كُنَّا مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا بِهِ نَبْتَغِي مِنْهُمْ عَمِيدًا نُبَادِلُهُ
٤ - لِيَوْمٍ حِفَاطٍ أَوْ لَدَفْعٍ كَرِيهٍ إِذَا عَيَّ بِالْحِمْلِ الْمُضِلَّ حَامِلُهُ
قَوْلُهُ « فَاِمِنْ فَتَى » يَتَّ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، وَتَلْخِيصُهُ مُبِينًا مُعَادًا كُلَّ
شَيْءٍ إِلَى مَوْضِعِهِ : مَا مِنْ فَتَى مِنَ النَّاسِ كُنَّا نَبْتَغِي بِهِ وَاحِدًا مِنْهُمْ عَمِيدًا نُبَادِلُهُ ^(٣) .
فَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ « مِنَ النَّاسِ » مِنْ صِفَةِ الْفَتَى ، وَبِهِ يَعُودُ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَتَى .
وَالْمَعْنَى : كُنَّا بِسَبَبِهِ نَبْتَغِي وَاحِدًا مِنْهُمْ - أَيْ مِنَ النَّاسِ - عَمِيدًا ، مِنْ صِفَةِ

== وَالْآخِرُ الْقَلَاخُ بْنُ زَيْدٍ أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ ، وَهُوَ الْقَاتِلُ :

وَلَا يَسْتَوِي يَازِيدُ دَرَجٍ وَحَجَرٍ وَصَدْرُ سَنَانٍ فِي الْمَرْوَبِ عَرَبٍ

وَالْقَلَاخُ السَّنْبَرِيُّ ، ذَكَرَهُ دَعْبِلُ فِي شِعْرَاءِ الْبَصَرَةِ . وَهَذَا هُوَ قَلَاخُ بْنُ حَزْنٍ . وَانْظُرْ
لِلْمَوْتَفَى ١٦٨ وَالْأَشْعَثَانِ ١٥٣ وَالْأَلَا ٦٤٧ وَالشِّعْرَاءُ ٦٨٨ .

(١) هَذَا مَا قِيلَ . وَفِي الْأَسْلِ : « مِنَ السَّحَابِ الَّتِي تَنْشَأُ عَنْ الْقَبْلَةِ » ، وَفِيهِ تَجْرِيفٌ .

(٢) عَثَلَهَا يُلْغَمُ الْكَلَامُ .

(٣) انْظُرْ سَامِدَ التَّنْصِيصِ (١٦٤) . وَهُوَ فِي تَجْزِئِهِ هَبِيهَ يَقُولُ الْهَرَزْدِيُّ :

وَمَا مَثَلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَعْلَكَا أَبُو أُمِّهِ حَى أَبُوهُ يَخْلَرُهُ

الواحد ، لأنّا جعلنا واحداً مفعولاً لتبتنى . يُبادله ، أى يُبادِل به الناس ،
لغذف الجارِّ وقال يبادله . على هذا قول عارِيق الطائي :

* وليس من القوتِ الذي هو سابقه ^(١) *

أى سابقٌ به . وخبر ما محذوف ، كأنّه قال : ما فتى ذا صفته بموجود في
الدنيا ، وما أشبهه .

وقوله « ليوم حفاظٍ » اللام تعلّق بقوله يبادله ، [أى يُبادِل ^(٢)] به لهذا
الشأن ، وهو أن يحافظ على حسبه محافظة الكرام ، أو يدافع الكرائنة
والشدائد لدى الجدَل والنِصام ، في وقتٍ من الزّمان يمزُّ من المشيرة من يكفيه
المضيمة ، وترى الفاضل بالأثقال لتضاغطِ المَوْن والبلايا يعميا بما يحمله فيمده
داه عضالاً . وأصل المضل : المنع والتضييق . ويقال عصّلت المرأة وعصّلتها ،
إذا منعتّها من التزويج . وعصّلت بولده وأعصّلت ، إذا عسّر ولادها ^(٣) .

٥- وذى تُدْرَا ما الليث في أصل غابيه بأشجع منه عند قرنٍ يُنازله ^(٤)
٦- قبضت عليه الكف حتى تُقيده وحتى يني للحق أخضع كاهله

قوله « وذى تُدْرَا » الواو عاطفة ، وانجرت ذى بإسمرار ربّ . وتُدْرَا : تُفعل
من الدّره ، وهو الدّفع بشدّة . فيقول : ربّ رجل هكذا ما الأسد في خدره
بأقوى قلباً منه عند نظيره له في بأسه وشدّته ينازله . فقوله « ما الليث » إلى آخر
البيت ، من صفة ذى تُدْرَا . والنابة : الأجمة . وإنما قال « في أصل غابيه »

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « من الموت » ، من حاسبة تأتي في البراج . ومصدره :

* إلى لتندّر الحبر بن هند تروده *

(٢) التكهّن من له .

(٣) الولاد : الولادة . وفي الأصل : « ولدها » ، سواءه في ل .

(٤) التبريزي : « في أصل غابه » .

إشارة إلى دخوله وتمكُّنه من غايتهما . وللنارَلة إنما تكون عند تضائيق المجال وتَدَانِي [أَطْرَافٍ ^(١)] موضع الالتقاء ، عن الإقدام والإحجام .

وقوله « قبضت عليه الكف » يقول : جَمَعْتُ عليه قبضتَكَ فَمَنَعْتَهُ عن الانفصال عند الخروج من إسارك ، حتى أمكنَكَ من الاقتياد منه ، وحقى عاد كاهله خاضعاً للحق راضياً به . والطلب بجميع هذا الرئي . وإنما يصفه بمُحْسِن الثبات في معاركة الخصوم ومزاوتهم ، وأنه باقٍ الصَّير في استيفاء الحقوق عليهم . وقوله « كاهله » يجوز أن يرتفع بقوله يَنِي ^(٢) . ويجوز أن يرتفع على البدل من المضر في يَنِي ، وحينئذٍ يحتمل ضميراً لذي تُدْرِك . وأخضع ينتصب على الحال في الوجهين جميعاً ، ويجوز أن يرتفع أخضعُ فيكون خبراً مقدِّماً ، وكاهله يكون مبتدأ . والأخضع : الذي في عنقه انخفاضٌ وتطاطؤٌ .

٧ - فَيَّ كَانَ يَسْتَحْيِي وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَلْحَقُ بِالْمَوْتِ وَيُذَكِّرُ نَائِلُهُ [رَاجِعَ الْإِخْبَارِ عَنْهُ ثَانِيًا ^(٣)] فيقول : هو فَيَّ كَانَ الْحَيَاءُ يَمْلِكُهُ فَلَا يَتَعَاطَى مَا يَقْبَحُ فِي الْأَحْدَثَةِ ، وَلَا يَسْمَعُ مَنَكراً إِلَّا الْفَاهُ ، وَلَا رَأْيَ مُسْتَشْنَأٍ إِلَّا رَفْضَهُ وَأَقْصَاهُ ، لِيَطْلِبَ مَسْمَعُ مَا يُرْوَى عَنْهُ ، وَمَنْظَرُهُ فِيمَا يُشَاهَدُ مِنْهُ . وقوله « ويعلم أنه سيلحق بالموت » يقول : تَيَقَّنَ أَنَّ الْخُلُودَ لَا مَطْمَعَ فِيهِ ، فَإِنَّ الَّذِي لَهُ مِنَ الْمَالِ مَا يَقْدِّمُهُ لِحُثُوبِهِ ، وَادِّخَاراً لِأَكْرَمَةِ ، إِذَا تَحَدَّثَ عَنْهُ بِهَا كَانَ ذِكْرُهُ حَيًّا وَإِنْ كَانَ الشَّخْصُ فِينَا مَغْيِبًا .

(١) التَّكَلُّفُ مِنْ ل .

(٢) ابْنُ جَنَى : « أَرَادَ يَنِي » ، أَيْ رَجَعَ ، لَخَفَ الْمَهْزَةِ الْبَتَّةَ ، كَمَا حَكَى عَنْهُمْ : جَاءَ يَجِيءُ .

وَسَاءَ يَسُو .

(٣) التَّكَلُّفُ مِنْ ل .

٣٦٣

وقال الضبي:

- ١ - أأبئ لا تبعد وليس بخالٍ حَيٌّ وَمِنْ تُصَبِّ النَّوْنُ بِمِيدُ
 - ٢ - أأبئ لَنْ تُصْبِخَ رَهينَ قَرَارَةٍ زَلَجَ الجَوَانِبَ قَمَرُهَا مَلْحودٌ^(١)
 - ٣ - فَلَرُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَزَتْ وِراءَهُ قَمْنَتَهُ وَبَنُو أَبِيهِ شُهُودُ
 - ٤ - أَفَنَّا وَحَمِيَّةٌ وَأَنْتَ ذَائِدُ إِذْ لَا يَكَادُ أَخُو الحِفَاطِ يَدُودُ
 - ٥ - وَلَرُبَّ عَانٍ قَدْ فَكَّكَ سَائِلٍ أَعْطَيْتُهُ فَنَدَا وَأَنْتَ حَمِيدُ
 - ٦ - يُبْنِي عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَهْلُ ثَنَانِهِ وَلَدَيْكَ إِمَّا يَسْتَزِدُّكَ مَرِيدُ
- البيت الأول يشتمل على أنواع ثلاثة من الكلام : قوله « لا تبعد » ما يُندب [به ^(٢)] للموتى على إظهار الفسافة إلى حياته ، وقد مرَّ القول فيه ^(٣) . وقوله « وليس بخالٍ حَيٌّ » تَسْلَى ^(٤) وإيمانٌ بمحسوم القدر ، وأنَّ ذلك يوجب على المصاب الصبرَ والانتفاء بفرق الخلق . وقوله « وَمِنْ يُصَبِّ النَّوْنُ بِمِيدُ »

(١) التبريزي : « زلج » . والزلج ، بالفتح : الحضي للزلة ، وهو وصف بالمصدر . وقال مكان زلج أيضا بفتح فكسر . وكتبت زلج ل أنقرأ « زلج » و « زلج » بفتحة في الأصل وأخرى في وسط الجيم ، وما معنى .
(٢) هذه من ل .

(٣) انظر ما مضى في ٨٩٢ ، ٩٠٥ .

(٤) في الأصل : « تشك » ، صوابه في ل .

(٥) التبريزي : « قال أبو العلاء : قوله ومن تصب للنون جزم بمن ، ولم يأت القمرا بالجواب . وهذا على لإرادة التفاء ، كأنه قال : ومن تصب للنون فهو بعيد . ومثله : من يفعل الحسنات الله يشكرها والفعل بالعر عند الله مثالن أراد : فافعه يشكرها . ومثله قول أبي ذؤيب :
فقال تحمل فوق طوقك إني مطبوعة من يأتيها لا يضرها » .

تبرؤ من الجرى على عادة الناس في اللصائب واعتراف بأن الموت يبعد الانلقاء بين الأحياء والأموات ، فلا تراوَر ولا تراسل ، ولا تخاطب ولا تكأب . فكل هذا عَشْرٌ وتوَجُّعٌ .

وقوله « أَأَبَىٰ إِنْ تُصْبِحَ رَهِينَ قَرَارَةٍ » جواب الشرط أول البيت الذي يليه ، وهو قوله « فَرَبِّ مَكْرُوبٍ » . وللعنى : إِنْ خَلَيْتَ مَكَانَكَ مِنَ الدُّنْيَا صِرْتَ مَرْهُونًا فِي قَرَارَةِ قَيْرِ زَلِّي الْجَوَانِبِ ، صَرِيحُهُ لَا يُنْعَشُ ، وَرَهِينُهُ لَا يُفَكُّ ، وَأَسِيرُهُ لَا يُتَخَلَّصُ بِنِّ وَلَا فِدَاءٍ ، وَلَزِيمُهُ لَا يَتَمَلَّسُ ^(١) لَوْفٍ وَعِدَايَ ، فَرَبِّمَا فُلْتُ كَذَا وَكَذَا . وقوله « قَعْرُهَا مَلْحُودٌ » ، تصويرٌ لاقتر بلحده .

وقوله « فَرَبِّ مَكْرُوبٍ كَرَّرَتْ وَرَاءَهُ » يريد : رَبُّ مُضَيِّقٍ عَلَيْهِ أَسْلَمَهُ بَنُو أَبِيهِ لِمَا امْتَحَنَ بِهِ حَتَّى تَمَكَّنَ الْعَدُوُّ مِنْهُ ، أَنْتَ تَمَطَّطْتَ عَلَيْهِ ، وَصَرَفْتَ عَنَّا يَدَكَ إِلَيْهِ ، فَخَفَّفْتَ ثِقْلَهُ ، وَأَلْقَيْتَ عَنْهُ وَزْرَهُ ، وَدَفَعْتَ مِنْ قُوَّتِهِ ^(٢) دُونَهُ ، وَمَوَالِيهِ مِنْ بَنِي الْأَعْمَامِ وَغَيْرِهِمْ حُضُورًا لَا يَرَعُونَ لَهُ إِلَّا ، وَلَا يَحْفَظُونَ لَهُ عَهْدًا .

وقوله « أُنْفَا وَحَمِيَّةً » انتصب على [أَنَّهُ ^(٣)] مفعول له ، وما بعده معطوفٌ عليه وفي معناه ، كَأَنَّهُ ذَكَرَ الْعِلَّةَ الْمَوْجِبَةَ لِمَا أَتَاهُ فَقَالَ : فَعَلْتُ ذَلِكَ حَمِيَّةً وَأُنْفَةً ، وَأَنَّ عَادَتَكَ الْمَدَافِعَةَ عَنْ كُلِّ مَنْ يَتَمَلَّقُ بِحَبْلِكَ ، أَوْ يَمْسُكُ بِمَرْقَةٍ مِنْ عُرَى عَنَّا يَدَكَ ، غَرِيبًا كَانَ أَوْ نَسِيبًا ؛ وَهَذَا تَفَعُّلُهُ فِي وَقْتٍ يَزْهَدُ

(١) التمس : التمس والتمس . في الأصل : « التمسك » ، صوابه في ل .

(٢) المألوف في التعبير « من فوره » أى قبل أن يسكن . لكنه أراد المرة من الفور .

(٣) التكملة من ل .

الناس في الإحسان ، لشدة الزمان ، ويرى المحافظ ممسكاً والمراعي مهتلاً .
 وقوله « وَرُبَّ عَانٍ قَدْ فَكَّكَتْ » فالعاني : الأسير ، وأصله من عنايعنو ،
 إذا خضع . على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ . فيقول :
 رَبُّ مَأْسُورٍ أَخْرَجْتَهُ مِنْ ضَيْقِ الْإِسَارِ إِلَى سَمَةِ الْأَمَانِ ، فَأُطْلِقَتْ كَيْبَلُهُ ،
 وَنَزَعَتْ غُلَّهُ ؛ وَرُبَّ سَائِلٍ اجْتَدَاكَ فَأَغْنَيْتَهُ ، وَعَنِ التَّجْوَالِ أَقْمَدْتَهُ ، فَانصَرَفَ
 عَنْكَ وَهُوَ يُبْنِي عَلَيْكَ وَيَتَشَكَّرُ^(١) نِعْمَتَكَ ؛ وقد استحققت عليه ذلك بما
 أسديتَه إليه ، ولو عادَ إليك لوجدَ تماداً لا ضَجَرَ منك يلحقه ، ولا سامةً فيك
 تمصُّه ، وإن استزادَ زِدْتَهُ ، لا يُمنَع من موجود ، ولا يُحالُ على مفقود .

٣٦٤

وقال عكرشة أبو الشغب^(٢)

يَرْنِي ابْنَهُ شَغْبًا :

- ١ - قد كان شَغْبٌ لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَمَّرَهُ عِزًّا تَزَادُ بِهِ فِي عِزِّهَا مُضَرٌّ
 - ٢ - فَارَقْتُ شَغْبًا وَقَدْ قَوَّضْتُ مِنْ كِبَرٍ لَيْسَتْ الْخَلْقَانِ الشُّكْلُ وَالْكِبَرُ
- يعظمُ شأنَ ابنه ، وذلك أنه كان قد بزغ في فضله ، وورد أبواب الملوك
 فقبلته السيوف والقلوبُ نباهةً وخلالوةً ، وتوجَّهاً وتقديماً . قال : لو أَنَّ القضاء
 أمهلَ ابني شَغْبًا ولم يُماجلْهُ^(٣) عن استكمالهِ ، وعن الاستمتاع بما توحَّد به من
 فضائله ، لكان بقاءهُ عِزًّا مُستجِداً لقبائلٍ مُضَرِّكلها ، تُضَيِّفُهُ إلى عِزِّها ،
 وتُلبِّجُ باستقرارها .

(١) هنا ما في ل . والنشكر : الشكر . وفي الأصل : « ويشكر » .

(٢) سبقَت ترجمته في الحاشية ٣١٤ من ٩٧٧ .

(٣) في الأصل : « يماجله » ، صوابه في ل .

وقوله « فارقَتْ شَبَابًا » عاد إلى ما يخصُّ نفسه من الفَجَعِ بموته ، والجزع لقراقه ، قال : فارقته والكبيرُ قد صالحني ، وخني ظهري ، وانتقصَ جَلَدِي ، وأوهنَ قُوَايَ ، ولا أملَ في إدراكِ مثله ، ولا استقلالَ بالتهوُّضِ بأعباءِ أهله . ثم قال متحسرًا : بُسَّتِ الخَلَّتَانِ المَجْصِمَتَانِ لِي كُلُّ مَنْ لَا يُقْتَضَى مِنْهُ أَبَدَ الدهرِ ، والكبيرُ المقصّرُ للأملِ ، المقربُ ليومِ الأجلِ .

٣٦٥

وقال آخر يرثي ابنه :

- ١- اللَّهُ دَرُّ الدَّافِنِيكَ عَشِيَّةً أَمَا رَأَيْتَهُمْ فِي الْقَبْرِ مَثْوَاكَ أَمْرَدَا
٢- مُجَاوِرَ قَوْمٍ لَا تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ وَمَنْ زَارِمٍ فِي دَارِمٍ زَارَ مُحَمَّدَا

قوله « اللَّهُ دَرُّ الدَّافِنِيكَ » ، فَدَرٌ ، وإن كان في الأصل مصدرًا فقد لَزِمَ هذا الموضعَ وجرى الكلمةُ به لكثرة الاستعمالِ بجرى : فَبِهِ خَيْرُكَ ، فلا يعمل في ظرفٍ ولا في حالٍ ، ولا في شيء مما يعمل فيه أمثاله من المصادر . فيقول على وجه التشبُّه من الذين تولَّوْا دَفْنَهُ في عَشِيَةِ يَوْمِهِ : اللَّهُ دَرُّهُمْ ، أَمَا أَفَرَعَهُمْ مُقَامُكَ في القبرِ على استقبالِ شَبَابِكَ ، ونضارةِ عُصْنِكَ وقُرْبِ مِيلَادِكَ ، حين لم تجتمع نفسك ، ولا توجَّهَ وَجْهُكَ . وفي طريقته قولُ الآخر (١) :

أَيَا شَجَرَ النُّجَابِ مَالِكُ مُورِقَا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ (٢)

(١) هو القارعة ، أو ظلمة ، أو ليل يفت طريف ، أخت الوليد بن طريف . حساسة البصري ٤٣٥ ، ووفيات الأعيان في ترجمة الوليد بن طريف .

(٢) أنشد الفال أربعة أبيات من قصيدة البيت في الأمالي (٢ : ٢٧٤) وفي العقد (٣ : ٢٧٩) ستة أبيات منها ، على حين أنشد ابن خلكان القصيدة بأكملها .

وأبلغ منها قول الآخر^(١) :

أَبْتَدَ قَتِيلٌ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ بِهِ الْأَرْضُ تَهْتَزُّ الصَّاهُ بِأَسْوَاقٍ
وَانْتَصَبَ «أمرد» على الحال ، وأصل التمرد التمس والانبجاء . يقال :
صخرةٌ مُردلة ، إذا لم يثبت عليها شيء .

وقوله «مُجاور قوم لا تزاور بينهم» هذا حالُ الأموات فيما بينهم ،
يتجاورون ولا يتزاورون ، ومن زارهم من الأحياء منا انصرف عنهم بالخفية ،
والزيادة في الفتنة والحسرة . والهمد : جمع همد ، وهو اللبث ؛ وأصله من محمود
النار . ويقال للثوب إذا بلى : قد همد .

٣٦٦

وقال ليبد^(٢) :

١ - لَمَرِي لئن كان المُخْبِرُ صادقاً لقد رَزَيْتُ في حَادِثِ الدَّهْرِ جَفَرُ^(٣)
٢ - أَخَا لِي أَمَا كُلُّ شَيْءٍ سَأَلْتُهُ فِيمَطَى وَأَمَّا كُلُّ ذَنْبٍ فَيُفْسِرُ
يرى بهذا أربد أخاه . وقوله «إن كان المُخْبِرُ صادقاً» فهو قد عَلِمَ صِدْقَ
الحديث ، لكنه لاستغفامه للنبأ ، وخفامة أمر المتوفى في النفوس وعنده ،
يرجع على المُخْبِرِ بالكذب ، ويُدخل الشكَّ على المشهود والمسموع ، كما قال
الآخر^(٤) :

(١) هو العجاج بن ضرار . وسيأتي في الخامسة ٣٨٨ .
(٢) هو ليبد بن ربيعة بن مالك بن جهر البكري ، الشاعر المشهور ، وأحد مخضري
الجاهلية والإسلام . ابن سلام ٤٨ والشراء ٢٣١ - ٢٤٣ والأغانى (١٤ : ٩٠ - ٩٨)
والخرابة (١ : ٣٣٤ - ٣٣٩) وطبقات ابن سعد (٦ : ٧٠) وأسد الغابة والإصابة
والاستقبيد .

(٣) الأبيات في ديوان ليبد ٣ طبع ١٨٨١ .

(٤) هو النابغة يربى حصن بن حذيفة بن بدر ، كما في شروح نسخة الزند ٨١٣ .

(٣ - حاشية - ثالث)

* يقولون حصن ثم تأتي نفوسهم^(١) *

واللام من « لَمَرِي » لام الابداء ، ومن قوله « لئن » هي الموطنة للقسم ، ومن قوله « لقد » هي جواب القسم .

والمعنى : وبقي لئن ورد هذا الخبر من صادق يرى من الحسد والتزبد ، مؤذرا لما تحققت سماعا أو عيانا ، لقد أصيبت قبيلة جعفر بن كلاب فيما حدث من ريب الدهر بمزينة عظيمة فظيمة .

وقوله « أخالي » انتصب عن « رُزِئْتُ جَعْفَر » ، أى رُزِئْتُ شقيقا لى هذا صفته ، وهو أن سماخته وتكرمه كانا يمشانه على بذل كل حسنة تُقدَّر عليه ، وأن سلاسته وسهولته تدعوانه إلى التجافى عن كل سيئة تبذر إليه .

٣٦٧

وقالت زينب بنت^(٢) الطيرة^(٣) ، ترى أخاها :

١— أرى الأمل من بطن العقيق مجاورى مقيما وقد غالت يزيد غوائله^(٤)

الأمل : شجر . وإنما قالت ما قالت منكرا ومستوحشة ، إذ كان الحكم

(١) مجزءه : * فكيف يحسن والجال جنوح *

(٢) كلمة « بنت » ساقطة من اللسنتين .

(٣) الطيرة أمها ، وهي من الطير ، بالفتح : من بين اليمن . قال ابن خلكان : « الطيرة فتح الحاء للهامة وسكون التاء للنثية » . وضبطها صاحب القاموس بالتسريك . وهي ترى بهذه الأبيات أخاها يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن حاصر ، وكان يزيد جديلا شريفا متلانا ، توفي سنة ١٢٦ . وروى أبو الفرج في الأغاني (٧ : ١١٦) أن الأبيات لأُم يزيد ، وهي من الأزود . قال : ويقال لها لوحشية الجرمية .

(٤) الأبيات في حاشية الجتري ٤٣٣ ، والبيان للجاحظ (١ : ٢١٦) والأغاني وأمالى الفاي (٢ : ٨٥) . والبيان ٢ ، ٣ من هذه القطوعة قد روي فيها مضى في الجاسية ٣١١ للعبير السولي . قال الفاي : « وفيها أبيات تروى للعبير السولي ولها » .

عندها أن تتغير الأمور عن مقامها لموت أخيها ، فتحول الأحوال وتبدل الأبدال ، وتتخشم الجبال ، وتتلع الأشجار ؛ فلما جرى الأمر بخلافه أخبرتنا متوجعة ومتحسرة ، قالت : إن بطن العقيق ومنابت الله بما تحويه أرى مقيا في جوارى على ما كان عليه ، وأخى يزيد قد دعاه محتوم القضاء فذهب به غوائله . ويقال : غالته التوائل ، أى أهلكته للهلكات ، وهذا كما يقال : علقت به العلوق . وانتصب « مقيا » على أنه مفعول ثانٍ لأرى ، وجوارى في موضع الجر على أنه صفة لبطن العقيق .

٢ - فَنَيَّ قَدْ قَدْ السِّيفِ لَا مُتَضَائِلٌ وَلَا رَهْلٌ لِبَأْتُهُ وَأَبَاجِلُهُ^(١)
وصفه بأنه في خِلقة السيف نَجْردًا واقضابًا ، وعلى خلقه مضاه وفذًا . وقوله « لا متضائل » يريد أنه شهم حتى النفس والقلب ، جرى المقدم ، لا يتخشم شيء ولا يتأوت على حدت . والضوولة ، أصله الدقة . والرهل : المسترخى . يصفه بقلة اللحم على الصدر والساق . والأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق^(٢) . وذكر الأباجل وهو يريد مواضعها . وجمعه كما يقال هو ضخم الثمانين ، كأنه أراد ما حوله .

٣ - إِذَا نَزَلَ الْأُضْيَافُ كَانَ عَذُورًا عَلَى الْعَيِّ حَتَّى تَسْقُلَ مَرَايِلُهُ
التدور : السبي الخلق ، القليل الصبر فيما يطلبه ويهم به . وإذا ظرف لقوله « كان عذورا » . وصفه بأنه يجمع الحى لأمره فيطاع ، لسيادته وجلالة محله ، وأنه إذا نزل به الأضياف قام بنفسه في إقامة القرى لهم ، غير معتمد على أحد فيه ، وأنه يمرض له وفي خلقه عجلة يركبها ، وتشدد في الأمر والنهي على جماعة الحى به يصرفها ، حتى تنصب المراحل ، ونهجا للطام ، فإذا ارتفع

(١) التبريزي : « وبأدله » ، وهي رواية البحرى والقال أيضا .

(٢) هو عرق في باطن الذراع ، أو هو عرق غليظ في الرجل .

ذَلِكَ عَلَى مَرَاتِهِ عَادَ إِلَى خُلُقِهِ الْأَوَّلِ . وَلِلرَّاجِلِ : جَمْعُ مَرَجَلٍ ، وَهِيَ الْقَدْرُ الْعَظِيمَةُ التَّحْسِينِ . وَاسْتَقْلَامُهَا : انْتِصَابُهَا عَلَى الْأَثَافِي . وَحَتَّى تَسْتَقِلَّ ، أَرَادَ لَتَسْتَقِلَّ وَكَى تَسْتَقِلَّ . أَى كَانَ عَدُوًّا لِفَدَاكَ الشَّأْنِ .

٤ - مَقَى وَوَرِثَانَهُ دَرِيسَ مُقَاضَةٍ وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلًا حَمَاطَةً يَقُولُ : أَجَابَ دَاعِيَهُ فُضِيَ لُوجُهُ ، وَوَرِثَانَهُ دَرِيسَ مُقَاضَةٍ . فَانْتَصَبَ دَرِيسَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ ثَانٍ . وَيَقَالُ : وَرِثْتُهُ كَذَا وَوَرِثْتُ مِنْهُ كَذَا . فَعَلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ كَانَ أَصْلُهُ وَرِثَانَةً ، فَحُذِفَ الْجَارُ ، وَوَصَلَ الْفِعْلُ فَمِثْلُ . وَالدَّرِيسُ : الْخُلُقُ مِنَ الدَّرْعِ وَغَيْرِهِ ، لِأَنَّهُ كَأَنَّهُ فَمِثْلُ بِمَعْنَى مَفْعُولُ . وَالْجَمْعُ الدَّرَسَانُ . وَالْمُقَاضَةُ : الدَّرْعُ الْوَاسِعُ . وَأَبْيَضَ ، أَى وَسِينًا أَبْيَضَ . وَجَمَلُهُ طَوِيلَ الْحِمَاطِ لَطُولُ قَوَائِمِهِ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ انْفَقَّ مَالُهُ فِي مَا ادْخَرَهُ أَجْرًا ، وَنَشَرَهُ حَمْدًا وَشُكْرًا ، فَلَمْ يَكُنْ لَزْتُهُ إِلَّا مَا ذَكَرَ مِنَ السَّلَاحِ .

٥ - وَفَدَاكَ كَانَ يُرْوَى الْمَشْرِقُ بِكَفِّهِ وَيَبْلُغُ أَقْصَى حَجَرَةِ الْحَيِّ نَائِلُهُ^(١)

وَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَانَ غَزَاءً شَدِيدَ النِّكَايَةِ فِي الْأَعْدَاءِ ، فَكَانَ يُعْطِي السِّيفَ حَقَّهُ إِذَا أَعْمَلَهُ ، وَيُرْوِيهِ مِنْ دِمَاءِ مُشَاقِقِيهِ وَمُنَابِذِيهِ إِذَا جَرَّدَهُ ، وَيَبْلُغُ أَمْعَدَ نَاحِيَةِ الْحَيِّ عَطَايَاهُ . وَإِنَّمَا قَالَتْ « يُرْوَى الْمَشْرِقُ بِكَفِّهِ » لِأَنَّهُمَا تَرِيدُ أَنْ نَهَضَتَهُ فِي ذَلِكَ بِنَفْسِهِ خَاصَّةً مِنْ غَيْرِ اعْتِدَادٍ عَلَى حِمِيمٍ أَوْ غَرِيبٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَجُورُ الْجَرَائِرَ عَلَى ذَوِيهِ نَحْوِ مَا يَتْرَكُهُمْ لَهَا ، وَلَكِنْ كُلُّ مَا أَنَاهُ أَوْ تَحَشَّاهُ بِنَفْسِهِ لَا بغيرِهِ .

٦ - كَرِيمٌ إِذَا لَاقِيَتْهُ مُتَبَسِّمًا وَإِنَّمَا تَوَلَّى أَشَقَّتْ الرُّؤْسُ جَافِلُهُ

قَوْلُهُ « كَرِيمٌ » ارْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِمَّنْ يُدْعَى مَحْذُوفٌ . أَرَادَتْ : هُوَ كَرِيمٌ إِذَا لَاقِيَتْهُ مُتَبَسِّمًا . فَانْتَصَبَ « مُتَبَسِّمًا » عَلَى الْحَالِ . وَجَوَابُ إِذَا يَدُلُّ عَلَيْهِ كَرِيمٌ .

(١) هذا البيت وتاليه وتفسيرهما ساقط من نسخة الأصل ، وإثباتهما مع تفسيرهما من ل .

فقول: إذا لقيته راضياً ساكناً متبشراً لا قيت منه طَلَمَةَ الكرام وأفضالهم ، وإن أعرض عنك وولّى وجدته أغبرَ الرأس كثير الشعر ، لا يهتبه أمرُ نفسه في اللباس والطعام ، وإنّا به النزوّ والسّقى في إصلاح أمر المشيرة ، وما يَكسِبُه الجلال والشرف .

وقولها « أشعث الرأس » أى اغبرّ شعره وتلبّد . والتعل منه شعث شَمَتًا وشُعُونَةً ، وهو أشعث وشَمِث . وقولها « جافله » من قولهم : أخذتُ جُفْلَةً من الصوف ، أى جُرّة منه . وفي كلام لم عن الضائنة : « أجزّ جُفْلاً » . ويقال : جافل ، وجُفِل .

٧ - إذا القوم أمّوا بيته فهو عائدٌ لِأحسن ما ظنّوا به فهو طاعله يجوز أن يريد بالقوم رجال الحى خاصّة ، ويجوز أن يريد به طوائف الرجال ، ويكون الراء به البكثرة . وإنما وصفته بأنه مندبر المشيرة عند ما يدهمهم ، والمشير عليهم فيما يحزّبهم ، فلذا قصدوا حضرته قائلين ما نأمر وكيف نصنع ؟ أرشدهم وهداهم ، وتمثل عنهم ما يتقلّ عليهم . ثم بعد ذلك تشدّد إلى أحسن ظنونهم به فيأتيه معهم لا متبرّماً ولا متكرّهاً ، بل باسطاً من أمّالهم ، وجامعاً الحسن^(١) في كل باب لهم .

٨ - تَرَى جَارِزِيَّ رُوعَدَانٍ وَنَارُهُ عَلَيْهَا عَدَامِيسُلُ الْهَشِيمِ وَصَابِلُهُ

٩ - يَحْزُرَانِ نَيْكًا خَيْرَهَا عَظْمُ جَارَةٍ بصيراً بها لم تشدّ عنها مشاغله^(٢)

(١) هو ما وضعوه على لسانها ، وفي اللسان : « أولد رتالا ، وأحلب كشيّاً بئلا ، وأجز جئالا ، ولم تر مثلي مالا » . قوله جئالا ، أى أجز مرة واحدة ، وذلك أن الضائنة إذا جرت فليس يذهب من جوارحها إلى الأرض شيء حتى يجر كله ويسقط أجمع .

(٢) ل : « الحسن » .

(٣) للبريزي : « عظم جاره » .

جعلت له جازرين على عادتهم في جعلهم أصحاب للهن فيهم اثنين اثنين ، كالباين والمشتغل في الحلب ، والماتح والقابل في الاستقاء . وجعلهما يرعدان لشدة البرد ، وإنما تنى وقت الجذب وعند إحمال الناس . والمداميل : القتيق من الخشب الغليظ ، واحدها عُدْمُولٌ على القياس وعُدْمُلٌ . والصال : اليابس . والمعنى : إذا اشتد الزمان وشمل القحط واشتد البرد ، كان له جازران ينهران ، وناؤه عظيمة وقودها من الحطب القسلاط المتقن ؛ وترى القمأة والمضروبين^(١) بالقياء نازلين ، وذوى الحاجة من جوانب الحى يقترون ، وهو يقتسم فيهم ما يرضيهم .

وقولها « يجران ثنيا » يعنى الجازرين . والثنى : التى ولدت بطنين ، وهى ما يضمن بها . وقولها « خيرها » تريد : خير أبدائها ومفاسلها البدنه الذى يحمل الجارة له قد عرفها ، فهو بصير بها وبحالها . وليست تعنى جارة بينها ، إنما المراد الكثرة ، فالجارات على ذلك لا تتخطاها أشغالها المزدهجة ، ولا ينفى العناية بها الأسباب المراكمة ، بل قد وصى بها وأمثالها فيتقذن بأوفر الأنصاء عند قسمة الجزور . وقالت « بصيرها » والفعل للرئى ، فجرى على غير من هوله ، لأنه تبع الجارة ، وإذا كان كذلك فالواجب كان عليها أن تظهر ضميره فتقول بصيراً بها هو ، لأن اسم الفاعل والصفة المشبهة إذا جرى واحد منهما على ما قبله صفة أو صيلة أو حالا أو خبراً لم يحتمل الضمير كما يحتمله الفعل ، ليصفه وانحطاط منزلته . وأكثر أصحابنا على أنه لا بد من ذلك ، حتى أبى الحسن كان يلحن الكلام إذا لم يجر على هذا السان . والكوفيون وبعض أصحابنا يجوزون ترك إظهاره . وهذه الشاعرة دعته الضرورة إلى وضع المتصل موضع المنفصل ، فتركت التثنية . وقولها « لم تخذ

(١) الضرور : الذى أسابه الضر . فى الأصل : « للسرودين » سواء فى ل .

عنها « أي لم تصرف . يقال : عدت بيننا عوادٍ ، أي صرفت صوارف .

٣٦٨

وقال أبو حكيم المري^(١) :

١ - وكنت أُرَجِّي من حكيم قيامته على إذا ما النّفسُ زالت ارتدانياً

٢ - فقدّم قَبلي نَشه فارتدّيته فياويحَ نَفسي من رِداءِ علانيّا

النفس : شبيهة بالحيّة ، كان يحتمل عليه الملك إذا مريض ؛ ثم كثر حتى سُمي النّفسُ الذي فيه اللَّيْث نَمشاً . يقول : كنت أؤمل في حكيم ابني أن يُنهَل وينفَس من عمره ، فيقوم على إذا مِيتُ ، ويرتدّي نَفسي إذا حُلْتُ ، ثم بعد ذلك يَبْغِي فيأ أخلفه عليه ، وأعتمد على كفايته وخلافته ، غاب أُملي وكذّبتني ظَنّي ، وقُدّم قَبلي ، فارتدّيت أنا نَشه ، فوإبلاء نفسي من رداء علاني بنمسه . وقوله « ارتدانيا » تفسيرٌ لقيامه عليه^(٢) . وقد وُضِعَ للماضِ موقعٌ للمستقبل ؛ أي يرتدّني في ذلك الوقت . ولو ساقَ الكلامَ على تلاؤمِ لقال : قيامته على وارتدائه إِيَّائي إذا ما النّفسُ زال ارتدانيا ، أي يرتدّني ، فيكون إذا ما النّفسُ زال ظرفاً ، وارتدائي مفعول أُرَجِّي . أي أرجوه يرتدّني إذا ما النّفسُ زال .

(١) قال التبريزي : وكان أبو حكيم قد قال :

يحر بيبي وهو يحصر مدني مرور الببال أن يشب حكيم
غافلة أن يتأبى الموت دونه ونفسي يوت المي وهو يني

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « على » .

٣٦٩

وقال مُنْقِذُ الْمَلَالِ^(١) :

١ - الدَّهْرُ لَأَمَّ بَيْنَ أَلْفَتِنَا وَكَذَلِكَ فَرَّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ

٢ - وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ فِي تَصَرُّفِهِ وَالْدَّهْرُ لَيْسَ يَبْنَاهُ وَتَر

نَسَبَ مَا نَهَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى مُجْبِيهِ إِلَى الدَّهْرِ ، قَالَ : الدَّهْرُ يَجْعُ بَيْنَنَا وَسُورَى
الْهَيْمَنَةِ ، فَلَمَّا أَرَادَ كُلُّ مَنَّا أَنْ يَفْرَحَ بِصَاحِبِهِ كَأَيِّهِوَاءَ ، وَيَتَجَمَّعَ بِهِ وَيَهْمَلَهُ ،
فَرَّقَ بَيْنَنَا وَشَقَّتْ شَمْلَنَا ، فَصَادَ مَا كُنَّا نَأْمُلُهُ مِنَ التَّمَلُّ وَالِاسْتِمْتَاعِ تَبَايُنًا وَتَوَجُّعًا^(٢) .

ومعنى وكذلك فرق بيننا : وبمثل ذلك . وأشار إلى ما دلَّ عليه لأمم من
التأليف . يريد : وكما ليفه فرق أيضا . وكرر لفظ الدهر تفعيلا . وموضع
كذلك نصب على الحال من فرق بيننا . وقوله « وكذلك يفعل في تصرفه »
يريد أن الدهر في مصارفه ففعل لمثل ما فعل بنا ، يهبط ويرتفع ، ويؤلف ويفرق
ولا يترك شيئا على حاله إِلَّا زَيْتَ مَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرَ . وقوله « والدهر ليس
بناؤه وتر » يريد أنه يترك غيره فلا يؤتر ، ويترك فلا يجازى ، فليس منه
إلا الاستسلام لحكمه ، والرضا بمحتومه . وهذا الذي جعله للدهر ، الفاعل له
القادر على كل شيء ، متمثل عن الأبداء .

٣ - كُنْتُ الضَّيِّيقَ بَيْنَ أَصِيبَتِهِ فَسَلَوْتُ حِينَ قَادَمَ الْأَمْرُ

٤ - وَلَحِيرَ حَظِّكَ فِي الْمُصِيبَةِ أَنْ يَلْقَاكَ عِنْدَ نُزُولِهَا الصَّبْرُ

(١) هو منقذ بن عبد الرحمن بن زياد الملال . قال اللزباني في المجموع ٤٠٤ : « بصري
خليع ماجن ، منهم في دينه ، زوى بالزندقة ، كان في صدر الدولة البساسية » . وأشدله هذه
الآيات ما عدا الثاني منها . وكان من أصحاب والبة ومطيع وبنار وابن الفصح وابن . الأغاني
(١٤٣ : ١٦) .

قوله « كُنْتُ الضَّتَيْنِ » تشكُّ^(١) من الفراق الواقع بينه وبين من يرثيه ، وإظهاراً لضعفه كان به ، وتنافس فيه . فيقول : كنت لا أصبرُ عنه ، وأُعدُّ الأوقات التي لا أراه فيها كُثْلَةً في العيش ، ونقيصة من زَاكِ الحظِّ ، إذ كنتُ لا أرى طيبَ العيش إلاَّ معه ، ولا أعرف طعمَ الحياة إلاَّ في صحبته ، فلما افترقنا وتقدمَ العهدُ بيننا سلَّوتُ عنه ، حتَّى كأنِّي لم يجمعني وإياه حالٌ . وهذا الكلامُ منه استقصارٌ لجزءه ، واعترافٌ بأنَّه لم يفعل كُنْه الواجب عليه عند الرِّبَّة .

وقوله : « وَلَيْزَ حَقَّكَ » يريد : خيراً نصيباً لك فيما تُصاب به وتمنوه ، أن يفتلك الصِّبرُ عند الصدمة الأولى لتصونَ به دينك ونفسك وعقلك ، لأنَّ المرجع إليه ، فألا يتسلَّى الإنسانُ تسَلَّى البهائم أحسنُ . وفي هذه الطريقة قول البخريِّ :
وإني وإن أظهرتُ صبراً وحسنةً
وصانعتُ أهدأني عليك لموجعٌ
ولو شئتُ أن أبكي دماً لكِيتُهُ
عليك ولكن ساحة الصِّبرِ أوسعُ

٣٧٠

وقالت ابنة ضرار الضبية^(٢)

ترى أخاها قبيصةً بن ضرار^(٣) :

١ — لا تَلْعَدَنَّ وكلُّ شئٍ ذاهِبٌ زَيْنَ المجالسِ واليَدَى قبيصا
« لا تبسطن » لفظة قد مرَّ القولُ فيها في تقدِّم^(٤) . وقوله « وكلُّ شئٍ ذاهِبٌ »

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « كل » .

(٢) التبريزي : « مية ابنة ضرار الضبية » .

(٣) كان قبيصة بن ضرار أحد فرسان ضبة . وكان قد شهد الكلاب الثاني حين اجتمعت مذبح لقتال تميم ، فهزمتهم تميم وفتلوا قائدهم عبد يثوث بن صلاة . وكان هذا الكلاب قبل الإسلام بقليل . الأغاني (١٥ : ٧٠ — ٧٢) .

(٤) انظر ص ٨٩٧ ، ٩٠٥ .

تَسَلَّى . كَأَنَّهُ قَالَتْ مَتَوَجَّعَةً : لَا تَبْعُدْ ، ثُمَّ عَقَّبَتْهُ ^(١) بِالتَّسَلَّى قَالَتْ : وَكُلَّ حَتَّى
مَنَا مَيْتٌ ، وَكُلُّ أَمْرٍ فِينَا مَتَعِدٌّ يَازِينَ الْجَالِسِ وَالنَّدَى يَاقِيصَةَ . وَقَوْلُهَا « وَكُلُّ
شَيْءٍ ذَاهِبٌ » اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْمَنَادَى وَبَيْنَ الدُّعَاءِ لَهُ . وَالْجُلُّ الْمَعْرُضَةُ بَيْنَ أَنْوَاعِ
السَّكَلِمِ تَقِيدُ فِيهَا التَّأَكِيدَ وَتَحْقِيقَ مَعَانِيهَا . وَقَوْلُهَا « زَيْنَ الْجَالِسِ وَالنَّدَى » ،
إِنَّمَا ذَكَرَتْهُمَا وَمَا وَاحِدٌ لِأَنَّهَا أَرَادَتْ بِالْجَالِسِ مَجَالِسَهُ خَاصَّةً إِذَا قُصِدَ لِإِزَالِ
الْحَاجَاتِ بِهِ ، وَاسْتِخْرَاجِ الطَّالِبِ مِنْهُ . وَأَرَادَتْ بِالنَّدَى نَادَى الْحَيِّ . وَاتَّصَبَ
قِيصَةُ عَلَى أَنَّهُ عَطَفَ الْبَيَانَ لِيَا زَيْنَ . وَيَحْوِزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى تَكْرِيرِ الدُّعَاءِ وَقَدْ
رَحَّه ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : يَازِينَ الْجَالِسِ يَاقِيصَةَ .

٢ — يَطْوِي إِذَا مَا الشَّعْ أَهَبَهُمْ قُلُّهُ بَطْنًا مِنَ الزَّادِ الْخَبِيثِ خَمِيصًا
يَصْنَعُهُ بَقْلَةُ الشَّرِّ ، وَأَنَّهُ لَا يَرْغَبُ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا إِلَّا فِيمَا يَزِينُ
وَلَا يَبِينُ ، وَيُسْتَطَابُ وَلَا يُسْتَحَبُّ . وَقَوْلُهُ « إِذَا مَا الشَّعْ أَهَبَهُمْ قُلُّهُ » ،
يُرِيدُ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ فَصَارَ كُلُّ مَا لَكَ لَشَيْءٍ يَبْخُلُ بِهِ حَقٌّ لَا يُمْكِنُ انْتِزَاعُهُ
مِنْهُ . وَإِذَا رَوَيْتَ « أَهَبَهُمْ قُلُّهُ » عَلَى مَا لَمْ يَسْمَعْ فَاعِلُهُ ، فَالْمَعْنَى أَحْكَمَ أَمْرُهُ
وَجُمِلَ كَالْفَرَضِ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ التَّجَوُّزَ . وَإِذَا رَوَيْتَ « أَهَبَهُمْ قُلُّهُ » جَعَلَ
الْفِعْلَ لِلشَّعْ ، كَأَنَّ لَهُ قُلًّا يُهَيِّمُهُ . وَإِبْهَامُهُ : أَنْ يَجْعَلَ عَلَى وَجْهِ لَا يُدْرَى
كَيْفَ يُنْفَعُ . فَيَقُولُ : هَذَا الرَّجُلُ يَطْوِي بَطْنًا لَهُ صَغِيرًا مُضْطَرِئًا مِنَ الزَّادِ
السَّيِّئِ ، إِذَا تَمَلَّكَ الْبَخْلُ النَّاسَ لَشِدَّةِ الزَّمَانِ ، فَجَعَلَهُمْ كَذَلِكَ .

(١) هَذَا مَا قِيلَ . وَفِي الْأَصْلِ : « عَقَّبَتْهُ » .

٣٧١

وقال عِكْرِشَةُ الضَّبِيِّ^(١) يَرْتِي بَيْنِهِ :

- ١ - سَقَى اللَّهُ أَجْدَانًا وَرَأَى تَرْكُتَهَا بِحَاضِرِ قَنَسَرِينَ مِنْ سَبَلِ الْقَطْرِ^(٢)
 ٢ - مَضُوا لَا يَرِيدُونَ الرِّوَّاحَ وَغَالَهُمْ مِنَ الدَّهْرِ أَسْبَابُ جَرَيْنَ عَلَى قَدَرِ^(٣)
 الأجدات : القبور ، وكذلك الأجداف بالفاء . ويعنى بالأجدات قبور بنيه .
 ودَعَا لَهَا بِالشُّقْيَا وجعل موضعها بحاضر قَنَسَرِينَ ، إجلالاً لها وتنبيهاً عليها . وقوله
 « مِنْ سَبَلِ الْقَطْرِ » مفعول ثانٍ لَسَقَى اللَّهُ . والمعنى : سَقَى اللَّهُ هَذِهِ الْقُبُورَ الَّتِي
 وَصَفْتُهَا مِنْ مَاءِ السَّحَابِ مَا سَالَ عَلَى عَجَلَةٍ وَبَشِدَةٍ . وَحَصَّ ذَلِكَ لِأَنَّهَا أَهْذَبُ
 الْمِيَاهِ عِنْدَهُمْ . وَالتَّصَدُّقُ طَلَبُ الشُّقْيَا لَهَا أَنْ تَبْقَى عَهْدُهَا غَضَّةً مَحْمِيَةً مِنَ الدَّرُوسِ ،
 طَرِيقَةً لَا يَنْسَلُطُ عَلَيْهَا مَا يُزِيلُ جِدَّتَهَا وَنَضَارَتَهَا . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ ضِدَّ
 ذَلِكَ قَالَ :

* فَلَا سَقَاهُنَّ إِلَّا النَّارُ تَضْطَرُّهُ^(٤) *

وقوله « مَضُوا لَا يَرِيدُونَ الرِّوَّاحَ » يريد : سَارُوا لَا يَعْزِجُونَ عَلَى شَيْءٍ ،
 فَلَا يَرِيدُونَ لُبًّا وَلَا مَقَامًا ، بَلِ اسْتَعْجَلُوا فَتَعَجَّلُوا ، وَأَهْلَسَكُم مِّنْ أَحْدَاثٍ

(١) التبريزي : « عكرشة العبسي » ، وهو الصواب ، وهو أبو الضب العبسي الذي ترجم
 في ص ٩٢٧ .

(٢) البيت ١ ، ٢ ، ٥ في مجالس تلعب ٢٤٢ . والبيت ٥ وقوله بيت آخر لم يروه
 أبو تمام في اللآلئ ٤٢٨ . وهذا البيت هو :

غطارفة زهر مَضُوا لِيَلْهَمُ الْمُنَى عَلَى ظِلِّ النَّظَارَةِ الزَّهْرِ

وروايه تلعب : « قِيَانَا وَرَأَى تَرْكُتَهُمْ » .

(٣) تلعب : « ثَوَا » .

(٤) صدره كما سبق في ص ١٠١ :

* إِذَا سَقَى اللَّهُ أَرْضًا سَوَّبَ غَادِيَةً *

الدَّهْرُ أَسَابَتْ جَاءَتْ عَلَى قَدَرٍ ، فَكَانَتْهُمْ كَمَا دُعُوا أَجَابُوا ، وَكَانَتْهُمْ أَيْخَانًا ،
لَا تَلَوُّمْ وَلَا اخْتَلَفَ ، وَلَا قُصُورٌ ^(١) وَلَا امْتِنَاعٌ .

٣ - وَلَوْ يَسْتَلِيمُونَ الرُّوحَ نَزَّوْحوَا مَيِّ وَغَدَا فِي اللَّصِيحِينَ عَلَى ظَهْرِ
يقول : وَلَوْ قَدَّرُوا فِيمَا هُمُو بِهِ مِنْ سَيْرٍ عَلَى النَّزُولِ رَوَّاحًا لَنَزَّوْحوَا مَيِّ ،
وَلَقَدَّوْا ^(٢) فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّانِي عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَلَمْ يَصِيرُوا مَعَ الْأَمْوَاتِ فِي
بَطْنِهَا مَأْخُودِينَ عَنْ حُطُوطِهِمْ ، لَكِنَّهُمْ اسْتَمَرُّوا فِي الْفَارَقَةِ فَقُلْ مَنْ لَا يَمْلِكُ
إِلَّا خَلَاكَ ، وَلَا اخْتِيَارَهُ فِيمَا يَرْكَبُهُ .

وهذا الكلام منه توبيخٌ وتعشيرٌ ، حين أتوا من حيث لم يشعروا ، وطُوبِئُوا
بِمَا لَا رَجْعَةَ فِيهِ وَلَا اسْتِبْقَاءَ وَإِنْ اسْتَنْظَرُوا .

٤ - لَمَرَّ بِى لَقْدَ وَارَتْ وَضَمَّتْ قُبُورُهُمْ أَكْفًا شِدَادَ الْقَبْضِ بِالْأَسْلِ السُّمْرِ
٥ - يَذْكُرُنَّ بَيْنَهُمْ كُلَّ خَيْرٍ رَأَيْتُهُ وَشَرٍّ فَا أَنْفَكُ مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرِ

يقول : وَبَقَائِي ، لَقَدْ اشْتَمَلَتْ قُبُورُهُمْ عَلَى فُرْسَانِ شُجْصَانٍ ^(٣) يَمْلِكُونَ
بِالطَّمَنِ أَكْفًا شِدَادَ الْقَبْضِ عَلَى الرِّمَاحِ . وَإِنَّمَا قُلْتُ « وَارَتْ وَضَمَّتْ » لِأَنَّ
الْمَوَارِثَ هُوَ الْمَوْتَرُ ، وَبِإِزْائِهِ الشَّيْءُ يَكُونُ ضَامِنًا وَغَيْرِ ضَامِنٍ ^(٤) . وَإِنَّمَا أَرَادْتُ أَنْ
يَحْمِلَ الْقُبُورُ مَوَارِثَهُ وَضَامِنَهُ ، فَذَلِكَ جَمْعُ بَيْنِ الْقَطْلَيْنِ . ثُمَّ عَقِبَ هَذَا بِأَنْ
قَالَ : يَذْكُرُنَّ بَيْنَهُمْ الْأُمُورَ الَّتِي انْتَهَى إِلَيْهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَحُلُو مِنْ
أَنْ تَكُونَ نَافِعَةً أَوْ ضَارَةً ؛ فَإِنَّ كَانَتْ نَافِعَةً كَانَتْ خَيْرًا ، وَكَانَتْ عَمَلُهُ

(١) فِي الْأَسْلِ : « تَصُور » ، صَوَابُهُ فِي لَد .

(٢) هَذَا الصَّوَابُ مِنْ لَد . وَفِي الْأَسْلِ : « دُ وَأَخْذُوا » .

(٣) ضَبَطْتُ فِي الْأَسْلِ بِضَمِّ الثَّانِي ، وَفِي لَد بِكَسْرِهِا . وَهَذِهِ الْفَعْلَةُ الْأَخِيرَةُ حِكَايَا لِلْحَيَاتِي .

(٤) اخْتَلَفْتُ النُّسَخَاتُ فِي التَّجْوِيدِ عَنِ الضَّامِّ بِالضَّامِّ ، وَسَيَّجَاهَا بِمُتَّحَرِّبٍ .

دِيعة^(١) مع مَنْ يَتَسَبَّبُ إِلَيْهِ بِحُومَةٍ ، أَوْ يُدَلَّ بِأَصِيرَةٍ . وَإِنْ كَانَتْ ضَارَّةً كَانَتْ شَرًّا ، وَهُوَ الَّذِي يَشْقَى بِهِ مِنْ يُشَاقُّهُ وَيَمَانِدُهُ ، حَتَّى لَا يُخْلِيَهُ مِنْهُ أَوْ مِنْ تَرْقِيهِ^(٢) سَاعَةً ، فَلَا أَزَالَ ذَاكَ كَرَّ لَهُ بِمَا أَعْتَبِرُهُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأَحْوَالِهَا ، وَأَنْتَهَى إِلَيْهِ فَأَنَاءَمَهُ مِنْ مَسْئَلَتِهِ فِي طَوَائِفِ النَّاسِ بَعْدَهُ . وَيُقَالُ : مَا أَفْكَرُ يَفْعَلُ كَذَا ، بِمَعْنَى مَا زَالَ . وَاللَّهُ كَرُّ ، بِظَمِ الدَّالِّ ، يَكُونُ بِالْقَلْبِ ؛ وَاللَّهُ كَرُّ بِكسر الدَّالِّ ، يَكُونُ بِاللَّسَانِ .

٣٧٢

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ^(٣) :

رَأَى أَخَاهُ وَكَانَ مَرِيضًا فِي غُرْبَةٍ ، فَسَأَلَ الْخُرُوجَ بِهِ هَرَبًا مِنْ مَوْضِعِهِ ،
فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ :

- ١ - أَبْذَنْتُ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارَ فَا جَاوَزْتَ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ الْقَدَرُ
 - ٢ - لَوْ كَانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَذَرُ نَجَاكَ لِمَا أَصَابَكَ الْحَذَرُ
- يُرْوَى : « أَبْطَلْتُ » ، وَالْإِبْطَاءُ وَالْإِبْعَادُ مُتَقَارِبَانِ . فَالْإِبْطَاءُ : الْإِسْرَاعُ فِي السَّيْرِ .
وَيُقَالُ : أَبْطَلْتُ مِنَ الْأَمْرِ ، إِذَا أَيْتَهُ وَهَرَبْتَ مِنْهُ . وَيُرْوَى : « أَسْرَعْتُ
مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارَ » وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ وَأَجُودُ ، لِأَنَّهُ مِنْ يَتَلَقَّى فِيهَا بِأَبْذَنْتَ .

(١) أَى دَائِمًا : وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا ذَكَرَتْ عَمَلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : « كَانَ عَمَلُهُ دِيعةً » ، شَبَّهَتْهُ بِالْديعةِ مِنَ الطَّرَفِ فِي الدَّوَامِ .
(٢) كَذَا فِي النُّسخَتَيْنِ . وَالتَّرْقِي : التَّصْرِجُ ، وَلَيْسَ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ تَكُونَ « تَرْقِي » .
(٣) التَّبْرِيزِيُّ : « وَيُقَالُ لَهَا لِابْنِ كُنَاسَةَ » . وَقَدْ نَسَبَهُ كَذَا ابْنُ خُلَسَّانٍ فِي تَرْجُمَةِ حَمَادِ الرَّائِدِيِّ ، وَذَكَرَ أَنَّ عَمْدَ بْنَ كُنَاسَةَ يَرْتَضِي حَمَادَ الرَّائِدِيَّ بِهَذَا النِّسْبِ . وَسَبَقَ يَهْدِيهِ النِّسْبَةُ ابْنُ النَّدِيمِ فِي الْفَهْرَسْتِ ١٣٥ . أَمَّا الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ (١ : ٢٥٧) . فَأَنَّى يَفْطَنُ مِثْلَهُمَا إِذَا قَالَ : « وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي بَعْضِ الْمَاءِ » . وَالْيَدِ الْيُمْنَى الرَّابِعُ مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ يُنْقَلُ بِتَحْجِيزِ هَذِهِ النِّسْبَةِ .

واللغى : فَرَرْتَ مِنْ أَجْلِكَ فِرَاراً بَهِيداً . ومعنى « من يومك » من آخر أَمْدِكَ . وإذا رويت « أسرع » احتجبت إلى إضمار فعلٍ يتعلّق به من ، ولا يجوز تعلّقه بأسرعت ، ولا بالقرار لأنه يكون من صلته وقد قُدِّم عليه . وقوله « فما جاوزت حيث انتهى بك القدر » يريد أن الحذر لا يُغنى عن القدر ، وأنك وإن تحزمت^(١) في تغيير الأماكن تباعدًا من المحدث ، وتنقلت في المنازل هربًا من القدر المحتوم ، فما وجدت فيه واقية لنفسك ، ولا جاوزت الوقت للرصد لحينك . وجعل قوله « حيث انتهى » اسمًا ، فهو في موضع للنعول لجاوزت . ومثله في القرآن : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾^(٢) . ومن تحكي كلامهم وفصيحه : « هي أحسن الناس حيث نظر ناظر » ، يعني وجهها .

وقوله : « لو كان يُنجي » جواب لو قوله « نجاك » . واللغى : إنك لم تُؤتَ من تجميع وقع منك ، أو إغفال اعترض دون طالبك ؛ فلو كان يخلص من الموت توفّق لولاك ما أخذت به نفسك من الحذر الشديد ، والمهرب البعيد ؛ ولكن هو الموت الذي لا منجى منه ولا مهرب عنه . وكل هذا النوع توجّع وتحسر ، واعتراف بالقصور والعجز لدى مُبرّم القضية .

٣ — يَرْحَمَكَ اللَّهُ مِنْ أَخِي ثَقِيفٍ لَمْ يَكُ فِي صَفْوِي وَدِدِهِ كَدَرٌ

٤ — فَهَكَذَا يَذْهَبُ الزَّمَانُ وَفِيهِ نَحْنُ الْعِلْمُ فِيهِ وَيَذْهَبُ الْأَثَرُ

قوله « يرحمك الله » استسلام . والرحمة من الله الإحسانُ والنفو ، ومعنى

(١) التحزم : اتخاذ الحزم . وهذه رواية ل . وفي الأصل : « حرمت » وهذه محرفة

من « حزمت » .

(٢) هذه هي قراءة جمهور السبعة ، وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالاته » بالتوحيد .

انظر ما سبق في حواشي ٤٤١ ، وكنتكس ص ٥٧٣ .

« من أخى شق » دخل من اللّتين ، أى من أخٍ يُوثق بودّه ، ويُؤمّن غلّه ووبالّ حسدِهِ ، وإذا صافى الوداد وافق باطنه ظاهره ، ولم يك ذا وجهين يُعطيك حَصْرَتُهُ خِلاف ما يُعطيك غَيْبَتُهُ .

وقوله « فهكذا يذهب الزّمان » يريد أن ما رآه وأصابه ليس بمستبدع من حدّثان الدهر ونوائبه ، بل استمراره قديماً وحديثاً على وجه واحد ينقضُّ أهله كما أتاه ، ويفنى فيه كلّ معلومٍ حواه ، ويدرس كلّ أثرٍ اقتناه ووعاه . وهذا الكلام إظهارُ اليأس من المفقود ، وتضييفُ الطمع في بقاء الموجود .

٣٧٣

وقالت أمّ قيس الضبيّة :

١ — مَنْ لِلْخُصُومِ إِذَا جَدَّ الضَّجَّاجُ بِهِمْ بعد ابن سعدٍ ومن للضُّمَرِ الْقُودِ
قوله « إذا جدّ الضجّاج بهم » أى صار ضجّاجهم جدّاً . ويقال : ضجّ
يضجّ ضجيجاً ، والاسم الضجّاج ، قال العجاج يصف حرباً :
وأغشتِ النَّاسَ الضَّجَّاجَ الْأَضْجَجَا وصاح خاشي شراً ومججها^(١)

وقوله « مَنْ لِلْخُصُومِ » لفظه استفهام ، والمعنى التوجع والاستنفذ . فيقول : مَنْ يَفْصِلُ بَيْنَ الْخُصُومِ إِذَا اشْتَدَّ بِهِمُ التَّرَاغُ ، وطال الجِدَالُ والدِّفَاعُ ، فَاحْتِيجُ إِلَى مَنْ يَرُدُّ الْجَامِحَ ، وَيُلِينُ الْكَابِحَ ، حتّى إذا رجع كلٌّ منهم إلى ما يقرب سَمْعَهُ ، ولا يبعد عن الفحص مُسْتَرْعَهُ أَغْذَ قَضِيَّتَهُ قَطْعُهَا ، لا يَلْقِيَهُمْ عَنِ الْقَبُولِ مَرَاجَعَةٌ ، ولا تَخْلِيَهُمْ عَنِ الْإِثْرَامِ مَمَاتَةٌ ومِدَاقَةٌ بعد ابن سعد . وَمَنْ لِلضُّمَرِ الْقُودِ بعده ، أى مَنْ أَهْمَابُ الْخَلِيلِ الْمَضْمَرَةِ . وتريد : مَنْ يَدْفَعُهُمْ عَنِ اشْتِطَاطِهِمْ إِذَا جَاءُوا

واترين أو موقورين . ويجوز أن تريد أنه كان غزا بها فمَن لها بعده . والضَّعْر : جمع ضامر . والتَّوَدُّ : الطَّوَالُ الأعناق .

٢ - وشَهِدَ قد كَفَيْتَ النَّابِينَ به في تَجَمُّع من نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودٍ

٣ - فَرَجَّتْهُ بِلِسَانٍ غَيْرِ مُلْتَبِسٍ عِنْدَ الْحِفَاطِ وَقَلْبٍ غَيْرِ مَزْدُودٍ

يقول : ورُبَّ مَشْهُدٍ عَظِيمٍ الشَّانُ يُسألُ عن حال حاضِرِهِ ، ويُستمع إلى ما يُنْشَرُ عنه من حِجَاجٍ مَنَافِرِهِ ، تَكَلَّمَتْ فِيهِ عَن نَفْسِكَ وَنَبَتْ عَنِ النَّابِينَ من مُعْتَلَقِي حَبْلِكَ ، واليَوْمُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ، ورُؤُوسُ النَّاسِ وَأَمَاتِلُهُمْ فِيهِ شُهُودٌ ؛ ثُمَّ كَشَفَتْ النَّمَّةُ ، وَأَثَبَتْ الْحُجَّةَ بِكَلَامٍ فَصِيحٍ لَا يَلْتَبِسُ ، وَجِدَالٍ رَاجِعٍ لَا يُحِيلُ وَلَا يَغْتِيضُ ، وَقَلْبٍ ثَابِتٍ لَا يَرْتَدِعُ إِذَا اسْتَنْهَضَ ، وَلَا يَنْتَكِسُ إِذَا اسْتَقْدَمَ . وقوله « نَوَاصِي النَّاسِ » أَي أَشْرَافُهُمُ وَالْقَدَمِينَ مِنْهُمْ . وَهَذَا كَمَا وَصَفُوا بِالذُّوَابِ ، يُقَالُ : فَلَانُ ذُوَابَةُ قَوْمِهِ ، وَنَاصِيَةُ عَشِيرَتِهِ . وقوله « بِلِسَانٍ غَيْرِ مُلْتَبِسٍ » يريد بكلام . وفي القرآن : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ ، وَنُسِىَ الرِّسَالَةُ لِسَانًا . وَقَالَ :

* إِنِّي أَتَقَى لِسَانَ لَا أَسْرُ بِهَا ^(١) *

وقوله « غَيْرِ مَزْدُودٍ » قَالَ زُؤْدٌ ^(٢) : الذَّعْرُ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ زُئِدَ فَهُوَ مَزْدُودٌ .

وقوله « عِنْدَ الْحِفَاطِ » أَي ضَلَّتْ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَ الْحِفَاطَةِ عَلَى الشَّرَفِ ، وَالِاحْتِمَاءِ مِنَ عَارِ الْهَضِيمَةِ وَالْتَمَتِ .

٤ - إِذَا فَنَاءَ أَمْرِي أَرَى بِهَا خَوْرٌ هَزَّ ابْنُ سَعْدٍ فَنَاءَ صُلْبَةِ الْعُودِ

(١) لأعشى بأمه ، برئ المتعسر بن وهب الباهلي ، من قصيدة في الخزاة (١ : ١٢)

(١٧ -) ، وعفا الميت أولها . وعجزه :

* من علو لا يحجب منها ولا سخر *

(٢) يقال بضمة وضمتين ، ومثله الزَّادُ ، بِالْفَتْحِ والتَّحْرِيكِ .

ذِكْرُ الْقَنَاءِ مَثَلٌ لِلْإِيَاءِ وَالْإِمْتِنَاعِ ، وَأَنَّ الْمَكْرَهَ ^(١) لَا يُخْرِجُ مِنْهُمْ الْخُصُوعَ
وَالْإِقْيَادَ . أَلَا تَرَى قَوْلَ سَعْتِمَ بْنِ وَثِيلٍ :

وإِنْ قَنَانَتَا مَشَطَّ شَطَاهَا شَدِيدٌ مَذَاهَا عُنُقَ الْقَرِينِ
وَيَقَالُ : مَشَطَّتْ يَدُهُ بَمَشَطِّ مَشَطَا . وَالشَّيْطَانُ وَالشُّطَّا مِنَ الْمَصَا كَاللَّيْطَةِ
مِنْهَا تَدْخُلُ فِي الْيَدِ فَتَمَشُطُ مِنْهَا . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ عَمْرِو بْنِ كَثُومٍ :
عَسَوَزَنَةٌ إِذَا غَمِرَتْ أَرَنْتَ تَشْجُ قَفَا لِلتَّقْفِ وَالْجَيْبِنَا
وَقَالَ أَيْضًا :

وإِنْ قَنَانَتَا يَا عَمْرُو أُعْيَتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا
وَزَادَ الْآخَرُ عَلَيْهِمْ قَال :

وَلَنَا قَنَاءَةٌ مِنْ رُدَيْنَةٍ صَدَقَتْ . زَوْرَاهُ حَامِلُهَا كَذَلِكَ أَزُورُ

٣٧٤

وَقَالَ الْجَمْدِيُّ ^(٢) :

١ — أَلَمْ تَقْلِي أُنَى رَزِزْتُ مُحَارِبًا قَمَّا لَكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا ^(٣)

٢ — وَمِنْ قَبْلِهِ مَا قَدَّرِزْتُ بُوحُوحَ وَكَانَ ابْنُ أُمِّى وَالْخَلِيلَ الصَّافِيَا .

يُخَاطَبُ صَاحِبَتَهُ أُمَّ مُحَارِبٍ ، وَمَحَارِبُ ابْنُهُ . وَقَوْلُهُ « أَلَمْ تَقْلِي » ظَاهِرُهُ
تَقْرِيرٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَحْسُرٌ وَتَوَجُّعٌ . لِذَلِكَ قَالَ : « فَالْك مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا »
أَيْ قَدْ فُجِعْنَا بِهِ فَأَصْبَحْنَا خِلْوًا مِنَ الْأَسْتِجَاعِ بِحَيَاتِهِ ، وَالْإِسْتِجَاعُ بِمَكَانِهِ . ثُمَّ

(١) ل : « الْمَكْرَه » .

(٢) هُوَ النَّافِذَةُ الْجَمْدِيُّ . سَبَقَتْ رَجْعُهُ فِي الْحَاسِيَةِ ٣٣٣ ص ٩٦٨ .

(٣) الْبَيْتَانِ ٣ ، ٤ سَبَقَا فِي الْحَاسِيَةِ ٣٣٤ ص ٩٦٩ ، فَيَكُونُ مَأْكَرُهُ أَوْ تَعَامٌ فِي

الْإِخْتِيَارِ . انْظُرْ مِنْهُ فِي الْحَاسِيَةِ ٣٣ كَرَّرْتُ فِي ٧٠٩ ، وَ ٧٩٩ كَرَّرْتُ فِي ٣٦٠ .

(٤) — حَلَاة — تَاك

ذكر أنه قد فُجِعَ قبله بأخيه أيضاً ، وكان نسبياً قريباً ، وصديقاً مُصافياً حقيقياً .
 ٣ - فَتَى كَلَّتْ خَيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَاسُ يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا
 ٤ - فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعَادِيَا
 قوله « فَتَى كَلَّتْ خَيْرَاتُهُ » يجوز أن يكون فَتَى في موضع النصب على
 اللدح والاختصاص ، أى أَدَّ كَرُفَتَى هَذِهِ صَفَتَهُ . ويجوز أن يكون في موضع
 رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو فَتَى . وقوله « غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ »
 استثناء منقطع ، وقد تقدم الكلام في مثله ، وأن من كان عِيْبُهُ وَالسَّيِّئَاتِي مِنْ
 خِصَالِهِ الْحَمْدُودَ مَا يُدَّ كَرُفَتَى غَيْرَ فَنَاهِيكَ بِهِ رَجُلًا كَامِلًا . وقوله « فَتَى تَمَّ فِيهِ
 مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ » مثله ، وقد تقدم في مواضع وشرَحْنَاهُ .

٣٧٤

وَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي هِلَالٍ^(١)

يَرْتَحِي ابْنَ عَمِّهِ :

- ١ - أَبَعَدَ النَّبِيَّ النَّفْعَ مِنْ آلِ مَاعِزٍ يُرْتَحِي بِبَرَّانَ الْقِرْسِيِّ ابْنَ تَمِيلٍ
 - ٢ - لَقَدْ كَانَ لِلثَّارِيَنِ ابْنُ مَعْرَسٍ وَقَدْ كَانَ لِلْعَادِيَنِ ابْنُ مَقِيلٍ
 - ٣ - بَنِي الْمُحَصَّنَاتِ الثَّرْمَانِ آلُ تَالِكٍ يُرْتَحِي أَوْلَادًا لِّخَيْرِ خَلِيلٍ
- يقول على وجه الإنكار : اُبْرَحِي ابْنَ السَّبِيلِ الْقِرْسِيِّ بَرَّانَ بَعْدَ الْمَدْفُونِ
 بِالنَّفْعِ مِنْ آلِ مَاعِزٍ . أى لا يكون ذلك ، لَأَنَّ مَنْ كَانَ يَشْتَلِي خَيْرُهُ^(٢)
 وَيُرْتَحِي الثَّرْوَةَ بِهِ مُسْكِرَتَا ضِيقِهِ قَدْ مَاتَ . وَالنَّفْعُ : مَا نَافَعَكَ مِنَ الْجَبَلِ ،

(١) كَذَا عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ ، وَلِ . فِي الْأَصْلِ : « مِنْ بَنِي هِلَالٍ » .

(٢) كَذَا فِي ل . فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « يَشْتَلِي » .

أى استقبلك ، وقيل : هو ما انعذر عن السَّحْجِ وَغُلَظَ ، فكان فيه صَمُودٌ وهَبُوطٌ . ذكره الثَّريديُّ ، قال : وَجْهُهُ نِصَافٌ .

وقوله « لَقَدْ كَانَ لِلسَّارِينَ » جوابُ قَسَمِ عَذُوفٍ . والتَّعْرِيسُ : الزُّوْلُ عند الصُّبْحِ . وَالْمَيْتِلُ : موضع القِيَالَةِ ، فيقول : مَنْ أَسْرَى لَيْلَةً ثُمَّ طَلَبَ مِنْ يَنْزُلِهِ بِهِ ، كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مَعْرَبًا لَهُ كَرِيمًا ، وَأَيُّ مُتَرَمِّسٍ . وهذا الكلام فيه تَعْجِيبٌ وَتَضَمُّعٌ . وكذلك مَنْ ارْتَمَلَ عُذُودًا ثُمَّ أَرَادَ الرَّوَّاجَ كَانَ فَنَائِذَهُ لَهُ مَيْتِلًا طَلِبًا وَأَيُّ مَيْتِلٍ .

وقوله « بَيْنِي الْمُحْصَنَاتِ » جَمَعَ إِلَى ذِكْرِهِ ذِكْرَ إِخْوَتِهِ ، فقال : أَذْكَرُ قَوْمًا كَرَامَ الْأَطْرَافِ ، أَتُهَاتِنُ مِنَ الْحَصَانَةِ وَالطَّهَارَةِ فِي أَعْلَى جَمَلٍ ، وَأَجْنِدُ رُبَّةً ، وَيَرْبُؤُنَ^(١) أَوْلَادًا لِهَوْلِ لَا يُؤَاوِي بِهِمْ ، عَلُوٌّ مَنْصِبٍ ، وَزَكَاةٌ مَنْسَبٍ ، وَتَقَدُّمًا فِي الثَّرَفِ وَالْإِفْضَالِ ، وَبَرَاعَةً فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .

٣٧٦

وَقَالَ كَبِدُ الْحَصَاةِ الْعِجْلُ^(٢) :

١- أَلَا هَلَاكَ الْمَكْسَرُ يَا لَ بَكْرٍ فَأَوْدَى الْهَامُ وَالْحَسَبُ التَّلِيدُ

٢- أَلَا هَلَاكَ الْمَكْسَرُ فَاسْتَرَا حَتَّ حَوَافِي الْخَلِيلِ وَالْحَيُّ الْحَرِيدُ

(١) ل : « ويرين » .

(٢) يرى يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار ، ولقبه « للكسر » . وقد ضبط بكبير ، السين المشددة عند التبريزي ، ويضعها في الأصل ؛ ل . والكسر هو الذى يقول يوم ذى قار :

أَنَا ابْنُ سَيَّارٍ عَلَى فَيْكِهِ مِنْ فَرَسٍ مِنْ فَرَسٍ مِنْ فَرَسٍ

وَجَارِهِ وَفَرَسٍ عَنْ حَرَمِهِ لِأَنَّ الْعَرَاكَ قَدْ مِنْ أَدَمِهِ

وَكَانَتْ طَاهِجَةً مِنْ طِيٍّ أَغَارَتْ عَلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فَأَخَذُوا مِنْهُمْ أَغَاثَهُ ، فَأَغَارَ الْمَكْسَرُ عَلَى

طِيٍّ فَانْتَسَحَ أُمُومًا وَأَصَابَ مِنْهُمْ سَيَّارًا ، فَأَغَارَ زَيْدُ الْخَلِيلِ عَلَى بَنِي تَيْمِ أُمِّ بَنْ ثَعْلَبَةَ ، وَقَالَ :

إِذَا مَرَكْتَ بِجَمَلٍ بَنَّا ذَنْبَ غَيْرِنَا مَرَكْنَا بِتَيْمِ اللَّهِ ذَنْبَ بَنِي جَمَلٍ

افْتَحَ كلامه بآلَا ، ثُمَّ أَخَذَ يُعْظِمُ الْخَطْبَ وَيَفْطَعُ الشَّانَ ، قَالَ : مَاتَ هَذَا الرَّجُلُ فَاتَ بِمَوْتِهِ الْكَرَمُ الْعَمِيمُ ، وَالشَّرَفُ الصَّمِيمُ .

وقوله « يَالْ بَكْرِي » استغاثه بما دُعا . وقد مرَّ القولُ في هذه اللامِ والفصلُ بينها وبين لامِ التمجُّبِ من قولك يَالْبَكْرِي . ومعنى أَوْدَى : هَلَكَ . والبَاعُ هَاهُنَا الْكَرَمُ . ويقالُ : بَاعَ الرَّجُلُ يَبُوعُ بَوْعًا ، إِذَا مَدَّ بَاعَهُ ، وَتَبُوعٌ . وَكَذَلِكَ تَبُوعُ الْبَعِيرِ ، إِذَا مَدَّ ضَبْعَهُ . وَالْحَسْبُ : الشَّرَفُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحِسَابِ ، لِأَنَّ الْحَسِيبَ يُعَدُّ لِنَفْسِهِ مَا تَرَفُّعَ الْمَاءِ تَرَحُّبٌ . كَمَا يُقَالُ نَفَضْتُ نَفْضًا ، ثُمَّ يَسَى النِّفْوَضُ نَفْضًا . وَالتَّلِيدُ وَالتَّلَادُ : ضِدُّ الطَّرِيفِ وَالتَّطَارُفِ . وَالتَّلَادُ : مَا وَلَدَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِكَ . قَالُوا : وَأَصْلُ هَذِهِ التَّلَاءِ الْوَاوُ .

وقوله « أَلَا هَلَكَ الْمَكْسَرُ » كَرَّرَهُ لِنَفْطِيعِ الْأَمْرِ . وَمَعْنَى « اسْتَرَاحَتْ حَوَافِي الْخَلِيلِ » وَصَفَهُ بِأَنَّهُ يُبْعِدُ الْفَزْوَ فَلَا يَبْقَى عَلَى الْغَيْلِ وَإِنْ حَقِيقَتْ ، فَلَمَّا مَعْنَى نَالَتْ الرَّاحَةَ وَتَوَدَّعَتْ . وَقَالَ « حَوَافِي الْخَلِيلِ » عَلَى أَنَّ يَصِفُهَا بِمَا كَانَ آلَ أَمْرُهَا إِلَيْهِ بَعْدَ الْفَزْوِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « الْحَيُّ الْخَرِيدُ » ، هُوَ لِلنَّفَرِ وَالْتِبَاعِدِ عَنْ غَيْرِهِ . كَأَنَّهُ لَا يَسْتَلِمُ عَلَيْهِ وَإِنْ حَذَرَ وَتَبَاعَدَ . وَيُقَالُ : كَوَكَبٌ خَرِيدٌ ، إِذَا طَلَعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مُتَبَحِّيًا عَنِ الْكَوَاكِبِ . وَزَجَلٌ خَرِيدٌ الْحُلُّ ، إِذَا لَمْ يَحْلُطِ النَّاسُ وَلَمْ يَنْزِلْ مَعَهُمْ . وَقَالَ :

* أَمَّا بِكُلِّ كَوَكَبٍ خَرِيدٍ ^(١) *

وقال آخر ^(٢) :

* خَرِيدٌ لِلْحَلِّ خَرِيدًا غَيْرًا ^(٣) *

(١) قَتَى الرِّمَّةُ ، كَأَنَّ فِي السَّانِ (حَرْد) :

(٢) هُوَ الْأَعْفَى . دُرَاهِمُهُ ٦٨ وَالسَّانُ (حَرَز) .

(٣) صَبْرُهُ . : * لِذَا نَزَلَ إِلَى حُلِّ الْجَيْشِ * .

٣٧٧

وقال ابن أهبان الفقيسي^(١)

يرى أخاه :

١- عَلَى مِثْلِ هَمَامٍ تَشْقُ جُيُوبَهَا وَتُعَلِّقُ بِالنُّوحِ النِّسَاءَ الْفَسَادِ

٢- فَتَقَى الْحَيَّ أَنْ تَلْقَاهُ فِي الْحَيِّ أَوْ يَرَى سِوَى الْحَيِّ أَوْ ضَمَّ الرَّجَالَ لِلشَّاهِدِ

يقول : عَظُمَ الرِّزْءُ بِمَوْتِ هَمَامٍ فَلَا مَحْتَبَأَ لِلْجَزَعِ وَلَا مَصْطَبِرَ ، وَلَا إِسْتِرَارَ لِلاتِّبَاعِ وَلَا مُدَّخَرَ . وَأَنْتَى يَكُونُ السَّامِعُ بِهِ مَمْدِلًا إِلَى التَّجَسُّلِ وَالتَّجَلُّدِ ، وَقَدْ قُدِّدَ بِهِ مَنْ يُسْتَبَاحُ فِي نُدْبِهِ كُلُّ مُحْظُورٍ ، وَيُسْتَجَازُ فِي الرِّثَاءِ لَهُ كُلُّ مَذْكُورٍ ، فَلَا مَنَعَ مِنْ شَقِّ الْجُيُوبِ ، وَصَدْعِ الْأَكْبَادِ وَالْقُلُوبِ ، وَإِعْلَانِ النَّيَاحَةِ ، وَامْتِدَادِ الْمَأْتَمِّ فِي الْإِعْوَالِ إِلَى كُلِّ غَايَةٍ . وَقَوْلُهُ « عَلَى مِثْلِ هَمَامٍ » يَذْكُرُ اللَّئِيلَ وَالْمَقْصُودُ نَفْسَهُ لَا غَيْرُ صَيَانَةٍ لَهُ وَتَزَاهَةٍ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ : مِثْلُكَ لَا يَحْسُنُ بِهِ كَذَا مَعْنَاهُ : أَنْتَ لَا يَحْسُنُ بِهِ ذَلِكَ ؛ وَلَكِنَّ الْفَرَضَ مَا ذَكَرْتَهُ ، وَقَوْلُهُ « بِالنُّوحِ » يَرَادُ بِهِ مَصْدَرُ نَاحٍ . وَقَدْ يُرَادُ بِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ النِّسَاءُ النَّاعِمَاتُ .

وقوله « فَتَقَى الْحَيَّ أَنْ تَلْقَاهُ » جَعَلَ لَهُ الْفَتْوَى وَالرِّيَاسَةَ مُسَلِّمَةً لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَعَلَى كُلِّ وَجْهِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : هُوَ الْقَتَى بَيْنَ رَجَالِ الْحَيِّ وَعِنْدَ لِقَائِكَ إِيَّاهُ فِيهِمْ . فَمَعْنَى أَنْ تَلْقَاهُ ، هُوَ الْقَتَى لِأَنَّهُ تَلْقَاهُ فِي الْحَيِّ ، وَوَقْتُ تَلْقَائِهِ فِي الْحَيِّ . وَقَوْلُهُ « أَوْ يَرَى سِوَى الْحَيِّ » أَيُّ فِي مَكَانٍ آخَرَ وَفِي قَوْمٍ آخَرِينَ ؛

(١) كلمة « الفقيسي » من ل والتبرزي .

بدلاً من الحَيِّ . لأنك إذا قلت : عندي رجل سيوى زَيْدٍ ، معناه : عندي رجلٌ مكانَ زيد ، وبدلاً من زيد .

وقوله « أو ضَمَّ الرجالَ المشاهِدُ » معناه وهو الفَقِي إذا حصلت وفودُ القبائلِ وألستهم ورؤسائهم في تجماع اللوك الأعظم ، ومشاهد السادة الأكابر .
وقوله « أو ضَمَّ » محمولٌ على المعنى . يريد : وهو الفَقِي لأنَّ ضَمَّ الرجالِ .
والقسمة بما رتبته قد استوفت الأحوال كلها .

٣- إذا نازَعَ القومُ الأحاديثَ لم يَكُنْ عَيْنًا ولا عَيْنًا على مَنْ يُقَاعِدُ
٤- طويلٌ نِجَادُ السيفِ يُضَيِّحُ بَطْنَهُ خَيْصًا وَجَادِيَهُ عَلَى الرَّادِّ حَامِدُ
وصفه بالبراعة وتعمام الآلة ، وأنه سهلُ الخلق ، سهلُ الجانب ، يباسطُ
منازعةً في الأحاديثِ ويطاولُهُ ، لا عِيَّ يَقْصُرُ حَدِيثَهُ ، ولا كِبَرٌ يُتَفَرُّ قَمِيدَهُ ،
فهو طَيِّبُ المجلس ، خفيفُ اللَّزَمِ ، وإذا تأملتُ خِلْقَتَهُ كَانَ حَسَنَ الْقَوْمِ ،
تَأَمَّ الْجِسْمَ ، طويلٌ حائلُ السيفِ . هذا في الحَيِّ ما أقام ، وفي السَّفَرِ تراه يُوَازِرُ
غيره بالزاد ، فبطْنُهُ خَيْصٌ ، وَجُدِيَهُ وَلِلْعَوْلِ عَلَيْهِ حَامِدٌ لَهُ شُكُور . وأبلغُ من
قوله « طويلٌ نِجَادُ السيفِ » قولُ مُسْلِمٍ :

يَطُولُ مَعَ الرَّمْحِ الرَّدِّيُّ قَامَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ طَوْلُ كُلِّ نِجَادٍ

٣٧٨

وقال ابنُ عَمَّارٍ الأَسَدِيُّ يَرثِي ابْنَتَهُ :

١- ظَلَلْتُ بِجَنْسِي سَابُورٍ مُقِيمًا يُوَرِّقُنِي أَتَيْنُكَ يَا مَعِينُ^(١)

(١) رواه الطبريزي : « جَنْسَرُ سَابُور » وقال : « خسر سابور : من بلاد الجبل نسب
للى خسر وسابور ، وهما ملكان من الفرس . وصفت هذا فيقول جسر سابور » . وفي
معجم البلدان : « خسرو سابور . والعامية هول خسابور : قرية مفروقة قرب واسط بينهما
فراسخ ، معروفة بجودة الزمان » .

٢ - وناموا عَنْكَ واسْتَيْقَظْتَ حَتَّى دَمَاكَ الْمَوْتُ وَاتَّقَطَعَ الْأَيْنُ
أَصْلُ الظُّلُولِ لُكُثٌ فِي النَّهَارِ ، وَلَكِنَّهُ يُتَوَسَّعُ فِيهِ فَيُجْعَلُ لِلْأَوَاقَاتِ
كُلُّهَا . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾^(١)
وذلك لَا يَخْتَصُّ بِالنَّهَارِ حَوْبَ اللَّيْلِ . وَهَذَا الْكَلَامُ اقْتِصَاصٌ حَالِهِ مَعَهُ فِي
تَمْرِيزِهِ ، وَتَوَلَّيْهِ مِنْهُ مَا تَرَدَّدَ بِهِ ، وَفِيهِ التَّشْكِيُّ عَمَّا قَاسَاهُ وَتَجَرَّعَ النَّفْسُ هُنَا ،
فَيَقُولُ : بَقِيْتُ مَعِيَا بِذَلِكَ الْكَانِ يُسِيرُنِي تَأْتُكَ وَأَيْنُكَ ، وَنَامَ كُلُّ مَنْ
مُحِبَّتُهُ^(٢) فَاسْتَيْقَظْتُ أَنَا مُتَجَرِّدًا فَيْكَ ، وَمُتَحَمِّلًا مَا أَمَكُنَ تَحْمِلُهُ عَنْكَ ، إِلَى أَنْ
أَجَبْتُ دَاعِيَيْكَ ، وَأَطْلَقْتُ مِنْ أَسْرِ الْإِنْتِظَارِ نَاعِيَيْكَ ، فَانْقَطَعَ الْأَيْنُ ، وَجَدَّ
مَعِيَ لِفَقْدِكَ الْعَوِيلُ .

٣٧٩

وَقَالَ أَبُو وَهْبٍ الْعَبْسِيُّ^(٣) يَرثِي ابْنَهُ :

١ - أَرَأَيْتَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا وَأَجْمَلِي فِي الْيَأْسِ نَائِمًا وَالْعَزَالَ جَمِيلُ
٢ - فَإِنَّ الَّذِي تَبْكِينَ قَدْ حَالَ دُونَهُ تُرَابٌ وَزَوْرَاهُ الْقَامِ دَحُولُ
سَلَكَ فِيهَا قَالَهُ مَسَلَّكُ أَوْسَى بْنِ حَجَّجٍ ، حِينَ قَالَ :

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَ
وَالرَّأَةُ الْخَاطِبَةُ فِيمَا نَظُنُّ^(٤) أُمُّ اللَّزْنِيِّ ، وَقَوْلُهُ « مَهْلًا بَعْضَ هَذَا » انْتِصَابٌ
بَعْضٌ بِإِشْمَالٍ فَعِلٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : زِفَقًا كَفَى بَعْضَ مَا تَأْتِيهِ ، وَأَحْسِنِي التَّوَادُّ ،
فِي الْيَأْسِ مِمَّنْ قَدْ مَضَى نَائِمًا لِكَيْ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي الْجَزَعِ ، وَالْإِفْرَاطِ فِي الْإِنْتِصَاعِ

(١) ل : وَحَسْبُهَا ٥ .

(٢) التبريزي : « وَقَالَ طَرِيفُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ الْعَبْسِيُّ » .

(٣) ل : « فِيهَا أَطْن » .

وَالهَلَمَّ ؛ وَالصَّبْرُ جِيلٌ كَيْفَ كَانَ ، فَإِنَّ مَنْ تَبَكَّيْتَهُ حَجَزَ بَيْنَهُ وَبَيْنَنَا تُرَابٌ
مَهِيلٌ ، وَلِأَخَذِ قَعِيرٍ ، وَحَفْرَةِ مَعُوجَةٍ ، وَهُوَ مَهُولٌ ، فَلَا طَمَعُ فِي الْإِتْقَاءِ ، وَلَا
فِي الرُّجُوعِ وَالْإِنْتِقَاءِ .

وقوله « وَزُرَّاءُ لِلْقَامِ » أى معوجة للوضع الذى يُقام فيه منها . وقوله
دَحُولٌ ، يقال بَرَدَحُولٌ ، أى ذاتُ تَلَجُفٍ .

٣ - نَحَاهُ لِلْحَدِيدِ زَرْقَانٌ وَحَارِثٌ وَفِي الْأَرْضِ لِلْأَقْوَامِ قَبْلُكَ غُولٌ
٤ - فَأَيُّ فَتَى وَارِزُهُ ثُمْتُ أَقْبَلْتُ أَكُفُّهُمْ تَحْيَى مِمَّا وَتَهِيلٌ^(١)
اللَّحْدُ : مَا حُفِرَ فِي عُرْضِ الْقَبْرِ . وَيَقَالُ لِحَدَّتِ الْقَبْرَ وَأَلْحَدَتْهُ ، وَقَبْرٌ
مَلْحُودٌ وَمُلْحَدٌ وَلَاحِدٌ ، أَيْ ذُو لَحْدٍ . يَقُولُ : وَلَآءُ لِلْحَدِيدِ قَبْرِهِ هَذَا
الرَّجُلَانِ ، وَالْمَادَةُ مُسْتَبْرَئَةٌ فِي فَتَاهِ الْأَمِّ السَّالِةِ قَبْلَنَا ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو
عَمَّا يَنْتَهَالُ الْأَحْيَاءُ وَيُهْلِكُهُمْ . وَالْقَوْلُ : الْهَلَكَةُ ، وَيَقَالُ : غَالَهُ اللَّوْتُ . وَقَالَ
الشَّاعِرُ :

وَمَا مِيتَةٌ إِنْ مِنْهَا غَيْرُ هَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتْ النَّفْسَ غُولُهَا .
وَالْكَلَامُ فِيهِ تَأْسٍ وَتَقَرُّرٌ ، بَدَأَ أَنْ اقْتَصَرَ دَفَنَهُ وَمَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ : أَيْ فَتَى غَيَّبُوهُ وَدَفَنُوهُ ؟ ! يَعْظُمُ أَمْرَهُ وَيَنْفَخُ
شَأْنَهُ . وَقَوْلُهُ « ثُمْتُ أَقْبَلْتُ » التَّاءُ مِنْ ثُمْتُ عَلَامَةُ التَّأْنِيثِ ، وَهُوَ تَأْنِيثُ
الْمُخَصَّلَةِ . وَكَأَنَّ تَحْيَى هَذِهِ الْعَلَامَةُ بِالْأَسْمِ نَحْوِ امْرِئٍ وَامْرَأَةٍ ، وَبِالْصِفَةِ نَحْوِ قَائِمٍ
وَقَائِمَةٍ ، تَتَّصِلُ بِالتَّمَلُّعِ ، وَالْأَسْمُ وَالتَّمَلُّعُ هَا مَوْضِعُهُمَا ، إِلَّا أَنَّهَا فِي الْأَسْمِ يُبْدَلُ
مِنْهَا الْهَاءُ فِي الْوَقْفِ ، وَيَنْتَقِلُ الْإِعْرَابُ عَنْ آخِرِ الْأَسْمِ إِلَيْهَا . وَفِي التَّمَلُّعِ يُسَكَّنُ
إِلَّا أَنْ يُلَاقِيَهُ سَاكِنٌ آخَرُ ، وَيَكُونُ تَاءُ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ جَمِيعًا . وَفِي الْحَرْفِ

يقُلْ دخوله ، وإذا دَخَلَ حُرِّكَ بالفتح ، نَحَوْرَيْتَ وَثُمْتَ ، وتَبَقَّى تَاءٌ فِي كُلِّ حَالٍ .

وقوله « تَحْنِي مَعَا » انْتَصَبَ مَعَا عَلَى الْحَالِ . وَالْحَنْئُ : أَنْ تَرْفَعَ يَدَكَ بِالتُّرَابِ أَوْ غَيْرِهِ فَتَفْرِقَهُ فِي الْجَوِّ . قَالَ :

الْحَصْنُ أَذْنَى لَوْ تَأَيَّنْتَهُ مِنْ حَنْئِكَ التُّرْبِ عَلَى الرَّكَبِ^(١)
وَالْحَائِيَاءُ : تُرَابٌ يَحْمُهُ الِيرْبُوعُ ، مِنْ هَذَا . وَالْهَيْلُ : أَنْ تَجْرُفَهُ مِنْ غَيْرِ
أَنْ تَرْفَعَ يَدَكَ بِهِ . وَيُقَالُ : هَلَّتِ التُّرَابُ وَأَهْلَتْهُ . وَفِي اللَّئْلِ « مُحْسَنَةٌ فَهَيْلِي^(٢) »
وَيُقَالُ : « جَاءَ بِالْهَيْلِ وَالْهَيْلَانِ^(٣) » أَيْ بِالشَّيْءِ الْكَثِيرِ ، وَبِمُحْزٍ أَنْ يَكُونَ
مِنْ هَذَا ، لِأَنَّ اللَّغَى جَاءَ بِمَا اجْتَمَعَ هَيْلًا لَا كَثِيلًا .

وَفِي الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَلَكَهَا مِنْ اقْتِصَاصِ الْحَالِ فِي الدَّفَنِ وَالْحَنْئِ ، قَدْ أَحْسَنَ
مَنْ قَالَ :

أَلَمْ تَرَنِ ابْنِي عَلَى اللَّيْثِ يَنْتَهَ وَأَخْنِي عَلَيْهِ التُّرْبَ لَا أَنْتَخَعُ
كَأَنِّي أَذْنَى فِي الْخَفِيرَةِ بَاسِلًا عَقِيرًا بَنُوهُ لِقِيَامٍ وَيُضْرَعُ
تَخَالُ بَقَايَا الرُّوحِ فِيهِ ، لِقُرْبِهِ بِمَهْدِ الْحَيَاةِ وَهُوَ مَيِّتٌ مُقَنَّعُ
أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ صَوَّرَ التَّهْنِيبَ مِنْهُ وَالْإِعْظَامَ لَهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ .

هـ — وَظَلَّتْ بِي الْأَرْضُ النُّضَاءَ كَأَنَّمَا تَصْعَدُ بِي أَوْكَانَهَا وَتَجُولُ

(١) ل : « لَوْ تَأَيَّنْتَهُ » . وَيُرْوَى : « مِنْ حُرِّكَ التُّرْبِ » . انظر للفاييس (٢ : ١٣٧) .
(٢) قَالَ الْمِيدَانِيُّ : « أَسْأَلُهُ أَنْ أُخْبِرَ أَنَّ كَانَتْ تَخْرُجُ طُلَامًا مِنْ وَعَاءِ رَجُلٍ فِي وَعَائِهَا ، فَبَاحَ
الرَّجُلُ فَدَعَشَتْ ، فَأَقْبَلَتْ تَخْرُجُ مِنْ وَعَائِهَا فِي وَعَائِهِ » . فَقَالَ لَهَا : مَا تَصْنَعِينَ ؟ قَالَتْ : أَهْمِلُ
مِنْ هَذَا فِي هَذَا ، فَقَالَ لَهَا : مُحْسَنَةٌ — أَيْ أَنْتَ مُحْسَنَةٌ — فَهَيْلِي . وَيُرْوَى : مُحْسَنَةٌ ، بِالضَّمِّ
عَلَى الْحَالِ ، أَيْ هَيْلِي مُحْسَنَةٌ . وَبِمُحْزٍ أَنْ يَنْصَبَ عَلَى بَعْضِ أَزْوَاجِ مُحْسَنَةٍ . يَضْرِبُ الرَّجُلُ بِجِلِّ
الْعَيْنِ يَكُونُ فِيهِ مَصِيبَةٌ . انظر للميداني (٣) : « بَعِثَ الْأَخْمَ وَشَهَاءَ » .

٦ - وَشَدَّ إِلَى الطَّرَفِ مَنْ كَانَ طَرَفُهُ بِعَهْدِ عُيَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ كَلِيلٌ يَقُولُ : دِيرَ بِي لَمَّا شَاهَدْتُ مِنْ أَسْرِهِ مَا أَنْكَرْتُ ، وَاسْوَدَّتْ الْأَرْضُ فِي عَيْنِي فَصَارَتْ عَلَى سَعَتِهَا كَأَنَّمَا جُمِعَتْ جَوَانِبُهَا فَأَصْعَدْتُ فِيهَا وَهِيَ تَجُولُ فَلَا تَهْدَأُ ، وَتَدُورُ فَلَا تَقْرُ .

وقوله « وَشَدَّ إِلَى الطَّرَفِ » أى نَظَرَ إِلَى بَشَدَةٍ وَتَحْدِيقٍ . وَفِي الْحَدِيثِ : قِيلَ لِأَبِي عَذْرَةَ ^(١) وَشَدَّ أَذَانَهُ : « أَمَا خَشِيتَ أَنْ تَنْشُقَ مَرْيَطَاؤُكَ ^(٢) » . وَيُقَالُ : شَدَدْنَا عَلَى يَدِ فُلَانٍ وَشَدَدْنَا يَدَهُ ، أَيْ قَوَيْنَاهُ . وَالطَّرْفُ : تَحْرِيكُ الْبَصَرِ فِي النَّظَرِ . يَقُولُ ^(٣) : شَخَّصَ بَصَرَهُ فَا يَطْرِفُ . وَقَوْلُهُ « مَنْ كَانَ طَرَفُهُ » كَانَ هَذِهِ هِيَ الثَّمَانَةُ . وَالْمَعْنَى : مَنْ وَقَعَ طَرَفُهُ وَحَدَّثَ طَرَفُهُ فِي زَمَنِ عُيَيْدِ اللَّهِ وَبَعْدَهُ وَهُوَ كَلِيلٌ ، يَرِيدُ : مَنْ كَانَ لَا يَمْلَأُ عَيْنَهُ مَنًى فِي حَيَاتِهِ تَهَيَّبًا صَارَ يَنْظُرُ إِلَى شَيْءٍ زَرْزَارًا وَنَظَرًا شَدِيدًا . وَإِنَّمَا قُوَاهُ تَجَاسَّرُهُ وَمَا حَدَّثَ لَهُ وَفِي تَقْدِيرِهِ ، مَنْ مَنَعَهُ اسْتَجْدَاهُ ^(٤) ، وَقُوَّةٌ عَاوَدَتْهُ وَاسْتَظْهَرَتْ بِهَا . وَقَوْلُهُ « وَهُوَ كَلِيلٌ » ، الْوَادِ وَأَوَّ الْحَالِ .

٧ - لَئِنْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ عَلَى حِينِ شَيْبِي بِالشَّبَابِ بِذِيلٍ ^(٥)

(١) هُوَ أَبُو عَذْرَةَ الْمُؤَدِّ ، وَاسْمُهُ أَوْسٌ - أَوْ سَمُرَةٌ - بَنُ رَمِيسَ . عَلَيْهِ وَصُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَذَانُ بِالْجَبْرِائِيلَةِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٩ . وَقَبْلَ سَنَةِ ٧٩ ، الْإِسَابَةُ ١٠٠٨ مِنْ بَابِ الْكُنَى . وَالَّذِي قَالَ لَهُ هَذَا الْقَوْلُ هُوَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ ، كَمَا فِي الْأَسَانِ (مُرْطَبُ) .
(٢) لِلرِّطَاءِ : مَا يَمِينُ السَّرَّةِ إِلَى الْمَانَةِ .
(٣) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَسْلِ : « يَقَالُ » .
(٤) اللَّفَّةُ ، بِالْفَتْحِ : الْقُوَّةُ .

(٥) التَّبَرُّزُ : « قَوْلُهُ عَلَى حِينِ شَيْبِي . قَالَ أَبُو هَلَالٍ : لَا يَجُوزُ إِلَّا الْخَفَضُ فِي حِينٍ ، لِأَنَّ الَّذِي أَضْفَعَتْ إِلَيْهِ حِينٌ مَعْرَبٌ ، فَلِأَنَّهُ أَضْفَعَتْهُ إِلَى الْقَمَلِ جَازَ الْفَتْحِ وَالْكَسْرِ . أَمَا الْكُسْرُ : فَلِأَنَّهُ عَمْرُوٌّ وَهُوَ اسْمٌ مُنْصَرَفٌ ، وَأَمَّا الْفَتْحُ فَلِإِنْ شَأْنِكَ إِيمَانٌ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ دَعْوٍ ، فَيَنْبَغِي عَلَى الْفَتْحِ لِأَنَّ الْمَضَافَ وَالْمُضَافَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَاحِدٌ فَيَنْبَغِي الْقَلْبُ » . وَهَذَا الذَّهَبُ مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَجُوزُونَ الْإِعْرَابَ فِي الظُّرُوفِ الْبَهْمَةِ إِذَا أَضْفَعَتْ إِلَى جَمْعَةٍ عِنْدِيهَا حَرْبٌ . وَأَمَّا الْكُوفِيُّونَ فَيَجُوزُونَ الْإِعْرَابَ فِي ذَلِكَ رَاجِعًا وَابْتِئَاءً مَرْجُوحًا . انْظُرْ هَمَّ الْهَوَائِلِ (١ : ٢١٨) .

٨ - لَقَدْ بَقِيتَ مَتَى قَنَاءَ صَلِيبَةٍ وَإِنْ مَسَّ جِلْدِي نَهَكْتُ وَبُولُ
 ٩ - وَمَا حَالُهُ إِلَّا سَتُصْرَفُ حَالَهَا إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى وَسَوْفَ تَرْوُلُ
 اللام من «لَيْن» موطنة للقسَمِ المضمر، وجوابه «لَقَدْ بَقِيتَ». وخَلَّى
 مكانه، أى تَرَكَ مكانه من المَيُونِ والقُلُوبِ خاليا. ويجوز أن يرِدَ تَرَكَ
 مكانه من دنياه لَمَنْ شَاءَ. على حِينِ شَيْئِي، أى فى وقتٍ اسْتَبَدَلْتُ بالشباب
 شَيْبًا، وبالقُوَّةِ ضَعْفًا، لَقَدْ بَقِيَ مَتَى إِلَّا شَدِيدٌ، وَجَلَّاحٌ عَلَى مَنْ يَقْضِدُ اهْتِضَايَ
 بَلِيغٌ؛ فَنَقَاتَى ضَلْبَةً عَلَى غَايِزِهَا، مَمْتَنَةً عَلَى مُنْقَطِقِهَا، وَإِنْ كَانَتْ الْمِصْبِيَّةُ نَالَتْ
 مَتَى فَتَحَلَ جِشِي، وَذَبُلَ جِلْدِي؛ وَحَالَ لَوْنِي، وَتَحَوَّلَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ
 أَسْرَى وَشَانِي. وقد تَقَدَّمَ اللَّوْلُ فى القَنَاءِ وطريقتهم فى استمارتها وَجَعَلَهَا مَثَلًا.
 وقوله «وَمَا حَالُهُ إِلَّا سَتُصْرَفُ حَالَهَا» يُرِيدُ: وَمَا خُطَّةٌ إِلَّا سَتُحَوَّلُ صَوْرَتُهَا إِلَى
 صَوْرَةٍ أُخْرَى مَا بَقِيتْ وَأُمِلَّتْ؛ ثُمَّ مِنْ بَعْدُ سَوْفَ تَرْوُلُ فَلَا تَبْقَى، وَتَحَوَّلُ
 عَنِ الْمُهْمُودِ فَتَقْتَنَى. واللغى: إِنْ شَيْئًا مِنْ أَصْبَابِ الدُّنْيَا وَأَعْرَاضِهَا لَا يَدُومُ عَلَى
 حَدٍّ، وَلَا يَسْتَمِرُّ عَلَى طَرِيقٍ وَوَجْهِ، لَكِنْ يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَالتَّجَدُّلُ، فَيَزْدَادُ
 عَمَّا يَكُونُ عَلَيْهِ؛ أَوْ يَتَرَاوَجُ هَذَا إِذَا سَلِمَ، وَمِنْ بَعْدُ سَوْفَ يَكُونُ مُغَيَّرَهُ نُهَاسَكُهُ
 وَمَذْبَرُهُ مُدْمَرُهُ.

٣٨٠

وَأُنْشِدُ أَيْضًا^(١)؛

١ - وَقَاتَمَنِي دَهْرِي بَنَى بِشَطْرِهِ فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرُهُ عَادَ فِى شَطْرِي^(٢)

(١) كَذَا فى النسخين. وعند التبريزي: «وَقَالَ التَّي» . والتى هذا هو بعد
 ابن عبد الله، من آل غنبة بن أبى سفيان، أوفى أخباري من أهل البصرة، له شعر جيد
 وتصانيف حسنة. قال ابن النديم: «كَانَ الْعَبْدُ وَأَبُوهُ سَيِّدَيْنِ أَدْبِيَيْنِ فَصِيحَيْنِ». توفي سنة
 ٢٢٨. ابن النديم ١٧٦.

(٢) التبريزي: «بِى مَخَاطِرًا».

٢ - أَلَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي سَبَقْتُكَ إِذْ كُنَّا إِلَى غَايَةِ نَجْرِي
كانت رواية الناس بُرْهَةً « وَفَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِي بَشْطَرِهِ » مضافاً ، « فلما
تَقَعَّى شَطْرُهُ » بالضاد ، وارتفاع الشُّطْر به ، فجاء شيخٌ لنا فرواه :
« بِشْطَرَةٍ » فلما تَقَعَّى شَطْرَهُ »

وكان يقول : هذه ضالَّةٌ أنا وجدتها ، وهو كما حكاه أبو زيد من قولهم :
بنو فلانٍ شِطْرَةٌ ، إذا كان ذكورهم بمدد إنايهم . يريد : ناصقٌ . ومعنى
« تَقَعَّى شَطْرَهُ » بلغ أقصاه واستوفاه . والذي اختاره أن يُرْوَى « بِشْطَرِهِ »
على الإضافة . ومن الظاهر أن تَقَعَّى أَحْسَنُ مِنْ تَقَعَّى فِي اللَّفْظِ ، وَأَبْلَغُ فِي
الْمَعْنَى . ومعنى بِشْطَرِهِ كَانَ الدَّهْرُ ادَّعَى أَنَّهُ قَسِيمُهُ فِي بَيْنِهِ وَأَنَّ لَهُ مِنْهُ الشُّطْرُ ،
وهو النِّصْفُ ، وقاسمه على ذلك ، فلما استوفى حَظَّهُ أَقْبَلَ يَأْخُذُ مِنْ نَصْبِهِ الَّذِي
كَانَ أَقْرَبَ لَهُ بِهِ ، وسأحمه عليه . وَإِنَّمَا اخْتَرْتُ بِشْطَرِهِ عَلَى « شِطْرَةٍ » ، لِأَنَّ
شِطْرَةً لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي الْأَنْصِبَاءِ وَالشُّهُمِ ، وَالشُّطْرُ فِي النِّصْفِ مَعْرُوفٌ وَمُسْتَعْمَلٌ ،
ومنه شاة شَطُورٌ ، إِذَا يَبِيسَ أَحَدُ ضَرْعَيْهَا . وكذلك قولهم : حَلَبَ الدَّهْرُ
أَشْطَرَهُ ، إِذَا جَرَّبَ الْأُمُورَ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحَلَبِ ، أَيْ حَلَبَ شَطْرًا مِنْ الْخَيْلِ
وَشَطْرًا مِنَ الشَّرِّ ، حَتَّى تَبْصُرَ وَعَرَفَ مَوَاضِعَ النِّجَاحِ مِنْ مَوَاضِعِ الْمَطَبِ
وَالْهَلَكَةِ .

وقوله « أَلَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي » تمنى السلامة بأن كان لا يُخْلَقُ وَلَا
يُخْتَرَعُ فَيَنْجُو مِنَ الْإِبْتِلَاءِ ، وَمَلَاسَةِ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ ، وَالتَّرَدُّدِ بَيْنَ السَّعَادَةِ
وَالشَّقَاءِ ، وَتَمَنَّى بَعْدَ أَنْ أَوْجَدَ وَخَلَقَ أَلَّا يَكُونَ فَاقِدَهُ وَلِلْمَرَوِّ فِيهِ ، بَلْ كَانَ
السَّابِقَ لَهُ وَلِلْقَدَمِ عَلَيْهِ ، سَيًّا^(١) . وَهِيَ جَارِيانٌ إِلَى غَايَةِ مِنَ الْمَطَبِ لَا تَحْيِصُ
عنها ، وَلَا تَمُوتُ مِنْهَا .

(١) كلمة « سَيَّا » ساطلة من ل .

٣- وكنتُ به أكنى فأصبحتُ كلما كُنيتُ به فأضتْ دُموعي على نَحْري
 ٤- وقد كنتُ ذا نابٍ وظفرٍ على المِدى فأصبحتُ لا يَحْشَوْنَ نابي ولا ظفري
 جَرى على افتنانهم في تحويل الكلام عن الإخبار إلى الخطاب ، وصرفه
 عن العموم إلى تخصيص بعضهم بالذكر . ألا ترى أنه أخبرَ في قوله « وقاسمى
 دُهرى بَنى » ثم قال « ليتنى سبقتك » فرجع إلى خطاب واحدٍ منهم ، ثم قال
 « وكنتُ به أكنى » فأخبرَ به عن أحدِ بنيهِ . وللمنى : كنتُ اكنيتُ به حبًّا
 لذكرهِ واسمِهِ ، وتفاوتًا ببقائه ودوامِهِ ، فبقى الاسمُ والشخصُ مفقودًا ، فلا
 جرمَ أنى متى كُنيتُ به تجدَّد لى حُرْنُ أغاضَ عَبرَتى ، وأغاضَ ماءَ عيشى .
 وقوله « وقد كنتُ ذا نابٍ وظفرٍ على المِدى » يريد : لئن كُنتُ تامَّ
 السلاحِ بهم ، موفورَ التددِّ والدَّدِّ بمكانهم ، مخشًى الجانبِ ، لا يُطْمَعُ فى
 استنزالي عن حُجَّةِ أركبها ، أو شبهةِ أتلُقُ بها . وذِكْرُ النابِ والظفرِ مَثَلٌ
 ضربه لسلاحه وآلانه الذى كان يدفع الخصومَ بها ، ويقهر الأعداءَ باستعمالها .
 وقوله « لا يَحْشَوْنَ نابي ولا ظفري » يريد لا ناب لى بدمى ولا ظفر
 فى خَشْي . فهو مَثَلٌ :

* ولا تَرى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرُ^(١) *

٣٨١

وَأُنشد لامرأة ترقى أباهَا :

١ - إذا مادَعَا الداعى عليًا وجدْتى أُرَاعُ كما رَاعَ المَجُولُ مُهَيَّبُ
 ٢ - وكَم من سَمِيٍّ ليسَ مثلَ سَمِيٍّ وإن كانَ يَدْعَى بَابِنِهِ قِيَجِيبُ

(١) البيت لابن أحر ، كما سبق فى حواشى ١٢٠ ، ٢٤٠ ، ٥٩٩ . ومصدره :

* لا هزاع الأرب أموالها *

يقول : متى قَرَعَ أذنى دُعاه دَاعٍ بِاسْمٍ وَلَدَى أَذْعَرٍ وَأَقْلَقَ ، كَمَا يَذْعَرُ
النَّكَلَى مُهَيَّبٌ ، وَهُوَ الدَّاعِي . وَالنَّكَلَى تَفْرَعُ لِأَدْنَى صَبِيحَةٍ تَرْهَقُهَا ،
أَوْ قَرَعَةٍ تَصْدُمُ قَلْبَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِالْمَجُولِ نَاقَةً فَقَدَتْ وَلَدَهَا بِنَحْرِ
أَوْ مَوْتٍ ، فَهِيَ فِي حَنِينِهَا تَنْفِرُ مِنْ أَخْفَضِ إِهَابَةٍ ، وَأَدْنَى بَمَثٍ وَإِزَاعِجَةٍ .
وَيُقَالُ لِأَمَثَلِهَا مِنَ الثُّوقِ : الْمَاجِيلُ أَيْضًا . وَوَجْدُهُنَّ يَزِيدُ عَلَى كُلِّ وَجْدٍ .
لِذَلِكَ قَالَ :

فَا وَجْدُ أَظْلَاكِ ثَلَاثِ رَوَائِمٍ رَأَيْنِي حَجَّارًا مِنْ حُورٍ وَمَصْرَعًا^(١)
يَذْكُرُنَّ ذَا الْبَثِّ الْخَرِيزِ يَبْنِيهِ إِذَا حَنَّتِ الْأُولَى سَجَنِي لَمَّا مَعَا
بِأَوْجَدَ مِنِّي^(٢)

وقوله « وكم من سمى » يقول : ليس التوافق في الأسماء مما يوجب التماثل
والتشابه في السمات ، لأن الأعلام لا تُقْبَلُ فِي السَّمَنِ شَيْئًا ، لَكِنَّ التَّشَابُهَ
إِنَّمَا يَكُونُ بِالْأَوْصَافِ الْحَيَاصِلَةِ ، وَالْمَعَانِي الْمُتَمَازِلَةِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالتَّشَابُكُ
فِي الْأَسْمَاءِ وَاجِبٌ حَصَلَتْ بِهِ الْإِجَابَةُ عِنْدَ الدُّعَاءِ لَا يَوْجِبُ تَقَارُيُبَ الْمُسَمَّيْنَ
وَلَا تَبَاعُذَهُمْ .

٣٨٢

وقال رجل من كلب^(٣) :

١ - كَلَى اللَّهُ دَهْرًا شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ وَوَجْدًا بِصَبِيحَةٍ أُنَى بَعْدَ مَعْبِدِ

(١) الأبيات لجسيم بن نورية في رثاء أخيه مالك ، من قصيدة في المهنليات رقم ٦٧ ،
وأنشدها للبرد في الكامل ٧٥٦ - ٧٥٧ ليسك .
(٢) البيت بتمامه ؛
بأوجد متى يوم قام بكائك مناد بصير بالهراق فأسما

(٣) بيت البيت الثالث والرابع من هذه الجلسة في الخامسة ٣٠١ ص ٨٩٥ - ٨٩٦ .
وقد سبق التنبيه على مثل هذا التكرار في الجاهلية ٣٩٠ .

٢ - بَقِيَّةُ إِخْوَانِي أُنَى الدَّهْرِ دُونَهُمْ فَمَا جَزَعَى أَمْ كَيْفَ عَنْهُمْ تَجَلَّدِي
 ٣ - فَلَوْ أَنَّهَا أَحَدِي يَدَيَّ رَزَيْتُهَا وَلَكِنْ يَدِي بَأَنْتَ عَلَى إِثْرِهَا يَدِي
 ٤ - فَأَلَيْتُ أَسَى بَعْدَهُمْ إِثْرَ هَالِكٍ قَدَرِي الْآنَ مِنْ وَجْدِي عَلَى هَالِكٍ قَدَرِي^(١)
 كَلَى اللَّهُ : دَعَا عَلَى الدَّهْرِ الَّذِي وَصَفَهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي حَقِيقَتِهِ . وَمَعْنَى
 « شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ » أَيْ مَا كَانَ يُخْتَشَى مِنْ شَرِّهِ فِي الْأَحْيَةِ سَبَقَ مَا كَانَ
 يُرْتَجَى مِنْ خَيْرِهِ بِهِمْ . ثُمَّ دَعَا عَلَى وَجْدٍ تَجَلَّدَ لَهُ بِصِفَتِهِ بَعْدَ وَجْدٍ تَقَدَّمَ فِي
 مَعْبَدٍ ، كَأَنَّهُ كَانَ لَا يَأْمَنُ مِنْ أَحْدَاثِ الدَّهْرِ فَيَأْخُذُ بِحَبِيٍّ وَأَنْيَمَ عَلَيْهِ فِي إِخْوَةٍ كَرَامٍ
 تَنَاسَقُوا فِي الْوِلَادِ وَالْوِلَادِ ، وَتَقَابَلُوا فِي جَوَازِ تَطْلُقِ الرَّجَاءِ بِهِمْ عِنْدَ الْخِفَافِ ،
 فَيَخَافُ . وَعَلَى ذَلِكَ كَانَ يَنْطَلِبُ فِي نَفْسِهِ وَعَلَى قَلْبِهِ سَلَامَتَهُمْ وَبِقَالِهِمْ ، حَسَنَ ظَنِّي
 بِالْوَاهِبِ ، وَشِدَّةَ طَمَعٍ فِي الْوُهوبِ فَيَسْكُنُ وَلَا يَهَابُ . فَلَمَّا جَرَى الْأَمْرُ عَلَى
 خِلَافِ مَا ظَنَّ زَعَمَ أَنَّ شَرَّ الدَّهْرِ سَبَقَ خَيْرَهُ ، فَدَعَا عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « وَوَجَدَا
 بِصِفَتِهِ » ، يَقُولُ : وَلَكِنِّي أَيْضًا جَزَعًا تَجَدَّدَ بِصِفَتِهِ بَعْدَ مَعْتَبَرٍ . وَهَذَا يُرَدُّ مِنْهُ
 بِمَا قَالَسِي مِنَ الدَّهْرِ ، وَكَابَدَ مِنْ جَزَعٍ بَعْدَ جَزَعٍ . وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَعْنَى
 قَوْلِ الْآخَرِ^(٢) :

* نَوَكَلُ بِالْأُدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَنْصِي^(٣) *

وقوله « بَقِيَّةُ إِخْوَانِي » يَمْجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ خِيَارُ إِخْوَانِي ، كَمَا يَقَالُ :
 فَلَانٌ مِنْ بَقِيَّةِ النَّاسِ . وَيَمْجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي إِخْوَانِهِ وَفُورٌ فَقَدَّ مِنْهُمْ
 عِدَّةٌ ، وَجَمِلَ بِأَنْسٍ بَقِيَّتِهِمْ ، فَأَتَى الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ أَيْضًا . وَقَوْلُهُ « فَمَا جَزَعَعِي
 أَمْ كَيْفَ عَنْهُمْ تَجَلَّدِي » كَأَنَّهُ كَانَ لَا يَهْتَدُّ بِالْجَزَعِ الْوَاقِعِ لَمْ وَمِنْ أَجْلِهِمْ ،
 لِقُصُورِهِ عَنِ الْوَاجِبِ ، وَوُقُوعِهِ دُونَ الْإِزْمِ ، وَلَا يَطْمَعُ مِنْ نَفْسِهِ فِي مُسْتَكْبَرٍ

(١) فَمَا سَبَقَ : « فَأَقْبَحْتُ لَا أَسَى عَلَى إِثْرِ هَالِكٍ »

(٢) هُوَ أَبُو جَرَّاشِ الْمَدَنِيِّ الْأَنْطَلِ الْجَنَابِيُّ ٢٦٢ هـ ٨٧٦ .

(٣) صَدْرُهُ : * عَلِ أَتْمَا خَفَوُ الْكَلَامِ وَلَمَّا *

يَتَمَلَّهَا ، أَوْ سَلَوَ يَتَكَلَّفُهَا ، إِذْ كَانَ التَّلَطُّبُ أَعْظَمَ ، وَالرُّزْهَةُ أَمْلَكُ .
 وقوله « فَلَوَأَنَّهُ إِحْدَى يَدَيَّ رُزِيَتْهَا » جواب لو محذوف ، يريد : لو أَصِبتُ
 ببعضهم لَسَهِّلَ مَا تَمْتَدُّرُ أَوْ خَفَّ مَا تَقُلُّ ، وَلَكِنَّهُمْ تَجَاوَبُوا لِلدَّعْوَةِ ، وَتَتَابَعُوا
 فِي الثَّقَلَةِ ، فَقَدَحَتِ الْمَصِيبَةُ ، وَجَلَّتِ الرُّزِيَّةُ ^(١) .

وقوله « فَأَلَيْتُ آسَى بَدَمٍ » يريد : حلفت لا آسى بدمي في إثر هالك ،
 خُفِفَ لَا وَلَمْ يَخْفَ التَّبَاسُ بِالْوَاجِبِ ، إِذْ كَانَ لِلْوَاجِبِ صِيفَةٌ مُفْرَدَةٌ بِاللَّامِ
 وَإِحْدَى الثَّوْنَيْنِ الثَّقِيلَةِ أَوْ الْخَفِيفَةِ ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ . وَلِلْعَنَى أَنَّ خَوْفِي كَانَ فِيهِمْ ،
 وَإِذْ قَدْ أَصِبتُ بِهِمْ فَأَنَّى لَا أَجْزَعُ لِقَائِهِ ، فَخَسِي عَلَى الْمُلَّاكِ مَا بِي حَسْبِي .
 وَقَالَ « قَدَى » وَلَوْ قَالَ : قَدَى ، فَأَتَى بَنُونَ الْعِمَادِ لَيَسْلَمَ سَكُونُ قَدَى ، لَجَازَ .
 قَالَ الشَّاعِرُ ^(٢) :

* قَدَى مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدَى *

فَأَنَّى بِهِمَا جَمِيعًا .

وقوله « إِثْرُ هَالِكٍ » اتَّصَبَ عَلَى الظَّرْفِ .

٣٨٣

وَأُنْشِدُنِي لِأَعْرَابِي ^(٣) :

- ١ - عَلَى اللَّهِ دَهْرًا شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ تَقَاضَى فَلَمْ يُحْسِنِ إِلَيْنَا التَّقَاضِيَا
 - ٢ - فَنَّى كَانَ لَا يَطْلُوِي عَلَى الْبُخْلِ نَفْسُهُ إِذَا انْتَمَرَتْ نَفْسَاهُ فِي السَّرِّ خَالِيَا
- قَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي بَيَانِ الدَّهْرِ وَشَرْحِهِ ، وَفِي مَعْنَى « شَرُّهُ قَبْلَ

(١) ما سبق من شرح البيت في ص ٨٩٦ أقوى وأتمل مما هنا .

(٢) هو حيد الأَرط . المخرقة (١ : ٤٥٣) . وقد سبق في ٨٩٦ .

(٣) كُنَّا فِي ل : وَفِي الْأَمَل : « وَأُنْشِدْ لَابْنَ الْأَعْرَابِي » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَعِنْدَ

التَّبْرِيزِيِّ : « وَقَالَ أَعْرَابِي » .

خير^(١) ، فأثما قوله « تَقَاضَى فِلمَ يَحْسِنُ إِلَيْنَا التَّقَاضِيَا » فلمنى طالبنا برء ما مَتَحَنَّا فلمَ يَحْسِنُ فى التَّقَاضَى ، لإسرافه فى الفعل ، واستجماله فى الرَّد ، واعتسافه فى الأخذ ، ولأنَّ التَّوَارِيَّ قد تُرْتَجِعُ ، وللمَنَاحِ قد تُسْقَرَدُ ، على وجه لا يُخْلُفُ فيه بالإجمال ، ولا يُفْسَدُ به ما تقدَّم من الإنفصال .

وقوله « فَتَى كَانَ لَا يَطْوِي عَلَى الْبُخْلِ نَفْسَهُ » يريدُ أَنَّهُ إذا اجتداه للُبْجَدَى لا يَرَى لنفسه أن تطوى على الْبُخْلِ والإمساك ، والضَّنُّ بما فى يده عليه ، إذا ائتمرت نفسه ، أى تشاورَتْ فيما بينه وبينها ، فأقبلَتْ واحدةً تأمرُ بِالْبَذْلِ ، والأخرى تُشيرُ بالإمساك . ففى ذلك الوقتِ يَصْمُ على تركِ الاتِّهَارِ للآمِرِ بِالْبُخْلِ ويخرُجُ من طاعته إلى المعطاء والبذل . والاتِّهَارُ : التَّشَاوُرُ هاهنا . فأثما قوله :
* وَيَعْدُو عَلَى اللَّرَّةِ مَا يَأْتِرُ^(٢) *

فالمراد به ما يجعله من أمره وهمه ، فيقول : إذا ائتمر اللره لغيره ما ليس برشاد فإنه يعدو عليه فيهلكه . وهذا كما قيل : من حَفَرَ مَهْوَاةً وقع فيها .

٣٨٤

وقال الأبيرد البربوعي^(٣) :

١ — وَلَمَّا نَعَى النَّاعِي يَرِيدُ تَقَوَّلْتُ بِي الْأَرْضُ فَرَطَ الْحَزَنُ وَأَنْطَقَ الظُّهْرُ^(٤)

(١) انظر الحماسة السابقة .

(٢) لامرئ القيس فى ديوانه ٣ . ومصدره :

* أَلْخَرُ بْنُ عَمْرٍو كَأَنِّي غَرُ *

(٣) هو الأبيرد بن المفسر بن عبد بن قيس بن عتاب بن همرى بن رباح بن ربوع بن مالك ابن حنظلة التميمي . شاعر بدوى من شعراء صدر الإسلام وأول دولة بني أمية . الأغاني (١٢ : ٩ — ١٥) .

(٤) يزيد ، كذا وردت فى النسختين . والصواب « يريد » كما فى الأغاني ورواية البربرى . ويريد هذا هو أخو الأبيرد ، كما فى شرح البربرى والأغاني ، وأمال الغال (٢ : ٣) وتبنيه البربرى ٦٦ .

يقول : لما خَبِرَ الحَبْرُ بِمَوْتِ يَزِيدَ تَلَوَّتْ الأَرْضُ فِي عَيْنِي فَأَيَّضَتْ تَارَةً
وَأَسْوَدَتْ أُخْرَى ، لَشِدَّةِ حُزْنِي ، وَانْقَطَعَ ظَهْرِي وَتَسَاوَقَتْ قُوَّائِي ، وَقَوْلُهُ
« تَعَوَّلْتُ » اسْتِغْنَاهُ مِنَ الْقَوْلِ . وَهُمْ يَسْتَقْدُونَ فِي هَذَا الْقَبِيلِ مِنَ الْجَنِّ أَنَّهُمْ
يَتَصَوَّرُونَ بِمَا شَاءُوا مِنَ الصُّوَرِ . وَيُقَالُ : غَوَّتَهُمُ الْقَوْلُ وَتَوَوَّاتَهُمْ ، إِذَا
تَوَهَّنَتْهُمْ . وَانْتَصَبَ « فِرَاطُ الْحَزْنِ » عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ . وَالْكَلَامُ تَسْلِيٌّ مِنْ
غَيْرِ الذَّهْرِ ، وَتَأْثِيرٌ لِلصَّبِيَّةِ فِيهِ ، حَتَّى انْكَسَرَ قَنَاقَةُ ظَهْرِهِ ، وَاخْتَلَّ مَا كَانَ
قَوِيماً مِنْ أَمْرِهِ .

٢- عَسَا كَرُّ تَنْشَى النَّفْسِ حَتَّى كَانَتْ أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخَمْرُ^(١)
الصَّاكِرُ : جَمْعُ عَشْكِرَةٍ ، وَهِيَ الشَّدَّةُ . قَالَ :

* ظَلَّ فِي عَشْكِرَةٍ مِنْ حُبِّهَا^(٢) *

فَيَقُولُ : غَشِيَتْ نَفْسِي أَنْوَاعُ الْبَلَاءِ ، فَزَالَ عَقْلِي لَهَا ، حَتَّى صِرْتُ كَأَنِّي
سَكْرَانٌ دَبَّتِ الْخَمْرُ فِي عَقْلِي وَدِمَاغِي ، حَتَّى دَارَتْ هَامَتِي ، وَزَالَ تَمَاسُكُهُ وَقُوَّتُهُ .
وَلَكِنْ أَنْ تَرَوْى : « دَارَتْ بِهَامَتِي الْخَمْرُ » لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَخُو السَّكْرَةِ نَفْسَهُ جَازِ
أَنْ يُجْعَلَ الضَّمِيرُ الرَّاجِعُ إِلَيْهِ ضَمِيرَ نَفْسِهِ . وَهُمْ يَفْعَلُونَ فِي الصَّمَاتِ وَالصَّلَاتِ
هَذَا . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

* أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةً^(٣) *

وَلَمْ يَقُلْ أُمُّهُ ، وَإِنْ كَانَ وَجْهَ الْكَلَامِ . وَإِنْ رُوِيَ « دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخَمْرُ »
فَهُوَ الصَّوَابُ الْخِتَارُ .

(١) فِي الْأَمَالِي : « أَخُو نَفْسِهِ » .

(٢) الْبَيْتُ لِمُطَرِّفٍ فِي دِيوَانِهِ ٦٥ وَاللَّسَانُ (عَسْكَر) - وَهَجَزَهُ :

* وَغَاتٌ شَبَّطَ مَزَارَ الدَّكْرِ *

(٣) لَمْلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، كَمَا سَبَقَ فِي حَوَاشِي ١١٥ ، ٢٩٧ ، ٤٠٧ ، ٦١٩ ، ٦٢٢ .

٣- قَتَى إِنْ هُوَ اسْتَفْنَى تَخَرَّقَ فِي النَّفَى وَإِنْ قَلَّ مَالٌ لَمْ يَضَعْ مَتْنَهُ الْفَقْرُ^(١)
 ٤- قَتَى لَا يَمُدُّ الرُّسْلَ يَقْضِي ذِمَامَهُ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَوْ تُنَحَّرَ الْجُزُرُ
 البيت الأول يشبهه قولُ المذلي^(٢) :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ قَرَّهَ عَلَى نَفْسِهِ وَشَبَّعَ غِنَاهُ

وقوله « تَخَرَّقَ فِي النَّفَى » أى تَكَرَّمَ فِي غِنَاهُ وَتَوَسَّعَ . وَهُوَ تَقَعَّلَ مِنْ
 الْخُرْقِ : السَّكْرِمِ مِنَ الرِّجَالِ ، الَّذِي يَتَخَرَّقُ بِالْمُرُوفِ .

وقوله « وَإِنْ قَلَّ مَالٌ » أَرَادَ مَالَهُ . وَمَعْنَى « لَمْ يَضَعْ مَتْنَهُ الْفَقْرُ » أَيْ لَمْ
 يُوْرِنَهُ إِفْلَاقَهُ تَخَضُّعًا وَتَخَشُّعًا حَتَّى تَطَاطَأَ ظَهْرُهُ ، وَانْخَفَضَ شَخْصُهُ . وَإِنْ رُوِيَ
 « وَإِنْ قَلَّ مَالًا » بِالنَّصْبِ جَازٌ ، وَيَكُونُ فَاعِلُ قَلَّ مَا اسْتَكْنَفِيهِ مِنْ ضَمِيرِ
 النَّفَى ، وَانْتَصَبَ مَالًا عَلَى التَّمْيِيزِ ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَاسْتَمَلَّ الرَّأْسُ سُبِينًا » .
 وقوله « قَتَى لَا يَمُدُّ الرُّسْلَ يَقْضِي ذِمَامَهُ » يَرِيدُ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ بِهِ
 لَا يَمُدُّ اللَّيْنَ قَاضِيًا ذِمَامَ قَرَامٍ ، وَلَا كَافِيًا فَيُجِبُّ عَلَيْهِ لَهْمٌ ، حَتَّى يَنْحَرَّ
 جُزْرُهُ ، وَيُوسَّعَ مَطَاعِمَهُ . وَقَوْلُهُ « أَوْ تُنَحَّرَ » أَوْ يَبْدَلُ مِنْ إِلَّا ، وَانْتَصَبَ
 الْقَمَلُ بِإِضْمَارِ أَنْ^(٣) .

(١) الثَّالِي : « وَإِنْ كَانَ قَرَّ لَمْ يُوْدِ مَتْنَهُ الْفَقْرُ » . الْأَعَانِي : « فَإِنْ قَلَّ مَالٌ لَمْ يُوْدِ
 مَتْنَهُ » . وَبَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَتَالِيهِ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ :
 وَسَامَى جَسِيَاتِ الْأُمُورِ فَنَالَهَا عَلَى الْقُسْرِ حَتَّى أُدْرِكَ الْقُسْرُ الْبُسْرُ
 (٢) هُوَ التَّنْخِيلُ الْمَذْلُ . دِيْوَانُ الْمَذْلِيِّ (٢ : ٣٠) . وَقَدْ سَبَقَ هَذَا الْبَيْتُ
 فِي ٥٥٧ .

(٣) أَتَّفَقَ التَّبْرِيزِيُّ بِهَذَا الْبَيْتِ :

أَحْقًا عِبَادَةُ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَاقِيَا بِرَيْدًا طَوَالَ النَّهْرِ مَا لَأَلَا الْفَقْرُ

وَقَالَ : الْفَقْرُ الظُّلْمَاءُ الَّتِي تَمْلَأُ بِإِضْمَارِ حَرَّةٍ . وَلَأَلَا الظُّلْمَاءُ : حَرَكَةُ ذَنْبٍ . وَمِنْهُ تَلَاؤُا الْبَرْقِ ،
 إِذَا تَحَرَّكَ . وَلَمَّا اسْتَمْلَوْا ذَلِكَ فِي الْبَرْقِ وَكَانَ مَعَ إِضْمَارِهِ اسْتَقْبَلُوا مِنْهُ اسْمَ الْوَلُولِ .

٣٨٥

وَأَنْشِدْ لِسَلَمَةَ الْجَنَفِيِّ رِثَى أَخَاهُ لَأُمِّهِ^(١) :

١ — أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلْوَمُهَا لَكَ الْوَيْلُ مَا هَذَا التَّجَلُّدُ وَالصَّبْرُ
٢ — أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ لَسْتُ مَاعِشْتُ لَا قِيَا أَخِي إِذْ أَتَى مِنْ دُونِ أَوْصَالِهِ الْقَبْرُ
يقول : إِنِّي أَنْسَخْتُ مَا أَقِيمُهُ مِنَ الْهَلَعِ فِيمَنْ أَصَبْتُ بِهِ ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى
نَفْسِي إِذَا خَلَوْتُ بِهَا بِالْوَمِّ وَالتَّعْنِيفِ ، وَأَقُولُ حَلَّ^(٢) بَكَ الْوَيْلُ ، مَا الَّذِي
يَطْهَرُ مِنْكَ مِنْ تَكْلُفِ الْجَلْدِ وَالصَّبْرِ فِيمَا بَلَيْتُ بِهِ . أَمَّا عَلِمْتُ أَنِّي مَدَّةَ عَيْشِي
لَا أَلَا قِي أَخِي وَقَدْ حَجَرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الرَّيْ ١٩

وقوله « أَلْوَمُهَا » في موضع الحال ، « وَلَكَ الْوَيْلُ » في موضع المفعول
لأقول ، و « مَا هَذَا التَّجَلُّدُ » استفهام على طريق التقرير والتوبيخ . وَارْتَمَعَ
التَّجَلُّدُ عَلَى أَنَّهُ عَطَفَ الْبَيَانِ . وَقَوْلُهُ « أَلَمْ تَعْلَمْ » تَقْرِيرٌ فِيمَا هُوَ وَاجِبٌ ، لِأَنَّ
حَرْفَ الِاسْتِفْهَامِ قَدْ ضَامَتْهُ حَرْفُ النَّقْيِ ، وَالِاسْتِفْهَامُ غَيْرُ وَاجِبٍ فَهُوَ كَالنَّفْيِ ،
وَنَفْيُ النَّقْيِ لِمُجَابٍ .

وقوله « أَنْ لَسْتُ » أَنْ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَاسْمُهُ يَمْجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَمِيرُ
الرَّجُلِ ، أَرَادَ أَنِّي لَسْتُ ، وَيَمْجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَمِيرُ الْأَمْرِ وَالشَّانِ . وَ « مَاعِشْتُ »
فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ . وَ « لَا قِيَا » خَبَرٌ لَيْسَ . وَ « إِذْ أَتَى » ظَرْفٌ لَهُ . وَالْأَوْصَالُ :

(١) هُوَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَشْجَعَةَ بْنِ الْمَجْمَعِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ
حَرَمِ بْنِ جَعْفَى . وَجَعْفَى : سَيِّدٌ مِنْ مَذْهَبِ نَزْلِ الْكُوفَةِ . وَكَانَ مِنْ وَفَدٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثَ عَنْهُ . الْإِسَابُ ٣٣٩٨ . وَذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ أَنَّهُ رِثَى أَخَاهُ شَقِيقَهُ قَيْسَ بْنِ
يَزِيدَ . وَذَكَرَ الْقَتَالِي فِي الْأَمْثَالِ (٢ : ٧٣) أَنَّهُ أَخُوهُ لِأُمِّهِ كَمَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ ، وَاسْمُهُ عَنْدهُ :
« قَيْسُ بْنُ سَلَمَةَ » ، وَصَحَّحَ الْبُكْرِيُّ فِي التَّنْبِيهِ ٩٧ أَنَّ أَخَاهُ لِأُمِّهِ هُوَ « سَلَمَةُ بْنُ مَقْرَاءٍ » .
(٢) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « جَل » بِالْمِجْمَعِ لِلْعِجْمَةِ .

جمع وِضْلٍ ، وهو اسمٌ للأعضاء المتَّصل بعضها ببعض . ويقال : وِضْلٌ ووِضْلٌ ، بالفتح والكسر .

٣- وكنت أرى كالموت من بين ليلة فكيف بيِّن كان ميعاده الخشِرُ
٤- وهَوْنٌ وجِدْيٌ أنَّى سوف أعتدي على إثره يوماً وإن نفس العمرُ
قوله « كالموت » جعل الكاف وحده اسماً . وكان أبو العباس يتبع
أبا الحسن الأخفش في جواز وقوعه اسماً في غير الضرورة ، وأنشد :

أَتَلْتَهُنَّ وَلِي بَنَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّنِي بِكَ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْقُتْلُ^(١)
ويجعل الكاف في موضع فاعل بَنَى . وسيبويه لا يرى ذلك إلا في
الضرورة ، كأنه قال : أرى مثل الموت . ولا يمتنع أن يكون « كالموت » صفةً
لموصوف محذوف ، كأنه قال : وكنت أرى شيئاً أو أسراً مثل الموت .

وقوله « من بين ليلة » من دَخَلَ اللَّيْلَيْنِ^(٢) ، والمعنى : كنت أَعُدُّ مفارقتي
له في ليلة كالموت ، أو أقامى مثل الموت من أجل مفارقة ليلة منه ، فكيف
يكون حالى وقد فرَّق بينى وبينه بين موعِد الالتقاء بعده يوم القيامة . ومثل
قوله « من بين ليلة » قوله تعالى : ﴿ فَأَجْتَنَّبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْتَانِ ﴾ . ولك
أن تجعل من بين ، في موضع المفعول لأرى ، وتحصل من زائدة على طريقة
الأخفش في جواز دخوله زيادة في الواجب ، فيكون التَّقدير : كنت أرى بين
ليلة ، أى فراق ليلة ، كالموت . فيكون كالموت في موضع المفعول الثانى . وقوله
« كان ميعاده » وَضَعَ الماضى موضع المستقبل أى يكون ميعاده ، والماء يرجع
إلى البين ، كأنه وعدَّ الزَّوالَ والالتقاء معه من بعده في يوم الحشر .

وقوله « وهَوْنٌ وجِدْيٌ أنَّى » موضع أنَّى رَفَعُ ، لأنه فاعل هَوْنٌ .

(١) البيت للأعشى من لامية المشجورة . ديوانه ص ٤٨ .

(٢) في الأصل : « اللَّيْلَيْنِ » . صوابه في ل .

والمنى : خَفَّتْ وَجَدِي وَقَلَّتِي أَنِّي ذَاهِبٌ فِي إِثْرِهِ ، وَنَحْلٌ مَكَانٌ مِنَ الدُّنْيَا بَعْدَهُ يَوْمًا ، وَإِنْ أَطِيلَ عُمرِي ، وَنَفْسٌ فِي أَجَلِي .

٥ — فَنَّى كَانَ يُعْطَى السَّيْفُ فِي الرِّزْقِ حَقُّهُ إِذَا تَوَبَّ الدَّاعِي وَتَشَقَّى بِهِ الْجَزُرُ

٦ — فَنَّى كَانَ يُدْرِيهِ النَّبِيُّ مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَفْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ

يريد أن المرئي كان إذا حضر الوغى تصوير السيف عليه حقًا فجاهد نفسه

في توفير ذلك الحق عليه إذا أعاد الداعي وكرر : يال فلان ! مرا راء . والتثويب

في الأذن معروف . وقوله « وَتَشَقَّى بِهِ الْجَزُرُ » يريد وقت نزول الأضياف ،

وأنه كان لا يرضيه أقرب المنازل في نُزُل الضيف^(١) ، بل كان يرتقى إلى أعلاها .

وهذا المعنى قد مضى قريباً ، وكذلك البيت الثاني قد مضى مثله^(٢) . ومعنى

يُدْرِيهِ النَّبِيُّ مِنْ صَدِيقِهِ أَنَّهُ كَانَ يَمُدُّ التَّفَرُّدَ بِالنَّبِيِّ لَوْماً ، وَكَانَ يُشْرِكُ أَصْدِقَاءَهُ

فيه ، كما يمدُّ في حال الإضافة والفقر ملاساة الأصدقاء كالتمترس لغيرهم ،

فَيُبْعِدُهُ عَنْهُمْ .

٣٨٦

وَقَالَتْ عَمْرَةُ الْخَثْعَمِيَّةُ ، تَرْنِي ابْنَتِي :

١ — لَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي جَزَعْتُ عَلَيْهِمَا وَهَلْ جَزَعُ أَنْ قُلْتُ وَابَايَا

الرَّوْعُ يُسْتَعْمَلُ كَثِيراً فَيَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ ، لِذَلِكَ قَالَتْ فَيَا حَكَّتْ عَنْ الْقَوْمِ :

زَعَمُوا . كَأَنَّهَا لَمَّا اسْتَشْرَفَ^(٣) النَّاسُ جَزَعَهَا وَهَلَعَهَا ، فَذَكَرُوا أَمْرَهَا فَيَا بَيْنَهُمْ

أَظْهَرَتِ الْإِنْكَارَ وَالتَّكْذِيبَ فَيَا تَوَحَّمُوا ، فَقَالَتْ : وَهَلْ جَزَعُ أَنْ قُلْتُ وَابَايَا ،

(١) النزل بضمة وبضمين : ما يجيأ للضيف أن يتزل عليه .

(٢) انظر الحاشية السابقة .

(٣) في النسخين : « استشرف » بالشين للحجة بعد التاء ، والوجه ما أثبتنا .

تَرَى أَنَّمَا تَكَلَّفْتَهُ مِنَ التَّوَجُّعِ لَهَا عَلَى قَدْرِ قَوْلِ الْقَائِلِ : وَأَبَايَاهَا . وَلَقَطْعَةً
 « وَ » تَأَلَّمَ وَتَشَكَّى ، وَهِيَ حَرْفٌ لِّلثَنَةِ . وَ « أَبَايَاهَا » أَرَادَتْ : أَبَايَ هَا ، فَفَرَّ
 مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ فَانْقَلَبَتْ أَلِفًا . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : بِأَدَاةٍ
 وَنَاصَةٍ ، فِي بَادِيَةِ وَنَاصِيَةٍ . وَقَوْلُهَا « وَهَلْ جَزَعُ » ارْتَفَعَ جَزَعٌ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ
 مُّقَدَّمٌ ، وَ « أَن قُلْتُ » فِي مَوْضِعِ الْمُبْتَدَأِ ، تَقْدِيرُهُ هَلْ جَزَعُ قَوْلِي وَأَبَايَاهَا ، وَارْتَفَعَ
 هَا مِنْ وَأَبَايَاهَا عَلَى الْمُبْتَدَأِ ، وَأَبَايَا خَيْرُهُ . هَذَا عَلَى طَرِيقَةِ سَبِيوِيَّةٍ ، وَعَلَى مَذْهَبِ
 الْأَخْفَشِ يَرْتَفِعُ بِالظَّرْفِ . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ : « بَأَنَاهَا » ، أَيْ أَفْدِيَهُمَا بِنَفْسِي
 وَأَنَا هُوَ ضَمِيرُ الرُّفُوعِ ، وَقَدْ وَقَعَ مَوْضِعَ الْمَجْرُورِ ، وَكَقَوْلِهِمْ : هُوَ كَأَنَّا ،
 وَأَنَا كَهُوَ .

٢ - هُمَا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَن لَّا أَخَاهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبِيَّةً فَدَعَا هَا
 أَلَمْتُ فِي هَذَا بِقَوْلِهِ ^(١) :

* إِذَا لَمْ أَجِنِ كُنْتُ يَجِنَ جَانِ ^(٢) *

تَقُولُ : كَانَا يَنْصُرَانِ مَن لَّا نَاصِرَ لَهُ مِنَ الْقَوْمِ إِذَا خَشِيَ نَبِيَّةً مِنْ نَبِيَّاتِ
 الدَّهْرِ يَوْمًا فَاسْتَفَنَّا بِهِمَا . وَقَوْلُهَا « أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَن لَّا أَخَاهُ » فَصَلَّتْ فِيهِ
 بَيْنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَالْمُضَافِ بِالظَّرْفِ ، فَلِذَلِكَ حَذَفَتِ النُّونَ مِنْ أَخَوَانِ ،
 فَهُوَ كَقَوْلِهِ :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنِ لِيُنَايِلُنِي بِنَا أَوَاخِرَ اللَّيْلِ أَصْوَاتُ الْقَرَارِيجِ ^(٣)
 فَصَلَّتْ بِقَوْلِهِ « مَنِ لِيُنَايِلُنِي بِنَا » . وَقَوْلُهَا « مَنِ لَّا أَخَاهُ » نَوَتْ الْإِضَافَةَ
 ثُمَّ أَدَخَلَتْ اللَّامَ تَأْكِيدًا لِلْإِضَافَةِ الَّتِي قَصَدَتْهَا ، لِئَلَّا تُبْتَدَأَ الْأَلْفُ مِنْ

(١) هُوَ سَوَارِ بْنِ الصَّرْبِ السَّمْنِيُّ . الْحَاسِيَّةُ ١٨ م ١٣٢ .

(٢) مَدْرُهُ : * وَأَيُّ لَا أَزَالُ أَنَا حُرُوبَ *

(٣) الْبَيْتُ قَبْلَ الرِّمَةِ فِي دِيْوَانِهِ ٧٦ وَاللَّسَانُ (يَعْنِي) - وَرَوَى : « الْبَيْتُ الْقَرَارِيجِ » .

لا أخوا ، لأن هذه الألف لا تثبت إلا في الإضافة إذ كان في الإفراد يُقالُ أخٌ .
 وخبر لا محذوف كأنها قالت : لا أخوا موجودٌ أو في الدنيا . ولو قالت : لا أخٌ
 له ، لكان له خبراً للـ ، على قولهم : لا أب لك ، ولا أبا لك . وإنما قلت
 أدخلت اللام لتوكيد الإضافة التي قصدتها ، لأن الإضافة غير مستدرة بها هنا ، فلا
 تُترقُّ الأَخ ، واللام تُبطلُ الإضافة في الأصل . وهذه اللام لا تدخل إلا في
 يائنين : أحدهما باب النفي ، وهو ما نحن فيه ، والثاني باب النداء في مثل قولهم :
 * يا بُوسَ للحَرْبِ ^(١) *

لأن المراد : يا بُوسَ الحربِ .

٣ — هما يلبسان للجدِّ أحسنَ لبسةٍ شحيحانِ ما استطاعا عليه كلامهما
 وصفتها بأنهما يكتسبان المجد ويستمتعان به أحسنَ استمتاعٍ وأجملَ
 اكتساب ، وأنهما يرضنان به حيث ظهر وطلع فلا يترُكانه لأحدٍ مادام
 يستطيعان كسبه والتفوز به . وانتصب « أحسنَ لبسةٍ » على أنه مصدر . وارتفع
 « شحيحان » على أنه خبر مقدم ، والمبتدأ « كلاما » ، و « ما استطاعا » في
 موضع الظرف واسم الزمان محذوف معه . واسطاعَ متفوص عن استطاع .
 وتقدير الكلام : كلاما شحيحان به ما استطاعا عليه ، أي ما قدرا عليه . ومعنى
 « يلبسان المجد » ، أي يتمليانه ويمتعان به . قال :

لَيْسْتُ أَبَى حَتَّى نَمَلَيْتُ عَيْشَهُ وَبَلَيْتُ أَعْمَى وَبَلَيْتُ خَالِيَا
 ٤ — شهابانِ مِنَّا أرقداً ثُمَّ أَخِداً وَكَانَ سَنًا لِلذَّلِيلِينَ سَنًا
 ارتفع « شهابان » على أنه مبتدأ ، وجاز الابتداء به لكونه موصوفاً بيميننا ،

(١) قطعة من بيت في الحماسة ١٦٧ . وهو بتمامه :
 يا بوسَ الحربِ التي وضعت أراهم طسقراحو

وأوقدًا في موضع الخبر. والمعنى: أنهما لم يُجْهَلَا للتَّام والكمال، بل كانا كفارين أوقدًا ثم أُنْبِغتا بالإخاد. والكلام تَوْجِعٌ وتلُفٌ. وقولها «وكان سنًا للمدجلين سناهما» تريد نارها الموقدة للضيغان والطُّراق بالليل، وأنهم كانوا يستضيئون بها فيردون فناءه مستمسكين أرواقهم به، ومتخلصين من سلطان البرد والجوع وشقة السفر إليه. ولا يتمتع أن يرتفع شهابان على أنه خير مبتداً محذوف أي هما شهابان.

٥- إذا نزل الأرض بالخوف بها الردى يُخَفِّضُ من جأشيهما مُنْصَلَاهُمَا
تصنهما بالصبر في دار الحفاظ، وأنهما إذا نزلا مكاناً مخوفاً لا يؤمن الردى فيه يُسْكَنُ من قلعهما سيفهما. وهذا فيه إعلام بأنهما كانا لا يعتمدان في الشدة نزل بساحتها على غيرها، وأنهما كانا يتحملان الأتقال بأنفسهما، فلا صاحب لهما يُتَكَلَّمُ عليه، ولا مُعِين يُسْكَنُ إليه، إلاَّ السيف. فهو كقول الآخر^(١):
* ولم يَرْضَ إلا قائم السيف صاحباً *

٦- إذا استغنيا بحب الجميع إليهما ولم ينأ عن نفع الصديق غناهما
تقول: وإذا نالا النفي وساعدهما الحال حبب جماعة الحى والمتعلقين^(٢)
بجبلهما، فازدادا توقراً عليهم، وتفقداهم، ولم يبعد غناهما من انتفاع القراء والأجانب، ومن يتسبب بؤس وصداقة إليهما. فقولها «حب الجميع إليهما» مقصور على النسب، وآخر البيت معروف إلى الصديق التريب. وساغ أن يُرَادَ بالجميع الحى كلهم لاجتماعهم حوله. والجميع والجمع: المجتمعون. والجمع: المتفرقون. قال:

(١) هو سعد بن تائب. الحاسية ١٠ ص ٧٤.

(٢) صدره: * ولم يستقر في أمره غير نفسه *

(٣) ل: «والتعلقين».

* من بين جمع غير جمع^(١) *

٧- إذا افتقر لم يجتثما خشية الردى ولم يخش رزءا منها موليها
تريد أنهما إذا مسهما الفقر ، وضاق بهما الأمر ، لم يلزما بيوتهما تاركين
لفرزو والتجوال في طلب المال ، خوفاً من الهلاك ، وميلاً إلى الراحة عن التسيار
لكثما يستعان للاكتساب ، ويتحلمان من المشاق ما يئالان به متأهلاً ،
أوبقيان به الشذر [عند^(٢)] من راعى أحوالهما . وقولها « ولم يخش رزءا منها
موليها » تريد أنهما لا يستحلمان موليتهما عيثاً من فقرها ، ولم يضعا أنفسهما
في موضع الارتزاء منها ، وجبر الحال بالمها وبسارها ، وهذا كقول الآخر^(٣) :
أبو مالك قاصير قصره على نفسه [ومشيغ غناه^(٤)]

وقولها « لم يجثما » من جثم الطائر . وم يستوف من رضى بقره وصار
ليته كبعض أحلاسه : الضاجع والضجيج^(٥) ؛ لأن الضجعة خفض العيش .
وإلى هذا المعنى يشير القائل في ذمه قوماً :

أولئك مَعَشَرٌ كَبَنَاتِ نَفْسٍ ضَوَاجِعُ لَا تَسِيرُ مَعَ النُّجُومِ^(٦)
وبرُؤَى : « رَوَاكِد » . وانتصب خشية الردى على أنه مفعول له . وقولها
« مولياها » ليس يراد به التثنية ، بل المراد به الكثرة . وعلى ذلك قولهم :
لبيك وسفديك .

(١) لأبي قيس بن الأسلت الأعصاري في القشمية ٧٥ . وصدوره :

* حتى تجلت ولنا غاية *

(٢) التكلة من ل .

(٣) هو للتخل المثل . ديوان المذلين (٢ : ٣٠) .

(٤) التكلة من ل وديوان المذلين .

(٥) يضم الضاد وكسرهما .

(٦) انظر الأزمنة والأمكنة للرزوقي ٣٧٢ . وفي اللسان (ضج) :

أولئك قبائل كبنات نفس ضواجع لا يترن مع النجوم .

٨ - لَقَدْ سَأَنِي أَنْ عَنَسَتْ زَوْجَتَاهَا وَأَنْ عُرِّيَتْ بَعْدَ الْوَحْيِ فَرَسَاهَا

٩ - وَلَنْ يَلْبِثَ الْقَرَشَانُ يُسْتَلُّ مِنْهَا خِيَارُ الْأَوَاسِي أَنْ يَمِيلَ نَحْوَهُمَا

يقال : عَنَسَتِ الْمَرْأَةُ وَعَنَسَتْ بِالْتَشْدِيدِ ، إِذَا قَعِدَتْ بَعْدَ بُلُوغِ النِّكَاحِ أَعْرَاسًا لَا تُنْكَحُ . وَيُسْتَعْمَلُ فِي الرَّجُلِ أَيْضًا . قَالَ :

* حَتَّى أَنْتَ أَشْمَطُ نَاسٍ *

كَأَنَّهُمَا كَانَا تَزَوَّجَا بَارَأَيْنِ وَلَمْ يَحْوُلَا^(١) ، وَلَمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِمَا مَا اتَّفَقَ
بَيْنَهُمَا عَلَى حَالِهِمَا زُهْدًا فِي النَّكَاحِ بَعْدَهَا ، وَعِلْمًا بِالْأَعْتِيَاضِ مِنْهَا . فَقَوْلُ :
زَادَ ذَلِكَ فِي مَسَاءَتِي ، وَزَادَ فِيهَا تَقْرِيبًا مِنَ الْإِسْرَاجِ وَالْإِلْهَامِ ، بَعْدَ أَنْ
كَانَا يُسْتَعْمَلَانِ عَلَى مَا يَتَرَضُّ لَهَا مِنَ الْخَفِيِّ فِي غَزْوِ الْأَعْدَاءِ وَغَيْرِهِ . وَإِنَّمَا سَأَلَهَا
مِنْ الْأَمْنَةِ فِي الْجَوَانِبِ الَّتِي كَانَا يَقْصِدَانِ وَيُوقِعَانِ بِهَا بَعْدَ الرِّقْبَةِ
الشَّدِيدَةِ ، وَمَا عَلِمَ^(٢) أَنَّهُمْ وَجَدُوهُ وَلَزِمُوهُ مِنَ الشَّيْءِ وَإِظْهَارِ الْفَرَحِ وَالْمُسْرَةِ .
وَقَوْلُهُمَا : « لَنْ يَلْبِثَ الْقَرَشَانِ » جَعَلَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ عَرَشًا بِهِ كَانَ يَثْبِتُ
وَيَقُومُ ، فَيَقُولُ : الْقَرَشَانِ إِنَّمَا يَبْقَاؤُهُ بِمُؤَدَّهِ ، فَلَمَّا انْتَزَعَ خِيَارَهَا مِنْهُ فَلَنْ يَلْبِثَ
أَنْ يَمِيلَ سَقْفُهُ فَيَسْقُطَ . وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَتْهُ لِمَزْ ذَوِيهِمَا ، وَإِذْ قَدْ مَضَى فَيُوشِكُ
أَنْ يَتَّخِذَ وَيَنْخَفِضَ . وَالْأَوَاسِي : جَمْعُ آسِيَّةَ ، وَهِيَ الْأَوَاطِينُ . وَالنِّفَاهُ ، بِكَسْرِ
الْعَيْنِ وَالتَّحْدِيدِ : سَقْفُ الْبَيْتِ . وَالنَّمَا بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ لَفَةً .

(١) كُنَّا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي النُّسخِ وَعِنْدَ الْبِرْزِيِّ ، وَلَمْ يَضَحْ لَنَا

مَا الْمُرَادُ بِالتَّحْوِيلِ .

(٢) ل : « وَمَا عَلِمْتُ » .

٣٨٧

وقال الآخر :

١- صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى صَفِيِّ مُدْرِكٍ يَوْمَ الْحِسَابِ وَتَجْمَعُ الْأَشْهَادُ

٢- نَعَمْ الْفَتَى زَعَمَ الرَّفِيقُ وَجَارُهُ وَإِذَا تَصَبَّصَ آخِرُ الْأَزْوَادِ

يُرْوَى : « وَتَجْمَعُ الْأَشْهَادُ » تجرؤه وتعطفه على الحساب ، ويكون تَجْمَعُ في معنى جَمْع . وَيُرْوَى « وَتَجْمَعُ » بالنصب ، ويكون ظرفَ مكانٍ ومعطوفاً على يَوْمَ الْحِسَابِ . وَالصَّلَاةُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى : الرَّحْمَةُ . وَالرَّادُ : رَحِمَ اللَّهُ مُدْرِكًا صَفِيًّا فِي الْوَدِّ ، رَحْمَةً تَأْتِي مِنْ وَرَاءِ ذُنُوبِهِ ، وَتُقَيِّدُ عَلَى سَوَابِقِ قَرَّطَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِذَا حَضَرَ الشُّهُودُ وَوُضِعَ الْحِسَابُ عَلَى تَحَاكُمِ الْخُصُومِ ، وَقَامَ الْجَزَاءُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَى الْمُطِيعِينَ وَالْمُعْصَاةِ .

وقوله : « نَعَمْ الْفَتَى » المدحوح محذوف ، كأنه قالِ نَعَمْ الْفَتَى مُدْرِكٌ . قَالَ :

وليس هذه الشهادة مني ومن جهتي ، ولا من جملة مدحجي ، على عادة الناس في تأييد الهلاك ، ولكنها بما أذاه وكثره رفاقؤه في السَّقَرِ ، وجيرانه في الحَضَرِ فهي حكاية ألسنتهم ، ومؤداة قضيتهم . وقوله « وَإِذَا تَصَبَّصَ آخِرُ الْأَزْوَادِ » معنى تصبصب قَرَبٌ مِنَ النَّفَازِ . يريد : وَنَعَمْ الْفَتَى هُوَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لِأَنَّهُ يُوَثِّرُ غَيْرَهُ بِالطُّغْمِ عَلَى نَفْسِهِ . وتلخيص الكلام : نَعَمْ الْفَتَى مُدْرِكٌ فِي الْمُرَافَعَةِ وَالْجَاوِزَةِ ، وَعِنْدَ نَفَازِ الزَّادِ . وَالْأَشْهَادُ : جَمْعُ الشُّهُودِ . وَاكْتَفَى زَعَمَ بِالْقَاعِلِ فِي اللَّفْظِ ، لِأَنَّهُ مَفْعُولُهُ دَلَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِمَا .

٣- وَإِذَا الرُّكَّابُ تَرَوَّحَتْ ثُمَّ اغْتَبَدَتْ حَتَّى الْمَقِيلِ فَلَمْ تَمُجْ لِحْيَادِ

يريد : ونعم الفتي هو إذا وصلت الرُّكَّابُ السَّيْرَ بالشَّيْءِ ، فلم تَطْفُفْ
 لانحرافٍ وازورار ، ولم تعرَّجْ لإصلاح شأن ، لكنها استمرت ووجدت لما
 أزعجهم وبسَّتهم على استدامة التَّشْمِيرِ ، وتمجيل الحركة وترك التَّقْصِيرِ ، وطىَّ
 المنازل ، واستقصار المراحل . ومعنى تَرَوَّحَتْ راحت . والرَّوَّاحُ : السَّيُّ .
 وراحت الإبلُ رَوَّاحًا . والإراحة : رَدُّ الإبلِ عَشِيًّا مِنَ الرَّعْيِ . يقال : سَرَحَتْهَا
 بِالْعَدَاةِ ^(١) وأرَحَّهَا بِالْمَشْيِ . ومعنى اغْتَدَّتْ حَتَّى الْمَقِيلِ : سارت غُدُوًّا إلى وقت
 القيلولة . أى كَانَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَأْتِي بِمَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْمَذْحُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَرُقَاتِهِ ،
 لِكُرْمِ صَحَابِهِ ، وَحَسَنِ رِفَاقَتِهِ . ومعنى « لَمْ تَمُجْ » لَمْ تَطْفُفْ . يقال : عَاجَ
 عَوْجًا وَعِيَابًا . والحِيَادُ : الإِعْرَاضُ عَنِ السَّيْرِ لِلزُّوْلِ . والفعل منه حَادَ . ويقال :
 مَا لَكَ عَنْ هَذَا يَحِيدُ وَيَحِيدَانُ وَيَحِيدُ .

٤ - حَتَّوْا الرُّكَّابَ تَوْبِيْهَا أَنْضَاوْهَا فَزَهَا الرُّكَّابَ مَغْنِيَانِ وَحَادٍ ^(٢)

٥ - لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يُحْشُوا مُذْرَكَآ وَضَعُوا أُنَامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ

وصف وزاد فَنَانَهُ بعد فَنَانِهِ ، وَزَوَّارَ قَبْرِهِ طلبًا لِحَيَاتِهِ ، فيقول : استمحلوا
 رواحِلَهُمْ وحَضُّوْهَا عَلَى قَصْدِهِ والوصول إلى بَابِهِ ، ومهازِيلُهَا التي قد أَثَرُ بُعْدُ
 الشُّقَّةِ فِيهَا فَأَنْضَاوْهَا ، تَوْبُؤُهَا إِلَيْهَا إِذَا نَزَلَتْ ، أى سِيرَ النَّهَارَ كُلَّهُ حَتَّى يَتَّصِلَ
 سِيرُهَا بِاللَّيْلِ ، طَلَبًا لِلتَّلَاحُظِ مَعَهَا ، فَاسْتَحْفَهَا وَنَشَطَهَا مَغْنِيَانِ بِالْعَدَاءِ ، وَسَاقَتْ
 يَحْدُوْهَا ، حَتَّى وَصَلُوا ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنْفُسَهُمْ قَدْ قَدَّتْ مُذْرَكَآ بِعَنِ الرُّبَى أَمْسَكُوا
 عَلَى أَكْبَادِهِمْ خَوْفًا مِنْ تَصَدُّعِهَا ، إِذْ لَوْ أَدْرَكُوْهُ حَيًّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النِّقْيِ
 إِلَّا مَا لَا يُعَدُّ حَاجِرًا وَلَا مَا تَمَّا .

(١) سرحت للشيء سرحا وسرحوا ، وسرحتها أنا سرحا ، يتعدى ولا يتعدى .

(٢) التبريزي : « تَوْبِيْهَا أَنْضَاوْهَا » . قال : « وَرَوَى : تَوْبِدْهَا » .

إن قيل : لِمَ جاز لك رأهم ، والفاعلون هم المفعولون ، وأنت لا تقول ضَرَبْتُ ولا ضَرَبْتُكَ ، بل تأتي بدل ضمير التصوب بالنفس ، تقول : ضربتُ نفسي وضربتُ نفسك ؟ قلت : إن أفعال الشك واليقين جُوزَ فيها ذلك . تقول : حَسِبْتُ ورَأَيْتُكَ وعلِمْتُ ، لمخالفتها سائر الأفعال في دخولها على المبتدأ والخير . وقوله « تَوَوَّبَهَا أَنْصَاؤُهَا » في موضع الحال من الرُّكَّاب .

٣٨٨

وقال الشيخ^(١)

في عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢) :

١ - جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكْتَ يَدُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْأَدِيمِ الْمَرْقِي^(٣)

٢ - فَنَسَحْ أَوْ يَرْكَبْ جَنَاحِي نِعْمَةً لِيُذْرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِالْأَنْفُسِ يُسَبِّحِي

يقول : جزاه الله عن الرعية خيراً من بين الأمراء ، وباركت نعمه الله -

تعالى جذه وإحسانه - في أدبه المرقى ، يعني جلد عمر رضي الله عنه ، حين

طعنه أبو لؤلؤة قتي المنيعة بن شعبة . وأصل البركة النماء والثبات . ومنه بركة

البعير برؤكاً . وبرأكاه القتال : حيث يبتزكون ، أي ينجئون على رؤبهم .

(١) هو مغل بن ضرار بن سنان بن أمية بن عمرو بن جشاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة ابن سعد بن ذبيان . والشيخ لقب له . والشيخ غضرم من أدرك الجاهلية والإسلام . وهو أحد من هجا عشرينه وأشباهه ومن عليهم بالنرى . الأغانى (٨ : ٩٧ - ١٠٤) والمؤلف ١٣٨ والأغانى ٥٨ - ٥٩ والخزانة (١ : ٢٦٤) والشعر ٢٧٤ والاشتقاق ١٧٤ . وكتب الصحابة .

(٢) يزعمون أن الجبن فاحت على عمر قبل أن يقتل بهذه الآيات . الأغانى . وقال التبريزي : « وقال أبو ريش : القى عندي أنه لزرده أخيه . وقال أبو عبد الأعماسي : هو لزره ابن ضرار أخيه » . وقد نسبها الجاحظ في البيان (٣ : ٣٦٤) إلى مزود بن ضرار .

(٣) البيان : « عليك السلام من إمام » . الأغانى : « عليك سلام من أمير » .

وقوله : « فن يَسْتَع » يريد أنْ شَأُوهُ في الإيالة واستِصلاح الرِّعِيَّة وتَقْدُ مصالِحِهِمْ لا يُدْرِك ، فن أرادَ بلوغه والارتقاء إلى غايته بَقِيَ حَسِيراً مَسْبُوقاً ، ولوركبَ جَنَاحَ النِّمَاطَةِ . يريد : لو أَسْرَعَ إِسْرَاعَهَا . وقوله « بالأس » ذَكَرَهُ على طريق تَقْرِيبِ الأَمَد . وقوله « يُسْتَق » هو جوابُ الجِزَاءِ .

٣ - قَضَيْتَ أُمُوراً ثُمَّ غَادَرْتَ بِمَدَّهَا بَوَائِجَ فِي أَكْلِهَا لَمْ تُفْتَقِ^(١) يقول : أَحَكَمْتَ أُمُوراً بِصَانِبِ نَظَرِكَ ، وَجَمِيلِ رَأْيِكَ ، وَحَسَنِ تَأْلُفِكَ^(٢) ثُمَّ أَعْجَلْتَ فَتَرَكْتَ بِسَدِّهَا دَوَامِيَّ وَخُطُوباً عَظِيمَةً ، هِيَ فِي أَغْطِيَّتِهَا لَمْ تَظْهَرْ وَلَمْ يُكْشَفْ عَنْهَا . وَالْفَتَقُ : ضِدُّ الرِّتْقِ ، وَكُلُّ مُتَفَضِّلٍ مُسْتَعْرِ رِتْقٍ ، فَإِذَا انْفَصَلَ وَانْكَشَفَ فَهُوَ فَتَقٌ . وَالبَوَائِجُ : الدَّوَامِيَّ الْعَامَّةُ . وَيُقَالُ : تَبَاجَهَ الشَّرُّ ، أَيْ عَهِمَ . قَالَ الشَّاعِرُ :

* فَبَجَّعْتُهُ وَأَهْلَهُ بَشَرٌ *

وَالْأَكَامُ : الْأَغْطِيَّةُ ، مِنْهُ كَيْفُ الثَّمَرَةِ . وَيُقَالُ : لِكُلِّ شَجَرَةٍ مُشِيرَةٍ كَيْفٌ وَهُوَ بُرْعُومَتُهَا .

٤ - أَبَدْتُ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمْتَ لَهُ الْأَرْضُ تَهْتَزُّ الْعِضَاءُ بِأَسْوَاقِ قَوْلِهِ « أَبَدْتُ قَتِيلٍ » لَفْظُهُ اسْتِضْهَامٌ ، وَمَعْنَاهُ التَّفْطِيعُ وَالْإِنْكَارُ . وَحَرْفُ الاسْتِضْهَامِ يَطْلُبُ الْفَعْلَ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : أَنْتَهَزْتُ الْعِضَاءُ عَلَى أَسْوَاقِهَا بِسَدِّ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمْتَ لَهُ الْأَرْضُ . هَذَا عَجَبٌ .

وقوله « أَظْلَمْتَ لَهُ الْأَرْضُ » مِنْ صِفَةِ قَتِيلٍ . وَلِلْمَعْنَى أَنَّ حَصُولَ هَذَا الْأَمْرِ

(١) الْيَانُ : « بَوَائِجُ فِي أَكْلِهَا » . وَالبَاقِيَةُ : النَّاحِيَةُ .

(٢) التَّالَةُ : التَّلَسُّكُ وَالتَّصِيدُ .

وجريانه على ما كان منكراً فطبع ، بعد ما اتفق على قتيل هذا صفته . والمضاء : شجر ، واحتسبها عضة . قال :

* ومن عضة ما يذبتن شكيرها ^(١) *

وقد مضى القول في مثل هذا البيت . ويشبهه قول الآخر ^(٢) :

أبا شجر الخابور ما لك مورفاً كأنك لم تعزن على ابن طريف
٥ — تطل الحصان البكر يلقى جنيهاً ننا خير فوق المطى مملى
٦ — وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفى سبقتى أزرق التين مطرق
الحصان : العيفة وقد أحصنت وحصنت . والبكر : التي حملت أول حملها ، فهي بكر والولد بكر والأب بكر . والننا ، يستعمل في الخير والشر . يقال : نثرت الكلام أنثوه نثوا ، إذا أظهرته . فيقول : ترى الحامل يُسقط حملها ما يُنتج من خير ساربه الركب ، وتقاذفه الأقطار ، استظافاً لوقوعه ، واستثماراً لكل بلاء وخوف منه .

وقوله « وما كنت أخشى » يقول : إني وإن لم آمن الحدثنان عليه ، وصرت أرقب جميع أسباب الردى فيه حتى ظننت ظنوناً للشفقات ، مستدفعاً للآفات عنه ، فإنه لم يحظر بيالي أن يكون في جلالتيه وارتفاع محله يرديه عبد جسر لثيم جرى ، أزرق العين ، مسترخي الأجنان . وإنما حلى قاتله بهذه الحلية تنبيهاً على حقارته في نفسه وجنسه ؛ ودعاً لأصله وفرعه ، وإعلاماً بأن الصمير من الرجال ينجى الكثير من الأمور ، وأن ما لا يقع في الوهم استبعاداً لكونه ، يشاهده الإنسان أقرب من كل قريب ، ثم لا يملك إلا استغرابه وقضاء العجب

(١) انظر اللسان (شكر) وشروح سقط الزند ١٠١١ .

(٢) هو ليل بنت طريف ، كما في جملة ابن الجري ٨٩ وجملة البحري ٤٣٥ . وقيل إن الشعر للفرارة بنت طريف . والمرث بهذه القصيدة هو الوليد بن طريف الشامي . وقد روى ابن خلكان في ترجمته القصيدة كاملة ، وهي نادرة .

منه ، والبرآم الجزع فيه . والسبنتى والسبندى ، أصله فى التبر ، ويستعمل فى الجرىء المقدم . وقال الشريدى : للطريق : الغليظ الجفن الثقيله .

٣٨٩

وقال صخر بن عمرو^(١) أخو الخنساء :

١ — وقالوا ألا تهجو فارس هائيم ومالى وإهداء الخلفاء ثم ماليا

٢ — أبى الهجر أنى قد أصابوا كريمى وأن ليس إهداء الخلفاء من شمالي^(٢)

يريد : قال الناس باعثنى لى على هجاء من أصابنى فى أخى معاوية وتحت أثلتهم ، وذكر أعراضهم : ألا تنقم منهم بالقول إلى أن يتسهل الفعل فتذكر معايبهم ، وتكشف عن مستور مخازيهم ، وبجهول مقايحهم ومساوئهم ؟ فأجبتهم وقلت : مالى وذكر التبيع وإهداء الفواحي ثم مالى ؟ أما تعلمون أن ما يبنى وينهم أفدع من الهجاء ، وأن جزءا من أصاب كريمى أنفع من الإهجار ، وأنه ليس قول التبيع وتنقص الناس من عادى وطبيعى ، إذ كنت أربأ بقدرى عن الوقوف موقف اللعنتين والطاعنين فى الأنساب والأعراض . وقوله « ومالى وإهداء الخلفاء » انتصب إهداء بفعل مضمى ، وتكريره ليمالى دلالة على استقباحه لما بُعث عليه ، ودعى إليه . والخلفاء هو الفحش ، كأنه قال : مالى ألايس الخلفاء وأنكفئه . وقوله « أصابوا كريمى » فالكريمة أخرج إخراج

(١) هو صخر بن عمرو بن الحارث بن العريد ، من أشراف بني سليم ، أخو الخنساء الشاعرة الصحابة ، وقد مات قبلها فرثته رثاء صادقا ، وضرب بمنزنها عليه اللث ، ويدعوا أنه مات قبل الإسلام . وفى ذلك حول الخنساء : كنت أبكى لصخر من القتل ، فأنا أبكى له اليوم من النار . انظر ترجمته مع الخنساء فى الأغاني (١٣ : ١٢٩ — ١٤٠) والحزاة (١ : ٢٠٧ — ٢١١) والشراء ٣٠١ — ٣٠٦ .

(٢) التبريزى : « أبى الهجو » .

للصادر . وعلى ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه ^(١) » .

ويجوز أن تكون الماء للبالغة . وقوله « وأن ليس إهداه الخلق » أن مخففة من الثقيلة ، واسمه مضمر ، والجملة التي بعده في موضع الخبر ، وموضع أن رفع بكونه معطوفاً على أني قد أصابوا ، وأنني فاعل أبي الهجر .

٣ - إذا ما مرؤاً أهدى لميت تحية فحياتك رب الناس عني معاوية

٤ - لنعم الفتى أدى ابن صيرمة بزه إذا راح فحل الشول أهدب عارياً ^(٢)

يقول : إذا رجل حياً ميتاً فتولى الله تعالى عني تحيتك يا معاوية . والتحية من الله تعالى الإكرام والإحسان ، والتفضل عليه بما هو أهله .

وقوله « لنعم الفتى » الممود بهذا الكلام محذوف ، كأنه قال : لنعم الفتى الذي ذا صفته . وقوله « أدى ابن صيرمة بزه » أراد سلاحه وسلبه . وقوله « إذا راح » ظرف لما دل عليه نيم الفتى . أي يحمدي في هذا الوقت إذا اشتد الزمان وأجدبت الأرض ، وانصرف فحل الشول من مرعاه عارياً من اللحم مهزولاً ، لكثرة أفضاله ، وحسن تقدمه ، وانصالي بره بمن يجمعه إليه نسب أو سب . والشول : الثوب القليلة الألبان ، واحدها شائلة . وابن صيرمة المذكور يجوز أن يكون القاتل لمعاوية أو للمعين عليه .

٥ - وطيب نفسي أنني لم أقل له كذبت ولم أخل عليه بما ليا

٦ - وذى إخوة قطعت أقران بينهم كما تركوني واحداً لا أخالياً

(١) هو حديث أنه أكرم جرير بن عبد الله لما ورد عليه ، فبسط له رداءه وعلمه به . وقال : « إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه » .

(٢) بضم عند البرزى :

إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرة وخشيت رما عند لية ناويا

تَسَلَّى فِيمَا أَوْجَعَهُ مِنَ الرُّزْءِ بَأَن لَّمْ يَكُنْ جَفَاءً وَهُوَ حَتَّى قَوْلَا وَلَا فِئْلًا ، ثُمَّ تَسَلَّى أَيْضًا بِأَنَّهُ كَمَا فَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَتِهِ وَتَرَكَّ فَرِيدًا وَحِيدًا ، قَدْ تَوَلَّى مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ مُعَادِيهِ ، فَرُبَّ إِخْوَةٍ مُتَنَاصِرِينَ صَارَتْ كُلُّهُمْ وَاحِدَةً ، وَأَهْوَاؤُهُمْ مُتَّفِقَةٌ ، وَهُمْ فِي تَأَلُّفِهِمْ وَنَشَابِهِمْ ، وَتِلَاوَمِهِمْ وَتَرَافُدِهِمْ ، كَالْحَلْقَةِ الْمُفْرَغَةِ لَا يَذُرِّي أَيْنَ رَأْسُهَا ، أَنَا قَطَعْتُ عِلَاقَتِي بَيْنَهُمْ ، وَوَصَلْتُ نِظَامَهُمْ ، فَتَفَرَّقُوا وَتَفَاقَدُوا حَتَّى صَارُوا فِي التَّشْتُّبِ مِثْلًا ، كَمَا كَانُوا فِي التَّجْجَعِ مِثْلًا . وَهَذَا يُلْزِمُهُ مَا فَعَلَ بِي ، وَفِي مُقَابَلَةِ مَا نَبِيلَ مَتَّى . وَالدَّهْرُ تَارَاتٌ ، وَ « مَنْ يَرَى يَوْمًا يَرُ بِهِ » . وَقَدِمْتُ الْقَوْلَ فِي قَوْلِهِ « لَا أَخَالِيَا » . وَانْتَصَبَ « وَاحِدًا » عَلَى الْحَالِ مِنْ تَرْكُونِي ، وَلَا أَخَالِيَا صِفَةً لَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : تَرْكُونِي وَحِيدًا فَرِيدًا . وَقَوْلُهُ « أَقْرَانُ بَيْنَهُمْ » أَيْ وَصَلْتُ بَيْنَهُمْ . وَأَصْلُ الْأَقْرَانِ الْحَبَالُ ، وَالوَاحِدُ قَرْنٌ . يَرِيدُ : أَنِّي قَطَعْتُ الْأَسْبَابَ الْجَامِعَةَ بَيْنَهُمْ بِقَتْلِهِمْ وَتَفْرِيقِهِمْ . وَ « بَيْنَ » جَعَلَهُ اسْمًا . وَفِي الْقُرْآنِ . ﴿ لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ ﴾ .

٣٩٠

وَقَالَتْ أَخْتُ الْقَصَصِ^(١) :

١ - يَاطُولُ يَوْمِي بِالْقَلِيبِ فَلَمْ تَكُنْ شَمْسُ الظَّهِيرَةِ مُتَّقِيً بِحِجَابِ

(١) اسْمُهَا « مَيْسُون » كَمَا ذَكَرَ التَّبْرِيزِيُّ . وَرَوَى مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ الْقَصَصَ أَخَا بَنِي الصَّوْتِ ، مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَلَابِ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ صَحْمَةَ ، خَرَجَ فِي أَيَّامِ فِتْنَةِ ابْنِ الزَّيْبِرِ يَصْدُقُ مِنْ مَرْبِهِ مِنَ النَّاسِ ، حَتَّى أَنَّ بَنِي قَتَفْزٍ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ بَنَاحِيَةَ حَضَبِ الْقَلِيبِ فَصَدَفَهُمْ ، ثُمَّ بَثَّ إِلَى حَلَالِ أَخِي بَنِي سَمَالِ بْنِ عَوْفٍ : أَنَّ إِبْشَاطَ لِي بِإِثْنِكَ . فَقَالَ حَلَالٌ : إِنْ كَانَ تَزْوِيجًا فَلْيَأْتِنَا فَإِنَّهُ كَفَّ . قَالَ : إِنَّمَا أُرِدْتُ أَنْ تَحْشَطَ رِعَوسُنَا وَتَحْشَطَ مِنَّا . فَضَرَبَ حَلَالُ الرَّسُولِ ، فَكَرَبَ الْقَصَصَ فِي فَرَسَانِ ثَلَاثَةَ حَتَّى هَجَمَ عَلَى الْحَمَى ، فَثَارُوا إِلَيْهِ ، وَكَانَ فِي الَّذِينَ ثَارُوا إِلَيْهِ مَعَ حَلَالِ فَيَّانٍ مِنْ بَنِي قَتَفْزٍ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمَتَوَضِّعُ وَالْآخَرُ الْحَسَنُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، فَثَارُوا شَوْدَ قَلِيلًا . ثُمَّ لَمَّا لَمَسَ حَلَالٌ حَلَالُ خَافَ حَلَالٌ أَنْ يَطْلُعَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ ، فَوَجَدَ

٢- «وَسَرَّجَهُ عَنْكَ الظُّنُونُ رَأَيْتُهُ وَرَأَاكَ قَبْلَ تَأْمُلِ الْمُرْتَابِ»
 قوله «يَا طُولُ يَوْمِي» لفظه نداء، ومعناه تعجب واشتكاء، وإنما استطالته
 لأنه كان يومَ تحسٍ ومكره . فيقول : يَوْمِي بِالْقَلْبِ امتدَّ وطالَ حَتَّى كَادَتْ
 الشمس لا تحتجب عن الأبصار بحجابها المعلوم ؛ فياله مِنْ يَوْمٍ مَا أطولُه .
 والقليب : موضع ^(١) . وأضاف الشمس إلى الظهيرة كأنه لما قَامَ قَامَتْ الظهيرة
 وَقَتَّ حَيْرَى فلم تكن تَجْنَحُ إِلَى اللَّغَيْبِ ، ولا كانت تسير فتَمُوتُ لِلغُرُوبِ .
 وقوله «وَسَرَّجَهُ عَنْكَ الظُّنُونُ» وَصَفَهُ بِأَنَّ الْأَفَاقَ عَلَى بُدْهَا كانت
 قَرِيبَةً عَلَيْهِ لِمَا أُيِّدَ [به] مِنَ الْعَزْمِ وَتَسَهَّلَ لَهُ وَفِي نَفْسِهِ مِنْ وُجُودِ السَّيْرِ ، فيقول :
 رَبِّ مُكَاشَحٍ لَكَ كَانَ عَلَى تَنَائِيهِ عَنْكَ ، وَتَحَزُّمِهِ مَعَكَ ، وَاسْتَظْهَارِهِ بِإِبْصَارِ
 الدَّارِ مِنْكَ ، بِرَجْمِ الظَّنِّ فِيكَ ، وَبُؤْسِ يَوْمٍ إِلَيْهِ مَا يَعْرِفُهُ مِنْ إِبَادِكَ فِي الْغَزْوِ ،
 وَقَلَّةِ احْتِفَالِكَ فِيمَا تَرْكِبُهُ بِلَوَاحِقِ التَّعَبِ ، وَعَوَارِضِ الْخَطَرِ — أَنْكَ تَقْصِدُهُ
 وَتَوْفِيقَ بِهِ آمَنْ مَا كَانَ مِنْكَ ، وَهُوَ فِي وَسْوَاسِهِ لَمْ يَحْدُثْ نَفْسُهُ بِتَأْمُلٍ مَا وَقَعَ
 فِي خَلَدِهِ ، وَلَا بِالْكَشْفِ عَمَّا ارْتَابَ لَهُ ، إِذْ أَنْتَ أَنْبَيْتَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُهُ ،
 وَاسْتَبَحَّتْ حَرِيئَتُهُ ، وَاسْتَقْنَمَتْ مَالَهُ . وقوله «قَبْلَ تَأْمُلِ الْمُرْتَابِ» يجوز أن
 يريد به قبل تَأْمُلِهِ ، فيكون المرتاب هو الْمُرْجَمُ الْمَكَاشِحُ . ويجوز أن يكونَ
 جَعَلَهُ مَثَلًا .

== أنفة صرزة في الرماد فاطلها ورماء بها ، فركب ردعه ومات ، وانهمز أصحابه ومروا على
 جعدة ابن عبد الله ، أخی بنی غیظ بن مالک ، فقطوه فقال هلال :

أعددت لهيبا ويوم للشهد وللأحاديث التي بعد النهد
 * مستوحشاً والحسن بن الأسود *

فركب أولياء القصص حين هدأت الفتنة إلى المجابج فذكروا أمر صاحبهم وأمر
 النبطي ، فأهدر دم القصص وأطاحم بالنبطي ، فقالت أخت القصص هذه الأبيات .

(١) في معجم البلدان : «حسب القليب بنجد . والحضب : جبال سقار . والقليب في
 وسط هذا الوضع يقال له : ذات الإسداد ، وهو من أسمائها . وعنده جرى داحس والبراء» .

وقد ألم بهذا المعنى أبو تمام في قوله :

أَسْرَتْ لَكَ الْآفَاقَ غَزْمُهُ هِمَّةٌ جُبِلَتْ عَلَى أَنَّ لِلْسَّيْرِ مَقَامٌ

٣- فَأَفَاتَ أَدَمًا كَالْهَضْبِ وَجَامِلًا قَدْ عُدْنَ مِنْهُ عِلَافِي الْقَصَابِ^(١)

٤- لَكُمْ الْقَصَصُ لَا لَنَا إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَأْتِكُمْ خَيْلٌ ذُووِ اخْتَابِ

يقول : غَزْمُهُ هِمَاتُهُ جَمَاعَتُهُ مَالَهُ فَيْثًا وَغَنِيمَةً : نَوْحًا كَالْجِبَالِ سِمَانًا ، وَذِكْرُهُ عِظَامًا ضَخَمَانًا ، عُدْنَ كَأَنَّهُ يَسْتَنْهَا الْجَزَارَ لِلنَّحْرِ .

وقوله : « لَكُمْ الْقَصَصُ لَا لَنَا » يقول : إِنْ لَمْ تَأْتِكُمْ خَيْلٌ إِذَا طَلَبُوا النَّارَ

طَلَبُوهُ عَنْ امْتِنَاعٍ وَشِدَّةِ أَنْفَةٍ ، وَجِدَرٍ فِي الْأَمْرِ وَاجْتِهَادٍ ، فَيَقُلُ الْحَسِبِ

الْكَرِيمِ الَّذِي لَا يَغْتَضُّ عَلَى قَدَى ، وَلَا يَصْبِرُ فِيمَا يَحِقُّ لَهُ عَلَى أَدَى ، فَأَتَمَّ أَوْلِيَاءَهُ

دَرِيَّةً مِنْ دُونِنَا ، وَالْمَالُ الْكَوْنُ لَهُ سَوَانًا . وَقَدْ تَرَكْنَاهُ لَكُمْ ، وَفَرَقْتُمْ بِمَا أَصْبَحْتُمُوهُ ،

وَاسْتَمَرَّ أَنْتُمْ مَا طَعِمْتُمُوهُ . وَقَوْلُهُ « أَفَاتَ » مِنَ الْفَاءِ : الْفَنِيمَةُ ، لَا مِنَ الْفَاءِ

الرَّجُوعِ . وَالْجَامِلُ مُوَحَّدُ اللَّفْظِ مَصْنُوعٌ لِلْجَمْعِ ، وَرِادَةُ الْإِبِلِ ، لَكِنَّهُ مُشْتَقٌّ

مِنْ لَفْظِ الْجَمَلِ ، كَالْبَاقِرِ مِنَ الْبَقَرِ . وَالْعِلَافِي : جَمْعُ الْعِلَافَةِ ، وَهُوَ مَا يَسْتَنْ فِي

الْبُيُوتِ . وَيُقَالُ : شَاءَ مُكَلَّفَةً ، أَيْ مَسْنُونَةً . وَالْقَصَابُ ، بِنَاءُ بِنَاءٍ مَا يَكُونُ

آلَةً ، فَهُوَ كَالْمِخْرَاجِ ، لَا بِنَاءَ مَا يَكُونُ الْحِرْفَةِ وَالزَّوَالَةَ . وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ

« الْقَصَابُ » ، وَهُوَ مِنَ الْقَضْبِ : الْقَطْعُ وَالْقَضْلُ ، لِأَنَّهُ يَقْضَبُ الشَّاةُ أَيْ يَقْطَعُهَا .

(١) رواية التبريزي : « المصناب » ، وقال في تفسيره : « المصناب : للزرعة التي تنبت القصب ، وهو القصب . فأرادت أنهم من الحب في روضة مستكة كاستكائك نبات القصب . وقيل : للمصناب شبه منجل . تريد كأنها علائف سميت للبحر . والمصناب أيضاً : الرجل الكثير الطلع . والقصاب : الذي صناعته ذلك . فإذا روى القصاب فضاء مثل علائف الذي ينجر من كثيرها . ومن روى المصناب بالصاد نسبة إلى القصب . ويحتمل أن يكون المصناب : الوضع الكثير القصب ، كما أن المصناب للوضع الكثير القصب » .

٥ - وأَبُو الْيَتَامَى يَنْبُتُونَ بِيَابِهِ نَبَتَ الْفِرَاشِ بِمُكَلِّيٍ مِفْشَابٍ^(١)
 ٦ - فَكِهٍ إِلَى جَنْبِ الْخِطْوَانِ إِذَا غَدَتِ نَسْكَبَاهُ تَقْلَعُ ثَابِتَ الْأَطْنَابِ
 قوله « وأبو اليتامى » أى كان يكفلهم ويعولهم ، ويشفق عليهم ويتحذب ،
 حتى كأنه أبوم . وارضع « أبو » كأنه خبر ابتداء محذوف كأنها قالت : وهو
 لليتامى أب . ومعنى « يبتتون بيباه » يروى « فناه » ، واتصافه على أنه أخرجه
 إلى باب الظروف ، كما قيل ذلك بمقعد القابلة ، ومناط الترياً وما أشبههما .
 وللعنى أنهم يدرّون فى فناه وينعمون ، تربى فرأى الطير بمكان كثير
 العشب والكلأ . ويقال : أكلأ الموضع ، إذا صار ذا كلأ وعشب .
 وللعشاب : الكثير العشب .

وقوله « فكهٍ إلى جنب الخوان » قاله : الكثير للراح والعشب^(٢) ،
 تأنيذا للضيف وبسطاً منه ، كما قال الآخر^(٣) :

• أَحَدُهُ إِنْ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى^(٤) •

وقوله « إِذَا غَدَتِ » ظَرَفُ الْفَكِهِ . يريد : يفاكه الضيف عند الأكل
 بمثل الكلام ، كى يستأنس ويتسع الوقت له فيستوفى . وإلى من قوله « إلى
 جنب الخوان » تعلق بفعل مضمر دل عليه فكه ، كأنه مع قرب الخوان
 يفسكه . و « إِذَا غَدَتِ نَسْكَبَاهُ » يريد وقت البرد وهبوب الريح الباردة
 المزعزعة للبيوت ، القائمة لأوتادها وحبالها . ومنه إطنابهُ الحزْمِ وَالْقَسَى .
 والجميعُ الأطناب . قال :

(١) روى التبريزى هذا البيت بعد تاليه .

(٢) اتفقت النسختان فى هذا الضبط .

(٣) هو عتبة بن جبير ، أو مسكين الهارمى ، كما سيأتى فى القسم الرابع من الحماسة .

(٤) عجزه : وتعلم قسى أنه سوف يهجم •

* يَرْكُضَنَّ قَدْ قَلِقَتْ عَقْدُ الْأَطَانِيبِ ^(١) *

٣٩١

وقالت عمرة بنت مرداس ^(٢) ترى أباها عباسا :

١- أَعْنَيْ لَمْ اخْتَلِكَمَا بَحْيَانَةً أَبِي الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ أَنْ تَتَصَبَّرَا
٢- وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ كَأَنِّي بَعِيرٌ إِذَا يُنْتَى أَخِي تَحَصَّرَا
٣- تَرَى الخُفْمَ زُرُورًا عَنْ أَخِي مَهَابَةً وَلَيْسَ الْجَلِيسُ عَنْ أَخِي بَارُورًا
يقول : يا عني لا أقول إنكما لم تجزعا ولم تدرعا ، ولم تخلطا بدمع دما ،
فأكون قد خدعتكما بحيانة استعملتها معكما . وكيف لا تكونان كذلك والأيام
والليالي امتننت عليكما أن تصبرا فيها ، إذ كانت تحملتكما من أعباء الرزية
فما استنفدت ومُسَكَمَا ، واستغرق طوقكما ، حتى نُرِفَتْ دموعكما ، وتوقفت عن
الإجابة شؤركما ، فابقي منكما إلا شفا .

وقولها : « وما كنت أخشى » يقول : كنت قبل هذه الرزية واثقا بقوتي
وصبري ، ومُسَكَيَّ وعقلي ، حتى لا أخشى — إذا أخطرت بيالي أحداث الدهر
وتأثيرها في الأحبة والأهل — سوء احتمال فيها ، وضعف مُنَّةٍ عنها ، إلى أن
يُنْعَى أَخِي فوردَ له على نفسي ما أبدلني بالتأسك تهالكا ، وبالتثبث نساظا ،
حتى صرت كَأَنِّي بَعِيرٌ أُلِجَّ عليه فتحسّر ورزح ، وعُقِلَ في مَبْرَكِهِ بالعجز
فأبرح .

(١) البيت لسلامة بن جندل ، ولم يروى ديوانه ولا في اللقبليات . لكن نسب في
الأساس إلى النابغة ، ومع ذلك لم يرد في ديوان النابغة في قصيدته التي على هذا الروي .
وصدره في اللسان :

* حتى استغن بأهل للبح ضاحية *

(٢) سبقت ترجمة أخيبا في الحماسة ١٤٩ ص ٤٣٣ .

وقولها « تَرَى اَنْخَصَمَ زُورًا » جعلت اَنْخَصَمَ للجمع فلذلك قالت زُورًا .
 والصدْرُ إذا وُصِفَ به يُقَى على حاله فلم يُنَنَّ ولم يجمع . وقد قيل : خَصَمَانُ
 وَخُصُومٌ ، لَمَّا غلبت عليه الوصفية وكثر في الاستعمال أُجِرَى عليه حكمُ الصَّغَةِ .
 والمعنى : تَرَى مُنَابِذِي أُخَيٍّ مُنْحَرِفِينَ عَنْهُ وَعَنْ كُلِّ مُتَّصِلٍ بِهِ ، مَسَالِمِينَ لَهُ
 وَلَنْ أَعْلَقَ حَبْلَهُ بِحَبْلِهِ ، إِعْظَامًا لَهُ وَتَهَيُّبًا ، وَإِكْبَارًا وَتَخَوُّفًا . وَتَرَى جُلَسَاءَهُ
 وَتُدْمَاهُ مَبَاسِطِينَ لَهُ وَمُسْتَأْنِسِينَ بِهِ ، لَا يَتَدَاخَلُهُمْ مِنْهُ رُغْبٌ ، وَلَا يَقْبِضُهُمْ عَنْهُ
 تَجَبُّهُ وَكِبَرُ . وَانْخَلْتُ : لِلْكَسْرِ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ تَخَادُعٌ عَنْ قَفَلَةٍ . وَإِنَّمَا قَالَ
 الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالْأَيَّامِ الْأَحْدَاثَ . وَهَذَا كَمَا قِيلَ لِلْوَقْعَاتِ : الْأَيَّامُ .
 وَإِنَّمَا صَفَّرَتْ الْأَخَّ لِلتَّعْلِيفِ الْحُلِّ . هَذَا عَلَى قَوْلِهِمْ صُدِّقِيَ . وَالتَّعَشُّرُ : الضَّمْفُ
 عَنِ الْإِعْيَاءِ . وَيُقَالُ الْخُسْرُ وَالْخُسُورُ أَيْضًا . وَحَسَرَتِ النَّفْثَةُ فِيهِ حَسِيرٌ وَالْجَمْعُ
 الْخُسَرَى . وَلَكَ أَنْ تَرَوْى : « أُخَيٍّ » وَهُوَ الْأَصْلُ ، وَ« أُخَيٍّ » فَتَحْذَفَ يَاءُ
 اسْتِفْالًا لِاجْتِنَاعِ الْيَاءَاتِ ، وَتَبَيَّنَ عَلَى الْفَتْحِ لِأَنَّهُ أَخْفُ الْحَرَكَاتِ . وَانْتَصَبَ
 « مِهَابَةٌ » لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ .

٣٩٢

وَقَالَتْ رِبْطَةُ بِنْتُ حَاصِمٍ :

- ١- وَقَفْتُ فَأُبَكِّتُنِي بِدَارِ عَشِيرَتِي عَلَى رُزْنَيْنِ الْبَاكِاتِ الْخَوَاسِرِ
 - ٢- فَعَدَوَا كُسُوفَ الْهِنْدُورِ أَدَحَوْتِي مِنَ اللَّوْتِ أَعْيَا وَزِدْهَنْ الْمَصَادِرُ
 - ٣- فَوَارِسُ حَامِئِمْ عَنْ حَرِيمٍ وَحَافِظُوا بِدَارِ النَّسَايَا وَالْقَنَّا مُنْشَجِرٌ^(١)
 - ٤- وَلَوْ أَنَّ سَلَى نَالَهَا مِثْلُ رُزْنِنَا لَهَذَتْ وَلَكِنْ تَحْصِلُ الرُّزْءُ حَامِرُ
- تَقُولُ : دَعَانِي مَا أَصِيبْتُ بِهِ فِي عَشِيرَتِي إِلَى الْوُقُوفِ بِدَارِهِمْ ، فَشَجِيتُ

(١) التَّيْبَرِيُّ : « عَنْ حَرَمِي » .

يَسْجِي النِّسَاءُ النَّوَادِبَ الْحَوَاسِرَ ، حَتَّى بَكَيْتُ لِبَكَائِهِنَّ عَلَى حَادِثِ الرُّزْمِ ،
وَاتَقَهَرْتُ آثَارَهُنَّ فِي الْهَلَعِ وَالْحَزْنِ .

وقولها « غَذَوْا كَسِيفَ الْهِنْدِ » أَخَذَتْ تَصِفُ حَالَ عَشِيرَتِهَا فَقَالَتْ :
ابْتَكُرُوا وَهَمَّ فِي خِلَقِهِمْ وَتَجَرَّدُوا ، وَصَفَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ ، كَسِيفَ الْهِنْدِ ، فَوَرَدُوا
حَوْمَةً مِنَ اللَّوْتِ أَعْجَزَ الصَّدْرَ عَنْهَا . وَالْحَوْمَةُ : مُعْظَمُ الْحَرْبِ وَغَيْرِهَا . وَحَوْمَةُ
الْبَحْرِ : أَوْ كَثْرُ مَوْضِعٍ مِنْهُ مَاءٌ ، وَكَذَلِكَ حَوْمَةُ الْحَوْضِ . وَيُقَالُ : حَامَ الطَّائِرُ
عَلَى الْمَاءِ يَحْمُومُ حَوْمًا ، إِذَا دَارَ عَلَيْهِ فِي الطَّيْرَانِ .

وقولها « فَوَارِسُ حَامُوا عَنْ حَرِيمٍ » وَصَفَتْهُمْ بِأَنَّهُمْ حَفِظُوا مَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ
حِفْظُهُ مِنْ حَرِيمِهِمْ . وَفِي التَّمَثُلِ : « لَا بُقْيَا لِلْحَيَّةِ بَدَاحِرَامِ » أَيْ عِنْدَ
الْحُرْمَةِ ، وَالْحُرْمَةُ : مَا لَا يَحِلُّ لَكَ اتِّهَاكُهُ ، وَكَذَلِكَ التَّحَارُمُ ، وَاحِدَتُهَا
تَحْرِمَةٌ . قَالَ :

* وَتَحْرِمَاتٌ هَتَكُكُمْ يُجْزَى^(١) *

وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ : حَرِيمُ الدَّارِ ، لِمَا كَانَ مِنْ حَقِّهَا .

وقولها « وَحَافِظُوا يَدَارِ النَّأْيَا » ، أَيْ ثَبَّتُوا فِي دَارِ الْحِفَافِ ، وَدَافَعُوا
وَصَبَرُوا ، وَلَمْ يَنْتَقِلُوا عَنْهَا طَلِبًا لِلسَّلَامَةِ ، وَجِرْصًا عَلَى نَيْلِ الْخِصْبِ وَالْأَمْنَةِ .

وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخَرِ^(٢) :

وَتَعَلُّ فِي دَارِ الْحِفَافِ يُبَوِّتُنَا زَمَنًا وَيَنْظُنُّ غَيْرُنَا لِلْأَمْرِجِ

وقولها « وَالتَّقْنَا مَتَشَاجِرَ » الْوَاوُ مِنْهُ وَآوُ الْحَالِ . وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى قِيَامِ الْحَرْبِ

(١) الْبَيْتُ لِلْمَجَاجِ فِي دِيْوَانِهِ ٦٨ . وَقِيلَ :

* وَجَارَةُ الْبَيْتِ لَهَا حَجَرِي *

(٢) . هُوَ الْحَادِرَةُ الدِّيَّانِي ، الْمُسَلِّيَّةُ ٨ .

بينهم ، وانتصاب الشر فيهم ، وأنَّ الطعن تلاخُطاً كما أنَّ اللقنا في الاختلاف
تداخلاً .

وقولها « ولو أن سَلَى » فسَلَى : أحدُ جبلي طيئ . والمعنى : لو أنَّ ما نزل
بنا من الرزء مثله نَزَلَ بهذا الجبل لانهَدَّ ، ولكنَّ الإنسان صبورٌ شديد ، يتحمل
كلَّ ما حُمِّل ، وإنَّ ضُوعِفَ على وُسْعِهِ وقُلَّ . وعامراً : قبيلاًهم .

٣٩٣

وقالت عائكة بنت زيد بن قنبل ^(١) :

١ - آلَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَنِّي حَزِينَةٌ عَلَيَّكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا

٢ - فَلَلَّ عَيْنَا مِنْ رَأْيِ مِثْلِهِ فَتَى أَكْرَّ وَأَحْمَى فِي الْمِجَاجِ وَأَضْمَرَا

٣ - إِذَا أَثْرَعَتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاصَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتْرُكَ الْمَوْتَ أَتَحْمَرَا

روى بعضهم أنَّ عليّاً عليه السلام استأذنَ عمر رضى الله عنه في مُكَلَّة
عائكة بنت زيد ، وهى يومئذٍ زوجته ، فقال عمر رضى الله عنه : لا غيرةَ منك
يا أبا الحسن ! فقال على عليه السلام ما زحاً : آنتِ القائلة :

آلَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَنِّي قَرِيرَةٌ عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَصْفَرَا ^(٢)

(١) هى عائكة بنت زيد بن عمرو بن نبل المدوية ، أخت سعيد بن زيد أحد المشركه .
وقد أسقط الرزوق هنا اسم جدعها « عمرو » . وهى صمايية كانت زوج عبد الله بن أبى بكر
الصديق ، ثم عزم عليه أبوه أن يطلقها لما شغلكه من مغازيه ، فطلبتها ثم تبعتها نفسه ، فسمعه
أبوه يوماً يقول :

ولم أر مثلى طلق اليوم مثلاً ولا مثلاً من غير جرم تطلق
فرق له أبوه وأذن له فارتحبها ، ثم لما كان حصار الطائف أصابه سهم فكان فيه
هلاكه ، فأت بالمدينة فرثته بهذه الأبيات . ثم تزوجها زيد بن الخطاب فاستشهد بالبيعة ، ثم
تزوجها عمر ، فاستشهد فرثته بأبيات ستأتى فى المحاسنة ٣٩٦ . انظر الإساءة ٦٩٢ من
قسم النساء ، ونوادر المخطوطات ٦٦ ..

(٢) أصفر ، من استعمل الطيب والمخوق . وهو كناية عن السورور : وإطراح الحزن .

قالت : لم أقل كذا . وعادَتْ حُرْنُهَا وَجَزَعَهَا ، ومعنى « لا تنفك » لا تزال .

وقولها « فَلِلَّهِ عَيْنَا » تعجب ، وهي في تعظيم الشيء ينسبونه إلى الله عز وجل ، وإن كانت الأشياء كلها له تعالى وفي ملكته .

وقولها « أَكْرَ » أى أكثر كرها . و « أَتَحَى » يجوز أن يكون من الحاية ويجوز أن يكون من الحمية . والمعنى : لله عينا رجل رأى مثله أكر منه وأتحى . وقولها « من » نكرة تريد رجلاً أو إنساناً . و « رأى مثله » صفة لمن . وقولها « إِذَا أَشْرَعَتْ فِيهِ الْأَسَنَةُ » ، تريد : في الهياج . ويجوز أن تريد في الموت ، أى قبله . والهياج يجوز أن يكون مصدر هائج ، ويجوز أن يكون جمع هيج ، والمراد به الحرب وقد هاجت . فتريد : إِذَا هَيْئَتِ الرَّمَاحُ لَطَعَنَةً اقْتَحَمَهَا وَتَلَقَّاهَا ، لا يحمي عنها حتى يخوض للموت بها ، فيقره أحر ، أى شديداً . ويقال : ميتة حمراء ، وسنة حمراء ، وسنون حمراوات . ويقولون : « الحُسْنُ أَحْمَرُ » ، أى طلب الجلال تُتَجَسَّمُ فِيهِ الْمَشَاقُّ .

٣٩٤

وقالت امرأة من طيء :

- ١ — تَأْوَبَ عَيْنِي نُصْبُهَا وَاكْتِثَابُهَا وَرَجَّيْتُ نَفْسًا رَأَتْ عَنْهَا لِابْنِهَا
 - ٢ — أَعْلَلْتُ نَفْسِي بِالْمَرْجَمِ غَيْبُهُ وَكَاذَبْتُهَا حَتَّى أَبَانَ كِذَابُهَا
- أصل التأوب والتأويب : سِرَّ النهار كله حتى يتصل بالليل . وقد فسَّر ابن الأعرابي قول النَّابِغَةِ :

* وَلَيْسَ الَّذِي يَخْلُو النُّجُومَ بِأَيِّبٍ ^(١) *

(١) مدراء : * تطاول حتى قلت ليس يفتنى *

على أنه من هذا من الأوبة الرجوع . والنصب ، من قولم أنصبه المرض .
والحزن ، إذا أثر فيه . قال .

﴿ تَمَنَّكَ نَصَبٌ مِنْ أُمَيْمَةَ مُنْصَبٌ ﴾

وقال الثريدي : يقال نَصَبُهُ أَيضاً . والا كَثَاب : الحزن . والمعنى أنه .
ناب عيني ، وواظب عليها من السهر والكآبة والملم النَّاصِب ، ما أثر فيها ،
وعلفت رجائي بنفس غائبة عني قد استجبت أخبارها على ، فأبطأ رجوعها إلى .
وقولها « أعلل نفسي بالرجم غيبي » تريد : أزعجني وفق وأرض نفسي
بظن مرجوم وأمل مرجو ، وحديث مؤلف ، وتمن مَزْخَرَف فيما لا حقيقة
يعتمد عليها ، ولا أمانة يتأكد الطمع فيها . ويقال : رَجِمَ الرَّجُلُ بِالغَيْبِ ،
إذا تكلم بما لا يعلم .

وقولها « وكاذبتها حتى أبان كذابها » أي استعملت ملفق الأحاديث
ومؤممة الأباطيل معها ، إلى أن برح الخفاء ، وانكشف عن جليلة الأمر النطاء ،
وتعلل رغبة الكذب عن مصدوقه الخير . والكاذبة تكون من اثنين ، كأنه
كان يكذب نفسه فتقريبه^(١) وتريد عليه .

٣ - فَلَهَقَ عَلَيْكَ ابْنُ الْأَشَدِّ لِبُهْمَةٍ أَفْرَ السَّكَاةِ طَلَقَهَا وَضَرَاهَا^(٢)

٤ - مَتَى يَذْعُهُ الدَّاهِي إِلَيْهِ فَإِنَّهُ سَمِيعٌ إِذَا الْأَذَانُ صَمَّ جَوَابُهَا

٥ - هُوَ الْأَيْبُضُ الْوَضَاحُ لَوْرُمَيْتٍ بِهِ ضَوَاحٍ مِنَ الرِّيَّانِ زَالَتْ هِضَابُهَا

تتلوه على ما فاتت عشرينه منه من حسن الدفء ، والثبات في وجه الشجاع
الذي لا يدرى كيف يذفع ، وأنى يؤتى ويُفدع ، وقد طرد الشجمان وطرقهم

(١) التبريزي : « أفر السكاة » بالراء للهامة ، قال : « وروى أفر السكاة بالزاي »

ثم قال : « وأفر السكاة - يعني بالراء - طردم » .

(٢) هتريه : تبه . وفي النسخين : « هتريه » .

دُعْرًا ، شِدَّةُ مُطَاعِنَتِهِ ، وَقُوَّةُ مُضَارَبَتِهِ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : أَفَرَّهْ : أَفَرَّعَهُ . وَاسْتَفْزَوْهُ
أَخْرَجُوهُ مِنْ دَارِهِ وَخَدَعُوهُ حَتَّى أَفَرَّهْ فِي الْجَهْلِ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَإِنْ كَادُوا
لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجَنَّكَ مِنْهَا ﴾ . وَالْبَهْمَةُ تَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ ،
وَهَاهُنَا هِيَ لِلوَاحِدِ ، بِدَلَالَةِ قَوْلِهَا « مَتَى يَدْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ » فَلَمْ تَقُلْ إِلَيْهِمْ ، فَأَمَّا
قَوْلُهَا « طَعْنُهَا وَضِرَابُهَا » فَالضَّمِيرُ جَاءَ فِيهِ عَلَى لَفْظِ الْبَهْمَةِ .

وَمَعْنَى « مَتَى يَدْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ » ، أَنَّهُ إِذَا دَعَا الدَّاعِي لِمُبَارَاةِ هَذَا الْبَهْمَةِ
وَمَنَازَلَتِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ وَيُجِيبُ ، فِي وَقْتٍ تَسْتَكُثُّ فِيهِ السَّمَاعُ لَشِدَّةِ الْأَمْرِ ،
وَالْبَاسُ الْخُفُوفُ . وَجَعَلَ الصَّمَمَ الْجَوَابَ مَجَازًا ، وَإِنَّمَا تَصَمُّمُ الْأَذَانُ عَنِ السَّمَاعِ
فَيَنْقَطِعُ الْجَوَابُ .

وقولها « هُوَ الْأَبْيَضُ الْوَضَّاحُ » تَرِيدُ خُلُوصَ النَّسَبِ وَزَكَاةَ اللَّصِيبِ ،
وَاسْتِهْزَاءً لِلَّذِي كَرِهَ فِي الْأَفْقِ .

وقولها « لَوْرُمِيَّتْ بِهِ ضَوَاحٍ » تَرِيدُ نَفَازَهُ وَحُسْنَ خُرُوجِهِ مِمَّا يَدْخُلُ فِيهِ
وَشِدَّةَ صَدْمَتِهِ ^(١) لِلْأُمُورِ ، وَتِلْجَاجِهِ فِي إِبْرَامِهَا . فَيَقُولُ : لَوْرُمِيَّتْ بَوَارِزُ هَذَا
الْجَلِيلِ بِهِ تَزَعَزَعَهَا ، وَهَذَا جَوَانِبُهَا .

٣٩٥

وقالت الموراء ابنة سبيع :

- ١ - أَبْنَى لَتَبْدِ اللَّهِ إِذْ حُشَّتْ قُبَيْلَ الصَّبْعِ نَاوَهُ
- ٢ - طَيَّانَ طَاوِي الْكَشْعِ لَا يُرْخَى لِمُظْلِمَةٍ إِزَارُهُ
- ٣ - يَمْعَى الْبَحِيلِ إِذَا أَرَا دَ الْمَجْدَ تَخْلُوعًا عِلَارُهُ

(١) كُنَّا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . وَفِي الْأَسْل : « مَقْمَتُهُ » .

تريد أنها إذا تذكّرت حال اللزى فيها كان تجرى أموره عليه ، ويأخذ نفسه به ، عاودها البكاء والنحيب . ومعنى « حُشْتُ ناره » ضمّ ما تفرّق من الحطب إليها وأوقدت . وإنما تريد ناز الضيافة .

ومعنى « طَيَّان » صغير البطن ، مهضوم الجنبين ، قليل الطعم . وقولها « ملاوى الكشح » أى يَمِضُ فى الأمور لوجه لا يُعْرِج على شىء ولا يَنْتَهِي . ويقال : انطوى كشحاً ، فيصير من باب تصبّب عرقاً . قال :
* أنح قد طوى كشحاً وأب ليذهبا^(١) *

وقولها « لا يُرْخَى لظلمة إزاره » تريد أنه إذا نابته النوائب تجرّدها فيها وهو مشرّ الإزار ، مقلّص الذيل ، فداواها بدوائها ، ونهض فيها نهضاً للفتد عليها ، الفاصل لها .

وقولها « يَمِصُّ البخيل » تقول : وإذا أراد اكتساب المجد أهان ما له لفقره والفتاة ، وفى إصلاح أمر المشيرة ، وعصى المشير عليه بالإسالك والبخل ، فخلع ربة طاعته ، وعذار احتشامه .

٣٩٦

وقالت عائكة بنت زيد^(٢) :

١ - مَنْ لِنَفْسٍ عَادَهَا أَحْزَانُهَا وَلَمَّسِينَ شَفَهَا طُولُ السَّهْدِ^(٣)

(١) كلمة « أخ » ساقطة من ل . وكلمة « قد » ساقطة من الأصل . وإثباتها من مجموع النصيف ومن ديوان الأعشى ٨٩ ومقاييس اللغة واللسان والجمهرة . وصدره :

* صرمت ولم أصرمك وكصارم *

(٢) سبق ترجمتها فى المحاسنة ٣٩٣ ص ١١٠٧ .

(٣) ضبطت فى النسختين وكذا عند التبريزى « السهد » بضمتين ، والأوفى لراعاة الشعر أن تضبط بضميتين ، يوى لفظة فى الأول .

٢ - جَسَدٌ لُفَّ في أَكْفَانِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ الْجَسَدِ

٣ - فِيهِ تَفْجِيعٌ لِمَوْتِي غَارِمٍ لَمْ يَدْعُهُ اللَّهُ يَمِشِي بِسَبْدٍ
قولها «مَنْ لِنَفْسٍ» تَوْجَعٌ وَتَشَكُّعٌ وَاسْتِفْثَاءٌ . وَعَادَهَا ، أَيْ اعْتَادَهَا . قَالَ :
* عَادَ قَلْبِي مِنَ الْعَلِيقَةِ عَيْدُ *

وَالْمَعْنَى مَنْ يُؤْمِنُ نَفْسًا بِمَا اعْتَادَهَا مِنَ الْأَحْزَانِ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهَا فِي رُزْمِهَا
مِنَ الْأَوْصَابِ وَالْآلَامِ ، وَمَنْ لَعِنَ آذَاهَا طَوْلَ الْأَرْقِ ، وَدَوَامَ السَّهْرِ .

وقولها «جَسَدٌ لُفَّ في أَكْفَانِهِ» لُفَّ بِمَا بَعْدَهُ صِفَةُ لِلْجَسَدِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ
بِمَا بَعْدَهُ ، اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْأَوْصَافِ ، لِأَنَّ قولها «فِيهِ تَفْجِيعٌ» صِفَةٌ أَيْضًا .
وَالْكَلَامُ تَحْسُرٌ وَتَلُفُّفٌ . فَيَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ جَسَدًا جُفِّزَ بِمَا يَجْهَزُ بِهِ الْمَوْتِ ،
وَفُجِّعَ بِهِ مَوَالِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْيشُونَ فِي فَنَائِهِ ، فَإِذَا لَحِقَ أَحَدَهُمْ غُرْمٌ وَقَدْ
ضَاقَتْ حَالُهُ عَنْ احْتِمَالِهِ وَسَّعَ لَهُ فِي جَنَائِهِ ، وَأَعَانَهُ عَلَى دَهْرِهِ بِمَالِهِ . وَقولها «لَمْ
يَدْعُهُ اللَّهُ يَمِشِي بِسَبْدٍ» تَرِيدُ أَقْرَبَهُ فَلَمْ يَبْقِ لَهُ شَيْئًا . وَيُقَالُ : «مَا لَهُ سَبْدٌ وَلَا
لَبْدٌ» ، فَالسَّبْدُ : الشَّعْرُ ، وَاللَّبْدُ : الصَّوْفُ .

٣٩٧

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ ^(١) :

١ - فَارِسٌ مَا غَادَرُوهُ مُلْحَصًا غَيْرَ زَمِيلٍ وَلَا نِكْسٍ وَكَلَّ ^(٢)

(١) مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَبٍّ ، كَأَنَّ فِي الْحِزَانَةِ (٤ : ٥٢٢) وَأَمَّا ابْنُ الشَّجَرِيِّ (١ :
١٨٧ ، ٣٣٣) .

(٢) وَرَوَى أَيْضًا كَأَنَّ فِي الْحِزَانَةِ : «فَارِسًا» ، بِالنَّصْبِ : قَالَ ابْنُ الشَّجَرِيِّ : «الرَّوَايَةُ
نَصَبَ فَارِسٍ بِمَضْمَنٍ يَفْسِرُهُ الظَّاهِرُ . وَمَا صَلَاةٌ ، وَالْفَرْسُ مِنْ لَفْظِ الْفَرْسِ ، لِأَنَّ الْفَرْسَ مُتَعَدٍّ
بِنَفْسِهِ إِلَى ضَمِيرِ الْمَنْصُوبِ ، وَلَكِنْ لَوْ تَعَدَّى بِحَرْفٍ جَرَّ أَشْبَرَتْ لَهُ مِنْ مَعْنَاهُ دُونَ لَفْظِهِ ،
كَقَوْلِكَ أَزِيدًا مَرَدْتُ بِهِ ، الْهَدِيرُ : أَجَزْتُ زَيْدًا ، لِأَنَّكَ إِذَا أَشْبَرْتَ مَرَدْتُ أَشْبَرْتَ الْجَارَ ،
وَذَلِكَ مَا لَا يَجُوزُ . فَالْهَدِيرُ إِذَنْ : غَادَرُوا فَارِسًا . وَبِجُوزِ دَفْعِ فَارِسٍ بِالْإِنْجَاءِ وَالْجَلَّةِ الَّتِي هِيَ =

- ٢ — لو يَشَا طَارَ به ذُو مَيْمَةٍ لَاحِقُ الْأَطَالِ نَهْدُ ذُو خُصَلٍ^(١)
- ٣ — غَيْرَ أَنَّ التَّأْسَ مِنْهُ شَيْمَةٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَجْرِي بِالْأَجَلِ
- قوله « فارس » ما غادره ، ما صلة ، والكلام فيه تفخيم لأمر المرتضى وتعظيم لشأنه . تريد : تركوا فارساً رفيع الحِلِّ مُلْحَماً ، أى طُعمَةً لِمَوَافِي السَّبَاعِ والطير . قال :

« قَدْ أَلْحَمَّنِي الْمَنَايَا السَّبْعَ وَالرَّحْمَا »

وقوله « غَيْرَ زَمِيلٍ » فالزَّمِيلُ والزَّمَالُ والزَّمَلُ : الضيف ، كأنه زُمِلَ في العجز كما يَزْمَلُ الرَّجُلُ فِي الثَّوْبِ . وقوله « وَلَا نِكْسَ وَكَلٌّ » فالنَّكْسُ : المقصر عن غاية النجدة والكرامة ، وأصله في السَّهَامِ ، وهو الذى انكسرت فُجُولُ أسنانه أعلاه ، فلا يزال ضعيفاً . والوَكَلُ : الجَبَانُ الذى يتكل على غيره فيضئع أمره .

وقوله « طَارَ به ذُو مَيْمَةٍ » حكى الحالَ والمراد لو شاء أنجاهُ فرس له ذو نشاط . وقال الخليل : مَيْمَةُ الحُضُرِ والنَّشَاطُ : أَوَّلُهُمَا وَجَدْتُهُمَا . وقوله « لَاحِقُ الْأَطَالِ » تريد : ضامرَ الجنبين . نَهْدٌ ، أى غليظٌ . ذُو خُصَلٍ ، أى من الشَّعَرِ .

وقوله « غَيْرَ أَنَّ الْيَأْسَ مِنْهُ شَيْمَةٌ » : تقول ثَبَتَ ولم يَرِ لنفسه الانقباض والإحجام ، لأنَّ الصَّبَرَ فِي الشَّدَةِ والبَأْسَ عَادَةً مِنْهُ وطبيعة ، ولأنَّ صُرُوفَ

== غادره وصف له ، وغير زميل خبره . ولا موضع من الإصراب في وجه النصب للجملة التي هي غادره ، لأنها مفسرة لحكمها حكم الجملة المفسرة . وحسن رفعه وإن كان نكرة لأنه تخصص بالصفة . وإذا نصبته نصبت غير زميل وصفاً له . ويجوز أن يكون وصفاً للحال التي هي ملحماً .

(١) لو يَشَا ، ضبطت لـ بالجرم ، وهي رواية وشاهد في أن « لو » قد تميز الفعل . انظر الخزانة وأمال ابن العبري .

الدمع تَجْرى إلى النفوس بأجلها ، ولكل حَيٍّ وقتٌ من يومٍ معلوم ، فإذا انتهى العُمر به إلى ذلك الوقتِ انقطعَ .

٣٩٨

وقال جرير ، يرثي قيسَ بنَ ضَرَارٍ^(١) :

- ١- وبأَكِيَّةٍ من نَأْيِ قَيْسٍ وقد نَأَتْ بَقَيْسٍ نَوَى بَيْنَ طَوِيلٍ بِسَادُهَا
٢- أَظُنُّ انْهَمَالَ الدَّمْعِ لَيْسَ بِمُنْتَهَى عَنِ الْعَيْنِ حَتَّى يَضْمَحِلَّ سَوَادُهَا
٣- وَنَوَى قَيْسٍ أَنْ يُبَاحَ لَهُ الْحَيَى وَأَنْ تُقَرَّ الْوَجَنُكُ أَنْ خَفَّ زَادُهَا
قوله « وبأَكِيَّةٍ من نَأْيِ قَيْسٍ » أَلَمْ فِيهِ بقول الآخر^(٢) :

وَكُنْتُ أَرَى كَالْمَوْتِ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ يَبَيِّنُ كَانَ مِيعَادَهُ الْحَشْرُ
فيقول : رَبُّ امْرَأَةٍ بَأَكِيَّةٍ لُبْدِ قَيْسٍ عَنْ مَقَرِّ عَزَاهُ ، وَمَسْكَنٍ خَرَاهُ ،
ونَأَى قَيْسٍ السَّاعَةَ لَمُنُوَى بُدْهُ طَوِيلٍ . والنَّوَى : وَجْهَةُ الْقَوْمِ الَّتِي يَنْوُونَهَا ،
وهي مُؤَنَّثَةٌ . وَأَضَافَ النَّوَى إِلَى الْبَيْنِ - وهو الْفِرَاقُ - لِأَنَّ الْفِرَاقَ فِي تِلْكَ
النَّوَى كَانَ مَفَارِقَةَ الْأَحْيَاءِ ، وَالتَّنَقُّلَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ، فَالْبَيْنُ سَبِيلُهَا وَمَقْصِدُهَا .
وَارْتَفَعَ « بِسَادُهَا » بِطَوِيلٍ ، وَالضَّمِيرُ مِنْهَا يَعُودُ إِلَى النَّوَى . وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ
« وَقَدْ نَأَتْ » وَאוُ الْحَالِ .

وقوله « أَظُنُّ انْهَمَالَ الدَّمْعِ » يريد أن أوقاتَ الْبُكَاءِ مُتَّصِلَةٌ ، وَأَمَّا دَسِيلَانُ
الدَّمْعِ غَيْرُ مُنْقَطِعَةٍ ، وَالْعَيْنُ وَشُؤْنُهَا لَا تَثْبُتُ لِنَفْسٍ وَلَا تَقْوَى بِهِ ، فَلَا شَكَّ

(١) التبريزي : « قيس بن ضرار بن الصقاع بن معبد بن زرارَة » : وهذه الربية آخر
الرائي عند اللزوقي ، لكن التبريزي روى بعدها ثلاث مرثيات ، سنبثها في المواضع في نهاية
هذا الباب .

(٢) هو سبعة الجني . وقد مضى في الخامسة ٣٨٥ س ١٠٨١ .

أَنَّ سَوَادَهَا يَبْطُلُ . وَذَلِكَ أَنَّ مَسَبِّبَاتِ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا تَقْوَى وَتَدُومُ بِقُوَّةِ أَسْبَابِهَا وَمُقْتَضِيَّاتِهَا ، فَمَا دَامَ سَبَبُ الْبُكَاءِ - وَهُوَ الْحُزْنُ وَالْمَلْعُ - يَمْلِكُ الْبَاكِيَ وَيَقْدُودُ زِمَامَهُ ، فَالِدَمْعُ سَائِلُ ذَارِفٍ ، وَسَوَادُ الْعَيْنِ مُشْفٍ عَلَى الْبُطُولِ هَالِكٌ ^(١) .
 وَقَوْلُهُ « وَحَقٌّ لِقَيْسٍ أَنْ يُبَاحَ لَهُ أَلْحَى » الْأَصْلُ فِي الْحَى الْمَاءُ وَالْكَلاُ ، وَلَمَّا كَانَ الْعَزِيزُ مِنْهُمْ يَسْقِيهِمُ الْأَحْمِيَّةَ وَيَحْفَظُهُ حَتَّى نَفْسِهِ وَيَمْنَعُ مِنْهُ كُلَّ أَحَدٍ ، وَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ هَذَا الْمَكَانَ ، أَى جَلَّتْهُ حَتَّى ، كَانَ يُتَجَنَّبُ وَيُتَحَايَى إِجْلَالًا لَهُ وَخَوْفًا مِنْهُ - اسْتَعْمِرَ مِنْ بَعْدُ الْقَلْبَ وَمَا يَمْتَلِكُ مِنْهُ الْحُبُّ أَوِ الْحُزْنُ أَوْ غَيْرُهُمَا وَمَا لَا يَمْتَلِكُ مِنْهُ ، فَيَصِيرُ كَأَنَّهُ حَتَّى الْعَقْلُ . فَيَقُولُ : حَقٌّ لِقَيْسٍ وَالصَّابِ بِهِ أَنْ يُبَاحَ لَهُ مِنَ الْقُلُوبِ مَا كَانَ حَتَّى ، فَلَا يَنْزِلُ بِهِ غَمٌّ ، وَلَا يَمْتَلِكُهُ سُرُورٌ ، أَى حَقٌّ لِلْجَزَعِ بِهِ أَنْ يَبْلُغَ مِنَ الْقَلْبِ حَدًّا لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُ شَيْءٌ . وَقَدْ أَخْرَجُوا هَذَا الْمَعْنَى فِي مَمَارِضَ لِأَنَّهُ مَعْنَى صَحِيحِ حَكِيمٍ شَرِيفٍ ، فَقَالَ كَثِيرٌ فِي الْحُبِّ يَصِفُ امْرَأَةً :

أَبَاحَتْ حَتَّى لَمْ يَرْعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتِ
 يَرِيدُ : بَلَّغَتْ مِنَ الْقَلْبِ هَذَا الْمَبْلَغَ .

وَأَخَذَهُ مِنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصُّنَّةِ الْقَشِيرِيُّ ، فَقَالَ :

فَحَلَّتْ تَحَلًّا لَمْ يَكُنْ حُلٌّ قَبْلَهَا وَهَانَتْ حَرَاقِيهَا لِرِيًّا وَذَلَّتْ
 وَأَخَذَهُ أَبُو نُوَّاسٍ فَقَالَ :

مُبَاحَةٌ سَاحَةُ الْقُلُوبِ لَهُ يَرْتَعُ فِيهَا أَطَايِبَ الثَّمَرِ ^(٢)
 وَأَخْرَجَهُ عَلَى وَجْهِ آخِرٍ فَقَالَ يَنْفَى ^(٣) :

(١) يقال : بطل بطلا ، بالضم ، وبطولا ، وبطلانا : ذهب ضياعاً وخمراً .

(٢) ل : « يرتع منها » .

(٣) هذه الكلمة من ل .

بَصَحْنِ حَدِّ لَمْ يَغْضُ مَاؤُهُ وَلَمْ تَحْضُهُ أَعْيُنُ النَّاسِ^(١)
فَنَقَلَ إِلَى الْخَدِّ وَغَمَضَ كَمَا تَرَى .

وقال آخر يصف ناقة :

* حمراء منها ضَمَعُهُ الْمَكَانُ^(٢) *

يريد : عظيمة المكان من القلب . ذكره الأصمعي . يريد أنها محبة . وقد قيل فيه غير هذا .

وقوله « وَأَنْ تُعْقِرَ الْوَجَنَاءُ أَنْ خَفَّ زَادُهَا » كان الواحد منهم إذا مرَّ بقبر رئيس وهو في محبة أحبَّ أَنْ يَنْوُبَ عَنِ الْمَقْبُورِ فِي الصِّيَافَةِ ، فَإِذَا لَمْ يُسَاعِدْهُ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ عَقَرَ نَاقَتَهُ إِكْرَامًا لَهُ . لذلِكَ قَالَ « وَأَنْ تُعْقِرَ الْوَجَنَاءُ إِنْ خَفَّ زَادُهَا » . وَالْوَجَنَاءُ : النَّاَقَةُ الْمُثْلِبَةُ ، أَخَذَ مِنَ الْوَجِينِ ، وَهُوَ الْأَرْضُ الْمُثْلِبَةُ . فَمَنْ رَوَى « أَنَّ خَفَّ زَادُهَا » بفتح الهمزة ، فالمراد لِأَنَّ خَفَّ زَادُهَا . وَمَنْ رَوَى « إِنْ خَفَّ » بكسر الهمزة فهي للشرط . وقد اعتذر بعضهم^(٣) مِنْ تَرْكِ ذَلِكَ فَقَالَ :

لَوْلَا السَّمَارُ وَبَعْدُ خَرَقِي مَهْمِي لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْعُرْقُوبِ
يعني ناقةه .

وقد حكى ابنُ الأَعرابي حكايةً مليحة ، قال : كان رجلٌ يُواصِلُ امْرَأَتَهُ خَرَجَ فِي سَفَرٍ لَهُ وَعَادَ وَقَدْ اسْتَبَدَّلَتْ بِهِ ، فَأَتَاهَا لِإِدَاتِهِ^(٤) ، فَقَالَتْ :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ بُدِّلَ حَاضِرًا وَأَنَّ شِعَابَ الْقَلْبِ بَمَدِّكَ حُلَّتْ

(١) تخضه ، بالياء في الأصل ، وبالهاء في ل .

(٢) الرجز لابن ميادة ، كما في أمال القائل (٣ : ٢٠٢) . وانظر مجالس مبلب ٥٠٦ .

(٣) هو حنظل بن الأحنف الكنانى . سبق في المحاسنة ٣٠٦ ص ٩٠٦ .

(٤) لإداته ، باللام ، كما في الأصل ولله والتبريزى .

فأجابها :

فَإِنَّ تَكُ خُلْتَ فَالشَّابُّ كَثِيرٌ وَقَدْ نَهَلَتْ مِنْهَا قُلُوصِي وَعَلَّتْ

تم باب المرائي بحسن توفيق الله وجميل صنعه ، وله على نواتر نغمه ،
وتعاج أياديه ، أجزل الحمد ^(١) .

(١) بده في ل : «وأكثر الشكر ، وعلى النبي للمصطفى ، محمد المجتبي خير الوري ، أوفى صلواته ، وأغنى بركاته ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم » .
هذا . وقد روى التبريزي بعد هذه اللقطعة ثلاث مقطوعات أخرى آثرنا إنباتها هنا ، وهي :
وقال آخر :

إِنَّ لَلْمَاءِ لِلْسَرِّ مَوْعِدٌ أُخْتَانِ رَهْنٌ لِّلْعَشِيِّ أَوْغِدِ
فَإِذَا صَمَعْتَ بِهَالِكٍ فَيَقْنَنَ أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُهُ وَتَزَوَّدِ

وقال آخر يرثي أخاه :

أَخٌ وَأَبٌ بَرٌّ وَأُمٌّ شَقِيقَةٌ تَفَرَّقَ فِي الْأَبْرَارِ مَا هُوَ جَامِعُهُ
سَلَوْتُ بِهِ عَنْ كُلِّ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ وَأَذْهَبَنِي عَنْ كُلِّ مَا هُوَ تَابِعُهُ

وقال آخر يرثي ابنه :

ذَهَبَتْ عَلَيَّ حِينَ أَجْبَنَنِي وَوَلَّى الشَّبَابُ وَجَاءَ الْكِبَرُ
فَإِنَّ أَبَاكَ أَبَاكَ عَلَى فَاجِعٍ وَإِنَّ بِكَ صَبْرٌ فَتَلِي صَبْرُ

بَابُ الْإِدْبِ

باب الأدب

٣٩٩

قال مسكين الدارمي^(١):

١ - وفينان صدق لست مطلع بعفهم على مير بتغي غير أني جماعها

قوله « وفينان صدق » أضاف الفينان إلى الصدق ، كما يقال فينان خير . والمعنى أنهم يصدقون في الوُد ولا يخونون . وقال الخليل : يُقال رجلٌ سَوَدَ ، وإذا عَرَفْتَ قُلْتَ الرجلُ السَّوَدُ ، ولم تُصِفْ ، بل تَجْمَلُهُ نَمَتًا . وتقول : عَمَل سَوَدَ وعَمَل السَّوَدَ ، وقولُ صِدْقٍ وقولُ الصَّدْقِ ، ورجل صِدْقٍ ، ولا تَقُلْ الرجلُ الصَّدْقُ ، لأنَّ الرجلَ ليس من الصَّدْقِ .

فيقول : رَبِّ فينان هكذا استقاموا إلى واستودعوني أسرارهم ، فكنت أنا نظامها لا يفوتني من خيئات صدورهم شيء ، ثم أفردتُ كلاً منهم بالوفاء له ، وكنان ما أودعني من سره ، ولا أطلع بعفهم على ما يستكتفي البعض الآخر ، بل أصونه من الإذاعة ، وأحفظه من النشر بالعلني والصيانة . وذلك لأنَّ حفظ السرِّ يجري بحري أداء الأمانات ، فهو في الدين والدنيا مأخوذ به ، ومبعوث عليه . وقوله « جماعها » ، هو كما يقال نظام ، لأنَّ النظام اسم لما يُنظَّم به الشيء وهو كالوِثاق والرباط . وكذلك الجمع : اسم لما يُجمعُ به الشيء . والصغير من

(١) مسكين لقب له ، واسمه ربيعة بن أنيف الدارمي ، شاعر لسانی حاجی الفرزدق ثم كاهن ، وكان له أثر ظاهر في ترشيح يزيد بن معاوية للخلافة . انظر ترجمته في الأغانى (١٨ : ٦٨ - ٧٢) والحزاة (١ : ٤٦٥ - ٤٧٠) والآل ١٨٦ - ١٨٧ وسجع الأدياء (٤ : ٢٠٤ - ٢٠٦) مهجويث ، والشعر والشعراء ٥٢٩ - ٥٣٠ .

جاءها يرجع إلى الفتيان ، ويموز أن يرجع إلى ما دل عليه الكلام من ذكر الأكرار . وانتصب « غير » على أنه استثناء منقطع .

٢ - لكل امرئ شغب من القلب فارغ وموضع نجوى لا يرأى إطلاقاً

٣ - يظنون شقي في البلاد ويرئهم إلى صخرة أعيا الرجال انصاعها

قوله « لكل امرئ » يريد لكل رجل منهم جانب من القلب ، وشق قد فرغ له وخص بموضع سره ونجواه ، لا يطلب الأطلاع عليه والكشف عنه ، لما عرف من محافظته ووقاى . والنجوى يجرى على أحكام المصادر : الدعوى ، والتدوى ، وألفه للتأنيث ، ويوصف به الأمر المكتوم . ويقال : نجوته فهو نجى^(١) . وقد وُصف بالنجوى والنجى الواحد والجمع . و [في^(٢)] القرآن : ﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ ، و ﴿ إِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ ، و ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴾ . ويقال : تَنَجَّوْا وَانْتَجَّوْا .

وقوله « يظنون شقي في البلاد » ، يريد أنهم يفارقونه فيشتبهون في أقطار الأرض ، ويرئهم مكتوم محصن ، كأنه أودع صخرة أعجز الرجال صدعها . ويقال : شت الأمر شتاً وشتاتاً ، وهو شتيت وشت ، وهم اشتات وشتى . فأشتات جمع شت ، وشتى : جمع شتيت . ويروى « أعيا الجبال اتضاعها » . والمعنى أن هذه الصخرة لإشرافها وثبوتها في موضعها لورام الجبال حطها لأعجزها ذلك . وقوله « إلى صخرة » أى مضموم إلى صخرة . فتعلق إلى بفعل مضمر دل عليه الكلام .

١ (١) ل : « نجى » .

٢ (٢) التثنية من ل .

٤٠٠

وقال يحيى بن زياد^(١) :١- لَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ لَاحَ يَاضُهُ بِمُفْرِقِ رَأْسِي قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبًا^(٢)

٢- وَلَوْ خِفْتُ أَنِّي إِنْ كَفَفْتُ مُتَحَيِّي تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ أَنْ يَتَنَكَّبَا

٣- وَلَكِنْ إِذَا مَاحِلَ كُرُهُ فَسَاحَتُ بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكُرْهِ أَذْهَبَا

قوله « لَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ » لَمَّا عَلِمَ لِلظَّرْفِ ، وهو لَوُقُوعُ الشَّيْءِ لَوُقُوعٍ
 غَيْرِهِ . وَجَوَابُهُ « قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبًا » . وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ : قُلْتُ لَهُ مَرْحَبًا
 وَلَكِنَّهُمْ يَكْرَهُونَ الْأَعْلَامَ وَأَسْمَاءَ الْأَجْنَاسِ كَثِيرًا ، وَالْقَصْدُ بِالتَّكْرِيرِ التَّضْعِيمِ .
 وَالْمَعْنَى : لَمَّا وَجَدْتُ الشَّيْبَ اشْتَعَلَ رَأْسِي بِيَاضِهِ ، طَلَيْتُ نَفْسِي بِطَوَاعِهِ وَقُلْتُ
 لَهُ : أَتَيْتُ رُحْبًا وَسَعَةً . وَقَوْلُهُ « مَرْحَبًا » انْتَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ . وَيُقَالُ : رَحِبْتُ
 بِلَادَكَ رُحْبًا وَرَحَابَةً . وَحُكِيَ رَحِبْتُ بِلَادَكَ بِكَسْرِ الْحَاءِ تَرَحَّبَ رُحْبًا .
 وَالرَّحْبَةُ وَالرَّحْبَةُ ، وَاحِدٌ وَهِيَ سَاحَةُ الْمَسْجِدِ .

وقوله « وَلَوْ خِفْتُ » يَرِيدُ بِخِفْتُ رَجُوتُ ، وَمَنْ يَصْنَعُونَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ
 الرِّجَاءِ وَالْخَوْفِ مَوْضِعَ الْآخَرِ . أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَمَالَى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ
 حِسَابًا ﴾ ، أَيْ لَا يَخَافُونَ . وَقَوْلُ الْآخَرِ ، وَهُوَ الْمَذَلَّى : « يَرْجُونَ لَسْتَهُ »^(٣) .
 يَعْنِي التَّحَلُّلَ . فَيَقُولُ : لَوْ رَجُوتُ أَنِّي إِذَا تَكَرَّهْتُ الشَّيْبَ وَتَسَخَّطْتُهُ ،

(١) سبقت ترجمته في المحاسنة ٢٨١ ص ٨٦٠ .

(٢) كَذَا جَاءَ الْبَيْتُ بِالْحَرَمِ فِي النَّسَخَيْنِ ، وَجَاءَ تَامًا فِي التَّبْرِيزِيِّ : « وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ » .

(٣) كَذَا فِي النَّسَخَيْنِ . وَالْمُرُوفُ كَمَا عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « لَمْ يَرْجُ لِسْعًا » . وَهَذَا قَلِطَةٌ

مَنْ يَتِ لَأَبَى ذَوْبٍ الْمَذَلَّى فِي دِيْوَانِ الْمَذَلِّينِ (١ : ١٤٣) ، وَهُوَ بَهَامَةُ :

إِذَا لَسَعَهُ التَّحَلُّ لَمْ يَرْجُ لِسْعًا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ تَوْبِ عَوَاسِلَ .

وكففت عن إظهار الرضا به والشروع لطلعه فارقه وانصرف عني ، لرمت ذلك ، ولكن إذا حل ما يكرهه فطاوعت نفسه به ، وتلقاه بالصبر عليه ، كان ذلك أغون على زوال الكرامة فيه ، وإلا اجتمع وجهان مما يشق نزوله به ، واغتماه له . وقوله « فسامحت به النفس » أى ساهلت . ومنه قيل : عود سمح أى لا أبت فيه^(١) . وما يجرى بجرى اللثل : « إذا لم تجد عزاً فسمح » أى إن وهن . وقوله « كان للكره أذهباً » ، كان الحكم أن يقول أشد إذهاباً ، لأن الفعل منه ليس بثلاثي . ولكن على طريقة سيديو به يحيى أن يبنى فعل التعجب مما كان على أفعل أيضاً ، وإن كان الباب على الثلاثي . وقد يمكن أن يقال : إنما قال « أذهباً » على حذف الزوائد . ألا ترى قوله :

فإننا وجدنا المريض أقر ساعة إلى الصون من بُزْدِ يمانٍ مُسْتَهْمٍ^(٢)
والفعل لم يحيى إلا افتقر ، فكأنه نوى حذف الزوائد وردّه إلى فقر ، وعليه جاء « قدير » وإن لم يستعمل الفعل .

وقوله « ولكن إذا » لكن جاء في هذا المكان لترك قصة إلى قصة ، وهى إذا جاءت عاطفة كانت لاستدراك بعد النفي . وجواب « لو » في قوله : لو خفت « رمت أن يتكبا » ، وجواب إذا من قوله « إذا ما حل كره » : « كان للكره أذهباً » . وبوما انتصب على الظرف ، والسامل فيه حل ، واسم كان ما دل عليه قوله ساهمت ، كأنه قال : كان الساعة أذهب للكره .

(١) الأبن : جمع أبة ، بالضم ، وهى القعدة فى العود ، واليب .

(٢) البيت لأوس بن حجر فى ديوانه ٢٧ والسان (سهم) ، والرواية فيها : « أحوج ساعة » .

٤٠١

وقال المرار بن سعيد^(١) :

١ - إذا شئتَ يوماً أن تسودَ عَشيْرَةً فبالْحِلْمِ سُدْ لا بالسرْعِ والشَّمْرِ
٢ - وَلِلْحِلْمِ خَيْرٌ فَاعْلَمْ مَغَبَةً مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تَشْمَسَ مِنْ ظِلِّ
جواب قوله « إذا شئتَ » قوله فبالْحِلْمِ . والمعنى أَنَّ السَّيَادَةَ لها آلاَتٌ ،
وإليها سرَاتِي ودرجات ، فمنَ أتاها من وَجْهٍها ومأْتاها تَمَتَّ له ؛ وذلك أَنَّ منها
استعمالَ الْحِلْمِ ، وتركَ التَّعَجُّلِ ، وكَلَمَ النِّيْظِ ، وتسهيلَ الْجَانِبِ ، والاحْتِمَالِ
فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْجَاهِ ، إلى غير ذلك مما يطولُ ذِكْرُهُ . فمنَ صَبَرَ فِي طلبِ
الرَّيْاسَةِ وحُصولِ سَيَادَةِ الْعَشِيرَةِ ، على هذه الخصالِ ، فهو حَقِيقٌ بِإِدْرَاكِهَا ، فإنَّ
أَحَدًا يُحْشِنُ جَانِبَهُ وَيَقْطُبُ وَجْهَهُ ، وَيَنْظُرُ كَلَامَهُ ، وَيوسِّعُ عُيْظَهُ ، وَيُقَيِّظُ
قَلْبَهُ ، وَيَعْبِجُ الطَّاعَةَ لَهُ فَرَّتِ الْعَشِيرَةُ مِنْهُ ، وبأنواعِهِ . لذلك قال
مَنْ قَالَ :

فإن كنتَ سَيِّدًا مُدْتَنًا وإن كنتَ لِلْخَالِ فَاذْهَبْ فَخَلْ^(٢)

وقوله « وَلِلْحِلْمِ خَيْرٌ فَاعْلَمْ مَغَبَةً » انتصب مَغَبَةً على التَّيْيِزِ . وقوله
« فَاعْلَمْ » حَشَوُ . فإن قيل : كيف اختيرَ هذا الْبَيْتُ بهذا الْحِشْوِ ، والتَّكَلُّمِ
إذا استعملَ في كَلَامِهِ معِ الْخَاطِبِ اعْلَمْ وسمِعْ وما يجرى مجراها ، عُدَّ ذلكَ مِنْهُ
عِيًّا ؟ قلتَ : إنَّ هذه اللفظةَ فِي هذا المكانِ مُجْتَاجٌ إليها فِي مُعْدَةِ المعنى المقصودِ ،

(١) هو المرار بن سعيد بن حبيب القفسي الأسدي ، وهو من مخضري الدوليين ،
وقيل : إنه لم يدرك الدولة العباسية . الأغانى (٩ : ١٥١ - ١٥٤) والخزانة (٢ :
١٩٣ - ١٩٧) واللؤلؤف ١٧٦ وللرزائي ٤٠٨ - ٤٠٩ والشر والشعراء
٦٨٠ - ٦٨٣ .

(٢) البيت ٤ من الحاشية ٦٧ ص ٢٥٢ .

وإنَّ ما أشرتَ إليه إنَّما يكون زوائدَ وفُضُولاً لا يُحتاجُ إليه ، فإذا وصلَ المتكلمُ بها كلامه مستمعينَها عُدَّ منه خطئاً وعيًّا ، وهو في هذا المكانِ وصَّاه بالفِكرِ فيما أورده والتبيينِ له ، وبمعرفةِ الحِلْمِ ووقته حتى يَدْرِيَ كيف يأخذُ به . وقوله : فاعلمن ، فاعرفن ، ومفعوله محذوف ، وللراد فاعلمن الحِلْمَ ومنبتته ، فأطلق . رجع فيما أشار به مطلقاً ، واستثنى في كلامه فقال : إلَّا أن تنفِرَ من ظلمٍ يركبُك ، وهضمةٌ تنالُك ؛ فإنَّ الجهلَ في ذلك الوقتِ أرجحُ في الاختيارِ من الحِلْمِ ، إذ كان صَدَمُ الشَّرِّ بالشَّرِّ أقرب ، ودفعُ الجَهِلِ بالجَهِلِ أحلَم . ويقال : غَبَّتْ الأمورُ ، إذا صارت إلى أواخرها . وإنَّ لهذا الأمرِ كَمَثَبَةَ محمودة ، أي عاقبة . وقوله « تَشَمَّسَ » ، يقال إنه لَدُوَّ شِمْماسٍ شديد ، إذا كان عَميراً . وشَمَّسَ لى فلانٌ إذا تَنَكَّرَ وهم بالشَّرِّ .

٤٠٢

وقال عِصَّامُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ^(١) :

١ — أَبْلِغْ أَبَا مِسْعَرٍ عَنِّي مُنْغَلَّةً وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةً بَيْنَ أَقْوَامٍ

٢ — أَذْخَلْتُ قَبْلِي قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْحَقِّ أَنْ يَدْخُلُوا الْأَبْوَابَ قُدَّامِي ^(٢)

قوله « مُنْغَلَّةٌ » أي رسالةٌ يُغْلِظُهَا إلى صاحبها . وهو من قولهم : تغلظ للاء ، إذا دخلَ بينَ الأشجار ، وغلظتُه أنا ^(٣) . وقال الشَّريديُّ : القنْطَلَةُ : دُخُولُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ . وقال الخليل : القنْطَلَةُ : سُرْعَةُ التَّسِيرِ . يقال تغلظوا ومَضَوْا . ورسالةٌ مُنْغَلَّةٌ : محمولةٌ من بلدٍ إلى بلد . وقوله « وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ »

(١) التبريزي : « عصام بن عبيد الزمان » . على أن الآيات رواها الجاحظ في البيان (٢ : ٣١٦ / ٣ : ٤٠٢ / ٨٥) منسوبة إلى حمام الرطشي .

(٢) الجاحظ : « أن يلجوا الأبواب » .

(٣) في الأصل : « وغلظته إياه » ، صوابه في ل .

بين أقوام « اعتراض » ، وقد سرّ القول في فائدة الاعتراضات . وللعنى أنهم ما داموا يتعاطبون فإنّ نيّاتهم تُماوِد الصّلاح وتُراجِمه ، وإذا ارتفع العتاب من بينهم انطوت صدورهم عن الإحْسَن والضعفان ، وظهَرَ الشرُّ على صفّحات أقوالهم وأفعالهم ، فاحتاجت الحِمَيَات ، وأنتجت مِن سُوء عقائدهم البَلِيَّات . وفي طريقته قال أبو تمام :

* إن الدَّمَّ المُفْتَرَّ يجرسُهُ الدَّمُّ ^(١) *

وقال غيره : « الْقَتْلُ أَقْلُ الْقَتْلِ ^(٢) » ، فأما قولُ الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ فإنّ بلاغة القرآن لا تُدانيها بلاغةٌ ، وكلّ كلام وإن علا ينسقط دونه . والرّسالة قوله : أَدْخَلْتَ قَبْلِي قَوْمًا . وللعنى أنّكَ قَدَّمْتَ عَلَيَّ في الإِذْن والدّخول قَوْمًا لم يكن من حقّهم أن يتقدّموا على إذا وردنا الأبواب ، ولا بلغت من محالّهم ورُتبتهم أن تُرفَعَ على ما يُقسَم لى في مجالس الكبار . وقوله « أَنْ يَدْخُلُوا الْأَبْوَابَ » حقّه عند سيويوه أن يقال أن يَدْخُلُوا في الأبواب ، يحمله مما يتعدّى في الأصل بحرف الجرّ ثم يُحذف الجارّ من اللفظ تخفيفًا . ومسألة الكتاب ^(٣) : دَخَلْتُ الْبَيْتَ . وغيره يذهب إلى أنّه مما يتعدّى تارة بنفسه وتارة بحرف الجرّ ، وفي أنّهم يقولون دخلت في الأمر فيُعَدّى بِنِي لا غير ، وأنّ ضدّه وهو خرجت يتعدّى بحرف الجرّ ، بيّان لصحّة قول سيويوه .

(١) في الأصل : « للعنى » ، صوابه في ل . والمفتر ، بالعين المعجمة : الغافل . وفي ديوان أبي تمام ٢٧٤ : « للمفتر » بالعين المهملة . وصدر البيت :

* وَأَخَافُكُمْ كَيْ تَتَمَدُّوا أَسْيَافَكُمْ *

وقبل البيت بيت سائر ، وهو :

فَمَا تَزْدِيرُوا وَمَنْ يَكْ حَازِمَا فَيُغَيِّسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

(٢) كذا في النسختين . وروى : « القتل أتى القتل » .

(٣) أى كتاب سيويوه .

٣ - لَوْ عُدَّ قَبْرُ وَفَيْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ مَتِيئًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الذَّامِ^(١)

٤ - فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَنِي نَزَلْتُ بِيَابِ دَارِكٍ أَذْلُهَا بِأَقْوَامِ^(٢)

[قوله^(٣)] : « لَوْ عُدَّ قَبْرُ وَفَيْرٌ » المراد به والأصل فيه : لَوْ عُدَّتِ الْقُبُورُ قَبْرًا قَبْرًا ، إِلَّا أَنَّهُ اخْتَصَرَ الْكَلَامَ وَحَذَفَ الْقُبُورَ ، وَرَفَعَ قَبْرًا عَلَى أَنْ يَقُومَ مَقَامَ الْفَاعِلِ ، فَلَمَّا رَفَعَهُ وَأَزَالَهُ عَنْ سَنَنِ الْحَالِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِمْ : بَعَثَ الشَّاءُ شَاءَةً ، وَقَبِضَتْ لِلَّالِ دِرْهَمًا دِرْهَمًا ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ يَوْمًا يَوْمًا ، رَدَّ حَرْفَ الْعُطْفِ . وَإِنَّمَا قُلْتُ هَذَا لِأَنَّهُ مِنْ مَوَاضِعِ الْعُطْفِ ، لَكِنَّهُمْ اتَّسَعُوا فِي الْحَالِ لَعَلَّ الْحَاطِبَ . وَقَالَ سِيبَوَيْهِ : إِنَّ النَّالِبَ عَلَى هَذَا الْبَابِ كُلُّهُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُهُ مِنْ إِحْدَى الْجُمُوعِ : الْحَالِ أَوِ الظَّرْفِ ، لِأَنَّ الْإِتْسَاعَ مِنْهُمْ عَلَى هَذَا الْحَذِّ وَالْجَوَازِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِيهِمَا . وَالظَّرْفُ كَقَوْلِهِ : لَقِيتُهُ يَوْمَ يَوْمٍ ، وَصَبَاحَ مَسَاءَ ، وَمَا جَانِسُهُمَا . قَالَ : وَالْإِفْرَادُ فِي هَذَا الْبَابِ لَا يَجُوزُ حَايَةً عَلَى اللَّغْوِ الَّذِي يَتَضَمَّنُهُ التَّكْرَارُ .

وإن قيل : هل يجوز على ما بينت : لَوْ عُدَّتِ الْقُبُورُ قَبْرُ وَفَيْرٌ ، عَلَى الْبَدَلِ ، وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ حِسَابُهُ بَابَ وَبَابٍ ؟ قُلْتُ : لَا يَجُوزُ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْقَصْدَ وَالنَّهْيَ مِنَ الْكَلَامِ ، وَقَدْ أُجْرِئَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، الْتَفْصِيلُ وَالتَّبَاقُ ، وَمِنْ الْإِبْدَالِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ . وَمَعَ ذِكْرِ الْقُبُورِ يُحَذَفُ الْوَاوُ مِنَ الْأَسْمِينِ الْمُتَرَجِّعِينَ عَنِ الْحَالِ بَعْدَهُ . لَا يَجُوزُ بَعَثُ الشَّاءِ شَاءَةً وَشَاءَةً ؛ فَكَذَلِكَ هَذَا . عَلَى أَنْ بَاقِيَ الْحَالِ وَالظَّرْفُ يَحْتَمِلَانِ مِنَ التَّوَشُّعِ مَا يَتَّبِعُ عَنْهُ أَكْثَرُ أَبْوَابِ الْإِعْرَابِ

(١) « البيان : » كنت أكرمهم قبرا . »

(٢) « البيان : » إذا ما حاجة مرهت . »

(٣) التكملة من ل .

وَيَمْجِزُ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَمْزُ تَجَاوُزُهَا بِالْأَسَاسِ فِيهَا إِلَى غَيْرِهَا . الْآ تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ : لَوْ عُدَّ قِرَانِ كُنْتُ أَكْرَمَهَا مَتَبَا ، لَمْ يَمْزُ ، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ مِنْهُ ذَلِكَ الْمَعْنَى ، وَإِنْ كَانَ الْمَطُوفُ وَالْمَطُوفُ عَلَيْهِ إِذَا قُلْتُ جَاءَنِي رَجُلٌ وَرَجُلٌ بِثَابَةِ جَاءَنِي رَجُلَانِ .

ومعنى البيت : لَوْ عُدَّتِ الْقُبُورُ مُنَوَّعَةً مُفَصَّلَةً - وَإِنَّمَا يَعْنِي أَسْلَافَ مَنْ قَدَّمَ عَلَيْهِ فِي الْإِذْنِ وَالنَّخُولِ خُؤُولَةً وَعُومَةً - لَكُنْتُ أَكْرَمَهُمْ أَبَا ، وَأَشْرَفَهُمْ بَيُوتًا . فَكُنِّيَ عَنِ الْبَيْتِ وَلِلنَّصِيبِ بِقَوْلِهِ « وَأَبْصَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ » أَيْ مِنْ مَنْزِلِ التَّيْبِ ، لِأَنَّ الدَّامَ وَالذَّمَّ بِمَعْنَى . يُقَالُ : ذَلَمَهُ يَذِمُّهُ ، كَمَا يُقَالُ ذَمَّهُ يَذِمُّهُ ، وَحَيْثُ يَحْصُلُ الْعَيْبُ يَحْصُلُ الذَّمُّ ، أَظْهَرَ أَوْ لَمْ يُظْهَرْ .

وقوله « فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَّتِي نَزَلْتُ » يَرِيدُ بِجَعَلْتُ طَلِيفَتُ وَأَقْبَلْتُ . يُقَالُ : جَعَلَ يَفْعَلُ كَذَا . وَالْمَعْنَى : أَنِّي قَدَّمْتُ عَنْكَ وَتَرَكْتُ زِيَارَتَكَ ، وَإِذَا اتَّفَقَ مَا لَا يَدُلُّ عَلَى مِنْكَ وَمِنْ مَعُونَتِكَ مِنْ حَاجَةٍ أَوْ عَارِضٍ سَبَبٍ فَإِنِّي مُعْتَدٌّ عَلَى غَيْرِي فِي التَّنَجُّزِ وَالِاسْتِمَافِ . وَمَعْنَى « أَدْلُوها » مِنْ قَوْلِكَ دَلَّوْتُ الدَّلْوُ ، إِذَا أَخْرَجْتَهَا مِنَ الْبُئْرِ ، أَيْ أَنْسَبَ بِنِيرِي ، وَأَصُونُ مِنَ التَّبَذُّلِ عَرَضِي .

٤٠٣

وقال شبيب بن البرصاء^(١) :

١ - وَإِنِّي لَتَرَاكَ الضَّعِيفَةَ قَدْ بَدَا تَرَاهَا مِنْ لَوَلَى قَتَا أَسْتَشِيرُهَا^(٢)

٢ - خَفَافَةٌ أَنْ تَجَنِّي عَلَى وَإِنَّمَا يَهَيِّجُ كَثِيرَاتِ الْأُمُورِ صَغِيرُهَا

(١) هو شبيب بن يزيد بن جرة اللري . والبرصاء أمه . وشبيب شاعر إسلامي بدوي من شعراء الدولة الأموية ، وكان يهاجم عقيل بن علفه . الأغانى (١١ : ٨٩ - ٩٤) .

(٢) البريزى : « فَلَا أَسْتَشِيرُهَا » .

يقول : إِنِّي أَصَابَرُ مَوَالِيٍّ وَأَحْتَمِلُ أَذَانِي ، وَأَعْفَى عَلَى فَرَطَاتِهِمْ مَا وَجِدْتُ سَبِيلًا إِلَى الصَّبْرِ ، فَأَتْرُكُ صَنَائِهِمْ تَبْدُو أَوَائِلُهَا ، وَتَظْهَرُ خَوَائِلُهَا ، وَلَا أَكْشِفُ عَنْهَا وَلَا أَطْلُبُ قَوْرَانَهَا ، مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَفْجِلَ الشَّرُّ وَيَرْجِعَ الصَّغِيرُ مِنْهُ كَبِيرًا ، وَسَهْلُهُ عَسِيرًا ؛ فَإِنَّ أَوَائِلَ الْأُمُورِ كُلِّهَا ضَمِينَةٌ ضَمِيْقَةٌ ، فَإِذَا اتَّفَقَ لَهَا مَنْ يَهَيِّجُهَا وَيَزِيدُ فِي مَوَادِّهَا قَوِيَّتٌ وَانْتَسَتْ . وَالتَّرَكُّ : بِنَاءٌ لِلْبَالِنَةِ ، وَهُوَ الْكَثِيرُ التَّرَكُّ لِلشَّيْءِ ، وَلَيْسَ هُوَ بِاسْمِ الْقَاعِلِ مِنْ تَرَكَ . وَالضَّمِينَةُ وَالضَّمْنُ وَالضَّمَنُ ^(١) وَاحِدٌ ، وَهِيَ الْحَقْدُ وَالتَّدَاوُ . وَيَقَالُ : ضَمِنَ عَلَىَّ وَاضْطَلَنَ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الضَّمْنُ فِي الدَّابَّةِ : عَسَرُهُ وَالتَّوَادُّهُ . وَدَابَّةٌ ضَمِنَتْ ، إِذَا نَزَعَتْ إِلَى وَطَنِهَا . وَالزَّمْنَى : النَّدَى ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ تَرَى . وَالرَّادُّ بِهِ هَا هُنَا مَا يُسْتَبَدَّلُ بِهِ عَلَى كَامَنِ الْحَقْدِ . وَيَقَالُ : ثَارَ الْأَرْنبُ مِنْ مَوْضِعِهَا ، وَاسْتَرْتَرَّهَا أَنَا .

وقوله « مَخَافَةَ » اتَّصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَ « أَنْ تَجْنِي » فِي مَوْضِعِ الْفِعْلِ مِنْهَا ، وَقَدْ أَضَافَهَا إِلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « صَنِيرَهَا » يَرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ ، أَيْ صَنَائِرُهَا .

٣ — لَمَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْنَةَ عَلَى رَغِيَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا
٤ — تَبَيَّنَ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ وَتُعِيلُ أَشْيَاهَا عَلَيْكَ صُدُورُهَا
قوله « عَلَى رَغِيَةٍ » أَيْ عَلَى مَرْغُوبٍ فِيهِ ، كَأَنَّهُ كَانَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ الْقُرْصِ فِي صَاحِبِهِ مَا لَوْ اتَّهَزَّهَا وَلَمْ يَفْعَلْ عَنْهَا لَسَكَانَ فِيهَا الْاشْتِهَاءُ مِنْهُ ، وَدَرَكَ الْمَطْلُوبَ فِي بَابِهِ ، فَلَمَّا لَمْ يَفْعَلْ وَأَصْرًا صَاحِبُهُ عَلَى مَسَاءَتِهِ أَخَذَ يَتَحَسَّرُ . وَقَوْلُهُ « لَوْ شَدَّ » نَفْسِي مَرِيرُهَا » يَرِيدُ : لَوْ قَوَّيْ نَفْسِي عَزِيمَتَهَا ، وَحَصِيفَ رَأْيِهَا . وَالْمَرِيرُ : الْمُرَّةُ الْحَكِيمُ . وَوَصِفَ الْحَبْلُ بِهِ لَذَلِكُ . وَيَقَالُ : اسْتَمَرَّ مَرِيرُ فُلَانٍ ، إِذَا اسْتَحْكَمَ رَأْيُهُ وَاسْتَحْصَفَ . وَعُنَيْنَةُ : مَوْضِعٌ ^(٢) .

(١) هذه الكلمة ساقطة من له .

(٢) موضع بين البصرة ومكة ، كما في معجم البلدان .

وقوله « تَبَيَّنَ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ » مثله قول القطامي :
ولا يَلْمُ الغَيْبَ إِسْرَافُ قَبْلِ مَا يَرَى ولا الْأَمْرَ حَتَّى تَسْتَبِينَ دَوَائِرُهُ
وأَكْشَفُ مِنْهُ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ قُورٍ :

أَشْبَهُ غَيْبِ الْأَمْرِ مَا دَامَ مُقْبِلًا وَلَكِنَّا تَبَيَّنَانَهُ فِي التَّدَبُّرِ ^(١)
وأَعْقَابُ الْأُمُورِ : أَوَاخِرُهَا . وَيُرْوَى : « تَبَيَّنَ أَدْبَارُ الْأُمُورِ إِذَا انْقَضَتْ »
يُرَادُ بِهِ تَبَيَّنَ . وَانْقَضَ « أَشْبَاهَا » عَلَى الْحَالِ .

٥ - إِذَا انْقَضَتْ سَعْدُ بْنُ دُبْيَانَ لَمْ تَجِدْ سِوَى مَا ابْتَدَيْنَا مَا يَمُدُّ فَخُورُهَا
٦ - أَلَمْ تَرَ أَنَا نُورُ قَوٍّ وَإِنَّا يُبَيِّنُ فِي الظُّلُمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَا
يقول : مَعَافِرُ سَعْدٍ وَمَتَابِيُّ مَكَارِمِهَا عَلَى مَا أَسَّسَهُ قَدِيمُنَا ، وَغَرَّهُ حَدِيثُنَا ،
فَقِي اسْتَعْرِضْتَ السَّاعِي فِي مَنَافَرَةِ الْخُصُومِ لَمْ تَجِدْ بَنُو سَعْدٍ مَا يَعْتَمِدُهُ فَخُورُهَا ،
وَيُكَازِرُ بِهِ خَصِيمُهَا ، إِلَّا مَا شَيْدَنَاهُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ ، وَتَعَاقَبِ الْأَحْوَالِ . قَوْلُهُ
« سِوَى مَا ابْتَدَيْنَا » اسْتِثْنَاءٌ مُقَدِّمٌ . وَ « مَا » يَحْدُ فِي مَوْضِعٍ مَفْعُولٌ لَمْ تَجِدْ .

وقوله « أَلَمْ تَرَ » تَقْرِيرٌ لِمَنْ تَصَوَّرَهُ مُخَاطَبًا فَيَقُولُ : أَمَّا عَلِمْتَ أَنَا لِأَهْلِ
قَوٍّ ^(٢) بِمَنْزِلَةِ النُّورِ لِلْأَبْصَارِ ، فَهَمَّ بِنَا يَهْتَدُونَ ، وَبِعَمَلِنَا يَتَّقُونَ ، وَلِمَرَامِنَا
يَقْتَرُونَ ^(٣) ، وَبِنَا رَأَيْنَا يَسْتَضِيئُونَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانُوا يَتَوَقَّفُونَ ^(٤) فِي مَرَاشِدِهِمْ
فَلَا يَقْضُونَ ، وَيَتَحَيَّرُونَ فِي آرَائِهِمْ ^(٥) فَلَا يَمْضُونَ ، كَمَا أَنَّ النَّاسَ لَوْلَا مَا يُمَدُّ بِهِ
النُّورُ أَبْصَارُهُمْ فِي رَوَاكِدِ الظُّلْمِ حَتَّى يَتَبَيَّنُوا لِلرِّثَائَاتِ ، وَيَتَمَيَّزُوا أَشْبَاحَ
الْمُدْرَكَاتِ عَلَى حَقَائِقِهَا ، لَوْفَقُوا حَيَارَى لَا يَتَقَدَّمُونَ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ .

(١) البيت لم يرو في ديوان حميد ، ولا في ملحقات ديوانه .

(٢) قو : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة .

(٣) الانقصار : التبع ، وأصله في تتبع الأثر .

(٤) ل : « يتوقفون » ، سواه في نسخة الأصل .

(٥) في الأصل : « لا يهاشدم » ، سواه في ل .

ومفعول « يُبَيِّن » محذوف ، والضمير من نورها يعود إلى الظلماء لما كان يتعقبا . وهم يُصَيِّفون الشيء إلى الشيء لأدنى تناسب بينهما .

٤٠٤

وقال معن بن أوس^(١):

١ — تَمَرُّكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيْنَا تَعْدُو لِلنِّتَةِ أَوَّلُ

لمررك مبتدأ ، وخبره مضمر ، وفيه معنى القسم ، وقد تَقَيَّ القول فيه . وقوله « إِنِّي لَأَوْجَلُ » مما جاء فيه أَقْصَلُ وَلَا قَفْلًا لَهُ ، كأنهم استغنوا عن وَجَلَاءَ بَوَجَلَةٍ . ويقال : وَجِلْتُ أَوْجَلُ وَآجَلُ وَجَلًا ، وهو وَجَلُ وَأَوْجَلُ . وقلبي من كذا أَوْجَلُ وَأَوْجَرُ ، بمعنى . وروى : « تَعْدُو النَّتَةِ » و « تَعْدُو » ومعناها ظاهر . وأَوَّلُ ، يُبَيِّنُ عَلَى الصَّمِّ ، كَمَا فَعِلَ ذَلِكَ بَقَبْلُ وَبَعْدُ ، وذلك أَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَصْلُهُ أَفْضَلَ الَّذِي يَتَمُّ بِهِمْ وَأَضْيَفَ مِنْ بَعْدِ ، وَجَعَلَ الْإِضَافَةَ فِيهِ بَدَلًا مِنْ مَنْ ، وَلِلضَّافِ إِلَيْهِ مِنْ تَمَامِهِ ، ثُمَّ حُذِفَ لِلضَّافِ إِلَيْهِ لَعَلَّ الْمُخَاطَبَ بِهِ ، وَجَعَلَ فِي نَفْسِهِ غَايَةً ، وَكَانَ مَعْرِفَةً كَمَا كَانَ قَبْلُ وَبَعْدَ كَذَلِكَ ، وَجَبَّ أَنْ يُبَيِّنَ كَمَا يُبَيِّنُ . وموضعه نصبٌ عَلَى الظَّرْفِ . ومعنى البيت : وبقاتك ما أعلم أَيْنَا

(١) معن بن أوس : شاعر غزل من حضرة الجاهلية والإسلام ، له مدائح في جماعة من الصحابة ، وعمر إلى زمان ابن الزبير ، وهو القائل له : « لَمَنْ آتَاهُ حَلَّتِي إِلَيْكَ » . الإضافة ٨٤٤٥ والأغاني (١٠ : ١٥٦) . وفي الأغاني (١٠ : ١٦٢ — ١٦٣) أن القائل هو عبد الله بن فضالة . وفي الحزاة (٢ : ١٠٠) أن قائلها عبد الله بن الزبير الأسدي ، وكذا في زهر الآداب (٢ : ١٦٤ — ١٦٥) . وانظر القند (٦ : ١٧٦) . وروى التبريزي من سبب الشعر أن معن بن أوس كان له صديق وكان ممن متزوجاً بأخته ، فاتفق أنه يطلقها وتزوج غيرها ، فأل سديقه ألا يكله أبداً . فأنشأ معن يقول يستطف قلبه عليه ، ويستترقه له . وفي الأبيات ما يدل على القصة ، وهو قوله :

فلا تنصين أن تستار نظيفة وترسل أخرى كل ذلك يضل

يكون للعدو في عدو الموت عليه ، وانهاء الأجل إليه ^(١) ، وإني لخائف مترقب .
فوضع « على أينا » نصب لأنه مفعول ما أدري ، والذي لا يدريه هو مقتضى
هذا السؤال . وقوله « إني لأوجل » اعتراض .

٢- وإني أخوك الدائم العهد لم أحل إن أبرأك خصم أو نبأ بك منزل ^(٢)
٣- أحارب من حاربت من ذي عداوة وأحسب مالي إن غرت فأغفل
يقول : إني وديدك الذي يدوم عهده ، ويتصل على قلب الأحوال وتبدل
الأبدال ، ولا يحول [إن تعالوا ^(٣)] عليك خصم ، أو بطش بك عدو ، أو ضاق
عنك منزل ، فاحتجت إلى التحول عنه والاستبدال به . وقال الخليل : يقال
أبزيت بفلان ، إذا بطشت به وقهرته . وحكى الدردي : براه يبزوه
بزوا ، إذا قهره . وأنشد :

جاري ومولاي لا يبزي حريمهما وصاحبي من دواء الشر مضطرب ^(٤)
ويبزي يكون مستقبل برى وأبزي جميعاً . والله أعلم . ويجوز أن يكون
أبزي منقولاً بالألف عن برى يبزي فهو أبزي ، وامرأة بزوا ، وهو
دخول الظهر وخروج البطن . ويكون المعنى : إن خفص منك خصم ، أو طأطأ
من إشرافك عدو ، وحملك من الثقل ما يبزي له ظهرك ، فلا تطيق الثبات
تحته ، والتهوض به .

وقوله « أحارب من حاربت » هو تفسير دوام عهده ، وثبات وده . والمعنى
تجدني ذاباً عنك واقفاً معك ، أرمد الشر لأعدائك ، وأدافعهم دونك ، وإن

(١) له : « به » .

(٢) التبريزي : « لم أخن » ، وفيه في شرحه على الرواية هنا .

(٣) تمكلة يظهر إليها الكلام .

(٤) مضطرب ، بالماء الهمزة للفتوحة . وفي اللسان (بز) : « مضطرب » بالماء

للجبة المكسورة .

أصابك غُرْمٌ حَبَسْتُ مَالِي عَلَيْكَ ، واحتملت فيه الثَّمَلُ عنك . وكان الواجب أن يقول : فَأَعْقِلْ عنك ، لأنه يقال عَقَلْتُهُ إِذَا أُعْطِيتُ دِرْهَمَهُ ، وعَقَلْتُ عَنْهُ إِذَا غَرِمْتُ مَا لَزِمَهُ فِي دِينِهِ . وقال الخليل : النُّرْمُ لَزُومٌ نَائِبَةٌ فِي مَالٍ مِنْ غَيْرِ حِنَابَةٍ . والمَالُ إِذَا أُطْلِقَ يَرَادُ بِهِ الْإِبِلُ . ويجوز أن يكون معنى فَأَعْقِلْ : أَشْدُّهَا بَعْقَلَهَا بَفَنَائِكَ ، لِنَدَفِهَا فِي غَرَامَتِكَ .

٤ — كَأَنَّكَ تَشْفِي مِنْكَ دَاءَ مَسَائِنِي وَسُخْطِي وَمَا فِي رَيْبَتِي مَا تَجْعَلُ^(١) قوله « مسائني » يريد مساءتك إلى ، وكذلك « سُخْطِي » يريد سُخْطَكَ عَلَى ، فأضافهما إلى المفعول . ويقال : مساءة ومسائية . والشُّخْطُ والشَّخْطُ لَتَتَانِ ، ومثله الشُّقْمُ والسُّقْمُ ، والْعُدْمُ والْعَدَمُ ، وهو نقيض الرِّضَا . ويقال : سَخِطْتُهُ وَتَسَخَّطْتُهُ ، إِذَا لَمْ تَرْضَ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي التَّفْعِلِ فَفَعْلٌ تَكَلَّفَ . ومعنى البيت أنك تسمر في إساءتك إلى وسُخْطِكَ عَلَى ، حتى كأن بك داء ذاك شفاؤه ، وما تطلبه من عَجَلَتِي لَا تَجِدُهُ فِي بَطْنِي ، أَيْ مَا تَقْدَرُهُ يَتَجَعَّلُ لَكَ مِنَ الْمَكَاشِفَةِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، واستتارة الحقد الكامن فيك ، لَا يَحْصُلُ لَكَ مَتًى مُتَبَاظًا أَيْضًا . والمعنى أَنِّي أَصَابُكَ وَأَتْرُكُكَ عَلَى مَدَاجِنِكَ .

٥ — وَإِنْ سُوَّتَنِي يَوْمًا صَفَحْتُ إِلَى غَدٍ لِيُتَقَبَّ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ مُتَقَبِّلٍ

٦ — سَتَقَطُّعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ فَانْظُرْ أَيْ كَفِّ تَبَدَّلُ

قوله « وَإِنْ سُوَّتَنِي يَوْمًا » يقال : سُوَّتَ فُلَانًا ، وَسُوَّتَ [لَهُ]^(٢) وَجْهَهُ

(١) تريب سائر القصيدة عند التبريزي يخالف تريب الرزوقي . فالتبريزي يروي هذا هذا البيت بعد البيت الخامس ، ويروي التبريزي بعد الخامس بيتاً لم يروه الرزوقي . وهو :

وَأِنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تَرِيْنِي قَدِيمًا لَدَوْصَفِ عَلَى ذَاكَ مُجِيلٌ

ثم يروي بعده البيت السادس فالبايع إلى آخر القطوعة .

(٢) هذه من ل .

مَسَاءً وَمَسَائِيَّةً . وللمنى : أننى لا أُوَاخِذُكَ بما يَظْهَرُ من مَسَاءَتِكَ ، بل أَقَابُهُ
بصنْعٍ جَمِيلٍ عَنكَ ، انتظاركَ لَئِيَّةً تَظْهَرُ مِنْكَ فى مُقْتَبِلِ أَمْرِكَ ، ومراجعتي
تَعَفُّى عَلَى قَبِيحِكَ ، فإن لم يَتَّفَقْ مِنْكَ عَفْوى حَسَنَةٌ تُنَسِّى زَلَّاتَكَ ، بل تُتَابِعُ
بَيْنَ مَسَبِّاتِ القَطِيعَةِ وموجِبَاتِهَا بما تُظْهَرُ مِنَ الجَفَاءِ والمُفَوِّقِ فيما يَجْمَعُنِي وإِيَّاكَ ،
فإنَّكَ تَقْطَعُ أَخَاكَ هُوَ فى مُظَاهَرَتِكَ ، والانطواء عَلَى مَسَاعِدَتِكَ ، واللُّخُولِ تحتِ
طَاعَتِكَ فى كُلِّ مَا يَمِينُ وَيَعْرِضُ لَكَ ، بِمَنْزِلَةِ يَدِكَ اليمَنِ ، فَنَظَرُ مِنْ بَدُنْ
مَنْ تَمْتَاضُ مِنْهُ ، وَعَلَى مَنْ تَعُولُ إِذَا صَارَ مِنْهُ . واتَّهَبُ « أَى كَفَرٍ »
بـ « خَبْدَلٍ » . وقوله « لِيَعْتَبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ » يجوز أن يكون مِنْ قولِهِ
أَعْقَبَ هَذَا ذَاكَ ، أَى صَارَ مَكَانَهُ ، ويكون للمنى : لِيَصِيرَ مَكَانَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكَ
مَذْمُومٍ يَوْمَ آخِرُ مِنْهَا مَقْبُولٌ مَحْمُودٌ . وهذا حسن . ويجوز أن يكون أَعْقَبَ غَيْرَ
مُتَعَدٍّ ، ويكون من أَعْقَبَ الْأَمْرُ عَقْبَانًا وَعَفْوى ، أَى صَارَ لَهُ عَاقِبَةٌ . ويرتفع
« آخِرُ » لِيُعْتَبَ ، ويكون قوله يَوْمًا مِنْكَ ظَرْفًا . والمنى : لِيَصِيرَ مَا يُقْبَلُ مِنْ
أَمْرِكَ يَوْمًا ذَا عَاقِبَةٍ مَحْمُودَةٍ . ويجوز أن يكون من أَعْقَبَ فَلَانٌ عَزًّا ، أَى أُبْدِلَ ،
ويكون للمنى : لِيُعْتَبَبَكَ يَوْمًا مِنْكَ مَحْمُودًا أَمْرُ آخِرُ ، وَتَتَنَبَّ . ورأيت من
يُرويه : « لِيُعْتَبَبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ » بفتح الياء ، ويكون من قولِهِ عَقَبَ فَلَانٌ
فَلَانًا إِذَا خَلَفَهُ ، وهما عَقِيبَانِ ، وقد اعتَقَبَا وتَمَاقَبَا . ويكون للمنى : لِيَخْلُفَ
يَوْمًا مِنْكَ يَوْمَ آخِرُ مَقْبُولٌ .

٧— وفى الناسِ إِنْ رَثْتَ حِبَالَكَ وَأَصْلُـ وفى الأرضِ عَن دَارِ القَلَى مُتَحَوِّلُـ

٨— إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى شَرَفِ المِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَثْقِلُـ

٩— وَرِكَبُ حَدِّ السِّيفِ مِنْ أَنْ تُضَيِّعَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنِ شَفْرَةِ السِّيفِ سَمْرَحُلُـ

قوله « وفى الناسِ إِنْ رَثْتَ حِبَالَكَ وَأَصْلُـ » إظهارُ لَزْهُدٍ فى وِدادِهِ إِذَا

لم يستقم معه . ويقال : رثَّ التَّوْبَ يَرِثُ رُثُوًّا وَرِثَانَةً . وقال أبو زيد
وأبو عبيدة : رثَّ للناعِ وَأَرَثَ جميعاً . وأنشد لعدى^(١) :
* أَرَثَ جَدِيدُ الوَصْلِ من أُمِّ مَعْبِدٍ^(٢) *

وفي طريقة ما قاله قولٌ لييد :

واخْبُ المَجَامِلَ بالجزيلِ وَصُرْمُهُ باقٍ إِذَا ضَلَمْتَ وَزَاغَ قِوَامُهَا^(٣)
وقولُ أوس :

وإِن قالَ لي ماذا ترى يستشيري يَجِدُنِي ابنَ عَمٍّ مَخْلَطَ الأَمْرِ مِنْ بِلَا
فيقول : إِذَا رَغِبْتَ عن مواصلي ، وَتَقَطَّعتْ حبالُ الوُدِّ بيني وبينكَ ففي
الناسِ واصلَ غيركَ ، وَإِذَا نَبَأَني جِوارِكَ ، وضاقَ عني أَرْضُكَ وديارُكَ ففي
جوانِبِ الأرضِ سَمَةٌ وَمَزْجَلُ عَنكَ ، سَيِّئًا والتَّحوُّلُ عن دارِ البُغْضِ والنُّبُوْلى
عَادَةً عَجَابُهَا ، وَسُنَّةُ أَسِيرُهَا وَلَا أُعْدِلُ عنها . واعلم أَنَّكَ إِذَا لم تُعْطِ أَخَاكَ
النِّصْفَةَ ولم تُوفِّرْ حَقَّوقَهُ متَوْخِيًّا لِلْعَدْلَةِ ، ولم يُوجِبْ له عليك مِثْلَ ما تُوجِبُهُ
لنفسِكَ عليه ، أَتَيْتَهُ هاجِرًا لَكَ ، مشارفًا قَليمتِكَ ، مُستَبْدَلًا بِكَ وَمُؤَاخَاتِكَ
إِن كَانَتْ بِهِ مُسَكَّةٌ ، أو يَمْتَلِكُهُ عقلٌ ومعرفة ، ثم لا يُبَالِي أن يركبَ من
الأُمُور ما يَقْطَعُهُ نَقطِيعَ حَدِّ السيفِ ويؤثِّرُ تأثيرَهُ فيه ، غِشَافَةً أن يَدْخَلَ عليه
ضَيْمٌ أو يُلْحِقَهُ عَارٌ واهْتِضَامٌ ، متى لم يجدَ عن رُكُوبِهِ مَبْعَدًا وَمَعْدَلًا . وكما
قالَ هذا « دارُ القَلَى » قالَ غيره^(٤) :

(١) كذا . والصواب أَنه دريد الصمة ، كما في اللسان (رث) . وقصيدة دريد هذه
في الأسميات ٢٣ ليسك وجهرة أشعار العرب ١١٧ .

(٢) عجزه كما في للرباع السابقة ومقاييس اللغة (عجب) :

* بِعاقِبَةٍ وَأَخْلَفتُ كلَّ موعِدٍ *

(٣) كذا جاءت الرواية في النسخين ، وضلعت بمعنى مالت . والرواية المروقة في المخطوطات
« ظلمت ، بالظاء .

(٤) هو عبد قيس بن خفاف البرجمي . البيت ٩ من الفضيلة ١١٦ والأصعية ٨٧ طبع
للعارف ، وشواهد المني (٢ : ٢٠٢ - ٢٠٣) وشواهد النني ٩٥ وحاسة البحتري ١٧٩ .

* دارُ الهوانِ لمن رآها دارُه ^(١) *

وقوله « من أن تضيمه » معناه بدلاً من أن تضيمه . ويجوز أن يريد
بركوب السيف الصبر على الحرب والموت . وشفرة السيف : حذؤه . والشفير :
حرف كل شيء ، منه .

١٠ - وكنت إذا ما صاحب رام ظننتي وبذل سوءا بالذي كنت أفتل

١١ - قلبت له ظهرَ اللجن فلم أدم على ذلك إلا رنت ما أحوول

١٢ - إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذ إليه بوجه آخر الدهر ثقيل

يقول : وإذا رأيت صاحبي يتجنى على ويتجرم ، ويتطلب علي ما يُنتج
ظنة ويولدُ شبهة ^(٢) ، وطفق يبيع آثارى ، ويدل حسنانى ، اتخذته عدواً ،
وقلبت له ظهرَ الثرس متقياً منه ، ومُدفعاً له ، ولم أدم على تلك الحال المتقدمة
معه إلا قدر ما أحوول ، وبطء ما أنتقل . فقوله « رام ظننتي » أى رام ارتفاع
الثبته على . وقوله « بالذي كنت أفتل » أى أفتله ، لحذف الضمير استطراداً
لصلة الذى .

وقوله « إذا انصرفت نفسي » يريد أنى أُمُد نفس التصبر ما أمكن ، فإذا
أعجزتني الحال العارضة عن الاحتمال انصرفت مالكا عنانى ، ثم لا يثني على
ما أعرضت [عنه] ^(٣) شئ أبداً الدهر . « وقوله بوجه » الباء تعلق بقوله ثقيل ،
أى لم تكذ ثقيل إليه بوجه من الوجوه ، وعلى لون من الألوان .

(١) صخرة : * أفرأحل عنها كن لم يرحل *

(٢) جاء في اللسان (وم) : « التهمة فصلة من الوهم ، والباء بدل من الواو » . وقد

فتح المشاء .

(٣) حذوه من له .

٤٠٥

وقال عمرو بن قية^(١) :

- ١ — يالَهْفَ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ أَقْفِذْ بِهِ إِذْ فَقَدْتُهُ أَمَّا
 - ٢ — إِذْ اسْتَحَبُّ الرِّبْطَ وَالرُّوْطَ إِلَى أَدْنَى تَحَارِي وَأَنْفُضُ اللَّمَمَا
 - ٣ — لَا تَنْفِيطُ الْمَرْءَ أَنْ يَقَالَ لَهُ أَضْحَى فَلَانٍ لِعُمْرِهِ حَكَمًا^(٢)
 - ٤ — إِنْ سَرَّهُ طَوْلُ عَيْنَيْهِ فَلَقَدْ أَضْحَى عَلَى الْوَجْهِ طَوْلُ مَا سَلَا
- يَحْسَرُ عَلَى مَافَاتِهِ مِنَ الشَّبَابِ وَحُسْنِ أَيَّامِهِ ، وَنَضَارَةِ الْعَيْشِ بِهِ ، قَالَ :
يَا حَسْرَةَ نَفْسِي عَلَى مَقْضَى الشَّبَابِ وَمَتَوَلِّيهِ ، فَإِنْ مَا فَاتَنِي مِنْهُ لَمْ أَفَارِقْ بِهِ أَمْرًا
قَرِيبًا ، وَشَيْئًا هَيِّنًا ، لَسَكُنْتُ قَدْتُ بِهِ حِمَّةَ بَدَنِي ، وَرَوْعَةَ وَجْهِ ، وَطِيبَ
عَيْشِي ، وَقُوَّةَ رُوحِي ، حِينَ كُنْتُ أَجُرُّ رِبْطِي (وَهُوَ الْإِزَارُ الَّذِي لَيْسَ بِمَلَقٍّ)
وَرُوطِي (وَهُوَ جَمْعُ مِرْطٍ ، وَهُوَ مِلْحَقَةٌ يُؤْتَزَّرُ بِهَا) إِلَى أَقْرَبِ الْخَلْدَانِ إِلَى ،
وَأَنْفُضُ شَمْرَ رَأْسِي إِجْبَابًا بِهِ ، وَاسْتَحْسَانًا لَهُ ، وَطَرَبًا يُدَاخِلُنِي فِي جَمِيعِ أَسْبَابِي
مَعَهُ . ثُمَّ قَالَ مُزَرِّيًّا بِالشَّيْبِ وَمَا يَكْتَسِبُهُ لِلرَّءِ إِذَا عُلَاهُ ، مِنْ إِكْبَارِ النَّاسِ لَهُ ،
وَتَقْدِيمِهِمْ فِي الْمَجَالِسِ لِإِيَّاهُ ، وَمِنَ الرَّجُوعِ إِلَى قَوْلِهِ ، وَاسْتِشَارَتِهِمْ فِيمَا يَبْعَثُ مِنْ
الْخَطُوبِ رَأْيَهُ ، قَالَ : لَا تَنْفِيطَنَّ الرَّجُلَ وَلَا تَرْمُقَنَّ^(٣) مُحْسَدًا إِذَا

(١) قِيَّةٌ مَسْجَلٌ قِيَّةٌ . وَقِيَّةٌ أُمَةٌ ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ قِيَّةَ بْنِ ذَوْعٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ
ضَيْمَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَلْبَةَ بْنِ عَكَابَةَ بْنِ صَبِّ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، وَهُوَ جَاهِلٌ أَقْدَمَ مِنْ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ ، وَلَقِيَهُ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ فِي آخِرِ عُمْرِهِ فَأَخْرَجَهُ مَعَهُ إِلَى قَيْصَرٍ لَمَّا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، فَاتَّ مَعَهُ
فِي طَرَفِهِ ، وَسَمِعَهُ الْعَرَبَ عَمْرًا الضَّائِعَ ، لَمُوتِهِ فِي غَرَبَةٍ وَفِي غَيْرِ أَرَبٍ وَلَا مَطْلَبٍ . الْأَثَاغِيُّ (١٦) :
١٠٨ — ٦٠) وَالْحِزَانَةُ (٢ : ٢٤٧ — ٢٥٠) وَالْمَصْرِيُّ ٨٩ وَالْمَوْثِقُ ١٦٨ وَالشَّعْرَاءُ
٣٣٦ — ٣٣٨ .

(٢) ل : « لَا يَخِيطُ الْمَرْءَ » بِالْبِنَاءِ الْمَفْعُولِ . الْبَرَزِيُّ : « أَضْحَى فَلَانٌ لِسَنَةِ » .

(٣) ل : « لَا يَنْفِيطَنَّ الرَّجُلَ وَلَا يَرْمُقَنَّ وَلَا يَيْبِلَنَّ » بِالْيَاءِ وَالْبِنَاءِ الْمَفْعُولِ .

قِيلَ فِيهِ : صار فلان حَكَمًا في عَشِيرَتِهِ لكَثْرَةِ تِجَارِيهِ ، وَامْتِدَادِ عُمُرِهِ ، وَدَوَامِ مُزَاوَلَتِهِ لِلأُمُورِ ، وَاتِّصَالِ لِقَائِهِ لِلنَّاسِ وَعِمَارَتِهِ لَهُمْ وَفِيهِمْ ، لِأَنَّهُ إِنْ سَرَّهَ امْتِدَادُ عُمُرِهِ ، وَتَنَفُّسُ عَيْشِهِ فَلَقَدْ ظَهَرَ فِي نَفْسِهِ مِنْ ضَمَنِ وَأَمْنَاءٍ ، وَعَلَى وَجْهِهِ مِنْ ذُبُولٍ وَسُهُومٍ إِلَى غَيْرِهَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى طَوْلِ سَلَامَتِهِ الَّتِي هِيَ الدَّاءُ الَّتِي لَا دَوَاءَ لَهُ .
ومثل هذا قول الشاعر^(١) :

« وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسَلَّمَ^(٢) »

وقول الآخر^(٣) :

فَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصِحِّي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ
وقوله « أَنْ يُقَالَ لَهُ » أَرَادَ لَا يُغَيِّطُ لِأَنَّهُ يُقَالَ لَهُ ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَالَ لَهُ .
وقوله « أَدْنَى تِجَارِي^(٤) » إِنْظَاهُ لَمُتْلُوهُ فِي سِيَاهِ الْخَرِّ وَسُتْرِفِهِ ، ثُمَّ تَبَجُّحُ بِإِضَافَتِهِمْ إِلَى نَفْسِهِ .

٤٠٦

وَقَالَ إِلْيَاسُ بْنُ الْقَائِفِ^(٥) :

١ - يُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرَى النُّوَى بِالْمُقَرَّرِينَ لِلْكَرَامِيَا^(٦)

(١) هو حيد بن ثور الحلال . ديوانه ٧ والبيان (١ : ١٥٣) والحيدان (٦ : ٥٠٣) .

(٢) صدوه : « أرى جبرى قد رابى بعد صحة »

(٣) من شعراء الجاهلية ، كما في الكامل ١٢٥ لبيك .

(٤) كذا ورد تفسير هذه الكلمة هنا مع أنها في البيت السابق ، فيبدو أن الرزوق أضافها مؤخرًا .

(٥) التبريزي : « هو من فاف يقوف إذا اتبع ، مثل يقفو . قال الشاعر :

كذبت عليكم لا تزال توفيق
كما فاف آثار الوسيقة فاف

وجه فاف ، ومن ذلك قيل للقوم الذين ينظرون إلى الولد فيسكون من أبوه : الفافقة ، لأنهم يبنون الشبه في الأعضاء » .

(٦) التبريزي : « قيم الرجال » .

يَفْضَلُ النَّفَى عَلَى الْفَقْرِ وَيَعْنُهُ عَلَى طَلَبِهِ وَارْتِيَادِهِ . قَالَ : تَرَى الْوُسَيْرِينَ يَتَوَدَّعُونَ ، وَتَطْلُو لِقَائَهُمْ فِي دُورِهِمْ وَأَرْضِهِمْ يُتَمَتُّونَ ، وَالْفُقَرَاءُ تَرَاهُمْ تَرْتَمِي بِهِمُ الْبُلْدَانُ النَّائِيَةَ ، وَتَقْذِفُ النَّوَى بِهِمُ لِلْقَازِفِ الْبَمِيدَةِ ، وَلِلْمَالِكِ الْمُسْتَصْبَةِ ، فَلَا يَهْدُونَ وَلَا يَتَقَرَّوْنَ . وَالنَّوَى : وَجْهُ الْقَوْمِ الَّتِي يَنْوُونَهَا . وَلِلرَّامِي : جَمْعُ رَمَى ، وَهُوَ الْمَكَانُ لَا غَيْرَ هُنَا ، لِأَنَّهُ قَابِلُ الْأَغْنِيَاءِ بِالْمُقْتَرِينَ ، وَأَرْضُ الْأَغْنِيَاءِ بِرَأْيِ الْفُقَرَاءِ ، لِأَنَّهُمْ لَا تَدْنُو بِهِمْ دَارَ أَبَدٍ ، فَيَجَالُ تُسَيَّرُهُمْ لِكَسْبِهِمْ وَتَصْرِفُهُمْ كِدُورَ أَوْلَئِكَ لَهُمْ . وَمَقْعَلٌ يَكُونُ اسْمًا لِلْحَدَثِ ، وَزَمَانِهِ ، وَمَكَانِهِ .

٢ — فَأَكْرِمَ أَخَاكَ الدَّهْرَ مَا دُمْتَ مَعَهُ كَفَى بِالْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيًا
٣ — إِذَا زُرْتُ أَرْضًا بَدَّ طُولُ اجْتِنَابِهَا فَقَدْتُ صَدِيقِي وَبِلَادُهَا كَمَا هِيَ
يَقُولُ : أَحْسِنَ مُصْحَبَةَ أَخِيكَ وَصَاحِبِكَ ، وَتَنَاوَلْهُ بِالْإِكْرَامِ طُولَ الدَّهْرِ
وَمُدَّةَ الْعُمُرِ ، فَإِنَّ الْمُنَايَا كَفَتْكَ مَفْرَقَةً وَمُبْعَدَةً . وَقَوْلُهُ « الدَّهْرُ » انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الدَّهْرِ . وَانْتَصَبَ « مَعًا » عَلَى أَنَّهُ خَيْرُ مَا دُمْتَ . وَمَعْنَى مَا دُمْتَ مَعًا : مَدَّةَ بَقَائِكَ وَدَوَامِكَ مَجْتَمِعِينَ . وَقَوْلُهُ « كَفَى بِالْمُنَايَا » مَوْضِعُ الْمُنَايَا رَفَعَ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ كَفَى . وَانْتَصَبَ « فُرْقَةً » عَلَى التَّمْيِيزِ ، أَوْ يَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : كَفَى بِفُرْقَةِ الْمُنَايَا فُرْقَةً . وَالتَّقْدِيرُ : كَفَى فُرْقَةُ الْمُنَايَا مِنْ فُرْقَةٍ ، أَوْ كَفَى لِلْمُنَايَا مَفْرَقَةً وَمَتْنَائِيَةً .

وَقَوْلُهُ « إِذَا زُرْتُ أَرْضًا بَدَّ طُولُ اجْتِنَابِهَا » هَذَا الْكَلَامُ تَوَجَّعٌ وَتَشَكُّرٌ مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ . يَقُولُ : أَرَى الْإِخْوَانَ تَخْتَرِعُهُمُ الْمُنَايَا فَيَتَفَاقِدُونَ ، وَبِلَادُهُمْ وَأَرْضُهُمْ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَتَنِي زُرْتُ مَكَانًا بَدَّ طُولُ الْعَهْدِ بِهِ وَجَدْتُ أَصْدِقَائِي مَفْقُودِينَ ، وَأَمَّا كُنْهِمْ كَمَا كَانَتْ . وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي إِعْرَابِ « كَمَا هِيَ ^(١) » ؛ وَقَوْلُهُ صَدِيقِي يَرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ لَا الْوَاحِدُ .

٤٠٧

وقال ربيعة بن مقروم^(١) :

١ - وَكَمْ مِنْ حَامِلٍ لِي ضَبِّ ضِفْنٍ بَعِيدٍ قَلْبُهُ خُلُوِ اللِّسَانِ

٣ - وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ نَقَمْتُ مِنْهُ بِشَغْبٍ أَوْ لِسَانٍ تَيْجَانٍ

كم لفظه وَضِعْتُ للتكثير ، كما أن رَبُّ وَضِعَ للتقليل ، إلا أنه اسم ورُبَّ حرف . وله موضعان : الاستفهام ، والتلخيص ، وهو من باب التلخيص هنا . والضَّبُّ : الحقد . قال :

فَمَا زَالَتْ رُكَاكُ نَسْلٍ ضِفْنِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِهَا ضِيبَانِي^(٢)

وأضافه إلى الضفْن لأن الضفْن القمصر ، فكأنه حقد قسِرَ ولجَّاج . فيقول : كثيرٌ من الرجال يعملون في الضفائن ، ويسرُّون لي البغضاء ، وقد حلا سبطهم لي جرياً على سَنَتِهِمْ في المداجاة ، وبعد قلبهم متى استمرراً في طريق الشَّانِ لي والمصاداة ، ولو شئت لانتقمْتُ منه بالفعل أو بالقول ، فإن لسانِي عَرِيضٌ ، ويَدِي عالية ، يتأتَّى له مكافأةُ كلِّ النَّاسِ على مقدارِ فعلِهِ ، وبمثل ما ينطوي لي من خيرٍ أو شرٍّ . ويقال : نَقَمْتُ عليه أى أنكرت عليه ففعله ، ونَقَمْتُ منه بمعنى انتقمْتُ . ونَقَمٌ ونَقِمٌ لفتان . والتَّيْجَانُ لا يُكْسَرُ ياؤه ، وقد مضى القولُ فيه^(٣)

(١) سبقت ترجمته في المحاسنة ٩ ص ٦١ ، وساق فيه التبريزي : ربيعة بن مقروم ابن خالد بن عمرو بن غيث بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة .
(٢) وروى : « من مضابها » . والبيت لكثير غزوة ، كما في الجيوان (٤ : ٢٥٠ ، ٣٠٣ / ٦ : ١٠١) والروشح ١٤٣ والصناعيين ٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ١٢٥ لندن ١٨٥ مصر .
(٣) انظر ما سبق في المحاسنة ١٨ ص ١٣١ - ١٣٢ .

- ٣ - وَلِكُنِّي وَصَلْتُ الْجِبَلَ مِنِّي مُوَاصَلَةً بِحَبْلِ أَبِي بَيَانٍ
- ٤ - وَضَمْرَةٌ إِنَّ ضَمْرَةَ خَيْرَ جَارٍ عَلَّقْتُ لَهُ بِأَسْبَابِ مَتَانٍ
- ٥ - هِجَانُ الْحَيِّ كَالذَّهَبِ لِلصَّقِيِّ صَبِيحَةً دِيمَةً يَحْتَنِيهِ جَانٍ
- قوله « وَلِكُنِّي وَصَلْتُ الْجِبَلَ مِنِّي » يقول : أَبْقَيْتُ عَلَى مَنْ يَعَادِينِي وَلَمْ أَعَجِّلْ مُوَاخَذَتَهُ بِإِسَاءَتِهِ وَإِصْرَارِهِ ، وَتَمَادِيهِ فِيمَا أَكْرَهَهُ وَجَلَّاجِهِ ، لِأَنِّي قَدْ وَاصَلْتُ أَبَا بَيَانٍ وَعَلَّقْتُ حَبْلِي بِمِجْلِهِ ؛ وَكَذَلِكَ احْتَشَمْتُ ضَمْرَةً لِأَنَّهُ خَيْرُ جَارٍ ، وَقَدْ اسْتَحْكَمْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَوْاصِرُ حَفْظُهَا عَنِ الْقَطِيعَةِ وَاجِبٌ ، وَلَأَنْ الدِّمَيمَ اللَّتَيْنَةَ الَّتِي تَجْمَعُنَا تُنَازِمُنِي الْقُوفُ فِيمَا يَكْرَهُنَّ ، وَتَرَكَ مَا لَا يُؤْمِنُنِي اسْتِيحَانَهُمَا ، وَهَامَعَ ذَلِكَ كِرَامُ الْحَيِّ لَا غَائِلَةَ لَهَا ، وَلَا شُبْهَةً فِي مَصَافَاتِهِمَا وَحُسْنِ عَقِيدَتِهِمَا ، فَاوْذُهَا إِلَّا كَابِرِيزِ الذَّهَبِ لِلصَّقِيِّ ، وَمَا يَظْهَرُ مِنْ مَمَادِنِ الذَّهَبِ صَبِيحَةً مَطْرُقَةً تَكْشِفُ عَنْ عُرُوقِ الذَّهَبِ ، فَيَحْتَنِيهِ الْمُجْتَنُونَ ، أَيْ يُلْقِطُهُ لِلْمُلْقِطُونَ . وَهَذَا الَّذِي وَصَفَهُ يَقَالُ إِنَّهَا تَكْثُرُ فِي نَوَاحِي التِّيمَنِ وَالْيَمَامَةِ ، وَتَسْمَى تِلْكَ الْمَادَنِ مَادَنَ الْقُفْطِ ، فَإِذَا مَطُرَتْ وَانْكَشَفَتِ الْهَبَوَاتُ وَالْفُجَارُ عَنْ وُجُوهِ حِجَابَاتِهَا يَظْهَرُ مِنْ عُرُوقِ الذَّهَبِ فِي صِفَاتِهَا مِثْلُ مَا وَصَفَهُ أَوْ أَحْسَنَ .
- وقوله « هِجَانُ الْحَيِّ » ارْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : هَمَّ هِجَانُ الْحَيِّ . وَهِجَانٌ جَمْعٌ ، وَوَاحِدُهُ هِجَانٌ أَيْضًا ، لِأَنَّهُ نَسِيلٌ وَفِعَالًا يَشْتَرِكَانِ فِي الْجَمْعِ كَثِيرًا ، فِهِجَانٌ جَاءَ مِنْ هِجَانٍ وَاحِدًا كَقِطْرَافٍ مِنْ ظَرِيفٍ . وَقَوْلُهُ « كَالذَّهَبِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « يَحْتَنِيهِ جَانٌ » حَالٌ مِنَ الذَّهَبِ لِلصَّقِيِّ . وَقَوْلُهُ « مُوَاصَلَةً » يَمْجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ مُوَاصِلًا وَيَمْجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضُوعًا مَوْضِعَ صِلَةٍ فَيَكُونَ مُصَدَّرًا مِنْ غَيْرِ لِقَطْعِهِ . مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ . وَقَوْلُهُ « يَحْتَنِيهِ جَانٌ » وَضَعَهُ مَوْضِعَ يُلْقِطُهُ .

٤٠٨

وقال سلم بن ربيعة^(١):

- ١- إِنْ شِوَاءَ وَنَشْوَةٍ وَخَبَبِ الْبَازِلِ الْأُمُونِ
- ٢- يُجَشِّمُهَا الْمَرْءُ فِي الْهَوَى مَسَافَةَ النَّائِطِ الْبَطِينِ
- ٣- وَالْبَيْضَ يَزُفُلَنَ كَالَّذِي فِي الرِّيطِ وَالْمَذْهَبِ الْمَصُونِ
- ٤- وَالْكُثْرَ وَالْخَفْضَ آمِنًا وَشِرَعَ الْمِزْهَرِ الْخُنُونِ
- ٥- مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ وَالْفَى لِلدَّهْرِ وَالْدَّهْرُ ذُو فَنُونِ
- ٦- وَالْيُسْرَ كَالْيُسْرِ وَالنَّيَّ كَالْمَذْمِ وَالْحَيَّ لِلْمَنُونِ

هذه المقطوعة خارجة عن البحور التي وضعها الخليل بن أحمد ، وأثرب ما يقال فيها أنها تجيء على السادس من البسيط^(٢) ، وليس هذا موضعاً لبسط الكلام فيه .

والنشوة : الخمر والشكر^(٣) . والخبيب والخبيب : ضرب من السير . والبازل : التي قد استكمل لها نسيج ستين فتتأخر قوتها . والأمون : اللوثة الخلق . وخبر إن في قوله « من لذة العيش » .

وقوله « يُجَشِّمُهَا الْمَرْءُ » من صفة البازل ، والمعنى يكلفها صاحبها قطع المسافة البعيدة فيما يهواه . والمسافة مأخوذة من السوف ، وهو الشم . وكان الدليل إذا اشتبه عليه الطريق بفعل ذلك . والنائط : اللطائن من الأرض . والبطين : الواسع الغامض .

(١) كذا في النسخين ، وصوابه كما في التبريزي : « سلم بن ربيعة » . انظر ماسج من التحقيق في حواشي ص ٤٦ .

(٢) يعني ما يسمى مطلع البسيط .

(٣) الحجر ، هنا : مصدر غر الرجل غرا ، فهو غمور .

وقوله « والبيض يَرْفُلْنَ كالدَّهْيِ » يعنى به النساء . وَيَرْفُلْنَ : يَتَبَخَّرْنَ في الرِّيطِ ، وهى اللّلاء الواسعة ^(١) . وَلِلذَّهَبِ الْمَصُونُ ، يُرَادُ به الثَّياب الفاخرة المطرزة بالذهب . وَتَمَلَّقَ فى من قوله « فى الرِّيطِ » يَرْفُلْنَ ، وكالدَّهْيِ فى موضع الحال . والمعنى : والنساء البيض يتبخَّرنَ فى المصونات من الثَّياب السَّكرِياتِ ، وهنَّ مُسَيَّهَاتٌ لِلصُّوَرِ .

والكَثْرُ انمَطَفَ على البيض ، كما أَنَّ البيض انمطف على « وَحَبَّ البازِلِ الأُمُونِ » . والمراد بالكثُر كثرة المال ومساعدة الحال ، وضدهُ القِلُّ . وقال الخليل : كَثُرَ الشَّيْءُ : أَكْثَرَهُ ، وكذلك قُلْ أَفْله . وانخفض : التَّوَدَّعَ . وانتصب « آمِنًا » على الحال ، وانمطف « وَشِرْعَ » على الخفض . فيقول : إنَّ لَدُنَّاتِ الدُّنْيَا من مأْكول ومشروب وملبوس ، وسركوب وقد استمَلَّه صاحبه فيما يهواه ، وكَلَّفَه قطع المسافات فيما تدعوه إليه نفسه ، والنساء البيض بالصفعة التى ذَكَرَها ، والغنى والرَّاحة فى الأمن والملاهي ، جميع ذلك مِن لَدَةِ العيش . وقوله « وَشِرْعَ الزَّهْرِ » أى الأوتار ، واجدُها شِرْعَةٌ . ولِلزَّهْرِ : العُود . والخُنُونُ : يُرِيدُ به الصَّيِّتُ مِنَ الحَنِينِ ، فكأنَّه أشار إلى الزَّهْرِ منقوراً يَنْفَرُهُ لِلدَّهْيِ ^(٢) . فَانظُرْ فَإِنَّهُ جَمَعَ كُلَّ ما يَلْتَذُّ به النَّفْسُ ، وجعلها تامةً بما قَرَنَ به من حال الأمن ، لأنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ إِذَا عَرِيَ مِنَ الأَمْنِ لَمْ يُسْتَطَبْ وَلَمْ يُسْتَمَرَّ .

ثم قال : « والفقَى لِلدَّهْرِ والدَّهْرُ ذُو فَنُونٍ » الواو واو الحال ، وذو فنون أى ضروب . يريد : أنَّ كُلَّ ذَلِكَ مما يَلْتَذُّ المائشُ به ، لكنَّ الفَقَى مُهَذَّبٌ لِلدَّهْرِ ، والدَّهْرُ ذُو تَارَاتٍ : كما يَهَبُّ بِرَجْمِيعٍ ، وكما يَسْلُمُ بِرَيْلٍ ، وكما يُودَّعُ يُتَيْمَبُ ، وكما يُصَنَّى بِكُدَّرٍ . وبند ذلك قال :

(١) كذا فى النسختين . والوجه « لللاء الواسعة » إذ أن « الرِيطَ » جمع لا مفرد .

(٢) اللهم : للشغل بسباع الفناء .

وَالْيُسْرُ كَالْمُسْرِ وَالْفَيْ كَالْعَدَمِ وَالْحَيُّ لِلنَّسَوْنِ
يريد أن شيئاً من هذه الأحوال لا يدوم إلا ريث ما يسقط عليه القواطع
والغيّرات ، فاليسار إذا حصل كالإعسار ، في أن واحداً منهما لا يبقى ، وغنى
النفس كفقرها ، ثم انتهاء كل ذلك للحى منا إلى الموت الذى لا غاية وراءه ،
وليس يُتخلّص منه بحيلة تنفذ ، أو روية تُصَل .

٤٠٩

وقال آخر^(١) :

١ - وَأَنْتَ اسْرُؤْ إِنَّمَا اتَّمَنْتُكَ خَالِيَا فَخُنْتَ وَإِنَّمَا قُلْتَ قَوْلًا بَلَا عِلْمَ
٢ - فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْخِيَانَةِ وَالْإِنْمَرِ^(٢)
يقول : أنت رجل إنما وثقت بك في شيء يحتاج إلى أداء الأمانة فيه ، وقد
خلوت مملوك وأظهرت الشكون إليك فخذني ، وإِنَّمَا أَسْتَنِمُ إِلَى نَاحِيَتِكَ فِي
الْغَيْرِ فَكَذَّبْتَ عَلَيَّ ، وخبرت بما لا علم لك به ، فأنت مما بيني وبينك واقف
في محل بين الخيانة فيما اتّمت فيه ، والإنمَر فيما رجّع إليك في الكشف عنه .
وقوله « اتّمتك » هو ائتمنك من الأمانة ، ولك أن تخفف الهمزة وتبدل منها
ياء ، ولك أن تعوض من الهمزة تاء فتدغمه في التاء التي بعدها فتقول : اتّمتك .

(١) التبريزي : « هو عبد الله بن حاتم السلولي من بني مرة بن صعصعة ، من فليس عيلان .
وبنو مرة يعرفون ببني سلول ، وسلول أنهم ، وهي بنت ذهل بن خبيان بن ثعلبة ، وكان
عبد الله مكيناً عند آل مروان ، وهو الذي بث يزيد بن معاوية على اليمعة لابنه معاوية في قوله :

تَزَوُّوا يَا بَنِي حَرْبٍ بِصَبْرٍ فَنَ هَذَا الَّذِي يَرْجُو الْخُلُودَا
خِلَافَةَ رَبِّكُمْ حَامُوا عَلَيْهَا وَلَا تَرْمُوا بِهَا الرُّعُوسَ الْيَمِيدَا
تَلَقَّيْهَا يُزَيْدٌ عَنْ أَبِيهِ غَلْظَهَا يَا مَعَاوِي عَنْ يَزِيدَا »

وقد روى الثعالب في الأملال (٢ : ٤٦) هذين البيتين وقصتهما .

(٢) رواية الأملال : « فأبت » بالياء . وذكر محققه أنها في نسخة : « فأنت » . واللعن
على كل صحيح .

وخَالِيَا اَتَمَّصَبَ عَلَى الْحَالِ ، وَذُو الْحَالِ يَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّاعِرَ . وَالْمَعْنَى : جَعَلْتُكَ مَوْضِعًا لِلْأَمَانَةِ وَقَدْ خَلَوْتُ بِكَ ، لَثَلَا يَتَجَاوَزُنَا السَّرَّ الَّذِي أَوْدَعْتُكَ . وَيَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا لِلْمَخَاطَبِ ، وَالْمَعْنَى مَنَعَهَا .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا أَتَى عُيَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَيْدَ اللَّهِ بْنِ هَمَّامٍ السَّلُولِيَّ سَبَّهُ وَأَسْرَفَ جِهَارًا ، لَا حِشْمَةَ تَرُدُّهُ ، وَلَا رِقَبَةً تَمْنَعُهُ . فَأَرْسَلَ عُيَيْدُ اللَّهِ إِلَى ابْنِ هَمَّامٍ وَاسْتَحْضَرَهُ لِيُقَابِلَهُ بِالرَّجُلِ ، وَيَتَبَيَّنَ مِنْ حَضُورِهَا حِصَّةُ الْخَبِيرِ ، فَأَتَاهُ ابْنُ هَمَّامٍ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ قَالَ عُيَيْدُ اللَّهِ : يَا ابْنَ هَمَّامٍ ، إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا . فَأَقْبَلَ ابْنُ هَمَّامٍ عَلَى الرَّجُلِ وَخَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ : « أَنْتَ اسْمِدُّ إِمَّا أَتَمَمْتُكَ خَالِيَا » . . . الْيَتِيمِينَ .

فَإِنْ قِيلَ : مَا مَوْضِعُ « إِمَّا أَتَمَمْتُكَ » مِنَ الْإِعْرَابِ ؟ قُلْتُ : هُوَ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِاسْمِي . وَإِمَّا هَذِهِ ، هِيَ الَّتِي تُنْعَدُّ فِي حُرُوفِ الْمِطَفِ ، وَالْكَلَامُ خَبَرٌ . يَرِيدُ : أَنْتَ رَجُلٌ لَا تَخْلُو بِمَا تَصُكُّ بِهِ وَجْهِي مِنْ أَحَدِ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ أَذْكَرُهَا . فَهَوَكَمَا تَقُولُ : أَنْتَ رَجُلٌ إِمَّا صَالِحٌ وَإِمَّا ظَالِمٌ . وَقَوْلُهُ « فَخُفَّتَ » انْعَطَفَ عَلَى أَتَمَمْتُكَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَنْتَ رَجُلٌ إِمَّا مُؤْتَمِّنٌ لِحَاشٍ ، وَإِمَّا قَاتِلٌ قَوْلًا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ . وَقَوْلُهُ « وَإِمَّا » الْوَاوُ هِيَ الْعَاطِفَةُ . وَإِمَّا كَأَوْ فِي أَنَّهُ لِأَحَدِ الْأُمَرَاءِ ، إِلَّا أَنَّ « أَوْ » يُبْنَى الْكَلَامُ فِيهِ . عَلَى الْيَقِينِ ثُمَّ يَنْعَرِضُ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنْهُ . وَ« إِمَّا » يُبْنَى الْكَلَامُ فِيهِ عَلَى عَيْنِ الْيَقِينِ . وَلِهَذَا الَّذِي قُلْنَاهُ قَالَ خُذَّاقُ أَصْحَابِنَا : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ حُرُوفِ الْمِطَفِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ مِنْهَا وَهُوَ يَمْحَى قَبْلَ مَا يُسْطَفَ عَلَيْهِ أَوْ مَعَ حَرْفِ الْمِطَفِ . تَقُولُ : رَأَيْتُ إِمَّا زَيْدًا وَإِمَّا عَمْرًا . فَلِأَنَّ الْأَوَّلَى سَابِقُ الْمَطُوفِ عَلَيْهِ وَهُوَ زَيْدٌ ، وَإِمَّا الثَّانِيَةِ مَعَهَا الْوَاوُ الْعَاطِفَةُ .

وقوله « فانت من الأمر الذي كان بيننا » مبتدأ وخبره « بمنزلة » ، وبين الخيانة صفة للمنزلة . والمعنى : أنت مما^(١) بيننا في موقف يُشفي بك إما على الخيانة فيما اتُخِمت فيه ، وإما على الإثم فيما تُستشهد فيه ، فتقول بما لا علم لك به .

٤١٠

وقال شبيب بن البرصاء^(٢) :

١ — قلتُ لِنَلَّاقٍ بِعِرْنَانَ مَا تَرَى فما كاد لي عن ظهرِ واضحةٍ يُبْدِي
عِرْنَانَ : اسم واد^(٣) . وقوله « عن ظهر واضحة » يجوز أن يريد عن ظهر خصلة بينة . والمراد : لما استشرته وقد حصلنا بعِرْنَانَ أوتيتك فلم يكذب يكشف لي عما يصح المراد به ، ويمكن الاعتدال عليه . ويجوز أن يريد بالواضحة للسن . والمعنى : لم يكذب يتهلل أو يكشف عن أسنانه به ضاحكا أو كاشرا . ويكون استعمال الواضحة كما قال طرفة :

كلُّ خليلٍ كنتُ عاهدته لا ترك الله له واضحة
وقوله « تبسم كرها » يدل على الوجه الثاني .

٢ — تبسم كرها واستبنت الذي به من العزّين البادي ومن شدة الوجْد
٣ — إذا لره أعرامُ الصديق بدا له بأرض الأعادي بعض ألوانها الرُبْد
انتصب كرها على أنه مصدر في موضع الحال . يقول : بسم لي كرها فتبينت الذي به من حزنٍ ظهر عليه ، ومن وجْدٍ استكن في قلبه . ويقال استبنت وتبينت بمعنى واحد . وبسم وابسم وتبسم بمعنى واحد ، إلا أن في

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « فيما » .

(٢) سبقت ترجمته في المحاسنة ٤٠٣ ص ١١٢٣ .

(٣) وعن السكوني أنه جبل بين تيماء وجبل طي . معجم البلدان .

تبسم زيادة معنى التكلف ، كأنه تكلف منه ما تكلف على كراهية .
 وقوله « إذا لره أعراه الصديق » يريد به : إذا الرجل خذله صديقه
 وقعد عن نصرته ، وتركه بالتراء ، في أرض الأعداء ، بدا له من ألوان
 الأرض إذا اسودت بعضها . وهذا التفصيل والتبويض دل على أن اسوداد
 الأرض يكون من وجود عدة ، والحالة التي أشار إليها ما يختص بها ، ويجب
 أن يكون أشدها . وهذا لأن ما يرد على النفس من للكاره سراتب ، فاسوداد
 الأرض عليه لما على حسب مقاديرها في أنفسها .

٤١١

وقال سالم بن وابصة^(١) :

١- أحب الفتي ينفى القواش سمعه كأن به عن كل فاحشة وقرا
 ٢- سليم دواعي الصدر لا باسط أذى ولا مانع خيرا ولا قاتل هجرا^(٢)
 يقول : أحب من أخلاق الفتي أن يكون معكراً إذا طرقت أذنه ذكر
 القواش ، فلا يعبها ولا يحملها من نفسه ببال ، حتى كأن به صمكا عن أنواع
 القواش كلها .

وقوله « سليم دواعي الصدر » ، ارتفع سليم لأنه خبر مبتدئ محذوف ،
 كأنه قال : هو سليم ، ويكون ما بعده صفات له . ويريد بالدواعي ما يتعلق
 بالأفكار منه لا ما يختص في نفسه . ألا ترى أنه فسره بقوله « لا باسط أذى ولا

(١) البربري : « سالم بن وابصة الأسدي » . وقد سبقت ترجمته في الخامسة ٢٤٤
 ص ٧١٠ . والآيات في أمالي القائل (٢ : ٢٢٤) .

(٢) البربري : « لا باسطاً ... ولا مانعاً ... ولا قاتلاً » . ومثله القائل ، لكن رواجه
 في آخر البيت : « ولا تاملها هجرا » .

مانعٌ خيراً ولا قاتلٌ هُجْراً» وكلُّ ذلك للنَّفْسِ لا للنفس . ويكشفُ هذا أنه إذا بسطَ أسبابُ الأذى عادَ الضررُ منها على المتأذى لا عليه . وإذا منعَ غيره كذلك عادَ الضررُ على المنتفع به وعلى هذا إذا قال هُجْراً . والهَجْرُ : النُحْشُ . ويقال : أَهَجَرَ الرَّجُلُ ، إذا أتى به . وقد كان من فلانٍ هاجرةً . على ذلك قوله :

* إذا ما شِيتَ نالَكَ هاجِرَاتِي ^(١) *

ولك أن تنصّب « سليم » بما يمله ، فيكون في موضع الحال ، وما يقيمه صفات له ، وهو لا باسطاً أذى ولا مانعاً خيراً ولا قاتلاً هُجْراً .

٣- إذا ما أنت من صاحبٍ لك زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَمِلاً لِزَلَّتِهِ عَذْرًا ^(٢)

٤- غَفَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ حَاجَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ النَّفْسِ قَهْرًا ^(٣)

يقول واعظاً ومهذّباً : إذا انتفتت من صديقٍ لك زَلَّةٌ ، أو وقوفٌ موقفٍ تهمه ، لحسن أمره في ذلك واحمله على ضروبٍ مما يبسطُ عذْرَهُ فيه ، بل كن أنت المحتالَ لمُذْرِهِ ، فلا تُحوِجه إلى تكلف الاعتذار .

وقوله « غَفَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ حَاجَةٍ » يقول : خُذْ من دنياك ما تسدُّ

به قهرَكَ ، فإن غَفَى النفس ما يضمن الكفاية ، فإن زاد قليلاً عاد ذلك بزيادتك

فيه الفقر ، وذلك أن الدواعي إما تكثر وتوسع بتوسع الأسباب وكثرتها ،

وما يفضلُ عن الكفاية يثكلُ جزء منه بمائةٍ صاحبه فلا يكاد يكتفي ببعضه

(١) يجره في السان (هجر) :

* ولم أعمل بين إليك ساقى *

(٢) قبله عند البرزى ، ولم يروه القائل :

إذا شئت أن تدعى كريماً مكرماً أدبياً ظريفاً عاقلاً ماجداً حراً

(٣) البرزى : « ما يكفيك من سد خلة » . القائل : « ما يكفيك من سد خلة »

ولن زاد » .

إلا وما عداه يُتَّبَعُ بِمَثَلِ مَاتَتْهُ . وإذا صار الأمر على ذلك فكلُّ منزلةٍ ينتهي إليها طلبُ الفضل تدعوه إلى ما فوقها ، فيبقى أبداً مُتَّعِباً هديرًا . وقوله « فإن زاد شيئاً » انتصب شيئاً على المصدر ، لأنه واقعٌ موقعٌ زيادة . وزاد هاهنا بمعنى ازداد ، فلا يتعدى . وانتصب قرأ على الحال .

٤١٢

وقال آخر^(١) :

١ - وَكَمْ مِنْ لَيْمٍ وَدَّ أَنْيَ شَتَّتَهُ وَإِنْ كَانَ شَيْعِي فِيهِ صَابٌ وَعَلَقَمُ
٢ - وَلَكِنْ عَنْ شَتْمِ اللَّيْمِ تَكَرُّمًا أَضُرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يُشْتَمُ
اللَّيْمُ : الذي اجتمع فيه خصالٌ مذمومةٌ في نفسه وأبويه . فيقول : كم من رجل دنى النفس والأصل ، يتمنى أن اتَّخَذَهُ نظيراً لي أكايِّله وزناً وبوزن ، وأكافيه لفظاً بلفظ ، وإن كان في هَجْوِي له وشَيْعِي إِيَّاهُ ما يَجْرِي بِجَرِي الصَّابِ والعلقم في المرارة . والصَّابُ : شجرةٌ لها لبنٌ فإذا أصاب العينَ حلبها . والعلقم : الحنظل . وقال الخليل : عَلَقَمُ الحنظلُ ، إذا اشتدَّتْ مرارته . ثم قال : لِمَسَاكِي عَنْ مُشَاتَمَةِ اللَّثَامِ أَخِذَا بِالكَرَمِ ، أَصَوْنُ لِيَرْضَى ، وَأَعُوذُ عَلَيْهِم بِالضَّرِّ مِنْ كُلِّ ذَمٍّ وَهَجْوٍ . وانتصب « تَكَرُّمًا » على أنه

(١) التبريزي : « وقال المؤمل بن أميل الهاربي » . والمؤمل ، كذا ضبط بالميم المشددة المفتوحة عند التبريزي . وهو المؤمل بن أميل بن أسيد الهاربي . نسبته إلى عراب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، شاعر كوفي من مخضري شعراء الفوليين . وكانت شهرته في البساطة أكثر ، لأنه كان من الجنود المرتزقة معهم . واتخلف إلى المهدي في حياة أبيه . وكان يهوى امرأة من أهل الحيرة يقال لها هند ، وفيها يقول قصيدته المشهورة :
شف المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤمل لم يخلف له بصر
فيقال إنه رأى في منامه رجلاً أدخل إصبعه في عينيه وقال : هذا ما تمنيت . فأصبح أعمى .
الأغانى . (١٩ : ١٤٧) ومجمع الأدباء (٧ : ١٩٥) مرجليوث (والخزائن (٣ : ٥٢٣) ونكت الحميان ٢٩٩ وسقط الآتي ٥٢٤ .

مصدر في موضع الحال ، أى متكروما ، ويموز أن يكون مفعولا له ،
أى للتركوم .

٤١٣

وقال عقيل بن علفة^(١) :

١- وَلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ كَلِبْسَتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقًا
٢- وَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَقِّ فَكُنْ أَنْتَ أَحَقًّا
ذِكْرُ الْأَثْوَابِ مَثَلٌ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ تَلَوُّنَ الدَّهْرِ بِأَهْلِهِ ، وَتَصَرُّفَهُ بِأَحْدَاثِهِ
وَتَارَاتِهِ وَغَيْرِهِ . وَاللَّبْسَةُ : اسْمُ حَالَةِ اللِّبَاسِ . أَيْ اللَّبْسُ ثِيَابُهُ لِبَسْتُهُ مُحْدَثًا
أَوْ مُخْلَقًا ، وَإِنْ أَجَدَّ أَوْ أَخْلَقَ ، لِأَنَّ الْحَالَ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْجَزَاءِ ، وَالْقَصْدُ إِلَى
تَوْصِيَةِ الْخَاطِبِ بِأَنْ يَطْلُبَ مَوَاقِفَ النَّاسِ فِي دَهْرِهِمْ ، وَيَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَمَعْنَى
أَجَدَّ : جَعَلَ ثَوْبَهُ جَدِيدًا . وَكَذَلِكَ أَخْلَقَ الثَّوْبُ نَفْسَهُ فَهُوَ مُخْلَقٌ ؛ وَهَذَا أَشْهُرُ
مِنَ الْأَوَّلِ . وَقَدْ قِيلَ فِي الدِّعَاءِ لِلْأَبْسِ الْجَدِيدِ : « أَبْلَى وَأَجَدَّ » يَرَادُ بِهِ فِعْلُ
مِثْلِهِ فِي اللَّسْتَانِ ، وَاتِّصَالُ عَمَرِهِ . وَقَدْ صَرَّحَ عَنِ الْمَعْنَى فِيَا بَشَدَهُ ، لِأَنَّهُ قَالَ :
وَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ . وَلِلْمَعْنَى : تَكَيِّسَ مَعَ الْأَكْيَاسِ ،
بَلِ اجْتَهَدَ أَنْ تَتَوَقَّعَهُمْ فِي كَيْسِهِمْ وَإِنْ ابْتَلَيْتَ بِحَقِّقٍ فَتَحَقَّقْ مَعَهُمْ . وَقَوْلُهُ
« كُنْ أَنْتَ » أَنْتَ تَوْكِيدٌ لِلْمُضَرِّ فِي كُنْ . وَ« أَحَقًّا » يَمْجُوزُ الْأَيُّ يَرِيدُ بِهِ أَفْضَلَ
الَّذِي يَتِمُّ مِنْهُ وَيَكُونُ الْمَعْنَى تَحَقُّقٌ . وَيَمْجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ الَّذِي يَتِمُّ مِنْهُ ،
وَقَدْ حَذَفَ مِنْهُ مِنْ لَأَنَّهُ خَبَرٌ لِحَازَ ذَلِكَ فِيهِ . وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّهُ قَالَ : كُنْ
أَكْيَسَ الْكَيْسَى . وَقَدْ قِيلَ : مَا أَحَقُّهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْخَلْقِ فِي شَيْءٍ . الْأَتْرَى

(١) سبقت ترجمته في الجاسية ١٣٦ من ٤٠٠ . التبريزي : « وقال عقيل بن علفة للمرى ،
مرة بن عوف بن سعد بن بشير . وصحف ابن علفة . وعلفة تيسى لم يعرف اسمه ونسبه » .

أن صاحبه يُؤخَّر على ما يأتيه منه . فأما قوله « الخلق » ففعلٌ جمعٌ فيما يكون بلاءً وزمانةً . على ذلك الجرحى والرزى ، فشبهت الحاقة به ، ثم حُلَّ الكِنسي عليه لأنهم يحملون النقيض على النقيض كثيراً .

٤١٤

وقال بعضُ الفزاريين :

- ١ — أَكْنِيهِ حِينَ أُنَادِيهِ لِأَكْرِمَهُ وَلَا أَقْبِيهِ وَالسَّوَدَةَ الْقَبِيَّةَ^(١)
 - ٢ — كَذَاكَ أَذْبْتُ حَتَّى صَارَ مِنْ خُلُقِي إِنِّي وَجَدْتُ مِلَّكَ الشَّيْءِ الْأَدْبَا
- يصف حُسنَ عِشرته لصاحبه وجليسه ، ومؤاخذهً نفسه بصيائنه وإكرامه فيقول : إذا خاطبته خاطبته بأحبِّ أسمائه إليه ، وهو الكِنْيَةُ ، وأعدِلْ عن نَبَرِهِ^(٢) ولقبه لأنى على هذا أَذْبْتُ ، حَتَّى به تَطَبَّعْتُ ، فصار خُلُقًا ثانياً لى وإن كان أصله تخلفاً ؛ إني وجدت الأدب مِلَّكَ الأخلاق . وللملاك اسمٌ لما يُمْلَكُ به الشيء ، فهو كالرِّبَاطِ والنَّظَامِ وما أشبههما . وقوله « ولا أقبه والسَّوَدَةَ الْقَبِيَّةَ » ينصب السَّوَدَةَ ، فنصب اللَّقَبَ من أَقْبِي ، وينصب السَّوَدَةَ على أنه مفعول معه ، فيكون من باب : جاء البرْدُ والطَّيَالِسَةُ . والتقدير : لا أَقْبِيهِ اللَّقَبَ مع السَّوَدَةِ . ويجرى هذا الجرى قوله تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ ، لأنَّ المعنى مع شركائكم . ويكون المراد : لا أجمعُ بين اللَّقَبِ وما يسوءه من فُحشِ الكلام . وهذا وجهٌ للنصب . ويموز أن يكون انتصاب السَّوَدَةِ على

(١) يروى : « والسَّوَدَةُ الْقَبِيَّةَ » على الابتداء والخبر ، كما يروى تأليه « ملاك الشيعة الأدب » على جمل الجملة مفعولاً ثانياً لوجدت ، ومفعول الأول ضمير الشأن المحذوف ، أو على أن « وجدت » مطلق عن الفعل في اللفظ بلام الابتداء للقدرة ، والجملة بعدها من البدأ والخبر سعت مسد مفعول وجد . انظر الحُرَّاة (٤ : ٥ — ٧) .

(٢) النَّبَزُ ، بالتحريك : اللَّقَبُ ، وجهه أنباز .

للعنى ، كأنه قال : ولا آتى السَّوءَ ، فعل في معنى لا ألقبه ، فيكون على هذا من باب :

يَا لَيْتَ بَطَلَكِ قَدْ غَدَا مَقْلَدًا سَيْنًا وَرُحْمًا^(١)

و : * عَلَفْتُهَا تَيْنًا وَمَاءً بَارِدًا^(٢) *

ويجوز أن يكون السَّوءَ مفعولاً به ، وقد عمل ما قبل الواو فيه ، كما تقول : مازلتُ وزيداً حتى قتلَ كذا ، أى مازلتُ يزيدَ حتى فعل . وتقدير الباب في هذه أكتشفُ من تقدير مَحْ وإن تقاربَ معنيهما ، كأنه قال : لا ألقبه القلبَ بالسَّوءِ . ويقال : سميتَه كذا وبكذا ، ولقَّبتَه كذا وبكذا . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ . وإن رُفِعَ ارتفاعه يجوز أن يكون بالابتداء ويكون الخبر مضمراً ، كأنه قال : والسَّوءُ ذاك ، يعنى إن لقَّبتَه فالعش فيه^(٣) . ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره القلبُ ، ويكون مصدرًا كالجَمْزَى والوَكْرَى وما أشبههما . والمراد : والعش استعمال القلب معه ، ويكون تظليماً للأمر لو فصل . ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : لا ألقبه القلبَ ، وهو السَّوءُ . وهذا أقربُ . والسَّوءُ : الفَعْلَةُ القبيحة . قال الشاعر^(٤) :

(١) وروى : « يا لَيْتَ زوجك » . وروى : « يا لَيْتَ بَطَلَكِ في الوش » . والبيت لبيد الله بن الزبيري كما في حواشي ابن الفوطي على الكامل ١٨٩ . وانظر الكامل ٢٠٩ ، ٤٠٣ . وأما المرتضى (٤ : ١٧٠) والإنصاف لابن الأنباري ٣٥٧ ، وأما ابن الفجري (٢ : ٣٢١) والخزانة (١ : ٣٣٠) .

(٢) أى وسقيتها ماءً بارداً . والبيت لم يعرفنا له . وهو عند المصنف (٤ : ١٨١) والمرضى (٤ : ١٧٠) وابن السجري (٢ : ٣٢١) وشرح شواهد النقي للسيوطي ٣١٤ والخزانة (١ : ٣٣٠ ، ٤٩٩) . قال البغدادي : « وأورد له العلامة الفهرزى ، والفاضل الجنى ، صدرًا وجعل المذكور مجزأً حكنا :

لما حطمت الرجل منها وارتدا علفتها تيناً وماء بارداً . وجهه غيرها صدرًا وأورد مجزأً حكنا :

علفتها تيناً وماء بارداً حتى شقت حلقاً ميناها .

(٣) كذا في ل ، وفي الأصل : « ه » .

(٤) هو أبو زيد اللاتى ، كما في معانيس اللغة واللسان (سوا) .

* يَأْتُونِمْ لِّلْسُوَّةِ السَّوَاءِ^(١) *

وَيَسَى الْقَرْجِ السَّوَّةَ ، لقبه . وفي القرآن : ﴿ قَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾ .
ويقال : سَوْءَةٌ لِّفُلَانٍ^(٢) ا دعاء عليه .

٤١٥

وَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي قُرَيْشٍ^(٣) :

١- سَتَى مَا بَرَّ النَّاسُ النَّفَى وَجَارُهُ قَعِيرٌ يَقُولُوا عاجزٌ وَجَلِيلٌ
٢- وَلَيْسَ النَّفَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ النَّفَى وَلَكِنْ أَسْخَاطُهُ قُسِمَتْ وَجُدُودُ
أَخْرَجَ هَذَا الْكَلَامَ مَخْرَجَ الْإِنْكَارِ لِمَا تَعَوَّدَهُ النَّاسُ فِي الْحُكْمِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ
وَالْفُقَرَاءِ . فيقول : مِمَّا يَقْضَى بِهِ النَّاسُ عَلَى النَّفَى وَإِلَى جَنْبِهِ قَعِيرٌ ، أَنْ يَقُولُوا :
هَذَا مِنْ تَجْزِيهِ أُنَى ، وَهَذَا جِلْدَانِيهِ أُغْنَى . وهذا خطأ ، لِأَنَّ النَّفَى وَالْفَقْرَ مِمَّا
قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَجْرَتِي بِهِ قَسَمَهُ فِي خَلْقِهِ ، وَلَيْسَ لِلْمُعْتَدِّ فِيهِ عَلَى احْتِيَائِهِمْ ، وَسَعْيِهِمْ
وَاجْتِهَادِهِمْ ، لَكِنَّا جُدُودَ وَحُظُوظَ دُرُجُوا عَلَيْهَا ، وَخُلِقُوا لَهَا ، عَلَى مَا عَرَفَ
اللَّهُ تَعَالَى مِنْ صَالِحِ خَلْقِهِ .

وجواب « متى ما برَّ » قوله « يقولوا » . وارتفع عاجزٌ على أنه خبر مبتدأ
مُحذوفٌ ، كَأَنَّهُ : هَذَانِ عَاجِزٌ وَجَلِيلٌ .

٣- إِذَا لَرَّهُ أُعْيِيَتْهُ لِّلرَّوَّةِ نَاشِئًا فَتَطْلُبُهَا كَهْلًا عَلَيْهِ شَدِيدُ^(٤)

(١) صوره : * لم يهب حرمة النديم وحقت *

(٢) في الأصل : « سومة فلان » ، سواه في له ، واللسان (سوا ٩١) .

(٣) هو الملوط السمدى القرينى ، كما في عيون الأخبار (٣ : ١٨٩) . وقرع ، من
بنى كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم : الاشتقاق ١٥٥ ، ١٥٠ . وقد مرَّح به ابن جني في
التيه حيث قال : « قال الملوط بن بدل القرينى : إذا لَرَّهُ أُعْيِيَتْهُ » فأُنفذ البيت الثالث .

(٤) ابن جني : « أُعْيِيَتْهُ التَّيَافُة » .

٤ - وكأئن رأيتنا من غنى مذمّر وصُلوك قوم مات وهو حميدُ
 قوله « إذا المرء أعتيته » بمثّ وتحضيض على النهوض في طلب المال في
 ابتداء النشء ، وحين كان في القُوّة فضلةً ، وفي العمر مهلةً ، حتى تتلاقى أوائلُ
 عُمره وأواخره في طلب الرّئاسة ، وإقامة المروءة ، وأنّه إن دافع بما عليه في ذلك
 وماطل انتظاراً لأحوالٍ تجتمع [له ^(١)] فاكتهل ولك تساعده تلك الأحوال
 فإنّه يتعذّر عليه طلبها ، ويشتدّ عليه إدراكها . وانتصب « ناشأ » على الحال ،
 والعامل فيه أعتيته . ويقال : كتّى ناشئٌ ، أى شابٌ . قال الخليل : ولا يوصف
 به الجارية . والناشئة : أوّل الوقت ^(٢) ، من هذا . وينتصب « كتهلاً » على
 الحال أيضاً ، والعامل فيه مطلبها ، لأنّ للمنى مطلبها وهو كهلٌ ، فالمنذر
 مضافٌ إلى للفعول ، أو مطلبها لما إذا كان كتهلاً ، ومثله : هذا تمرّاً أطيبُ
 منه بُسراً .

وقوله « وكأئن رأيتنا » كأئن بمعنى كم . وكأنّه أخذ يفضل الفقر إذا جرى
 صاحبه في محمود الطرائق من التّجمل ، والأكتفاء والتّمتّع ، على الغنى وصاحبه
 يبطل ، ويطغى ويأشر ، ثم لا يؤدّي حقّ النّعمة عليه ، فقال : كم من غنى
 ساعدته الدنيا والأقدار ، ثم أصبح مذمّماً حين لم يلتزم شُروط محمود الغنى ، وكم
 من فقير قوم لما جرى في ميدان التّغاف والتّجمل ، والرّضا بما له والتّشكّر ،
 مات وهو حميدُ الطريقة ، رضى السّريّة . والصّلوك : التّقيير . ويقال :
 صمكتّه ، أى ذهبَ بماله كلّهُ .

(١) الكلمة من ل .

(٢) أى في نحو قوله تعالى : « إن ناشئة الليل » .

٤١٦

وقال بعضهم^(١) :

١- وَأَضَعْتُ أُمُورَ النَّاسِ يَفْشِينَ عَالِمًا بِمَا يُنْتَقَى مِنْهَا وَمَا يُتِمَّدُ
٢- جَدِيرٌ بِالْأَلَا أَسْتَبْكِينَ وَلَا أَرَى إِذَا الْأَمْرُ وَلَّى مُذِيرًا أَتَبَلَّدُ
قوله « يَفْشِينَ عَالِمًا » أى يَشِين مَنِّي عَالِمًا ، لِأَن الْعَالِمَ هُوَ هُو ، فَحَذَفَ مَنِّي .
واللحنى : أَنَّنِي بَاشَرْتُ الْأُمُورَ الْمُظْلِمَةَ ، وَلَا بَسْتُ الْمَطْلُوبَ الْجَلِيلَةَ ، فَصَرْتُ بِطَوَّلِ
تَجَرِبَتِي ، وَاتَّصَالَ عَمَارَتِي ، عَالِمًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ إِذَا وَرَدَتْ أَخْبَارُهَا^(٢) عَلَى
بِمَا يُتَحَايَ مِنْهَا وَيُحْذَرُ ، وَمَا يُتَمَنَّى مِنْهَا فَيُطْلَبُ . فَلَا جَرَمَ أَنَّنِي خَلِيقٌ بِالْأَلَا
أُضْرَعُ عِنْدَ نَوَائِبِ الدَّهْرِ وَلَا أُخْضَعُ ، وَلَا أَرَى إِذَا قَاتَنِي أَمْرٌ أَعْسَرُ فِي أَثَرِهِ
وَقَدْ وَلَّى ، وَأَضْرَبُ بِلَدَّةٍ إِحْدَى كَفَنِي بِالْأُخْرَى^(٣) ، تَوَجُّعًا وَتَلَهُّفًا ، إِذْ كُنْتُ
وَاقِعًا بِأَنَّ الْأُمُورَ يَمْلِكُهَا التَّغْيِيرُ ، وَأَنَّ الْفَائِزَ يُتَلَاقَى ، فَلَا يَدُومُ شَيْءٌ عَلَى حَالٍ
إِلَّا رِيثَ مَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ انْتِقَالُ .

وقال الذُّرَيْدِيُّ : تَبَلَّدَ الرَّجُلُ ، إِذَا تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ فَأَقْبَلَ يَضْرِبُ بِلَدَّةٍ نَحْرَهُ
بِيَدِهِ . وَبِلَدَّةُ النَّحْرِ : الثُّغْرَةُ وَمَا حَوْلَ إِلَيْهَا . وَقَالَ الْخَلِيلُ : التَّبَلُّدُ : نَقِيضُ التَّجَلُّدِ
وَهُوَ اسْتِكَانَةُ وَخُضُوعُ . وَبُلْدُ الرَّجُلِ ، إِذَا انْكَسَرَ^(٤) فِي الْعَمَلِ وَصَغَفَ .

(١) التبريزي : « وقال آخر » .

(٢) ل : « أخبارهم » .

(٣) البلدة ، بالفتح : راحة السكف .

(٤) كذا في ل ، وفي الأصل : « إذا نكس » .

٤١٧

وقال آخر :

- ١ - وإنك لا تدرى إذا جاء سائلٌ أنتَ بما تُعطيه أم هوَ أَسعدُ
 ٢ - عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إن منعتهُ من اليوم سؤلاً أن يكونَ له غدُ
 ٣ - وفي كثرة الأيدي لذي الجهل زاجرٌ وللحلم أبى للرجالِ وأغودُ
 هذه الأبياتُ تشبه قولَ الآخر :
 وأكرم كرمًا إن أتاك حاجةٌ لعاقبةٍ إن المضاه تروحُ^(١)
 وقول الآخر^(٢) :

لا نهينَ الفقيرَ علكَ أن تَرَكَ يوماً والدَّهرُ قد رَمَقَ
 وقوله «أنتَ بما تُعطيه أم هوَ أَسعدُ» تقديره أنتَ بما تُعطيه أم هوَ .
 وأم هذه هي التصلة المأدلة لألف الاستفهام ، فأنطَفَ هو به على أنت . وقد
 يحمى الخبيرُ في مثله مكرراً ، كقول الشاعر^(٣) :

باتَ يقامى أمرُهُ أُميرُهُ أغصمه أم السَّحيلُ أغصمه
 فيكون التكرار فيه على طريق التأكيد . ويمرّ « بين » هذا المجرى
 في نحو قولهم : بين زيد وبين عمرو خلاف ، ولولم يكرّر بين لكان الوجه .
 والشاعر يقول : إذا زارك سائلٌ فتوفّر عليه ، ولئن قولك وجانبك له ، فإنك
 لا تلم أنتَ أسعدُ بما يناله منك أم هو ، واعلم أنَّ الاحتجاجَ إليك إن منعتهُ سؤلهُ
 وطليته فهو حقيقٌ بأن ينال ما منعتهُ في غده . وقوله « أن يكونَ له غدٌ » في

(١) تروح التبت والشجر : طال . اللسان (٣ : ٢٩٤) .

(٢) هو الأنصيط بن قريح السمنى . البيان (٣ : ٣٤١) والمصريين ٨ وبجبال تلب
 ٤٨٠ والأمل (١ : ١٠٧) والأغاني (١٦ : ١٥٤) وحاسة ابن العنبري ١٣٧ والخزائن
 (٤ : ٥٨٩) ولتل السائر (١ : ٢٦٠) .

(٣) هو الرابض المعاج . ديوانه ٦٤ .

موضع خبر عسى ، والضمير من له يسود إلى السائل ، والمعنى : عساه إن منعته سؤله من يوم كان عليه ، أن يكون غد ذلك اليوم له ، ولهذا قال الله عز وجل : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ، فغد يرتفع بيبكون ، وله في موضع الخبر .

وقوله « وفي كثرة الأيدي لذي الجهل زاجر » يريد استيق إخوانك وذويك ، واعلم أن في التكاثر بهم مَزَجَرَة للجاهل ، ولتعاون أيديهم مدفعة لأذى الغلب الخامل . ومع ذلك فالجلم أبقى شأننا وأمرًا للرجال ، وأردُّ عليهم وأنفع لهم . وهذه الوصاة اشتملت على أمرين : أحدهما اكتساب مودات الإخوان لكي يكونوا إذا احتيج إليهم عونًا . والثاني استعمال الجلم مع الأعداء ، والجرى مهمهم على حدٍّ لا يخرجهم إلى المكاشفة ، ولا يُخْرِجُهُمْ إلى خرق الهيئة . وقوله « من اليوم سولا » ، يقال : أُعْطِيَ فلان سؤله ، فبهز ولا يهز .

٤١٨

وقال آخر :

- ١ - إِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّتِي إِنْ تَوَسَّعْتَ مَدَاخِلَهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ^(١)
 - ٢ - فَاَحْسَنْ أَنْ يَعْذَرَ الْمَرْءَ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرٌ
- انتصب « والأمر » بفعلٍ مضمَر . وإِيَّاكَ ناب عن أحذرك ، فكأنه قال : أحذرك أن تُتْلَبِسَ الأمر التي إِنْ تَوَسَّعْتَ مَوَالِجُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ مَخَارِجُهُ . والمعنى : تأمل كل ما تُتْلَبِسُهُ ، واعرف أواخره وإن اشقيته ، كما تعرف أوائله وإن تبينته ، لأنه يَفْجَحُ بالمرء أن يكون فيما يقفحه عند نفسه معذوراً ، وعند الناس ملوماً .

(١) التبريزي : « إن توسعت موارد » .

وقوله « فاحسن أن يعذر المرء نفسه » في إعراب « أن يعذر » وجوه :
 أحدها أن يرتفع بالابتداء وخبره متقدم عليه ، وهو حسن ، لأن ما التافية إذا
 قُدِّم خبره على اسمه يبطل عمله . ويجوز أن يكون موضعه رفعاً بفعله وفعله حسن ،
 ويرتفع حسن بالابتداء ، ويستغنى بفاعله عن خبره ، وجاز الابتداء بحسن وإن
 كان نكرة لاغتناده على حرف النفي . والمعنى : ما يحسنُ عذرُ المرء نفسه فيما
 يتوَلَّاه وليس له من الناس عذرٌ . ويجوز أن يرتفع « أن يعذر » بأنه خبر
 المبتدأ الذي هو حسن ، وهذا أضعف الوجوه . ويُروى : « إن توسَّعت مواردُه
 ضاقت عليك المصادرُ » . وقوله « من سائر الناس » أى من باقى الناس ، وهو
 من الشُّور . ومن وضعه موضع الجميع فقد أخطأ .

٤١٩

وقال العباس بن مرداس^(١) :

- ١ - تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ قَتَزَ دَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرٌ
 ٢ - وَيُحِبُّكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخَلِّفُ ظَنَّنَكَ الرَّجُلَ الطَّرِيرُ
 يَنْبَغُ بهذا الكلام على أن الرجال ليسوا بمزيرٍ يُطَلَّبُ عِظَمُهَا وَيَسْتَحَبُّهَا ، لأنَّ
 المرء بأصغريه : قلبه ولسانه . فيقول : تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ المَهْزُولَ النَّحِيفِ ،
 فتستحقِّره لضوئلته ، وإذا قَنَسَتْ عنه واستشفقت ما وراء ظاهره وجدته أسداً
 مزيراً . والمزير هو البطل الخفيف النافذ في الأمور . ويُروى : « يَزِيرُ » وليس
 بجيدٍ من طريق المعنى ، فكان أصله يَزِيرُ فنقلت الحركة إلى الزاء وأبدل من
 الهزنة ياء ، كما يقال المرأة والكَمَاة ، في المرأة والكَمَاة . وإنما صَغُف من طريق

(١) سبق ترجمته في الحاشية ١٤٩ ص ٤٣٣ . قال التبريزي : « وقال أبو ريش : هذا
 الشعر لماتوه بن مالك مود الحكماء الكلابي » .

(٢) التبريزي : « وروى : مزير ، أى قوى القلب شديد » .

المعنى لأن تشبيهه إياه بالأسد لا فائدة لذكر الزئير معه ، إذ لا تدوم حاله على ذلك .
 ووجهه على ضعفه أن يكون موزود « يزئير » تأكيداً للتشبيه ، كما يستتار
 صفة التشبيه به للشبه وإن كان حصوله لو حصل ذمًا فيه ، تأكيداً للتشبيه .
 على ذلك قوله :

* أزل إن قيد وإن قاد نصب *

والزأل من صفة الذنب . ومثله قول الآخر ^(١) :

* صكاء ذليلة إذا استدبرتها ^(٢) *

والصكك من صفة النعام .

وقوله « فيعجبك الطير » ، فالطير : الشاب الناعم ذو الكدنة . فيقول :
 ويتفق في الرجال من يعجبك خلقته ، فإذا بلوته وامتهنت أخلاقه وجدته
 لا يصدق ظنك فيه ، بل يخلف ويخالف في كل ما تتعبد عليه ، أو تكله إليه .
 ٣ - فا عظم الرجال لم بفخر ولكن فخرهم كرم وخير
 ٤ - ضعاف الطير أطولها جسومًا ولم تطل البراة ولا الصقور
 ٥ - يقات الطير أكثرها فراخًا وأثم الصقير مقلات نزور ^(٣)

صرح عن الغرض المقصود فيما تقدم قال : إنما يُحمد من اللز كرمه وفضله ،
 وكثرة محاسنه وخيره ، وكل ذلك يرجع إلى الأخلاق لا إلى الخلق ، فلا
 اعتبار بالعظم ، ولا فخر في البسطة إذا حصلت في الجسم خاصة من دون العلم .
 ثم أخذ يمثل فقال : ترى الطير ضعافها كالكرأك وطيور الماء أطولها
 جسومًا ، وأمدًا أعناقًا وسوقًا ، ثم كرامتها كالبراة والصقور ، وهي تصيد

(١) هو السبب بن علس . للفضلية ١١ .

(٢) مجزء : [صرح إذا استقبلها هاويع *

(٣) لسبب هذا البيت في اللسان (قلت) إلى كثير عزة . والبيان بتلخيص الباب .

ما وزنه يتضاعف على وزنها ، وما طولُه وعرضه يتزايدُ على طولها وعرضها ، ثم
بَنَاهَا وهي صغارُها ومصطادها أكثرُ فَرَاخًا وأوسعَ نَسْلًا ، وأُمُّ الصقرِ قليلةُ
الفرَاخِ مِثْلَاتٍ لَا يَبْقَى لها أيضًا ما تُفَرِّخُه . وانتصب « جُسُومًا » و « فَرَاخًا »
على التمييز . والمِثْلَاتُ : مِثْعَالٌ مِنْ القَلَّتْ ، وهو المِثْلُ . والنَّزْرُ : القليلةُ
الأولاد ، من النَّزَرَ ، وهو القليل .

٦ — لقد عَظَّمَ البعيرُ بغيرِ لَبٍ فلم يَسْتَعْنِ بالعِظَمِ البعيرُ

٧ — يُصَرِّفُه الصَّبِيُّ لكلِّ وَجْهِه وَيَحْبِسُهُ على الخَسْفِ الجَرِيرِ^(١)

٨ — وتَضَرِّبُه الوليدةُ بالهَرَاوِي فلا غَيْرُ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ

لَمَّا ضَرَبَ اللَّيْلُ بذوات الأجنحة والماشية على رجلين ، عادَ يذكر من
ذوات الأربع مثلَ ذلك فقال : ترى البعيرَ مع عِظَمه وقُوته ، وصبره على
التَّهَوُّسِ بالأعباء الثقيلة ، والأحمال العظيمة ، لَمَّا لَمْ يَصْحَبْ عِظَمُه اللَّبُّ ،
وقُوته التَّمْيِيزُ ، لم يَسْتَعْنِ بما أُعْطِيَ من ذلك ، بل تراه مسخرًا لَأَن يَدِيرَه الصَّبِيُّ
على وجهٍ من وجوه التذليل ، ويَحْبِسَه زِمَانُهُ على كلِّ خَسْفٍ وَهَضَمٍ ، حتى أن
الوليدةَ تَضَرِّبُه أَوْجَعَ الضرب ، فلا إنكارَ منه ولا ذهابَ عنه ، ولا تغيُّرَ إليه
ولا نكيرَ لَدَيْهِ .

وقوله « الهَرَاوِي » جمع هَرَاوَةٍ ، ووزنه فاعِلٌ هَرَأَى ، لَأَن فَعِيلَةً وفَعَالَةً
يشتركان في هذا البناء من التكسير ، تقول : صَحِيفَةٌ وصَحَائِفٌ ، ورسالةٌ ورسائلٌ ،
إلا أَنهم فرَّعوا من الكسرة وبداها ياء إلى الفتحه ، فصار هَرَامًا ، فاجتمع همزة
وألفان فكانه قد اجتمع ثلاثُ أَلِفَاتٍ أو ثلاثُ هَمَزَاتٍ ، فأبدكوا من الهمزة واوًا
فصار هَرَاوِي . فلان قيل : هَلَّا أَبْدَلْتَ منه الياء ، كما فعلته في مطايا وما أشبهها ؟

(١) التبريزي : « بكل وجه » .

قلت: أرادوا أن يظهر في الجمع الواو كما ظهر في الواحد لتمييز بنات الياء عن بنات الواو.

٩ - فَإِنْ أَكَّ فِي شِرَارِكُمْ قَلِيلًا فَإِنِّي فِي خِيَارِكُمْ كَثِيرٌ

يقول: إن كثرت شراركم وأرأى لكم، لوفور عديهم وكوني واحداً فيهم، فإن أكثر خياركم وأغلبهم لقلتهم وكثرتي، وذلك أني أنوب عن جماعة إذا عدت الأخير. ويجوز أن يريد أنه لا خيار لكم، فأننا وإن كنت واحداً من حيث العدد، كثير إذا طلبت الخيار منكم، إذ لم يكن لكم خيار.

وقد معنى القول في غير موضع في حذف النون من لم أك وإن أك.

٤٢٠

وقال بعضهم:

١ - أَعَازِلُ مَا عَمَرِي وَهَلْ لِي وَقْدَانَتْ لِدَائِي عَلَى تَحْسِي وَسَّيْنٍ مِنْ عُمَرِي

٢ - رَأَيْتُ أَحَا الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ خَافِضًا أَحَا سَفَرٍ يُسْرِي بِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي

٣ - مُقِيمِينَ فِي دَارِ نَرْوَحُ وَنَعْدِي بِلَا أَهْبَةِ الثَّوَاوِي الْقَبْرِ وَلَا السَّعْرِ

قوله « ما عمرى » استفهام على طريق التحقير والاستقلال، فكأن العاذلة

كانت عيبت عليه في تذبذب وإشفاق، وخوفته المواقب وما تؤدي إليه باتفاق،

فأخذ ينجيها ويقول: يا عاذلة، أي شيء عمري، وكيف يدوم بقائي حتى أخوف

بالفقر، وهل لي عمر وأقراي يمدون خمساً وستين سنة. ثم أخذ يندم الحريص

على الدنيا وأعراضها، ويقص ما تستوى فيه أقدام الخلائق من إرصاد القناء لما

قال: رأيت صباح الدنيا وإن كان متودعاً مقياً، كالسافر يسار به وهو لا يعلم

وذلك لأن له أجلاً يساق إليه، ومُنْتَهَى من العمر يحال عليه، فالأيام تأخذ

منه ، وتنقص من عمره ، فهو كالسافر وقد انتوى نيةً فما يقطعه من المسافة يُقرِّبه من مقصده ، ويُعجل وصوله إلى أمله .

وقوله « مقيمين في دارٍ » انتصب على الحال من قوله « أبا الدنيا » ، لأنه أراد به السكنة ، فهو كأسماء الأجناس . وقال : « نروح وتنبدي » لأنه من إخوان الدنيا ، فأدخل نفسه فيهم . وقوله « بلا أهبة الثاوي القيم ولا السفر » يريد : لا نأمل البقاء في هذه الدنيا ، ولا نأمن القناء ، فلنا كالثاوي فتأهب أهبتة ، ولا كالسافر فنعد عُدته . وأراد بالثاوي القيم الكثرة لا الواحد . وقد تقدم القول في حقيقة القمر^(١) .

٤٢١

وقال بعضهم^(٢) :

١ — لا تترض في الأمر تكفى شؤونه ولا تنصحن إلا لمن هو قابله

٢ — ولا تحذل المولى إذا ما ملته ألفت ونازل في الوعى من ينزله^(٣)

يرضى مخاطبه بأن يُعرض عن الأمر الذى لا يعنيه ، ويترك الاعتراض فيه ، والأى ينصح إلا لمن يرجو قبول^(٤) النصيحة منه ، وبالأى يحذل ابن عمه إذا

(١) كذا وردت هذه البارة في هذا الموضع ، وحققا أن تكون تليق على البيت الأول لا الأخير .

(٢) هو عبيد بن أيوب التبرى ، كما في مجموعة المائى ١٤ . وعبيد بن أيوب : أحد بنى التبر بن عمرو بن تميم ، وكان جنى جناية فطلبه السلطان وأباح دمه ، فهرب في بجاهل الأرض وأبعد ، لشدة الخوف . وكان يخبر في شعره أنه يرافق النول والسلطة ، وبيات الذئاب والأفاعى ، ويأكل مع الأطباء والوحش . الشعر والشعراء ٧٥٨ واللائى ٣٨٣ .

(٣) بعده عند التبرى ومجموعة المائى :

ولا تحرم المولى الكريم فإنه أخوك ولا تدرى لهلك سائله

(٤) في الأصل : « تبرك » ، سواء في م .

نزلت به نازلة ، بل يُنْزَلُ مَنْ يَنْزِلُهُ ، ويناولي مَنْ يَنَاولُهُ . وهذا على طريقتهم في قولهم : « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » . وأصل الوَعْي هو الجَلْبَةِ والصَّوْت . وقوله « في الأمر تُكْفَى شَوْوَنَهُ » يريد تُكْفَى أسبابه وجوانبه . والضمير من « قَابِلُهُ » لما دلَّ عليه قوله لا تَنْصَحُنَّ ، وهو النصيح .

٤٢٢

وقال منظور بن سحيم^(١) :

١ — ولستُ بهاج في القرى أهل منزلي على زادم أبكي وأبكي البواكيا

٢ — فلما كرام مؤسرون أتيتهم فحسني من ذي عندهم ما كفانيا^(٢)

٣ — وإما كرام مُعْسِرُونَ عذرهم وإما لثام فاذكرت حيانا

يصف نفسه بالتمتعف عن الطامع الدنيئة ، واللطام الدميمة ، فيقول : لا أجهو بسبب القرى ، وهو ما يُقدِّم إلى الضيف ، ولا أشكو أهل دار فأبكي على ما يفوتني من زادم وأبكي غيري معي . وقوله « أبكي وأبكي البواكيا » لا بُكاء ، ثم ، وإنما أراد تفتيح التأشف . فيريد : لا آسف لما أرى من الحرمان آسف من يبكي ويبكي غيره تهالكاً على مال غيره ، وتوجعاً لشدة نهته .

وقوله « فلما كرام » فصل بين حرف الجزاء والفعل بقوله كرام ، فارتفع بفعل مضمر دلَّ عليه الفعل الذي بعده ، كأنه قال : فلما يُقصدُ كرام مؤسرون أتيتهم . وقوله « فحسني » في موضع الابتداء ، و « ما كفاني » في موضع الخبر .

(١) منظور بن سحيم القمي الكوفي ، إسلامي ، ذكره للرزائي في معجمه ٣٧٤ — ٣٧٥ . وفي الإصابة ٨٤٦٣ : « منظور بن سحيم بن نوفل بن نضلة بن الأشتر ابن جحوان بن قصص الأسدي القمي ، ذكره الرزائي في معجم الشعراء ، وقال إنه مخضرم » .
(٢) التبريزي وللرزائي : « من فؤ عندهم » .

والقاء مع ما بعده جواب الشرط . وقوله « مِنْ ذِي عَنَدَمٍ » أراد من عندهم .
والعرب تقول : هذا ذو زَيْدٍ ، يريدون : هذا زَيْدٌ . وهذا من إضافة المسمى إلى
الاسم . قال السكيت :

* إِلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعْتُ ^(١) *

يريد : يا أصحاب ذا الاسم . وقال الأعشى :

فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ذَوَا آلِ حَسَّانٍ يُزْجِي الْمَوْتَ وَالشَّرَّعَا
أَيُّ الْمَسْكَرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ آلُ حَسَّانٍ .

ويروى : « مِنْ ذُو عِنْدَمٍ » ويكون ذو بمعنى الذئ ، وعندهم في صلته ،
وذو هذه طائفة . وللنبي : لَا يَخْلُو مِنْ أَفْئِدِهِ وَأَنْزَلُ بِهِ مِنْ وَجْهِهِ : إِنَّمَا أَنْتَ
يَكُونُوا قَوْمًا رَجَعُوا إِلَى كَرَمٍ وَيَسْتَلُّ ، فَيَتَوَفَّرُونَ عَلَى حَسَبِ مَا يَنْتَضِيهِ كَرَمُهُمْ
وَأَكْفَى مِنْ الذَّيِّ عِنْدَهُمْ لِي بِمَا يَكْفِينِي ، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونُوا كِرَامًا مُضِيِّينَ ^(٢)
أَثَرُ الدَّهْرِ فِيهِمْ ، فَأَعْدِرَهُمْ لِإِضَاقَتِهِمْ ، وَعَلَى بِحَالِهِمْ . ففوله « وَإِنَّمَا كِرَامٌ مَسْرُونٌ »
بيانه : وإما قَصِيدَ كِرَامٍ مُضِيِّقُونَ عِزَّتَهُمْ فِي تَقْصِيرِهِمْ . وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونُوا قَوْمًا
لِنَامًا فِي أَخْلَاقِهِمْ ذِنَاءَةً ، وَفِي أَعْرَاقِهِمْ نَذَالَةً ، فَنَذَرْتُ حَيَاتِي وَصِيَانَتِي لِنَفْسِي ،
فَلَمْ أَبْذُلْ لَهَا وَجْهِي ، وَلَمْ أَبْذُلْ بِتَقَاضِيهِمْ وَمُطَالَبَتِهِمْ جَاهِي .

٤- وَعَرَضْنِي أَبْنَى مَا أَدْخَرْتُ ذَخِيرَةً وَبَطْنِي أَطْوَاهِ كَلْبِي رِدَائِيًا
قوله « أَبْنَى مَا أَدْخَرْتُ » ما في موضع الجر ، كأنه قال : عَرَضْنِي أَبْنَى شَيْءٍ
أَدْخَرَهُ ذَخِيرَةً ، أَيْ أَكْتَسَبَهُ ذَخِيرَةً . فعلى هذا ينتصب « ذَخِيرَةً » على الحال

(١) مجزؤه كما في الهاشميات ٣٩ :

* نَوَازَعُ مِنْ قَلْبِي ظَاهٍ وَالْب *

(٢) مضيين ، بالفاء من الإضافة وهي السر . وفي الأصل : « مضيين » بالفاء
سواءه في ل .

المؤكد لما قبله . واذخر : افتمل من الذخر لكنه أبدل من التاء دالا فأدغم الدال فيه ، فلك أن تقول اذخر ولك أن تقول اذخر .

وهذا الكلام بيان ما يأخذ به نفسه من الصيانة والقناعة ، وسلوك طرائق الانقباض عما يشين ولا يزين من الانبساط إلى اللثام . فكأنه قال : أبقى على عريضي ، لأنه أعزُّ الذخائر لي ، وأطوي بطنى عن المأكول للردية كما أطوى ردائى ، إذ كان التزهديا يحزى أولى عندي .

٤٢٣

وقال سالم بن وابصة^(١) :

١- وَنِيرَبٍ مِنْ مَوَالِي السَّوءِ ذِي حَسَدٍ يَفْتَاتُ نَحْيِي وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ

٢- دَاوَيْتُ صُدْرًا طَوِيلًا غَزْرُهُ حَقْدًا مِنْهُ وَقَلَّتْ أَخْفَارًا بِلَا بَجَلٍ

النَّيْرَب : النجاسة والمداوة . وقوله « وَنِيرَبٍ » أراد وذى نيرب ، والمصدر وما يجرى مجراه إذا وُصِفَ به إمّا أن يكون على حذف المضاف ، وإما أن يُجْعَلَ الموصوفُ نفسَ الحدثِ لكثرة وقوعه منه . فيقول : رَبُّ ذِي نِيرَبٍ حَسَوِيٍّ مِنْ مَوَالِي السَّوءِ ، يَفْتَابُنِي بِظَهْرِ النَّيْبِ ، وَيَأْكُلُ لَحْيِي وَلَا يَشْفِيهِ ذَلِكَ مِنْ قَرَمٍ . والقَرَم : شهوة اللحم . والمعنى أنه لا يكفيه ما يتناول متى وإن كان لا يلو جهداً فى ثلبي . وجواب رَبُّ قوله « دَاوَيْتُ » من البيت الثاني . ويقتات : يفتعل من القوت ، وهو فعل المطاوعة . ويقال : قَاتَهُ كَذَا فَاقْتَاتَهُ .

ومعنى « دَاوَيْتُ صُدْرًا طَوِيلًا غَزْرُهُ » أى صابرته على مُداجاته وانعطائه على حقدى ، فدفعْتُ شره عن نفسى بطول مداواتى ، وَقَلَّتْ حَذَّةُ بَرَكِ

(١) سبقت ترجمته فى المجامعة ٢٤٤ ص ٧١٠ .

مكاشفته حتى لم يجد إلى إثارة كامن غزيره طريقاً ، فاحتاج إلى الإمساك عن أذاني ، لدوام تمسكي بمجاملته شاء أو أبى . وقوله حَقْدًا هو اسم الفاعل من حَقَدَ ، وهو لغةٌ في حَقَدَ . يقال حَقَدَ يَحْقِدُ فهو حَقُودٌ ، وَحَقِدَ يَحْقِدُ فهو حَقِيدٌ .

٣ - بالحزم والخير أسديهِ وألجئه تقوى الإله وما لم يرعَ من رَجِيٍّ^(١)

٤ - فأصبحت قوسه ذوى مؤزرة يرمى عدوى جهاراً غير مكتنم الباء من قوله « بالحزم » تملق بقلَّتْ أو داويتُ من البيت المتقدم .

والخير : الكرم ، وقيل : هو الهيئة والطبيعة ، يقال : هو كريم الخَيْرِ والخير جميعاً . وقوله « أسديهِ وألجئه » خبران لفَّ أحدهما بالآخر . قوله « تقوى الإله » يرجع إلى أسديهِ ، و « ما لم يرعَ من رَجِيٍّ » يرجع إلى ألجئه . والمعنى : داويتُ صدره أى مكنون صدره ، وقلَّبتُ ظفَّره باستعمال الحزم والخير معه ، ثم جعلتُ تقوى الله تعالى سدى ما بيني وبينه ، وألجئته رعاية ما ضيعته من الرِّجْم ، فلا جرَّمتُ أنه كفَّ من شأو شرِّه ، وغرَّبَ عداوته ، وأقبلَ في الظاهر يُمادى من يُمادىنى ، فقوسه الآن مؤزرة ذوى يرمى منها أعدائى بأسمهم النُّصرة ، مجاهرة لا مكاتمة .

٥ - إن من الخيل ذلاً أنت عارفه والخيلُ عن قُدرة فضل من الكرم نبه بهذا الكلام على أن تحلَّه عن أدانيه كان عن قُدرة لا عن عجز ونقصه ، ولو شاء لانتقم منهم ، وأنه لم يُكسبه إمساكه عن مجازبتهم ذلاً ، ولو كانت يُغضى به الحال إلى ذلك لما قتل ، فتحلَّه كرم ، وإبقاؤه على ما يجمعه وإلزام من قرأى وقرابة تُتقَى وتفضل . وقوله « فضل من الكرم » يريد أنه نوع من الفضل يُتدب في خصال الكرم . ومثل هذا قول الآخر :

جَهْلٌ إِذَا أُرْزِيَ التَّحَلُّمُ بِالْفَتَى حَلِيمٌ إِذَا أُرْزِيَ بَذَى الْحَسْبِ الْجَهْلُ

٤٢٤

وقال بعضهم :

وَأَعْرَضُ عَنْ مَطْلَمٍ قَدْ أَرَاهَا فَاتَرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطَوَاهُ
فَلَا وَأَيُّكَ مَا فِي التَّيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْعَيْاهُ^(١)

يمائل هذا قول الآخر :

وَلَقَدْ أَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلَهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَطْمِ^(٢)

قوله « وَأَظْلَهُ » يريد أظْلُ عليه ، فحذف حرف الجر ، كما قال :

* لَوْلَا الْأَسَى لَقَضَانِي^(٣) *

أى قضى على .

٤٢٥

وقال نافع بن سعد الطائي :

١ - أَلَمْ تَعْلَمِ أَنِّي إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى طَمَسٍ لَمْ أَنْسَ أَنْ أَتَكْرَمَا

٢ - وَلَسْتُ بُلُوَامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَ مَا يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقْدَمَا

(١) بعده عند التبريزي :

يَعِيشُ الرَّهْمَ مَا اسْتَحْيَا بَخِيرٌ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاهُ

(٢) المعروف في الرواية : « كَرِيمَ الْمَطْمِ » وهذه الرواية للعرفوة في بيت عنبرة ، في اللسان (طلال) ودجوان عنبرة ١١٩ . واظن مقاييس القنة (٣ : ٤٣٠) .

(٣) البيت لأعرابي من بني كلاب ، كما في السكامل ٢١ ليسك واللسان (فريش ، فقي) . وصدره :

* تَحْنُ تَحْبِي مَا يَهَا مِنْ صَبَاةٍ *

يقول : أما علمت من أخلاق الكف عن كثير من المباح الجالبة لقالة الناس وتصرفهم في الحكم عليه وله ، وأنتي إذا أمكنتي الفوز بالمطامع القريبة والمآكل الهينة ، فأشرفت منها على تحصيلها لم أنس أخذ النفس بالنظر فيها ، واستعمال الكرم في ترك ما يجمع على عارا منها . وقوله « على طمع » أي على مطموع فيه ، ومنه قيل لأرزاق الجند : أطماعهم .

وقوله « ولست بلوأم » يقول : إذا فاني أسرا لا أرجع على نفسي باللوم الكثير تحسرا في إرم ، لكنني حقيق أن أقدم في تحصيله قبل فواته إن كان مما يهيم . وقوله « ولكن عل » هو أصل كل ، وهو حرف موضوع للطمع والإشفاق ، واسمه مضر كأنه قال ولكن لعلني أن أقدم . وهو يحيى بأن ونبير أن ، فإذا كان معه أن أفاد فائدة عسى ، وإذا جاء نبير أن كان الفعل أقرب وقوعا ، لأن أن للاستقبال ، ولعل وإن كان حرفا يمد مع أنفال المقاربة وهي عسى وكاد . ولوأم بناء للبالغة ، وليس بمبني على لوأم لأن للبنى عليه هو مؤنث .

٤٢٦

وقال بعض بني أسد^(١) :

- ١ - إني لأستغني فإبطر الفتي وأعرض ميسوري على مبنني قرضي
٢ - وأغير أحيانا فشتد عسرتي فأذكر ميسور الفتي ومي عرضي
٣ - وما نالها حتى تجلت وأسفرت أخو ثقة مني بقرض ولا قرض^(٢)

(١) هو الحكم بن عبد الله الأسدي ، كما في أمال القائل (٢ : ٢٦٠) ، وقال : « اجنح الشعراء ياب المباح وفيهم الحكم بن عبد الله الأسدي ، فقالوا : أصلى الله الأمير ، إنما شعر هذا في القار وما أشبهه . قال : ما يقول هؤلاء يا ابن عبد ؟ قال : اسم أبيها الأمير . قال : مات . فأثبته » . وروى هذه القصيدة .

(٢) روى به التبريزي :

وأبذل معروف وتصفو خليقتي إذا كدرت أخلاق كل فتي محض

يمتد في هذه الأبيات عاداته في حالتي الغنى والفقر، فقال: إِنِّي أَنَالُ الْغِنَى
فَلَا يَكْسِبُنِي أَشْرًا وَلَا بَطَرًا، لكنني أشكر الواهب وأبقى على حالتي الأولى،
بل ^(١) يقرّبني ما أَنَالُهُ مِنَ الْمُتَصَلِّينَ بِي، والمنضمّين إلىّ بسبب من الأسباب،
فأعرض ما يتيسر لي على مُلّاِبِ قُرْبَى، وأُشْرِكُ مَنْ يَمْتُّ إِلَيَّ فِي الْخَيْرِ الْمُنْتَاحِ.
وقد يتعمّق الإيسار إعصارٌ في الوقت بعد الوقت، فأصبرُ وإن اشتدَّ عُسْرِي،
وَأُسْبِلُ عَلَى نَفْسِي جَنَاحَ ^(٢) تَحْمُلِي وَتَعْفِي حَتَّى أَهْرِكَ مِيسورَ الْغِنَى وَنَفْسِي
مَعِي، لم أجتذّلها ولم أدنّسها بغيري أو تصرّح لمُفْضِلِ أَطْلُبُ بهما عنده مَطْعَمًا،
وأجلب مرغبًا.

وقوله: « وما نالها » يريد وما نال تلك العُسرة أَخ لي يُوثِقُ بَوْده لا بمارية
ولا بسطيّة، إلى أن انكشفت وفارقت.

وقوله « أَبْطَرُ الْغِنَى » معناه أَبْطَرُ في الغنى حَتَّى أَذْهَبَ عَنْ سَنَنِ الشُّكْرِ
فَاتَجَاوَزَهُ وَأَخْلَقَهُ وَرَأَى، تَعَمُّلاً لِلنِّعْمَةِ، أو جهلاً بحقِّ الصَّنِيعَةِ. وقال الله تعالى:
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ بَطَرَتْ سَمِيعَتَهَا ﴾. وقوله: « أَعْرِضُ مِيسورِي »
وضعه بلفظ المفعول المصدر، يريد اليُسْر. ومثله ماله معقول. وضده حُجْل عليه
وهو العُسْر، قَبِيل معسور. وإنما قال « ومعى عرضي » لأنّه إذا صانته عن القَبَاحِ
ولم يَسْلُطْ عليه مَنْ يَمْلِكُ بهيئة أو صلة، فكأنّه معه لم يفارقه. ولو أجراه على
غير هذا لكان مفارقةً له، وداخلًا في مَلَكَةٍ غَيْرِهِ.

٤ - وَلَكِنَّهُ سَيَبُ الْإِلَهِ وَرِخْلِي وَشَدَى حَيَازِيمَ اللَّطِيفَةِ بِالْفَرَضِ
الماء من قوله « ولكِنَّ » يعود إلى ميسور الغنى. واستدرك الغنى من قوله
« ما نالها حَتَّى تَجَلَّت » بقوله لكنّ، يريد: لكنّ الغنى التَّجَدَّد، وهو عطية

(١) في الأصل: « فلو »، صوابه في ل.

(٢) في الأصل: « جزاء »، صوابه في ل.

الله تبارك وتعالى ، وثقلني وارتمالي ، وشدني حيازيم اللطايا بالفروض . كأنه ذكر الأسباب التي يسرت له الفنى ، وأنها لم تخرج من تفضل الله تعالى واجتهاده . وقوله « للطيبة » أراد بها الجنس ، فقلت قال « حيازيم » وجمعا . والسبب : التطاء والمعروف ، وكثر في الاستعمال حتى سمي الكنوز سيوبا ، وقيل لما تخرجه للمادين سيوب . والفرض والقرضة : البطان ، وهو للبيير بمنزلة الحزام للذابة . والفرض منه كالحزم .

٥ - وأسندني المولى من الأمر بعدما برك كما زل البيير عن الدخض

٦ - وأنتجته مالي ووذي ونصري وإن كان معنى الضلوع على بفضي^(١)

يقول : إن أتطفت على أبناء عي ، فأخلصهم من الشدائد ، وأخذ بأضباعهم إذا زلت أقدامهم ، فأقيمهم بعد أن كانت زلتهم كزلة البيير عن اللزقة . وإنما خص البيير لأن سقطته أظف وأسرع في الزلزال . يقال : مكان دخض ومدخضة . ودخضت رجل البيير ، إذا زلقت . قال :

• وحذت كما حاد البيير عن الدخض^(٢) •

(١) بده عند التبريزي :

ويغمره حلى ولو شئت ناله
وقارغ تبري العظم عن كلم مص
وأقضى على نفسى إذا الأمر نابى
وفى الناس من يقضى عليه ولا يقضى
ولست بذى وجهين فيمن عرفته
ولا البخل فاعلم من سائى ولا أرضى
وإني لسهل ما تسمى شيمتى
صروف ليالى الدهر بالقتل والنقض

(٢) البيت لطرفة في ديوانه ٤٨ والسان (دخض) . وسدده في الديوان :

• أبا منذر رمت الوفاء فحيته •

وفى اللسان :

• رديت ونجى اليشكرى حناره •

ومنه : (حُجَّجَهُمْ دَاحِصَةً) أى لا ثبت . ودَحَضَتِ الشَّمْسُ عَنْ كِبِدِ
السَّمَاءِ : زَالَتْ .

وقوله « وأمنحه مالى » يريد : أنى بعد استنفادى إتياء أنوفر عليه ببذل
المال ، وإخلاص الود ، وتقريب النصرة ، وإن كان منطوياً على
العداوة والبغضاء .

وقوله « محنى الضلوع » أى معطوفاً . ويقال : حَنَيْتُ الشَّيْءَ وَحَنَوْتُهُ حَنِيًّا
وَحَنَوًّا ، فهو مَحْنِيٌّ .

٤٢٧

وقال حاتم الطائي^(١) :

١ — وما أنا بالسَّاعِي بِفَضْلِ زِمَامِهَا لِتَشْرَبَ مَاءَ الْخَوْضِ قَبْلَ الرَّكَّابِ^(٢)

٢ — وما أنا بِالطَّالِبِ حَقِيقَةً رَحْلِهَا لِأَبْشَهَا خِفًا وَأَتْرَكَ صَاحِبِي^(٣)

يقول : لا أجتذب إلى نفسى الفضل مع خلطائى وشركائى فى الشرب وغيره
فلا أُنسِرِعَ فى الورد مستعجلاً براحتى لتشرب ماء الخوض قبل ورود ركائبهم .
ومعنى قوله « بالسَّاعِي بِفَضْلِ زِمَامِهَا » السَّابِقُ بما أُعْطِيَ راحلتى من زمامها .

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحضر الجذعانى . وكان من شعراء الجاهلية ، وه
كان يضرب اللث فى الجود ، وأخباره فى ذلك كثيرة مشهورة . انظر الأغانى (١٦ : ٩٢ —
١٠٥) وشرح شواهد اللقى ٧٥ والخزانة (١ : ٤٩٤ — ٤٩٥) والشعر ١٩٣ —
٢٠٧ . والبيان من أبيات فى ديوانه ١١٨ .

(٢) فى الديوان : « ما فى الخوض » .

(٣) فى الديوان : « لأركبها خفا » . ويصده عند التبريزى :

إذا كنتَ رَجًا لِلْقُلُوصِ فَلَا تَدَعْ رَفِيقَكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبٍ
أَنْفِخْهَا فَأَرْدِفْهُ فَإِنْ حَمَلَكُمَا فَذَاكَ وَإِنْ كَانَ الْعَقَابُ فَمَاقِبِ
العقاب : أن يتناوب للمساfran النابة يركب كل منهما عقبه . والعبة ، بالضم : التوبة .

وهذا مثل . والركائب ، جمع ركوب وهو اسمٌ يجمع ما يُركب ، ويقال : ركوبة ، فهي كالحلوبة والحسولة ، وتقع للواحد والجمع .

وقوله « وما أنا بالطاوي حقيبةً رحلها » ، يقول : وإذا كان لي رفيق في السفر وسعت جناحي له ، ولا أتركه يعيش وقد خففت حقيبةً رحل ناقتي طلباً للإبقاء عليها ، ولكنني أردته أو أتركه . والحقيبة : ما يشد خلف الرجل . قال :

• والبر خير حقيبة الرجل ^(١) •

والفعل منه احتبب واستحب . واستمير قليل : احتبب إثمًا . قال :
فاليوم فأشرب غير مستحجب إثمًا من الله ولا وإغليل ^(٢)

٤٢٨

وقال آخر :

١ — وإني لأنسى عند كل حفيظة إذا قيل مولاك ، احبال الضغائن
٢ — وإن كان مولي ليس فيما يتوبني من الأمر بالكافي ولا بالمعاون
يصف نفسه بأن الحقد ليس من طبيعته ولا عادته ، فيقول : إني أشفق على موالي حتى إذا اتفق لواحد ما يحتاج مني إلى معونة نسيت سيئته ، ولم أحمل في صدري له ضيقه ، فأخذت بيده وأعنته على دهره ، وإن كان فيما يتوبني ليس بكافي لي ولا أمين ، إذ كنت أوجب له بكونه مولي ما ينبغي تباعضه وجفائه . والحفيظة : الخصلة يحفظ لها الإنسان ، أي يفضب . ويقال : « أهل

(١) البيت لاسرى القيس بن حجر ، كافي الشعراء ٦١ .

(٢) وهذا أيضا لاسرى القيس في ديوانه ١٥٠ . وروى : « فاليوم أسي » ، وروى أيضا : « فاليوم أشرب » بناء الفعل على الكون ، أو بهدير علامة الإصراب . انظر الحزاة (٣ : ٥٣٠ — ٥٣٢) .

الحفاظ أهل الحفاظ ، لأنهم يحامون من وراء إخوانهم . وانتصب « احتمال »
بأنسى . والضمان : جمع الضمينة ، وقد مر ذكرها .

٤٢٩

وقال آخر^(١) :

وإني لفت عن مطاعم جعة إذا زين الفحشاء للناس جوعها
قد مضى له نظار .

٤٣٠

وقال آخر :

١ - وموتى جعت عنه للوالى كأنه من البوس مطلي به القار أجرب
٢ - رمت إذا لم ترأى البازل ابنها ولم يك فيها للمبسين غلب
يقول : رب ابن عم زهد أقارب في الإحسان إليه فاطر حوه واشتوا عن
السكر فيه والتوفى عليه ، نبوا عنه وعن اسطناعه ، فأثر فيه البوس ، وأحاط
بجوانبه الشقاء والضر ، حتى صار كالبعير الجرب وقد طلي بالقار ، هيئة ولونا ،
وضؤولة وانخزالا ، وتباعدا عن الناس وتجانفا ، أنا عطف عليه ، وأشركته فيما
وهب الله لي في وقت من الزمان لا يؤوى^(٢) أحد من أهله غيره ، لشمول
القط ، وغلبة الضر والفقر ، حتى أن التوق تؤثر التباعد عن أهلها فلا
ترأى ، وترى الذين يبسون بذوات الألبان عند الحلب ، لا يجدون في ضرعها
خيبرا . ويقال : بس بالناقة وأبس ، إذا دعاها للحلب . ومن أمثالهم : « لا أفل

(١) هذه الحماسية ذات البيت الواحد لم يروها التبريزي .

(٢) في الأصل : « يروى » ، صوابه في ل .

كذا ما أبسَّ عَبْدُ بَنَاقَةَ^(١) ، أَى دعاها للخلَب . ويقال : رَتَمَتِ النَاقَةُ رِيْثَانًا ، إِذَا عَطَفَتْ .

٤٣١

وقال عروة بن الورد^(٢) :

١ - دَعَيْنِي أَطْوَفَ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أُفِيدُ غَنًى فِيهِ لِيُنْزِي الْحَقُّ حِمْلِي
٢ - أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ تُنْزِلَ مُلْكُهُ وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحَقِّ مُمُولُ
يُخَاطَبُ عَاذِلَةً لَهُ فَيَا مُمْ بِهِ مِنَ التَّرَحُّالِ فِي طَلَبِ اللَّالِ ، فَقَالَ : ائْرُكِنِي
وَمَا اخْتَارُهُ مِنَ التَّجَوُّالِ ، وَالتَّنَقُّلِ فِي الْبُلْدَانِ ، طِمَمًا فِي خَيْرِ اسْتَفِيدُهُ ، وَغَنًى
اسْتَجِدُّهُ ، لَكِنِّي إِذَا نَابَنِي ذَوْحِي وَجَدَ عَلَيَّ مَالِنَا تَحْمِيلًا ، وَعَلَيْنَا فِي التَّزَامِ وَاجِبُهُ
مُتَّكِلًا ؛ لِأَنَّ مَنْ جَالَ نَالَ ، وَمَنْ قَرَعَ بَابًا وَجَدَ وَلُجًّا ، وَأَوَّلُ دَرَجِ الْحِرْمَانِ
الْوُقُوفُ عِنْدَ أَذْنَى الْهَمَّتَيْنِ ، وَآخِرُهَا الرُّضَا بِأَوْدَعِ الْعَيْشَيْنِ .

وقوله « أليس عظيمًا » يريد تقريرها على قِطَاعَةِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ ، وَقِبَاحَةِ
إِسْمَالِكِ النَّاسِ عَنْ تَمْلِيْقِ الرَّجَاءِ بِهِمْ وَالطَّمَاعَةِ ، فَقَالَ : أَلَا تَسْتَغْظَمُ^(٣) أَنْ تُنُوبَ
الْحَقُّ نَائِبَةً فَلَا يُعْمَلُونَ عَلَيْنَا فِي الْإِحْتِمَالِ عَنْهُمْ ، وَلَا يَرْتَجُونَ مِنَّا تَطْعَمًا عَلَيْهِمْ ،
لَا تَضَاعُ حَالِنَا ، وَتَأْكُدُ الْيَأْسَ مِنْ نَيْلِنَا . وقوله « أفيد » بمعنى استفيد . وأليس
يقرر به في الواجب الواقِع ، وَأَنْ تُنْزِلَ فِي مَوْضِعِ الرُّفْعِ بَلِيْسَ .

(١) هنا ما في ل . وفي الأصل : « بناته » .

(٢) سبقت ترجمته في المحلِّية ١٤٥ ص ٤٢١ . والبيتان في ديوانه ١٠٦ .

(٣) هنا على الالتفات . والوجه « ألا تستظلمين » .

٤٣٢

وقال آخر :

تَنَاقَلْتُ إِلَّا عَنْ يَدِ اسْتَيْدُهَا وَخَلَّةَ ذِي وَدِّ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي

هذا في طريقة ما تقدم . والمعنى : أتيت أرباطاً عن الطالب واللباغى كلها
إلا إذا اتفق مصنع عند حر ، فإنني أنسرع إليه ، وأتحفف في تحصيله ، مخافة أن
يفوز به غيري ، لأن اعتقاد اللئى في اعتاق الرجال أعدته غنيمة تنضم ، وفائدة
تدخر ؛ وإلا صداقة آخر وديده اعتمدها في مدافعة شر ، ولا اشتداد أزر ، فإنني
أجمع يدي عليها ، ولا أصبر على المزاحمة فيها . ويقال : شد فلان أزره ، إذا
شد تعقيد إزاره . ويقال : آزره على أمره ، إذا ظاهره وعاونته عليه .

٤٣٣

وقال عبد الله بن الزبير^(١) :

١- لا أحسب الشرَّ جاراً لا يفارقني ولا أحرُّ على ما فاتني ألودجا
٢- وما نزلت من المكروم منزلة إلا وثقت بأن ألقى لها قرجا
يصف حسن ثقته بربه ، وجميل ظنه بنفسه ، وأنه قد جرب وتبصر ،
وعرف من أعقاب الأمور ما جله لا ينزل لئابة ، ولا يتخضع لنازلة ، فلا
يظن الشر إذا ولي به ضربة لازم^(٢) لا يخالف ، وجار سوء لا يفارق . قال :
وإذا فاتني أمر وإن جل لا أهلك أمي في إثره ، ولا أقبل نفسي جزعاً

(١) البيريزي : « عبد الله بن الزبير الأبهدي » . وقد سبقت ترجمته في الخامسة

ص ٣٧٢ و ٩٤١ .

(٢) ل : « ضربة لازب » ، وعلمستان :

لغوته ، ولا أنزل من مَطَانِّ المَكَارِهِ منزلةً إِلَّا وَتَقَى بَقْلَى الرِّجِّ وَتَجَلَّهَ عَلَى
أَقْرَبِ مَسَافَةٍ مِنِّي . وَالْوَدَّجَانِ : عِرْقَانِ يَقْطَعُهُمَا الذَّابِحُ . وَيُقَالُ : وَدَّجْتُ
الدَّابَّةَ ، إِذَا أَصْبَتَ وَدَّجَهَا .

٤٣٤

وقال مالك بن حزم^(١) :

- ١- أُثْبِتُ وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ وَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ
 - ٢- بَأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيُنْفِي عَلَيْهِ الْحَمْدَ وَهُوَ مُذَمَّمٌ
 - ٣- وَأَنَّ قَلِيلَ الْمَالِ لِلْعُرَى مُفْسِدٌ يَحْزُ كَمَا حَزَّ الْقَطِيعُ الْمُحْرَمُ
 - ٤- يَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا وَيَقْعُدُ وَسَطَ الْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ
- قوله « وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ » اعتراض وقع بين أثبت ومنعوليه ، وما
في قوله « بَأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ » لأنَّ أثبت وثبت وأخواتها كل واحدة منها
تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل . وقوله « وَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ » اعتراض ثانٍ وإن
عُطِفَ عَلَى مَا قَبْلَهُ . والمعنى أَنَّ الْأَيَّامَ وَالْيَالِيَّ تَعْيِدُ أَرْبَابَهَا تَجَارِبَ بِمَا يَحْدُثُ
فِيهَا مِنَ الْحَوَادِثِ ، وَيَتَحَوَّلُ مِنَ الْأَحْوَالِ ، وَتُعْلِمُهُمْ بِمَا يَنْكَشِفُ عَنْهَا وَيَسْتَعِيلُ

(١) هذا ما في الأصل . وفي ل : « حرم » . وفي شرح التبريزي والقاموس (حرم)
ونوادير أبي زيد ٩٦ وأمال الغالي (٢ : ١٢٣) : « حرم » ، وهو مظهر من مظاهر
اختلاف الرواة في اسمه . وفي وسط اللام ٧٤٨ : « واختلف في مالك بن حرم الهمداني ...
فقال ابن النحاس : قال لي قطويه : هو مالك بن حزم بالزاي . قال : وقرأت على أبي إسحاق
في كتاب بسبيويه في بيت أنشد له : مالك بن حزم بالخاء المضمومة المعجمة والراء للهمزة
الفتوحة وكذلك كان محمد بن يزيد يقول مالك بن حرم . وقال الهمداني : هو مالك
حرم » . ومالك بن حزم : شاعر جاهلي إسلامي ، كما في اللام . وهو مالك بن حزم بن
مالك بن حزم بن خالد الهمداني .

عليها من غوامض الأمور وخفيتها ، ما لا يخطر لم ببال ، ولا يؤديه إليهم
رمن ولا مثال . فيقول : أخبرت والأيام هذه حالها أن كثرة المال ، والتوسع
في الحال ، يرجعان بالنفع على صاحبهما فيصورانه بصورة الشكور والحمد ،
وإن كان عند التحقيق والتحصيل مشكوكاً مذموماً ؛ وأن في قلة المال مفسدة
لحال القل ، وجاهه ونفسه ، حتى يريه ويقطعه برى السوط الجديد الذي لم يلين
بقد ، المضروب به ، فتراه يبعث نفسه ، ويتخضع للإقيهِ والناظر إليه ، ويلزم
الشكوت في نادى الحى فلا ينيس تماوئاً وتصافراً ، إذ كان قد علم من نفسه
أنه لا يستطيع الترقى في مدارج الفضل والإفضال ، وأنه تعمّد الحال به عن
الشهوض بما ينهض به أمائل الرجال ، فهو يسلم الأمر لم ، ويبرأ من التدبير إليهم .
وقوله « بأن ثراء المال » تعلّق بأنبيت بأن الأمر كذا وأن الأمر كذا .
والقطع : السوط . والحرم : الذى لم يمرن بقد .

٤٣٥

وقال محمد بن بشير^(١) :

١ — لأن أزعجى عند العرى بالخلق وأجترى من كثير الزاد بالخلق

٢ — خير وأكرم لى من أن أرى منّا خوالداً للناس فى عنتى^(٢)

يصف رضاه بسير الخط من الدنيا ، وعفاؤه عن كثير ما يستغنى عنه
فيقوى ، فيقول : لأن أنبلغ عند العرى باكتساء الخلق ، وأكفى من الزاد
الكثير بما يمكن به سدّ الفاقة — أضون لى وأرد على من أن أرى منّا معقودة
فى عنتى ، مُثَقَلَةٌ لظهورى ، باقية على أعقاب الزمان للناس عدى . والمُلق :

(١) سبقت ترجمته فى الجلسة ٢٦٩ من ٨٠٨ .

(٢) التبريزى : « منّا معقودة » .

جمع العَلَقَة ، وهي السير من الشيء يَنْبَلُغُ به وَيَسْتَلِقُ الحاجة إليه . ويموز أن يكون من عَلِقَ يَمْلُقُ ، إذا رَعَى . ومنه الحديث : « إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ تَلْتَلِقُ فِي الْجَنَّةِ » ، وتكون العَلَقَةُ كالنَّفْرة والطَّلْمَةِ وما أشبههما . وقوله « لَأَنْ أَرْجَى » اللام لام الابتداء ، وأن أَرْجَى مبتدأ وخبره قوله « خَيْرٌ وَأَكْرَمُ بِي » .

٣ - إني وإن قصرت عن همتي جِدَّتِي وَكَانَ مَالِي لَا يَقْوَى عَلَى خُلُقِي
٤ - لتارك كلِّ أمرٍ كان يُلْزِمُنِي عَارًا وَيُشْرَعُنِي فِي اللَّهْلِ الرَّئِيقِ
نَبَّهَ عَلَى تَمَامِ الظَّلْفِ وَالْعَفَافِ إِذَا أَخَذَ بِهِ الْإِنْسَانُ ، فيقول : أَنَا وَإِنْ عَجَزْتُ غَنِيَّتِي عَمَّا تَوَجَّهَ هَمِّي ، وَكَانَ فِي حَالِي قُصُورٌ عَمَّا يَدْعُو إِلَيْهِ خُلُقِي ، مُعْرِضٌ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ إِذَا نَلْتَهُ رَجِعَ مِنْهُ عَارٌ عَلَيَّ أَذْكَرُّ بِهِ ، وَيُورِدُنِي مَشَارِعَ السَّكْرِ ، فَإِذَا صَدَرْتُ عَنْهَا لَمْ أَهْتَأْ بِشَرِبِي مِنْهَا . وَلَكَ أَنْ تَرَوِي : « فِي مَهَلِ الرَّئِيقِ » فَيَكُونُ الْمَهَلُ مَضَافًا إِلَى الْمَصْدَرِ ، وَلَكَ أَنْ تَرَوِي : « فِي اللَّهْلِ الرَّئِيقِ » بكسر النون فيكون صفةً له . وَلِلْمَهَلِ : مَوْضِعُ الْمَهَلِ . وَالنَّاهِلُ : التَّطَشُّانُ ، وَالرَّيَّانُ جَمِيعًا . وَالْوَجْدُ وَالْجَدَّةُ : مَصْدَرٌ وَجَدْتُ ، فِي اللَّالِ . وَيُقَالُ : شَرَعْتُ فِي الْمَاءِ ، إِذَا خُضْتُ . وَأَشْرَعَنِي فِيهِ فَلَانٌ وَشَرَعَنِي أَيْضًا . وَفِي الْمَثَلِ : « أَهْوَنُ الْوَرْدِ التَّشْرِيعُ » .

٤٣٦

وقال أيضا :

١ - مَاذَا يَكْلُفُكَ الرَّوْحَاتِ وَالذَّلَجَا الْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكِبُ الثَّلَجَا
٢ - كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَصُرَتْ فِي الرَّزْقِ خُطْوَتُهُ أَلْفَيْتُهُ يَسْهَامُ الرِّزْقُ قَدْ فَلَجَا
قوله « مَاذَا » لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ ، وَالْمَعْنَى الْإِنْكَارُ ، وَيَمُوزُ أَنْ يَكُونَ « مَا » مَعَ

ذا بمنزلة اسم واحد مبتدأ ، ويكلفك خبره . ويجوز أن يكون وَخَذَهُ اسماً ،
وذا في موضع الخبر ، ويكلفك من صلته ، كأنه قال في الأول : أي شيء يكلفك ،
وفي الثاني : ما الذي يكلفك السير في الليل والنهار متصلاً ، لا تنفّر تركب البرّ
تارة ، والبحر أخرى . والرّوحات : جمع الرّوْحَة ، وهو يريد به السير رواحاً .
والدّليج والدّجلة : السير بالليل . وقوله « طَوْرًا » : انتصب على الظرف ، والبرّ
انتصب بفعل مضمر دلّ عليه الفعل الذي بعده . واشتقاق الطّور من قولهم :
لا أطور به ، ومن طَوّر النّار ، وهو ما كان منتمداً معها .

وقوله « كم من فتى » أفاد كم التّكثير ، والكلام خبر ، والمراد : كثير
من الفتيان تودّعوا في منازلهم ، وقصّرت خطوباتهم للسّي في طلب أرزاقهم ،
أنّهم أقدم نالوا ما غلبوا به الجِدّ في الطّلب ، للتعب نفسه في التّجَنُّل . ومعنى
فَلَجَّ : غَلَبَ . وسهام الرّزق : يراد بها قِداح الرّزق ، كأنه فاز لكنا خرج له عند
الإجالة بما غلب به بمعامرته ومزاجه . ويجوز أن يريد به سهام الرّزق ما حظّ له
من الحظّ ، وأسهّم له وقسم في الرّزق .

٣- إنّ الأمور إذا انسدتّ مسالكها فالصّبر يفتق منها كلّ ما ارتتجبا

٤- لا تياسن وإن طالّت مُطالَبَةٌ إذا استمتت بصبرٍ أن ترى فرجاً

يقول : اشتتم بالصّبر في كلّ ما تزاو له وتراوده ^(١) ، فإنّ الأمور إذا
انسدتّ طرقها ، وأعيّت الحيل في تحصيلها ، فإنّ الصّبر يسهل مدارجها ،
ويوسع موالجها ، ويفتح ما انشلق منها ، ويفتح ما ارتتق من أسبابها ،
ولا يتسلطن عليك من اليأس ما يفتّر عزّمتك ، أو يقصّر سميتك ، وإن دامت
مطالبتك ، واتصّلت مواظبتك . واعتقد أنّ الفرج يتلقاك ، والتّجّح بأقرب

(١) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « وتراوده » .

لِلنَّازِلِ مِنْكَ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قَمَلْتَ ذَلِكَ فُرْتُ بِكُلِّ مَا تَرَوُهُ ، وَتَجَلَّ لَكَ كُلُّ مَا تَهْوَاهُ . وقوله « أَنْ تَرَى » في موضع المفعول من نِيَّاسَنَ . وقوله « فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ » جواب إذا ، وخبر أَنَّ الْأُمُورَ فِي الشَّرْطِ وَالْجَوَابِ . وَيُقَالُ رَجَعْتُ الْبَابَ وَأَرْتَجُّهُ ، إِذَا أَغْلَقْتَهُ ، وَبَابُ مُرْتَجِّجٍ وَمُرْتُجٍّ . وَالرَّجَاجُ : الْبَابُ نَفْسُهُ .

٥ - أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ وَمُذْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْبِجَا ٦ - أَبْصِرْ لِرَجُلِكَ قَبْلَ أَنْ يَطْلُوَ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَا زَلْجًا عَنْ غِرَّةٍ زَلْجًا^(١)

يقول : إِنَّ مُذْمِنَ الصَّبْرِ فِي الْأُمُورِ ، وَمُلازِمَ الثَّبَتِ وَالطُّلُومِ عِنْدَ الْخَطُوبِ^(٢) حَقِيقٌ بِأَنْ يَطْلُرَ بِطَلَبَتِهِ ، وَبِنَجَاحِ السَّعْيِ فِي مَرَامِهِ وَبِنَيْتِهِ^(٣) . كَأَنَّ مِنْ أَدَامَ قَرْعَ أَبْوَابٍ مَدَاخِلَهُ ، وَغَمَزَ مَفَاصِلَ آرَائِهِ ، حَقِيقٌ بِوُلُوجِهِ وَوَصُولِهِ ، وَمَعْرِفَةِ مَتِيحِ مَا يَرْجُوهُ وَمُرِيحِهِ .

ثم قال : وَإِذَا سَمِعْتَ فِي أَمْرٍ فَاعْرِفْ مَوَاطِئَ قَدَمِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْلُوعَهَا ، وَمَوَاقِعَ خَطْوِكَ قَبْلَ أَنْ تَمْدُدَّهَا ، وَاقْسِمْهَا بَيْنَ نَظَرِكَ وَاجْتِهَادِكَ^(٤) ، وَتَحْقِيقِكَ وَحَدْسِكَ ؛ فَإِنَّ مَنْ رَكِبَ مَزَلَّةً عَنْ غِرَّةٍ وَخَفَلَهُ ، يُوشِكُ أَنْ يَسْقُطَ لِيَدِيهِ وَفِيهِ ، وَتَزَلَّ بِهِ قَدَمُهُ إِلَى قَرَارِ هَلَكَتِهِ وَحِينِهِ . وَالزَّلْجُ : الشَّرْعَةُ فِي اللَّشَى وَالشَّقُوطُ وَغَيْرِهِ . وَفَرَسٌ زَلُوجٌ : سَرِيعُ السَّيْرِ . وَكَذَلِكَ يُقَالُ قَدْحٌ زَلُوجٌ . وَمِزْلَاجُ الْبَابِ : الْخَشَبَةُ الَّتِي يُقْلَعُ بِهَا .

(١) التبريزي : « قدر لرجلك » . وجمعه عنده :

وَلَا يَفْرُغُ نَفْسُكَ صَفْوَةً أَنْتَ شَارِبُهُ فَرَجًا كَانَ بِالْكَسْرِ مِمَّا

(٢) التلوم : الانتظار والطلب .

(٣) البنية ، ضم الباء وكسرها . وضبطت في النسختين بالكسر .

(٤) ل : « واختيارك » .

٤٣٧

وقال آخر^(١) :

- ١ - لِحِجْبِنَا وَاجْتِ هَذِهِ فِي التَّغْضِبِ وَشَدَّ الْحِجَابِ بَيْنَنَا وَالتَّنْقِبِ^(٢)
 ٢ - تَلُومٌ عَلَى مَالٍ شَفَانِي مَكَانُهُ إِلَيْكَ فُلُؤِي مَا بَدَأَ لَكَ وَاغْضِي
 كَانَ هَذَا الشَّاعِرَ اطَّلَعَ مِنْ أَحْوَالِ أَيْتَامِ أَخِيهِ عَلَى مَا سَاءَ وَأَنِفَ مِنْهُ ،
 ثُمَّ دَعَاهُ التَّحَنُّنُ وَالْإِشْفَاقُ مِمَّا يَتَدَاوَلُهُ النَّاسُ فِي مَجَالِسِهِمْ مِنْ أَحَادِيثِ الْبِرِّ
 وَالْمَقْوُوقِ ، وَتَصَرَّفَهُمْ فِي صَرْفِ اللَّقْطِ إِلَى مُسْتَحَقِّهِ ، وَالْحَمْدِ إِلَى مُكْتَسِبِهِ ، إِلَى أَنْ
 أَسْرَعَ عَيْدِيهِ الرَّاعِيَيْنِ بِإِرَاحَةٍ مَارِدًا إِلَى فَنَائِهِ مِنْ مَسَارِحِ إِبِلِهِ عَلَيْهِمْ^(٣) ،
 فَغَضِبَتْ أَسْرَأَتُهُ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْكَرَتْ فِعْلَهُ ، وَخَوَّفَتْهُ فِي أَثْنَاءِ مَلَاهِمَا بِالْفَقْرِ
 وَهَجْرَتِهِ ، فَأَخَذَ يَقْتَصُّ مَا كَانَ مِنْهَا وَمِنْهُ قَال : تَمَادَّتْ أَسْرَأَتِي فِي الْغَضَبِ
 وَالْمُجْرَانِ ، وَاللَّوْمِ وَالِاحْتِجَابِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْهَا فِي مَالٍ شَفَانِي مَوْضِعُهُ الَّذِي
 وَضَعْتُهُ فِيهِ ، وَمَصْرِفُهُ الَّذِي صَرَفْتُهُ إِلَيْهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْتَهِينًا بِهَا وَفِعْلَهَا
 قَال : إِلَيْكَ فُلُؤِي مَا بَدَأَ لَكَ . وَاللَّعْنُ : أَجْمَعِي أَمْرَكَ ، وَاسْتَمْرَيْ فِي عَتِكَ
 وَغَضَبِكَ مَا بَدَأَ لَكَ ، فَإِنَّ الرَّشَادَ فِيمَا آثَرْتَهُ ، وَالصَّلَاحَ فِي قِرَانِ مَا اخْتَرْتَهُ .
 وَ « إِلَيْكَ » : اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَفْصَالِ هُنَا ، كَمَا يَكُونُ عَلَيْكَ ، وَعِنْدَكَ . وَلِئِنَّكَ
 عَطَفَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « فُلُؤِي » . وَ « مَا بَدَأَ لَكَ » فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ
 الْقَوْلُ فِي أَمْثَالِهِ .

(١) هو حجبة بن الضرب . وفي التبريزي : « وحدث ابن كنانة أن حجبة
 ابن الضرب كان جالساً بفناء بيته ، غرقت جارية بقعب فيه لبن ، فقال لها : أين تريد
 بالقعب ؟ قالت : بين أخيك البناي . فوجم وأراح راعيها إبله ، فقال : اصقها نحو بيني أخى ،
 ثم دخل منزله فماتته أسراة فقال ... » .

(٢) التبريزي : « ولط الحجاب دوننا والتنقب » .

(٣) كتب بجوارها في ل بخط دقيق : « بيني بيني أخيه » .

٣ - رَأَيْتُ الْيَتَامَى لَا تَسُدُّ قُورَهُمْ هَدَايَا لَهُمْ فِي كُلِّ قَعْبٍ مُسْتَعْبٍ^(١)

٤ - قُلْتُ لِعَبْدِنَا أَرِحْنَا عَنْهُمْ سَاجِلُ بَيْتِي مِثْلَ آخَرِ مُغْرِبٍ

٥ - عِيَالِي أَحَقُّ أَنْ يَنَالُوا خَصَاصَةً وَأَنْ يَشْرَبُوا رَنَقًا إِلَى حَيْنِ مَكْسَبِي^(٢)

يعنى باليتامى أولاد أخيه المتوفى. يريد: رأيته لا تسد قورهم ولا تقيم محتل أحوالهم، تحف توجه إليهم، وهذا محتل نخوم في قعاب مشوبة. يشير بذلك إلى ما كانت امرأته تتولاه وتأتيه من يرهم وتتقدم قبل ذلك. وفي قوله: «هدايا لهم في كل قعب مستعب» إزراء بصنيعها، وبالألبان للفقولة إليهم وظروفها. وجمع القور لاختلاف وجوها.

وقوله «قلت لعبدنا» يعنى راعيه الذين أمرًا يسوق الإبل الردودة من المراعى إلى فناء أولاد أخيه. وإنما تقي على عادتهم في شنية مزاولي أعمالهم، كالباذن والسلم في الحلب وما أشبههما. وقوله: «ساجل بيتي مثل آخر»، يريد مثل بيت آخر وقد عزبت إبله وتباعدت، فإن عيالي ولم كاسب مثلي أحق بمزاولة الفقر، ورثانة العيش، والصبر على الشرب الرقيق، إلى أن أكسب ما تعود به حالهم إلى ما ألقوه من الخصب والسعة، والخفض والدعة. ويقال: أغزب الرجل، إذا عزبت عنه إبله في الرعى.

٦ - ذَكَرْتُ بِهِمْ عِظَامَ مَنْ لَوَّاتِيهِ حَرِيًّا لَأَسَانِي لَدَى كُلِّ مَرَكَبٍ^(٣)

٧ - أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدَعُهُ لِلْعَةِ يُجْبِيكَ وَإِنْ تَنْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَنْضَبُ^(٤)

(١) ل: «لا يمد».

(٢) البرزى:

بَيْتِي أَحَقُّ أَنْ يَنَالُوا مَسَاقَاةً وَأَنْ يَشْرَبُوا رَنَقًا لَدَى كُلِّ مُشْرَبٍ

(٣) البرزى: «ويروى: حبوت بها قبر امرئ لو أتيته».

(٤) البرزى:

أَخِي وَالَّذِي إِنْ أَدْعَاهُ لِلْعَةِ يُجْبِيكَ وَإِنْ أَغْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَنْضَبُ

قال أبو ريش: وفيها:

فَلَا تَحْسِبْنِي بُلْدًا إِنْ نَكَحْتَنِي وَلَكِنِّي حُجِّيَّةٌ بِنَ الْمُضَرِّ

يقول : تَذَكَّرْتُ بهؤلاء الأولادِ أباهم الذي لو أُتِيَتْهُ محزوناً مسلوباً ،
وَمُتَّعَ بِأعباء الفقرِ مَبْهُوراً ، لَضَمَّنِي إلى صدره ، وَشَمِّلَنِي تَضَاعِيفُ بَرِّهْ ، وجعلني
إِسْوَةً نَفْسِهِ فِي كُلِّ مَا أَرَكُهُ ، وَالسُّفْءَ بِطَلَبَتِهِ عِنْدَ جَمِيعٍ مَا أَخْطَبُهُ ، لِأَنَّ
الأخَ الكَامِلَ الأخُوَّةَ هُوَ الَّذِي يَشُدُّ أَرْزَاقَكَ ، وَيَحْيِي ظَهْرَكَ ، وَإِنْ دَعَاكَ لِفَانِيَةٍ
تَتَوَبُّ أَجَابَكَ سَرِيعاً ، وَإِنْ أَعَمَّتْ سَيْفَكَ أَعْمَلَ سَيْفَهُ مَعَهُ حَيْثَا .

٤٣٨

وَقَالَ الْقَنْعُ الْكِنْدِيُّ^(١) :

- ١ - يُمَا بُنِيَ فِي الدِّينِ قَوِيٌّ وَإِنَّمَا دُبُونِي فِي أَشْيَاءَ تَكْسِيهِمْ مُحَمَّدًا
 - ٢ - أَسَدُهُ بِهِ مَافِدَ أَخْلَوْا وَصَيَّعُوا ثَمُورَ حَقُوقٍ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًّا
 - ٣ - وَفِي جَنْفَتِهِ مَا يَنْتَلِقُ الْبَابُ دُونَهَا مُكَلَّلَةً لَحْمًا مَدْقَقَةً ثُرَدًا
 - ٤ - وَفِي فَرْسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ حِجَابًا لِبَنِي نِي نِمَ أَخَذْتُهُ عَبْدًا
- كَأَنَّ قَوْمَهُ يَنْقَمُونَ عَلَيْهِ^(٢) سَرَفَهُ فِي الْإِنْفَاقِ ، وَتَحَرُّقَهُ فِي الْإِفْضَالِ ،
وَتَجَاوُزَهُ مَا تُسَاعِدُهُ بِهِ حَالُهُ وَتَنْسَعُ لَهُ ذَاتُ يَدِهِ إِلَى الْاِسْتِقْرَاضِ ، وَبَذْلِ الْوَجْهِ
فِي الْاِدْيَانِ^(٣) ، قَالَ : كَثُرَتْ لَأَمْتُهُمْ فَيَا يَرْكَبُنِي مِنَ الدُّيُونِ ، وَإِنَّمَا هِيَ
مَصْرُوفَةٌ فِي وَجُودِ مُؤْنِهَا عَلَيَّ ، وَجَهَالَتُهَا لَمْ ، وَقَضَاؤُهَا فِي أَنْفُسِهَا يَلْزَمُنِي ،

(١) اسمه محمد بن ظفر بن حمير . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان له
عمل كبير وشرف وصهوة وسؤدد في عشيرته . ويَزعمُ للمؤرخون أن العلة في لزومه التنازع
مَا كَانَ يَنَافِى عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْبَيْنِ ، فَقَدْ كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَمْدَمَ لَفَافَةً ، وَأَكْمَلَهُمْ
خَلْقًا ، فَكَانَ إِذَا سَفَرَ أَصَاحِبُهُ أَعْيَنَ النَّاسَ فَيَسْرِخُ وَيُلَقِّعُهُ عَنَتَ . الْأَقَاوِي (١٥٠ : ١٥١)
وَالشُّعْرَاءُ ٧١٥ - ٧١٦ وَالْأَكْثَرُ ٦١٥ - ٦١٦ .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « كَانَ قَوْمٌ يَسِيونَ عَلَيْهِ » .

(٣) الْأَدْيَانُ ، أَنْفَاقُ مِنَ الدِّينِ ،

ومحمدًا موفرة عليهم . ثمَّ أخذ يعدد فقال : من تلك الوجوه أن ما يتوبُّ من الحقوق فيخلون بها ويضميئونها عجزًا عن الوفاء بواجبها ، أنا أسدُّ ثغورها ، وأقيم فروصها .

ومنها أن لي دار ضيافة قدورها مشبعة موفورة ، وجفاتها معدة منصوبة ، لا يمنع منها طالبها ولا يحجب عنها رائدها ، فلحماتها كالأكاليل على رؤوسها ، ورائدها قد نمت تدقيقها .

ومنها : أن بفنائى فرسا مربوطا قد أعدَّ للهيئات ، على طاعة أمثالي من الأكابر والزُّمراء . ولكرمه وما يتوفر عليه من إكرام إياه قد صار كالحيجاب لهاب يبقى ، وقد شغلت بخدمته عبداً يتفقد بمرأى منى ، لا أهيلة ولا أنفيل عنه .

قوله : « مدققة » أى مملوءة . والأحسن أن يروى معة : « مُردَا » بضم التاء . ويروى : « مدققة مُردَا » بفتح التاء . والمراد مُردة مُردَاً دقيقاً . والنهد الجسم الشرف من الخيل .

- ٥- وَإِنْ الذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي هَمِّي لَمَخْتَلِفٌ جِدًّا (١)
 - ٦- فَإِنْ يَأْكُلُوا الْحَبِي وَفَرَّتْ لُحُومُهُمْ وَإِنْ هَدَمُوا بَنِيَّ بَنِيَّ لَمْ يَجِدْ (٢)
 - ٧- وَإِنْ ضَيَّعُوا غَنِيَّيَ حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ هُمُ هَوُوا عَنِّي هَوَيْتُ لَمْ رَشِدَا
 - ٨- وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرِي بَنَحْصِي تَمْرِي زَجَرْتُ لَمْ طَيْرًا تَمَرَّ بِهِمْ سَعْدًا (٣)
- ذكر بعد قاعده مآذيره (٤) فيما أنكروه عليه ، أن إخوته وأبناء عمه

(١) هنا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « كُن » .

(٢) التبريزي : « فَإِنْ أَكَلُوا » .

(٣) كنفاء ل والأصل . وعند التبريزي : « وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا » .

(٤) ل : « مآذره » . والتلب : السب . والإفلة : الإمارة .

يحسدونه ويأتعون الدواة والقواة له ، وهو يُصَارِبُهُمْ وَيُجَامِلُهُمْ ، ويتغابى معهم ، فقال : إنَّ ما بيني وبينهم في طَرَفٍ قِيض ، وعلى لونٍ من الخلاف عجيب ؛ فإنهم إن اغتابوني وتطعموا لحي أسكتُ عنهم ، وتركْتُ أعراضهم موفورة ، لم يتخونها مني إذالةً ولا ثَلَبٌ ^(١) ، وأعراضهم محفوظة لم يتحيفها تحائلٌ ولا غَضٌّ . وإن سَعَوْا في قَضِي ما أبرئته من مساعاةٍ كريهةٍ ، وهذا ما أسسته من خُطَّةٍ تجذَّ عليَّ ، جازيتهم بابتداء شرفٍ لم مستحدث ، وإعلاء شأنٍ لم مستأنف . وإن أهملوا غيبي فلم يرَاعَوْهُ بِحُسْنِ الدِّفَاعِ عنه ، وإسباغِ توبِ الحماة عليه حَفِظْتُ أنا غيبتهم ، وأرصدتُ العوائل لمن اغتالم . وإن أحبوا لي القواة ، والتسكع في الضلالة والبطالة ، اخترتُ لهم للرأيد ، وهويت في مبالغهم للنجاح . وإن تمنَّوا لي للنخسة ، وزجروا من بوارح الطَّيْرِ وسوانحها في الشامة ، جعلتُ عيافتي لم فيما يُمِرُّ بي منها المسعدة والطيرة الحيدة . وقوله :

« سَدًّا » صفة للطَّيْرَا .

- ٩ — وَلَا أَهْلُ الْحَقْدِ الْقَدِيمِ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا
١٠ — لَمْ جُلِّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غَنِي وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكَلِّفْهُمْ رِفْدَا
١١ — وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلَا وَمَا شَيْعَةٌ لِي قَبْرَهَا تُشْبِهُ الْعَبْدَا
- أثبت لنفسه الرئاسة عليهم في هذا البيت . والمعنى أنه متى استطعوه عطف عليهم ، وإن استقالوه ^(٢) أقالهم وأسرع القيتة لهم ، غير حامل الضَّنِّ واللَّجَاجِ معهم ، ولا مستعداً لانتهاز القَرْصِ فيهم ، لِمَا اكْتَمَنَ من عَوَادِي الحقد عليهم . وقوله : « وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا » يجري مجرى الالتفات ، كأنه أقبل على مخاطبٍ فقال : إني لا أتعجل ^(٣) بترك مؤاخزتهم ، وأطراح الحقد

(١) التفون : التمس .

(٢) ل : « ولذا » .

(٣) ل : « لا أتعجل » .

في مساوَقَتِهِمْ ، فَإِنَّ الرَّئِيسَ يُحِبُّ لَتَبِعِهِ ذَلِكَ عَلَيْهِ فِي شُرُوطِ الرِّيَاسَةِ . وَقَوْلُهُ :
« لَمْ جُلَّ مَالِي » يَرِيدُ أَنْ تَوَاصَلَ النَّفْيُ لِي أَشْرَكَهُمْ فِي مُعْظَمِهِ ، مِنْ غَيْرِ
امْتِنَانٍ وَلَا تَكْدِيرٍ ، وَإِنْ تَحَيَّفَ مَالِي حَدَثٌ مُبِغٍ ، أَوْ عَارِضٌ يَحْدُثُ لَمْ أَنْتَظِرْ
مِنْ جِهَتِهِمْ مَعُونَةً ، وَلَا كَلَفْتُهُمْ فِيمَا يَخْفَ أَوْ يَتَقَلُّ مَوْنَةً .

وقوله « وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ » أَرَادَ أَنْ يَبَيِّنَ مَا عِنْدَهُ لِلْغَرِيبِ الْعَارِقِ ^(١) ،
وَالضَّيْفِ النَّازِلِ ، بَعْدَ أَنْ شَرَحَ حَالَهُ مَعَ مَوَالِيهِ ، وَخِصَالَهُ فِي مُرَاقَقَةِ ذَوِيهِ ،
فَقَالَ : وَأَبْلُغُ فِي خِدْمَةِ الضُّيُوفِ مَبَالِغَ الْعَبِيدِ فِيهَا . ثُمَّ أَكَّدَ مَا حَكَاهُ بِقَوْلِهِ
« وَمَا شِئِمَّةٌ لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا » ، فَانْتَصَبَ « غَيْرٌ » عَلَى أَنَّهُ مَسْتَهْنِئٌ مُقَدَّمٌ
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا حَالَ بَيْنَ الْمُوصُوفِ وَالصَّنَةِ ، وَهِيَ شِئِمَّةٌ وَتُشَبُّهُ ، وَتَقَدَّمَ عَلَى
الْوَصْفِ صَارَ كَأَنَّهُ تَقَدَّمَ عَلَى الْمُوصُوفِ ، لِأَنَّ الصَّنَةَ وَالْمُوصُوفَ بِمَنْزِلَةِ شَيْءٍ وَاحِدٍ .
وقوله « تُشَبُّهُ الْعَبْدَا » يَرِيدُ : تُشَبِّهُ شَيْمَ الْعَبْدِ ^(٢) ، لِحَذَفِ الْمُضَافِ وَأَقَامِ الْمُضَافَ
إِلَيْهِ مَقَامَهُ .

فَلْيَتَأَمَّلِ الْفَاضِلُ فِي هَذَا الْبَابِ وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَتَصَرَّفِ قَائِلُهَا فِيهَا
بِلَا اعْتِسَافٍ وَلَا تَكَلُّفٍ ، وَسَلَاةٍ أَلْفَاظِهَا ، وَصِحَّةٍ مَعَانِيهَا ، فَهُوَ عَفْوُ الْعُلَمَاءِ ،
وَصَفْوُ الْقَرَضِ .

٤٣٩

وقال رجل من الفزاريين :

- ١ — إِلَّا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنِّي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
- ٢ — وَلَا غَيْرِي حُسْنُ الْجُسُومِ وَتُبْلَاهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَسْل : « الْعَالَم » .

(٢) ل : « الْعَبْد » .

٣ - إذا كنت في القوم الطوال أصببتهم بمارقة حتى يقال طويل^(١) يقول : إن لم يكن في طولي امتداد ، ولا في خلقي بسطة وكال ، فإني لا أزال أصيل نقص جسي ، وأند قصر قامتي بما أتولاه من الأفعال الكريمة ، وأختاره من انخصال الحيدة ، حتى أحو حمة الإزرار عن نفسي . ومن أوتي الفضل في خلقه ونفسه ، وعاداته وشيئته ، خير ممن أوتي العظم في خلقه ، والبراعة في جسمه ، فلا فضيلة لمن حسن وجهه ونبل منظره ، إذا لم يزيه عقل وافر ، وتخير رائق . ومتى حصلت بين أقوام طوال القامات ، قابلت طولهم بطول يدي فيهم ، وأنتلتهم معروفي حتى عظمت في أعينهم ، وامتلات من حبهم لي وميلهم إلى قلوبهم ، فأنسأ طول باعى بالمعطية قصر قامتي بين قاماتهم . وقوله « حتى يقال طويل » لارتفاع طويل على أنه خير مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو طويل . أي يسنون له فضيلة الطول عندهم .

٤ - وم قد رأينا من فروع كثيرة تموت إذا لم تُحيين أصول^(٢) ٥ - ولم أر كالمعروف أمّا مدّاه فعلوا وأما وجهه فجميل هذا مثل ضرب له لخصال المجتمة في الإنسان ، لا تمدّ فضائل إلا إذا اقتصرت بخصال آخر ، وهي كالأصول لها . ومثال ذلك ما قدّمه من ذكر عبادة الخلق^(٣) إذا عريت من تباة الخلق ، وما شاكلها من صباحة الوجه إذا خلّت من صباة الثقل . ثم قال : ولم أر شيئاً كإسداء للمعروف وبث المطام والإحسان ، فإن من ذاقه استغلاء ، ومن رآه استحسنه وارتضاه . وهذا تأكيد ما ذكر من قوله : « أصبتهم بمارقة حتى يقال طويل » .

(١) البرزى : « علوتهم بمارقة » .

(٢) البالة ، بتكثير اللام ، وتخفيفها لغة من الحياني ، وهي الفضل .

٤٤٠

وقال عبد الله بن معاوية^(١) :

١ — أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أُمُورٍ وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهَا مَالِي

٢ — فَتَنَفْسِي لَا تَطَاوَعُنِي بِبُخْلِ وَمَالِي لَا يَمْلِكُنِي فَمَالِي

قد مضى له أمثال^(٢) ، ومعناه ظاهر ، ويرى : « لَا يَقُومُ لَهُ قَمَالِي » .

٤٤١

وقال مضر بن ربيعي^(٣) :

١ — إِنَّا لَنَصْنَحُ عَنْ بَاجِلٍ قَوْمَنَا وَنُحِمُّ سَالِفَةَ الْقَدْوِ الْأَصْدِيدِ

٢ — وَمَتَى نَخَفُ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ نُضْلِحُ وَإِنْ تَرَصَّالِحًا لَا نَفْسِدُ

يصفُ صفاء نيتهم لقومهم ، وأنهم يسلكون معهم طرائق ما يعود على
للسود بالصلاح ، وعلى السائد باستكمال الرئاسة والارتفاع ، فقال : إِذَا جَهِلُوا
علينا صَفَحْنَا عنهم ، وأبقينا على الحال بيننا وبينهم ، واستقمنا إقامتهم ووجبتهم ،
كل ذلك لئلا ينفروا فيزداد ما بيننا وبينهم تفاقماً . فإما الأعداء فإننا
نكسرهم ونستلهم عنهم كبرهم ونخزوا أنفسهم ، ونلين أعناقهم حتى يقادوا على

(١) البرزى : « عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جهر » : وهو عبد الله بن معاوية
ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب « كان من فتيان بني هاشم وأجودهم وشرائهم . وكان يرى
بالزندق ، وخرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن عبد ، ثم انتقل عنها إلى الجبل ثم خراسان ،
فأخذه أبو سلمة فقتله . الأغانى (١١ : ٩٣ — ٧٤) .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « مضى أمثالي » .

(٣) هو مضر بن ربيعي بن لبيط بن خالد بن نضلة بن الأشعر بن جحوان بن نضس
ابن طريف بن عمرو بن قيس الأسدي . هاجر عن ميثم ، كان معاصراً للفرزدق . للؤثف
١٩١ ومجم للرباعي ٣٩٠ .

ضَغْنٍ مِنْهُمْ . وَالسَّالِفَةُ : صَفْحَةُ الْعُنُقِ . وَالصَّيْدُ : مَيْلٌ فِي الْعُنُقِ مِنَ الْكِبَرِ كَمَا مَا يَكُونُ الصَّعْرُ فِي الْخَدِّ ، وَكَأَنَّ الصَّادَ يَسْتَعْمَلُ فِي النَّظَرِ .

وقوله « وَمَتَى نَخَفُ » يوماً فسادَ عشيرة « يريد : إِنَّا نَسَى فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، وَلَا نَدْعُهُمْ يَتَدَابَرُونَ وَيَتَضَاغَنُونَ ؛ لِأَنَّ عِزَّ الرَّجُلِ بِعَشِيرَتِهِ ، ثُمَّ إِنْ رَأَيْنَاهُمْ عَلَى حَدٍّ مِنَ الصَّلَاحِ زِدْنَا فِي قُوَّةِ نِيَّتَانِهِمْ ، وَجَهْلَانَهُمْ عَلَى مَا يَزْدَادُونَ بِهِ اسْتِقَامَةً وَاسْتِمْرَاراً .

٣ - وَإِذَا نَمَوْا صُبْدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِمَّا الْخَبَالُ وَلَا نُفُوسُ الْحُسَدِ

٤ - وَنُصِيبُ دَاعِيَةٍ فَاعْلَمْنَا عَلَى مَا نَابَهُ حَتَّى نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ

يقول : وَإِذَا ارْتَقَوْا فِي دَرَجَاتِ الْعِزِّ وَتَبَوَّعُوا مَنَازِلَ الْفَضْلِ ، لَمْ نَحْسُدْهُمْ ، وَلَمْ نَضَيِّقْ عَلَيْهِمْ طَرِيقَ مَقَاصِدِهِمْ ، فَيُورِثُهُمْ ذَلِكَ خَبَالًا^(١) وَقُتُورًا . وَالسَّاعِي مِنْهُمْ إِذَا جَدَّ فِي إِقَامَةِ مَا يُتَوَبُّهُ مِنَ الْحَقُوقِ أَعْنَاهُ عَلَى إِمَامٍ مَا يَشِيدُهُ ، وَالزِّيَادَةُ فِيمَا يُؤَيِّدُهُ ، حَتَّى نَبْلُغَ بِهِ قَعْلَ السَّيِّدِ ، عَلَمًا بِأَن رَفَعْتَهُمْ لَنَا ، وَجَاهَلَهُمْ جَاهِلُنَا .

٥ - وَنُصِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَانِبِ عَجَلِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ السُّتَنِجِدِ

٦ - فَتَفْلُ شَوْكَتَهَا وَتَفْتَأُ حِمِيهَا حَتَّى تَبُورَخَ وَحَمِينَا لَمْ يَبْرُدْ

٧ - وَتُحِلُّ فِي دَارِ الْخِلَافِ بِيُوتِنَا رَتَحَ الْجَنَائِلِ فِي الدَّرِينِ الْأَسْوَدِ^(٢)

قوله « وَنُصِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ » ، يريد : وَإِنْ اسْتَعَانَ بِنَا مِنْ أُخَيْرٍ عَلَيْهِ صَبَاحًا مِنْ ذِي عَحْرَمٍ أَوْ جَارٍ ، أَوْ مُتَسَبِّبٍ بِلَالٍ وَقَرَابَةٍ ، أَجْبَنَاهُ سَرِيحًا بِمِشْرِ سَرِيحِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ السُّتَنِجِدِ ، فَتَكْثِيرُ شَوْكَةِ الْفَيْرِينَ ، وَنُحْمِدُ نَاثِرَتَهُمْ وَنَسْكُنُ مُحَامًا حَتَّى تَبْرُدَ وَحَمَانَا لَمْ تَسْكُنْ وَلَمْ تَبْرُدْ^(٣) . وَجَمَلُ الشَّوْكََةِ كِتَابَةُ هِنٍ

(١) ل : « خِيَالًا » .

(٢) ل ، والتبريزي : « وَتُحِلُّ فِي دَارِ الْخِلَافِ بِيُوتِنَا » .

(٣) فِي النُّسخَتَيْنِ : « يَبْرُدُ » وَ« يَسْكُنُ » .

السَّلاح والقُوَّة جميعاً . وقوله « نفثاً » هو من فَثَثْتُ القِدْرَ ، إذا سَكَنْتْ غليانها . وقوله « حتى تَبُوخَ » يقال : بَاخَتِ القَارُ إذا طَفِئَتْ .

ومعنى « وَنَحِلُ^(١) » في دار الحفاظ بيوتنا « نَضِيرُ في دار الحفاظَة على الشَّرَف إذا اشتدَّ الزَّمان ، وإذا قَصَدَ غَيْرُنَا لِنُخْضِبَ أو طَلَبَ الانْتِجَاعَ أَفْنَا مُرْتَمِعِينَ فِي الدَّرِينِ مَا لَنَا ، ولا نَمَكُنْ أَعْدَاءَنَا مِنْ أَرْضِنَا وَحِائِنَا . والدرين : اليابس من السَّكَلِ القَدِيمِ العهد . وجعله أَسْوَدَ لفساده وطولِ قِدَمِهِ . ويروى « وَنَحِلُ^(٢) » في دار الحفاظ بيوتنا . وانتَصَبَ « رَنَعَ الجَمَالِ » على أنه مصدر في موضع الحال . ومثله قول الآخر^(٣) .

وَنَحِلُ في دارِ الحِفاظِ بِيوتِنَا زَمَنًا وَيَطْقَنُ غَيْرُنَا لِلأَمْرُ^(٤)

٤٤٢

وقال المتوكلُ اللَّبْنِيُّ^(٥) :

١ — إِنِّي إِذَا مَا انْخَلِيلُ أَحَدَثَ لِي صَرْمًا وَمَلَّ الصَّمَاءُ أَوْ قَطْمًا

٢ — لَا أَحْتَسِي مَاءَهُ عَلَى رَتْقِي وَلَا يَرَانِي لَبِنْنِهِ جَزَعًا

يقول : إذا اخرج صديق لي والتوى ، وطلب الخلافَ على فأحدث لي نُبُوءًا وَجَفَاءً ، وتبرَّعَ من مُصَافَقِي فَأَقِيلَ بِتَجَقِّي على ، فإني لا أرومُ منه العودَ ، ولا أُعْرِضُ عليه الرُّجُوعَ ، بل أَصَارِحُهُ ولا أَجْرِعُ ماءَ الوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ على

(١) ل : « ونحل » .

(٢) ل : « ونحل » بالتوت .

(٣) هو الحاضرة القبياني . للفضلية ٨ .

(٤) ل : « ونحل » . للفضليات : « وقيم في دار الحفاظ » .

(٥) هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن وهب بن عمرو بن لقيط الكنتاني ، وكان يكنى

أبا جهم . وكان على عهد معاوية وابنه يزيد ، ومنحهما . الأغاني (١١ : ٣٧ — ٤١)

والمؤتلف ١٧٩ ومسجم الرزياني ٤١٠ .

كدر فأحتلُ مكروهه ، ولا أظهرُ جَزَعًا لاستحداثِ إِفراقٍ منه ، أو تنكُّرٍ
بنطوى عليه فأخيتُ له ^(١) ، لأني وصَّالٌ صَروم ، أصافي من يُصافيني ، وأجامل
من يُجاملني ، وأداجي من يداجيني .

٣ - أَهْجَرُهُ ثُمَّ تَنْقُضِي غُبْرَ الْهَجْرَانِ عَنِّي وَلَمْ أَقُلْ قَدْ عَا^(٢)
٤ - أَحْذَرُ وَصَالَ الثَّيْمَ إِنْ لَّهُ عَصَهَا إِذَا حَبَلُ وَصَلِهِ انْقَطَعَ
الغُبْرُ ^(٣) : البقايا ، واحداثها غُبْرَةٌ . ويقال : تَغَبَّرَتِ النَّاقَةُ ، إذا احتلبت
غُبْرَهَا . وَغُبْرُ اللَّيْلِ : مآخِيره . قال :

فِيَا صُبْحُ كَمْشَ غُبْرَ اللَّيْلِ مُضْعِدًا رِيَمَ وَبَسَّ ذَا الْغِيَاءِ الْمَوْشِعِ ^(٤)
وَالْقَدَحَ وَالْقَدِيمَةَ : الفُحْشُ . يقال . قَدَعْتُهُ ، إذا رميته بالقَدْعِ . وأَقْدَعَ
الرَّجُلُ : أتى بالفُحْشِ . وكَلَامٌ قَدَعَ . وَيُتَوَسَّعُ فِيهِ فَيَقَالُ الْقَدَرُ : القَدْعُ ، حَقٌّ
يقال : قَدَعَ ثَوْبَهُ بِالْبَوْلِ وَغَيْرِهِ . يقول : أَقْطَعُ الْعَلَانِيَةَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَنْصَرِفَ عَنْهُ
هَاجِرًا ، وَتَنْقُضِي ^(٥) مَدَّةَ الْمَجْرَانِ عَنَّا وَلَمْ أَعْتَبِهِ وَلَا قُلْتُ فِيهِ فُحْشًا ، وَلَا ذَكَرْتُهُ
بِرَّةً كَانَتْ مِنْهُ .

ثم قال : أَحْذَرُ مُوَاصِلَةَ الثَّيْمِ وَمُؤَاخَاةَ ، لَأَنَّهُ إِذَا انْقَطَعَ حَبَلُ وَصَلِهِ ،
وَانْصَرَمَ مَا يَجْمَعُكَ وَإِنْيَاهُ مِنْ وَدِّهِ يَتَكَدَّبُ عَلَيْكَ ، وَيَخْلُقُ مِنَ الْإِفْكَ فَيْكَ
مَا لَمْ تَكْتَسِبْهُ لَا يَبِيدُكَ وَلَا لِسَانِكَ ، وَهَذَا كَأَنَّهُ لَمَّا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ
مَا نَفَى بَيْنَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ ، لَسُكُونِهِ مِنْ فِعْلِ الْقَتَامِ . وَالْقَتْنَةُ :
ذِكْرُ التَّبْيِيحِ كَذِبًا وَزُورًا . وَيُقَالُ : عَصَمْتُهُ ، إِذَا رَمَيْتَهُ بِالزُّورِ . وَأَعَصَهُ الرَّجُلُ

(١) أَخْبَتَ : الْإِخْبَاتُ : التَّوَضُّعُ وَالْإِطْعَانُ .

(٢) التَّبْرِيْزُ : « ثُمَّ يَقْضِي غُبْرَ الْمَجْرَانِ » .

(٣) كَذَا وَرَدَتْهُ مُضْبُوطَةً فِي النُّسخِ فِي مَتْنِ الْبَيْتِ وَشَرَحَهُ .

(٤) الْبَيْتُ الْقُلُومِيٌّ فِي دِيَوَانِهِ ٦٩ وَالْمِجْوَانِ (٢ : ٧٠٤ ، ٣٤٦ / ٧ : ٥٩)

وَالسَّانِ (وَشَح) . (٥) ل : « وَتَنْقُضِي » .

أَتَى بِالْعَصِيْبَةِ وَهِيَ الْإِفْكُ . وَمِنْ كَلَامِهِمْ : يَا الْعَصِيْبَةُ ! وَيَا الْإِفْكَةَ !

٤٤٣

وَقَالَ بَعْضُهُمْ ^(١) :

- ١ — خَلِيلِي بَيْنَ السَّلِيمَيْنِ لَوْ أَنِّي بَنَعْتُ اللَّوِي أَنْكَرْتُ مَا قُلْتُمَا لِيَا ^(٢)
 - ٢ — وَلَكِنِّي لَمْ أَنْسَ مَا قَالَ صَاحِبِي نَصِيْبَكَ مِنْ ذَلِكَ إِذَا كُنْتَ خَالِيَا ^(٣)
- النَّفْثُ : مَا نَاعَفَكَ ، أَيْ عَارَضَكَ مِنْ الْجَبَلِ أَوَّلَ الْكَانِ لِلرَّفْعِ . وَاللَّوِي : مُسْتَرْقُ الرَّمْلِ . وَجَوَابُ لَوْ « أَنْكَرْتُ » ، وَكَانَ نَفْثُ اللَّوِي كَانَ أَرْضَهُ وَدِيَارَهُ ، فَيَقُولُ : لَوْ كُنْتُ فِي أَرْضِي وَمَعِيَ عَشِيرَتِي وَأَهْلِي ، ثُمَّ سُمِّتَانِي مَا سُمِّتَانِي لِأَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَقْبَلْهُ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَذْهَبْ عَمَّا وَصَّانِي بِهِ صَاحِبِي مِنْ قَوْلِهِ : الزَّمْ نَصِيْبَكَ مِنَ الذَّلِّ إِذَا كُنْتَ فِي دَارِ غُرْبَةٍ ، وَمَتَبَايَعَا عَنْ نُصَارِكَ وَالشَّقِيقَيْنِ عَلَيْكَ . وَاتَّصَبَ « نَصِيْبَكَ » بِإِسْمَارِ فَعْلٍ .

٤٤٤

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ ^(١) :

- ١ — وَمَا بَقِضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارِ يَهُانُ بِهَا الْفَتَى إِلَّا بَلَاءٌ
- ٢ — وَبَقِضُ خِلَاقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءُ الْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ

(١) هُوَ قَتَادَةُ بْنُ خُرَيْجَةَ الطَّلَحِيُّ ، مِنْ بَنِي عَجَبِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذِيانٍ . انْظُرِ الْبَيَانَ (٣ : ٢٤٩) . وَالْبَيْتَانُ وَرَدَا فِي مَجْمَعِ الْبَلَاهَاتِ فِي رِسْمِ (السَّلَسِلِينَ) بِدُونِ نِسْبَةٍ أَهْيَأَ .

(٢) فِي الْبَيَانِ : « يَهْرُ الْوَى » .

(٣) وَكَذَلِكَ رَوَاهُ فِي السَّجْمِ . وَفِي الْبَيَانِ : « إِذَا كُنْتَ نَاقِيَا » .

(٤) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْجُمَاثِيَةِ ٣٦ م ١٨٣ .

٣- يُرِيدُ الْمَرَّةَ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ
 ٤- وَكُلُّ شَيْءٍ نَزَلَتْ بِحَيِّ سَيِّئَاتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ
 قوله « وما بعضُ الإقامة » إنما بعضها لأنه أشار إلى الإقامة التي أوائلها
 تَنَزَّاعٌ معها اللَّيْلُ ، وَيَسْهُلُ فِي اخْتِيَارِهَا الْإِنْفِصَالُ وَالتَّرَحُّلُ ، وَأَوَاخِرُهَا تَتَغَيَّرُ
 بِمَا يَعْزِضُ فِيهَا حَقٌّ يَشُقُّ لَهَا الْبُلُوْثُ وَالتَّلَثُّثُ . وَارْتَفَعَ « بَلَاءٌ » لِأَنَّهُ خَبَرٌ
 لِلْبَيْتِ ، وَهُوَ بَعْضُ الْإِقَامَةِ ، وَ« يُهَانُ بِهَا الْقِيَمَةُ » فِي مَوْضِعِ الصَّغَةِ لِقَوْلِهِ فِي دِيَارِهِ .
 فيقول : إِذَا امْكَنَ الْارْتِمَالُ عَنْ دَارِ الْمَوَانِ ، وَلَا دَافِعَ وَلَا مَانِعَ يُوجِبَانِ الصَّبْرَ
 فَالْإِقَامَةُ بِهَا بَلَاءٌ ، وَيَجِبُ عَلَى الْحَرِّ طَلَبُ الْإِنْفِكَاحِ مِنْهُ ، وَرَوْمُ الْخَلَّاصِ
 مِنْ أَذَاهِ .

وقوله « وبعضُ خلائقِ الأقوامِ » يريد أن بعضَ ما يتخلَّقُ بِهِ النَّاسُ
 يَتَمَدَّرُ مَفَارِقَتَهُ وَمُدَاوَاةُ إِزَالَتِهِ ، فَهُوَ كَالَّذِي يَكُونُ بِالْإِنْسَانِ وَقَدْ اسْتَصْحَبَهُ
 مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ . يريد أن ما اعتاده الإنسانُ مِنَ الْأَخْلَاقِ يَصِيرُ إِذَا أَنْتَ الْيَأْمُ
 عَلَيْهِ ، وَقَوِيَ الْإِلْفُ لَهُ ، كَالْخَلْقَةِ أَوْ مَا يَجْرِي سَجَرَاهَا .
 وقوله « يريد المرء أن يُعْطَى مِنْهُ » ، معناه أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَمَنَّى أَنْ يَحْصُلَ لَهُ^(١)
 مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ شَهْوَتُهُ ، وَرِثَاةُ هَوَاهُ وَإِرَادَتُهُ ، وَيَمْنَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا مَا يَكُونُ
 بِمَشِيئَتِهِ ، وَيَعْرِفُهُ مِنْ مَصَالِحِ خَلْقِهِ .

وقوله « وكلُّ شديدة » يريد أن الشيء لا يدوم على حال ، فَالشَّدَائِدُ إِذَا
 نَزَلَتْ يَتَقَبَّحُ الْخَيْرُ وَرَخَاءُ الْعَيْشِ وَسَعَتُهُ ، لِأَنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ أَمْدًا يَمُدُّ لَهُ الْوَقْتُ ،
 فَإِذَا تَنَاقَلَ انْقَطَعَ .

٥- وَلَا يُعْطَى الْحَرِيصُ غَنًى لِحَرَصِهِ وَقَدْ يَنْتَمِي إِلَى الْجُودِ النَّزَاهَةُ^(٢)

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « يحصل له » .

(٢) ل : « فلا يعطى » . التبريزي : « على الجود » .

٦- غَنِيَّ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غَنِيٌّ وَقَفَرُ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءُ

٧- وَلَيْسَ بِنَافِعِ ذَا الْبُخْلِ مَالٌ وَلَا مُزِرٌ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ

٨- وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاءُ وَدَاءُ التَّوَكُّلِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ

قوله « ولا^(١) يُعْطَى الحريص » يريد أن حرص الإنسان في طلب النقي لا يُجْدِي عليه نفعاً ، ولا يَقْرُبُ منه بعيداً ، لأنَّ ميسر اليسر والنقي هو مَنْ له الخلق والأمر ، وإليه الإبرامُ والتَّقْضُ .

وقوله « وقد يَنْبِى إلى الجود » يريد أن الثَّوَّةَ والسَّكَنَ هما يَنْبِيَانِ مع الجود . وإنما يقدح بهذا الكلام في الْبُخْلِ والإِسْكَ ، وأنَّ زيادةَ المال وبقائه لا يحصلانَ لهما وبهما . وقوله « إلى الجود » إلى بمعنى مع . تقول : هذا إلى ذاك .

وقوله « غَنِيَّ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غَنِيٌّ » ، يريد أن غَنِيَّ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ رَاضِيًا بِمَالِهِ ، غَنِيًّا عَنْ غَيْرِهِ بِمَا يَحْصُلُ فِي يَدِهِ ، تَرَاهُ بِاِكْتِفَائِهِ أَغْنَى لِلْمُوسِرِينَ ، وَقَفِيرُ النَّفْسِ وَإِنْ سَاعَدَهُ الْمَالُ ، وَأَطَاعَهُ الْقَدَرُ يَزْدَادُ عَلَى مَرَّةٍ الْأَيَّامَ وَزِيَادَةَ الْحَالِ ، حَرَصًا وَهَمَّةً وَشَقَاءً .

وقوله « وليس بِنَافِعِ ذَا الْبُخْلِ مَالٌ » ، يريد أن الْبُخْلَ لَا يَنْتَفِعُ بِمَالِهِ ، لِأَنَّهُ يَجْمَعُهُ وَيَتْرُكُهُ لغيره ، وَالسَّخَاءُ لَا يُقْصِرُ بِصَاحِبِهِ ، بَلْ يَرْفَعُ مِنْهُ ، وَيَكْسِبُهُ الْجَدَّ وَالْأَحْدُوثَةَ الْجَمِيلَةَ .

وقوله « وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاءُ » ، جعلَ الدَّاءَ للجنسِ فَنَابِ عن الْجَمْعِ فَقَالَ : بَعْضُهُا يُعْرِفُ شِفَاؤَهُ فَيُطَلَّبُ إِزَالَتُهُ ، وَدَاءُ الْحَقِّقِ لَا شِفَاءَ لَهُ ، وَلَا يُجِيدُ

(١) ل : « فلا » .

لصاحبه عنه . وقوله « شِفاه » قَصَرَ للمدود ، وهذا لاختلاف في جوازه على اللّٰهعِين .

٤٤٥

وقال يزيد بن الحكم ^(١) :

١ - يَا بَدْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضُرُّ بِهَا لَدَى الْأَبِّ الْحَكِيمُ

٢ - دُمُ اللَّخْلِيلِ بُوْدُهُ مَا خَيْرُ وَدَرٍ لَا يَدُومُ

قوله « وَالْأَمْثَالُ يَضُرُّ بِهَا » اعتراض دَخَلَ بَيْنَ قوله « يَا بَدْرُ » ، وبين دُمُ اللَّخْلِيلِ من البيت الثاني ، وَتَبَّ بهذا الاعتراض على أَنَّ وَصِيَّتَهُ وَصِيَّةَ حَكِيمٍ ، وَأَنَّ اللَّيِّبَ الْعَاقِلَ يَأْخُذُ بِهَا وَيَتَأَدَّبُ .

ومعنى قوله « دُمُ اللَّخْلِيلِ بُوْدُهُ » أَي بُوْدُكَ لَهُ ، فَأُضَافَهُ إِلَى الْمَعْمُولِ ، وَالْمَصْدَرِ كَمَا يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ يُضَافُ إِلَى الْمَعْمُولِ . وقوله « مَا خَيْرُ وَدَرٍ » اسْتِفْهَامٌ عَلَى طَرِيقِ الاسْتِثْنَاءِ وَالتَّصْدِيقِ إِلَى النَّقْيِ . والمعنى : أَنَّ الْوِدَادَ إِذَا لَمْ يَصْفُ وَلَمْ يَدُمُ فَلَا خَيْرَ فِيهِ . وقوله « لَا يَدُومُ » صفة لَوَدَرٍ . تلخيصه : أَيُّ شَيْءٍ خَيْرٌ وَدَرٍ خَيْرٍ دَائِمٌ .

(١) التبريزي « ... يظن انه بدرا » . وهو يزيد بن الحكم بن أبي العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . سمى الفرزدق يوماً به وهو ينشد في المجلس شعراً فقال : من هذا الذي ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم . فقال : نعم ، أشهد بالله أن عمي ولدته . ودعاه الحجاج يوماً فولاه كورة فارس ودفع إليه عهده بها ، ثم أنشده بعض شعره فألقاه بفخر أبيه ، فنفس عليه ذلك واسترد المهد منه ، فخرج يزيد مناضباً وخلق بسليمان ابن عبد الملك فبعسه ، فأعجبه ذلك وقال له سليمان : كم كان أجرى لك لمائة فارس ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : فهي لك على ما دمت حياً . الأغاني (١١ : ٩٦ - ١٠١) والحزنة (١ : ١١١) .

- ٣- واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم
 ٤- واعلم بأن الضيف يؤ ما سوف يحمده أو يلوم
 ٥- والناس مبتليان محمود البنية أو ذميم^(١)

يقول : اعرف حق الجوار لجوارك ، فإن الكريم هو الذي يعرف حق مثله . وقوله « والحق يعرفه » الواو واو الحال ، وهو واو الابتداء . ولورويته بالفاء كان أجود ، وللعنى اعرف حق الجار لأن حقه تعرفه الكرام . فإذا رويته بالواو يكون حالاً لقوله حقه ، كأنه قال : اعرف حقه معروفاً للكرام ، وهو معروف للكرام .

وقوله « واعلم بأن الضيف » يقال علمت كذا ، وبكذا . وهذه الوصاة بالضيف قد عليها بقوله « سوف يحمده أو يلوم » . والمعنى : أحسن إليه وتقدمه ، علماً بأن نزوله بك يجل حمداً إن أحسنت إليه ، أو لوماً إن أسأت إليه أو قصرت في حقه .

وقوله « محمود البنية » أتى بالبنية غير مبني على مذكر حصل من قبل ، ثم أدخل تاء التانيث عليه ، فهو كالتثنية اسم الخيل ، والشقاوة والرعاية والنبوة . ولو كان مبنيًا على مذكر لكان « البناء » ، لأن الواو والياء إذا كانا حرفي إعراب بعد ألف زائدة تبدل منهما همزة . على ذلك : الرعاء والكساء والرءاء والباب كله .

ومعنى البيت : أن أفعال عقلاء الناس لا تخلو من أن تكون مما يستحق به حمد أو ذم ، فهم يبتون مبادئهم ، ويؤسسون مكاسبهم على أحد هذين الركنين ، وذلك لأن الأفعال تابعة للأعراض ، وغرض الماقل إليهما ينقسم ،

(١) في ل ضبطت « البنية » بكسر الباء وضمتها مفروقة بكلمة « ما » تحقيق للضبطين .

فانظر ماذا تجلب على نفسك بما تبنيه من فلك ، وتدخره من كتبك .
وارتفع « محمود » على أنه بدل من « مبتنيان » ، أو خبر مبتدأ محذوف ،
كأنه قال : هما محمود البنية أو ذمهم .

٦ - واعلم ببنى فإنه بالعلم ينتفع العليم

٧ - أن الأمور دقيقتها مما يهيج له العظيم^(١)

٨ - والتبذل مثل الدين يتضاءل وقد يلوى الغريم^(٢)

٩ - والبنى يصرع أهله والظلم مرتعة وخيم

قوله « بنى » إن ضمته فهو منادى مفرد ، وإن كسرتة فهو منادى مضاف
وقد حذف ياء الإضافة^(٣) . وإذا كان ياء الإضافة في المنادى يُحذف في نحو يا غلام
لأن الكسرة تدل عليه ، وهو واقع موقع ما يُحذف في هذا الباب وهو التنوين
وباب النداء باب حذف ، لكثرة الاستعمال ، فهو في بنى أولى بالحذف ، لاجتماع
الياء والكسرات في آخرها . وقوله « فإنه بالعلم ينتفع العليم » الهاء ضمير
الأمر والشأن ، والجملة اعتراض بين اعلم ومفعوليّه . والمراد باستعمال العلم ، وذلك
أن من علم طرق الرشا ثم لم يسلكها كان معرفته بها وبالاً عليه .

وقوله « إن الأمور » مفعول واعلم ، ودقيقتها مبتدأ وما بعده خبره ، والجملة
خبر إن . ولك أن تكسر فتقول « إن » على الاستئناف ، ويكون واعلم معلقاً ،

(١) كتبت « أن » بكسرة وقصة لتقرأ بالرواجين .

(٢) تضاه كتبت في ل بالياء والياء مما ، لتقرأ بالرواجين .

(٣) بنى . كنا ضبطت في النسخين والبريزي . وما الوجهان الكثيران في الربية .
لكن الأكثر في الاستعمال للماصر « بنى » بفتح الياء ، وهو استعمال صحيح وردت به قراءة
عاصم في قوله تعالى : « يا بني اركب معنا » وقرأ باقي السبعة بالكسرة اجتزاء بها عن الياء .
أما قراءة عاصم فهي اجتزاء بالفتحة عن الألف ، وأصلها « يا بني » كما في قولهم « يا حسرتا »
« يا غلاما » . الصريح (١٧٧ : ٢) وتفسير أبي حيان (٢٢٦ : ٥) .

والغنى : أن الشرَّ يبدوه أصفره ، كما أن السَّيلَ أوله مطرٌ ضعيف . وهذا الكلامُ بَشَتْ على النَّظَرِ في ابتداءات الأمور وتصوُّر عواقبها .

وقوله « والتَّيْلُ مثلُ الدِّينِ » ، التَّيْلُ : الدَّخْلُ ، ومعنى يُلَوِّى يَمْطُلُ ، ومصدره اللَّوَّى واللَّيَّانُ . وفي الحديث : « لَيْتَ الْوَاحِدِ يُحِلَّ عَقوبته » . وقد روى « يُلَوِّى » و « يُلَوِّى » فإذا رويت يُلَوِّى بالكسر ، فمعناه يذهب بالحق ، يقال : ألوى بالشئ إذا ذهب به ، و « يُلَوِّى » هو بناء ما لم يُسمَّ فاعله ، قَوِّى إذا مَطَّل . والتَّريُّم : اسمٌ لمن له الدِّينُ ، ولِلَّذى عليه الدِّينُ . وأصل التَّريمة الزُّوم ، وليكون كلُّ واحدٍ منهما ملازماً لصاحبه إلى أن ينقضى ما بينهما أُجْرَى الاسمُ عليهما . والغنى : أن الوترَ والدَّخْلَ كالَّذين على الوتر ، فهو بَرَضُ المطالبِ به كالترَّيم ثمَّ ، قد يَقْضَى وقد يَمْطُلُ ، فلا تكتسبه ، لأنَّ العداواتِ وخيمةَ الأواخر ، سيئةٌ للبادئِ .

وقوله « والتَّيْنُ يَصْرَعُ أهله » يقول : وإذا كان لك خَصَمٌ في شئ فلا تستهن به ، ولا تستعمل البنى معه ، فإنَّ من يُغَى عليه بَرَضُ الثَّغْرة ، والباقى بمرض الجَلْفِ والهَلَكَةِ ، ولا تَظْلِمَ فإنَّ الظُّلْمَ ذَمٌّ للرتع ويبله ، وقطيع السَّمْعِ قبيحه . ويقال : ظَلَمْتُ ظُلْماً بفتح الظاء وهو المصدر ، وظُلماً بضم الظاء وهو الاسم .

١٠ - ولقد يَكُونُ لَكَ التَّريُّ بِ أَخَا وَيَقْطَعُكَ الحِمِّ

١١ - وَالرَّاءُ يُكْرِمُ لِلغنى وَهُنَا لِلْمَدَمِ الْمَدِيمُ

١٢ - قد يُفْتَرُ الحَوْلُ التَّقْوى وَيُكْثَرُ الحَقُّ الأَثَمُ

١٣ - يُغْلَى لِذَلِكَ وَيُتَلَى هَذَا فَأَيُّهُمَا الْمَضِيمُ

قوله « ولقد يكون » معناه أن الوفاء قد يكون في الغريب إذا أخبته ،
والخيانة تنفق من الغريب إذا صافيته ، فانظرُ لنفسك إذا اخترت ، ولا تعتمد
الغُربى والغربة ، فإنَّ المُواخاة مبيته على الأصول الزكية ، والنفوس الوقية ،
لا على الأنساب والأسباب .

وقوله « والمرء يُكرَّم » يقول : ادخر المال واسع في جمعه ، وإيتاك
واستعمال التبذير فيه ، فإنَّ اليسير منه مع حُسن التدبير يتصل بقاءه ، وكرامة
للمرء متسببة عن غناه ، كما أنَّ هوانه في قران فقره . وقوله « والمرء ارتفع
بالاتداء ، وخبره يُكرَّم » وقد عُطِف على هذه الجملة جملة مخالفة لها من
الفعل والفاعل ، وهو قوله « ويهان للقدم المديم » ، ولولا ما بين الجملتين من
التقارب لما صلح ذلك . ومثله قول الآخر ^(١) :

• أُمُوفٍ بِأَذْرَاعِ ابْنِ ظَبْيَةٍ أَمْ تَذَمُّ •

وعلى العكس من هذا قولُ الله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾ ، لأنَّ هذا عُطِف فيه للبُتْداء والخبر على الفعل والفاعل .
وقوله « قد يُفْتَرُ الحَوْلُ » ، فالحوْلُ : الكثير الحيلة . وصُحِّحَ بناؤه ولم
يُعلَّ إخراجه على أصله ، وتنبهنا أنَّ ما علَّل من نظائره كان حكمة أن يحى
على هذا . ومما جاء على القياس من نظائره : رَجُلٌ مَالٌ وَصَاتٌ وَمَا أَشَبَّهُمَا .
وكذلك هذا كان يجب أن يقال حالٌ . والمعنى أنَّ الكثير الحيل ، الخراج
الولاج ، وهو سديد في طرائقه ، قد يفتقر فيكون مُفْتَلًا ، وأن الماتق الناقص
في عقله ، المكتسب بجهله ، المرتكب للأوزار بحر صيه ، قد يستغنى هو فيكون

(١) هو راشد بن شهاب البشكري . انظر البيت ١١ من المفضلية ٨٦ .

(٢) ظبية ، كذا وردت في النسخين . وفي المفضليات : « ظبية » . وسدره :

• أُمُوسُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ قَيْسٍ بْنِ خَالِدٍ •

مُكْتَرًا، إِذْ كَانَتْ الْقِسْمُ وَالْحُظُوظُ لَا تَقِفُ عَلَى كَيْسِ الْمَرْءِ وَخُرْقِهِ، وَلَا عَلَى تَقَاهُ وَفِسْقِهِ .

وقوله « يُنْتَلَى لِنَاكَ » أشار بذلك إلى الْحَقِيقِ الْأَثِيمِ، وبهذا إلى الْحَوْلِ التَّقَى . وقد طابق بذلك وهذا^(١) فيقول : أُنْتَلَى لِنَاكَ الْجَاهِلِ وَأُرْجَى لَهُ الْحَبْلُ فَنَال مَا نَال، وَابْتُلَى هَذَا الْحَوْلُ التَّقَى حَتَّى شَقِيَ وَخُرِمَ، فَأَيُّهُمَا لِلظُّلُومِ . والمعنى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قِسْمَةٍ مَنْ عَرَفَ مَصَالِحَ خَلْقِهِ، وَعَلِمَ مَا يَتَأَدَّى إِلَيْهِ هَالٌ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَاخْتَارَ الْأَحْكَمَ فِي التَّدْبِيرِ، وَالْأَصْلَحَ لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ .

١٤ - وَالْمَرْءُ يَبْخُلُ فِي الْحَقُوقِ قِوَالِكَلَالَةٍ مَا يُسِيمُ

١٥ - مَا بَخُلُ مَنْ هُوَ لِلنَّوْ نِ وَرَيْبِهَا غَرَضٌ رَجِيمُ

١٦ - وَيَرَى الْقُرُونُ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَأَهْمَدِ الْهَشِيمِ

يقول : تَرَى الرَّجُلَ يُسَوِّفُ بِمَا يَلْزَمُهُ مِنْ آدَاءِ الْحَقُوقِ، فَيَبْخُلُ بِإِخْرَاجِهِ وَأَدَائِهِ، فَيَمُوتُ عَمَّا يَحْمِلُهُ وَيَبْخُلُ بِهِ، وَيَتْرَكُهُ لِلْكَالَةِ . وَالْكَالَةُ هُمُ الْوَرَاثُ وَقَدْ خَلَوْا مِنَ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ . وَأَصْلُهُ مِنْ تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ، إِذَا أَحَاطَ بِهِ . وَقِيلَ هُوَ مِنَ الْكَالَالِ : الْإِعْيَاءُ؛ كَأَنَّهُ بَعْدَ النَّسَبِ أَكَلَهُ . وَقوله « مَا يُسِيمُ » يَحْوِزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا، كَأَنَّهُ قَالَ : فِإِسَامَتِهِ لِمَالِهِ لِغَيْرِهِ لَا لِنَفْسِهِ . وَيَحْوِزُ أَنْ يَكُونَ مَا بَعْنَى الَّذِي، وَقَدْ حُذِفَ الضَّمِيرُ الْعَائِدُ إِلَيْهِ مِنْ يُسِيمُ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَلِلْوَرَثَةِ مَالُهُ الَّذِي يُسِيمُهُ . وَالْإِسَامَةُ : إِخْرَاجُ الْمَالِ إِلَى الْمَرْتَقَى . وَيُقَالُ : اسْتَمْتُ الْبَعِيرَ قَسَامَ . وَمِنْهُ السَّاعَةُ لِلْمَالِ : الرَّاعِيَةُ .

وقوله « مَا بَخُلُ مَنْ هُوَ » اسْتِفْهَامٌ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ . فيقول : مَا يُفْنِي بَخْلُ مَنْ هُوَ لِلْحَوَادِثِ كَالْفَرَضِ لِلنَّصِوبِ لِلرَّغْمِ، فَإِذَا عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ غَيْرُ

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « طابق هنا وذلك » .

تَحَلَّدَ ، بل هو مقولٌ من دار الفناء إلى دار البقاء ، فلماذا يُمَسِّكُ ولا يُنْفِقُ ،
ويَجْمَعُ ولا يَفْرُقُ . هذا وقد رأى الأممُ الخاليةَ قبلَه ماتوا وفنوا فسادوا رَمِيًا ، كما
يَهْمُدُ النباتُ فيصيرُ بعدَ نضارته دَرَبًا هَشِيًّا ، وهو اليابسُ المتهشمُ الأسودُ
لطولِ القِدَمِ . والنُّونُ يكونُ اسمًا للدهرِ فيذكرُ ، ويرادُ به المنيَّةُ فيؤتُ .
وهو من اللَّيْنِ : القِطْع . فلكَ أن تروى : « وَرَيْبِهِ » « وَرَيْبِهَا » جميعًا . ومعنى
« وَرَيْبِهَا » نزولُها ، قال أبو عبيدة : رابٍ عليه الدهرُ ، أى نَزَلَ . وقد يرادُ
بِرَيْبِ الزَّمانِ أحداثُهُ وصُروفُهُ الرَّابَةِ .

١٧- وَتَخَرَّبَ الدُّنْيَا فَلَا بُوسَ يَدُومُ وَلَا نَعِيمٌ^(١)

١٨- كُلُّ امْرِئٍ سَتَيْتُمُ مِنْهُ الْعِرْسُ أَوْ مِنْهَا يَتِيمٌ

١٩- مَا عَلِمُ ذِي وَلَدٍ أَيْدٍ كَلَّهُ أُمُّ الْوَلَدِ الْيَتِيمُ

يقول : وإذا كانت الدنيا مَبِيَّةً للفناء لا للبقاء ، والغراب لا للعمارة ،
وكذلك أعراضُها مخلوقة للزَّوال لا للدَّوام ، وقُربُ الأمدِ في الاستمتاع بالمعارِ
لا الإِمْلاء ، فلماذا يَفْرَحُ الإنسانُ بما ينال ، ويَجْزَعُ لما يفوت ، وكلُّ بائِدٍ
غير ثابت ، ومُسْتَلَبٌ غير موقر .

وقوله « كُلُّ امْرِئٍ » ، يقول : إنَّ الأليِّفَين فيها لا بدَّ من قِقدان أحدهما
للآخر ، واليملُ يموتُ فتبقى العِرسُ منه أَيْمًا ، لتقدُّمِ موته ، والعِرسُ تموتُ
فيبقى هو منها أَيْمًا لتقدُّمِها . ويقال : رجلٌ أَيْمٌ واسراءُ أَيْمٍ . وقد آتت تليْمُ
أَيْمَةً . وكذلك ذو الولدِ لا يلدى أيموتُ فيَتَيَّمُ الولدُ ، أم يهلكَ الولدُ فيشكُلُ
الوالدُ ، فإنَّ سُكَّانَ الدنيا موعودون لأجلٍ منتظرةً ، مدعوونٌ لأحوالٍ مؤخِّرةً .

(١) « تخرب » ضبعت في ل نظراً بالناء والياء . تخرب مختلف تتخرب ، وتخرب هو
اللبق للمفول من مضارع « خرب تخرباً » .

وقوله « مَا عَلِمَ ذِي وَلَدٍ » استغناءً معناه التَّحْقُّقُ ، والمراد : لَا يَعْلَمُ الْوَالِدُ مَا يَكُونُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ فِي الْإِهْمَالِ وَالِاسْتِحْجَالِ ، أَيْ لَا يَدْرِي أَيْ الْأَمْرَيْنِ يَقَعُ . وَقَدْ عَطَفَ قَوْلَهُ « أُمُّ الْوَلَدِ الْيَتِيمِ » وَهُوَ جُمْلَةٌ مِنْ ابْتِدَاءِ وَخَبَرٍ عَلَى « أَتَشْكَلُهُ » وَهُوَ فِعْلٌ وَفَاعِلٌ . وَجَازَ ذَلِكَ لِمَا قَدَّمْتَهُ ^(١) .

٢٠ - وَالْحَرْبُ صَاحِبُهَا الصَّلَيبُ بُِ عَلَى تَلَاتِلِهَا الْعُزُومُ

٢١ - مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا وَلَدَى الْحَقِيقَةِ لَا يَنْجِمُ

٢٢ - وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَرْبَ لَا يَسْطِيعُهَا الْمَرْحُ السُّوُومُ

٢٣ - وَأَنْخَلِيلُ أَجْوَدَهَا الْمُنَا هِبُ عِنْدَ كِبَتِهَا الْأَزُومُ

الصَّلِيبُ : الثَّالِبُ ذُو الصَّلَابَةِ . وَالتَّلَاتِلُ : الشَّدَائِدُ ، وَيُقَالُ : تَلْتَلَهُ ،

إِذَا حَرَّكَه . يَقُولُ : وَصَاحِبُ الْحَرْبِ هُوَ الصَّبُورُ عَلَى شِدَائِدِهَا ، الْقَوِيُّ الْعَزِيمُ فِي مَصَارِفِهَا ، الْخَاسِي الشُّكَّةَ ^(٢) عَلَى نَوَائِبِهَا ، فَلَا يَمَلُّ عِضَاقَهَا ، وَلَا يَنْجِمُ عِنْدَ حَقَائِقِهَا . وَمَعْنَى يَنْجِمُ : يَجْتَنِبُ .

وقوله « مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا » فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ الصَّلِيبُ . وَالضَّرْسُ : الْعَضُّ ، وَأَصْلُهُ إِصَابَةُ الشَّيْءِ بِضِرْسِهِ .

ثُمَّ قَالَ : وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَرْبَ لَا يَطْطِيقُهَا لِلْوَلُودِ النَّزَقُ ، التَّجَوُّلُ الطَّرِيفُ ^(٣) ، لِأَنَّ مَبَانِيهَا عَلَى الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ ، وَالتَّحْدِيدِ الشَّدِيدِ ، وَالْحَذَرِ الشَّدِيدِ ، وَاسْتِمَالِ الْإِقْدَامِ فِي وَقْتِهِ ، وَالِإِحْجَامِ لَدَى مُوجِبِهِ . وَقَوْلُهُ « لَا يَسْطِيعُهَا » يَرِيدُ لَا يَسْتَطِيعُهَا . وَالْمَاضِي مِنْهُ إِسْطَاعَ يَسْتَطِيعُ بِكَسْرِ الْمَعْرَةِ ، وَأَصْلُهُ اسْتَطَاعَ ، فَخَذَفَ التَّاءَ .

(١) انظر ما سبق في ص ١١٩٤ .

(٢) الشَّكَّةُ : السَّلَاحُ . وَفِي ل : « السَّكَّةُ » .

(٣) الطَّرِيفُ : الَّذِي لَا يَجِبُ عَلَى حَالٍ . وَفِي الْأَصْلِ : « الطَّرِيقُ » سِوَاهُ فِي ل .

وقوله « وانخليل أجودها » يريد : خير الخليل ما ينتهب الأرض انتهاباً في
سعيه . وقال الخليل : المناهبة : للبراءة في الجرمي والحضر . ومعنى « عند كَيْتِها »
أى تحتها . وسئل رجل^(١) كيف طمعت فتيلك ؟ قال : « طمعت في السكبة ،
طمعة في السَّبة^(٢) فأنفذتها من اللبّة » . وكل ما جمعت قد كبتته . ومنه كُبة
الغزل . والأزوم : التضيوض . والأزوم : التقصُّ ، وكُنِيَ به عن الاحتواء قليل :
« نيم الدَّوْلَة الأزوم » ، فكانته أراد بالأزوم هنا الصبر والثبات .

٤٤٦

وقال منقذُ الهلالي^(٣) :

- ١ - أي عَيْشِي عَيْشِي إِذَا كُنْتُ مِنْهُ بَيْنَ حَلٍّ وَبَيْنَ وَشَكٍ رَحِيلٍ
 - ٢ - كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِدُحُولٍ
 - ٣ - مَا أَرَى الْفَضْلَ وَالْتِكْرَمَ إِلَّا كَفَكَ النَّفْسَ عَنْ طِلَابِ الْفُضُولِ
 - ٤ - وَبَلَا حُلِّ الْأَيْدِي وَأَنْ تَش سَمِعَ مَنَّا نُؤَيَّ بِهِ مِنْ مُنِيلٍ
- قوله « أي عيشي » استفهام مبتدأ . وللعنى الإزراء به والذمُّ له . « وإذا »
تعلق بما دلَّ عليه عيشي . وللرَّاد : إذا كنتُ من عَيْشِي بَيْنَ سَفَرٍ مُتَوَاصِلٍ ،
ونزولٍ وارتحالٍ متتابعٍ ، ولا أنالُ دعةً ، ولا أحصلُ خَفَضاً وراحةً ، فكانته
لا عيشَ لي . وقوله :

كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِدُحُولٍ

(١) السائل هو النعمان بن النضر . انظر اللسان (سبب ٤٤٠) والأغانى (١٤ : ٨٧) .

(٢) السبة : الاست . وقيل لأبي حاتم : كيف طمعت في السبة وهو فارس ؟ فضعك
وقال : انهزم فاتبته ، فلما رجع أكب ليأخذ بمعرفة فرسه فطمعت في سبته .

(٣) سبقَت ترجمته في المحاسنة ٣٦٩ من ١٠٥٢ .

قد سَلَكَ مثلَ هذا المسلكِ أبو تمام في قوله :

كَأَنَّ بِهِ ضِغْفًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الْأَرْضِ أَوْشُقًا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
وَالْمَعْنَى : أَنِّي لَا أَقْتَصِرُ عَلَى قَصْدِ مُتَوَسِّى ، وَرَمَيْ نَفْسِي فِي جَانِبٍ مِنْ
الْأَرْضِ مُرْتَمًى ، وَلَكِنِّي أَتَنَقَّلُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَقَافِهَا ، وَأَضْرِبُ فِي
أَعْرَاضِ الْبَسِيطَةِ وَأَعْمَاقِهَا ، كَأَنِّي أَطْلُبُ بَعْضَ أَهْلِهَا بِتَرَةٍ ، فَهُوَ فِي الْمَرْبِ وَأَنَا
فِي الطَّلَبِ .

وقوله « مَا أَرَى الْفَضْلَ » يَنْبَغِي بِهِ عَلَى أَنْ سَعِيهِ فِي إِصْلَاحِ عَيْشِهِ ، وَتَرْكِ
مَا لَا يَنْبَغِيهِ مِنْ شَأْنِهِ ، فَقَالَ : لَيْسَ الْفَضْلُ وَالْعَفَافُ ، وَحَبْسُ النَّفْسِ فِيهَا يَبْنِيكَ
وَبَيْنَ النَّاسِ عَلَى التَّكْرُمِ وَالْكَفَافِ ، إِلَّا إِذَا زَمَمْتَ نَفْسَكَ عَمَّا يَتَجَاوَزُهُ
الْحَالُ^(١) ، وَوَقَفْتَ عِنْدَ مَا يُمَكِّنُ الْإِكْتِفَاءَ بِهِ مِنَ اللَّعَاشِ . فَمِنْ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ
تَحْمُلُ النَّعَمِ عَنِ الْمُفْضِلِينَ ، وَسَمْعُكَ امْتِنَانِ الْمُتَنِيلِينَ . وَهَذَا دَأْبِي فِيَا التَّزِمُ مِنْ
التَّجَبُّعِ ، وَأَحِلُّ عَلَيْهِ نَفْسِي مِنَ التَّجَوُّالِ فِي الْبِلَادِ وَالنَّقَلِ . وَارْتَفَعَ « بَلَاءُ »
عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ مُقَدِّمٌ ، وَلِلْمُبْتَدَأِ حَلُّ الْأَيَادِي . وَقَوْلُهُ « تَوَلَّى بِهِ » مِنْ صِفَةِ اللَّيْنِ .

٤٤٧

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي شَحَّاذٍ^(٢) :

- ١ - إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الْغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجِدْ بِفَضْلِ الْغِنَى أَلْفَيْتَ مَالَكَ حَامِدُ
- ٢ - إِذَا أَنْتَ لَمْ تَقْرُكْ بِجَنَابِكَ بَعْضَ مَا يَرِيبُ مِنَ الْأَدْنَى رَمَاكَ الْأَبْعَدُ

(١) رَمَ الْمَالَ : إِصْلَاحُهَا . وَفِي الْأَسْلِ : « مَرَّ الْحَالُ » وَأَثْبَتْنَا مَا فِي ل .

(٢) الْبَرَبَرِيُّ : « مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي شَحَّاذٍ النَّصَبِيُّ » . أَبُو الْفَتْحِ : شَحَّاذٌ عَلِمَ غَيْرَ مَنْقُولٍ .
قَالَ : وَأَجِيزٌ مَعَ هَذَا أَنْ يَكُونَ فِي الْأَسْلِ مَصْدَرُ شَاخِذَنِي يَشَاحِذُنِي شَحَّاذُ ، إِذَا رَأَاكَ
وَضَامَاكَ فِي شَحْدِ السِّيفِ وَنَحْوِهِ . وَفِي الْقَامُوسِ : « وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي شَحَّاذٍ كَكِتَابِ شَامِرِ بْنِ » .

قوله « إذا أنت » جوابه أُنيت ، وهو الفعل الواقع فيه ، لأن إذا يتضمنه للجزاء يطلب جواباً ويكون ظرفاً له ، فيقول : إذا نلت اليسار والنسي ، ومُكِنْتَ من أطلاع الدنيا فلكتها ، ثم لم تتسَخَّ بما يفضل من وُجْدِكَ ، وُجِدْتَ لا يُنْثِي عليك حامد ، ولا يحفظ غيبك ذائد ، وفي التناء الباقي على الدهر خلف من نكاد العمر ، فإن لم تكتسبه بما تناله لحقك الذم ممن الحافظهم سيهام ، وألفاظهم سيام .

وقوله « إذا أنت لم تترك » جوابه رماك الأبعاد . وكما بحث في البيت الأول على الإفضال وذم الإمساك مع القدرة ، بحث في هذا البيت على مُصَابَرَةِ العشرة واستبقائهم ، وترك مؤاخذتهم بما يتفق من هفواتهم ، وتدقيق محاسبتهم على بدواتهم وزلاتهم . فقال : لا يؤمنك إقبال الدنيا عليك إذ بارها عنك ، ولا دولة لك من إدالة منك . واعلم أنك إذا لم تَفِّ عما يرريك من أدانيك ، ولم تحتهله في عفوك وحملك ، اجترأ عليك الأبعاد فزموك بما لا صبر لك عليه من أذاهم ومكروههم . ويقال : عركت كذا بجنني ، أي احتملته وجعلته مقي بظهور . والترك والدلك بمعنى واحد . وقال : « بعض ما يريب من الأدنى » ، إشارة إلى ما يكون فيه على الحلم تحيل ، لأنه ليس بكل ما يريب يُبدد التجاني عنه حسناً .

٣- إذا الحلم لم ينلب لك الجهل لم تزل عليك برؤوق جمة وروايد
٤- إذا التزم لم يفزع لك الشك لم تزل جنيباً كما استتلى الجنيبة فائد

قوله « إذا الحلم » جوابه لم تزل ، فيقول : تحلم في كثير مما يعرفك ويظهر لك ، وانظر أن تكون لك الغلبة على جهلك ، والتلك لاحتدادك وصوتك ، فإلك إن لم تستعمل الأناة في مقارضاتك ، وتسرعَت إلى المكافاة على ما يظهر لك ، ولم تضن بمن بلوته فحرفت مذاهبه ، وخبرت خلايقه ، وصار

مستعداً رأيك ومشتكى حزنك لم تنفع غيره ، واجتمعت عليك البروق والرواعد بمن تعدد لك وعليك . وهذا مثل لأنواع الأذى والمكروه ، والتوعد بضروب القول ، وفنون الفعل .

وقوله « إذا العزم لم يفرج » جوابه لم تزل جنياً . والمعنى : انظر لنفسك فيما تُشرف عليه طالباً للحرز ثم اعزم ، ودع التشكك والتلوم فيما يُريك رأيك ، وإلا بقيت تابعا لغيرك ، متوقفاً فيما يمشك ، كما يستتبع قائد الخيل مجنوباً له . وهذا بمنى على اتحام الأمور ، واستعمال الاستبداد فيها بمد النظر والتحزم في الظاهر ، وترك التمرج^(١) على قول مانع ، أودفع مزاحم ، أو مذكر بمابقة . كما ومضى في البيت الذي قبله بالرفق في الأمور التي تكسب العداوات ، واستعمال الصبر فيما يجلب الصفات ويهيج الثرات .

٥ — وَقَلَّ غِنَاكَ عَنْكَ مَالٌ جَمَعْتُهُ إِذَا كَانَ مِيراثًا وَوَارَاكَ لِاحِدٌ^(٢)

٦ — تَجَلَّتْ حَارًّا لَا يَزَالُ يُشْبَهُ سِبَابُ الرِّجَالِ نَهْرُهُمُ وَالْقَصَائِدُ^(٣)

المراد بذكر القلة هاهنا النفي ، لا إثبات شيء قليل . وانتصب « غنا » على الحال ، أى مُغْنِيًا عَنْكَ . فيقول : لا يُغْنِي عَنْكَ مَالٌ تَجْمَعُهُ إِذَا ذَهَبَتْ عَنْهُ وتركته لورثتك ، فإن ما تملكه هو ماتنفعه أيام حياتك ، وتصرفه فيما يدخر لك أجراً ، أو يكسب لك خدناً ، فأما إذا سترك من يُلحِدُ قهرك ، فما تتركه لغيرك لا حظ لك فيه ، ولا نصيب ، بل تكتسى عاراً منه لا يزال يُوقدُ ناره [ويرفعُ في المحافل ذِكْرَهُ سِبَابُ الرِّجَالِ ، من الشَّرارة^(٤)] ، ومن النظم

(١) ل : « الصريج » .

(٢) التبريزي : « إذا صار ميراثاً » .

(٣) انظر الكلام على هذا البيت في الآتي ٤٢٩ .

(٤) هذه الكلمة من له .

أخرى ، لأنَّ الباخلَ مذمومٌ بكلِّ لسانٍ حيًّا وميتًا ، وفي كلِّ زمانٍ موجودًا ومفتوقًا ، ثم تراه كالجاني على كلِّ مَنْ يعرفه ، فهم يذمُّونه بظَهْرِ الغيب ، ويقدِّعونه في الحُضور ، فلا يزال مسبوكًا ، ما كَوَّلَ اللّٰهَ مدحورًا .

٤٤٨

وقال^(١) :

١ - وَيُلِمُّ لَذَاتِ الشَّبَابِ مِمِّيشَةً مَعَ الْكَثْرِ يُعْطَاهُ الْفَتَى التَّلِيفُ النَّدَى
٢ - وَقَدْ يَمِثُّ الْقُلُ الْفَتَى دُونَ هَمِّهِ وَقَدْ كَانَ لَوْلَا الْقُلُ طَّلَاعُ أَنْجَدِ

لفظة « وَيَلِ » إذا أُضيفت بنير اللام فالوجه فيها التَّصَبُّب ، تقول : وَيَلِ زيد ، والمعنى أَلَزَمَ الله زيدا وَيَلَا ، فإذا أُضيفت باللام فقليل : وَيَلِ زيد ، حكاه أن يُرْفَعَ فيصير مع ما بعده جملةً ، ابتدئ بها وهي نكرة لأنَّ معنى الدعاء منه مفهوم . والمعنى : الويل ثابت لزيد . كأنه عدّه مُحَصَّلًا له ، كما يقال : رَسِمَ الله زيدا ۱ فيجعل اللفظُ خيرًا . وإذا كان حُكْمُ وَيَلِ هذا وقد ارتفع في قوله « وَيُلِمُّ لَذَاتِ الشَّبَابِ » فن الظاهر أن أصله وَيَلِ لَأَم لَذَاتِ الشَّبَابِ ، فحذف من أمِّ الهمزة ، واللام من وَيَلِ ، وقد أتى حركة الهمزة على اللام الجارة ، فصار وَيَلِمُّ . وقيل : وَيَلِمُّ ، كما قيل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ إنباعاً لإحدى الحركتين الأخرى . وقصده إلى مدح الشَّبَابِ وتحميد لذاته بينَ لَذَاتِ التَّمَنُّاشِ

(١) يفهم منه أن البيهقي لمحمد بن أبي شحاذ . لكن قال التبريزي : « وقال آخر » . وفي الخزانة (١ : ٥٦٣) : « ونسبهما لأعلم الشنمري في حاسته لمجد بن سجار الضبي » . وما هو جدير بالذكر أن محمد بن أبي شحاذ يقال له « جيد » أيضا . وكلمة « سجار » محرقة من شحاذ . انظر حواشي الآتي ٢٩٩ . ونسبهما للبندقي أيضا إلى علقمة النحل . وما في ديوانه ١٣٥ . ونسباً إلى اللسان (قل) إلى خالد بن علقمة الباري ، وفي (نجد) إلى حميد بن أبي شحاذ الضبي .

وقد طاع لصاحبه الكثر ، وهو كثرة المال ، فاجتمع الفنى والشباب له وهو
سَخِيٌّ مَبْدَرٌ فيما يكسبه ذِكْرًا جيلًا ، وصيتًا عاليًا . ثم قال : وقد ينجس قِلَّةُ
المال صاحبه دون ما يهتم له أو يهتم به . وقد كان لولا إضاقتُهُ وقِلَّةُ ذاتِ يده
طَلَابًا لَلتَرَقَّى في درجات الفضل والإفضال ، طَلَاعًا على عَوَالِي الرُّتَبِ في
النِّهَايَاتِ . وانتصب « معيشة » على التمييز .

٤٤٩

وقالت حُرْقَةُ بنت النعمان^(١) :

- ١ — بَيْنَنَا نَسُوسُ النَّاسِ وَالْأُمُورُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ مِنْهُمْ سُوقَةٌ نَنْتَصِفُ^(٢)
٢ — فَأَفَّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ تَعِيمُهَا تَقَلُّبُ نَارَاتِ يَسَا وَتَصَرَّفُ
بيننا : كلمةٌ تَشْتَمِلُ في المَفَاجِآتِ ، وهي من ظُرُوفِ الزَّمَانِ . وقد يقال
بيننا ، كأنهم أرادوا أن يَصِلُوهُ بَدَلًا مِمَّا كَانَ يُضَافُ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ بِنَا أَوْ بِالْأَلْفِ ،
والمراد : بَيْنَ الْأَزْمَنَةِ الَّتِي تَجْرِي عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَسُوسُ النَّاسِ وَنُدَبِّرُ أُمُورَهُمْ بِمَا
نُرِيدُ ، وَطَاعَتُنَا وَاجِبَةٌ ، وَأَحْكَامُنَا نَافِذَةٌ ، إِذَا الْأُمُورُ انْقَلَبَتْ فَانْصَحَتْ الْأَحْوَالُ ،
وَتَسَلَّطَتْ الْأَبْدَالُ ، وَصَرْنَا سُوقَةً نَخْدُمُ النَّاسَ . وَالتَّصَافُ فِي الْقَمَّةِ : الْخِلَافُ .
وَالشُّوقَةُ : مَنْ دُونَ ذَلِكَ . وَمَعْنَى « وَالْأُمُورُ أَمْرُنَا » ، أَيْ لَا يَدُورُ فَوْقَ أَيْدِينَا .

(١) هي حرقة بنت النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن
ربيعة بن الحارث بن مالك بن عهم بن ثمارة بن لحم . المؤلف ١٠٣ . التبريزي : « وحرقة
هذه وأخوها حُرْقُ ابْنَا النعمان ، وفيها يقول الشاعر :

تَسْمُ بِاللهِ تَسْلِمُ الْخَلْقَ وَلَا حَرِيقًا وَأَخْتَهُ حَرِقَةً »

ومثله في اللسان لكن جعل اسم أخيها « حريق » كما في نس الشعر . ونبه الصبغري
على أن الشاعر فتح راء « حرقة » لضرورة الشعر .

(٢) كذا في النسخين . وفي التبريزي ولؤلؤة والسان (نصف) : « إذا

نحن فيهم » .

والعامل في بينا ما دلّ عليه قولها « إذا نحنُ منهم سُوقَة » . وإذا هذه ظرفُ مكان ، وهي المفاجأة ، وقد تقدّم القولُ فيه .

وقوله « فافٍ » فيه لغات عدّة ، يفتح ويكسر ويضم ، وينون في كل ذلك ويُترك التنوينُ فيه . وهو اسمٌ من أسماء الفعل ، وأسماء الفعل أكثر ما تقع في الأسماء والنهى ، وفي باب الخبر تقع قليلا ، فنها أفٍ هذه ، وواها ، وهيهات وأحرفٌ آخر . ومعنى أفٍ التّحقير . كأنه قال : حقارةٌ لِدُنْيَا نعيمها يزول ، وحالها لا يدوم ، بل تَقَلُّبُ بأهلها وتتحول ، وتتصرفُ بطلّابها وتتبدّل . فن فتح أفٍ فلحقّة الفتحة ، ومن كسر فلا لبقاء الساكنين لأنّ الكسر فيه أولى ، ومن ضمّ فلا لاتباع الضمة الضمة . والتنوين فيه أمانة للتّكثير ، وترك التنوين أمانة للتريف .

٤٥٠

وقال الحكم بن عبدل^(١) :

- ١- أطلبُ ما يطلبُ الكريمُ من الرزّ قِ بنفسى وأجلُ الطلبِ
- ٢- وأحلبُ الثّرة الصّبيّ ولا أجهدُ أخلافَ غُبرها حلباً^(٢)

(١) هو الحكم بن عبدل بن جبلة الأسدي ، ينسب إليه إلى أسد بن خزيمة ، وكان مجاهد خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية ، ومثله ومنشؤه السكوفة . وكان أخرج لا تخافه النسا ، فترك الوقوف بأبواب اللوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويمت بها مع رساله فلا يحبس له رسول ، ولا تؤخر له حاجة ، وفي ذلك يقول يحيى بن نوفل :

عصا حكم في الدار أوله داخل ونحن على الأبواب قصص ونحجب
وكانت عصا موسى لفرعون آية وهذى لمرأته آدمي وأعجب
تطاع فلا تصي ويخدر سخطها ويرغب في الرضا منها ويرغب

الأفاني (٢ : ١٤٤ — ١٥٣) والمؤتلف ١٦٦ .

(٢) التبريزي : « أخلاف غيرها » ، ثم قال : « وروى : الصغوف والصفوف : التي يصف لها إناء ان تملأها . ومن روى الصقي فمتاه الغزيرة . وبعض الناس ينشد : =

يَقُولُ : مَطَالِبِي مِنَ الدُّنْيَا وَمَرَاغِبِي عَلَى حَذَرٍ مِنْ اسْتِحْمالِ الْكَرَمِ وَالتَّعَفُّفِ ،
لَا يَزِرُنِي بِي نَظَرُ النَّاطِلِ إِلَيَّ ، لِأَنِّي إِذَا طَلَبْتُ أَجَلْتُ ، وَإِذَا سُدَّتْ مَعَاقِرِي
ا كَتَبْتِ (١) ، نَمَّ لَا أَعُولُ فَيَا أَزَاوِلَهُ إِلَّا عَلَى نَفْسِي ، مُتَبِّهَا سَتَى غَيْرِي ،
وَكُلُّ ذَلِكَ أَبْقَى عَلَى مِرَاعَاةِ التَّعَفُّفِ وَالْكَفَافِ .

وقوله : « وَأَحْلَبُ الثَّرَّةَ الصَّقَى » يقول : أَعْلَقْتُ طَمَعِي بِمَنْ إِذَا اسْتُدِرَّ حَلَبُهُ
كَانَ غَيْرِي ، لِأَنِّي لَا أَصِفُ لِلطَّامِعِ الدُّنْيَةَ ، وَلَا أَضَعُ نَفْسِي فِي اللُّوْضِ الْخَمِيسَةِ .
وَالثَّرَّةُ : الْفَزِيرَةُ . وَيُقَالُ : عَيْنٌ ثَرَاءٌ (٢) ، إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً لِلْمَاءِ . وَالصَّقَى :
الْجَمَاعُ بَيْنَ مَحَلَّتَيْنِ فِي حَلَبَةٍ . وَقَوْلُهُ « وَلَا أَجْهَدُ أَخْلَافَ غَيْرِهَا حَلِبًا » انْتَصَبَ
الْحَلَبُ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَلِلنَّصِ : أَنِّي لَا أَطْلُبُ الزَّهِيدَ الْحَقِيرَ
الْقَدْرَ ، وَلَا اسْتَدِرُّ الْبَكِي الْقَلِيلَ الدَّرَّ . وَالْحَلَبُ قَدْ يَرَادُ بِهِ الْمَصْدَرُ ، وَقَدْ
يَرَادُ بِهِ الْحُلُوبُ .

- ٣ — إِنْ رَأَيْتُ الْفَقِيَّ الْكَرِيمَ إِذَا رَغَبْتَهُ فِي صَنِيعَةٍ رَغِبًا
٤ — وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْعَلَاءَ وَلَا يُعْطِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهَبًا
٥ — مِثْلُ الْحِمَارِ الْمُوقَعِ السَّوْءَ لَا يُحْسِنُ مَشْيًا إِلَّا إِذَا ضُرِبًا
قَوْلُهُ « إِنْ رَأَيْتُ الْفَقِيَّ الْكَرِيمَ » يَقُولُ : إِنْ مِنْ تَكْرُمٍ عَرَفْتُهُ وَتَزَكُو
أَصُولُهُ ، إِذَا دَعَوْتَهُ إِلَى اصْطِنَاعِ صَنِيعَةٍ ، وَهَزَزْتَهُ لَابْتِنَاءِ مَكْرُمَةٍ ، أَجَابَكَ

== أَخْلَافَ غَيْرِهَا ، فَيُجِبُ إِلَى النَّصْرِ الَّذِي هُوَ بَغِيَّةُ الْبَيْنِ . وَقَدْ يَجُوزُ مِثْلُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ الْكَلَامُ
يَكُونُ كَالْمَقْلُوبِ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ : وَلَا أَجْهَدُ غَيْرَ أَخْلَافِهَا . وَمَنْ رَوَى : أَخْلَافَ غَيْرِهَا فَرَوَاهُ
أَحْسَنَ . يَرِيدُ أَنَّهُ لَا يَحِبُّ إِلَّا الثَّرَّةَ ، كَأَنَّهُ يَصِفُ نَفْسَهُ بِطَلَبِ الرِّزْقِ فِي مَقَاتِلِهِ ، وَرَغْبَتِهِ إِلَى
الْكَرَمِ ، وَإِمَامَتِهِ مِنَ النَّاسِ .

(١) الْمَقَارِرُ : وَجْهُ الْفَقْرِ ، لَا وَاحِدَ لَهَا . وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعٌ مُنْقَرٍ . وَأُنْشِدَ :

لَمَّا لَرَاهُ يَسْلُمُهُ فَيُخْفِي مَقَارِفَهُ أَغْفَ مِنَ الْقَتْرِ

(٢) كَذَا وَهَمَتْ فِي النَّسَخَتَيْنِ بِدُونِ التَّاءِ [. وَفِي الْإِسْنَانِ وَالْقَامُوسِ : « ثَرَاءَةٌ »

و « ثَرَاءَةٌ » .

حريصاً على استغنائه . وترى الدني الخسيس الهمة والنفس لا يطلب ارتفاعاً ولا يكسب ذخيراً ، ولا يسبح بشيء إلا عن رهبة ، يقل من لا يقنى في مصارفه حداً ، ولا يقبني ليومه وعده خيلاً ، فهو كالجار السوء ، الذي يظهر آثار دبر وقد ذل في العمل ، لا يجيب إلا إذا استعجبت حتى يضرب ، بلادة منه وكسلا . وقوله « لا يحسن » موضعه من الإعراب نصب على الحال . وارتفع « مثل » على أنه خبر مبتدأ مضمرة .

وقوله « مثل الجار للوقع » يجوز أن يراد منه الذي في ظهره أثر الإكاف أو الدبر ، ويجوز أن يراد به اللذل ، كما يقال : طريق موقع . ويجوز أن يكون من وقعت الحديد ، إذا ضربتها باليقعة ، كأنه لبلادته يضرب كثيراً .

٦ - ولم أجذ عروة الخلاق إلا الدين لما اعتبرت والحسبنا
٧ - قد يرزق الخافض للقيم وما شد بنفسه رَحلاً ولا فتبنا
٨ - ويترم للآل ذو اللطية والرحل ومن لا يزال مفترياً
قوله « لم أجذ » يريد أن مسك الخلاق الشريفة ، ووثائق عراها ، إنما هي إذا اعتبره المعير في الدين وعمارته ، وفي الشرف وتحصيله . كأنه جعل طلب الحسب للدنيا وأسبابها والاعتلاء فيها ، وجعل الدين للآخرة وتقديم ما يفوز به من رضا الله عز وجل ، والثواب الجسم .

وقوله « قد يرزق الخافض للقيم » سلك فيه مسلك الآخر^(١) في قوله :
ماذا يكلفك الروحات والهلجا البر طورا وطورا تركب اللججا
اليعتين ، وقد تقدما .

والخافض : الوادع الذي لم يحدث نفسه بتجوال وارتحال . فيقول : قد

(١) هو محمد بن بشير . الحاشية ٤٣٦ من ١١٧٣ .

ينالُ الرِّزْقَ الواسِعَ مَنْ لَا يُؤْثِرُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي وَطَنِهِ شَيْئًا ، وَقَدْ تَرَى قَاطِعَ الشُّقَّةِ الْبَعِيدَةِ ، وَصَاحِبَ الرَّحْلِ وَالطَّيْئَةِ ، الصَّابِرَ عَلَى الْغُرْبَةِ ، مُحْرِمًا مُضِيقًا الْعَيْشَ ، مَكْدُودَ الْمُرِّ . وَالرَّحْلُ : مَرْكَبُ الْبَعِيرِ ، وَالرَّحَالَةُ نَحْوُهُ ، وَهُوَ السَّرِجُ أَيْضًا . وَالْقَتَبُ : إِكَافُ الْجَمَلِ ، كَذَا ذَكَرَهُ الْخَلِيلُ . وَقَوْلُهُ « ذُو الطَّيْئَةِ وَالرَّحْلُ » ، الرَّحْلُ : مُصَدَّرُ رَحَلْتُ الْبَعِيرَ ، إِذَا شَدَدْتَ عَلَيْهِ الرَّحْلَ .

٤٥١

وقال آخر :

- ١ - يَا أَيُّهَا الْعَامُّ الَّذِي قَدْ رَأَيْتَنِي أَنْتَ الْفِدَاءُ لِلْكَفْرِ عَامٍ أَوَّلًا
 - ٢ - أَنْتَ الْفِدَاءُ لِدِكْرِ عَامٍ لَمْ يَكُنْ نَحْسًا وَلَا بَيْنَ الْأَحْبَةِ زَيْلًا
- يفضِّلُ أَيَّامَهُ لِلْمَاضِيَةِ عَلَى أَيَّامِهِ الْحَاضِرَةِ ، فَقَالَ كَالْمُخَاطَبِ لَهَا : أَيُّهَا الْعَامُّ الَّذِي قَدْ أَتَى بِمَا يَرِيئَنِي ، جَعَلْتَ اللَّهُ فِدَاءَ لِعَامٍ أَوَّلٍ مِنْ عَامِي ، تَقْضَى بِمَا سَرَّعَنِي . وَقَوْلُهُ « عَامٍ أَوَّلًا » مِمَّا أُلِفَ فِيهِ كَثْرَةُ الْاسْتِعْمَالِ ، فَوُصِفَ بِصِفَةٍ لَمْ تُوصَفْ بِهِ نَظَائِرُهُ ، اعْتِدَادًا عَلَى التَّعَارُفِ . وَلِلرَّادِ بِهَذَا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَهْرٌ أَوَّلٌ وَلَا حَوْلٌ أَوَّلٌ ، وَلَا سَنَةٌ أَوَّلَى ، وَإِنَّمَا خُصَّ هُوَ بِبُذْنِ كَثْرَةِ الْاسْتِعْمَالِ ، وَلِأَنَّ دَلَالََةَ الْحَالِ وَتَمَازُفَ الْمُتَكَلِّمِينَ بِهِ سَوَّغَ الْخُذْفَ وَالْإِجْرَاءَ عَلَى مَا أُلِفَ فِيهِ .
- وقوله « أَنْتَ الْفِدَاءُ » يَرِيدُ تَكْرِيرَ الدُّعَاءِ عَلَى التَّضَجُّرِ بِمُحَاضِرَةِ وَقْتِهِ وَعَامِهِ ، وَالتَّوْبَةِ عَلَى مَا رَأَى مِنْهُ . فَيَقُولُ : جَعَلْتَ اللَّهُ فِدَاءَ لِدِكْرِ عَامٍ لَمْ يَمُتْ بِمَنْحَسَةٍ ، وَلَا حَكَمَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ بِفُرْقَةٍ . وَإِنَّمَا قَالَ « لِدِكْرِ عَامٍ » لِأَنَّ الْعَامَ وَقَدْ تَقَضَّى لَا يَصِحُّ فِيهِ التَّجْدِيدُ . وَالنَّحْسُ : ضِدُّ السَّعْدِ ، وَقَدْ وَصِفَ بِهِ الْعُبْرَةُ وَالْأَمْرُ الْمَفْلَمُ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ﴾ . وَيُقَالُ : رَجُلٌ مُنَحَّسٌ أَيْ مُحْزَنٌ .

٤٥٢

وقال الفرزدق^(١) :

١ - إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ حَوَادِثُهُ أَنَاخَ بآخرينا

٢ - فقلْ للشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سِيلَقِ الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

يقول : إذا صُروف الدهرِ أناختْ على قومٍ بإزالةِ نعمهم ، وتكديرِ عيشهم ، فخرَّت عليهم أذيالُ الشرِّ والتَّغيير ، ودرستْ آثارهم وحتَّ دِوَلُهُم^(٢) ، تراها تنقل إلى آخرين ، لأنها كما تهبُّ ترتجع ، وكما تُولى تسلب .

ثم قال : قل لمن شمت بنا فيما رأى من أثرِ الزَّمانِ فينا : اتقوا من رقدتكم واضمحوا من شمتتكم ، فسئلون كما لقينا ، وتُمَتِّحون كما امْتَحِنَا ؛ لأنَّ حَيَاتِنَا وجميع ما في أيدينا عَوَارٍ ، والقواري تُسَرَّدُ وإن طالت للمهلة .

(١) انظر ما سبق في الحاشية ٢٢٦ من ١٧٦ .

(٢) الدول ، كذا وردت في النسخين بكسر ففتح ، وهي و « الدول » بضم فتح : جمع الدولة .

٤٥٣

وقال السلطان المبدى^(١) :

- ١- أشاب الصغير وأفنى الكبير كره الليالي ومر العشي^(٢)
 - ٢- إذا ليلة هرمت يومها أتى بعد ذلك يوم فتي
 - ٣- نروح وتمدو لحاجتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
- ذكر في هذه الأبيات ما تدور عليه دوائر الأيام ، وصروف الأزمان ،
وأنها لا تقف عند غاية ، ولا تعرف فيما تجري فيه مقرر نهاية ، وأن من عاداتها
تغيير الأمور ، وفي تقضيها وقضاياها تحويل الأحوال ، قال : إن كُرور الأيام ،
ومرور الليالي والأوقات ، تراها تجعل الصغير كبيراً ، والكبير حقيراً ، وتجعل
الطفل شاباً ، والشيوخ فانياً ، فكلما خلقت جِدة يوم جاء بعدها يوم آخر
فتي جديد ، ونحن فيها ندأب في حاجتنا ، فلا نحن نمل ، ولا حاجتنا تنقضي
أو تنزل ، ولا الوقت بنا يقف ، ولا واحد منا ينتظر أو يتوقف ، إذ كان ذو العيش
ماربّه متصلة ، كما أن أوقاته دائرة متتامة .

(١) كذا ورد في نسخ الحماسة . وفي الحيوان (٣ : ٤٧٧) : « وقال السلطان
السعدي ، وهو غير السلطان العبدى » ، ثم أنشد الأبيات . لكن ذكر الرزائي في معجمه
٢٢٩ « السلطان المبدى » ، ثم قال : « وله القصيدة التي يوصي فيها ابنه ، وهي طويلة حسنة
كثيرة الأشكال » . وأنشد الأبيات . والسلطان لقب لعدة شعراء أحدهم السلطان الفهمي . قال
الأمدي في المؤلف ١٤٥ : « لست أعرفه في شعرائهم ، وأظنه متأخراً » . وعائدهم السلطان المبدى
أحمد بن عارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أنص بن عبد القيس ، وهو الذي قصي
بين جرير والفرزدق في قصة مشهورة ، واسمه ثم بن خيبة . قال الأمدي : « شاعر مشهور
خيبة » . والثالث السلطان الضبي ، قال الأمدي : « لست أعرفه في شعراء بني ضبة ، وأظنه
متأخراً » . والراجح « السلطان السعدي » الذي ذكره الجاحظ في الحيوان . انظر أيضاً الخزانة
(١ : ٣٠٨) والشعراء ٤٧٥ - ٤٧٩ واللائق ٧٦٦ .

(٢) وكذا وردت الرواية في الشعراء . وفي سائر المراجع والتبريزي : « كره الضمادة » .

ومعنى هرمت يومها : ضمقته مُسَلِّماً لِزَوَالِ . ويقال : هو ابن هرمة أبيه ، كما يقال : هو ابن عَجْزة أبيه ، لِأَخِيرِ الأولاد ، كَأَنَّهُ مِنَ الْهَرَمِ . وَالْهَرَمُ مِنَ الْخَشَبِ : مَا لَا دُخَانَ لَهُ ، لِمَتْنِهِ وَذَهَابِ قُوَّتِهِ . وَالْفَتَى مُصْدَرُهُ الْفَتَاهُ ، وَضَدَهُ الذَّكَى . وَيُقَالُ : فَتَاهُ فُلَانٌ كَذَّكَاءُ فُلَانٍ وَكَتَبَذَ كَيْتُ فُلَانٍ .

٤ — تَمَوْتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَيَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ^(١)

٥ — إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى أَرُونِي السَّرِيَّ أَرَوْكَ الْغَنِيَّ^(٢)

يقول : تَمَوْتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ . يَرِيدُ أَنَّ الْمَرْءَ مَا دَامَ حَيًّا فَأَرَبُهُ وَشَهَوَاتُهُ تَتَجَدَّدُ تَجَدُّدَ^(٣) الْأَوْقَاتِ ، وَأَمَانِيهِ تَتَّصِلُ مَا اتَّصَلَ عَمْرُهُ ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُ وَتَنَاهَى أَمَلُهُ ، انْتَهَتْ مَآرَبُهُ ، وَوَقَفَتْ مَطَالِبُهُ .

وقوله « إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى » يَرِيدُ : وَإِنْ سَأَلْتَ كُلَّ مَنْ تَقَعُ عَيْنُكَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُمَيَّزِينَ ، عَنْ سِرِّهِ الرَّجَالِ وَكِرَامِهِمْ ، أَحَالُوا عَلَى الْمُتَرَيْنِ وَإِنْ ضَمَقْتَ رَغْبَاتِهِمْ فِي اكْتِسَابِ الْخَيْرِ ، وَاسْتِجْلَابِ الْحَيْدِ . وَالسَّرُّوْ : سَخْلًا فِي مَرْوَةٍ . وَيُقَالُ : سَرَّوْ الرَّجُلَ يَسَرُّوْ ، وَهُوَ سَرِيٌّ مِنْ قَوْمِ سَرَّاءَ . وَكَأَنَّ هَذَا سَلَكُ سَلَكِ الْآخِرِ^(٤) حِينَ قَالَ :

وَأَنَّ قَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيُنْثِي عَلَيْهِ الْخُدَّ وَهُوَ مُذَمَّمٌ

٦ — أَلَمْ تَرَ لِقَمَّانَ أَوْصَى بَنِيهِ وَأَوْصِيْتُ عَمْرًا وَبَيْمَ الْوَصِيِّ^(٥)

٧ — بُئِيَ بَدَا خُبُّ نَجْوَى الرَّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبَّ النَّجْوَى^(٦)

(١) في التبريزي وسائر المراجع : « ويثي له » بالهاء .

(٢) وكذا في التبريزي والشعراء والخزائن . وفي الحيوان : « يوما لدى معصر » .

(٣) ل : « بتجدد » .

(٤) هو مالك بن حزم المنعماني . الحاشية ٤٣٤ ص ١١٧١ .

(٥) التبريزي : « قسم الوصي » . المرزبانى : « أوصى ابنه » .

(٦) انظر ما سبق في الحاشية ٤٤٤ ص ١١٩٢ .

٨ - وسيرك ما كان عند امرئ وسير الثلاثة غير الخفي^(١)

معنى « ألم تر » : اعلم . ويريد التنبيه على أن له في وصاته ابنه اقتداء بالحكام قبله ، فكما ساع للقيان أن يوصى ابنه ساع للصلتان أن يوصى عمرًا وابنه . والمحمود في قوله « نم الوصى » محذوف ، كأنه قال : ونم الوصى هو . وهذا ترغيب منه للمروء في الاحتذاء بما يرسم له . وقوله « بنى بدا خب نجوى الرجال » ، فالتب : المكر بكسر الخاء ، والتخب بفتحها : الكمار . ومثله رجل صب . والنجوى : مصدر ، وهو يستعمل فيما يتحدث فيه اثنان على طريق السر^(٢) والكيان . فيقول : إذا ناجيت صاحبك فكُن خبًا فيما تؤدعه من سيرك ، فإن نجوى الرجال إذا بدا خبها ، ومكر أربابها فيها ، عادت وبالأفضيحة . والنجوى يقع على الواحد والجمع ، وكذلك النجوى . وفي القرآن : ﴿ إِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ .

وقوله « وسيرك ما كان عند امرئ » ذهب فيه مذهب من قال :

إذا جاوز الاثنين مير فإنه يبت وتكثر الوشاة قمين^(٣)

وقد قيل في « الاثنين » من هذا البيت أراد به الشفتين . وكأن من فسر هذا التفسير يريد : لا تفسر سيرك إلى أحد .

آخر باب الأدب ، والمجد لله وحده ، والصلاة على نبيه محمد وآله بآله .

(١) بضمه عند الفريزى :

كما الصنت أدنى لتبعض الرشاد قَبْضُ التَّكَلُّمِ أدنى لى

(٢) ل : « السر » .

(٣) ل : « بنت » بالنون . والبيت ليس بن الخليم في ديوانه ١٨ . وفي الديوان :

« بغير » .

بَابُ النَّسَبِ

بَابُ النِّسَبِ^(١)

٤٥٤

وقال الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ^(٢) :

- ١ - حَنَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكَ مِنْ رِيًّا وَشَقَبَا كَمَا مَعَا
 - ٢ - فَا حَسَنُ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجَزَّعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَصْحَمًا
- الحنين : تألم من الشوق وتشكى . وَرِيًّا : اسمُ امرأةٍ^(٣) . فإن قيل : هَلَّا قِيلَ رَوَّى ، لَأَنَّ فَقُلِّي إِذَا جَاءَ اسْمًا مِنْ بَنَاتِ الْيَاءِ يَقْلِبُ يَأْؤُهُ وَأَوَّا ، عَلَى هَذَا الْفَتْوَى وَالشَّرَوَى وَالتَّقْوَى وَالتَّقْوَى ؟ قُلْتُ : إِنَّهُ سُمِّيَ بِهِ مَقُولًا عَنِ الصَّمَّةِ ، وَقَفُلِّي صَفَةً يَصْحَحُ فِيهِ الْيَاءُ ، عَلَى هَذَا قَوْلِهِمْ : حَزَنًا وَصَدِيدًا وَرِيًّا ، كَأَنَّهُ تَأْنِيثُ رِيَّانٍ فِي الْأَصْلِ ، كَمَا يَقَالُ عَطِشَانٌ وَعَطِشَى ، ثُمَّ نُقِلَ مِنْ بَابِ الصَّمَاتِ إِلَى بَابِ

(١) التبريزي : « النسب » ذكر الشاعر للمرأة الحسن ، والإخبار عن تصرف هولاء به ، وليس هو الفزل ، وإعنا الفزل الاستهتار بمودات النساء والصبوة إليهن . والنسب ذكر ذلك والخبر عنه .

(٢) هو الصمة بن عبد الله بن القليل بن قرة بن هيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، شاعر إسلامي بدوي مقل ، من شعراء الدولة الأموية ، وولده قرة بن هيرة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته . وكان من خبر الشعر ما روى التبريزي وأبو الفرج في الأغاني (٥ : ١٢٧) ويقالون في (البصر) والسيوطي في شرح الشواهد ٧٩ : أن الصمة خطب ابنة عمه إلى أبيها ، فقال : لا أزوجه إلا على كذا وكذا من الإبل (في رواية التبريزي أنها غسون) . فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك ، وشكا إليه ما يجد بها ، فساق الإبل عنه إلى أخيه ، فلما جاء بها عدها معه فوجدتها تنفس بيئاً ، فقال : لا آخذها إلا كاملة ، فنضب أبوه وحلف لا يزيد على ما جاء به شيئاً ، ورجع إلى الصمة فقال له : ما وراءك ؟ فأخبره ، فقال : فاق ما رأيت قط الأم منكنا جيساً ، وإني لأأفت بيتكنا . ثم ركب ناقته وزحل إلى ثغر من ثغور الشام فلقى الخليفة فسكبه ، فأعجب به وقرض له فرساً ، وألقاه بالفرسان ، فأقام به حتى مات . وفي ذلك يقول هذا الشعر . والأبيات عند القائل (١ : ١٩٠ - ١٩١) .

(٣) ابنة عمه التي أراد الزواج بها .

التسمية بها ، فترك علي بنائه . وقوله « ونفسك باعدت » الواو واو الحال ، وهي للابتداء . ومعنى باعدت بكدت ، وهو كما يقال ضاعفت وضغفت . وفي القرآن : ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ سَفَرَانَا ﴾ .

والمزار : اسم مكان الزيارة . والشعب : شعب الحى ، يقال : التأم شعبهم ، أى اجتمعوا بعد تفرق . وشت شعبهم ، إذا افترقوا بعد تيمح . وقوله « وشعبا كما معا » الواو واو الحال أيضاً ، والعامل فى « ونفسك باعدت » : حننت ، وفى قوله : « وشعبا كما » باعدت . ومعنى قوله : « معا » مجتمعان ومصطحبان ، وموضعه خبر المبتدأ .

وقوله « فاحسن أن تأتى الأمر طائما » فى حسن وجوه : يجوز أن يكون مبتدأ ، وجاز الابتداء به وهو نكرة لاعتقاده على حرف النفي ، و « أن تأتى » فى موضع الفاعل لحسن ، واستغنى بفاعله عن خبره ، والتقدير : ما يحسن إتيانك الأمر طائما . واتعصب طائما على الحال من أن تأتى . ويجوز أن يرتفع حسن على أنه خبر مقدم ، وأن تأتى فى موضع المبتدأ . ويجوز أن يرتفع حسن بالابتداء وأن تأتى فى موضع الخبر ، وهذا أضعف الوجوه لكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة . وقوله « وتجزع أن داعى الصبابة » أن مخففة من أن الثقيلة ، والمراد : وتجزع من أن داعى الصبابة أسمك صوته ودعائه .

ومعنى اليتيم : شكوت شوقك إلى هذه المرأة ، وأنت آثرت البعد عنها بعد أن كان حيا كما مجتمعين ، وليس بمجمل اختيارك الأمر طائما غير مسكوه ، وجزعت بعده ، لأن داعى الشوق والعائد منه إليك أسمك وحررك منك .

٣- قفا ودعا نبذاً ومن خل بالحمى قل لنجد عينا أن يودعا
٤- وليست عشيئات الحمى برواجيع عليك ولكن خل عيناك تدمعا
يخاطب صاحبه لئلا يستوقفهما ويكلفهما توديع نجد معه والتأزى بالحمى منه .
ثم استأنف فقال ملتفتاً : ويقل لنجد وما كنه التوديع منا ، لأن حقهما أعظم

من ذلك ، ولكننا لا نقدر على غيره . والحصى : موضع فيه ماء وكلاء يمنع منه الناس . ويقال : أحييت المكان ، إذا جعلته حي . وحكى ابن الأعرابي أنهم يقولون للسكان وقد أبطل وأبيح ولم يحرم : بهرج . وأنشد :

فَحُيِّرَتْ بَيْنَ حَيٍّ وَبَهْرَجٍ مَا بَيْنَ أَخْرَافٍ إِلَى وَادِي الشَّحِيحِ^(١)
وقوله « أَنْ يُودَعَا » في موضع الفاعل لقل .

ومعنى قوله « وَلَيْسَتْ عِشْيَاتُ الْحَيِّ بِرَوَاجِعَ » أنك وإن أفرطت في الجزع ، فإن أوقات المواصلة بالحصى مع أحبائك لا تكاد تعود ، ولكن أدم البكاء لها ، مع التوجع في إثرها ، تجذ فيه راحة . وفي هذا إلمام بقول الآخر :
قُلْتُ لَهُ إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ بِهِ يَسْتَنِي مَنْ ظَنَّ الْأَتْلَافِيَا

وقوله « تدمعا » جواب الأمر . ولو قال تدمعان ، لكان حالا للمعينين .
٥- وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا وَحَالَتْ بَنَاتُ الشَّوْقِ يَحْنَنَّ زُرْعًا^(٢)
٦- بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْتَا مَعًا^(٣)
البشر : جبل^(٤) . وأعرض دُونَنَا : أبلى عرضه . وحالت : تحركت . يقال : استعقلت الشخص ، إذا نظرت هل يتحرك . ومنه لا حول ولا قوة إلا بالله ! والمعنى : لما تباعدنا عن نجد ، وحجز بيننا وبينه البشر ، تحركت بنات الشوق نوازع كثيرة الحنين ، مظهرة ضعف الصبر . وجواب لما قوله « بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى » . وأراد بينات الشوق مسبباته . وهذا كما قال الآخر^(٥) :
يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حُبِّهَا كَمَا ضَمَّ أَزْوَارَ الْقَمِيصِ الْبَنَاتُ

(١) أجراء : موضع بنجد .

(٢) الأمل والأغاني : « وجات » بالميم .

(٣) التبريزي والأمال : « بكت عيني اليسرى » .

(٤) جبل في أطراف نجد من جهة الشام .

(٥) هو المجنون ، كما في اللسان (بنق) .

فأطفالُ الحبِّ كبناتِ الشوق . والنَّزْعُ ، الأشهر فيه أن يكون جمعُ نازع بمعنى كافٍ ، فوضَّعها موضعُ نوازع ، واللَّفْظانِ المتواخيتان لكونهما من أصلٍ واحدٍ يُستعارُ ما لإحداهما للأخرى . وإنما قال « بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى » لأنه كان أعورَ عَمَّتَها بعينه اليسرى^(١) . والعَيْنُ التوراة لا تَدْمَعُ . فيقول : بَكَتْ عَيْنِي الصَّحِيحَةُ ، فَاجْتَهَدْتُ فِي زَجْرِهَا عَنْ تَعَامُلِي الْجَهْلِ بَعْدَ أَنْ كَفْتُ تَحَلُّمْتُ وَتَرَكْتُ الصَّبِيَّ ، فَلَمَّا تَكَلَّفْتُ ذَلِكَ لَهَا أَقْبَلَتِ الموراة تَدْمَعُ معها وتبكي . ونَبَّهَ بهذا على عَصِيانِ النفسِ والقلب ، وَقِلَّةِ اثَّارِها لَه ، وَأَنَّهُما إِذَا زُجِرَا وَرُدَّا عَنْ مَوَارِدِها زادا على الْمُنْكَرِ مِنْها .

٧ — تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْفَاءِ لَيْتَا وَأَخَذَها
٨ — وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحَيِّ ثُمَّ أَنْتَنِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدَعَا
يقول : أَخَذْتُ فِي مَسِيرِي لَمَّا أَبْصَرْتُ حَالَ نَفْسِي فِي تَأْوِيلِ الصَّبَابَةِ فِيهَا ، مَلْتَقِيًا إِلَى مَا خَلَقْتَهُ مِنَ الْحَيِّ وَأَرْضِ نَجْدٍ ، حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ اللَّيْلَ — وَهُوَ عَرَقْتُ فِيهَا — لَطُولِ إِصْفَائِي ، وَدَوَامِ تَفَانِي ؛ كُلُّ ذَلِكَ تَحْشُرًا فِي إِثْرِ الْفَائِتِ مِنْ أَحِبَّائِي وَدِيَارِها ، وَتَذْكُرًا لِطِيبِ أَوْقَاتِي مَعَهُمْ فِيهَا . وَقَدْ قِيلَ فِيهِ : إِنَّ مِنْ رُمُوزِهِمْ أَنْ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَلَدٍ فَالْتَفَتَ وَرَاءَهُ رَجَعَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ . وَأَنْشَدَ فِيهِ أَيْبَاتُ ، مِنْها قَوْلُهُ :

عَيْلَ صَبْرِي بِالتَّغْلِيْبَةِ لَمَّا طَالَ لَيْلِي وَمَلَّنِي قُرْبَانِي^(٢)
كَلَّمَا سَارَتِ اللَّطَايَا بِنَا مِيْلًا تَنْفَسْتُ وَالتَّفْتُ وَرَأَيْ

(١) كناية عن أن عينه اليسرى هي الموراة . جاء في السكنايات لتمامي ص ٣٦ م ٥ : « ويكنى عن الأعور بالمتع » .

(٢) هذا ما قبل والبرزي . وفي الأصل : « بالتغلبة » تحريف . والتعلبية : منزل من منازل طريق مكة من الكوفة ، قالوا : نسبت إلى تغلبة بن عمرو مزنيًا بن عامر ماء السهلاء .

قالوا : التَّهْتَ لَكَ يُقْضَى لَهُ الرُّجُوعُ ، لكونه عاشقاً .
 وانتصَبَ « لَيْتَا » لأنه تميز ، وهذا من باب ما نُقِلَ القملُ عنه ، كَانَ
 الأصل : وَجِجَ لَيْتِي وَأَخَذَعِي ، فلما سُخِّلَ القملُ عنهما بضميره أشبها المفعولَ
 ففصَّهما . ومثله : تَصَبَّبْتُ عَرَقًا ، وقرِرتُ به عَيْنًا .

وقوله « وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحَيِّ ثُمَّ أَنْتَى » يقول : وَأَتَذَكَّرُ أَوْقَاتِي بِالْحَيِّ
 لَكَا كَانَ من أسباب الوصال تساعد ، وبينَ دُورِنَا ودُورِ الْأَحِبَّةِ تَقَارُبٌ ،
 وَلَقَدْ رَأْسُ إِمْكَانٍ ، ومع الحبيب في الوقتِ بَدَلُ الْوَقْتِ تَلَاقٍ واجتماع ، ثُمَّ أَنْتَظِفُ
 عَلَى كَبْدِي وَأَقْبِضُ عَلَيْهَا خَافَةَ تَشَقُّقِهَا ، وَخُرُوجِهَا مِنْ مَوَاضِعِهَا ، شَوْقًا إِلَى أَمثالِهَا ،
 وَحَسْرَةً فِي إِثْرِ مَنَقَطِهَا .

وقد ذكر هذه الأبيات أبو عبد الله اللفجج رحمه الله ، في حَدِّ الْفَزَلِ من
 كتابه المعروف بِالْتَرْجَمَانِ ، فذكر يَتَيْنِ مِنْهَا فِي (باب الصَّبَابَةِ) ، وَهِيَ :

* حَفَنْتُ إِلَى رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ *

و : * فَمَا حَسَنُ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِمًا *

وَقَالَ فِي تَفْسِيرِهِمَا ^(١) : « يَقُولُ : الْحَرْبُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَوْمِكَ تَمْنَعُكَ مِنْ
 قُرْبِهَا وَلِقَائِهَا » . وَذَكَرَ مَعَ الْبَيْتَيْنِ قَوْلَ عَنَتَرَةَ :

عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَأَقْبَلُ قَوْمَهَا زَعْمًا لَتَمُرُّ أَيْكَ لَيْسَ بِمَزْمَرٍ .

ثُمَّ جَاءَ إِلَى (باب الحَيْنِ) ، فَذَكَرَ مَا فِي الْأَبْيَاتِ :

* وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحَيِّ *

و : * وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحَيِّ بِرَوَاجِعِ *

و : * بَكَتْ عَيْنِي الْيَمْنَى *

(١) قُلْ هَذَا النَّصُّ مُوجِزٌ الْبَرِيزِيُّ فِي شَرْحِهِ لِلْحَاسَةِ . وَمَا هُنَا أَوْفَى وَأَم .

الآيات ، وقال فى تفسيرها : « هذا كان مجاوراً لأحبابه وهم متجسّدون
بمحبوب الحيى ^(١) فنشأت عينٌ — والعينُ : سحابةٌ تهبُّ من ناحية القبلة —
فنشأت من عن يسار القبلة ، فارتاع لذلك ، وخشيت الفرقة إذا اتصل الغيث ،
فذلك معنى قوله : بكت عيني اليسرى ^(٢) ، كناية عن السحاب . وجهلها :
كثرة مطرها . وجمل ارتياعه منها زجراً لها . ثم نشأت أخرى من عن يمين
القبلة ، فأيقن حينئذ بالفراق . فذلك معنى قوله : أسبلت ما . ثم قال معترفاً
بالبين : خلّ عينيكَ تدماً ، يعنى السحابتين . وقال جرير :

إن السَّوَارِيَّ وَالْفَوَادِيَّ غَادَرَتْ لِلرَّيْحِ مُنْخَرِقًا بِهَا وَجْهًا .

هذا كلامه فى كتابه ، وقد حكّيناه على ما أورده لا زيادة فيه ولا نقصان .
وأظن أنه تذكّر أبياتاً غير هذه ، ثم تصرف فى تفسيرها وذكر هذه الآيات
فى أثناء تفسير ما ذكره ، ولم يأت بها . وقد أحسنت الظن مستطراً فله .
والله أعلم .

٤٥٥

وقال آخر ^(٣) :

١ — وَنُبِئْتُ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةِ إِلَى فَلَا نَفْسُ لَيْسَى شَفِيعُهَا
٢ — أَلَا كَرُمٌ مِنْ لَيْلَى عَلَى قَتَبَتَيْنِ بِهِ الْجَاهُ أَمْ كُنْتُ أَمراً لَا أُطِيعُهَا
نُبِّى يحتاج إلى ثلاثة مفاعيل ، وقد حصلت إلى قوله « أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةِ إِلَى » .

(١) جنوب ، ضبطت بضم الجيم فى النسختين . والجنوب : جمع جنب ، بمعنى الناحية .
(٢) يفهم من هذا أن رواية اللطيف : « بكت عيني اليسرى » ، كما روى التبريزى
والقال . انظر ما سبق فى ص ١٢١٧ .
(٣) هو الصمة بن عبد الله الشيرى صاحب اللطوعة السابقة . أو هو عبد الله بن الدمينه
صاحب اللطوعة اللاحقة ، وقيل : هو المجنون . انظر شرح شواهد المفنى للسيوطى ٧٩ .

وقوله « هَلَّا نَفْسَ لَيْلٍ » هَلَّا : حرفٌ تحضيض ، وهو يطلب النعل ، وقد وَتَعَ
 في البيت بعده جلةٌ من مبتدأ وخبر . وفارق « هَلَّا » هذه أختها « لولا »
 في قوله :

تَعْدُونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي سَوَاطِرِي لَوْلَا الْكُفَى الْقِنَمَا^(١)
 وذلك لَأَنَّ تَأْيِيرَ النعل بالنصب بعد لولا من البيت حلٌّ عليه ، فأمرؤه في
 إضمار النعل بعده قوى . وهذا لم يَنْتَلِجْ له أَنْ يَنْصِبِ النَّفْسَ بعد هَلَّا ، فكان
 يَجِبُ التَّغْدِيرُ : فَهَلَّا أُرْسِلَتْ نَفْسُهَا شَفِيعَةً ؛ لِأَنَّ الْقَوَائِي مَرْفُوعَةٌ ، فَعَمَلٌ
 ما بعده مبتدأ لما لم يَأْتْ له ما تَأْتِي لَدَاكَ^(٢) . وقد يفعلون هذا في الحروف المَحْصِيَّة
 بالأنفال إذا كان في الكلام دلالةٌ على المضمَر من النعل . أَلَا تَرَى أَنَّ لَوْ
 يَطْلُبُ النعل . ثُمَّ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي
 إِذَا لَا أُنْسِكُمْ خَشِيتُ الْإِنْفَاقَ ﴾ . وعلى ذلك جاء إنَّ الجائِزَةَ الدَّالَّةَ على
 الشرط في وقوع الاسم بعده ، وإنَّ كان يطلب النعل عاملاً فيه بالجرم ،
 وذلك نحو : إنَّ زَيْدًا أَنَا أَوْ كَرَمْتَهُ . وقول الشاعر^(٣) :

* إنَّ ذُو لُؤْلُؤَةٍ لَنَا^(٤) *

وما أشبهه . فَإِنْ قِيلَ : هَلَّا جَعَلْتَ المضمَر بعد هَلَّا فعلاً رافعاً فَيَرْتَعُ
 النَّفْسُ بِهِ لَا بِالْإِتْدَاءِ ، كَمَا يُفَعَّلُ ذَلِكَ فِي : إنَّ زَيْدًا أَنَا أَوْ كَرَمْتَهُ ، فيصير هَلَّا

(١) هو جرر ، من قصيدة يهجو بها الفرزدق . الخزانة (١ : ٤٦١ — ٤٦٢) .

(٢) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « لما لم يَأْتِ لَدَاكَ » ، تحريف وقس .

(٣) هو قريظ بن أبي . انظر ص ٢٢ ، ٢٥ .

(٤) البيت بتمامه :

إِذَا لَمَّا بَصَرِي بِمَعْرِ خَفْنِ عند الحفيظة إنَّ ذُو لُؤْلُؤَةٍ لَنَا

(١٤ — حاشية — ثالث)

في ذلك أجرى في بابيه من أن يكون ارتفاعه بالابتداء ؟ قلت : إن قولك إن زيداً أتاني أكرمته ، ارتفع زيدٌ بفعل هذا الظاهرُ تسيُّره ، وأكرمته جوابُ إن ، فسأخ فيه ما لم يسخ هاهنا ، لأنه ليس هاهنا شيء يكون تسييراً لذلك الفعل . وإنما جاء بذلك الفعل للفسر شفيهما ، ويكون خبراً لا غير ، وإذا كان كذلك لم يُسكنَ محلُّ هذا عليه .

ومعنى البيت : خُيِّرْتُ أَنْ لِيَلِيَ أُرْسَلَتْ إِلَى ذَا الشَّفَاعَةِ ^(١) فِي بَابِهَا ، تَطْلُبُ بِهِ جَاهاً عِنْدِي ، مُسْتَكْفِيَةً ^(٢) مِنْ ذِكْرِهَا فِي الشَّعْرِ وَعَنْ إِيْتَانِهَا وَمَا يَجْرِي سَجَرَاهُ . ثم قال : هَلَّا جَعَلْتُ نَفْسَهَا شَفِيعاً . فقوله « بِشَفَاعَةٍ » حذف للمضاف وأقام للمضاف إليه مقامه ، والفعل الذي يقتضيه هَلَّا دلٌّ عليه شفيهما ، ولو قال : — هَلَّا نَفْسَهَا شَفِيعُهَا — لكان أقرب في الاستعمال ، إلا أنه قصدَ إلى التّفخيم بذكر اسميها .

ثم قال : « أَاكْرَمُ مِنْ لِيَلِيَ عَلَيَّ » ، فَأَنَّى بَلْفُظِ الاسْتِفْهَامِ ، وَلِلرَّادِ التَّفْخِيرِ وَالْإِنْكَارِ ، كَأَنَّهُ أَنْكَرَ مِنْهَا اسْتِعَانَتَهَا بِالْفَيْرِ عَلَيْهِ ، وَطَلَبَ الشَّفِيعِ فِيهَا أَرَادَتْ لَدَيْهِ . وقوله « فَتَبَتْنِي » في موضع النصب على أن يكون جواب الاستفهام بالغاء . وقوله « أَمْ كُنْتُ » هي أم المتصلة ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَيُّ هَذَيْنِ تَوَهَّيْتُ : طَلَبُ إِنْسَانٍ أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْهَا ، أَمْ اتَّهَمْتُهَا لِعَاقِقِي لَهَا . وخبر أكرم علي ، محذوف ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَاكْرَمُ مِنْهَا موجود ، [أو ^(٣)] فِي الدُّنْيَا .

(١) ل : « ذَا شَفَاعَةٍ » .

(٢) ل : « مُسْتَكْفِيَةً » .

(٣) النكلة من ل :

٤٥٦

وقال آخر^(١):

- ١ - أَمَا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا أَنْبَرَى لَهُ تَوْحُّمُ صَيْفٍ مِنْ سَعَادَ وَمَرْبِعِ
 ٢ - أَخَادِعُ عَنْ أَطْلَالِهَا الْعَيْنُ إِنَّهُ مَتَى تَعْرِفِ الْأَطْلَالَ عَيْنُكَ تَدْمَعُ
 ٣ - عِيدَتْ بِهَا وَحْشًا عَلَيْهَا بِرَاقِعٍ وَهَذَى وَحُوشٌ أَصْبَحَتْ لَمْ تَبْرِقْ
 استغفار وأفاق بمعنى صحا . وأنبرى : تمرّض . وأراد بالصيف للصيف .
 وقوله « من سعاد » أراد من دار سعاد وأرضيها^(٢) . و « أَمَا » هي ما النافية
 أدخل عليها ألف الاستفهام تقريراً أو إنكاراً . والمراد : لا يحدث القلب بالسؤال
 والإفافة مما تداخله من علائق حب هذه المرأة ، وتثبت به فآلهاء عن كل شيء ،
 إلاّ اعترض له تذكّر مصيف ومرّبع من أرضيها^(٣) . بعد التوهم . كأنه كان
 يقف على منازلها فيتوهمها بألبيتها وعلاماتها ، ثم يعرفها . وأكثر ما يذكر
 التوهم في الديار يعقبونه بالعرفان دون العلم . وهذا أحد ما نفصل به بين العلم
 والمعرفة ، ولهذا وأشباهه نجتج من أن نصف الله تعالى بأنه عارف . لذلك ،
 قال زهير :

(١) كذا في النسخين . وعند التبريزي : « وقال ابن العمينة » . والأبيات في ديوان
 ابن العمينة ٢٥ . والعمينة أمه ، وهي العمينة بنت حفيفة السلولية ، وهو عبد الله بن عبيد ،
 أحد بني عامر بن تيم الله بن مبشر بن أسكل بن ربيعة بن عقرس بن خلف بن أختل ، وهو
 ختم بن أعمار . وابن العمينة : شاعر إسلامي رقيق النسب ، اختار له أبوتمام في هذه الحماسة
 ست مقطوعات ، وكفى ذلك شاهداً على منزلته . انظر الأغاني (١٥ : ١٤٤ - ١٥٠)
 واللائق ١٣٦ والشراء ٧٠٩ . وقد طبع ديوانه في مصر سنة ١٣٣٧ بتحقيق محمد
 الهاشمي البغدادي .

(٢) كذا في ل الجمع . وفي الأصل : « بأرضها » بالإنفراد .

(٣) صدره : * وقتت بها من بعد عشرين حجة *

* فَلَايَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ ^(١) *

وأشباهه كثير .

وقوله « تَوَهُّمٌ صَيْفٌ » حقيقة أنه حذف للضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، كأنه قال : تَوَهُّمٌ مَوْضِعٌ صَيْفِيٌّ ، فيكون الصَّيْفُ مصدر صَيْفْنَا بِالْمَكَانِ نَصِيفٌ بِهِ صَيْفًا . وقوله « مَرِيعٌ » يجوز أن يَكُونَ اسْمٌ لِلْمَكَانِ .

وقوله « أَخَادِعُ » عن أَطْلَالِهَا الْعَيْنُ . يريد أني إذا وَقَفْتُ عَلَى آثَارِ دَارِهَا ^(٢) وجَوَانِبِ مَحَلِّهَا رُمْتُ خَدْعَ النَّفْسِ وَالْعَيْنِ عَنْ تَأْمُلِهَا ، تَفَادِيًا مِمَّا يَتَسَلَّطُ مِنَ الْوَجْدِ بِهَا ، وَيَتَجَدَّدُ لِي مِنَ الصَّبَابَةِ نَحْوَهَا . وَلَثَلَا أَتَذَكَّرُ بِمَا أَتَفَرَّسُ فِيهَا أَحْوَالِي قَبْلَهَا ، لِأَنَّ الْعَيْنَ إِذَا عَرَفَتْهَا وَكَفَّتْ بِالذَّمْعِ ، وَالنَّفْسَ إِذَا تَبَيَّنَتْهَا أَشَقِيَّتِ بِالْوَجْدِ .

وقوله « عَهْدْتُ بِهَا وَحْشًا » هَذَا تَحَسُّرٌ فِيمَا رَأَى الدَّارَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْتِبْدَالِ وَحُوشًا ، فَقَالَ : عَهْدْتُ بِهَا نِسَاءً مَبْرَقَةً — يَشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى عَفَافِهَا وَقَلَّةِ تَبَرُّجِهَا — كَالْوَحْشِ كَالًا وَحْشًا ، وَنُفُورًا عَنِ الرِّيْبِ ، وَأَرَى الْآنَ وَحُوشًا تَخْتَلِفُ فِيهَا غَيْرَ مَبْرَقَةٍ . وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخَرِ :

يَعْرِضُ عَلَيَّ أَنْ يُرَى عِيْضُ الدَّمَى بِحَافَاتِهِ هَامٌ وَبُؤْمٌ وَهَجْرٌ ^(٣)

وقوله « عَلَيْهَا بَرِاقٌ » صِفَةُ لِلْوَحْشِ ، وَكَذَلِكَ « أَصْبَحْتُ لَمْ تَبْرُقْ » .

٤٥٧

وقال آخر :

١ - فَيَا رَبِّ إِنْ أَهْلَكَ لَمْ تُرَوْهَامِي بَلِيلِي أُمْتُ لَا قَبْرَ أَعْطَشُ مِنْ قَبْرِ

(١) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « دِيَارِهَا » .

(٢) الْمَجْرَس : وَلَدُ التَّلَبُّ .

- ٢ - وإن ألك عن لَيْلَى سَلَوْتُ فَإِنَّمَا تَسَلَيْتُ عَنْ يَأْسٍ وَلَمْ أَشْلُ مِنْ صَبْرٍ^(١)
- ٣ - وإن يلك عن لَيْلَى غَيٌّ وَجِلْدٌ قُرْبٌ غَيٌّ نَفْسٍ قَرِيبٌ مِنَ الْقَفْرِ
- حذف الياء من « يارب » لوقوعها موقع ما يحدث في باب النداء ، البتة ، وهو التنوين ، ولأنَّ الكسرة تدلُّ عليه ، ولأنَّ بابَ النداء بابُ حذفٍ وإيجاز ، لكثرة تردِّده في الكلام . وقوله « أُمْتُ » جوابُ الشرط . وقوله « لا قَبْرَ أَعْطَشُ مِنْ قَبْرِى » الجملة في موضع الحال . وقد روى : « تَرَوْ » بفتح التاء ويكون الفعل للهامة ، « وَتَرَوْ » بضم التاء والفعل لله عزَّ وجلَّ . فيقول مثلاً من بَرَحَ الصَّبَابَةِ ، وعَطَشَ الاشتياق ، ومتشكِّياً إلى الله تعالى : ياربُّ إن مُتُّ ولم أنلْ شِفَاءَ من دأى ، ورياً من عطشى إلى هذه المرأة مُتُّ ولا قَبْرَ لِعَاشِيٍّ أَشَدُّ عَطْشاً من قَبْرِى . وإنما قال : لم ترو هامتى ، لأنَّهم كانوا يزعمون أنَّ عَظَامَ اللَوْنِ تصير هاماً فظيبر . والأصلح في هذا المكان أن يكون جَمَلٌ نَفْسَهُ مُقْتَتلاً لِحَبْلِهَا . ومعنى « لم ترو هامتى » لم تطلُبْ دى من قاتلى ، تَبَقَّ هامتى أعطش من كل هامر . وكانوا يقولون : إنه يَخْرُجُ من رأسِ المَقْتُولِ هامةٌ فتصيح وتقول : اسقونى اسقونى ! إلى أن يدرك ثأره .

وإنما آتَرْتُ هذا لتوحيد هامة . والرَّوَابِيتَانِ فِي تَرَوْ وَتَرَوْ معنيهما ظاهران .

وقوله « وإن ألك عن لَيْلَى سَلَوْتُ » قد تقدَّم القول في حذف النون من أكن . وجواب الشرط قوله « فَإِنَّمَا » بما بعده . والمعنى : إن ألك في الظاهر حَصَلَ لى سَلَوْتُ عنها لمن يتأملُ حالى ، فَإِنَّمَا تَكَلَّفْتُ مَا ظَنَنْتُ مَنَّى سَأَلُوا لِقَابَهُ الْيَأْسَ مِنْهَا عَلَى ، فَأَمَّا نَفْسِي فَعَيَّ كَمَا كَانَتْ ، ذَهَاباً فِيهَا وَوُلُوعاً بِهَا . وقوله

(١) التبريزى : « عن صبر » .

« سلوت » معناه طُبْتُ نفساً . وتسَلَّيتُ معناه تكلَّفتُ ذلك ، والتَّفَعَّلُ لا يكون إلا عن تكلُّفٍ في أكثر الأحوال ، وكذلك التَّفَاعُلُ ، فأَتَى بسلَوْتِ بناءً على ظَنِّهم واعتقادهم ، وتسَلَّيتُ بناءً على حاله .

وقوله « وَإِنْ يَكُ عَنْ لَيْلٍ غَنَى » يريد : وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُ أَمْرِي أَسْرَى استغنيتُ عنها بخلاف قلبي من حبِّها ، أو أُنِيَ أَجَلُهُ للوهنِ المارضِ في الاشتياقِ إليها ، فَرُبَّ غَنَى نَفْسٍ يَقْرُبُ مِنَ الْفَقْرِ . والمعنى أَنَّ بَاطِنَ أَمْرِي بِخِلَافِ ظَاهِرِهِ . وإنما يُتَصَوَّرُ مَنَى غَنَى يَقْرُبُ مِنَ الْفَقْرِ إِذَا حَصَلَ وَتَوَقَّلَ . ومن روى « أَمْرٌ مِنَ الْفَقْرِ » فالمعنى ظاهراً . والفاء من فَرُبَّ بما بعده جواب للشرط . وقائدة ربَّ التقليل ، كأنه استقلَّ الحالات التي تشبه حاله ، فلذلك أتى بِرُبَّ .

٤٥٨

وقال آخر :

- ١ - يَوْمَ ارْتَحَلْتُ بِرَخْلِي قَبْلَ بَرْدَغِي وَالْعَقْلُ مُتَّلَهُ وَالْقَلْبُ مَشْفُولُ
 - ٢ - ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى نِصْوَى لَأُبْعَثَهُ إِثْرَ الْخُدُوجِ الْغَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولُ
- انتصب « يَوْمَ » بإضمار فعل ، كأنه أراد : أَذْكَرُ يَوْمَ هَذَا الْأَمْرِ وَالشَّانِ . وأضاف اليَوْمَ إلى الفعل تشهيراً له وتغليظاً لما اتفق فيه ، وذلك أَنَّهُ بَاغَتْهُ حَدِيثُ الْفِرَاقِ وَمَا هُمْ بِهِ الْمُجْتَمِعُونَ مَعَهُ فِي النَّجْمَةِ مِنَ الْارْتِمَالِ ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَحْسِبْهُ وَلَمْ يَحْدِثْ نَفْسَهُ بِهِ ، تَوَلَّاهُ وَخَوَّلَطَ ، حَتَّى صَارَ لَا يَدْرِي مَاذَا يَأْتِي عِنْدَ مَا هُمْ بِهِ مِنْ تَشْيِيمِهِمْ ، وَالتَّهْيِيزُ لِلْكُونِ مَعَهُمْ ، قَالَ : أَذْكَرُ يَوْمَ أَقْبَلْتُ أَضْعَ الْبَحْلِ عَلَى النَّاقَةِ قَبْلَ الْبَرْدَةِ ، وَعَقْلِي فَاسِدٌ وَقَلْبِي مَشْفُولٌ بِمَا دَيَّمَهُ مِنَ الْحَالِ .
- وقوله « مُتَّلَهُ » هُوَ مُتَعَمِّلٌ مِنَ الْوَلَهِ ، وَأَصْلُهُ مُوْتَلَهُ ، فَأَبْدَلَ مِنَ الْوَاوِ تَاءً كَمَا تَقُولُ

في اتقى وأتجه وما أشبههما ، ثم أدغم إحدى التائين في الأخرى . و يروى :
« مَحْتَبِلٌ » ، والتَّحْبِيلُ : الفساد .

وقوله « ثم انصرفت إلى نضوى » تتميم لبيان حاله فيما انعكس عليه من
قصدِه ، وفسد من همّه ، فقال : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي لِأَقِيَمَهُ فِي إِثْرِ الظَّمَانِ
الباكرة ، وهو مشدود بمقاله لم أحله . وهذا غاية ما يقال في انحلال العقدة ،
واسترخاء الشكة ، وسوء الضبط واقلاب القلب . ومعنى أبشّه أهيبه :
والنضو : البعير المهزول . والخدوج : مراكب النساء الطاعنة . وانصبب إثر
على الطرف .

وقد سلك أبو تمام هذا للسلك فقال :

أَصْنَعِي سِرِّمَ أَيْتَامٍ فَرُقْتَهُمْ هَلْ كُنْتَ تَعْرِفُ سِرًّا يُورِثُ الصَّمَا
نَاؤًا فَظَلَّتْ لَوْ شَكَ التَّيْنِ مُقْلَتُهُ تَنْدَى تَحِيماً وَيَنْدَى جِسْمَهُ سَمًا^(١)
أَطْلَه البــــين حَتَّى إِنَّهُ رَجُلٌ لَوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِهِ بِالتَّيْنِ مَا عَلِمَا

٤٥٩

وقال جِرَانُ المود^(٢) :

١ — أَيْكِيْدَا كَادَتْ عَشِيَّةَ غُرُبٍ مِنْ الشَّوْقِ إِثْرَ الظَّاعِنِينَ تَصَدَّعُ
٢ — عَشِيَّةَ مَا فِيمَنْ أَعَامَ بَنُرُبٍ مَقَامٌ وَلَا فِيمَنْ مَضَى مُتَسَرِّعُ

(١) في الأصل : « ويدي جسمه » ، صوابه في ل وديوان أبي تمام ٣٠٢ .

(٢) التبريزي : « المود : للسِّن . والجران : باطن عتق البعير والدابة . ويقال : إن

القاصم سمي بذلك لقوله :

خُذْنَا حِذْرًا يَا جَارِي لَأَنْتِ وَأَيْتُ جِرَانِ المود قد كاد يصلح

واسمه مامر بن الحارث . وقال أبو ريث : هي قبي الرمة . وفي القاموس (جرن) :

« وجران المود شاعر يهوى واسمه مامر بن الحارث ، لا للسنود ، وغلط الجوهري » .

يروى « ياكيدا » والمراد ياكيدى على الإضافة ، فقر من الكسرة وبعدها
 ياء إلى الفتحة ، فاقبلت ألفا . ويروى « ياكيدا » والمراد به كبده وإن نكّرها ،
 بدلالة أنه وصفها بقوله « كادت عشيّة غُرب من الشوق » ... البيت . وهذه
 الصفة لم تحصل إلّا لها . والمراد أنه تألم مما دهمه من أمر الفراق بعد الاجتماع
 الحاصل في مواضع الاجتماع ، وكأنّ المجتمعين تمزّبوا جزّين ، ارتحل أحدهما
 وصاحبته معهم ، وأقام أحدهما بالتهيّؤ والاستعداد وهو فيهم ، فالتقّدّمون ليس
 فيهم متسرّع ، لا يتفازهم للمتخلفين ، وللتخلفون لا مقام لهم لاستعجالهم الأحاق
 بهم . فشكا الحالة الواقعة في أثناء ذلك ، وهو مع ذلك يحزن ويشتاق . وغُرب :
 موضع ^(١) . وأضاف العشيّة إليه تخصيصاً . وفصل بين كاد وبين الفعل الذى
 تناوله بالظرف على ما اتصل به . و « إنر » انتصب على الظرف من الشوق ،
 و « عشيّة » من البيت الثانى بدل من العشيّة الأولى . وكا وأضاف الأولى إلى
 غُرب تبيناً وأضاف الثانية إلى قوله « ما فيمن أقام بغُرب » تبيناً ، وهما عشيّة
 واحدة وإن اختلف مبنيهما .

٤٦٠

وقال الحسين بن مطير ^(٢) :

١- لقد كنت جلدًا قبل أن تؤقّد النوى على كيدى نارا بطيئا حموها ^(٣)

(١) في مجم البلدان : « ما بنجد ثم بالشرى من مياه بنى غير » . ثم أنشد
 هذين البيتين .

(٢) سبق ترجمته في المحاسنية ٣١٩ من ٩٣٤ . وفي الأغانى (١٤ - ١١٣) عن
 التوزى قال : قلت لأبي عبيدة : ما تقول في شعر الحسين بن مطير ؟ فقال : والله لوددت أن
 الضراء ظروبه في قوله : خصرة الأوساط ، وأنشد هذا البيت والذى بعده . وقد ساق أبو على
 القالى أبيات الحسين بن مطير هذه في الأملال (١ : ١٦٥) كاملة .

(٣) بين هذا البيت وثالیه عند القالى :

ولو تركت نار الهوى لتطربت ولكن شوقا كل يوم يريها .

٣ - وقد كُنتُ أرجو أن تموت صباقي إذا قَدُمْتُ أَيَّامَهَا وعُيُودَهَا يقول : كنتُ قوَى النَّفْسِ ، ثابتَ القلبِ ، راجحَ القَلْبِ ، ضبوراً في الشَّدائدِ ، قبلَ أن يُبْلِيتُ بفراقِ الأَحْيَةِ ، فلَمَّا أوقَدَتْ نَيْدَهُمُ التي انتَوَزَها نارَ الصَّبَابَةِ على كِبْدِي فأبطأ سكونُها ضَعُفَتْ عن الثَّبَاتِ لها ، وظَهَرَ هِجْزِي عن تَحْمُلِ أعبائها ، وقد كنتُ أوَّلُ إذا أَتَتْ الأَيَّامُ على ما أَقاسيه ، واستمررتُ النَّفْسُ في التَّأَلُّمِ تارةً وفي التَّصَبُّرِ أُخْرَى ، أن يَنْقُصَ ذلكَ صباقي ، وأن قَدَّمَ الأَيَّامُ وانحساءَ اليهودِ يؤثِّرُ في نَسْكِينَ نائِثِها ، ويُبْطِلُ ما تَسَلَّطَ علىَّ من أذاها ومكروها . وقوله « إذا قَدُمْتُ » ظرفٌ لَمُوتِ صباقي .

٣ - قَدَّجَمَلْتُ في حَبَّةِ القلبِ والحشا عِهادَ الهوى تُوَلَّى بِشَوْقِي يُعِيدُهَا^(١) يريد أن ما كان يرجوه من سُكونِ صبايته قد ازدادَ ، لأنها صَيَّرَتْ في حَبَّةِ القلبِ وأحشائه أمطارَ الهوى ، تَجَدَّدُ وتُنْبِغُ بولَى من الشوقِ يرُدُّها كما كانت . وانتصب « عِهادَ » على أنه مفعول أوَّلُ جَلَمْتُ ، وتُوَلَّى بشوقٍ في موضع المفعول الثاني ، ويُعِيدُها في موضع الصفة للشوق . ومعنى « تُوَلَّى » تُطَرِّقُ الوَلَّى . والوَلَّى : المَطَرُ الثانية لأن الأولى منها تسمى الوَسْمَى . والعِهادُ : جمع التَّهْدِ ، وهو المَطَرُ الذي يحى . ولَمَّا تَقَدَّمَ عَهْدُ بَاقٍ لم يَنْهَب . وحَبَّةُ القلبِ هي التَّلَقَّةُ السوداء في جوفه . وروى « عِهادُ الهوى » - بالزَّرعِ - يُوَلَّى - بالياء - بشوقٍ بَعِيدُها ، بالباء^(٢) ، فيكون معنى جَمَلْتُ طَفِقتُ وَأَنْبَلْتُ ، ويكون غيرَ مُتَمَدِّ ، وارتفع عِهادُ بجمَلْتُ ، وبعِيدُها يقوم مقام فاعل يُوَلَّى . فيكون المعنى : قد طَفِقتُ أوائلُ هواها يُطَرِّقُ أَمَدُها بِشَوْقٍ يَجِدُّها .

(١) بجمه في الأمل :

لترجمة الأطراف حيث خصورها غلاب تالها حجاب قيوها

(٢) التبريزي : « وتلب يروي : بعِيدُها » .

- ٤ - يَسُودُ نَوَاصِيهَا وَخَرّاً كُنْهَا وَصُفْرٌ تَرَاقِيهَا وَبَيْضٌ خُسُودُهَا
 ٥ - مُخَصَّرَةُ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
 ٦ - يُمَيِّنُنَا حَتَّى تَرِفَ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخُرَايِ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا^(١)

الباء من قوله « يسود نواصيها » يجوز أن يتعلّق بقوله تموت صباقي ، ويجوز أن يتعلّق بجملت إذا ارتفع عهد الهوى به . يريد : جعلت العهد تفعل هذا بسبب نساء هكذا . وإنما جاز أن يجمع سود وخر وغيرهما وإن ارتفع ما بعدها بها ، لأنّ هذه الجموع لما نظائر في هذه الأسماء للفردة^(٢) ، ولو كانت جموع سلامة أو مالا نظير له في الواحد لما جاز جمعه . تقول : صررت رجالاً ظراف أبأؤم . ولو قلت : ظرفين أبأؤم ، لم يجوز .

وقوله « مخصرة الأوساط » يريد أنّها دقيقة الخصور ، غير واسعة الجنبوب وأن قلاندها وحليها تكنسب من التزيّن بها إذا علّقت عليها ، أكثر مما تكنسبه منها إذا تحلّت بها .

وقوله « يمينا » يصف لطافتهم في مواعيدهم ، وتقريبهم أمر الوصال بينه وبينهم ، وأنها لا تزال تُمتّى وتضمن من حسن الإجابة ما يصير للقلوب به بريق ونضارة ، كبريق الخُرَايِ إذا بقي ليلته يطلّ بالبحرود ، والرّفيف بكثرة الثّبات ونضارتها : ومعنى « حتّى ترف » إلى أن ترف .

(١) بعده في الأمال :

وفيه من مقلد الوشاح كأنها مهابة بزيان طويل عقودها .
 قال أبو علي : « يريد موضع القود ، وهو النقي » .

(٢) ل : « في الأسماء للفردة » .

٤٦١

وقال أبو صخر الهذلي^(١) :

١- أَمَا وَاللَّهِ أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَاللَّهِ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرُهُ الْأَمْرُ
٢- لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى أَلْيَقِينَ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا الذُّغَرُ^(٢)

تكرره لذي ليس بتكثير للأقسام ، لأن اليمين يمين واحدة بدلالة أن لها جوابا واحدا ، ولو كانت أيعانا مختلفة لوجب أن يكون لها أجوبة مختلفة ، وفائدة التكرير التفتيح والتحويل . وعلى هذا إذا قال القائل : والله والله لقد كان كذا ، فاليمين واحدة . وما في القرآن من قوله : ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَفْشَى . وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى . وَمَا خَلَقَ الذُّكْرَ وَالْأُنْثَى . إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ مثله . على أن ما في البيت من اختلاف الأفعال الداخلة في الصلوات جعل الكلام أحسن ، والتفتيح أبلغ . وجواب القسم « لَقَدْ تَرَكْتَنِي » ، وفاعل تركتني ضميرُ للرأفة المستكن فيه . والمعنى : أني إذا تأملت الوحش وهي تألف في سراعها ومُتصِرَاتِهَا اثنين اثنين ، لا يُفَزِّعُهَا رقيبٌ ، ولا يَدْخُلُ فِيهَا يَبْنَاهَا تَنْفِيرٌ ، حَسَدَتْهَا وَتَمَنَّتْ أَنْ تَكُونَ حَالَتِي مَعَ صَاحِبَتِي كَمَا هِيَ فِي الْأَفْهَامِ .

وقوله « أَحْسَدُ الْوَحْشِ » في موضع الحال ، وأن أرى ، في موضع البدل من الوحش . وقوله « لَا يَرُوعُهُمَا » في موضع الصفة لأليقين ، لأن أرى من رؤية العين ، ويكتفى بمفعول واحد ، وهو أليقين .

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ١٠٩ ص ٣٢٧ . وقصيدة أبي صخر دواخل القائل في أماليه (١ : ١٢٨ - ١٥٠) .

(٢) القائل : « دَوَّقْتُ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ » .

٣ - فَيَا جَبَّاهُ زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلَوَةَ الْعُشَّاقِ مَوْعِدُكَ الْحُشْرَ^(١)
 ٤ - عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
 تَجَلَّدَ فِي الْهَوَى وَادَّعَى اللَّذَاذَةَ بِهِ ، حَتَّى اسْتَزَادَ مِنْ أَجْزَاءِ الْجَوَى الْحَاصِلِ
 لَهُ ، وَهُوَ دَاهِ الْجَوْفِ ، مَا يَتَضَاعَفُ بِتَجَدُّدِ الْأَوْقَاتِ ، وَاسْتَبْعَدَ التَّسْلِيَّ مِنْهَا حَتَّى
 جَعَلَ لِلْمَوْعِدِ بَيْنَهُمَا يَوْمَ النَّشْرِ . وَهَذَا غَايَةُ التَّفَقُّ فِي الْهَوَى ، وَالتَّصْبِيرِ
 عَلَى الرَّذَى .

وقوله « عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ » يجوز أن يريد به سرعة تَقْضَى الْأَوْقَاتِ مُدَّةَ
 الرِّصَالِ بَيْنَهُمَا ، وَأَنَّهُ لَمَّا انْقَضَى الْوَصْلُ عَادَ الدَّهْرُ إِلَى حَالَتِهِ فِي الشُّكُونِ .
 وَهَذَا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي اسْتِقْصَارِ أَيَّامِ السُّرُورِ وَاللَّهْوِ ، وَاسْتِطَالَةِ أَيَّامِ الْفِرَاقِ
 وَالْهَجْرِ . وَيُجَوِّزُ أَنْ يَرِيدَ بَسْعَى الدَّهْرِ سَعَايَةَ أَهْلِ الدَّهْرِ وَإِعْقَادَهُمْ نَارَ الشَّرِّ
 بَيْنَهُمَا بِالْثَمَامِ وَالْوِشَايَاتِ ، وَأَنَّهُ لَمَّا فَتَرَتْ أَسْوَاقُهُمْ بِالتَّهَاجُرِ الْوَاقِعِ مِنْهُمَا ، وَارْتَقَعَ
 مُرَادُهُمْ فِيمَا طَلَبُوهُ مِنَ الْفَسَادِ بَيْنَهُمَا ، سَكَنُوا . وَكَأَنَّ أَرَادَ بَسْعَى الدَّهْرِ سَعَى أَهْلِ
 الدَّهْرِ ، كَذَلِكَ أَرَادَ بِسُكُونِ الدَّهْرِ سُكُونَ أَهْلِ الدَّهْرِ .

٤٦٢

وقال^(٢) :

١ - يَبِيدُ الَّذِي شَمَفَ الْفُؤَادَ بِكُمْ تَقَرِّبُجُ مَا أَلْقَى مِنْ أَلْهِمٍ^(٣)
 ٢ - وَتُقَرَّرُ عَيْنِي وَهِيَ نَازِحَةٌ مَا لَا يُقَرَّرُ بَعَيْنٍ ذِي الْحِلْمِ

(١) كتب في الأصل تحت كلمة « العُشَّاقِ » : « الأيام » . ورواية التبريزي والقال :
 « وَيَا سَلَوَةَ الْأَيَّامِ » .

(٢) أي أبو صخر المنلى . والأبيات بهذه النسبة في الأغاني (٢٠ : ١٤٧ - ١٤٨)

(٣) الأغاني : « فرج القى ألقى » . كما أن الرواية فيها « هُتِفَ » بالفتح المعجمة .

الذي شَفَعَ القلب به من زعمه هو الله تعالى . ومعنى شَفَعَ القواد : أصاب
شَفَعْتُهُ . وشَفَعَهُ كلُّ شيء : أعلاه . وقوله « بكم » أراد بحبكم ، ويقال : فلانُ
مشعوف بكذا ، إذا شُفِلَ قلبه به وأصيب . وارتفع « تفريج » بالابتداء ، وخبره
بيد الذي ، على طريقة سيبويه ، وعلى مذهب أبي الحسن الأخفش ارتفع
تفريج بالظرف ، وللمنى : بيد الله الذي ابتلاني بكم ، وشَقَلَ قلبي بحبكم ، كشفُ
ما أُناسيه من الهم . وهذا الشاعر في الهوى على الضدِّ ممن تقدَّم ذكره ، لأنَّ
شكواه في نهاية القوة والعلو ، كما أنَّ التناذَّ ذاك في نهاية الجِدَّة والعلو .

وقوله « ويُقرُّ عيني وهي نازحة » يريد أنه يسرَّه فيها على بُسْطها منه
ما لا يسرُّ به عاقل . وإنَّما نبَّه بهذا على شدَّة تمنُّعها ، وعلى قوَّة يأسيه منها ، حتَّى
أنَّه مع البعاد إذا أخطر بباله شيئاً من أحوالها التي يُشاركه فيها ، عدَّة مرزئةٍ
منها^(١) ، واستمتاعاً بها . وقد شرَّح ذلك فيما بعده . وقد روى بعضهم : « بين
في الحلم » بضم الحاء ، وليس بشيء .

٣ - إِنِّي أَرَى وَأُظُنُّ أَنَّ سَتَرِي وَصَحَّ النَّهَارِ وَعَالِي النِّجْمِ
لك أن تروى « أني » وتجمله في موضع الرفع بدلاً من « ما لا يُقَرُّ » ؛ ولك
أن تكسر إن ، كأنك تستأنف شرَّح ما قدَّم ، وتفصل ما أنجل . ويكون
للمنى : يُقَرُّ عيني أني أرى بياض النهار وعالي الكواكب بالليل ، وهو أضوُّها
وأعلنها^(٢) ، وأظنُّ أنها تُشارِكُنِي في رؤيتها ، فأفرح بذلك ، وهذا ممَّا لا يفرح
به عاقل ، ولا يمتدُّه لذَّة . ويروى للمنى ما بيَّنته ، على غير هذا ، وهو :

إِنَّ الذي سَأَلْتُ أَنْ سَتَرِي وَصَحَّ النَّهَارِ وَعَالِي النِّجْمِ
فيوتفع وصَحَّ على أن يكون خبر إن ، وأنى بعالي النِّجْمِ على أصله فضم

(١) رزاء مرزئة : أصاب منه خبأ .

(٢) له : « وأغلبها » .

الياء منها . والمعنى ذلك للمعنى ، إلا أنه زاد الظن تراخياً بإدخال السين عليه .
ويُروى :

إِنِّي أَرَى وَأُظُنُّ أَنَّ مَسْتَرَى وَضَحَ النَّهَارِ عَوَالِي النَّجْمِ ^(١)

فينتصب وضح على الظرف ، وعوَالِي على أنه مفعول أرى . والمعنى : أرى
الكواكب ظُهوراً ، فيها أُناسيه من بَرْحِ الموى ، وأظُنُّ أنها سَتْمَحَن في
حُبَّالِي بمثل ما امْتَحَنَتْ في حُبِّي لها ، وَأَنَّ أَسْبَابَ الموى تُفَارِقُنِي وتعود إليها ،
فَتَرَى مثل ما أرى ، فَأَفْرَحُ بذلك وتطيبُ له نفسى ، وهذا مما لا يَفْرَحُ به عاقل .

٥ - وَلَإِيْلَةَ مِنْهَا تَعُوذُ لَنَا فِي غَيْرِ مَا رَفَقْتَ وَلَا إِنَّمِ

٦ - أَشْهَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ تَزَحَّتْ مِمَّا مَلَكَتْ وَمِنْ بَنَى سَهْمِ

نَبَّهَ بهذا الكلام على تهالكه في هواها ، وتناهى صباهه بها ، وَأَنَّ
الْيَسِيرَ إِذَا عَادَ عَلَيْهِ مِنْهَا عَذَّةٌ كَثِيرًا . وقد أَظْهَرَ الْعَقَافَ في بلواه ، وأنه يَتَمَقَّى
ما يَتَمَقَّى فِيهَا حَلَالًا لَا حَرَامًا ، فيقول : وَلَإِيْلَةَ مِنْ أَوَقَاتِهَا تَحْصُلُ لَنَا فِي غَيْرِ
فُحْشٍ تُذْكَرُ بِهِ ، أَوْ إِنَّمِ تَكْتَسِبُهُ ، أَلَدُّ إِلَى نَفْسِي وَأَطْيَبُ فِي قَلْبِي مِنْ
مِلْكِي كُلِّهِ ، وَمِنْ عَشِيرَتِي بِأَسْرَمِ .

وقوله « أَشْهَى إِلَى نَفْسِي » في موضع الابتداء ، وهو وَلَإِيْلَةَ مِنْهَا . وقوله وَلَوْ
تَزَحَّتْ شَرْطٌ فِيمَا نَمَى حَصُولُهُ ، وَقَدْ فَصَّلَ بَهَا بَيْنَ أَشْهَى إِلَى نَفْسِي وَبَيْنَ مَا مَلَكَتْ .
أَيَّ وَإِنْ بَعُدَتْ تِلْكَ الْإِيْلَةُ فَمَادَتْ إِلَى أَوَّلَى أحوالها في التَّمَنُّعِ عَلَى وَالتَّهَضُّعِ مِنْهُ .

٧ - قَدْ كَانَ صُرْمٌ فِي الْمَاتِ لَنَا فَمَجَلَّتْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالضَّرْمِ

٨ - وَلَمَّا بَقِيَتْ لِيَتَفَقَّيْنِ جَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ مُضْغِعٌ جِسْمِي

(١) هي رواية التبريزي ، لكن آخر البيت عنده : « وعالي النجم » .

٩ - فَتَعَلَّمَنِي أَنْ قَدْ كَلِّفْتُ بِكُمْ ثُمَّ أَفْعَلِي مَا شِئْتَ عَنْ عِلْمِ

عاد إلى مخاطبتها ، بعد أن تألم مما تألم ، فقال يعجب عليها :

قد كان لنا في الموت قطيعةً وافتراق ، لكنك لم تصيري إلى حين وقوعه ، ولم تنظري نزوله ، فتمجّلت الشرم قبل الموت ، فلا جرّم أن بين جوانحي داء يبقى مُدَّةً بقائي فيها ، ويُذِيبُ جِيسِي ، وَيَكْسِفُ بَالِي .

وقوله « وَلَمَّا بَقِيتُ » أدخل اللام للوطئة لقسم على ما بقيتُ ، وهو مصدر في موضع الظرف ، لَمَّا يتضمّن من معنى الشرط . وقوله « لِيَبْقَيْنَ جَوِّي » جواب القسم للضمير ، والكلام كأنه : لنن بقيتُ ليعقبن جَوِّي ؛ لأنّ المعنى : ولمُدَّةً بقائي ليعقبن جَوِّي . فحصول الكلام يعود إلى ذلك .

وقوله « فَتَعَلَّمَنِي أَنْ قَدْ كَلِّفْتُ بِكُمْ » يضعون تعلّم موضع اعلم ، إلا أنّ الخطاب ليس له في الجواب أن يقول تعلّمتُ ، لكن يقول : علّمتُ . وللغنى : اعلمني كافي بكم ، وانحطاطي في هواكم ، وكأنّه ما أفاقيه في حبكم ، ثم آثري في بابي ما أردت بعد علمك بالحال ، لأنّ الذي أطلبه رضاك ، ثم لا أبالي بما يلحقني من بقاء أو فناء ، أو سرّاء أو ضرّاء .

٤٦٣

وقال آخر^(١) :

١ - إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فَوَادَكَ مَلَّهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَايَ لَهَا

٢ - يَبْضَاهَا بِأَكْرَمَا النِّعَمِ فَمَصَّاعَهَا بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا

يقول : إن المرأة التي ادّعت عليك ملال قلبك منها ، وإعراضك عنها ،

(١) وكذا وردت الآيات بدون نسبة في أمالي الفالح (١ : ١٥٦) . وعند التبريزي : وقال آخر . قال أبو رياش : من لابن أذينة ، وابن أذينة هنا هو عروة بن أذينة .

وَبَيْتِكَ فِي اسْتِبْدَالِكَ بِهَا ، خُلِقَتْ هَوَى لَكَ كَمَا خُلِقَتْ أَنْتَ هَوَى لَهَا . وَلِلْمَعْنَى أَنَّ دَعْوَاهَا تَجَنَّبَ مِنْهَا ، وَتَسَخُّطُ لَهَا يَظْهَرُ مِنْ شَقِّكَ بِهَا ، وَهِيَ لَكَ لَا انْفِكَالَكَ لِقَلْبِكَ مِنْ عَشْقِهَا ، كَمَا تَدْعِي أَنَّهَا لَكَ بِهَذِهِ الْمِزَالَةِ ، فَأَنْتَ تَهْوَاهَا كَمَا أَنَّ تِلْكَ تَهْوَاكَ ، لَا مَرِيَّةَ فِي ذَلِكَ وَلَا شَكَّ .

وَقَوْلُهُ « بِيضَاءُ بِا كَرَهَا النِّعَم » يَرِيدُ أَنَّهَا نَشَأَتْ فِي النَّعْمَةِ وَالنَّعْمَةُ ، وَأَنَّ خَفَضَ الْعِيشِ رِيَاها وَحَسَّنَ خَلْقَهَا بِحِذْقٍ وَلِبَاقَةٍ ، فَجَلَّ بِحَاسِنِهَا سَرْتَبَةً بَيْنَ مَا يُسْتَحَبُّ دَقَّتْهَا ، وَبَيْنَ مَا يُسْتَحَبُّ خَلَمَتْهَا . وَمَعْنَى « بِا كَرَهَا » سَبَقَ إِلَيْهَا فِي أَوَّلِ أَحْوَالِهَا ؛ لِأَنَّ الْبِكُورَ : اسْمٌ لَا بَدَاءَ الشَّيْءِ ؛ عَلَى ذَلِكَ بِا كُورَةُ الرَّبِيعِ . وَاللِّبَاقَةُ : الْحِذْقُ ؛ يُقَالُ : هُوَ لَبِيقٌ وَلَبِيقٌ ، أَيْ حَازِقٌ . وَمَعْنَى أَدَقَّتْهَا وَأَجَلَّتْهَا : أَتَى بِهَا دَقِيقَةً جَلِيلَةً ، فَمَا يُسْتَحَبُّ دَقَّتْهَا مِنْهَا مِثْلُ الْأَنْفِ وَالْمِغْنِ وَالشَّعْرِ وَالنَّخَصْرِ جَلَّتْهَا دَقِيقَةً ، وَمَا يُسْتَحَبُّ جَلَّلَتْهَا مِنْهَا مِثْلُ السَّاقِ وَالْفَخِيزِ وَالْعَجِزِ وَالْمُتَدَّرِ جَمَلَتْهَا جَلِيلَةً . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(١) :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَّرَتْ وَأَكَلَتْ فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتْ
وَمَا قَالَ :

يَمَانِيَّةٌ تُلِمُّ بِنَا فَتُبْدِي دَقِيقَ مَحَاسِنٍ وَتُكِنُّ غَيْلًا ^(٢)
٣ - حَجَّجَتْ تَحِيَّاتَهَا قَلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَمَهَا
٤ - وَإِذَا وَجَدَتْ لَهَا وَسَاسَ سَلَوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ لَهَا إِلَى فَسَلَهَا ^(٣)
كَأَنَّهَا لَمَّا لَا مَنَّةَ فِي مَلَالِهِ وَظُهُورِ التَّسَلَّى مِنْهُ ، هَجَرَتْهُ وَأَقْبَلَتْ لَا تَقْبَلُ تَحِيَّةً ^(٤) وَلَا تَرُدُّ جَوَابَهَا . فَيَقُولُ : لِمَا أَعْرَضْتَ وَتَحَجَّجْتَ عَنْ رُسُلِي ، وَأَظْهَرْتَ

(١) هُوَ الشُّغْرَى . الْبَيْتُ ١٢ مِنَ الْمُفْضَلَةِ ٧٠ .

(٢) الْبَيْتُ لَوْضَاحِ الْبَيْنِ . سَبَقَ فِي ص ٦٤٣ .

(٣) الْبَرَزِيُّ : « شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْقَوَادِ » .

(٤) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « تَحِيَّة » .

أَطْرَاحُ وَدَّى ، قَلْتُ مُتَأَسِّمًا وَمَتَعَجِّبًا : مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا حِينَ كَانَتْ مَبْقُورَةً عَلَيْنَا ، وَمَا أَقَلُّهَا لَنَا السَّاعَةَ وَقَدْ زَهَدْتُ فِيْنَا هَذَا الزَّهْدَ لِلشَّرَفِ ، وَضَجِرْتُ بِهَا الضَّجْرَ الْمَفْرُطَ . وَالَّذِي اسْتَكْتَرَهُ وَاسْتَقَلَّهُ هُوَ نَيْلُهَا وَمِثْلُهَا . هَذَا إِذَا جَعَلْتَ الضَّمِيرَ مِنْ « أَكْثَرَهَا » وَ « أَقَلُّهَا » رَاجِعًا إِلَى الرَّأْيِ ، وَبِمُجُوزٍ أَنْ يَرْجِعَ الضَّمِيرُ إِلَى التَّحِيَّةِ ، وَالْمُرَادُ : مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا لَوْ حَصَلَتْ ، إِذْ كَانَ فِيهِ مِسَاسُ أَرْمَاقِنَا ، وَحَيَاةُ قُلُوبِنَا . وَمَا كَانَ أَقَلُّهَا فِي نَفْسِهَا . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

إِنْ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِّنْ يُحِبُّ الْقَلِيلُ

وَقَوْلُهُ « وَإِذَا وَجِدْتُ لَهَا وَسَاطِئَ سُلُوءٍ » يَبَيِّنُ بِهِ اسْتِحْكَامَ حُبِّهَا فِي قَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ كَلَّمَا تَدَاخَلَ ضَجْرُ يَدَلَالِهَا وَتَأْيِيْبُهَا ، غَدَّتْ نَفْسُهُ بِالنَّسْلِ عَنْهَا ، وَالتَّصَبُّرِ دُونَهَا ، أَقْبَلَتْ دَوَاعِيَ اللَّيْلِ إِلَيْهَا ، وَالْأَسْبَابُ لِلتَّسَلُّطِ عَلَى قَلْبِهِ ، وَالْمُشْتَمَلَةُ عَلَى لُبِّهِ ، وَلَهَا تَشَفُّعٌ وَتَمَصُّبٌ ، فَزَعَتْ مَا خَطَرَ بِالْبَالِ مِنْ ذَلِكَ ، وَصَارَتْ شَوَافِعُ الضَّمِيرِ أَغْلَبَ عَلَى تَدْبِيرِهِ ، وَأَمَّا لَمْ تَصْرِفَاتِهِ ، حَتَّى يَصِيرَ الْحُكْمُ لَهَا ، وَالغَلْبُ لِقَضَائِيهَا . وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ كَثِيرٍ :

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّهَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ

٤٦٤

وَقَالَ آخَرُ :

١ — أَمَّا الَّذِي حَبَّبَتْ لَهُ الْعَيْسُ وَأَرْتَمَى لِمَرْضَاتِهِ شُنْتُ طَوِيلَ دَمِيلِهَا

٢ — لَيْنٌ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ يَوْمًا أَذَلَّنِي عَلَى أُمِّ عَمْرِو دَوْلَةٍ لَا أَفِيلُهَا

افْتَتَحَ كَلَامَهُ بِأَمَّا ، ثُمَّ أَقْسَمَ بِاللَّهِ ، لِأَنَّ الَّذِي فَصَلَّتِ الْعَيْسُ بَيْتَهُ ، وَطَلَبَتْ

الْحُجَّاجَ الْغُبَّارَ الْوُجُوهَ الطَّوَالَ الدَّمِيلَ مَرْضَاتِهِ ، هُوَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ()

(١٥٠ — حَاسَةُ — ثَالِثُ)

واللام من «لئن» هي للوطئة للقسَم ، وجواب القَسَم «لا أُقِيلُهَا» .
 والمعنى : والله أئن جَعَلْتَ نَوَائِبَ الدَّهْرِ لِي دَوْلَةً عَلَى أُمَّ عَمْرٍو لَمَدَدْتُ ذَلِكَ
 ذَنْبًا لَا أُقِيلُهَا مِنْهُ . فالضمير من لا أُقِيلُهَا يرجع إلى النائيبات ، كَأَنَّ لَدُنَّه كَانَ
 فِي الْهَوَى ، وَأَنْ يَكُونَ لَتِلْكَ عَلَيْهِ الْبَسْطَةُ فِي الْأَمْرِ ، وَالتَّكُنُّ (١) مِنَ التَّصْرِيفِ
 فِيمَا يَسُوهُهُ أَوْ يَسْرُهُ ، فَإِذَا تَغَيَّرَ الْأَمْرُ عَنْ ذَلِكَ عَذَّةً شَقَاءً وَضَرْراً فَادْحَا . وَهَذَا
 الْوَجْهَ حَسَنٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى الْمَرَاةِ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : إِنِّي إِنْ
 صَارَتْ لِي الْيَدُ عَلَيْهَا ، وَجَعَلْتُ أَمْلَكَ مِنْ أَسْرَهَا مِثْلَ مَا عَمَلْتُ مِنْ أَسْرِي جَازِيَتُهَا
 حِينَئِذٍ بِمَا تَعَامَلُنِي بِهِ كَيْلَ الصَّاعِ بِالصَّاعِ ، وَتَرَكْتُهَا لَا أُنْشِئُهَا مِنْ صَرَعَتِهَا ،
 وَلَا أُقِيلُهَا عَزَّتِهَا . وَهَذَا الْمَعْنَى إِذَا قَاسَيْتَهُ إِلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ كَانَ مَنْحَطًا عَنْهُ ،
 وَوَقَافًا دُونَهُ ، وَفِيهِ إظهارُ الْحِزْنِ عَنْ مَكَايِدَةِ الصَّيَابَةِ ، وَالتَّصْرِيحُ بِسُوءِ الْمَلَكَةِ .
 وَمِثْلُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ لَا يَرْضِيهَا أَرْبَابُ الْهَوَى ، وَالْحُكَمَاءُ عَلَى مُدْعَى الشَّقِيقِ وَلَمْ .
 وَمَعْنَى «أَدْلُنِي» جَعَلَنِي لِي دَوْلَةً . وَيُرْوَى : «أَدْرَنِي» فَيَنْتَصِبُ دَوْلَةً عَلَى
 أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ . وَالذَّائِرَاتُ كَالِهَاتِلَاتِ لَا فَضْلَ . وَمَنْ رَوَى «أَدْلَنِي»
 انْتَهَصَبَ دَوْلَةً عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ ، فَيَكُونُ مَوْضِعًا مَوْضِعَ الْإِدَالَةِ . وَيُقَالُ : أَدَالَكَ
 اللَّهُ مِنْ عَدُوِّكَ ، أَيْ جَعَلَ لَكَ عَلَيْهِ دَوْلَةً .

٤٦٥

وقال آخر :

- ١ - وَكُنْتُ إِذَا أُرْسِلْتَ طَرْفَكَ وَإِنِّدَا قَلْبِكَ يَوْمًا أَتَمَبَّتَكَ الْمُنَاطِرُ
 ٢ - رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُفْلَهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ (٢)

(١) ل : وَالتَّكُنُّ .

(٢) ل : الَّذِي مَا كَفْلَهُ .

الرائد : الذى يتقدم القوم فيطلب لهم الماء والكلاء ، ولذلك قيل فى المثل :
 « لا يكذبُ الرائدُ أهله » لأنه إن كذبَهُمْ هلكَ معهم . فيقول : إنك إذا
 جعلتَ عينتك رائداً لقلبك تطلبُ له مصباً هواه ، ومقرراً لموه وصيباه ، أنتعيتك
 مناظرُها فى مطالبك ، وأوقفتك مواردُها فى أشقِّ مكارهك ؛ وذلك أنها تهجم
 بالقلب فى ارتياده لها على ما لا يصبرُ فى بعضه على فراقه مع مهيجات اشتياقه ،
 ولا يقدرُ على السُّلُوْءِ عن جميعه مع تذكرِ غرائب الحسن منه ، فهو الدَّهرُ يمتحنُ
 ببلوى ما لا يقدرُ على كلِّه ، ولا يصبرُ عن بعضه . والجناية فىهما العين ، لكونها
 قائداً للقواد إلى الردى وسائقاً ، وهادياً لدواعى الحبِّ إليه وحادياً .

وقد ألمَّ بهذا المعنى أبو تمام حيث يقول :

لم تَطْلُعِ الشَّمْسُ المَضِيئَةُ مُذْ رَأَتْ عَيْنِي خِلَالَ الحِذْرِ تَمَسًّا تَقْرُبُ
 لَا عَذْبَنَ جُفُونِ عَيْنِي إِنَّمَا يَجْفُونِ عَيْنِي حُلٌّ مَا أُنْعَذِبُ^(١)

وأبين من هذا قول الآخر :

أَلَا إِنَّمَا العَيْنَانِ لِقَلْبِي رَائِدٌ فَمَا تَأَلَّفِ التَّيْنَانِ فَالْقَلْبُ يَأْلَفُ

وقوله « رائداً » انتصب على الحال ، وجواب إذا أرسلت « أنتعيتك
 المناظر » . وقد حصل خبر كنت فيه ومعه . وقوله « رأيت الذى » تفصيل لما
 أجمله قوله « أنتعيتك المناظر » .

(١) كلما فى ل . ولى الأصل : « حال ما أنعذب » .

٤٦٦

وقال الصمة بن عبد الله القشيري^(١) :

١ — أقول لصاحبي والعيسُ شهوي بنا بين المنيقة فالضمار^(٢)

٢ — تمتع من شميم عرار نجد فتا بعد العشي من عرار
العيس : بياض في ظلمة خفية . والعرب تجعله في الإبل العراب خاصة .
والمنيقة : موضع ، أو هضبة مرتفعة^(٣) . ومنه : أناف على كذا ، أى أشرف ،
وقولهم : مائة وثيف . والضمار : مكان أو وادٍ منخفض يضمر السائر فيه ،
لذلك قال الأعشى :

زأنا إذا أضمرت لك اليللا دُ تُجنى وتقطع من الرخم
ومنه قيل للعدّة للسوق : الضمار ، وقيل لما لا يرجى رجوعه من المال :

الضمار . قال :

* وعينه كالكالي الضمار^(٤) *

يلعبه بأن حاضره كغائبه . يقول : إنى أجارى رفيقى وأباهه قصتنا ،
والزواجل تسرع بين هذين للوضمين ، وأقول في أثناء ذلك مجلهما : استمتنع
بشم عرار نجد ، فإننا نعدمه إذا أمسينا بخروجنا من أرض نجد ومنابته .

(١) التبريزي : « وقال آخر » . والصمة هنا غير والد حريد . وقد سبقت ترجمة الصمة
ابن عبد الله في القطوعة ٤٥٤ من ١٢١٥ .

(٢) اللآلي : ١٤٠ : « نخدي » . والآيات في زهر الآداب (٣ : ١٠٣) ومعجم
البلدان (الضمار ، التيفة) بدون نسبة . ونسبت في معاهد التنميس (٢ : ٨٥) للصمة ، ثم
قال : « وقيل : الآيات لجمعة بن معاوية بن حزم القيلي » . وفي الوساطة من ٣٤ ستة آيات
منها بلا عزو .

(٣) في معجم البلدان أنه ماء تجم على فليج ، بين نجد واليمامة .

(٤) انظر مقاييس اللغة (٥ : ١٣٢) :

والشَّيْمُ : مصدر ، وأكثر ما يجيء فيقولُ مصدرًا في الأصوات ، كالصَّهِيلِ
والشَّحِيحِ ؛ ومثله القَذِيرُ والنَّكِيرُ . ويقال : تَمَتَّعْتُ بكذا ومن كذا .
والقَرَار : بقلة صفراء ناعمة طيبة الرَّيح ، والواحدة عَرَارَةٌ . قال الخليل :
القَرَارَةُ البَهَارَةُ البرِّيَّةُ ، وقيل هو شجر . وقد شُبَّهَ لَوْنُ المَرَاةِ بها . قال الأعشى :
بَيَّضَاكَ ضَحَوَاتِهَا وَصَفَ رَأْيَ المَشِيَّةِ كَالعَرَارَةِ

وقوله « مِنْ عَرَارٍ » مِنْ لاسْتِفْرَاقِ الجِنْسِ ، وموضع « مِنْ عَرَارٍ » رفع
على أن يكون اسمَ ما . والواو مِنْ قوله « والميس تهوى بنا » واو الحال ، وموضع
« تَمَتَّعَ مِنْ شَيْمٍ » نصبٌ لأنَّه مفعولُ أَقُولُ . وقوله « بَيْنَ المُنِيْفَةِ وَالضَّيَارِ »
أَجُودُ الرَوَائِقِ « بَيْنَ المُنِيْفَةِ وَالضَّيَارِ » ، لأنَّ بَيْنَ يَدْخُلُ لشيئين يَتَّبَانِ أحدهما
عن الآخرِ فصاعدًا ، وإذا كان كذلك لا يكتفى بقوله المُنِيْفَةُ فَيُرْتَبَ عليه الضَّيَارِ
بالفاءِ الماطفةِ ، اللهمَّ إِلَّا أَنْ تَجْمَلَ بَيْنَ الأجزاء « لِلنِّيْفَةِ » فتصير المُنِيْفَةُ كاسمِ
الجمع ، نحو القومِ والقشيرةِ وما أشبههما . وعلى هذا جُمِلَ قولُ امرئ القيس :

* بَيْنَ الدَّخُولِ فَهَوَمَلٍ ^(١) *

وكان الأصمعي يَرُدُّه وَيُرويه بالواو .

٣ - أَلَا يَحْبِذًا فَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرِيًّا رَوْضِهِ غِيبُ القِطَارِ ^(٢)

٤ - وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارٍ

٥ - شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٍ وَلَا سِرَارٍ ^(٣)

(١) البيت أول معلقة امرئ القيس . وهو بتمامه :

فَقَانِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٌ وَمَنْزِلٌ بِسَطِّ الوَيْ يَبْنُو الدَّخُولَ غُومَلٌ .

(٢) ل والتبريزي : « بِد القطار » .

(٣) ضبطت السين بالفتح والكسر في الأصل والتبريزي . وسيأتي في الضمير أن

الأضمح الفتح .

الآ: حرفٌ لافتتاح الكلام ، وللنادى في يا حَبِذا محذوف كأنه قال يا قوم
أويا ناس ، حَبِذا نفحات نجد . وارتفع نفحاتُ بالابتداء ، وخبرُه حَبِذا ،
كأنه قال : محبوبٌ في الأشياء نَفَحَاتُ نَجْدٍ ، وهو تَضَوُّعُ الرِّيحِ بالنَّسيمِ العليل .
ويقال : له نَفْحَةٌ طَيِّبَةٌ وخبيثة . وقوله « رَيَّا رَوْضِهِ » يراد بها الرَّاحَةُ هنا .
وارتفع قوله « وأهلك » عَطَفًا على وَرَيَّا ، وهما جميعاً مَطْوَفَانِ على « نفحات »
وكأنه قال : وحَبِذا أزمانُ أَهْلِكَ حينَ كانوا نازلين بنجدٍ وأنت راضٍ من
الزَّمان ، لمساعدته إِيَّاكَ بما تهواه وتريده ، فلا تَعِيبُهُ ولا تَشْكُوهُ . ويقال :
زَرَنْتُ عليه ، إذا عِيبْتَ عليه ؛ وَأَزَرَنْتُ به ، إذا قَصَرْتَ به . وقوله « وأنت »
الواو واو الحال ، وارتفع « شهوؤ » على أَنَّهُ مبتدأ ، وهو تفسير الزَّمان الذي حَمَدَهُ
وتلَهَّفَ على انقضاءه . وقوله « ينقضين » خبره . ويجوز أن يرتفع شهوؤ على
أَنَّهُ خبر مبتدإ محذوف ، وما ينقضين حينئذ يكون صفةً له . وقوله « وما شَعَرْنَا »
أى ما عَلِمْنَا . يقال : شَعَرْتُ به شِعْرَةً وشِعْرًا . ومنه الشَّعْر . يقال :
شَعَرَ الرَّجُلُ ، إذا قال الشعر ، فشَعَرَ بكسر الميم أى صار شاعراً . وسَرَّارُ
الشَّعْرِ : آخرُهُ ؛ لأنَّ القمرَ يَسْتَسِرُّ فيه . وقد حُكِيَ كسر السين فيه ، وليس
بكثير . والمعنى : يا قوم ، محبوبٌ فيما تَقْضِي نَسِيمُ أرواحِ نجدٍ وروائحِ رِياضِهِ
عِيبَ إِيْتَانِ المَطَرِ عليه ، وهزُّ الرِّيحِ لنباتها . ومحبوبٌ أيضاً زمانُ أَهْلِكَ وإِقَاتِهِمْ
بنجدٍ ، حينَ كنتَ تشكُرُ وقتَكَ وترتضيه ، إذْ كانتْ شهورُهُ وأيامُهُ تنقضى
وأنت لا تشعُرُ بأنصافها ، ولا بأوائِلها وأواخرها ، لاشتغالِكَ بملوك ، وذَهابِكَ
في غفائِكَ . وهم يَسْتَقِيرُونَ أَيَّامَ السَّلامَةِ والسَّعادةِ ومواصِلَ الأَحِبَّةِ ، وعندَ
طالعِ النَّهْرِ والأندارِ لهم ، كما يستطيعون ما كان على خِلَافِهِ من الشُّهورِ
والأعوام .

٤٦٧

وقال آخر :

١ - وَمَا شَجَانِي أَنِّي يَوْمَ أَعْرَضْتُ تَوَلَّيْتُ وَمَا الْعَيْنُ فِي الْجَفْنِ حَاضِرُ

٢ - فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظَرٍ إِلَى التَّفَاتَا أَسْلَمْتُهُ الْمَاجِرُ

يقول مُلْكًا بالمعنى الذى شرحه أبو تمام حين قال :

لَأَوْدَعَنَّكَ ثُمَّ تَذْمَعُ مُقْلِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعُ الثَّانِي

يقول : وَمَا حَزَنَتْنِي وَصَارَ نَعْسَبُ عَيْنِي وَحِلْفُ قَلْبِي ^(١) ، تَذَكَّرْتُ بِهِ الْأَحْوَالُ
 فَلَا أُنْسَاء ، وَمَثَلُهُ لِنَظَرِي الْأَوْقَاتِ فَلَا أَتَغَاهَا ، أَنْ صَاحِبَتِي يَوْمَ الْفِرَاقِ عِنْدَ
 الْوَدَاعِ أَعْرَضَتْ لِي وَدَمْعُهَا يَتَرَفَّقُ فِي جَفْنِي عَيْنَهَا وَيَتَحَيَّرُ ، لَامْتِلَافُهَا بِهِ ،
 إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ فَلَا تَسِيلُهُ ، فَلَمَّا أَعَادَتْ التَّفَاتَا إِلَيَّ بَعْدَ إِعْرَاضِهَا عَنِّي ،
 بِنَظَرٍ جَدَّدَتْهَا ، أَسْلَمْتُ مُحَاجِرُ عَيْنَهَا مَا اجْتَمَعَ فِيهَا مِنَ الدَّمْعِ ، فَتَحَدَّرَ فِي مَدَامِهَا ؛
 لِأَنَّ ذَلِكَ كَوْدَاعٍ ثَانٍ مِنْهَا ، وَكُنْتَعَةٍ مَتَمَتْنِي بِهَا ، وَزِيَادَةٍ زَادَ فِي الْحُبِّ زَوْدَتْنِيهَا .
 وقوله « أَنِّي » مَبْدَأُ وَ « مَا شَجَانِي » خَبَرُهُ . وَيُقَالُ : شَجَاهُ يَشْجُوهُ شَجْوًا
 فَشَجِي يَشْجِي ، فَهُوَ شَجَجَ . وَحَارَ اللَّاءُ وَالْقَمْعُ ، إِذَا نَحِيَ فِي مَوْضِعِهِ وَقَدْ
 مَلَأَهُ فَلَا مَوْضِعَ لَهُ . وَقَوْلُهُ « أَعْرَضْتُ » : أَبَدَتْ عَرَضَهَا . وَخَبَرُ أَنْ تَوَلَّيْتُ .

وقوله « فَلَمَّا أَعَادَتْ » يَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّفَاتَا مَفْعُولَ أَعَادَتْ ، وَمَوْضِعُ بِنَظَرٍ
 حَالًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَمَّا أَعَادَتْ التَّفَاتَا نَازِرَةً مِنْ بَعِيدٍ إِلَى أَسْلَمْتُهُ . وَجَوَابُ لَمَّا
 « أَسْلَمْتُهُ » ، وَإِلَى تَمَلُّقِ بِنَظَرٍ . وَلَا يَحْجُوزُ أَنْ يَتَمَلَّقَ بِالتَّفَاتَا ، لِأَنَّهُ إِذَا جِيلَ

(١) حِلْفًا مَا قِيلَ . وَفِي الْأَصْلِ : « حِلْفُ قَلْبِي » .

كذلك يكون صلة المصدر وقد قُدمت على الوصول . ويجوز أن يكون بنظرة في موضع المفعول لأعادت ، والباء إن شئت جعلها زائدة ، وإن شئت جعلتها مؤكدة ، كما جاء في قول الآخر^(١) :

* سَوْدُ الْحَاجِرِ لَا يَقْرَأَنَّ بِالشَّوْرِ^(٢) *

ويصير « التفاتاً » مصدرأ في موضع الحال ، والتقدير : لما أعادت نظرهما من بعيد إلى ملففة أسلته . والهاء من أسلته للدفع كما قلعت . والمحاجر : جمع الحجر ، وهو ما يبدو من نقاب المرأة إذا تنقبت . والكَيْه حَوْلَ الْعَيْنَيْنِ^(٣) يقال لها : التَّحْجِير . ويقال : حَجَّرَ الْقَمْرُ ، إذا استدار حوله خط رقيق .

٤٦٨

وقال آخر :

١ - وَلَمَّا رَأَيْتُ الْكَاشِحِينَ نَذَّبُوا هَوَانًا وَأَبْدَوْا دُونَنَا نَظْرًا شَرًّا
٢ - جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قِلَى أَزُورُكُمْ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا
الكَشْحُ : ما بين الخاصرة إلى الضلع ، والكاشح : العدو الباطن العداوة .
ويقال : هو بَيْنَ الْكَشَاحَةِ وَالْكَاشِحَةِ . ويقال : طَوَى فَلَانٌ كَشْحَهُ عَلَى كَذَا ، إذا استتر عليه . وهذا كلامٌ مُتْبَقٌ عَلَى الْمُحْبُوبِ ، كَارِهِ لَا تَنْشَارُ الْقَالَةُ فِيهِمَا ، غِيَارٌ لَاسْتِتَارِ الْهَوَى بَيْنَهُمَا . فيقول : لَمَّا رَأَيْتُ الْوَشَاةَ يَنْتَبِسُونَ أَحْوَالَنَا بِالْغِيَمَةِ وَإِفْشَاءِ أَسْرَارِنَا ، وَأَخَذُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا نَظْرَ الْأَعْدَاءِ بِتَحْدِيقٍ شَدِيدٍ ،

(١) هو الرامي النهرى ، أو التال السكاني . انظر ما سبق في حواشي ٣٨٣ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ .

(٢) حمزه : * من المرائر لا ربات أجرة *

(٣) ل : « الكيه » .

واستكشاف لما خفي من أمرنا بليغ ، أقبلتُ أحترزُ وأقصرُ أشواطهم فيما بَنَتْحُونَهُ
من مَسَاءَتِنَا ، والقعود والقيام بذكرنا ، فَأَتَاخَرُ عن زيارتكم شهراً وأوافيكم
يَوْمًا ؛ هذا ولا أَقْصِدُ جِئَاءَ ولا أَضْمِرُ بِنَفْصَا ، وإنما بي مَضَى أَيْامُنَا بِالسَّلَامَةِ
منهم ، وردَّ كَيْدِهِمْ في نحورهم ، ولئلاَّ يَجِدُوا مَقَالًا فَيُرَكَّبُونَ عليه قصصاً وأنباء .
وقوله « نظرأ شزراً » يقال : هو يَشْزِرُ الطرفَ إلى ، إذا نظَرَ نظراً منكراً
يتبين فيه القداوة . قال أوس ^(١) :

إِذْ يَشْزِرُونَ إِلَى الطَّرْفِ عَنْ عُرْضٍ كَانَ أَعْيَنَهُمْ مِنْ بِنْفَضِي عَوْرٍ
وقوله « جملتُ » لا يحتاج إلى مفعول لأنه في معنى طَلَفْتُ وأقبلتُ .
وانتصب يوماً وشهراً على الظرف ، و « تتبَّعوا هواناً » في موضع المفعول
الثاني لرأيت .

٤٦٩

وقال بمض القرشيين ^(٢) :

- ١- يَبْنَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِ قَالِقَا عِ سِرَاعَاوَالْمَيْسُ تَهْوِي هَوِيًا ^(٣)
- ٢- خَطَرَتْ خَطَرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكِّ رَاكِ وَهْنًا فَاسْتَطَعْتُ مُضِيًا
- ٣- قُلْتُ لَتَبِكَ إِذْ دَعَانِي لَكَ الشُّو قُ وَلِلْحَادِيَيْنِ كُرًّا الْمَطِيًا ^(٤)

(١) أوس بن حجر . ديوانه ص ٩ .

(٢) التبريزي : « وهو أبو بكر بن عبد الرحمن بن السور بن غرمة ، خرج إلى الشام ،
فلما كان ببعض الطريق ذكر امرأته سالحة بنت أبي عبيدة بن المنذر بن الزبير ، وكان شديد
الحب لها ، فضرب وجهه رواحله إلى المدينة وقال : يَبْنَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِ . فلما رأت رجوعه
من أجلها وبسنت الشعر قالت : لا جرم والله لا أستأثر عليك بشيء ! فضاطرته مالها ، وكانت
تضنُّ عليه بما لها . » وأنشد ياقوت في (البلاك) بيتاً لكثير ، ثم قال : « وقال أيضاً » ،
وأنشد الأبيات ، فهي عنده منسوبة لكثير .

(٣) ابن جني في التنبية : « في بلاك بالفاع » .

(٤) التبريزي وياقوت : « حنا للمطيا » .

قد تقدّم القول في « بينا » و « بينا » جميعاً^(١) ، وأنها يستعملان في المفاجأة . وانتصب « سراعاً » على الحال ، لأنه جعل بالبلاكت مستقرّاً . والواو من قوله « والعيش » واو الابتداء وهو الحال أيضاً .

وقوله « خَظَرَتْ خُظْرَةٌ^(٢) » هي الحالة التي فاجأهم . وانتصب « وَهْنَا » على الظرف ، ومعناه بعد ساعة من الليل . وقوله « خَظَرَتْ خُظْرَةٌ » ، يقال : خَظَرُ يَخْطُرُ ، وَخَظَرُ البعيرُ بذنبه خَظَرَانًا . ويقال : سَنَحَ لى سَاحٍ ، وَهَسَ هَاجِسٌ ، وَخَظَرُ خَاطِرٍ . وكأنه أجرى خَظَرَتْ خُظْرَةٌ مجرى قوله : دَعَتْ دَعْوَةً من ذَكَرَكَ ، لقوله : « قَلْتُ لَبَيْكَ إِذْ دَعَانِي لَكَ الشُّوقُ » . والشاعر وَصَفَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ الْهَوَى ، وَأَنَّهُ فِي مَلَكَتِهِ ، إِذَا دَعَاهُ أَجَابَ حَتَّى لَا يَقْدِرَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ . فَيُرِيدُ : بَيْنَا نَحْنُ بِهِذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ نَسِيرُ مُسْرِعِينَ ، وَالزَّوْاحِلُ تَهْوِي بِنَا فِي أَثْنَائِهَا وَمَعَاطِفُهَا ، وَتَقْطَعُ الْمَسَافَةَ بَيْنَهُمَا ، خَظَرَتْ ذِكْرَةً يَبَالَى ، وَقَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةٌ ، فَتَحْبِرْتُ حَتَّى لَمْ أَقْدِرْ عَلَى التَّوَجُّهِ فِي الْقَصْدِ الَّذِي كُنْتُ أَوْثُهُ ، وَحَتَّى لَمْ أَمْلِكْ إِلَّا إِجَابَةً دَاعِي الشُّوقِ إِلَيْكَ بِالتَّائِيَةِ وَالْوُقُوفِ لَهُ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ قُلْتُ لِلْحَادِيَيْنِ : انْصَرِفَا وَاعْطِنَا بِرَمُوسٍ مَطْلُكُمَا ، فَقَدْ مَنَعَ مَطَاعَتَهُ أَوجِبٌ ، وَدَفَعَ فِي صَدُورِنَا مَنَ أَمْرُهُ أَنْفَذُ .

وقد تقدّم الفرق بين الهوى والهوى^(٣) .

وقوله « بالبلاكت فالقاع » رَبَّ الْقَاعِ عَلَى الْبَلَاكِتِ بِالْفَاءِ الْمَاطِفَةِ ، كَأَنَّهُ ارْتَقَى مِنْهَا إِلَيْهَا ، وَيُجُوزُ أَنَّ الْبَلَاكِتِ اسْمُ لِبْقَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ لِأَنَّ بِنَاءَهُ بِنَاءُ الْجَمْعِ . وقوله « لَبَيْكَ » هُوَ مِنْ أَلْبَ بِالْمَكَانِ ، إِذَا أَقَامَ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْصَرِفُ كَمَا أَنَّ سَبْحَانَ اللَّهِ لَا يَنْصَرِفُ . وَالْكَلِمَةُ مُثْنَاءٌ عِنْدَ سَبْيِهِ ، وَلِلرَّادِ عِنْدَهُ إِقَامَةٌ

(١) انظر ما مضى في المحاسنة ٤٤٩ من ١٢٠٣ .

(٢) الكلام منه إلى « خَظَرَتْ خُظْرَةٌ » التالية ، ساقط من ل .

(٣) انظر ما سبق في ص ٩١ .

للداعي تتبعها إقامة ودوائه على طاعته ومتابعته . ويُقرن بها سَعْدِيك ، المعنى : مساعدة بعد مساعدة واستمراراً على مشايسته . وحصل التكرير والاتصال فيه بالتثنية ، كما حصل بالتكرير في قولك : ادخلوا الأول فالأول . قال سيويوه : أخبرنا أبو الخطّاب أنه يُقال للمداوم على الشيء لا يُقْلَع عنه ولا يفارقه : قد ألب عليه . وأنشد للتثنية فيه قول الشاعر :

دَعَوْتُ لِيَا نَابِيَّ مِسُورًا فَلَقِيَّ فَلَقِيَّ يَدَيَّ مِسُورًا^(١)

هكذا روايته وإنشاده عن العرب بهذا اللفظ . وحكى أيضاً عن بعضهم : لبّ بالكسر ، يجعله صوتاً مثل غاقٍ . وعند يونس أنه موحد لبي ، وانقلب ألفه ياء كما انقلب في كَلَى وَلَدَى عند الإضافة إلى مضر . وعلى مذهبه يجب أن يكون « فَلَقِيَّ يَدَيَّ » كما أن كَلَى وإلى وَلَدَى إذا أضيفت إلى الظاهر لا يفتقر إليها . تقول : على زيدٍ وإلى عمرو .

٤٧٠

وقال آخر^(٢) :

١ - اسْتَبَقِي دَمْعَكَ لَا يُودِ الْبَكَاءُ بِهِ وَاكْفَيْ مَدَامَ مِنْ عَيْنِكَ تَسْتَبِقُ

(١) البيت من أبيات سيويوه الحسين التي لم يعرف لها قائل . سيويوه (١ : ١٧٦) ، والحزاة (١ : ٢٦٨) .

(٢) البرزى : « وقال ابن هرمة » . وهو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة القهري ، كان من الشعراء المعاصرين لجرير . وكان الأسمي يقول : ختم الشعر ابن هرمة ، وحكم الحفري ، وابن ميادة ، وطفيل الكنانى ، ودكين الصفري . وفي الأغانى (٤ : ١١٣) : « ولد ابن هرمة سنة تسعين وأند أباه جعفر المنصور قصيدته التي يقول فيها :

لن القواني قد أهرضت مقلية لما رعى حلف الحسين ميلادي

ثم مر بعدها مدة طويلة » . وقد ذكر ابن جني في اللبج « أن مأخذ هرمة من المهرم ، بالفتح ، وهو ضرب من التبت . وانظر الحزاة (١ : ٢٠٣ - ٢٠٤) واللائى ٣٩٨ ، والصراء ٧٢٩ - ٧٣١ .

٢ - ليس الشؤون وإن جادت بباقية ولا الجفون على هذا ولا الخلق قوله « لا يؤد البكاء به » يجوز أن يكون جواب الأمر ، ويجوز أن يكون نهياً وهو أحسن وإن لم يكن معه حرف العطف ، وذلك لأنه قد ذكر بعده « واكف مدامع من عيئك » ولم يأت له بجواب ، كأنه أمره باستبقاء الدمع ، ونهاه عن التهاك في البكاء فيفسد عليه آلتة . ثم أمره بكف المدامع وهي تستبق . وإذا كان الكلام نهياً بعد أمر وأمر بعد نهى ، كان أبلغ . ومعنى أودى بكذا أهلكه . والاستباق في اللدامع مجاز ؛ لأن الذي استبق في التحدث هو الدمع . والدمع : مجرى الدمع ، ولا يتمتع أن يكون للدمع اسماً للحدث الذي هو السيلان ، كأنه موضوع موضع الدمع ، وهو مصدر دمعت ، ويكون المراد به أيضاً العين التي هو الجارى ؛ لأن الاستباق لا يصح إلا فيه .

وقوله « ليس الشؤون وإن جادت بباقية » يريد : أنك إن أدمنت البكاء استهلكت منابع الدمع ومجاريها ، وأطباق العين وحاليقها ؛ لأن شيئاً من هذه الآلات وإن سمحت بالإجابة مدة لا يدوم على فقلك ، ولا يقوم لتكليفك . وقوله « على هذا » أشار بهذا إلى فعله . وعلى تعلق بباقية ، وهو مضمر دل عليه الباقية للذكورة ، كأنه قال : ولا الجفون باقية على هذا ، وجعل « لا » من قوله ولا الجفون بدلاً من ليس . والجفن في اللغة : اللع والحنس ؛ لذلك نرى غلاف السيف الجفن .

٤٧١

وقال آخر :

١ - قد كنت أعلو الحب حيناً فلم يزك لي التفض والإبرام حتى علانيات يقول : بقيت أزاويل الحب وأجاذبه ، وهو معنى متبرّد بين أن علوه تارة

فأدقته عن نفسى بجهدى ، وبين أن يملؤنى فينبلى على رُادى ، يأخذ مقره
من فزادى ، فلم ترك بين التفتض والإصرار ، أنقض عليه وهو يُمرّ ، وينقض
على وأنا أمير ، إلى أن صار القلب له .

وهذا الذى أشار إليه حالة الحب إذا لم يكن عن اعتراض . لذلك قال
أبو تمام :

هوى كان خلساً إن من أبرح الهوى هوى جلت في أفيانه وهو جائل^(١)
كأنه يريد المحبوب فيفكر في محاسنه حالاً بعد حال ، وقتاً بعد وقت ،
ويستحلبها^(٢) شيئاً بعد شيء ، إلى أن يصير لها في قلبه قادح ونازع ، فيدفعه
عن نفسه بأن يزيّف تلك المحاسن ، ويتناسى ويذّرأ في صدر ذلك القادح من
الهوى ويتأتّى^(٣) ، فكلما قدّر أنه قد تخلّى علوّده الوسواس جدّعا ، فلا يزال
بين التبول والامتناع ، والتأسك والانهيار ، ومدافعة الداء بالتواء ، إلى أن
يصير القلب للهوى .

والمعارض من الهوى هو الذى يقع عن أول وهلة ، فيسي القلب في دفعة
واحدة ، إلا أن تركه أسرع ، كما أن أخذه أسرع . على ذلك قول الأعشى :

* علقته عرساً^(٤) *

وما يجرى مجراه . وهم يشبهون مثل هذا الهوى بنار توقد بغير أم أو برفج
وما يجرى مجراه ، فترفع سريعاً وترجع سريعاً . وأنشد ابن الأعرابي بيتاً

(١) في الديوان ٢٥٦ :

هوى كان خلساً إن من أحسن الهوى هوى جلت في أفيانه وهو خائل

(٢) ل : « ويستحلبها » .

(٣) ل : « ويتأتى » .

(٤) البيت بتمامه :

« علقته عرساً وعلقت رجلاً » . غيرى وعلقت أخرى : غيرها الرنيل .

في قسمة [الموى^(١)] زعم أنه لا ثاني له ، وأنَّ قائله لا يُعرف وهو :
ثَلَاثَةُ أَحْبَابٍ قَصَبٌ عِلَاقَةٌ وَحُبٌّ تِلَاقٌ وَحُبٌّ هُوَ الْقَتْلُ^(٢)
يعنى ما يكون من تمُّل وطول تأمل .

٢ — ولم أرَ مثليتنا خليلي جنابةً أشدَّ على رَغْمِ القَدْوِ تصافياً
نبه بهذا الكلام على أنها مع المجانبة واستعمال الحذر ، واستدفاع شرِّ
الزُّهْبَاءِ والحافظين بترك الورد والصدْر ، وإكسادِ سوق الوُشَاةِ والتَّمَامِينِ
ياخذ نائرة الخبَرِ ، يُصَافِي كُلَّ واحدٍ منهما صاحبه ، حتَّى لا خلل في الموى
ولا فساد ، ولا استزادة في الحبِّ ولا عتاب ، ولا تَسَلُّطُ تَهْمَةٍ^(٣) لمارسِ نَسْلِ^(٤)
وحؤولٍ عن عهد .

وإنما قال « على رَغْمِ القَدْوِ » استهانةً بهم . وهو من الرِّغَامِ : التُّراب .
وإذا قيل : أرغم الله أنفه فالعنى أذلَّ الله وأسخطه . وانتصب « تصافياً » على
التمييز . وقوله « خليلي جنابة » انتصب على أنه بدل من مثليتنا ، وأشدُّ مفعول
ثانٍ لأرى .

٣ — خَلِيلَيْنِ لَا تَرْجُو لِقَاءَ وَلَا تَرَى خَلِيلَيْنِ إِلَّا يَرْجُوَانِ التَّلَاقِيَا
ذَكَرَ أَنَّ الْيَأْسَ قد استقرَّ في قلبِ كُلِّ واحدٍ منهما من مُلَاقَاةِ صاحبه
والتَّصَافِي بينهما هو أَنَّ ذَلِكَ من كَالِ الْبَلَاءِ ، إِذْ لَا يُوجَدُ خَلِيلَانِ غَيْرُهُمَا إِلَّا وَهْمًا
على شَفَا الرَّجَاءِ فِي الْاجْتِمَاعِ ، وَقُوَّةِ مِنَ الطَّمَعِ فِي الْإِلْتِقَاءِ وَالِاسْتِمْتَاعِ ، وَالْيَأْسُ الَّذِي

(١) النكلمة من ل .

(٢) كذا ضبط البيت في النسخين ، ويصح أن يقرأ بالإضافة ، بجر « عِلَاقَةٌ »
و« تِلَاقٌ » . وانظر مجالس معلب ٢٩ . وفي إرمباب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه
ص ٨١ ، قال معلب : ومثله :

ثَلَاثَةُ أَيْتَاتٍ فَبَيْتٍ أَحْبَبَهُ وَيَتَانِ لَيْسَا مِنْ هَوَايَ وَلَا شَكْلَى
ل : « بهمة » .

(٤) في الأصل : « تفكك » ، صوابه في ل .

أشار إليه كأنه لا ارتفاع منزلة المحبوب عن منزلته، أو لكثرة أوليائه وقوة عشيرته أو لفافه وتأله، وما يجرى مجراها .

٤٧٢

وقال آخر^(١) :

١ — وكلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمانِ رَأَيْتُهَا سِوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ هَيْئُهُ الْخَطْبِ^(٢)
موضع « سِوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ » نصب على أنه مستثنى مقدم، لأن تقدّمه على صفة المستثنى منه كتقدّمه عليه نفسه . ومعنى البيت ظاهر .

٤٧٣

وقال الحسين بن مطير^(٣) :

١ — فَيَا عَجَبًا لِلنَّاسِ يَسْتَشْفِرُونَنِي كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا بَعْدِي مُحِبًّا وَلَا قَتِيلًا
قوله « يستشفرونني » أى ينظرون إلىّ ، وتطمح أبصارهم نحوى ، ويؤذون أنى على شرف من الأرض ، لأكون معرضاً لهم .

والشاعر أخذ يتعجب من أحوال الناس فيما رأوه عليه ، واستعطفهم لحالته فى حبه ، واستشفهم لما يشاهدونه عليه ، حتى كأنه يدع من الحوادث لم يشاهد مثله ، ولم يقع فى تقدير أحد جواز صورته ، فقال : يا عجباً للناس فى حال استشفهم لى ، واستطلاعهم من جهى ما أنا عليه ، وإفراطهم فى التعجب بما يجدونى مبتلى به ، وسرهوناً له . كأنهم لم يشاهدوا قبل مشاهدتهم لى ، ولا بد

(١) هو قيس بن ذريح ، صاحب لى . انظر مجالس طلب ٢٨٥ — ٢٨٧ وشرح
خواهد الغنى للسيوطى ١٨٣ والأغانى (٨ : ١١٢) .
(٢) رواية طلب والسيوطى عنه :
وكل ملأت الدهور وجنتها سوى فرقة الأحباب هيئة الخطب
وفى الأغاني : « وكل ملأت الزمان وجنتها » .
(٣) سبقت ترجمته فى المجالسة ٣١٩ ص ٩٣٤ .

مشاهدتهم لي عبثاً ، وكأنَّ الحبَّ شيءٌ أنا ابتدعته ^(١) ، وكأنَّ مسبباته لم توجد قطُّ إلا في . وليس الأمر كذلك ، لأنَّ الدنيا وأهلها إذا تَوَسَّلَتْ أحوالهم فيها لم يُعَوِّزْ تقديراً أو تحصيلاً مَنْ حاله حالٌ مثلي فيه زائداً على ما أنا عليه ، أو قاصراً عنه . هذا إذا جعلت « لم يرَوْا » بمعنى لم يشاهدوا . فإن جعلته بمعنى لم يعلموا كان المعنى أكشَفَ وأبين ، إلا أنَّه يكون بمعنى يعرف ، ويكتفي بمفعول واحد . وقوله « بمدى » أى بمد رؤيتهم لي ، فحذف المضاف ، وكذلك قوله « ولا قبلي » يريد ولا قبل رؤيتهم لي . وقوله « يا هجيباً » يجوز أن يكون منادى مضافاً ، ويجوز أن يكون مفرداً ، وقد تقدَّم القول فيه وفي أشباهه .

٢ - يقولون لي اصبرم رجع العقل كله وصرم حبيب النفس أذهب للعقل يقول : يُشِيرُ الناس على بالتسلي عنها ، والأخذ في مصارمتها ، وأخذ النفس على الانفكاك منها ، فإن في ذلك بزعمهم إذا تدرَّجت فيه مراجعة العقل كاملاً ، وانتزاع رِبْقَةِ الذَّلِّ عاجلاً . وإذا تأملتُ حالي في قبول ما يشيرون به ، وركوب الجِدِّ في قطيعتها ، والحيلولة بين النفس ومُمرادها فيها ، وجدتُ ذلك أدعى إلى زوال العقل كله ، وإن كان الباقي منه شُفَافَةً ، وأجلبُ هلاكِ النفس ، وخرج الصدر ، وإن كنتُ عائشاً بصُبابَةٍ . وقوله « أذهب للعقل » قد تقدَّم القول في أن سيَّوِيَهَ يجوزُ بناء فعل التعجب بمد الثلاثي ممَّا كان على أقلِّ خاصة ، فإذا جاز ذلك فهناك التفضيل يقيمه .

٣ - ويا عجباً كم من حبٍّ من هو قاتل كائنٍ أجزيه للودعة من قتلٍ تعجب من حال نفسه في مقاساة ^(٢) ما يقامى منها ، وبقائه ^(٣) على حبِّها

(١) ل : « أبتدعته » .

(٢) ل : « مقاساته » .

(٣) هنا ما في ل . وفي الأصل : « وبقائه » .

فيقول : إني أدام اعتقاد الجليل لما ، وقيام القلب بجملة الهوى فيها ، حتى كأي أجازيها على قتلها إني أن أزيد في ودّها وإخلاص العقيدة لما . وقوله « من قتلى » أراد من قبلها لى . والمصدر يُضاف إلى المفعول كما يُضاف إلى الفاعل ، وكذلك قوله « من حب من هو قاتلى » أى من حب من هو قاتلى ، لأن من موضع المفعول . وقوله « يا محبباً » يجوز أن يكون الألف بدلاً من ياء الإضافة ، ويجوز أن يكون ألف التثنية وزيدت ليمتد الصوت به ، ويكون يا محب منادى مفردا ، وامتداد الصوت يدل على عظم البلية ، وتضخم أمر العجبية .

٤ — ومن بينات الحب أن كان أهلها أحب إلى قلبى وعينى من أهلى يقول : ومن آيات حبى البينة ، وشواهد الصادقة ، على تكامله لما ، وتناهيهِ في استحسانها ، أنى أوتر أهلها على أهلى ، وأن رتبته في القين والقلب أعلى من رتبة عشيقى عندى . وقد خلص هذا المعنى عنقده حيث قال :

عُلِقَتْهَا عَرَضًا وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا زَعَمَا لِعَمْرُ أَمِيكَ لَيْسَ بِمَزْعَمٍ^(١)

لأن في قضية الهوى والعقل أن حبها مع عداوة أهلها ليس بمنسب ولا منسب ، بل ينافي كل واحد صاحبه^(٢) ، وأن الواجب أنها إذا كرمته عليه فكل متسبب إليها بسبب ، ومنسب [بمنسب^(٣)] ، يجب أن يكون مؤثرا عنده ، مبيّلا في حكمه .

وأيمن من ذلك كله قول الآخر :

وَأَقِيمُ لَوْ أَنِّي أَرَى نَسَبًا لَهَا ذَنَابَ الْفَلَا حَبَّتْ إِلَى ذَنَابِهَا^(٤)

(١) الزعم ، بالتحريك وبالفتح : الطمع . وهذا البيت شاهده .

(٢) ل : « بل ينافي صاحبه » . (٣) التكلفة من ل .

(٤) سيأتى هذا البيت في الخامسة ٥٣١ هـ .

وقوله « أن كان أهلها » أن مخففة من الثقيلة ، أراد أنه كان أهلها . والماء من أنه ضمير الأمر والشأن ، وقد تقدم مثله . وموضع أن بما بعده رفع بالابتداء ، وخبره قوله ومن بينات الحب .

٤٧٤

وقال عمر بن أبي ربيعة^(١) :

١ — وَلَمَّا تَنَاوَضْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَرْتِ وَجُوهَ زَهَامَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَنَفَّعَا^(٢)

٢ — قُلْتُ لِمَطْرِبِينَ وَيْلَكَ إِنَّمَا ضَرَرْتَ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ نَفْعًا فَتَتَنَفَّعَا^(٣)

قوله « لَمَّا » يحتاج إلى جواب ، لأنه لو قُوع الشيء لوقوع غيره ، إذا كان علما للظرف ، فيقول : لَمَّا تناوَضْنَا الحديث ، واندفعنا فيه ، وأشرقت وجوه تَلَا لَأَن نورا ، استخف أربابها الحُسْنُ الجائل في جوانبها ، ومنعها من أن يسترها بِنَاعٍ مُجَبِّبَا ، والتفاذا بِخَوْضِ عِيُونِ النَّاسِ في محاسنها ، قلتُ لِلشَّيْ عَليْنِ : إِنَّ ثَنَاءَكَ بَضْرْنَا ، لتنبيهك على كثير مما لعله ينفى عَليْنِ من دقائق الجلال ،

(١) هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزوي ، أحد شعراء النزل في صدر الإسلام والدولة الأموية ، ولد في اليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب سنة ٢٣ وقام عمر بن عبد العزيز إلى « دمشق » لما شاع غزله وتعرضه للنساء ومنهن سكينه ، وابنة لعبد الملك ابن مروان ، ثم غزا في البحر ، فأحرقت السفينة التي كان فيها فاحترق ، وذلك في سنة ٩٣ . الأغانى (١ : ٢٨ — ٩٤) والحزنة (١ : ٢٣٨ — ٢٤٠) ، ووفيات الأعيان والشعر والشعراء ٥٣٥ — ٥٤٠ .

(٢) بعده عند التبريزي :

تَبَاهَنَ بِالْعِرْقَانِ لَمَّا عَرَفْنِي وَقُلْنَ امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَاعُ

وَقَرَّبَ أَسْبَابَ الْمَوْتِ لِمَتِّمْ يَقِيسُ ذِرَاعًا كُلَّمَا قِسْنَ إِمَصِيمَا

(٣) في الديوان ٣٣ وأمالى القال (٢ : ٤٩) : « لمطربين بالحسن » . وفي التبريزي : « قلت لمطربين وعك إنعا » .

ولطائف الكلام : إذ كان ذلك يَرِيدُ في الإعجاب بأنفسهم ، ويُكسِبُ^(١) الكِبَرُ في أخلاقهم ، فهل تقدرُ بَدَلُ ذلك على ما ينفعنا معهم . وجواب لما إن شئتَ جعلته « قُلتُ » على أن يكون الفاء زائدة ، وإن شئتَ جعلته محذوفاً ، كأنه قال : لما فعلنا ذلك كله تَوَاسَّنا ، أو ما يجري مجراه . وقد تقدّم القول في أن لو ولكَ وحتىَ مُحَذَفٌ أجوبتها ، ويكون إِنْهَاؤُهَا لِحَذْفِهَا أبلغ في المعنى . ويقال : أُطْرَى فلانٌ فلاناً ، إذا مدحه بأحسن ما قدرَ عليه . وقوله « تستطيع » منقوص عن تستطيع . ووجَّحَ ، قال الأصمعي : هو ترخَّمُ ، فإذا أضيف بشير اللام بُنْصَبُ ، ويكون العامل فيه فِعْلاً مضمرًا ، كأنه قال : أَلْزَمَهُ اللهُ وَيَحْمَا ، وانتَصَبَ فتنمًا بأن مضرة ، وهو جواب الاستفهام . ومعنى « زَاهَاها الحسنُ » استغفها ويقال : زَهَتِ الأمواجُ السَّيْمِيَّةُ والرياحُ النَّبَاتُ . وقوله « أن تنقما » أراد من أن تنقما ، وهم يحذفون الجارَّ مع أن كثيرا .

٤٧٥

وقال أبو الرئيس الثعلبي^(٢) :

- ١ - هل تُبْلِغُنِي أَمْ حَرْبٍ وَتَقْدِرُنِ عَلَى طَرْبٍ بَيُوتَ هَمٍّ أَقَاتِلُهُ
 - ٢ - مُبِينُهُ عِتْقِي حُسْنُ خَدِّ وَمِرْقَا بِهِ جَنَفْتُ أَنْ يَعْرِكَ الدَّفَّ شَاغِلُهُ
- قوله « على طَرْبٍ » يجوز أن يتعلقَ بِتَبْلِغُنِي ، ويجوز أن يتعلقَ بِوَقْدِغُنِي ،

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « ويكتسب » .

(٢) كذا في النسختين واللسان (ريس) ونس على أنه « من شعراء ثعلب » . وصوابه « الثعلبي » كما عند التبريزي ، وقال : « من ثعلبة بن سعد بن ذبيان » ، وهو يطابق ما في النكتة لقصاني . وفي القاموس : « وأبو الرئيس عياد بن طهمة الثعلبي » ، وفي تاج العروس أنه يقال أيضاً « طهمة » ، وهو شاعر إسلامي ، كما ذكر البغدادي في الخزانة (٢ : ٥٣٤) علا عن ابن ماكولا . وذكر البغدادي في رواية أخرى أنه أبو الرئيس عياد بن عباس بن عوف ابن عبد الله بن أسد بن ناصب بن سبذ بن رزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

والفعلان جِما على قوله « مُبِينُهُ عَتَقِي » وهي ناقةٌ . والاختيارُ عندنا بما بنا البصريُّين
 أن يرتفع بالأقرب ، وهو تَقْدِفَن ، ويجوز أن يرتفع بَتَبْلَنِي ، وعلى هذا : جاءني
 وأكرمني زيدٌ . والطَّرَب : خِفَّةٌ تَلَحُّقُ لنشاطٍ وَجَدَل ، واهتمامٍ وَجَزَع .
 ويؤتو هَمٌّ ، فَعُولٌ من قولك : بات يبيت . كأنه هَمٌّ جاءه ليلاً فلا زَمَهُ .
 وعلى هذا قيل في الصَّغِيم : البَيُّوت . واتَّعَصَب « حُسْنٌ خَدَّ » على التمييز .
 والجَنَف : اللَّيْل . وَرَجُلٌ أَجَنَفُ : في خَلْقِهِ مَيَلٌ ، وقيل : هو الطَّوِيلُ المنحني .
 والقرنك : الدَّلَالُ والْقَمَرُ . وقوله « به جَنَفٌ » في موضع النَّصَب ، لأنَّه صفة
 لمرقٍ . و « شَاغَلُهُ » صفةٌ بِلُفْنٍ . وإضافته على طريق التَّخْفِيف ، فهو نكرة
 والتثنية مَنوِيَّةٌ ، كأنه شَاغَلُ لَهُ . ويريد بقوله « به جَنَفٌ » أن المَرَقَّ متباعدٌ
 عن الزَّوَر ، لأنَّ الناقةَ قَتَلَاه ؛ ولولا بُدُّهُ [عنه ^(١)] لكان يكون نا كُتِبَا
 أو حازَا أو ضَاغَطَا ، أو ناقرا ^(٢) وذلك عيبٌ يمنع من إدامة السَّير . فيقول على
 وجه التَّنْي : هل أَرَانِي را كَبَ ناقةٍ تَوْصَلُنِي إلى هذه المرأة ، نشيطَةً طَرِبَةً ،
 وتَطْرَحُ عَنِّي ثِقْلَ هَمٍّ أَزَاوَلُهُ وَأَدَافُهُ ، وهي تُتَلَازِمُنِي بِاللَّيْلِ وَلَا تُفَارِقُنِي . وهذه
 الناقة لها شواهدٌ تُوجِبُ عَيْقَهَا وَكَرَمَهَا ، من حُسْنِ الخَدِّ والمِرْقِ للتجانفِ
 من الزَّوَر .

٣ — مُطَارَةُ قَلْبٍ إِنْ تَنَى الرَّجُلَ رَبُّهَا بِسَلْمٍ غَرَزَ فِي مُنَاعِهِ مُتَعَايِلُهُ
 هذا يرجع إلى صفة النَّاقَةِ ، والمراد أنها ذكِّيَّةُ الْفَوَادِ ، شَبْهَةُ النَّفْسِ ،
 فَكُنَّ بِهَا لِنَشَاطِهَا وَذَكَائِهَا جُنُونًا أَطَارَ قَلْبَهَا ، وَأَزَالَ مُسْكَنَهَا . وقوله « إِنْ
 تَنَى الرَّجُلَ وَبُهَا » جوابُ الشَّرْطِ فِيهِ قوله « مُتَعَايِلُهُ » وأصله مُتَعَايِلُهُ ، اللام

(١) التكملة من له .

(٢) الناك : أن يعرف للمرق حتى يقع في الجنب فيؤثر ، فإذا حز فيه قيل له حاز ،
 فإذا خره فذلك الضاغط .

ساكنة للجزم ، لكنّه نُقِلَ إليها حركة الماء ، وهو ضمير يرجع إلى « ربّها » .
ومثله قول طرفة :

* لو أطيعُ النفسَ لم أَرِمْ^(١) *

يريد : لم أَرِمْهُ ، فنَقَلَ . وللعنى أنّها خلقتُها وحَدَّثَها ، متى همّ صاحبُها
بِرُكوبِها ، فتَنَى رجلُها ، أى عطف بِفَرْجِها الذى هو كالسُلَمِ ، وهو الرُّكَّاب ،
عاجلته فنهضتْ به قبل تمكُّنه من رُكوبِها ، واستقراره على ظَهرِها .
وقد سلك هذا السِّلَكَ ذُو الرِّمَّةِ فى البائية التى أوْلَمَا :

* ما بال عينك منها الملاء يَنسَكِبُ^(٢) *

وَحُدِّثُ عن السِّكْرَوَى على بن مَهْدَى الإصفهاني^(٣) عن شيوخه ، أن
ذا الرِّمَّةَ أُنشِدَ هذه القصيدةَ كَثِيرَ عَزَّةٍ ، فلما انتهى إلى قوله :
* حَقِّ إِذَا مَا اسْتَوَى فى غَرْزِها تَيْبُ^(٤) *

قال له : أهلكْتَ والله راكبُها ، هَلَّا قُلْتَ كما قال الراعى :

تَرَاهَا إِذَا قُمْتَ فى غَرْزِها كَيْلَ السَّقِينَةِ أَوْ أَوقُرُ

فهذا ما رَوَى لنا . وقد ذكر الراعى فى موضع آخر فقال :

وَكأن رِيضَها إِذَا يَاسَرَتْها كَأنَّ مُتَعاوِدَةَ الرِّيحِ لَ دُلُولَا

وحكى لى أنّ سعيدَ بن سَلَمَ الباهلى ، قال : قرأنا هذه القصيدة على

الأصمعى من شعر الراعى ، فلما انتهينا إلى البيتِ رَواه :

* وَكَأن رِيضَها إِذَا يَاسَرَتْها *

(١) صدره فى ديوان طرفة ١٦ :

* حابى رسم . وقت ب *

(٢) مجزء : كآه من كلّى مفرقة سرب *

(٣) ل : « الأسباني » ، وإسباني قال بإياه وبالقاه ، وفتح الميم وكسرها .

(٤) صدره : * تصنى إذا شدها بالكور جاتحة *

قلت : مامعى « باسرتها » ؟ قال : ركبتهها ، من المباصرة . فسالنا ذلك
أبا عبيدة عنه ، فقال : صحف والله ، إنما هو « إذا ياسرتها » أى لم أعازها ولم
أقتسرها . ومثله قوله :

إذا يوسرت كانت وقورا أدبية وتخصبها إن عوسرت لم تؤدب
٤- يُبارى بها القود النوافخ فى البرى قليل النزول أعيد الخلق عاطلة
٥- مراجع نجد بعد فرك وبفضة مطلق بصرى أضمع القلب جافلة
يقول : يعارض بهذه الراحلة التى وصفها رواحل طوال الأعناق ، تنفخ
فى برأها لنشاطها ، رجل قليل النزول عنها ، ناعم الخلق عاطلة ، يعنى نفسه ،
أى أنه يجذ فى السير ويُدبمه . وقوله : « مراجع نجد » أى أنه بصد أن
فارق نجداً وأبضه خلوة من حبيبه يريد أن يراجعه ويتقل عن بصرى -
وهى قرية بالشأم تطبع فيها السيوف البصرية - ويخليها . ومعنى أضمع
القلب : حديده . جافله ، أى مسرعه . ويقال : أجفل الظلم وجفلس ،
إذا نشر جناحيه وصرّ يمدو ، وكل هارب من شئ فقد أجفل عنه . والظلم
مُجفل وجافل جميعاً . وذكر المراجعة والتطبيق ، استعارة للانتقال والتخيلة .
وقد قل أبو تمام مثل هذا فقال :

* فيها وطلقت الشرور ثلاثة (١) *

إلا أن ما قاله هذا الشاعر أحسن ، حين زأج التطبيق بالمراجعة . وقوله
« نوافخ فى البرى » النوافخ : المتنفسات نفخاً لنشاطها . والبرى : الحلق التى
فى أنوفها . وقوله « أعيد الخلق » أى متنبه ، وعاطله أى يغطه من الثروة ،
ويغطيها عن النعمة . وكل مهمل متروك فهو مغط وعاطل .

(١) صدره فى ديوانه ٦٦ :

* أرض خلعت اللهو خلخلى خالى *

٤٧٦

وقال عبد الله بن جعلان النهدي^(١) :

- ١ — وَحَقَّةٌ مِثْلُكِ مِنْ نِسَاءٍ لَبِسَتْهَا شَبَابِي وَكَلَسِي بِا كَرَنْتِي شَمُولَهَا
٢ — جَدِيدَةٌ مِرْبَالِ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا سَقِيَّةٌ بَرْدِي نَعْمَتَهَا غُيُولَهَا
قوله « وَحَقَّةٌ مِثْلُكِ » كنايةٌ عن امرأةٍ جعلها لَطِيبٌ رِيًّاها كظرفِ
مِثْلُكِ . ومعنى « لبستها » تَمَتَّتَ بها . وقال ابن أحر :

لَبِسْتُ أَبِي حَتَّى تَمَلَّيْتُ عَيْشَهُ وَبَلَّيْتُ أَعْمَامِي وَبَلَّيْتُ خَالِيَا

وموضع قوله « شَبَابِي » نصب على الظرف . والمعنى زَمَنَ شَبَابِي ، ومُدَّةُ
شَبَابِي . والمصادر تُحَذَفُ منها أسماءُ الزمانِ كثيراً . وقوله « وَكَلَسِي » انعطف
على قوله « وَحَقَّةٌ مِثْلُكِ » والعامل فيها رُبٌّ ، والواو واو العطف ، وليست
بنائبة عن رُبٍّ ، بدلالة أنه لو كان كذلك لوجب أن يُدْخَلَ الحرفُ العاطفُ
عليه ، فيقال وَحَقَّةٌ مِثْلُكِ . والشَّمُولُ : الخثرة التي لها عَصَقَةٌ كحَصَفَةِ الشَّيَالِ .
وقد قيل : هي التي تشتمل على العقل فتميلُكَ وتذهبُ به .

وقوله « جَدِيدَةٌ مِرْبَالِ الشَّبَابِ » أدخل الماء على جديدة ، والأكثر أن
يقال : مِلْحَفَةٌ جَدِيدَةٌ . وطريقة سبويه فيه أنه صفة مذكرة تَبِعَتْ مؤنثاً ،
وَيُنَوَّى في ذلك لِلْمَوْثِقِ ما يكون لفظه مذكراً ، كأنه يَنَوَّى بالمِلْحَفَةِ إزاراً ، وما
يمرُّ هذا المجرى . وبعضهم يذهبُ إلى أنه فَمِيلٌ في معنى فاعل ، فَلَاحِقَهُ الماء

(١) هو عبد الله بن جعلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن
ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، شاعر جاهلي ، أحد الثيبين من الشعراء ومن
قتله الحب منهم ، وكان له زوجة يقال لها هند ، فطلقها ثم ندم على ذلك ، فنزجت زوجاً غيره
فأت أسفاً عليها . الأغاني (١٩ : ١٠٢ - ١٠٥) والشعراء ٦٩٦ وترجعه الأسواني لماود
الأنطاكي ٧٦ - ٧٨ .

قياساً، فهو كظريفٍ وطريقةٍ، لأن الفعلَ منه جَدَّ التَّوْبُ بِجَدِّ جِدَّةٍ. وبعضهم ذهب إلى أنه فصيل في معنى مفعول، كأن ناسجها جَدَّها قريبا، أى قَطَمها، فلهذا يُستنكر إلحاقُ الهاء به. ومعنى «جديدة مريال الشباب» أنها في عُفْوان شبابها، وأن عليها غَضارةَ الحدوث، ونَضارةَ النَّشْء، فكانها سَقِيَّةٌ بَرْدِيَّةٌ. والسَّقِيَّةُ في معنى مَسْقِيَّةٍ، جعلها اسماً، فهي كاللَّيْنَةِ والاقِيطة. وشبهها بها لزيادة خِلقتها وحسنِ بِنيتها. ألا ترى أنه قال: «نَمَتْها غُيُولُها». والنُّيُولُ: جمع النُّيْل، وهو الماء الذي يجري بين الأشجار. وقال الدُّرَيْدِيُّ: النُّيْلُ: الماء الذي بين الحجارة في بطن وادٍ. والنُّيْلُ، بكسر النين: الماء يجري بين الأشجار، وربما سَمَوْا الشجرَ للثَفِّ غَيْلاً. ويشبه هذا قول الآخر^(١):

بَرْدِيَّةٌ سَقِيَّةٌ النِّعْمُ بها أَقْرانُها وَقَلابُها عَظْمُ
وفي طريقته قول الآخر^(٢):

لَمْ تَلْتَفِتْ لِلدَّائِهَا وَمَضَتْ عَلَى غُلُوتِهَا

وإنما يكون ذلك من نتائج الترفُّ، ولوائح النِّعمة. وقد ظهر معنى البيتين بما ذكرته، لأنه تَبَجَّحَ بشاطئيه الصَّبَا واللَّهُو، وشُرِبَ الخمر مدَّةَ الصَّبَا [وأيامَ الشباب]^(٣).

٣ — وَخُمَلَتْ بِالْعَمِّ مِنْ دُونِ نَوِيهَا تَطُولُ الْقِصَارُ وَالطَّوَالُ تَطُولُهَا^(٤)

٤ — كَأَنَّ دِمَاسًا أَوْ فُرُوعَ غَمَامَةٍ عَلَى مَتْنِهَا حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَدِيدُهَا^(٥)

(١) هو المجل السدي. للفتية ٢١.

(٢) هو ابن قيس الرقيات. اللسان (غلا).

(٣) التكلة من ل.

(٤) البريزي: «ويزي: فروع عملة، بين غير معجبة، وهو أشبه بالقمص».

(٥) يمدّه عند البريزي:

قوله « وَنَحْمَلُهُ » من جملة صفاتها وإن عطفها بالواو ، فعلى هذا لك أن تقول :
 صرحتُ برجلٍ فاضلٍ عاقلٍ أديبٍ ، وأن تقول : برجلٍ فاضلٍ وعاقِلٍ وأديبٍ .
 ومعنى « وَنَحْمَلُهُ » أن أعضائها تساوت في رُكوب اللحم إناها ، وظهور
 السمن والبذن عليها ، فكأن اللحم جُعِلَ سَحْلًا لما . وقائدة « من دون ثوبها »
 أنها مله درعها ، ففى سميعة المُرعى . وإلى هذا أشار الأعشى فى قوله :
 * صِفَرُ الوِشاحِ ومِلْهُ الدَّرْعُ بِهَكْنَةٍ ^(١) *

وقوله « تَطُولُ الْقِصَارَ » يريد أنها رُبْمَةً ، فإذا حَصَلَتْ فى القِصَارِ طَالَتْهُنَّ ،
 وإذا حَصَلَتْ فى الطُّوَالِ طَلَتْهَا . يُشِيرُ إلى التَّوَشُّطِ الذى هو المختار فى كل عَقَلٍ ،
 ولذلك قيل : « خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا » ، ولأنَّ الْفُلُقَ وَالْإِفْرَاطَ مَذْمُومَانِ ، كما
 أن الْقِصُورَ وَالْتَّغْرِيطَ مَذْمُومَانِ . و « تَطُولُ » فى البيت مُعْذَى ، لأنه بمعنى
 تَقَلُّبٍ فى الطول ، فهو من طاولته فطَلَبَتْهُ .

وقوله « كَأَنَّ دِمَقْسًا أَوْ فُرُوعَ عِمَامَةٍ » ، الدِّمَقْسُ ^(٢) : الحرير الأبيض .
 وفروع القِامة ، أشارَ إلى أطرافها وجوانبها والشمس تحتها ، لأن تلك الأطراف
 بِشُعَاعِ الشَّمْسِ تُشْرِقُ أَبَدًا . والمعنى أنها لَيِّنَةُ الْمَجَسِّ بِرَاقَةِ الْوَلَوْنِ ، كأنَّ الْحَرِيرَ
 وَأَطْرَافَ عِمَامَةٍ اسْتَكْنَتِ الشَّمْسُ تَحْتَهَا عَلَى مَتْنِهَا . وقوله « حَيْثُ اسْتَجَرَّ »
 جَدِيلُهَا « تَخْصِيصُ لِمَا عَمَّهُ قَوْلُهُ « عَلَى مَتْنِهَا » . والجَدِيلُ ، هو الْوِشَاحُ ، وما
 تَشُدُّهُ الْمِرَاةُ فى حَتْوِهَا مِنَ الْأَدَمِ الْمَضْفُورِ . وليس هذا من عادات العرب . وإذا

= وَأَبْيَضَ مَنْقُوفٍ وَزَقَرٍ وَقِينَةٍ وَصَبَاءٍ فى بَيْضَاءٍ بَادٍ حَجْوُهَا
 إِذَا صَبَّ فى الرَّأُوقِ مِنْهَا تَضَوَّعَتْ كَمَيْتٌ يَلْدُ الشَّارِبِينَ قَلِيلُهَا

(١) مجزء : * إِذَا تَأَنَّى يَكَادُ الْخَصِرُ يَنْزِلُ *

(٢) هو مرعب « دمه » الفارسية . استينجاس ٥٣٥ والألفاظ الفارسية ٦٦ . وانظر
 حواشى تهذيب الصحاح لزمخالى (دمه) .

كان من لَوْنَيْنِ فهو التَّيْمُ ، وهذا يُشَدُّ في أَحَقِّ الصَّبِيانِ يُدْفَعُ به العين .

٤٧٧

وقال عبد الله بن النُّمَيْنَةُ الخَثْعَمِيُّ^(١) :

١ — وَلَمَّا لَحِقْنَا بِالصُّوْلِ وَدُونَهَا حَمِيصُ الْحَشَا تُوهِى الْقَمِيصَ عَوَانِقُهُ

٢ — قَلِيلُ قَدَى الْعَيْنَيْنِ نَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ تُلَوْ عَنَّا بِوَأْتِقِهِ^(٢)

قوله « ولما لحقنا » جوابه ما دلَّ عليه البيت الثالث ، وهو « عَرَضْنَا » . وأراد بالحوْل الظَّامِنَ وَأَتَقَالَهَا . وقوله « ودونها خميص الحشا » يريد قِيَمَتَهُنَّ . فيقول : لما دعانا الشوق إلى اللُّحُوقِ بِالظَّامِنِ بعد تشييعنا لها ، وإلى تجميد المهد بها ، فأدر كناها ودونها رجلٌ قليلُ اللحم على بَدَنِهِ ، لطيفٌ طَيِّبُ البَطْنِ ، مديدُ القامة ، حتى إنَّ عَوَانِقَهُ ، وهى النَّوَاسِى من عَاتِقِ الْإِنْسَانِ ، تكاد أن تُوهِي قِيصَهُ . وهذا مما تَمَدَّحُ به العرب ، لِأَنَّ الشُّمَّةَ^(٣) عندهم مذمومة .

وقد كَشَفَ عن هذا للمنى قولُ الآخر :

فَقَى لَا يُرَى قَدَى الْقَمِيصِ بِخَصْرِهِ وَلَكِنَّمَا تَفَرَّى الْفَرَى مِنْ كِبُهُ

وقوله « قَلِيلُ قَدَى الْعَيْنَيْنِ » يصف امتعاضه وَقَلَّةَ صَبْرِهِ على دَرَنِ الْعَارِ^(٤) .

(١) التبريزي : « هذا البيت قد تكلم عليه النمرى ، لأن فيه خلافا لما قبله ، إذ كان البيت المتقدم في صفة امرأة ، وهذا البيت يجب أن يكون في صفة ناقة ، ولا شك أنه قد سقط منه شيء يصلح بما قبله . ولم يذكر ذلك أحد منهم ، وإنما يريد أنها ترفع ذنبها إلى منها » .

(٢) سبق ترجمته في الحاشية ٤٥٦ ص ١٢٢٣ .

(٣) التبريزي : « يُعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ تَصْرَعْهَا » . وهى رواية الديوان ٤٣ .

يقال : صرعت الشيء . إذا قطعت ومنحته .

(٤) « كأنه جبل » السمنة اسم الحسن ، والمعروف في اللامبج ، أن السمنة بالضم : دواء يخذ الحسنة .

(٥) هذا ما رآه البرزوقي ؛ وأجود منه قول التبريزي : « يصنفه بمدة النظر ، وأنه

ليس بينه غمض ، فهو أحد نظره » .

ويقال : فلان لا يُفِضَى على قَدَى ، إذا لم يحتمل صَبَاً . وقوله « نعلم أنه هو الموت » يصفه بِشِدَّةِ الحَيَّةِ عند غضبه ، وأنَّ نَارَهُ لا يُصْطَلَى [بها^(١)] إذا غار على حُرِّيِّهِ . والمعنى أنا مع تمرُّضِنَا له نَحْذَرُهُ مخافة أن يَحْتَسَى ، لتحققنا أن شره لا يُقَامُ له إذا سطا . والبواقي : جمع باثقة ، وهي الخصلة المنكرة في شمولها ، فيقال : باثقتهم باثقة . واليوقة : الدفعة الشديدة من المطر ، منه . قال رؤبة :

* من بأكبر الوشمي تَضاح اليوق^(٢) *

وقوله « نلَّوْ عَنَّا » أى نُصْرَف . ويرى « تُلْقَى عَنَّا » من الإلقاء .

٣ - عَرَضْنَا فَلَمَّا فَسَلَّمْ كَارِهًا علينا وتبرَّج من النيفِ خافِقُهُ^(٣)

٤ - فسأبرته مقدار ميل وليتنى بكرهى له ما دام حياً أرافقُهُ^(٤)

يقول : لما لحقنا بالظمان عَرَضْنَا لَهُنَّ ، وسَلَّمْنَا على قِيَمهن والحامى دونهن ،

فأجابنا جواب السكاره لنا ، والنيكر لتسليمتنا ، قد خَنَقَ غَيْظٌ مُبْرَحٌ . ويقال :

لَحِقْتُهُ وَلَحِقْتُ بِهِ . وانتَصَب « كَارِهًا » على الحال . والتبريح : التشديد .

ويقال : بَرَّحَ بى كذا وكذا ، ومنه قول الأعشى :

* أَبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ سَجَارًا^(٥) *

(١) السكلة من ل .

(٢) تضاح ، بالحاء للهيملة فى الأصل والسان . وفى ل والديوان ١٠٠ : « تضاح »

بالحاء للجمة ، وما سيات .

(٣) الديوان : « وقتنا فسلمنا » . التبريزى : « الرواية التى عليها الناس : من النيف .

وفى شعر ابن العمينة : التفت ، الذى يراد به أشد الكرب . يقال غظله غظلاً . قال الشاعر :

إذا غظولنا ظالمين أمانهم على غنظهم من من الله واسع »

ابن جنى فى التنبيه : « هذا من نحو تسمية الثواب بأسم العمل ، نحو قول الله سبحانه :

« وجزاء سيئة سيئة مثلها ... فكنذلك قوله فسلمنا فلم ، أى فرد السلام . والأول فى العرف

والاستعمال سلم ، والثانى راد » .

(٤) الديوان :

فسأبرته ميلين يا ليت أنى على سخطه حتى ليات أرافقه

(٥) صدره : * تقول أبنتى حين جد الرحيل *

ويقال : هو في بَرَحٍ من الشَّوقِ يَرح . وقوله « خَافَهُ » يريدُ أَنَّهُ ابتَلَا صدرَهُ من النِّيَظِ فارتَقَى إلى ما هو فوقَهُ حتَّى خَفَهُ .

وقوله « فَايَرْتُهُ مَقْدَارَ مِيلٍ » انتصب مَقْدَارَ على الظَّرْفِ . ومعنى سَايَرْتُهُ صَاحِبَتُهُ في السَّيْرِ ، ثُمَّ قَالَ : وَلِيَتَنَّى أَرَاقَهُ مَا دَامَ حَيًّا ، على كُرْهِ مَنِيٍّ ، لِأَنَّهُ اسْتَطَابَ مَحَبَّتَهُ لِمَا لَهُ مِنَ اللَّذَاذَةِ^(١) فِي النَّظَرِ إِلَيْهِنَّ ، وَاسْتَكْرَهَ الْكَوْنَ مَعَهُ لِمَا يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ ، إِلَّا أَنَّهُ غَلَبَ الْإِلْتِذَاذُ . وَ « مَا دَامَ حَيًّا » انتصب على الظَّرْفِ ، وَ « أَرَاقَهُ » فِي مَوْضِعِ خَبَرٍ لَيْتَ . وَقَوْلُهُ « بَكَرْهُ لِي » نَصَبَ عَلَى الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ أَرَاقَهُ .

٥ — فَلَمَّا رَأَتْ أَنْ لَا وَصَالَ وَأَنَّهُ مَدَى الضَّرْمِ مَضْرُوبٌ عَلَيْنَا سُرَادِقُهُ^(٢)

٦ — رَمَتْنِي بِطَرْفٍ لَوْ كَيْفَ رَمَتْ بِهِ كَبَلٌ نَجِيمًا نَحْرُهُ وَبَنَاتُكُهُ

٧ — وَلَمْحَرٍ بَعِثِيهَا كَأَنَّ وَمِيسُهُ وَمِيسُ الْحَيَا تُهْدِي لِنَجْدٍ شَقَائِكُهُ

قوله « أَنْ لَا وَصَالَ » أَنَّ فِيهِ خَفَفَةً مِنْ أَنَّ الثَّقِيلَةَ ، يَرِيدُ أَنَّهُ لَا وَصَالَ . الْأَتَرَى أَنَّهُ عَطَفَ عَلَيْهِ « وَأَنَّهُ مَدَى الضَّرْمِ » . وَوَصَالَ انْتَصَبَ بِلَا ، وَخَبَرَهُ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَا وَصَالَ بَيْنَنَا . وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ خَبَرٍ أَنَّ ، وَالضَّمِيرُ فِي أَنَّهُ الْأَوَّلَى وَالثَّانِيَةِ ضَمِيرُ الْأَمْرِ وَالشَّانِ . وَقَوْلُهُ « مَدَى الضَّرْمِ » فِي مَوْضِعِ الْإِبْتِدَاءِ ، وَ « مَضْرُوبٌ عَلَيْنَا » خَبَرُهُ . وَسُرَادِقُهُ ارْتَفَعَ بِمَضْرُوبٍ ، لِأَنَّهُ قَامَ مَقَامَ الْعَامِلِ . وَقَوْلُهُ « رَمَتْنِي بِطَرْفٍ » جَوَابُ لَمَّا . كَأَنَّهُ لَمَّا تَأَمَّلَتْ حَالَهُ فِي مُسَايَرَتِهِ ، وَضِيقَ الْوَقْتِ عَنْ مَجَادَبَتِهِ ، لَمَّا كَانَ يَحْوُلُ بَيْنَهُمَا مِنْ مِرَاقَبَتِهِ ، ثُمَّ رَأَتْ تَغْيِظَ

(١) هُنَا مَا قِيلَ . وَفِي الْأَمَلِ : « الْذَّة » .

(٢) الْدِيَوَانُ : « فَلَمَّا رَأَتْ الْأَجْوَابَ وَلَمَّا » .

الريب وكراهيته^(١)، مع معرفتها بنتائج صبره، نظرت إلى الشاعر نظراً إنكارياً استدلل منه على ضلاله فيما يأتيه، وسوء توقيفه فيما يلح فيه، فكانه رمتهم بسهم ولم يكن نظراً، بل كان سهماً رُمي به شجاعاً في معركة، لأصيب مقتله، فكان يبتل نحره وبنائق قيصه نجيعاً. والنجيع: دم الجوف. ويقال تنجج به، أي تلعن.

وقوله «ولمح بعينها» انطلف على قوله بطرف. واللمح: النظر، ويستعمل في البرق والبصر. وكذلك الطرف هو النظر [هنا^(٢)]، كأن الرمي بالطرف كان إنكاراً منها. واللمح بالعينين موعدة وتوجيهٌ بميل بعد تعذر المطلوب. والومض والوميض: اللمح. وأومضت له فلانة بعينها، إذا برقت. لذلك شبه وميض لَمَحَها بوميض الحيا، وهو النيت المحيي للأرض وأهلها، وقد هَدَيْتْ أي أَرشَدَتْ شقائقه، وهي قطعُ صحابه، لنجد. كأنه جعلها قاتلةً في رميها، تحيةً بلمعها. والشقيقة: البرقة إذا استطارَت في غرض السحاب وتكشفت أيضاً.

(١) ل: «وكراهته».

(٢) الكلمة من ل.

٤٧٨

وقال أبو الطمحان القيني^(١) :

١ — أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ صَدْحِ النَّوَاحِرِ وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ فَوْقَ الْجَوَانِحِ^(٢)

٢ — وَقَبْلَ غَدِّ يَالْهَفَ نَفْسِي عَلَى غَدِّ إِذَا رَاحَ أَحْبَابِي وَلَسْتُ بِرَاحِ

يُرَوَّى «يَالْهَفَ نَفْسِي مِنْ غَدِّ». وَالصَّدْحُ : شِدَّةُ صَوْتِ الدَّيْبِكِ وَالغَرَابُ ،

وغيرهما . وَالصَّيْدَحِيُّ : الشَّدِيدُ الصَّوْتُ . وَالْجَوَانِحُ : ضُلُوعُ الصَّدْرِ . وَارْتِقَاءُ

النَّفْسِ فَوْقَهَا ، كَمَا يُقَالُ : بَلَعْتُ نَفْسِي التَّرَاقِي . فَيَقُولُ : عَلَّلَانِي بِالْمَقْتَرَحِ عَلَيْكَ

قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ فَتَقُومَ النَّوَاحِرُ عَلَيَّ يَنْدُبُنَنِي ، وَقَبْلَ مَيِّقَاتِ آتِيَلِي ، وَأَوَانٍ تَحْتَلِفِي

مِنْ أَحْبَابِي ، وَقَدْ رَاحُوا عَنِّي ، لِنُزُولِ الْقَدَرِ لِلْقُدُورِي .

فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ قَدَّمَ ذِكْرَ صَدْحِ النَّوَاحِرِ عَلَى ذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ

بَعْدَهُ ؟ قُلْتُ : إِنَّ الْعُطْفَ بِالْوَاوِ لَا يَوْجِبُ تَرْتِيبًا . أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ :

﴿ وَاسْتَجِدِّي وَارْكُعِي ﴾ ، وَارْكَعُوه قَبْلَ السُّجُودِ فِي تَرْتِيبِ أَفْصَالِ الصَّلَاةِ .

وَقَوْلُهُ «إِذَا رَاحَ أَحْبَابِي» يَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ إِذَا فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ بَدَلًا مِنْ غَدِّ ،

(١) الطمحان ، بالتحريك : فَمُصَلِّانٌ مِنْ طَمَحٍ بِأَتَمِّهِ ، إِذَا تَكَبَّرَ . وَأَبُو الطمحان هُوَ

حَنْظَلَةُ بْنُ الْعَرَفِ ، أَوْ رِيْمَةُ بْنُ هَوَفٍ بْنِ غَنَمٍ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ الْقَيْسِ بْنِ جَسْرِ بْنِ شَيْعِ اللَّهِ بْنِ

الْأَسَدِ بْنِ وَرْدَةَ بْنِ ثَعْلَبِ بْنِ حُلَوَانَ بْنِ مِهْرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قِضَاعَةَ ، مِنْ مَخْضَرِ الْجَاهِلِيَّةِ

وَالْإِسْلَامِ ، أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ ، وَلَمْ يَرِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ مَعْرُوفًا بِالْقِسِّ ،

قِيلَ لَهُ : مَا أَدْنَى ذُنُوبِكَ ؟ قَالَ : لَيْلَةُ الدَّيْرِ . قِيلَ لَهُ : وَمَا لَيْلَةُ الدَّيْرِ ؟ قَالَ : نَزَلْتُ بِدِرْيَانَةَ

وَبَدَأْتُ عَنْهَا مَلْفِيشًا بِلَحْمِ خَنْزِيرٍ ، وَشَرِبْتُ مِنْ غَرِهَا ، وَزَيْتُتِهَا وَسَرَقْتُ كَاهَا وَوَضَعْتُ .

وَبَدَأُوا أَنْ يَكُونُوا عَمْرَ مَاتِي سَنَةً . وَفِي الشَّرَاءِ أَيْضًا أَبُو الطمحان الْأَسَدِيُّ كَانَ فِي زَمَنِ يُوسُفَ

ابْنِ مَرْ ، وَأَبُو الطمحان التَّهْمَلِيُّ ، وَأَبُو الطمحان الطَّلَاقِيُّ . الْحَزَانَةُ (٣ : ٤٢٦) وَشَرَحَ

التَّبْرِيزِيُّ لِلْحَاسَةِ ، وَالْإِصَابَةُ ٢٠٠٧ وَلِلْمَرْبُوعِ ٧ وَلِلْمُؤَنَّفِ ١٤٩ وَالْإِشْتِقَاقُ ٣١٧ وَالْأَلْفَاخِيُّ ٣٢٢

وَالْأَفْهَامِيُّ (١١ : ١٢٥ — ١٢٨) وَالشَّرَاءُ ٣٤٨ .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « قَبْلَ نَوَاحِرِ النَّوَاحِرِ » ، ثُمَّ قَالَ : « وَيُرَوَّى : قَبْلَ صَدْحِ الصَّوَادِحِ » .

والبدل إذا جاء مؤكِّداً للبدل منه ومنصلاً بجملة قد لا يستغنى عن البدل منه ، وإذا كان كذلك فليس لأحد أن يقول : من شرط البدل أن يلحق للبدل منه ويُعمل هو مكانه . وإذا كان كذلك لم يجوز أن يُلحق إذا العايل في غَد ، وهو « على » . أو « من » في الرويتين جميعاً . على أن أبا العباس قد جَوَّز وقوع إذا في موضع الجرور والمرفوع . ويجوز أن يكون نصباً كدَلَّا من موضع « من غَد » أو « على غَد » العامل والمعمول فيه جميعاً ، لأنَّ موضعهما نصبٌ على المفعول بما دلَّ عليه قوله يا لطف نفسى ، وهو : أتلطف من غَد .

وإنما جاز أن يُدرج البيتَين باب التسيب لرفقتهما ولأنَّ المتعلَّ به كان لَدَّةً من اللَّدات . وهذا عاده في أبواب اختياره ^(١) .

٤٧٩

آخر :

- ١- هل الوجد إلا أن قلبي لودنا من الجمر قيد الرنح لاخرق الجمر
- ٢- أفي الحق أني مُغرَّم بك هائم وأنك لا خلل هوالك ولا سحر
- ٣- فإن كنت مطبواً فلازلت هكذا وإن كنت مسحوراً فلا برأ السحر

قوله « هل الوجد » استفهام لفظه ومعناه النفي ، بدلالة وقوع إلا بعده ، كأنه قال : ما الوجد ، أو ليس الوجد إلا هذا الذى بى ، وهو أن قلبي لو قرَّب من الجمر حتى لا يكون بينهما إلا قدر رنح للقلب ناره ناز الجمر ، وكان الجمر يخرق . وقوله « الوجد » مبتدأ وخبره إلا مع ما بعده . وانتصب « قيد الرنح » على الظرف . ويقال : بينى وبينه قاب قوس ، وقيد رنح ، وغلوة سَهم . وحكى

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « وهو عاده في باب اختياره » .

بعض أهل التفسير في قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ أن لكل قوس قائنين ، وهو ما بين القَبَضِ والسَّيَةِ . وأهل اللغة على ما قدَّمته .

وقوله « أفي الحق أني مُعَرِّمٌ بِكَ هَاتِمٌ » فالعزم : الذي قد لزِمَه الحب . يُقال : حُبُّه غَرَامٌ ، أى لا نَقَصَى منه . ومنه عذابُ غَرَامٍ . والهَاتِمُ : المتحيز . والهُيَامُ كالجنون من العشق ، ومنه الهَيَمُ : الذي يَهْذِي بالشئ . وَيُكْثِرُ ذِكْرَهُ . والمعنى أنه لا يدخل في الحق ووجوهه ، وأنواع قِسَمِهِ ، أن يكون حُبِّي لَكَ غَرَامًا ، وحُبِّكَ لا يرجع إلى معلوم ، ولا يحصل على حَدِّ محصور . ويقال : ما هو بِخَلٍّ ولا خَيْرٍ ، والمعنى أنه ليس بشئ . يَخْلُصُ وَيَتَبَيَّنُ .

وقوله « فَإِنْ كُنْتُ مُطْطَبًا » فَالطَّبُّ : السَّحَرُ والعلم جميعاً . وهو طَبٌّ ، أى عليم . وفي الحديث : « حِينَ طَبَّ » أى سَحَر . وهو مطبوبٌ ، أى مسحور . ومعنى البيت : إن كان الذي بي وأُفَانِيهِ داءً معلوماً يُعرف دواؤه ، فلا فارقى فأنيَّ أَلْبَذُّ بِهِ — وهذا هو الفَتْنَانِيَّةُ في الهوى ، والتبدُّل على البلاء — وإن كنتُ مسحوراً ، يريد وإن كان الذي بي لا يُعْلَمُ ما هو ، وأَعْمَا الوقوفُ عليه الأطباء ، والعلماء بالأدواء ، حتى يُسَلِّمَ للسَّحَرِ فلا فارقى أيضاً . وإنما قال هذا من عادة العامة ، لأنهم كذا يعتقدون في الأوصاب والعلل . ولا يجوز أن يكون معنى مطبوباً مسحوراً ، لأنه يصير الصدرُ والعَجَزُ لمعنى واحد .

٤٨٠

آخر :

١ - نَشَكَّى الْمُحِبُّونَ الصَّبَابَةَ لِقَنَى تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَخَذِي

٢ - وَكَانَتْ لِنَفْسِي لَذَّةُ الْحُبِّ كُلِّهَا فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي مُحِبٌّ وَلَا سَهْدِي^(١)

(١) التبريزي : « فسكانت » .

هذا كلامٌ من تجلّد في الهوى وأدعى التلذّذ به وإن برّح به وأثر فيه ،
 فيقول ^(١) : شكا المحبّون جناية الصّباة عليهم ، وجريرة العشق لديهم ، ويؤدّي
 أنّي ^(٢) تحمّلت أعباءها كلّها وحدي ، وخلّص الصّبر فيها ولما عفوى وجهدي ،
 وكانت نفسي تنال لذّة مجموعها ومفرّقها ، وتفرد بكابدة مجهولها ومعرّفها ^(٣) ،
 فأفوز بأدعائها ، وتسقط المشاركة بيني وبين أربابها عن سبقي لقدّم زمانه ،
 أو تأخّر عنّي لتأخّر ميلاده .

٤٨١

وقال شبرمة بن الطفيل ^(٤) :

١ — ويومٍ شديد الحرّ قصر طوله
 دَمِ الزّرق عَنّا واصطلاك الزّاهر ^(٥)
 ٢ — لدن غُدوة حتى أروح ، وصحبتني
 عصاة على الفاهين ثمّ للنّاخير
 ٣ — كأنّ أباريق السّمول عشيّة
 لوزّ بأعلى الطّف عوج الحناخير
 قوله « ويومٍ » انجبر بإضمار ربّ ، وجوابه قصر طوله . يقول : ربّ يؤمّ
 من أيام الصّيف شديد الحرّ ، جعل طوله قصيرا ، ما اشتغلنا به فيه من الشّرب
 والقصف . وأراد بدم الزّرق الحمر . واصطلاك الزّاهر : مدافعة أوتار البربط بعضها
 لبغض بالصّرب . ويقال : ازدهر الرّجل ، إذا فرّح . فيجوز أن يكون العود
 سُمّي مزهرا منه .

(١) في الأصل : « فيكون » ، صوابه قل .

(٢) هنا ما في ل . وفي الأصل : « أن » .

(٣) هنا ما في ل ، وهو اللّواقي لموسيقى الفاصلة ، وفي الأصل : « ومعرّفها » .

(٤) الشبرمة : واحدة الشبرم ، وهو نبت حار يصدر الطليمة . ولم نمتد لشبرمة على ترجمة .

على أن الأبيات نسبت في الحيوان (٦ : ١٧٩) ومخار القلوب ٥٠٢ إلى ابن الطّائفة .

(٥) التبريزي والجاحظ والتّمايلي واللاكي ٩٣٨ : « واصطلاك الزّاهر » . وقد أشار

التبريزي إلى رواية « واصطلاك » .

وقوله « لَدُنْ غُدُوَّةٌ » انتصب غُدُوَّةٌ عن النون من لَدُنْ^(١) ، ولا ينتصب به غيره ، فهو شاذٌ . والمعنى : باكرنا الشرب ، فلما رُحْنَا كان أصحابنا قد سَكَرُوا واكتَسَبُوا كَثِيرًا وَنُبَلًا ، وَهَآبًا عَمَّا يُشِيرُ بِهِ النَّاهِي وَالْمُسَدِّدُ^(٢) .
وقوله « كَأَنَّ أَبَارِيقَ الشُّمُولِ عَشِيَّةٌ » شَبَّهَ أَوَانِيَ الْخَمْرِ وَقَدْ فَرَّغَتْ وَأَمِيلَت بِطُيُورِ مَاءِ اجْتَمَعَتْ عَشِيَّةً بِأَعْلَى السَّاحِلِ^(٣) ، مَعْرَاجَةَ الْخَفَاجِرِ وَالْخُلُوقِ .
وَأَدْخَلَ هَذِهِ الْقِطْعَةَ فِي بَابِ النَّسِيبِ لِرَقَّتِهَا وَدَلَالَتِهَا عَلَى الْهَوَى وَالْخُسَارَةِ .

٤٨٢

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ ثَعْلَبٍ الْجَرْمِيُّ^(٤) :

١ - وَمُسْتَخْفِرٍ عَنْ سِرِّ رَبِّا رَدَدْتُهُ بِمَتِيَاءٍ مِنْ رَبِّا بَغِيرِ يَقِينِ
٢ - قَالَ اتَّصِخْنِي إِنِّي لَكَ نَاصِحٌ وَمَا أَنَا إِلَّا خَبْرَتُهُ بِأَمِينِ
بروى : « اتَّصِخْنِي إِنِّي ذُو أَمَانَةٍ » ، وَهَذَا فِي كِتَابِ سِرِّ الْحُبُوبِ ، وَالْمُحَافِظَةِ عَلَى الذَّمِّ وَالْحُرْمِ . يَقُولُ : رَبُّ مُسْتَذِرٍ لِي فِي مَا بَيْنَ رَبِّا وَيُنِي ، طَالِبِ الْوُقُوفِ عَلَى الْمَكْتُومِ مِنْ أَمْرِهَا وَأَمْرِي^(٥) ، رَدَدْتُهُ عَنْ نَفْسِي بِقَصَّةٍ عَمِيَاءٍ لَا يَهْتَدِي فِيهَا الْمَطْلُوبُ ، وَلَا يَرْجِعُ فِيهَا إِلَى يَقِينٍ ، فَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهُ إِنْزَالِي عَمَّا حَاوَلَهُ قَالَ اتَّصِخْنِي ، أَيْ أَذْخِلْنِي فِي أَمْرِكَ ، وَأَجْرِي تَجَرُّبِي نَصَحَاتِكَ ، إِنِّي أَمِينٌ لَا دَغْلَ فِي هَمِّي ، وَلَا خِيَانَةَ فِي شَأْنِي ، وَلَوْ خَبَرْتُهُ بِمَا أَلْمَسَ ، وَأَطْلَعْتُهُ عَلَى

(١) الْأَوْضَحُ مِنْهُ مَا ذَكَرَ التَّبْرِيزِيُّ : « نَسَبَ غُدُوَّةً مَعَ لَدُنْ ، تَشْبَهُ النُّونَ مِنْهَا بَنُونَ عَمَرِينَ » ، يُرِيدُ أَنَّ غُدُوَّةً تَنْصَبُ عَلَى شَبِّهِ التَّيْزِ .

(٢) الْمُسَدِّدُ : الَّذِي يُوْجِدُهُ السَّدَادُ وَالصَّوَابُ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَلَا مُسَدِّدٌ » صَوَابُهُ قُلْ .

(٣) أَيْ سَاحِلِ الْقُرَاتِ . وَفِي مَجْمَعِ الْبُلْدَانِ : « وَالطَّفُّ طِفُّ الْقُرَاتِ ، أَيْ الشَّاطِئُ » .

(٤) كَذَا فِي النُّسخِ ، وَهُوَ الْمُنَاطِقُ لِمَا مَضَى فِي س ٣٠٤ . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « جَابِرُ

ابْنِ الثَّعْلَبِ الْجَرْمِيُّ ، مِنْ طَيْهِ » . وَيُقَالُ أَيْبَاءُ « ابْنُ ثَعْلَبَةٍ » . انظر حواشي ٢١٥ .

(٥) كَذَا فِي قُلْ . وَفِي الْأَصْلِ : « فِيمَا بَيْنَ وَيْنِ رَبِّا وَطَلَبِ الْوُقُوفِ مِنْ أَمْرِهَا وَأَمْرِي » .

ما استشرح ، كنتُ أنا غيرَ أمينٍ ، فكيف أصيرُ معه مؤتمناً ، وذلك أني إن بُحْتُ بِسِرِّها فقد ضَيَّعتُ أمانتها ، والسِرُّ إذا جاوزَ اثنينِ خرجَ من أن يكون سِرّاً . ومثل هذا قولُ جرير :

ولقد تَسَقَّطَنِي الوُشَاةُ فصادقُوا حَصِرًا بِسِرِّكَ يَا أُمَيَّةَ ضَنِينًا

٤٨٣

وقال نفر بن قيس^(١) ، وبنو نفرٍ رَهْطُ الطَّرِمَاحِ :

١ - ألا قالتُ بَهَيْشَةُ ما لِنَفَرٍ أَرَاهُ غَيَّرَتْ مِنْهُ الدُّهُورُ^(٢)

٢ - وَأَنْتِ كَذَاكَ قَدْ غَيَّرْتَ بَمَدِي وَكُنْتَ كَأَنَّكَ الشَّعْرَى الصُّبُورُ

كَانَ الْمَرْأَةُ ازْهَرَتْهَ وَأَنْكَرَتْ شُحُوبَهُ وَهَزَلَتْهُ ، وَتَغَيَّرَهُ عَمَّا عَهْدَتْهُ ، فَصَرَفَتْ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ مِنْ مَقْبَضِيَّاتِ الْكَبِيرِ ، وَمَسَبِّبَاتِ التَّشَفُّفِ^(٣) ، وَقَالَتْ مَسْتَهْفِئَةً :

ما لِنَفَرٍ ، أَرَى الْأَيَّامَ أَثَرَتْ فِيهِ ، وَالْأَحْدَاثُ أَضَلَّتْهُ وَهَزَلَتْهُ ، فَأَجْلَبَهَا مِنْ

طَرِيقِ إِنْكَارِهَا وَقَالَ : إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ عُقَبِ الْأَيَّامِ فَلَهَا لَمْ تَنْقُلْ عَنْكَ وَلَمْ

تُهْمِلْ تَغْيِيرَكَ أَيْضًا ، فَمَا أَنْكَرْتَهُ مَتَى مَوْجُودٌ فِيكَ وَظَاهِرٌ عَلَى سَحْنَتِكَ^(٤)

وَلَوْ نَاكَ ، فَقَدْ كُنْتَ كَالشَّعْرَى الصُّبُورِ إِشْرَاقًا وَتَلَاوُثًا ، وَقَدْ حَلَّتِ وَتَغَيَّرَتْ .

و « الصُّبُور » قِيلَ فِيهِ : هُوَ مِنْ عَبَّرْتُ النَّهْرَ ، إِذَا جُرَّتْهُ . وَقِيلَ : بَلْ هُوَ مِنْ

عَبَّرْتُ بِهِ ، إِذَا شَقَّقْتَ عَلَيْهِ^(٥) ، كَأَنَّهَا إِذَا طَلَعَتْ تُعَبِّرُ الْمَالَ الرَّاعِيَةَ بِحَرْهَا ،

(١) هو الجَدُّ الثَّانِي لِلطَّرِمَاحِ ، إِذْ هُوَ الطَّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ نَفَرِ بْنِ قَيْسِ بْنِ

جَعْفَرِ بْنِ مُطَلِبَةَ بْنِ عَبْدِ رِضَا بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ دُبَيْمَةَ بْنِ جَرُولِ بْنِ مَعْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ

الْفَوْثِ بْنِ طَلْحَةَ . وَكَانَ الطَّرِمَاحُ نَفْسَهُ يَلْقَبُ « أَبَا نَفَرٍ » . انْظُرْ مَا مَضَى مِنْ تَرْجُمَتِهِ فِي ص ٢٢٧ .

(٢) التَّبَرُّزِيّ : « بَهَيْشَةُ » بِالْهَيْسَةِ الْهَمْزَةُ ، وَهِيَ رَوَايَتَانِ صَحِيحَتَانِ ، انْظُرِ الْإِسَانُ :

(٣) بَيْهَسٌ ، بَيْهَسٌ (حَيْثُ ذَكَرَ هَاتَيْنِ الرَوَايَتَيْنِ) .

(٤) التَّفَقُّفُ : يَيْسُ الْيَيْسُ وَشِقَّةُ وَسُوءُ الْحَالِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « سَجِيئَتُكَ » ، سِوَاهُ فِي ل .

(٥) فِي الْقَامُوسِ : « وَعَبَّرَ بِهِ الْأَمْرَ تَمْيِيزًا : اشْتَدَّ عَلَيْهِ . وَعَبَّرَتْ بِهِ : أَهْلَكَتْهُ ، »

وإذا سَقَطَتْ فَبَرَدَهَا . وقوله : « وَأَنْتِ كَذَاكِ » ، الكاف الأولى للتشبيه ، و « ذَا » أشار به إلى ما أنكرت منه ، والكاف الأخيرة للخطاب ولا موضع له من الإعراب ، فهو حرف .

٤٨٤

وَقَالَ بُرْجُ بْنُ مُسْهِرٍ ^(١) :

١ — وَتَدْمَانُ بَرِيدُ الْكَأْسِ طِيًّا سَقَيْتُ إِذَا تَعَرَّضْتَ النُّجُومَ ^(٢)

٢ — رَفَعْتُ بِرَأْسِهِ وَكَشَفْتُ عَنْهُ بِمَرْقَةِ مَلَامَةٍ مَن يَلُومُ ^(٣)

التَّدْمَانُ والتَّدِيمُ : مَن يُنَادِيكَ عَلَى الشَّرَابِ ، ومثله في البناء سَلْمَانُ وَسَلِيمٌ ، وَتَدْمَانُ وَتَدِيمٌ ، وَرَحْمَنُ وَرَحِيمٌ . ومعنى « بَرِيدُ الْكَأْسِ طِيًّا » أى يَهْضُنْ عِشْرَتَهُ ، وأدبٌ بِجَالِسَتِهِ يَزِدَادُ شَرْبَ الْمَدَامِ وَإِدَارَةُ الْكَأْسِ مَعَهُ لَذَّةٌ . والمعنى : رُبُّ نَدِيمٍ عَلَى مَا وَصَفْتُهُ سَقَيْتُهُ إِذَا تَعَرَّضْتَ النُّجُومَ ، أى أَبَدْتَ عُرْضَهَا لِلْقُيُوبِ . ويقال : تَعَرَّضْتُ الْجَبَلِ ، أى أَخَذْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فِيهِ ، وَلَمْ أَسْتَقِمْ فِي الشُّعُودِ . قال :

تَعَرَّضِي مَذَارِجًا وَسُومِي تَعَرَّضَ الْجُوزَاءُ لِلنُّجُومِ ^(٤)

ومعنى قوله « رَفَعْتُ بِرَأْسِهِ » أَنَبَّهُتُهُ مِنْ مَنَامِهِ ، وَأَزَلْتُ عَنْهُ مَا كَانَ يُدَاخِلُهُ

(١) سبقت ترجمته في الجلسة ١٢٢ ص ٣٥٩ .

(٢) التبريزي والسان (عرق) : « إِذَا خَوَّرْتَ » ، ثم قال التبريزي في التفسير : « إِذَا عَرَضْتَ النُّجُومَ ، أى أَبَدْتَ مَرَضَهَا لِلْعُيُوبِ » . ورواية المؤتلف ٦٢ تطابق رواية المروزي .

(٣) أُنْفَعُهُ فِي السَّانِ وَالْمَقَائِيسِ (عرق) . ورواية المقائيس : « أَخَذْتُ بِرَأْسِهِ » .

(٤) الرجز لبيد الله ذي الجياد بن الزنبي دليلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر

السان (عرق) . وأُنْفَعُهُ فِي الْمَقَائِيسِ (عرق) بدون نية . ومعه :

* هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ فَاسْتَعِيْ

من النعم بولم اللامعين إياه على معاطلة الشرب وإيمانه الهو ، بأن سقيته
مُعرَّقة — وهى المَصْرَف من الغر ، وقيل هى القليلة المزاج . ويقال : تمرقتُ
الجرّة ، إذا مزجتها . وأعرقه الساقى ، إذا سقاها مُعرَّقا . وقوله « إذا تعرّضت
النجوم » يشير به إلى الاصطباح .

٣ - فلّا أن تنشئ قام خرق من الفتيان مُختلق هضم^(١)
٤ - إلى وجناه ناوية فكاست وهى المَرْقوب منها والصميم
انتشى ونشئ وتنشئ بمعنى سكر . والنشوة : الشكر . وأراد بالخرق
نفسه ، وهو الكريم المتخرق بالمعروف . والمُختلق : التام الخلق . والمضموم ،
قال الأصبهى : هو الليناق فى الشتاء . وقال غيره : هو الكريم اللينزال ، كأنه
يَهْضِم ماله بأن يُخْرِج منه أكثر من الواجب فيه . والوجناه ، هى الناقة الفليطة
الوجنتين . وقيل بل هى الشلبة ، مأخوذ من الوجين ، وهى الأرض الفليطة .
قال الخليل : وقلّ ما يقال للجمل أوجن . والنلوبة : السمينة .

وقوله « فكاست » اختصر الكلام ، والمراد فرقتها فكاست . والكؤوس :
المشئ على ثلاث قوائم . وأراد بالصميم العضو الذى به القيّوم ؛ يقال : هذا
صميم الوظيف ، وصميم الرأس . والمَرْقوب : عَقِب^(٢) موثّر خلف الكمين
فوقَيْب العقب من الإنسان وبين مفصل الوظيف والساق من ذوات الأربع .
وعمرقبتّه : قطعت عمرقوبه . وقوله « وهى المَرْقوب » إظهار للعلّة فى كؤوسها .
والوهى : السقّ والخرق . وفى المثل : « غادر وهية لا تُرَقع » ، أى فتنة

(١) روى البرزى أيضا : « مختلق » بكسر اللام ، وفسره بأنه الكريم الأخلاق .

(٢) اثنى فى اللسان : « عصب » : والعقب : بالقاف ويوزن العصب أيضا ، هو عصب
التنين والداين والوظيفين ، يختلط بالحم ، يمشق منه مشقا وهذب ويتق من اللحم ويسوى
منه الوتر .

لا يُلَاقَ إِصْلَاحُهَا وَرَتْقُهَا . وَلِلْمَعْنَى : لَمَّا أَقِمَ رَسْمَ الْإِصْطِبَاحِ ، وَانْتَشَى النَّدَمَانُ ،
قَامَ هُوَ إِلَى نَاقَةِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَمَرَقَبَهَا .

٥ - كَهَاةٌ شَارِفٍ كَانَتْ لِشَيْخٍ لَهُ خُلُقٌ بِحَاذِرُهُ الْفَرَسِ^(١)

٦ - فَأَتْبَعَ شَرَبَهُ وَجَرَى عَلَيْهِمْ بِإِبْرَاقٍ كَأُسْمَا رَذُومٍ^(٢)

٧ - تَرَاهَا فِي الْإِنَاءِ لَهَا حَيَا كَمَيِّتًا مِثْلَ مَا قَعَّ الْأَدِيمُ^(٣)

٨ - تُرْنَحُ شَرِبَهَا حَتَّى تَرَاهُمْ كَأَنَّ الْقَوْمَ تَنْزِفُهُمْ كُلُّومٍ^(٤)

الكهامة : الناقة الضخمة كادت تدخل في السن ، وكذلك الكهانة .

والشارف : للسنة . وقوله « كَانَتْ لِشَيْخٍ » كَانَ الْكَرِيمُ مِنْهُمْ الْخَسَنُ إِلَى

عَشِيرَتِهِ ، لِلْفَضَالِ عَلَى رِقَائِهِ وَتُدْمَانِهِ ، يَتَمَدَّدُ إِذَا نَحَرَ لَمْ فِي الشَّرْبِ وَعِنْدَ

السُّكْرِ ، أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مِلْكِهِ ، يَسْتَنَامُ^(٥) مَا لَيْكَ الْبُخْلُورُ بِهَا أَعْلَى

الْأَثْمَانِ فِيغْرِثُهُ ، وَيَعْدُ ذَلِكَ الْفَرْمُ غُنًى ، وَالصَّبْرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِهِ وَإِنْكَارِهِ

التَّبَسُّطُ فِي مِلْكِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ كَرَمًا . لِذَلِكَ قَالَ : « لَهُ خُلُقٌ بِحَاذِرُهُ الْفَرَسِ » ،

يُرِيدُ الْبُخْلَ مِنْهُ وَالْإِسْتِقْصَاءَ .

وقد سلك هذا السلك طرفة فقال وَوَقَّى الْمَعْنَى حَقُّهُ ، وَكَأَنَّهُ صَبَّ فِي قَالِبٍ

هذا الشاعر :

وَبَرَكْهُ هُجُودٌ قَدْ أَثَارَتْ عَنَاقَتِي نَوَادِيهَا أَمِشِي بَعْضُهَا بِجُرْدٍ^(٥)

(١) لَمْ يَرَوْا الْآمِدَى هَذَا الْبَيْتَ .

(٢) الْفَرَسِيُّ : « وَسَمِي عَلَيْهِ » ، ثُمَّ أُشِيرَ إِلَى الرِّوَايَةِ الْآخَرَى .

(٣) الْآمِدَى : « وَرَوَى : قَعَّ الْأَدِيمَ ، أَيْ رَوَى . وَيُقَالُ : أَرَجَوَانُ نَاقِعٌ ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ رَوَى مِنَ الصَّبْغِ . فَأَمَّا قَعَّ فَمَتَاهُ أَحْمَرٌ ، وَقِيلَ : أَحْمَرُ قَطَاعِي » .

(٤) ل : « لِيُطْعَمَ » .

(٥) الْبَرَكُ : الْإِبِلُ الْكَثِيرَةُ الْبَارِكَةُ . النَّوَادِي : الْقَوَاصِي مِنْهَا . الضَّبُّ : السِّيفُ الْقَاطِعُ :

فَرَّتْ كَهَاءُ ذَاتِ خَيْفٍ جُلَّالَةٍ عَقِيلَةُ شَيْخٍ كَالْوَيْلِ الْأَنْدَدِ^(١)
 يَقُولُ وَقَدْ تَرَى الْوُظَيْفَ وَسَاقِيهَا أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤَيِّدِ^(٢)
 وَقَالَ أَلَا مَاذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغِيهِ مُعَمِّدِ
 فَقَالَ ذَرُوهُ إِنَّمَا نَفَعُهَا لَهُ وَإِلَّا تَكْفُؤُوا قَاصِيَ الْبَرْكِ يَزْدَدِ
 فَظَلَّ الْإِمَامُ يَمْتَلِنَ حَوَازَهَا وَيُسْتَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ الْمُسَرَّهِ^(٣)

قوله « فأشبع شربه » يعنى من الناقة المقورة . وجعل الجارى عليهم بأريقين والكأس ملاءى تقطر ؛ لأن شرابهم كان يدارا . ثم وصف الحمرة فقال : لها سوزة شديدة ، ولونها حمرة متناهية . ومعنى فقّع : حسن وصفا . ويقال : أحمر فاقع . ويروى : « مثل ما نصع » ، والمراد خلص . والحميا مصغر لا مكبر له ، وقد تقدم القول فى بنائه . وكُتِيت : مصغر مرخم ، والمراد به تكبيره ، وهو أ كُتِيت ، لذلك جمع على كُتِيت . ومثله قرس وزد ، ثم قيل خيل وزد ، لأنه أريد به أفلل . وبما جاء مصغرا قولهم كُتِيت ، وهو طائر ، وجُمِل^(٤) ، والثرىا ، والغبيراء ، والرَيْطَاء ، واللجن ، وهنيدة .

وقوله « تُرْتَحُ شَرَبِهِ » أى لشدتها تُزِيلُ قُوَاهُمْ ، فكأنهم أسارى نُزِفَتْ دماؤهم . ويقال : ضربته حتى رنحته ، أى غشى عليه .

٩ — قُفْمَنَا وَالرَّ كَابُ مُحْيَسَاتٍ إِلَى قُتْلِ الْمَرَاقِي وَهِيَ كُومٌ^(٥)

(١) الخيف : بالفتح : جلد خزع الناقة . العقيلة : كريمة المال . الويل : الصا الضخمة . والأندد واليلند : الشديد الخصومة .

(٢) تر : سقط - للؤد : الدامية المظيعة العديدة .

(٣) يمتلن : الامتلاء : جيل المعى : فى الله ، ومن الجمر والرماد الحمار . وفى النصفين : « يمتلكن » ، تحريف . والحوار : وقد الناقة . السديف : قطع البياض . لجرعد : اللجين ، أو المقطع قلمأ . (٤) فى اللسان : « سبيرو : الجبل البليل ، لا يتكلم به إلا مصغرا » .

(٥) حفا : اليه : يعطيه ثم يلزمها بالأسدى :

١٠- كَانَا وَالرَّحَالُ عَلَى صَوَائِرِ بِرْمَلٍ خُزَاقٍ أَسْلَمَهُ الصَّرِيمُ
 يُرَوَّى «مَجْبَسَات» أَيْ مَقُولَاتٌ مُنَاحَةٌ بِالْفَنَاءِ ، وَهُوَ الْوَجْهَ . وَرَوَى
 بِهِمْ : «مَجْبَسَات» أَيْ مَذَلَّلَاتٌ ، لَكِي إِذَا رُكِبَتْ لِلَّهِ^(١) ، وَفِي حَالَةِ
 الشُّكْرِ كَمَا فَعَلَهُ هَؤُلَاءِ ، لَمْ تَنْسِفْ بُرُكِيَّانَهَا ، وَلَمْ تَأْتِ الْعِرِضَةَ فِي سِيرِهَا .
 وَالْقَتْلُ : جَمْعُ أَقْتَلَ وَقَتْلَاءَ ، وَهِيَ الْبَيْدَةُ الْمُرْقَنُ عَنِ الزَّوْرِ . وَالْكُومُ : الْعِظَامُ
 الْأُسْنِيَّةُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْكُومُ : الْعِظَمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ . وَقَوْلُهُ «كَانَا وَالرَّحَالُ»
 شَبَّهَ رُكَابَهُمْ بِقَطِيعٍ مِنَ الْبَقَرِ بِالرَّمْلِ الْمَذْكُورِ ، أَسْلَمَهُ الصَّرِيمُ إِلَى الصَّيَّادِينَ
 وَالْكِلَابِ ، لَخَفَتْ وَعَدَّتْ . وَالصَّرِيمُ اسْتَعْمِلَ فِي الصَّبْحِ وَاللَّيْلِ جَمِيعًا ، لِأَنَّهُ
 كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَنْصَرُّ عَنْ صَاحِبِهِ وَقَدْ السَّحَر . وَإِنَّمَا رَكَبُوا بَعْدَ الْإِصْطِبَاحِ
 لِنَفْزِهِ أَوْ فِي بَطَالَةٍ حَضَرَتْهُمْ^(٢) .

١١- فَبَدْنَا بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ سِنَاكِ قِيَا مَجْبَسَاتٍ لَتَبَشِيرٍ لَوْ يَدُومُ
 ١٢- وَفِيهَا مُسَمِّعَاتٌ عِنْدَ شُرْبٍ وَغَزَلَانٌ يُعَدُّ لَهَا الْحِمِّ^(٣)
 تَبَجَّحَ بِأَنَّهُمْ نَالُوا أَكْثَرَ الْأَنْوَاعِ اللَّذَاتِ ، مِنْ شُرْبٍ وَقَصْفٍ ، [وَنَزَهَ^(٤)] .
 وَلَهُوَ ، وَمَعَاشِرَةٌ وَطَرَبٌ ، وَتَسَخُّرٌ وَإِفْضَالٌ ، وَتَنْذِيرٌ عَلَى النَّدَامِ وَإِكْرَامٍ ،
 وَتَرْفٍ وَتَعَطُّرٌ ، وَتَمَتُّعٌ بِالنِّسَاءِ وَتَغَزُّلٌ . وَقَوْلُهُ «فِيَا عَجِبَا» إِنَّمَا تَعَجَّبَ مِنْ اسْتِمْرَارِ
 الْوَقْتِ بِمَثَلِ الْعَيْشِ الَّذِي وَصَفَ ، وَكَيْفَ تَمَّتِ الزَّمَانُ بِهِ ثُمَّ غَفَلَ عَنْهُ حَتَّى اتَّصَلَ .
 وَالْمُسَمِّعَاتُ : لِلنَّفْيَاتِ . وَالسَّمَاعُ : الْفَنَاءُ . وَذَكَرَ الْحِمِّ لِتَنَمُّعِهِمْ ، وَلِأَنَّهُ بِلَادُهُمْ
 كَانَتْ ضُرُودًا^(٥) . وَعَلَى هَذَا قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ :

(١) سبق نحو هذا التعبير في ص ١١٦٩ س ٩ «لَكِي إِذَا نَابَنَا ذُو سِق» .

(٢) البطالة : اتباع اللهو والجهالة .

(٣) هذا البيت لم يروه الأُمدي .

(٤) نزه : من له .

(٥) الصرود : جمع صرد ، وهو المكان المرعى بين الجبال ، وهو أبرد ما .

مُسْتَشْمَةً كَانَ الْخَصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينًا
 قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : سَخِينًا حَالُ بَعْضِ مُسَخَّنٍ ، لِأَنَّ الْبَرْدَ الْقَضَاءُ
 بِذَلِكَ الْمَاءِ .

وقوله « فَبَيْنَنَا بَيْنَ ذَلِكَ » يريد أن حاضروهم كان على ذلك ثم تغير .

١٣ — نَطُوفٌ مَا نَطُوفٌ نَمَّ بَأْوَى ذَوُو الْأَمْوَالِ مِنَّا وَالْقَدِيمُ

١٤ — إِلَى حُفْرِ أَسَافِلُهُنَّ جَوْفٌ وَأَعْلَاهُنَّ صَفَّاحٌ مُقِيمٌ

يقول : يُكْثِرُ الْوَاحِدُ مِنَ التَّطَوُّفِ عَلَى اللَّذَاتِ ، وَالتَّجَوُّلِ فِي الْأَطْرَافِ
 لَطَلَبِ الْبَطَالَةِ ، وَلَيْسَ مَالُ الْجَمِيعِ مُقْتَرَنًا وَغَنِينًا إِلَّا إِلَى حُفْرِ ، يَعْنِي بِهَا الْقُبُورَ .
 نَمَّ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا جَوْفُ الْأَسَافِلِ لِلْحُودِهَا ، وَأَنَّ أَعْلَاهَا نَصَبَتْ عَلَيْهَا حِجَابَةً
 عِرَاضٌ كَالسُّقُوفِ لَهَا ، وَهِيَ دَائِمَةٌ عَلَى هَذِهِ أَبَدًا .

وقوله « نَطُوفٌ مَا نَطُوفٌ » أَي مَدَّةٌ تَطَوُّفَانَا . وَيُقَالُ : أَوَى إِلَى
 كَذَا أَوْيًّا .

٤٨٥

وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ الْأَرْتِ^(١) :

١ — هَلَمْ خَلِيلِي وَالنَّوَايَةُ قَدْ نَضِي هَلَمْ نَحْيُ لِلنَّشِيئِ مِنَ الشَّرْبِ

٢ — نَسَلٌ مَلَامَاتِ الرِّجَالِ بِرِيَّةٍ وَنَفَرِ شُرُورِ الْيَوْمِ بِالْهَوَى وَالْقَمْبِ

قوله « وَالنَّوَايَةُ قَدْ نَضِي » اعْتِرَاضٌ ، وَكَرَّرَ هَلَمْ عَلَى طَرِيقِ التَّأْكِيدِ .
 وَالْفَائِدَةُ فِي هَذَا الْاعْتِرَاضِ تَحْقِيقُ الْقِصَّةِ لِلدَّعْوَى إِلَيْهَا .

(١) سبغت ترجمته في المحاسنة ٣٥٧ ص ٢٠٧٨ . التبريزي : « إِيَّاسُ بْنُ الْأَرْتِ
 الطائي » .

والعرب في «هلم» طريقتان : منهم من يُجْزِئُهُ بِجُزْئِهِ أَصْنَافًا ، وَحِينَئِذٍ يَقَعُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ وَالْمُؤَنَّثِ وَالْمَذَكَّرِ عَلَى حَالِهِ وَاحِدَةً ، وَالْقِرَاءَانُ نَزَلَ بِهِ ، لِأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ يَقُولُونَ لِأَخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ أَصْلَهَا هَا التَّيْنِيهِ خُمْ إِلَيْهِ لَمْ ، وَهُوَ فَعْلٌ ، جَعْلًا مَعًا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ ، فَيَتَيْنِيهِ وَيَجْمَعُهُ وَيُؤَنِّثُهُ . وَكَانَ الْقِرَاءَةُ يَقُولُ : هُوَ هَلْ أَمْ تَرْكَبًا مَعًا . وَلَيْسَ لِهَلْ فِي الْكَلَامِ إِلَّا مَوْضِعَانِ : أَحَدُهُمَا — وَهُوَ الْأَكْثَرُ — أَنْ يَكُونَ لِلْاسْتِفْهَامِ ، وَلَا مَعْنَى لِلْاسْتِفْهَامِ هَاهُنَا . وَالثَّانِي : أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى قَدْ ، عَلَى ذَلِكَ فَسَّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ ﴾ ، وَلَيْسَ لِمَعْنَى قَدْ فِي هَذَا مَدْخَلٌ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَا قَالَهُ قَامِدٌ .

وقوله « والنوابة قد تُضَيِّى » يريد أن النوى يدعو صاحبه إلى أمور كثيرة مختلفة ، وقد يجعله على الصَّبا واللَّهو في الوقتِ بَعْدَ الْوَقْتِ . وَطَلَبَ مِنْ صَاحِبِهِ مَسَاعِدَتَهُ عَلَى تَحْيِيَّتِهِ لِلشَّرْبِ ^(١) ، وَالدُّخُولِ فِي جُمْلَتِهِمْ ، وَتَسْلِيَةِ الثَّفُوسِ عَنْ مَلَامَاتٍ مَن يَدْعُو إِلَى الرَّشَادِ ، وَيَحْيِلُ عَلَى سُلُوكِ طُرُقِ الصَّلَاحِ وَالسَّادَاتِ ^(٢) ، بِشُرْبِ رِيَّةٍ ، وَهِيَ الْكَأْسُ لِلْمَثَلَةِ خَمْرًا ، وَقَطْعَ وَقْتِ الشَّرِّ وَالنِّمِّ بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ . وَقَوْلُهُ « نُسَلِّ » فِي مَوْضِعِ الْجَزْمِ ، لِأَنَّهُ جَوَابُ الْأَمْرِ . وَ« نَقَرِ » ، مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ . وَيُقَالُ : فَرَيْتُ الْأَدِيمَ ، إِذَا قَطَعْتَهُ عَلَى جِهَةِ الصَّلَاحِ ، وَأَفْرَيْتَهُ إِذَا قَطَعْتَهُ لِفَسَادٍ .

٣ — إِذَا مَا تَرَاحَتْ سَاعَةٌ فَاجْعَلْنَاهَا نَيْفِيرٍ فَإِنَّ الدَّهْرَ أَعْصَلُ ذُو شَنْبٍ

٤ — فَإِنْ يَكُ خَيْرٌ أَوْ يَكُنْ تَعْصُرُ رَاحَةٌ فَإِنَّكَ لَا يَمِينُ غُومٍ وَمِنْ كَرْبٍ

قوله : « إِذَا مَا تَرَاحَتْ سَاعَةٌ فَاجْعَلْنَاهَا » فِي طَرِيقَتِهِ مَا أَنْشَدَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَالِحٌ فَاقْبَلْنَاهُ فَأَنْتَ عَلَى يَوْمِ الشَّقْوَةِ قَادِرٌ

(١) ل : « تحية العرب » .

(٢) ل : « الرهاد والسداد » .

وقوله « فَإِنَّ الدَّهْرَ أَعْصَلُ » ، القَصْلُ : احواج الأنياب . قال الخليل : ولا يقال أعصل إلا لـكَلٍّ معوجٍّ فيه صلابَةٌ وكَرَازَةٌ . وللمعنى : أن ما يَمْضُ عليه الدهرُ لا يُمْكِنُ انْتِزَاعُهُ منه ، كما لا يُمْكِنُ انْتِزَاعُ الشَّيْءِ مِنَ النَّابِ الَّتِي فِيهَا عَصَلٌ . والشَّعْبُ : تَهْيِيجُ الشَّرِّ . ويقالُ : رَجُلٌ مِشَقَّتٌ .

وقوله « فَإِنَّ يَكْ خَيْرٌ أَوْ يَكُنْ بَعْضُ رَاحَةٍ » ، يريد أن الدهر لا تصفو أحواله من الكَدَرِ ، ولا عطاياه من التَّعَبِ والأَذَى ، فلا تُنَمِّتْ عَلَى نَفْسِكَ ، واجتهد في إصلاح ما يُفْسِدُهُ ، وإلقاء ما يَشُقُّ مِنْهُ . وقوله « فَإِنَّكَ لَآتِي مِنْ عُجُومٍ » من زائدة على مذهب الأخفش ، كأنه قال : إِنَّكَ لَآتِي عُجُومًا . وسيبويه لا يَرَى زِيَادَةَ « مِنْ » في الواجب ، فطريقته في مثله أَنَّهُ صَفَةٌ لِلْعُجُوفِ ، كأنه قال : إِنَّكَ لَآتِي مَا شئتَ مِنْ عُجُومٍ .

٤٨٦

وقال آخر :

١ - أَحِبُّ الْأَرْضَ تَسْكُنُهَا سُلَيْمَى وَإِنْ كَانَتْ تَوَارَتْهَا الْجُدُوبُ

٢ - وَمَا دَهْرِي بِحُبِّ تَرَابِ أَرْضٍ وَلَكِنْ مَنْ يَحْمِلُ بِهَا حَبِيبُ

يذكر حنينه إلى محلِّ سُلَيْمَى ومكانها ، ومثله وإن كان قَفْرًا^(١) مَرْدُودًا فِي

الْجُدُوبِ ، متناهيًا أَفْطَارُهُ فِي الْيُبُوسَةِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ عَزَّ عَلَيْهِ لَكُونِهَا بِهِ ، فَأَتَا

حُبُّ الْأَرْضِ بَجَرْدَةٍ فَلَيْسَ مِنْ دَابِهِ وَعَادَتِهِ .

وقوله « وَمَا دَهْرِي بِحُبِّ تَرَابِ أَرْضٍ » جعل الحُبَّ لِلدَّهْرِ عَلَى طَرِيقَتِهِم

فِي قَوْلِهِمْ : نَهَارُهُ صَائِمٌ ، وَلَيْلُهُ قَائِمٌ . والمعنى : لَيْسَ حُبُّ الْأَرْضِ مِنْ جِنَى بِيَادِهِ فِي

(١) فِي الْأَسْفَلِ : « هَبْرًا » ، سَوَابِهِ فِي لَدِ .

هري ، وقوله « ولكن من يمل بها حبيب » يشبه قول الآخر :
 ألا يا بَيْتُ بالعِلياء بَيْتُ وَلَوْلَا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ^(١)
 يريد أن البيوت في الموضع الذي جئت منه قد كثرت ، ولكنني قصدتك
 لحب أهلك . وقوله « توارثها » أي تنوارثها ، غذف إحدى التاءين استقلا .
 وقد مضى مثله .

٣ - أَعَاذِلْ لَوْ شَرِبْتَ الْخَمَرَ حَتَّى يَكُونَ لِكُلِّ أُنْمَلَةٍ دَيْبٌ
 ٤ - إِذْنُ لَمْ تَذَرْنِي وَعَلِمْتُ أَنِّي بِمَا أَتَلَفْتُ مِنْ مَالِي مُصِيبٌ^(٢)
 كأن عاذلة أفرطت في لوميه على ما يؤمنه من الشرب ، ويذهب فيه من
 طُرُقِ اللُّهُو ، فقال لها : لو شربت الخمر فأخذت منك ، ودبت في عروقك
 ومفاصلك ، وجمعت السار لك ، وكشفت أنواع النعم عنك ، لمررت من لذاتها
 ومتاعها ، وحدث الطرب والجدل في النفوس لها ، واستمتع الروح بنشوتها
 وقواها ، ما ييسر لك على بسط عذري في الولوع بها ، والثبات على هواها ،
 ولعليت أني راكب قبيح الصواب ، وغير عادل عن الواجب في إنفاق المال .
 ومعنى « لِمَا أَتَلَفْتُ » أي من أجل إلتفافي . ويروى : « بما أتلفت » ، وللعنى
 أني مصيب بسببيه ومن أجله .

(١) ألقده في السان (بيت) شاهداً على أن البيت فيه معنى المرأة .
 (٢) ل : « لما أتلفت » ، وأخير في هامشها إلى أنها في نسخة « بما أتلفت » .

٤٨٧

وقال أبو صَعْتَةَ البُولَانِي^(١) :

- ١ — فَمَا نُطَقَّةٌ مِنْ حَبِّ مُزْنٍ تَقَادَفَتْ بِهِ حِسْنُ الْجُودِيِّ وَاللَّيْلُ دَامِسُ^(٢)
 ٢ — فَلَمَّا أَفْرَنْتُهُ الْأَصَابَ تَنَفَّسَتْ كَيْمَالٌ لِأَعْلَى مَاهٍ فَهُوَ قَارِسُ^(٣)
 ٣ — بِأَطْيَبِ مَنْ فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ وَلَكِنِّي فِيمَا تَرَى التَّيْنُ قَارِسُ
 قوله « حِسْنُ الْجُودِيِّ » رواه البرقي : « به حُزْنُ الْجُودِيِّ » ، وكثير من
 الناس يرويه : « به جَنْبَا الْجُودِيِّ » . وقيل في « حِسْنِ الْجُودِيِّ » : إنه قطعة
 متصلة بالجوْدِي ، والجُودِي : جبل . وقال صاحب العين : حِسْنُ : اسم رجل لبني
 سعد^(٤) . وذكر البرقي أن العَزَنَةَ والحَزْنَ من الأرض والدَّوَابَّ : ما فيه
 خُشُونَةٌ ، والفعل منه حَزَنَ حَزُونَةً ، ورجل حَزَنٌ : شَرِسٌ ، وقوم حَزَنٌ^(٥) .
 ومن روى : « به جَنْبَا الْوَادِي » فالمراد به السَّكْنُفُ والنَّاحِيَة . وبعضهم استدلَّ
 على أن قول النَّاسِ : فُلَانٌ فِي جَنْبَةِ فُلَانٍ ليس بشيء ، وإنما الصواب في جَنْبَةِ
 فُلَانٍ ، بسكون النون ، استبدالاً بهذا البيت .

وقد روى الأصمعي :

* وَالنَّاسُ فِي جَنْبٍ وَكُنَّا جَنْبًا *

فيقول : ما ملا اجتمع من حَبِّ مُزْنٍ — وهو البردُ ، لأنَّ للزَّن اسمٌ يجمع

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ٣٥٩ ص ١٠٣٣ . وهذه المقطوعة من بحر المقطوعة ٣٥٩ ورويا ، فلهما من قصيدة واحدة .

(٢) هذا ما في ل وياقوت (٣ : ٢٧٩) ، وفي الأصل : « جنبتا الجودي » .

(٣) ل : « لأعلى منه » .

(٤) ياقوت : « حسن ما هنا : جمع حِسنة ، وهي مجارى الماء » . وضبط الحسن فيه بكسر ففتح كما في النسختين هنا ، وضبط في اللسان بفتحين في الجمع والفرد .

(٥) في اللسان : « الأصمعي : الحزن : الجبال الغلاظ ، الواحدة حزنة — أى بالضم —

مثل صبرة وصبر » .

أَنواعِ السحاب ، فهو كالنِّم — تَرَامَتْ بِهِ جَوَانِبُ هَذَا الْجَبَلِ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ إِلَى
أَنْ زَالَ رَوْنَهُ ، وَانْقَطَعَ كَدْرُهُ . وخبر « ما » قوله « بأطيب » . ثُمَّ وَصَفَ
الماء بأنه لما حَصَلَ فِي التَّرَارَاتِ بَعْدَ تَقَطُّعِهِ بَنَصْدِ الْحِجَارَةِ ، وَجَوَانِبِ اللَّذَانِبِ
وَالْأَوْدِيَةِ ، فزَالَ عَنْهُ أَكْثَرُ شَوْبِهِ ، هَبَّتْ عَلَيْهِ تَمَالٌ لَيْتَنُ فَصَفَّتْهُ وَبَرَّدَتْهُ .
يُرِيدُ : مَا مَاءٌ سَارِيَةٌ بِهِذِهِ الصِّفَةِ بِأَعْزَبَ مِنْ رُضَابٍ فَمِنْ هَذِهِ لِلرَّأَةِ ، وَلَا أَقُولُ
هَذَا عَنْ ذَوَاتِي وَاخْتِبَارِ ، وَلَسْكَنَ عَنْ صِدْقِ فِرَاسَةٍ ، وَاعْتِبَارِ مُشَاهَدَةٍ .
وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخَرِ^(١) :

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا غَيْرَ مُخْتَبَرٍ إِلَّا شَهَادَةُ أَطْرَافِ السَّوَايِكِ

وَالنَّصَابِ : جَمْعُ لَصَبٍ ، وَهُوَ شَقِيقٌ فِي الْجَبَلِ . وَالْقَارِسُ : الْبَارِدُ . وَقَوْلُهُ
« قَارِسٌ » أَرَادَ بِهِ لِلتَّفَرُّسِ . وَيُقَالُ : هُوَ قَارِسٌ عَلَى الْخَيْلِ بَيْنَ الْقُرُوسَةِ^(٢) ،
وَإِذَا كَانَ يَتَفَرَّسُ فِي الْأَشْيَاءِ وَيُحْسِنُ النَّظَرَ فِيهَا قُلْتُ : هُوَ قَارِسٌ بَيْنَ الْفِرَاسَةِ .
وَالدَّامِسُ : الظُّلُمُ ، وَيُقَالُ : دَمَسَ ، أَيْ أَظْلَمَ ؛ وَأَتَيْتُهُ دَمَسَ الظُّلَامِ .

٤٨٨

وقال الحارث بن خالد المخزومي^(٣) :

١ — إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَبَارِ تَوَوَّدَهَا الثَّمَلُ
٢ — لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِينِهَا سِفْلًا وَأَصْبَحَ سِفْلُهَا يَتَلَوُ

(١) هو بشر بن برد . أمال النبال (١ : ٢٢٨) والأغاني (١٨ : ١٩٢) .

(٢) ل . « القروسية » ، وهما سنان .

(٣) هو الحارث بن خالد بن النّاس بن هشام بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن
كعب بن لؤي بن غالب : وهو أحد شعراء قريش المذودين التزائيف ، وكان ينسب مذهبه
عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز النزول إلى الدرع والمجاء ، وكان يهوى عائشة بنت طلحة وينسب بها ،
وولاه عبد الملك بن مروان مكة . الأغاني (١٨ : ٩٧ — ١١١) .

٣ - لَعَرَفْتُ مَعْنَاهَا لِمَا صَمِمَتْ مِثِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

أَقَدَّمُ بِالْقَرَابِينِ الَّتِي يَنْحَرُّهَا الْحَبِيبُ عِنْدَ الْمُخَصَّبِ غَدَاةَ مِثِّي وَهِيَ مَقُولَةٌ ،
أَنَّهُ لَوْ غَيَّرْتُ دِيَارُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ عَنْ خِطَطِهَا الْمَهُودَةِ ، وَرَسُومِهَا الْمَشْهُورَةِ ، حَتَّى
جُمِلَتْ أَعَالِيهَا أَسَافِلَهَا ، وَأَسَافِلُهَا أَعَالِيهَا لَعَرَفَ مَعْنَاهَا الْمُخْتَصُّ بِهَا ، وَمَثَوَاهَا
الْجَامِعُ لِأَسْبَابِهَا لِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مَخَانِي ضُلُوعِهِ مِنْ وَدِّ أَهْلِهَا أَيَّامَ مُوَاسِلَتِهَا^(١) ،
حَتَّى كَانَ لَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا . وَمَعْنَى « تَوَدُّهَا » تَقْلِبُهَا . وَجَوَابُ الْيَمِينِ
« لَعَرَفْتُ » . وَالْمَعْنَى : الْمَنْزِلُ . وَيُقَالُ : غَنِينَا بِمَكَانٍ كَذَا تَقَفَى بِهِ غِنَى .
وَجَوَابُ « لَوْ بَدَّلْتُ » مَا هُوَ جَوَابُ الْقَدَمِ ، وَهُوَ لَعَرَفْتُ .

٤٨٩

آخر^(٢) :

١ - مَرِيضَاتُ أَوْبَاتِ التَّهَادَى كَانَهَا تَخَافُ عَلَى أَحْسَانِهَا أَنْ تَقَطَّعًا^(٣)

٢ - نَسِيبُ انْسِيَابِ الْأَيْمِ أَخْصَرَهُ النَّدَى فَرَقَعَ مِنْ أَعْطَافِهِ مَا تَرَفَعًا^(٤)

التَّهَادَى : اللَّشَى بَيْنَ اثْنَيْنِ ؛ يُقَالُ : رَأَيْتُهُ بُهَادَى بَيْنَ اثْنَيْنِ وَبِتَّهَادَى .
يُصَفُّهَا بِالنَّمَةِ وَالرَّفَّةِ وَضَمُّهُ الْحَرَكَةُ ، لِثِقَلِ رِدْفِهَا ، وَدِقَّةِ خَصَرِهَا ، وَتَرَفُّعِهَا
لِلْمَمْلَكَةِ لِأَعْضَائِهَا وَحَوَامِلِهَا ، فَيَقُولُ : إِذَا تَهَادَتْ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، قَطَّعْتَ حَرَكَاتِهَا
مَرِيضَةً ، وَتَهَضَّتْ انْدِفَاعُهَا بِطَيْئَةٍ ، فَكَأَنَّهَا تَجْذِبُ أَعَالِيَهَا أَسَافِلَهَا ، تَخَافُ عَلَى

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَسْلِ : « وَدَّ أَهْلُهَا لِمَا وَمُوَاسَلَتِهَا » .

(٢) هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ ، كَمَا فِي مَعَاذِرَاتِ الرَّاقِبِ (٢ : ١٣٩) . وَالْجَنَانُ رَوِيًا

أَيْضًا فِي الْحَيَوَانَ (٤ : ٢٥٩) وَنَجْوَةُ الْعَامِي ٢٥٩ .

(٣) الْحَيَوَانَ : « مَرِيضَةٌ أَتَاءَ التَّهَادَى كَأَنَّهَا » .

(٤) فِي الْأَسْلِ : « مِنْ أَعْطَافِهَا » ، صَوَابُهُ فِي ل وَالتَّبْرِيزِيِّ وَسَائِرِ الْمَرَاكِعِ ، لَكِنْ فِي

الْحَيَوَانَ : « يَرْفَعُ مِنْ أَعْطَافِهِ » .

خصرها التَّقَطُّعُ إِنْ تَبَسَّطَتْ فِي الْمَشْيِ ، أَوْ تَسَرَّعَتْ فِي الْقَصْدِ .
 وقوله « تَسِيبَ انْسِيَابَ الْأَيْنِ » فَلَا يُنْ : الجَانُّ مِنَ الْحَيَاتِ . وَيُرْوَى
 « الْأَيْمِ » أَيْضاً ، وَهِيَ الْحَيَّةُ . وَالْحَيَّةُ لَا تَصْبِرُ عَلَى الْبَرْدِ ، لِأَنَّهُ إِذَا أَثَرُ فِيهَا
 يَبْسُ جَرْمُهَا فَتَكْسِرَتْ . فَيَقُولُ : هِيَ تَسَابُ أَيْ تَدْفَعُ فِي مَشْيِهَا تَدْفَعُ الْحَيَّةُ
 وَقَدْ أَثَرُ فِيهَا النَّدَى فَخَصِرَتْ وَأَخَذَتْ مِنْ جَرْمِهَا وَأَعْطَاهَا مَا أَطَاعَهَا وَأَمَكْنَهَا .
 كَأَنَّ الْحَيَّةَ وَقَدْ خَصِرَتْ شَوْقَ عَلَيْهَا مَا يَفَالُهَا مِنْ خَصَرِ النَّدَى وَبَرْدِهِ ، فَهِيَ فِي
 انْسِيَابِهَا تَجَافَى^(١) عَنْ الْأَرْضِ جُهْدَهَا . وَيُقَالُ : سَابَ وَانْسَابَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .
 وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَلَا سَائِبَةَ ﴾ . قَالَ الدَّرِيدِيُّ : سَابَ لِلْمَاءِ ، إِذَا جَرَى .

٤٩٠

آخر :

- ١- أَبَتِ الرِّوَادِفُ وَالتَّدْيِيُّ لِقُمْصِهَا مَسَّ الْبُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا^(٢)
 - ٢- وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ نَبْهَنَ حَاسِدَةً وَهِيْجَنَ غَيُورًا
- لَفَّ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ الْخَبِيرِينَ لَفًّا ، ثُمَّ رَمَى بِتَفْسِيرِهَا جَهْلَةً ، ثَقَّةً بِأَنَّ السَّامِعَ
 لِكَلَامِهِ يَرُدُّ إِلَى كُلِّ مَالَةٍ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ « أَبَتِ الرِّوَادِفُ وَالتَّدْيِيُّ
 لِقُمْصِهَا » ، فَجَبَّعَ بَيْنَ مَا يَكُونُ خَلْقًا وَقَدْ آمَنَ مِنَ الرَّدْفِ وَالتَّدْيِ . وَهُوَ يَرِيدُ
 أَنْ يَصِفَهَا بِأَنَّهُا نَاهِدَةُ التَّدْيِينَ ، دَقِيقَةُ الْخَمْرِ ، لَطِيفَةُ الْبَطْنِ ، وَأَنَّهَا عَظِيمَةُ
 الْكَفْلِ وَالرَّدْفِ ، فَالتَّدْيِيُّ تَمْنَعُ الْقُمْصِ أَنْ تَلْتَصِقَ بِيَطْنِهَا ، وَالرَّدْفُ يَمْنَعُهَا أَنْ
 تَلْتَصِقَ بِظَهْرِهَا ، فَيَبِّقَ فِي التَّفْسِيرِ فِي عَجَزِ الْبَيْتِ مَا لَفَّ فِي صَدْرِهِ كَمَا تَرَى .
- وقوله « وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ » ، يَرِيدُ : وَإِذَا دَنَتْ الْأَصْلُ

(١) ل : « تَجَافَى » .

(٢) الْبَيْتَانِ فِي أَمَالِي الْغَالِي (١ : ٢٣) .

وهبت رياح العصف ، فتقابلت ريمان كالشمال والجنوب ، أو الصبا والدبور ،
وابتردت هذه ، التصق من درعها ببطنها وظهرها ما كان يمنة ثديها ووردها
قبل هبوبها ، وظهر من محاسنها ما يئبسه الحاسد ويهيج النيور ، لأن ما خفي
منها ظهر للعيون وللناظر ، فالنيور يكره ، والحاسد يتنبه . وقوله « وأن تمس »
جاز انعطافه على « مس البطون » لكون العامل والمعمول فيه في موضعه ومعناه .
والبطون في موضع المفعول ، لأن المصدر يُضاف إلى المفعول كما يُضاف إلى الفاعل .
والبطون مع لفظ مس ، كظهوراً مع أن تمس .

٤٩١

وقال بكر بن النطاح^(١) :

- ١ - يبيضاء تسحب من قيام فرعها وتتيب فيه وهو وخف أسنم
 - ٢ - فكانها فيه نهات ساطع وكأنه ليل عليها مظلم
- وصف شعرها بالطول ، وكثرة الأصول ، فإذا قامت سحبته ، وإذا أرسلته

(١) شاعر حنفي من بني حنيفة بن لبيم ، أو عجل من عجل بن لبيم وما أخوان . وكان
بكر بن النطاح صلوفاً يصيب الطريق ثم أقصر عن ذلك ، فجعله أبو دلف من الجند وجعل له
رزقاً سلطانياً ، وكان شجاعاً بطلاً فارساً ، شامخاً حسن الشعر والتصرف فيه ، كثير الوصف
لنفسه بالعبادة والإقدام ، وكان الرشيد قد غضب عليه فاختفى ، ولم يظهر حتى مات الرشيد ،
فلما مات ظهر . وهو القائل :

أكذب طرفك عنك في كل ما أرى وأسمع أذنك منك ما ليس تسمع
فلا كبدي تبلى ولا بك رحمة ولا عنك إقصار ولا فيك مطع
وهو مما غنى به قديماً وحديثاً . غنصته في عصرنا « أم كلثوم » . والقائل في غلام
نصراني كان يمينه :

يا من إذا درس الإنجيل ظل له قلب التقى عن القرآن مصرنا
إني رأيتك في نوى تماثني كما تماثق لام الكتاب الألفا
الأغاني (١٧ : ١٥٣ - ١٦١) .

سَرَّهَا فَتَضِيبُ فِيهِ ، وَهُوَ مَع ذَلِكَ شَدِيدُ السَّوَادِ ، مَسْتَرْسِلٌ فِي جُمُودِهِ ، وَارْدٌ فِي جُثُولِهِ ، فَكَأَنَّهَا لَشْدَةُ بَيَاضِهَا إِذَا تَفَشَّاهَا ، نَهَارٌ يَسْتَطِيعُ مِنْ خَلَلِ الظَّلَامِ ، وَكَأَنَّ شَعْرَهَا لَشْدَةُ سَوَادِهِ عَلَيْهَا ، لَيْلٌ مُظْلِمٌ تَفَشَّى بَيَاضَ نَهَارِهِ ^(١) .

٤٩٢

آخر :

١ - تَأَمَّلْتُهَا مُغْتَرَّةً فَكَأَنَّهَا رَأَيْتُ بِهَا مِنْ سُنَّةِ الْبَدْرِ مَطْلَعًا .
٢ - إِذَا مَا مَلَأْتُ الْعَيْنَ مِنْهَا مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ حَتَّى أَزِفَ الدَّمْعَ أَجْمَعًا يَقُولُ : نَظَرْتُ إِلَيْهَا عَلَى غِرَّةٍ مِنْهَا اخْتَلَسَتْهَا ، وَغَفَلَةٍ تَرَصَّدْتُهَا ، فَكَأَنِّي رَأَيْتُ بِهَا بَدْرًا طَالَمَا . وَسُنَّةُ الْبَدْرِ ، أَرَادَ وَجْهَهُ . وَيُقَالُ : اغْتَرَّ فُلَانٌ ، إِذَا فُوجِيَ مِنْ غِرَّةٍ .

وقوله « إِذَا مَا مَلَأْتُ الْعَيْنَ مِنْهَا مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ » يَقُولُ : إِذَا تَرَوَّدَتْ هَيْئِي مِنْ حُسْنِهَا فَنَظَرْتُ فِي أَصْلَافِهَا ، امْتَلَأْتُ مَتَعِيزَةً مِنْ جَمَالِهَا ، كَمَا يَتَحَيَّرُ ظَرْفُ الْمَاءِ إِذَا امْتَلَأَ مِنْهُ . وَإِنَّمَا قَالَ « مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ » لِأَنَّهُ كَانَ يَنْقَطِعُ ^(٢) وَصَلُ تَحْمُلُهُ ، وَتَنْحَلُّ ^(٣) عَقْدَ تَحْمُلِهِ ، وَجَدَّاهَا ، وَتَحْشَرَا فِيهَا . وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَظْرَهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ اتِّفَاقٍ أَنَّهُ قَالَ : تَأَمَّلْتُهَا مُغْتَرَّةً . وَمَعْنَى « أَزِفَ الدَّمْعِ » أَفْنِيهِ كُلَّهُ . يُقَالُ : تَزَفْتُ لِلْمَاءِ وَأَزَفْتُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(١) هَذَا مَا لِي لِي . وَفِي الْأَسْلِ « يَنْشِي » .

(٢) لِي : « يَنْطَلِعُ » .

(٣) لِي : « يَنْحَلُّ » .

٤٩٣

وقال كثير^(١):

١ — وَدِدْتُ وَمَا تُنْفِي الْوِدَادَةَ أَنْتَى بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيَّةِ عَالِمٌ
٢ — فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَّيْنِي وَعَلِمْتُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تُنْفِي أَلْوَامُ

يقول: تَمَتَّيْتُ أَنْتَى عَالِمٌ بِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ قَلْبُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ لِي، وَمَا يَنْفَع
الْتَمَتِي إِذَا لَمْ يُسَاعِدِ الْقَدَرُ. وَقَوْلُهُ « وَمَا يَنْفِي الْوِدَادَةَ » اعْتِرَاضٌ بَيْنَ وَدِدْتُ
وَمَفْعُولُهُ، وَهُوَ أَنْتَى. وَيُقَالُ: وَدِدْتُ وَدَادَةً وَوِدَادَةً، بَفَتْحِ الْوَاوِ وَكَسْرِهَا.
وَقَوْلُهُ « فَإِنْ كَانَ خَيْرًا » يَرِيدُ: فَإِنْ كَانَ مَا تَضَمَّرُهُ لِي وَدًّا صَافِيًّا، وَمِيلًا نَاصِعًا^(٢)
سَرَّيْنِي ذَلِكَ وَسَكَنْتُ إِلَيْهِ، فَلَا يَذْهَبُ مَا أَتَسَكَّلْتُهُ فِي هَوَاهَا بَاطِلًا، وَإِنْ كَانَ
مَا تَضَمَّرُهُ وَتَنْطَوِي عَلَيْهِ اعْتِرَاضًا خَالِصًا، وَجَنَاهُ مُرًّا، قَتَلْتُ نَفْسِي وَأَرْحَمْتُهَا مِنْ
تَوَمُّمِ اللَّائِمَاتِ. وَقَوْلُهُ « وَعَلِمْتُهُ » اكْتَفَى بِمَفْعُولِ وَاحِدٍ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى عَرَفْتُهُ.

٣ — وَمَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ إِلَّا تَفَرَّقَتْ فَرِيقَيْنِ مِنْهَا عَازِرٌ لِي وَلَا تَمُّ^(٣)
يقول: مَا أَخْطَرْتُهَا بِبَالِي عَلَى مَا أَقَاسِي فِيهَا، وَيُؤَافِقُنِي مِنْ أَطْرَاحِهَا وَزَهْدِهَا

(١) هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي حمزة الخزاعي، صاحب عزة، وأحد غول شعراء
الإسلام. وكان غالباً في التصريح معروفاً بالحق، وكان من أتبه الناس وأدعهم بنفسه. وكان
للسور بن عبد الملك يقول فيه: « ما خير من يروي شعر كثير وجيل ألا تكون عنده مغنيتان
مطربتان ». توفي كثير سنة ١٠٥. الأغانى (٨: ٢٥ — ٤٢) والصغراء ٤٨٠ —
٤٩٩ وابن سلام ١٢١ — ١٢٥ والاشتقاق ٢٨٠ والمؤتلف ١٦٩ والمرزباني ٣٥٠،
والخزاعة (٢: ٣٧٦ — ٣٨٣) وابن خلكان، ومعاهد التنصيص.

(٢) هذا في ل. وفي الأصل: « ناصعاً ».

(٣) يمد عند التبريزي:

فريق أبي أن يقبل الضيم عنوةً وآخر منها قابل الضيم واغيم

إِلَّا تَفَرَّقَتْ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ : فَرِيقٌ يَمُزُّنِي وَيَقُولُ : إِنَّ مِثْلَهَا فِي كَالِهَا وَظَرْفَهَا وَحَسَبِهَا وَمَتْنَبِهَا ، وَشَرْفَهَا وَسَرُّهَا ، يَصِيرُ عَلَى كُلِّ أَدَى يَحْرُسُ فِي اكْتِسَابِهَا وَيُعْتَلِقُ عَلَى جَمِيعِ عِلَالَتِهَا ، احْتِفَالًا بِاسْمِهَا فِي الْمُسَاقَاةِ ، وَتَكْثُرًا بِمَكَانِهَا بَيْنَ ذَوِي الْأَهْوَاءِ . وَفَرِيقٌ يَلُومُنِي وَيَقُولُ : إِنَّكَ جَاهِلٌ بِمَالِكَ وَعَلَيْكَ ، مَبْتَذِلٌ الرُّوحِ فِي هَوًى مِنْ لَا يُشْفِقُ عَلَيْكَ وَلَا يَرْفُقُ بِكَ ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا تُؤْتِرُهُ ، وَإِنْ امْتَدَّ مَدَى ذَهَابِهَا عَنْكَ . وَهَذَا قَالَهُ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِيَا يَهْتُمُّونَ ، وَتَرَدُّدِهِمْ بَيْنَ مَا يَقُوِّى الرِّزْمَ عَلَيْهِ وَبَيْنَ مَا يَضَعِفُهُ ، لِحُجَلِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَأَنَّهُ نَفْسٌ عَلَى حِيلَالِهَا .

٤٩٤

وَقَالَ أَيْضًا :

- ١ — وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ شَنْبًا إِلَى بَدَا إِلَيَّ وَأَوْطَانِي بِلَادُ سِيَوَاهِ^(١)
 - ٢ — وَحَلَّتْ بِهَذَا حَلَّةً نَمَّ أَصْبَحَتْ بِهَذَا فِطَابَ الْوَادِيَانِ كَلَامُهَا
- خَاطَبَتْهَا فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مُفْتَدًا عَلَيْهَا بِأَنَّهُ كَمَا آثَرَهَا عَلَى أَهْلِ وَعَشِيرَتِهِ ، آثَرَ بِلَادَهَا عَلَى بِلَادِهِ ، فَذَكَرَ [طَرَفَ] مَحَالِّهَا فَقَالَ : أَحِبُّ لَكَ وَفِيكَ شَنْبًا إِلَى بَدَا ، وَبِلَادِي^(٢)] بِلَادُ غَيْرِهَا . ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي فَقَالَ : وَنَزَلَتْ بِهَذَا — يَشِيرُ إِلَى شَفْبٍ — نَزَلَةً ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَبْدَا ، فَفَاحَ الْوَادِيَانِ وَتَضَوَّعَا بِرِيَّاهَا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

(١) بَعْدَهُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ :

إِذَا ذَرَفَتْ عَيْنَايَ أَعْتَلُّ بِالْقَدَى وَعَزَّةٌ لَوْ يَدْرِى الطَّبِيبُ قَدَّاهَا

(٢) التَّكْلُفَةُ مِنْ ل .

استودعت نشرها الرياض فما تزداد إلا طيباً على القدم

ومثله أيضاً :

تضوع مسكاً بطن نغان أن مشت به زنب في نسوة خفرات^(١)

٤٩٥

وقال نصيب^(٢) :

١ - لقد هتفت في جنح ليل حمامة على فنن وهنا وإني لائم^(٣)

٢ - كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتني بالبكاء الحائم

هتفت : صاحت . في جنح الليل^(٤) ، أى فيا مال من الليل . والفنن :

الفنن . وهنا : بعد ساعة من الليل . يقول : جددت لي حمامة بتفريدها وجداً

(١) البيت لعبد الله بن نعيم التقي ، كما في اللسان (ضوع) وإصلاح للنطق ٢٨٧ .

وروى : « عطرات » .

(٢) هو نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان ، كان شاعراً غلاماً مقبداً في

النسب واللدخ ، ونصيب هذا هو نصيب الأكبر ، المائل في عبد العزيز :

لعبد العزيز على قومه وغيرهم ثم غاصره

وأما نصيب الأصغر فهو شاعر عباسي مولى المهدي ، اشتراه في حياة النصور ، فلما سمع

شعره قال : والله ما هو بدون نصيب مولى بني مروان . فأعتقه وزوجه أمة له يقال لها جفرة ،

وكناه أبا الحجنة ، وأطلقه ضحية بالسواد ، وعمر بعده . الأغاني (١ : ١٢٥) - ١٤٥

و ٧٠ : ٧٥ - ٣٤) وابن سلام ١٤١ وياقوت (٧ : ٢١٢ - ٢١٦) والبيهقي (١ :

٥٣٧ - ٥٣٨) والشراء ٣٧١ - ٣٧٤ .

(٣) بين هذا البيت ونالته في ديوان الحماسة بدمشق الشيخ الديلموني :

قللت اعتذاراً عند ذلك وإنني لنفسى مما قد رأته للائم

أأزعم أني هائم ذو صباية يستندى ولا أبكى وتبكي الحائم

وهذان البيتان لم يروهما التبريزي ولا الرزوقي ، فهما ليسا من صلب الحماسة ، على أن بين

الحماسة هذين نسبا في الأغاني (٢ : ٨) لدى المجهنون ، ورواية أولها :

لقد فرحت في جنح ليل حمامة على لافها تبكي وإني لائم

(٤) الجنب بالضم والتكسر ، وقد ضبط في النسختين والتبريزي بالتكسر فقط .

وصباية، وهي على غصن فيا مال من الليل، وإني لساكن نائم، ولو كنت عاشقاً وحق بيت الله لما سبقتني الحائم بالبكاء، لكنني كاذب في دعواي متزيّد. وهذا كلام مستقصّر فيا هو عليه، مستزيد لنفسه فيا يجري إليه، يصورها بصورة التشيع بما ليس فيه. وهذه الطريقة زائدة على طريقة الملتدّ بالهوى. وقوله «لما سبقتني»، على عادتهم فيا يعتقدون من شجّو الحام. لذلك قال أبو تمام:

لا تشجين لها فإن بكاءها تحك وإن بكاءك استغرام
وسلك مسلك نصيب عدى بن الرقاع فيا أعلن فقال:

فلو قبل مبكها بكيت صباية يلبقى شفت النفس قبل التندم^(١)
ولكن بكيت قبل فياج لي البكا مبكها قلت الفضل للتقدم
وقوله «لما سبقتني بالبكاء الحائم» اشتغل على جواب اليمين، وعلى جواب لو.

٤٩٦

وقال الشمايط النطفاقي^(٢):

١ — أَرَارَ اللهُ مُحْكٌ فِي السَّلَايِ إِلَى مَنْ بِالْحَيْنِ تَشَوَّقِينَا^(٣)

(١) في الكامل ٥٠٤: ليمك: «بمعدى شفت».

(٢) ذكر في الأغاني (٢: ٨٦) أن «شمايط» كان معاصراً لابن ميادة. وألشد

له في الأغاني واللسان (صمط):

أنا شمايط أتى حدث به متى أنه لفداء أذنيه

حق يقال شره ولست به

وهذه الخامسة جاءت عند التبريزي غير منسوبة، ونسب إنشاده: «وقال آخر».

(٣) التبريزي:

أَرَارَ اللهُ مُحْكٌ فِي السَّلَايِ عَلَى مَنْ بِالْحَيْنِ تَمَوَّلِينَا

٢ — فَإِنِّي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ وَجَدِي وَلَكِنِّي أُسِرُّ وَتُغْلِبُنَا

٣ — وَبِي مِثْلُ الَّذِي بَكَ غَيْرَ أَنِّي أَجَلُّ عَنِ الْعِقَالِ وَتُعْلِقُنَا

قوله : « أَرَارَ اللَّهُ » يخاطب نافته ووجدتها نحن فقال داعياً عليها : جمل
اللهُ نَحْكَ رِيْرًا . والرَّيْرُ : الرقيق من الملح . والقصدُ في الدعاء إلى أن يسلها الله
نضواً مهزولاً ، وخصَّ الشلاي لأنها والعين آخر ما يبقى فيه الملح عند الهزال .
لذلك قال الشاعر^(١) :

لَا يَسْتَكِينُ أَلَمًا مَا أَقْنَيْنُ مَا دَامَ مُخٌّ فِي الشَّلَايِ أَوْ عَيْنُ

وقوله : « إِلَى مَنْ بِالْعَيْنِ تَشَوَّقُنَا » ، يجوز أن يكون إنكاراً منه على
النفاة في حنينها ، ويجوز أن يريد تعجيباً شأن المشتاق إليه ، كأنه قال : تشوقيني
بحنينك إلى إنسان وأى إنسان ، ويكون « مَنْ » اسماً نكرة ، ويكون الكلام
خبراً ، وفي الأول يكون استفهاماً . وإثماً أنكر صجراً بها ، لأنه لم يدر أحنينا
إلى وليد أو وطن أو صاحب .

وقوله : « فَإِنِّي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ » يجوز أن يكون « وجدى » في موضع
النصب ، على أن يكون بدلاً من للضر في إني ، ويكون مثل في موضع خبر
إن ، فكأنه قال : إن وجدى مثل ما تجدين ، ويجوز أن يكون وجدى في موضع
الرفع على الابتداء ، ومثل خبره مقدم ، والجملة في موضع خبر إن ، كأنه قال :
إني وجدى مثل ما تجدين .

وقوله : « وَلَكِنِّي أُسِرُّ وَتُغْلِبُنَا » يريد إن عني يمسكني ، وإن كان وجدى
مثل وجدك وبرحي مثل برحك ، عن إظهار التألم ، وفي القلب ما فيه ، وأنت
تغلبين وتصيحين .

وقوله : « وَبِي مِثْلُ الَّذِي بَكَ » يقول : إن زاحي مثل زاحك ، ولكني

(١) هو الراجز أبو ميمون الضر بن سلمة ، كان في اللسان (ق) . والرجز في سفة خيل .

يُؤْمِنُ مِنِّي أَنْ أَهَيِّجَ عَلَى وَجْهِ ، إِذْ كُنْتُ أَضِيطُّ نَفْسِي بِمَا أُعْطِيتُ مِنْ تَمِيْزِي وَإِقَانِي ، وَأَنْتَ تُمْقِلِينَ خِفَافَةَ أَنْ تَنْدِي عَلَى وَجْهِكَ ، إِذْ لَا مُسَكَّةَ بَكَ ، وَلَا رِقَبَةً لَكَ ، وَلَا حَيَاءَ يَرُدُّكَ ، وَلَا رِعَةً تُمَسِّكُكَ .

٤٩٧

وقال (١) :

١ - وَلَمَّا أُنِيَ إِلَّا جَاحَا فَوَادَهُ وَلَمْ يَسْأَلْ عَنْ لَيْلَى بِمَالٍ وَلَا أَهْلٍ
 ٢ - تَسَلَّى بِأُخْرَى غَيْرِهَا فَإِذَا اللَّيْلُ تَسَلَّى بِهَا تُغْرِي بَلِيلِي وَلَا تُسَلِّي يَقُولُ : لَمَّا عَصَى قَلْبُهُ وَتَأَبَّى إِلَّا جَاحَا فِي لَبَاجَتِهِ ، وَخُرُوجًا عَنْ طَاعَتِهِ ، وَلَمْ تَنْصَرَفْ نَفْسُهُ عَنْ لَيْلَى شُغْلًا بِتَمْيِيرِ مَالٍ ، وَتَرْقِيقِ عَيْشٍ ، وَلَا يَارِضَاءِ أَهْلٍ وَاسْتِصْلَاحِ عَشِيرَةٍ ، أَخَذَ يَطْلُبُ الشُّوْعَ عَنْهَا فِي مُوَاصَلَةٍ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ وَشَغْلِ الْقَلْبِ بِحُبِّهَا دُونِهَا ، فَإِذَا اللَّيْلُ طَلَبَ التَّسَلَّى بِهَا تَبَعْتُ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى لَيْلَى ، وَتَحَصَّنْتُ عَلَى تَرْكِ الْإِثَارِ عَلَيْهَا ، لِأَنَّهُ يَظْهَرُ مِنْ زِيَادَاتِ مُحَاسِنِهَا ، وَأَنْوَاعِ مَا تَوَحَّدَتْ بِهِ مِنْ فَضَائِلِهَا ، مَا يَدْعُو إِلَى التَّشَبُّثِ بِهَا ، وَحِمَاةِ هَوَاهَا . وَجَوَابَ لَمَّا أُنِيَ « تَسَلَّى » . وَالْجَلَّاحُ مِنْ قَوْلِهِ : بَجَعَ الْقَرَسُ ، إِذَا جَرَى جَرًّا غَالِبًا لِرَاكِبِهِ . وَقَوْلُهُ « فَإِذَا اللَّيْلُ تَسَلَّى بِهَا » إِذَا هِيَ هَذِهِ الَّتِي لِلْفَاجِئَةِ ، وَمِنْ الظُّرُوفِ الْمَكَاتِبَةِ لَا الزَّمَانِيَةِ ، وَمَا بَعْدَهُ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَحْمَلْ مُسْتَقَرًّا .

٤٩٨

آخر (٢) :

١ - حَبِيبْتُ لِهَؤُلَاءِ مِنْكَ بِأَعَزِّ بَعْدَ مَا حَمَرْتُ زَمَانًا مِنْكَ غَيْرَ صَحِيحٍ

(١) التبريزي : « وقال آخر » .

(٢) التبريزي : « وقال آخر ، وهو كثير » .

٢- فَإِنْ كَانَ بُرِّهِ النَّفْسُ لِي مِنْكَ رَاحَةً قَدْ بَرَّتَ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مُسْرِيحِي
 ٣- تَجَلَّى غِطَاءُ الرَّأْسِ عَنِّي وَلَمْ يَكُنْ غِطَاءُ قُودِي يَنْجَلِي لِسَرِيحِ
 يقول : قضيت العجب من انصراف قلبي عنك ، وبرئي من الداء فيك ،
 بعد ما بقيت زماناً مبتلى النفس في هوائك ، عليل القلب بوجدك ، مُرْحَا بِى
 حُبِّكَ ؛ فَإِنْ كَانَ بُرِّهِ النَّفْسُ يُعْقِبُ لِي رَاحَةً مِنْكَ وَفِي هَوَاكَ قَدْ بَرَّتَ وَالرَّاحَةَ
 مَنظَرَةً ، إِنْ كَانَتْ مِنْ تَتَابُجِهِ وَمَسْجِيَّاتِهِ . ثم قال « تجلى غطاء الرأس » يريد
 شئت واستبدلت بلون رأسي وسواد شرعى لونا آخر حديثا ، فكأن المتقدم
 كان كغطاء على رأسي ، تكشف بالتأني^(١) ، ولم يكذ ما تنشئ قلبي من حُبِّكَ
 ينكشف بالهوى .

فإن قيل : في ظاهر هذا الكلام تناقض ، لأن القائل إذا قال كذت أفعل
 كذا معناه شافهت فعله وشارفته ، ولا يكون قد فعله ؛ وإذا قال : لم يكذ فلان
 يفعل كذا ، معناه يقرب وقوع ذلك منه . فإذا كان كذلك فقد نفى عن نفسه ما
 أثبتته بقوله « تجلى غطاء الرأس » ، لقوله : ولم يكذ غطاء قودي ينجلي لسريح ؟
 قلت : لو أمسك عند قوله « ولم يكذ غطاء قودي ينجلي » لكان الأمر على
 ما قلت ، لكنه لما قال « لسريح » بين أنه لم يكن عن سهولة وبجلة ، وقلة
 تمسب ومشقة ، فتغيب في الحقيقة قلة التمسب والسهولة لا للانجلاء ، وإذا كان
 كذلك يكون النطاء قد انجلي عن القلب ، لكنه انجلي بعد طول مزاوله
 نصيب ، ومقاساة كمد ، وعن شدة تقاضيه ، وبلاء ملازم . ويقال في الدعاء
 للمرأة إذا طلقت عند الولادة : اللهم اجعله سهلاً سرحاً . فالسراح والتسريح
 والتسريح كلها في طريق واحد ، وهو السهولة والسهولة . ويقال : سرحه الله

تمال للحير، أى وقفه له وعجله . وفى المثل : « السراح من النجاج » .

٤٩٩

وقال عمرو بن أذينة^(١) :

١- إِنْ قَانِ يَعْنيهِمَا لِلْبَيْنِ فُرْقَتُهُ وَلَا يَمْلَأَنَّ طُولَ اللَّهْرِ مَا اجْتَمَعَا^(٢)

٢- مُسْتَقِيلَانِ لِنَشَاصٍ مِنْ شَبَابِهِمَا إِذَا دَعَا دَعْوَةً دَاعِيَ الْهَوَى سَمِعَا

٣- لَا يُعْجَبَانِ بِقَوْلِ النَّاسِ عَنْ عُرْضٍ وَيُعْجَبَانِ بِمَا قَالَا وَمَا صَنَعَا

البين يقع على وجوه : أحدها أن يكون مصدران يبين بيننا وبينونة .
والثانى أن يكون ظرفا ، تقول : بين القوم كذا ، وهو لشئين يتباين أحدهما عن الآخر فصاعدا . والثالث أن يفيد معنى الوصل ، على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ ﴾ . ألا ترى أن معناه تَقَطَّعَ وَصْلُكُمْ ، ولا يصح أن يكون المراد تَقَطَّعَ افتراقكم ، لفساد المعنى . وعلى هذا قولهم : سئى فلان لإصلاح ذات البين من عشيرته ، لأن المراد إصلاح الوصل لا الافتراق . والذي فى البيت هو الثالث ، لأن المعنى : هما متجاوران قد ألفت كل منهما صاحبه ، والذي يهيمهما ويمينهما طوول ما يمتشى تعقبه له من الفُرقة ، فحرفهما منها وفكرهما فيها ، ولا يكتسبان

(١) هو عمرو بن أذينة — وأذينة لقب لأبيه واسمه يحيى — بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله البشى الكنانى ، فقيه محدث ، وشاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة ، روى عنه مالك بن أنس وعبيد الله بن عمر المدونى ، وكان محمد وفد على هشام بن عبد الملك ، ووقفت عليه سكينه بنت الحسين ومعهما جوارها تهاك له : أنت القاتل كذا وكذا ، وأنشدت أبياتا من النسيب فقال لها : نعم . فالتفت إلى جواربها وقالت : من حراث إن كان خرج هذا من قلب سليم قط . الأغانى (٢١ : ١٠٥ — ١١١) ، وابن خلكان فى ترجمة سكينه بنت الحسين ، والمؤتلف ٥٤ والفرء ٥٦٠ — ٥٦٦ .

(٢) التبريزى : « تضيها » .

مَلَّالًا من اتَّصَلَ الاجْتِمَاع طُولَ الدهر . [فقوله « طَوْلَ الدهر » يجوز أن يكون مفعول يملآن ، أى لا يملآن تطاولَ الوقت إذا اجتمعا ، ومدة اجتماعهما . ويجوز أن يكون طول الدهر ظرفاً ، وما اجتماع مفعول يملآن ، أى لا يملآن الاجتماع طول الدهر ^(١)] . وقوله « مستقبِلان نَشَاصاً » فالنَّشَاصُ أصلُه السَّحاب إذا ارتفع من قِبَل العين حين ^(٢) ينشأ ويملو ، فاستعير هنا لما يُقْتَبَلُ من الشَّباب وأيام الصِّبَا واللَّهو . كأنه يطرُّهُمُ النَّشَاطُ والشُّرُور كما يطرُّ السَّحابُ النِّيث . وجعل ذلك فيهما بحيثُ يسمعان قريباً دُعَاءَ مُنَادِي اللَّهِ ويحييانه ؛ لأنَّ الوقت وقت التَّصَابِي والبَطَالَةِ . وإلى هذا أشار أبو نُوَاسٍ في قوله :

فَدَعَذَبَ الْحَبِيبُ هَذَا الْقَلْبَ مَا صَلَحَا فَلَا تَعْدَنَّ ذَنْبًا أَنْ يُقَالَ صَحَا

وقوله « لَا يُحِبَّانِ بَقُولِ النَّاسِ عَنْ عُرْضٍ » هو من قولهم : نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَنْ عُرْضٍ ، أى عن ناحية . وللمنى أنه لَا يُحِبُّهُمَا من مقال الناس وفعلهم شئ ، ولا يأخذ قلبَهُمَا وعَيْنَهُمَا ^(٣) حديث ولا إبلاغٌ ممن كان عن ناحيةٍ وثيق ، لكنَّ الحَسَنَ عندهما فيما يتفاوضانه أو يتقارضانه ، والإيجاب يتعلَّقُ بما يصنعانه ويؤثرانه ^(٤) ؛ إذ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قد صارَ في مَلَكَةٍ هَوَى صاحِبِهِ ، وفي رِفاقٍ قَبِيلِهِ ^(٥) ، فلا يُبْصِرُ إِلَّا بَعِينَهُ ، وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا بَأْذَنَهُ .

(١) التَّكَلُّفُ من ل .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « حتى » .

(٣) ل : « وعَيْنُهُمَا » .

(٤) كذا في ل . وفي الأصل : « ويورثانه » .

(٥) ل : « ميله » . والرفاق : مصدر رافق مرافقة ، وهو أيضاً جبل للداية يشد

من الرظيف إلى المضد .

٥٠٠

وقال^(١) :

١ — وَلَمَّا بَدَأَ إِلَى مَنكِ مَيْلٌ مَعَ الْعِدَى سِوَايَ وَلَمْ يَحْدُثْ سِوَاكَ بِدِيلُ
٢ — صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرَّيُّ تَطَاوَلَتْ بِهِ مُدَّةُ الْأَيَّامِ وَهُوَ قَتِيلُ
قال سيبويه : معنى سِوَايَ بِدَلْ وَمَكَانَ . تقول : عِنْدِي رَجُلٌ سِوَايَ زَيْدٍ ،
معناه مَكَانَ زَيْدٍ وَبَدَلُ زَيْدٍ ، وَعَلَى مَا فَسَّرَهُ يَكُونُ مَعْنَى الْبَيْتِ : وَلَمَّا بَدَأَ إِلَى
مَيْلِكَ مَعَ الْأَعْدَاءِ بِدَلْ مَيْلِكَ إِلَى وَمَكَانَ مَيْلِكَ ، وَلَمْ يَحْدُثْ لِي بِدِيلُ مَكَانِكَ
وَعَرَضًا مَنكَ أَعْرَضْتُ عَنْكَ إِعْرَاضَ الرَّيِّ مِنَ الصَّيْدِ لِلصَّابِ بِسَمِّ الْعَصِيَادِ ،
وَهُوَ قَتِيلُهُ ، لِأَنَّ الْإِسَابَةَ عَمِلَتْ عَمَلَهَا ، لَكِنَّ الْمُدَّةَ تَطَاوَلَتْ بِهِ ، فَهُوَ رَهِيْنٌ
بِإِسَابَتِهِ . يَرِيدُ : صَدَدْتُ عَنْكَ صُدُودَ بَاسٍ لَا صُدُودَ مَقْلِيَةٍ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ هَوَاكَ
قَاتِلِي كَهَذَا الرَّيِّ الَّذِي لَا يُشَكُّ فِي كَوْنِهِ قَتِيلًا وَإِنْ طَالَ نَفْسُ مُهْلَتِهِ ، وَمُدَّةُ
أَمَدِ مَنْيَتِهِ .

٥٠١

وقال آخر :

١ — أَحْبَبًا عَلَى حُبٍّ وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ وَقَدْ زَعَمُوا أَنْ لَا يُحِبُّ بَخِيلٌ^(٢)
٢ — بَلَى وَالَّذِي حَتَجَ لِلْمَلَكُونِ بَيْتَهُ وَيَشْفِي الْهَوَى بِالنَّيْلِ وَهُوَ قَلِيلُ
٣ — وَإِنْ بَنَّا لَوْ تَمْلِيْنِ لُنُفْلَةً إِلَيْكَ كَمَا بِالْحَامَاتِ غَلِيلُ
الْأَلْفِ مِنْ قَوْلِهِ « أَحْبَبًا » لِقَطْعِهِ الْاسْتِفْهَامَ وَمَعْنَاهُ التَّوْبِيخُ . وَانْتَصَبَ حُبًّا

(١) التبريزي : « وقال آخر » :

(٢) ضبطت « يحب » في ل بالنصب والرفع مشفوعة بكلمة « ما » فلما على الروايتين .

باضمارِ فَعْلٍ ، كأنه قال : اتَّجَمِعِينَ عَلَى حُبٍّ عَلَى حُبٍّ ، أو أترِيدُنِي حُبًّا بِدِ حُبٍّ ، مع بُحْكٍ وإِثَارٍ زَهْدِكَ ، وعند النَّاسِ فِي أَحْكَامِهِمْ واعتقادهم أَنَّ البَخِيلَ لَا يَكُونُ مَحْبُوبًا . كأنه عَاتَبَهَا وَقَرَّعَهَا مِنْ أَمْرِ الَّذِي يَنْهَاهَا ، وَأَنَّهُمَا مِنْ أَجْلِهِ فِي طَرَفَيْ نَقِيضٍ ، وَفِي لَوْنٍ مِنَ الْمِشْقِ طَرِيفٍ ^(١) ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعَامَلَتَهَا لَهُ مَعَامَلَةٌ مِنْ لَا يَتَنَدَّى عَلَيْهِ وَلَا يَرْجُوهُ ، وَلَا يَتَسَخَّى بِشَيْءٍ لَهُ ، وَأَنَّ جَذْبَهَا إِثَارُهُ فِي الْهَوَى جَذْبٌ مَنْ لَا يَكْتَفِي مَعَهُ بِفَوِّهِ حَتَّى يَجْهَدَهُ وَيَزِيدَهُ وَجْدًا عَلَى وَجْدٍ ، وَأَلَّا بِدَأْلِهِمْ . قَالَ : هَذَا حَالِي مَعَكُمْ ، وَفِي زَعَمَاتِ النَّاسِ أَنَّ الْقُلُوبَ جَبِلَتْ عَلَى حُبِّ الْمُحْسِنِينَ الْبَازِلِينَ ، لَا لِلْسَّيِّئِينَ الْبَاحِلِينَ ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَ فَقَالَ : يَا وَاللَّهِ الْحُجُوجُ بَيْنَهُ ، الْعَظَمُ حَرَمُهُ ، لُدَاوِي مِنْ دَاءِ الْهَوَى بِالْيَسِيرِ الْخَلِيفِ مِنَ النَّيْلِ ، إِنَّ الْبَخِيلَ لِيُحِبَّ . وَذَلِكَ عَلَى اللَّفْظِ لَهُ بِقَوْلِهِ « وَإِنْ بَنَّا لَوْ تَعْلَمِينَ لَنَلَّ » وَهِيَ حَرَارَةُ الْعَطَشِ ، كَمَا يَكُونُ غَلَّةُ الْحَامَاتِ ، وَهِيَ الطُّيُورُ الَّتِي تَحْمِلُ عَلَى الْمَاءِ وَتَدُورُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ ثُمَّ تَقَعُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ تَكُونُ الْعَطَاشُ أَهْسَهَا . وَقَوْلُهُ « وَأَنْتَ بِخَيْلَةٍ » الْوَاوُ وَآوُ الْحَالِ . وَقَوْلُهُ « أَلَا يُحِبُّ » إِنْ شئتَ جَعَلْتُ أَنَّ النَّاصِبَةَ لِلْفِعْلِ فَتَصَبَّتْ يُحِبُّ بِهِ ، وَإِنْ شئتَ جَعَلْتَهُ الْمُخَفَّفَةَ مِنَ الثَّقِيلَةِ فَيَرْتَفِعُ يُحِبُّ ، يَرِيدُ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ . ثُمَّ قَالَ : سَلَى ، وَهُوَ جَوَابُ اسْتِفْهَامٍ مَقْرُونٍ بِنَفْسِهِ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ . كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ مُسْتَفْهَمًا مِنْهُ : أَيُحِبُّ الْبَخِيلُ النَّفْسَ ؟ فَقَالَ : بَلَى وَأَقْسَمُ أَيْضًا ، تَأْكِيدًا . وَالْحَقُّ : الْقَصْدُ . وَالنَّيْلُ : مَصْدَرُ نَلَّهَ أَبَاهُ . وَقَوْلُهُ « لَوْ تَعْلَمِينَ » كَالْتَذِيرِ لَهَا ، وَقَدْ أَقَامَهُ مُسْتَعْلَفًا ، يُصَوِّرُهَا بِأَنَّهَا لَوْ عَلِمَتْ مَا بِهِ كَانَتْ لَا تَسْتَجِيزُ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ .

(١) كُنَّا فِي ل . وَفِي الْأَمَلِ : « عَرِيف » .

٥٠٢

وقال آخر :

- ١- إذا كُنتَ لَا يُسْلِكَ عَنْ مَنْ تَوَدُّهُ تَنَاهَ وَلَا يَشْفِيكَ طُولُ تَلَاقٍ
 ٢- فَبَلْ أَنْتَ إِلَّا مُسْتَعِيرٌ خُشَّاشَةٌ لِمُهْجَةٍ نَفْسٍ آذَنْتْ بِفِرَاقٍ
 يخاطبُ نَفْسَهُ مُتَوَجِّعًا لَهَا ، وَمُسْتَوْحِشًا مِنَ الْحَالَةِ الَّتِي مُقَى بِهَا ، فَيَقُولُ : إِذَا
 لَمْ تَسْتَوْفِقْ مَعَ مَنْ تَحِبُّهُ التَّبَاعُدَ عَنْهُ ، وَأَخَذَ النَّفْسَ بِالْتَّفَقُّصِ مِنْهُ ، لِيُورِكَ سُلُوكًا
 دُونَهُ ، وَلَمْ يَقْرُبْ شِفَاءكَ مِنَ الدَّاءِ فِيهِ طُولُ الْاجْتِمَاعِ مَعَهُ ، وَاتِّصَالُ التَّرَدُّدِ مِنْهُ ،
 وَالرَّيْضِ فِي الْغُرْفِ وَالْعَادَةِ إِذَا اشْتَكَى مِنْ دَوَاءٍ عَوِجَ بِهِ نُقْلٌ إِلَى مَا يُضَادُّهُ ،
 فَإِنْ لَمْ يُنْجِ سَلْمٌ لِمَتِّهِ ، فَكَذَلِكَ أَنْتَ إِذَا لَمْ يَنْفَعَكَ فِيمَا تَقَاسِيهِ لَا التَّنَاسُيَ
 وَلَا التَّنَادِي ، فَذَاكَ إِلَّا غَرَامٌ ، وَمَا أَنْتَ فِيهِ إِلَّا مُسْتَعِيرٌ خُشَّاشَةٌ ، وَهِيَ رُوحُ
 الْقَلْبِ ، وَرَمَقٌ مِنْ حَيَاةِ النَّفْسِ وَقَدْ آذَنْتْ بِالْمَفَارِقَةِ . وَالْمُهْجَةُ : خَالِصَةُ النَّفْسِ ؛
 وَمَنْعَهُ لَكِنْ أُمُحْجَانٌ .

٥٠٣

وقال عبد الله بن النعمنة^(١) :

- ١- أَلَا يَاصِبًا تَجِدُ مَتَى هَجَّتْ مِنْ نَجْدٍ قَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجْدًا عَلَى وَجْدٍ^(٢)
 ٢- أَلَا أَنْ هَيَّجَتْ وَزَفَاءً فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى قَنٍّ غَصَّ النَّبَاتُ مِنَ الرَّنْدِ
 ٣- بَكَيتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَزَلْ جَلِيدًا وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
 الصَّبَا : الْقَبُولُ . يَقَالُ : صَبَّتِ الرِّيحُ تَصْبُؤُ صُبُوءًا . وَمَتَى هَجَّتْ ، أَيْ مَتَى

(١) صِبغت ترجمته في الحماسة ٤٥٦ ص ١٢٢٣ .

(٢) البرزى : « لعل زادني » .

ثُرْتُ واهْتَجَتِ . يقال : هاجَ الفحلُ والريحُ هَيْجًا . وهم يخاطبون الريحَ والبرقَ إذا كانا من نحو أرضِ المحبوب . فيقول : متى اهْتَجَتِ من أرضي نجدُ^(١) فقد زادني سَيْرُكَ شوقًا ، وجَدَدَ لي هُبُوبُكَ على ما كنتُ أكادُهُ من الوجدِ وجدًا .

وقوله « أَنْ هَتَفْتُ » يخاطبُ نفسه مبهكيًا فيقول : أَلَا نَ صاحتُ حمامةَ ورقاءَ في أوَّلِ الضحى واقعةً على غُصْنِ غَضٍ من شجر الرُّندِ بكيتَ بكاءَ الصبيِّ إذا أعياه مطلوبُهُ ، وأظهرتَ المعزَ عما حُلَّتْهُ ، وعهدُ الناسِ بكَ فيما مضى من أيامك ولم تزلْ ثابتَ القدمِ فيما ينوبُك ، دائمَ الصبرِ على بلوكِ ، إنَّ هذا منكّر .

- ٤- وقد زعموا أنَّ الحبيبَ إذا دَنَا يَمَلُّ وأنَّ الثَّنائِي يَشْفِي من الوجدِ
٥- بَكَلٌ تَدَاوِينَا فلم يَشْفِ مَا بَنَا على ذاك قُرْبُ الدَّارِ خيرٌ من البُعدِ
٦- على أنَّ قُرْبَ الدَّارِ ليس بنافعٍ إذا كان من نهواءٍ ليس بنى ود^(٢)

يقول : زعم الناسُ أنَّ الاستكثارَ من المحبوب والتداني منه يُكسِبُ الحبيبَ ملالًا ، وأن الاستقلالَ من زيارته والثَّنائِي عن محله وداره يُنتِجُ له سُلوًا ، فدأويتُ بكلِّ واحدٍ من ذلك فلم يَنْجَحْ ؛ إلَّا أنه على الأحوال كلها وجدتُ قُرْبَ الدَّارِ منه خيرًا من بعدها عنه ، لِمَا تَوَسَّوسَ به النفسُ في الوقتِ بعد الوقتِ من طَمَعٍ فيه ، ولِتَطَّلَعَ المجاورينَ له ، وتجددِ الحديثِ عنه ، إلى كثيرٍ مما يُقدِّم في العباد . ثمَّ رَجَعُ فيما أُعْطِيَ فقال : على أنَّ تقاربَ الدَّيارِ لا يكادُ

(١) هذا ما في ل ، على الجمع ، وفي الأصل : « أرض نجد » .

(٢) هذا ما في ل ، وهو ما يتأق مع الشرح ، وفي الأصل والتبزي : « ليس

بنى عهد » .

ينفع إذا كان المحبوب لا ودَّ له ، ولا مثيلَ له . ويُروى : « ليس بنذى عهد » ،
أى لا يبقى على ما عهد عليه .

٥٠٤

آخر :

١- إذا ما شئت أن تسلى خليلاً فأكثر دونه عَدَدَ الليالي

٢- فما سلى خليك مثلاً نأى ولا تلى جديداً كإبدالٍ

معناها ظاهرهما بما تقدّم . ويقال : سليت ، بمعنى سلوت . قال :

* لو أشرب الشولان ما سليت^(١) *

٥٠٥

وقال آخر :

١- ألا طرقتنا آخر الليل زينبُ عليك سلامٌ هل لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ

٢- وقالت تحببنا ولا تقرّبنا فكيف وأتم حاجي أتجنبُ

يقول : أتقنا هذه المرأة سحرًا فقلتُ مسلماً عليها : عليك سلام الله هل

لِمَا فَاتَ من أيام الوصال والإقبال على الإحسان مطلبٌ لى فأساه^(٢) . فقالت

لى محبة : جابنا ولا تدنونا منا . فقلتُ : أتى يكون منى مجانباً وأتم فى

الدينيا حاجي ومناى ، ولا اختيار مع الضرورة ، كما أنه لا غنى عن العاقبة . هذا

هو ظاهر الكلام . وقد رأيت من يفسره على أن المراد بآخر الليل آخر أيام

(١) لرؤية فى ديوانه ٢٥ واللسان (سلا) .

(٢) كلمة « الإحسان » ليست فى ل .

الشَّابَّ . وكان يَروى : « عليك سَلامٌ » بفتح الكاف ، ويجعل الخطاب والتسليم من المرأة للرجل ، ويقول : إِنَّمَا حَيَّتُهُ بِتَعْيَةِ الْمَوْتِ لِتَوَلَّى أَيَّامَهُ ، وَتَنَاهَى عُمْرَهُ . وقولها « هل لِمَاتَاتِ مَطْلَبٌ » من كلامها مَتابَةٌ ، كأنها أنكرت التمرُّضَ لها وقد فاته دالَّةُ الشَّبابِ ، وَشَفَاعَةُ النَّصْرَةِ وَالْإِقْبَالِ . والأوَّلَى ما قَدَّمْتُهُ .

٣- يقولون هل بعد الثلاثين مَلَبٌ قُلْتُ وَهَلْ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ مَلَبٌ^(١)
٤- لقد جَلَّ خُطْبُ الشَّيْبِ إِنْ كُنْتُ كَلَّمَا بَدَتْ شَيْبَةٌ يُعْرَى مِنَ اللَّهِ مَرْكَبُ الْمَضَرِّ فِي « يقولون » الْمُتَمَعِّبُونَ لِلرَّأَةِ وَالنَّاسِ . يريد : عَيَّرُونِي بِمَاطِي الصَّبَا وَاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ ، بعد تَقْضَى الثَّلَاثِينَ مِنْ أَيَّامِ عُمُرِي فَقَالُوا : هل بعدُ الثَّلَاثِينَ مَلَبٌ ، أَيْ لَا يَنْبَغِي اللَّهُ لِمِثْلِكَ . قُلْتُ لَمْ : وَهَلْ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ ذَلِكَ . والمعنى أَنَّ مَنْ عَدَّ مَا دُونَ الثَّلَاثِينَ فَهُوَ فِي عِدَادِ الصِّبْيَانِ ، لَا يَعْرِفُ اللَّذَاتِ ، وَلَا يَصْلُحُ لِلْبَطَالَاتِ . ويجوز أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : وَهَلْ تَسَهَّلَ لِي قَبْلَ الثَّلَاثِينَ شَيْءٌ مِنْ مَبَاغِي اللَّهِ وَاللَّعِبِ فَيُنْكَرَ مِنِّي طَلَبِي لِأَيَّامِهِ .

وقوله : « لقد جَلَّ خُطْبُ الشَّيْبِ » لِقَدْ جَوَابُ يَمِينٍ مَضْمُونَةٌ ، وَلَمْ أَنْ تَرَوْى « أَنْ كُنْتُ كَلَّمَا » والمعنى لِأَنَّ كُنْتُ كَلَّمَا . وَلَمْ أَنْ تَكْسِرَ الْمَعْرُوفَةَ فَتَكُونَ إِنْ الْمَفِيدَةُ لِلشَّرْطِ ، وَالْمُرَادُ : إِنْ كُنْتُ كَلَّمَا بَدَتْ فِي رَأْسِي لُتْمَةٌ مِنَ الشَّيْبِ يَلْزَمُ مِنْهَا أَنْ أُعْرَى مَرْكَبًا مِنْ سَرَاكِبِ اللَّهِ ، فَلَقَدْ عَظُمَ خُطْبُ الشَّيْبِ ، وَيَكُونُ جَوَابُ إِنْ فِي قَوْلِهِ « لقد جَلَّ خُطْبُ الشَّيْبِ » ، وَكَلَّمَا فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ .

(١) البيت وثاقبه في صيون الأخبار (٤ : ٥٣) .

٥٠٦

وقال كثير^(١) :١ - وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا فَتَنْتَنِي يَقُولُ بِحِلِّ الْعَصَمِ سَهْلَ الْأَاطَحِ^(٢)٢ - تَنَاهَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَغَادَرْتَ مَا غَادَرْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ^(٣)

يقول : تَوَفَّرْتَ عَلَيَّ وَلَطَقْتَ لِي الْمَقَالَ وَالْفَعَالَ ، عَلَى تَطَلُّقٍ مِنْ وَجْهِكَ ، وَهَشَاشَةٍ ظَاهِرَةٍ مِنْكَ ، حَتَّى أَوْقَعْتَنِي فِي حَيْبَانِكَ ، وَخَبَّبْتَ^(٤) قَلْبِي بِكَلَامٍ يَقْرُبُ الْبَعِيدَ ، وَيَسْهِّلُ الْعَسِيرَ ، وَيُؤْنِسُ النَّافِرَ ، وَيُطْعِمُ الْيَائِسَ ، فَلَمَّا اسْتَكَلَّ مِرَادُكَ فِيَّ ضَمَمْتَ أَطْرَافَكَ إِلَيْكَ ، وَقَبَضْتَ مَا انْبَسَطَ مِنْ أَمَلِي فِيكَ . وَالْمُعْصَمُ جَمْعُ أَعْصَمَ وَعَصَمَاءَ ، وَهِيَ الْوُجُوهُ الْجَبَلِيَّةُ الَّتِي فِي قَوَائِمِهَا بَيَاضٌ . وَجَوَابُ « إِذَا » تَنَاهَيْتَ عَنِّي . وَالْمَعْنَى : بَعْدَ مَا كَسَبْتَنِي خَبَالًا ، وَجَلَّبْتَ عَلَيَّ عَقْلِي وَقَلْبِي فَسَادًا ، كَفَفْتَ عَنِّي ، وَتَبَاعَدْتَ مَعِيَ وَقَدْ أَغْيَيْتَنِي الْحِيلَ فِي الْإِنْفِكَ ، وَتَأَبَّى تَمَازُجُ الْهَوَى وَتَلَاصُّهُ مِنَ الْإِنْسِلَاحِ ، وَتَرَكْتَ بَيْنَ جَوَانِحِي مَا تَرَكْتَ مِنْ وَجَلٍ مُتَّصِلٍ ، وَحُزْنٍ دَائِمٍ .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّ كَثِيرًا عَلِمَ فِي النَّسِيبِ ، فَلِمَ لَمْ يَرْضَ بِإِظْهَارِ التَّوَجُّعِ مِنْ السَّامَةِ ، وَالتَّأَلُّمِ مِنَ التَّهَاجِرِ وَالْقَلْعِيَّةِ ، حَتَّى اعْتَدَلَ بِصَاحِبَتِهِ ذَنْبًا ، وَنَسَبَ إِلَيْهَا

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ٤٩٣ من ١٢٨٧ . والبيتان نسباً في الأغاني (٢ : ١٤) للجنون .

(٢) البريزي : « إِذَا مَا مَلَكْتَنِي » . وفي الأمل (٢ : ٢٧٨) : « إِذَا مَا اسْتَيْبَتَنِي » والأغاني (٢ : ١٤) : « إِذَا مَا سَيْبَتَنِي » .

(٣) القائل : « تَوَلَّيْتُ عَنِّي حِينَ لَا لِي مَذْهَبٌ » . الأغاني : « تَنَاهَيْتَ عَنِّي » وخلفت ما خلفت » .

(٤) خَبَّبْتَ ، من التَّخْيِيبِ ، وهو المُنْجَع . وفي الأصل : « خَبَّبْتَ » صوابه في ل .

خيانة ووزراً ؛ لأن الذي وصّف من افتنانها في افتتان الرجال ليس من شأن
الصفائف ؟ قلت : إن كثيراً لم يصف صاحبته إلا بصفة الصفائف . ألم تسمع
قول الآخر :

بَرَزْنَ عَفَافًا وَاحْتَجَبْنَ تَسْتَرًا وَشَيْبَ بِقَوْلِ الْحَقِّ مِنْهُنَّ بِاطِلُ
فَذُو الْعِلْمِ مُرْتَابٌ وَذُو الْجَهْلِ طَامِعٌ وَهُنَّ عَنِ الْفَحْشَاءِ حَيْدٌ نَوَاحِلُ
كَوَأْسِ عَوَارٍ ، صَامِتَاتٌ نَوَاطِقُ بِعَفَى الْكَلَامِ ، بِأَذَلَّتْ بِوَاحِلُ
فَتَأْمُلُ مَا قَالَهُ فَإِنَّ غَايَةَ فِي اسْتِقَامَةِ الطَّرِيقَةِ ، وَإِنْ هَلَكَتْ نَفُوسٌ ،
وُخِيلَتْ عُقُولٌ .

وحدثت عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن أبي السلاء ، عن رواية
كثير^(١) قال : كنت مع جرير وهو يريد الشام ، فطرب فقال : أنشدني لأخي
بنى مُلَيْحٍ^(٢) ، يعني كثيراً ، فأنشدته حتى انتهت إلى قوله : وأدبتي حتى إذا
ما فتنتني ، الأبيات ، قال جرير : لولا أنه لا يحسن بشيخ مثل النخير لنخرت
حتى يسمع هشام على سريره .

٥٠٧

وقال آخر :

- ١ - تَعْرِضُنْ مَرَّحَى الصَّيْدِ مَرْمِيْنَا مِنْ النَّبْلِ لَا بِالطَّائِشَاتِ الْخَوَاطِفِ
 - ٢ - ضَمَائِفُ يُقْتَلْنَ الرِّجَالُ بِلَادِمٍ فَيَا مَجَبَّاتِ الْقَبَائِلِ الصَّمَائِفِ
 - ٣ - وَلِلْعَيْنِ مَلْهُى فِي التَّلَادِ وَلَمْ يُقَدْ هَوَى النَّفْسَ شَيْءٌ كَأَقْبَادِ الطَّرَائِفِ^(٣)
- قوله « مَرَّحَى الصيد » ، موضعه نصبٌ على الظرف ، أي تعرضن لنا وبيننا

(١) وكذا في أمال القائل (٢ : ٢٤٨) بدون تعيين له .

(٢) ملّيح ، كزبير : حى من خزاعة . القاموس (ملّح) ، ونهاية الأرب (٢ : ٢١٨) .

(٣) البيت في الميوان (١ : ١٧٠) .

وينهنَّ غَلَوَةٌ مِنْهُمْ ، فَعَلَّ الْمَرَضُ لِلصَّيْدِ إِذَا أَرَادَ رَمِيَهُ . وَرَادَ الصَّيْدَ لِلصَّيْدِ ، كَمَا يُرَادُ بِالْخَلْقِ السَّخْلُوقُ . وَقَوْلُهُ « ثُمَّ رَمَيْنَا مِنَ النَّبْلِ » ، يَرِيدُ : ثُمَّ نَظَرْنَا إِلَيْنَا وَعَرَضْنَا مُحَاسِنَنَا عَلَيْنَا ، وَتِلْكَ نِبَالُهُنَّ الَّتِي لَا تَحِيفُ فَتَمْدِلُ ، وَلَا تَحْطَفُ فَتَقْصُرُ . وَالْحَاطِفُ مِنَ السَّهَامِ : الَّذِي يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَجْبُو إِلَى الْهَدَفِ كَأَنَّهُ يَحْطَفُ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا . وَالطَّائِشُ : الْخَفِيفُ الَّذِي لَا يَسْتَقِيمُ ؛ وَمِنْهُ الطَّيْشُ وَالطَّيَّاشُ ، كَأَنَّهُ يَرَى خِفَتَهُ عَادِلًا مِنْ سِوَاهِ السَّبِيلِ . وَمَفْعُولُ رَمَيْنَا الثَّانِي مَحْذُوفٌ كَأَنَّهُ قَالَ : رَمَيْنَا لَا بِالطَّائِشَاتِ ، وَلَكِنْ بِالصَّائِبَاتِ النَّاقِرَاتِ . وَالنَّاقِرُ : الَّذِي يَنْقُرُ الْهَدَفَ .

وَقَوْلُهُ « ضَامِنٌ يَقْتُلُنَ الرِّجَالَ بِلَادِمَ » يَرِيدُ بِلَا تَرِيَةٍ وَدَخَلَ . وَالضَّمْنُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ يَرِيدُ فِي الْخِلْفَةِ وَالْخُلُقِ ، أَيْ يَقْتُلُنَ الرِّجَالَ وَإِنْ ضَمَّنَ عَنْ جِذَابِهِمْ كَيْدًا وَمِفْلًا . ثُمَّ قَالَ : يَا عَجَبًا لِمَنْ يَقْتُلُ الْقَوَى عَلَى ضَمْنِهِ . وَيَا عَجَبًا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى طَرِيقِ الثَّدْبَةِ ، وَيَكُونَ مُنَادَى مُفْرَدًا الْحَقُّ بِهِ الْأَلْفُ لِيَمْتَدَّ بِهِ الصَّوْتُ ، وَيَدُلَّ عَلَى فِرَاطِ الشَّكْوِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُنَادَى مُضَافًا فَرَّ مِنْ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ فَانْقَلَبَتْ أَلِفًا . وَاللَّامُ مِنْ قَوْلِهِ « لِلْقَاتِلَاتِ » هِيَ الَّتِي تَفْسِّرُ بِأَنَّهَا لَامُ الْمَلَةِ ، كَأَنَّهُ عَلَّلَ تَعْجِبَهُ بِقَوْلِهِ لِلْقَاتِلَاتِ ، فَارْتَفَعَ ضَامِنٌ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ بِمَبْدَأِ مَحْذُوفٍ .

وَقَوْلُهُ « وَلَتَمَنَّيَنَّ مَلَمَى فِي التَّلَادِ » ، يُرِيدُ أَنْ لَمَعِينَ لِهَوَاً وَرَاحَةً إِذَا نَظَرَتْ فِي التَّلَادِ الرَّائِقِ الْمَحِيبِ — وَالتَّلَادُ : مَا قَدَّمَ مِنْكَ — وَلَمْ يَجْذِبْ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَمَا يَجْذِبُهُ الطَّرَائِفُ ، وَهِيَ الْمُسْتَعْدَاتُ ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : « لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ » وَمَا أَشْبَهَهُ . وَقَادَ وَاقْتَادَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَالتَّلَمَّى كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الْحَدَّثُ ، وَهُوَ الْهَوَى ، يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ مَوْضِعُ الْجَذْبِ وَوَقْتُهُ .

٥٠٨

وقال آخر^(١) :

١ — لَئِنْ كَانَ يُهْدَى بَرْدُ أَنْبِيَائِهَا النَّبِيُّ لَأَفْقَرَ مِنِّي إِنِّى لَفَقِيرٌ

قوله «يُهْدَى» يجوز أن يكون من الإهداء الإتحاف ، ويجوز أن يكون من الهداء الزفاف . وقوله «أنبيائها النبي» يراد به الشريفة العالية الشأن ، ويجوز أن يراد بالنبي الأعلى من الأنسان ، لأنها موضع القبل . ويعنى يبرد الأسدان عذوبة الرضاب عند اللذاق . وقوله «إننى لفقير» فمیل بناء المبالغة ، ولا سيما إذا أُطْلِقَ إطلاقاً ، فلا يقال فقيرٌ إلى كذا وكذا فيُخصَّص . والمعنى : إن كان يتربس بمشقى مضحكها ، وواضح مقيلها ، وطيب رضابها ، وبرد أسنانها ، لمن هو أفقر منى إليها ، فإننى الفقير مطلقاً . والمعنى : لا غاية وراء فقرى . ومما يجرى مجرى فقير إذا أُطْلِقَ ، قولهم سقيم . ألا ترى قول الآخر^(٢) :

لَنْ لَبَنُ الْمَرْزَى بِمَاءِ مَوْسِلَ بَقَائِي دَاءِ إِنِّى لَسَقِيمٌ^(٣)

يريد المتناهى فى السقم حتى لا غاية وراءه . وأفقر ، كأنه بُنى على فقر للفروض فى الاستعمال . وإنما قلت هذا لأن فقيراً كان حُكْمُهُ أن يكون فعله على فقر ، ولم يجر منه إلا أفقر . وشروط فصل التجب وما يتبعه من بناء التفضيل أن لا يجرى إلا من التلانى فى الأكثر ، وما كان على أفضل خاصة ، وإذا كان كذلك فأفقر لا يصح أن يكون مبنياً على افتقر ولكن على فقر ؛

(١) هو عبد الله بن الميمنة . ديوانه ٢٥ — ٢٦ .

(٢) هو واقد بن الطريف الطائى ، أو زيادة بن محمد الطريف الطائى ، كاف مجيم

البيان (٨ : ٢٠٣) ..

(٣) قبله : يقولون لا تعرب شيئاً فإنه . إذا كنت محمداً عليك وخم .

فهذا طريق . ولك أن تقول : يُبَيِّنُ منه على حذف الزوائد ، كما جاء : ربح لا قبح والمراد مُنْقِحٌ ، وما أشبهه .

٢- فأكثر الأخبار أن قد تزوجت . فهل يأتى بالطلاق بشير قوله « أن قد تزوجت » ، أراد : بأن قد تزوجت . وحذف الجار مع أن كثير ، وموضعه من الإعراب مفعول من قوله الأخبار . والأخبار : جمع خبر ، ووضع خبراً موضع الإخبار ، كما يوضع الطاعة موضع الإطاعة ، ثم عداه وهو مجموع ، ومثله :

* مواعيد عرقوب أخاه يثيرب ^(١) *

ألا تراه أنه انتصب أخاه عن جمع وهو مواعيد . ومعنى البيت : كثر في أفواه الناس الإخبار بزوجها ، واشتغالها ببعائها عن غيره ، فهل يأتى بمبشر بطلاقها . وهذا ليس باستفهام وإنما هو تمن .

٥٠٩

وقال آخر ^(٢) :

١ - يُتَرَبِّعُنِي أَنْ أَرَى رَمْلَةَ النَّضَا إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لَعِينِي قِلَالُهَا ^(٣)

(١) البيت للأشجى ، كما في أمثال الميداني (مواعيد عرقوب) . وسدده :

* وعدت وكان الخلف منك سجية *

وأنشد في الأغاني (١٥ : ١٤٤) لفتاح :

وواعدني ما لا أحاول قسه مواعيد عرقوب أخاه يثيرب

وعرقوب هنا رجل من العالقي أنه أخ له يسأله ، فقال له عرقوب : إذا أطلت هذه النخلة فلنك طلما . فلما أطلت أتاه للعدة فقال : دعها حتى تصير بلعاً . فلما أبلعت قال : دعها حتى تصير زهواً . فلما زهت قاله : دعها حتى تصير رطباً . فلما أرطبت قاله : دعها حتى تحير تمرأ . فلما أعرت حمد إليها عرقوب من الليل فجذها ولم يعط أخاه شيئاً . أمثال الميداني .

(٢) هو أحد الأعراب ، كما في معجم البلدان (٦ : ٢٩٥) .

(٣) في معجم البلدان : « إذا ظهرت يوماً » .

٢- ولست وإن أُحْبِيتُ مَنْ سَكَنَ النَّضَا بِأَوَّلِ رَاجٍ حَاجَةٍ لَا يَنَالُهَا
 أَضَافُ الرَّمْلَةَ إِلَى النَّضَا تَشْبِيْهًا لَهَا . وَقَوْلُهُ « يُقَرَّرُ بَعْنِي » ، هَذِهِ الْبَاءُ
 تَزَادُ كَثِيرًا مَعَ أَقَرَّ ، وَالْأَصْلُ يُقَرَّرُ عَيْنِي ، وَزِيدَتْ الْبَاءُ تَأْكِيدًا . تَقُولُ : قَرَرْتُ
 عَيْنِي وَأَقَرَّهَا اللَّهُ . وَقَوْلُهُ « أَنْ أَرَى » فِي مَوْضِعِ الْفَاعِلِ لِيُفَيِّرَ ، وَالْمُرَادُ : إِذَا بَدَتْ
 يَوْمًا لِعَيْنِي قِلَالُ النَّضَا — وَهُوَ جَمْعُ الْقُلَّةِ وَهِيَ أَعْلَى الْجَبَلِ — فَهَرَّةٌ عَيْنِي فِي أَنْ
 أَرَى رَمَالَهَا أَيْضًا وَبَطْحَاوَاتِهَا . ثُمَّ قَالَ عَلَى طَرِيقِ الْيَأْسِ مِنْ ذَلِكَ : وَلَسْتُ
 بِأَوَّلِ مَنْ رَجَا مُؤْمَلًا ، وَاتَّصَرَ مُقَدَّرًا ، ثُمَّ لَمْ يَحْصُلْ مِنْهَا عَلَى طَائِلٍ . يَرِيدُ : وَلَا
 غَرَوْا إِنْ كُنْتُ أُحْبِيتُ مُسَكَّنَ النَّضَا أَنْ يَكُونَ هَذَا حَالِي مَعَهُمْ . كَأَنَّهُ كَانَ
 بَيْنَ أَهْلِ النَّضَا وَبَيْنَ قَوْمِهِ عَدَاوَةٌ ، أَوْ حَالَةٌ مَانِعَةٌ مِنَ الْمَزَاجَةِ وَالْمَوَاصَلَةِ ،
 فَذَلِكَ قَالَ مَا قَالَ .

٥١٠

وقال آخر (١) :

- ١ — سَلَى الْبَاةَ النَّفَاءَ بِالْأَجْرِعِ الَّذِي بِهِ الْبَانُ هَلْ حَيَّيْتُ أَطْلَالَ دَارِكِ (٢)
 ٢ — وَهَلْ قَتُّ فِي أَظْلَامِنَ عَشِيَّةٍ مَقَامَ أَخِي الْبَاسَاءِ وَاسْتَغَرْتُ ذَلِكَ (٣)

(١) هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النُّعْمِيَّةِ . وَالْأَيَّاتُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي دِيْوَانِهِ ١٥ — ١٦ مَطْلَعُهَا :

قَتِي يَا أَسِيمَ الْقَلْبِ هَضَى لِبَاةٍ وَنَشَكَ الْمَوِيَّ ثُمَّ أَضَلَّ مَا بَدَا لَكَ

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « الْبَاةُ النَّفَاءُ » ثُمَّ ذَكَرَ الرُّوَايَةَ الْآخَرَى .

(٣) بَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَتَالِيهِ أَرْبَعَةُ آيَاتٍ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ ، وَهِيَ :

وَهَلْ حَمَلَتْ عَيْنَايَ فِي الْبَارِ غُدُوَّةً بِدَمْعٍ كَنَفْطٍ الْوُثُو لَلْهَائِكِ

أَرَى النَّاسَ يَرْجُونَ الرِّيحَ وَإِنَّمَا رِيحِي الَّذِي أَرْجُو نَوَالُ وَصَالِكِ

أَرَى النَّاسَ يَخْشَوْنَ السَّبِينَ وَإِنَّمَا سِنِي الَّذِي أَخْشَى سُرُوفُ إِحْتِمَالِكِ

لَنْ سَأَدَى أَنْ غَلَتْنِي بِمَاءِهِ لَقَدْ سَرَفَى اللَّهُ جَهَنَّمَ بِبَالِكِ

٣ - لَيْتَنِكَ إِسْكَى بَكَى عَلَى الْخُشَا وَزَقَرَأَى عِنَى رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكِ
سَلَى ، أَصْلُهُ أَسَالَى فَحَذَفَ الْهَمْزَ تَحْقِيقًا وَأَنْقِيتَ حَرَكَتَهَا عَلَى السَّيْنِ فَصَارَتْ
إِسْلَى ، ثُمَّ اسْتَفْتَى عَنْ هَمْزَةِ الْوَصْلِ لِلتَّحْرُكِ مَا بَعْدَهَا فَحَذَفَتْ فَصَارَتْ سَلَى .
وَهَذَا كَمَا تَقُولُ فِي الْأَحْمَرِ إِذَا خَفَّفْتَهُ لَتَحْمَرُ . وَمَنْ قَالَ أَلَحْمَرُ يَقُولُ : إِسْلَى فَيَبْقَى
أَلَفُ الْوَصْلِ . وَيُرْوَى : « الْبَانَةُ الْغِيَاء » . وَالْفَنَاءُ : لِلتَّلَفَةِ الْكَثِيرَةِ الْوَرَقِ
وَالْأَغْصَانِ ، فَإِذَا ضَرَبَتْهَا الرِّيحُ غَنَّتْ ^(١) . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

لَلْغَرَى تَحْتَهَا سُبَاتٌ وَلَمَّا « خَرِيرٌ » وَلِلْفُصُونِ غِنَاءُ

وَالْأَجْرُجُ مِنَ الْأَمَّاكِنِ : السَّهْلُ الْمُخْتَلِطُ بِالرَّمْلِ . وَالْغِيَاءُ ، هِيَ الْعَظِيمَةُ الْوَاسِعَةُ ،
مِنْ قَوْلِهِمْ غَانَ عَلَيْهِ كَذَا إِذَا سَتَرَ ، وَبِهِ سُمِّيَ السَّحَابُ الْغَيِّينَ . وَإِنَّمَا قَالَ « الَّذِي بِهِ
الْبَانُ » لِأَنَّهُ كَانَ مُنْبِتَهُ . وَاسْتَشْهَدَ بِالْبَانِ عَلَى أَنَّهُ هَلْ قَضَى حَقَّ مَنْزِلِ الْأَحْبَةِ
لَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ ، وَهَلْ حَيًّا أَطْلَلَهُ نَحْيَةَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهَا ، وَالْقَاضِي لَوَازِمَهَا ، وَهَلْ
قَامَ فِي أَغْلالِ الْبَانِ بِهَا مَقَامَ الضَّرِيرِ الْبَائِسِ ، وَالْكَسِيرِ الرَّازِحِ ، تَذَلُّلاً لَهَا ،
وَتَلَوُّمًا بِهَا ، وَهَلْ ذَلِكَ كُلُّهُ عَنْ اخْتِيَارٍ وَقَصْدٍ أَوْ كَمَا اتَّفَقَ .

ثُمَّ قَالَ « لَيْتَنِكَ إِسْكَى » ، كَأَنَّهُ لَمَّا وَقَفَ عَلَى الدَّارِ وَتَذَكَّرَ الْعُمُودَ
فَحُضِرَ لَهُ مَا كَانَ دَرَسَ مِنْ آيَاتِ هَوَاءٍ ، وَتَجَدَّدَ مَا أَخْلَقَ مِنْهَا ، خَشِيَ عَلَى
كَيْدِهِ التَّصَدُّعَ فَأَمْسَكَ بِكَفِّهِ عَلَى حَشَاهُ ، ثَلْبَتًا لَهَا وَتَقْوِيَةً ، وَبَكَى فَتَقَرَّقَى
الدَّمْعُ فِي عَيْنِهِ ثُمَّ سَأَلَ . قَالَ هَذَا اللَّهُ ذَلِكَ كُلُّهُ مَنَى . وَانْتَصَبَ رَهْبَةً لِأَنَّهُ

(١) فِي حَامِصَةِ ل : « حَاشِيَةُ قَالَ السَّيِّدُ الْإِمَامُ أَبُو الرِّضَا رَحِمَهُ اللَّهُ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا هِنِي ،
غُلَطَّ بِغُلَطَةٍ ، وَكَيْفَ يَكُونُ الْفَنَاءُ مِنَ التَّنَابُؤِ فِي شَيْءٍ ، وَهَذَا مِنْ غِنَى ن ، وَذَاكَ مِنْ غِنَى ن .
لَمَّا جَرَى مِنْ قَوْلِهِمْ شَجَرَةٌ غِنَاءُ كَثِيرَةُ الْأَوْرَاقِ ، وَوَادٌ أَغْنَى أَيْ كَثِيرُ الشَّجَرِ فَأَقْلَهُهُ [تَذَابُؤُ]
وَفِي الْمُسَوِّدَةِ غَنَاءُ . فَأَمَّا الْفَنَاءُ فَيُجِدُّ مِنْهُ ، »

مفعول له . وهذا من باب التجلُّد في الهوى . والزَّيَال : مصدر زَايل . وفي هذه الطريقة قول الآخر :

يَرْفَعُ بُمْنَاهُ إِلَى رَبِّهِ يَدْعُو وَفَوْقَ الْكَئِدِ الْبُسْرَى

٥١١

وقال آخر :

- ١- تَمَتَّعَ بِهَا مَا سَاعَفْتَكَ وَلَا تَكُنْ عَلَيْكَ شَجِي فِي الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ^(١)
 - ٢- وَإِنْ هِيَ أَغْطَتْكَ اللَّيَانُ فَإِنَّهَا لِنِيرِكَ مِنْ خُلَايَا سَتَلِينَ^(٢)
 - ٣- وَإِنْ خَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمُخْضَوْبِ الْبَنَانِ يَمِينُ
- يصف النساء وأخلاقهن في الاقياد والتأبُّ إذا رُوِدْنَ ، واستمالهنَّ الوفاء من بَعْدِ غَدْرِهِنَّ^(٣) ، ويوصي باستبقاء المقاربة معهن ، وترك تدقيق محاسنهنَّ ، والرضا بالميسور من مصافقتهنَّ ، فيقول : عليك في الاستمتاع بهنَّ مدَّة انقيادهنَّ لك ، وإسفافهنَّ بالمراد من جهتهنَّ ، لا يشجُونَك تنكرهنَّ لك ، وينوثهنَّ إذا عدَلْنَ عنك ، وإعلم أنَّ الواحدة منهنَّ إذا لانتْ لك فهي بمرَضٍ أن تلينَ لنيرك ، فلا تتمدَّد عليهنَّ وإن خَلَفْتَ لك أنها تقي وتبقي على عهدها معك ، وإعلم أنه لا يمينَ لثلمها يُستوثقُ بها ، أو يُسْتَنَامُ إليها ، وفي طريقته قولُ بشار :

لَا يُؤْتِسِّكَ مِنْ مُخْبَأَةٍ قَوْلُ تَغْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا
عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاسَرَةٍ وَالصَّغْبُ يُكْمِنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا

(١) : التبرُّد : « في الخلق » .

(٢) : ل : دلائل من « ل » .

(٣) : في النسخين : « من بعد وغدرهن » ، والوجه ما لا يخفى .

٥١٢

وقال العباس بن مرداس^(١) :

- ١ — قَلِيلَةٌ لَحْمِ النَّاسِطِينَ يَزِينُهَا شَبَابٌ وَخَفُوضٌ مِنَ الْعَيْشِ بَارِدٌ
 - ٢ — أَرَادَتْ لَتَنْتَاشَ الرِّوَاقِ فَلَمْ تَقُمْ إِلَيْهِ وَلَكِنْ طَاطَأَتْهُ الْوَلَائِدُ
 - ٣ — تَنَاقَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ كَأَمَّا أَخُو سَقَطَةٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ الْعَوَائِدُ
- الناظران : عِرْقَانِ فِي مَدَمَعِ الْعَيْنَيْنِ . يَصِفُهَا بِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِجَهْمَةِ الْوَجْهِ ،
لَكِنَّهَا أَسِيلَةُ الْخُلْدَيْنِ ، وَيَزِينُهَا شَبَابٌ مُقْتَبِلٌ ، وَرِفَاقَةٌ مِنَ الْعَيْشِ وَدَعَةٌ ،
وَيَقَالُ : عَيْشٌ خَفِضٌ ، وَخَفِضْتُ عَيْشَهُ فَهُوَ خَفُوضٌ . وَالْبَارِدُ : الثَّابِتُ .
وَيَقَالُ : بَرَدَ لِي عَلَى فُلَانٍ حَقٌّ ، أَيْ ثَبَتَ .

وقوله «أَرَادَتْ لَتَنْتَاشَ الرِّوَاقِ» فالانتاش : التناول . يصفها بأنها مخدّمة ،
لَا تَبْتَدِلُ نَفْسَهَا فِي مِهْنَةٍ ، وَلَا فِي عَارِضِ خِدْمَةٍ ، حَتَّى أَنْهَا إِذَا أَرَادَتْ تَنَاوُلَ
رِوَاقِ الْبَيْتِ — وَالرِّوَاقِ : مَا مُدَّ مَعَ الْبَيْتِ مِنْ سِتَارَةٍ — لَمْ تَتَزَكَّ وَالْقِيَامِ
إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ قَدَّمَتْهُ الْوَلَائِدُ^(٢) ، وَأَمْلَنَتْهَا حَتَّى نَظَرَتْ إِلَى مَا وَرَاءَهُ ، فَإِذَا
كَانَتْ فِي مِثْلِ هَذَا تُودِّعُ وَتُكْفَى ، فَمَا هُوَ أَثْقَلُ مِنْهُ أَبَدًا مِنْ اسْتِمَالِهَا فِيهِ .
وَالطَّاطَأَةُ : خَفِضَ الرَّأْسِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَشْرَافِ . وَيَقَالُ لِلْفَارِسِ إِذَا ضَبَطَ فَرَسَهُ
بِفَخْذَيْهِ ثُمَّ حَرَّكَهُ لِلخُضُرِ : طَاطَأَ فَرَسَهُ .

وقوله «تَنَاقَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ» أَرَادَ أَنَّهَا تَنْصَبُّ مِنْ كُلِّ أَحْوَالِهَا إِلَى
الْأَلْهَوِ ، وَتَنْجَهِ إِلَيْهِ ، إِذْ كَانَ مَا عَدَا اللَّهَ قَدْ كُفِّيتْ ، فَهِيَ مُنَمَّتَةٌ لَا تَعْمَلُ

(١) عبارة الإنشاد هذه ساقطة من ل . وعند التبريزي : « وقال آخر ، وقيل هو
عتيبة بن مرداس » ، وقد سبقت ترجمة العباس في الخامسة ١٤٩ ص ٤٣٣ :
(٢) ل : « فرجه الولائد » .

إِلَّا بِاللَّسْبِ وَالْهَزْلِ ، فَكَأَنَّهَا عَلِيلٌ يُتَرَفَّرَفُ عَلَيْهِ وَيُشْفَقُ ، حَتَّى يُتْرَكَ لَا يَهْمُهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَسْغُلُهُ شَأْنٌ ، يَعْنِي أَنَّهَا فِي تَوَفُّرِهَا عَلَى الْحَدِيثِ وَاللَّامِ عَلَى نَعْمَتِهَا وَكَسَلِهَا ، كَذَلِكَ اللَّيْلِ فِي تَوَفُّرِهِ عَلَى مَقَاسَاتِهِ مَا بِهِ .

٥١٣

آخر (١) :

- ١ — وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ سَلَّتْ عَلَى وَدُونِ تَرْبَةٍ وَصَفَاحٍ (٢)
 - ٢ — لَسَلَّتْ نَسْلِيمَ الْبِشَاشَةِ أَوْزَقًا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ صَاحٍ (٣)
 - ٣ — وَأَغْبَطُ مِنْ كَلْبَى بِمَا لَا أَنَا لَهُ إِلَّا كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ التَّيْنُ صَالِحُ
- يقول : لو أن هذه المرأة سَلَّتْ عَلَى وَدُونِ تَرْبَةٍ فَخَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا صَفَاحُ الْقَبْرِ ، وَتَرَى الْأَحَدَ ، لَتَسَرَّعْتُ إِلَى جَوَابِهَا ، وَقَابَلْتُ سَلَامَتَهَا بِبِشَاشَةٍ مَتَى لَهَا وَطَلَاقُ وَجْهِ ، وَلَتَقْبِلُهَا وَإِجَابَتِهَا . فَإِنْ حَصَلَ مَنَعٌ دُونَ الْمَرَادِ صَاحَ إِلَيْهَا صَدَى لِي مِنْ دَاخِلِ قَبْرِى بِذَلِكَ جَوَابِ مَتَى . وَهَذَا عَلَى اعْتِقَادِهِمْ كَأَنَّ ، أَنَّ عِظَامَ اللَّوْنِ تُصِيرُ هَامًا وَأَصْدَاءً .

وقوله « وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلَى » يقول : إِنِّي مَرْمُوقٌ وَمَحْسُودٌ مِمَّنْ عَرَفْتُ بَلْبَلَى وَإِنْ لَمْ أَنْزِلْ مِنْهَا مَطْلُوبًا ، وَلَا حَصَلْتُ مِنَ الشَّقَاءِ بِهَا طَائِلًا . ثُمَّ قَالَ : « إِلَّا كُلُّ »

(١) هو توبة بن الحجير ، كما صرح التبريزي . والآيات بهذه النسبة في الميوان (٢) : ٢٩٩) وَأَمَّا الْهَالِ (١ : ١٩٧) وَالْأَغَانِ (١٠ : ٧٧) . وَهُوَ تُوبَةُ بْنُ الْحَجَرِ بْنِ حَزْمِ بْنِ كَسْبٍ بْنِ خَفَاجَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَقِيلٍ ، مِنْ شُعْرَاءِ دَوْلَةِ الْأُمُويَّةِ ، وَاحِدٌ عَشْرًا مِنَ الْعَرَبِ . الْأَغَانِ (١٠ : ٦٣ — ٧٩) وَالْأَشْطَقُ ١٨٢ وَالْمُؤْتَلَفُ ٦٨ ، ٩٣ وَالْمُزَانَةُ (٣ : ٣١ — ٣٤) وَالصَّبِي (١ : ٥٦٩ — ٥٧١) وَاللَّائِكُ ١١٩ — ١٢٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ وَالْأَمَالِ (١ : ٨٦ — ٨٩) وَفَوَاتُ الْوَفَايَاتِ وَالْفُرَاءُ ٤١٢ — ٤١٥ .

(٢) الميوان : « جندل وصفائح » .

(٣) التبريزي ، والملاحظ ، والقال ، والأصبهاني : « من تباين القين » .

مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحٌ « يريد أنى قرير العين بأن أذكر بها وتعرف بى دون
طلابها ، وهذا القدر نافع وإن تجرد مما سواه .

٥١٤

وقال آخر :

١ - فَإِنْ تَمَنَعُوا لِيَّ وَحُسِّنَ حَدِيثُهَا فَلَنْ تَمْنَعُوا مِنِّي الْبُكَاءَ وَالْقَوَافِيَا

٢ - فَهَلَّا مَنَعْتُمْ إِذْ مَنَعْتُمْ حَدِيثَهَا خَيَالًا يُؤَافِيَنِي عَلَى النَّسَائِي هَادِيَا

يقول : إن حُلتُم بيني وبين ليلي ومنازعتها الكلام ، والناس بحديثها ،
وحبس النفس على الزؤد منها ومن مفازلتها ، فإنكم لا تقدرون على ما أنا
بصدده من البكاء لما وجدنا فيها ، ومن قرض الشعر في النسيب بها ؛ وإذ قد
منعتم حديثها والذئبة منها ، فهلا حبستم عني خيالاً عارفاً بالطريق على البعد بيني
وبينها ، حسنَ الاحتذاء إلى حيث ذهبت عنها ، يزورني في المنام فيطري من
الشوق ما أخلق ، ويُعيد من الهوى ما درس . وهذا الكلام تحصيل لهم ،
وتشهير بمكايدهم^(١) ، وتذكير بما يسوؤهم ، وإعلام أن العهد بينهما مرقع ،
والهوى مما يقدح فيه من الجانبين محظوظ ، بدلالة أنه لو استجاضها لامتنع
خيالها ، لزوال نومه ، وذهاب هُدوءه . ألا ترى الآخر يقول :

وكان يزورني منه خيالٌ فلما أن جفا منع الخيال

٥١٥

وقال نُصَيْبٌ^(١) :

١ - كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ

٢ - قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عِلِقَ الْجَنَاحُ^(٢)

يقول : لما أحسستُ بالآلة التي رُسِمَتْ بوقوع الفراق في صبيحتها ، أوفي وقت الرواح من غدها ، وتصورْتُ أَنَّ التَّوَاعِدَ به حَقٌّ ، والتَّحَدُّثَ به واقع ، صار قلبي في الخفقان والاضطراب كقطاةٍ وقتت في شركٍ يحبسها ، فبقيت ليلتها تجاذبها والجناح علق لا مُتَخَلِّصَ له ، نَسِبَ لا مُتَنَزِّعَ منه^(٣) ، وكَمِثِل ذلك قلبي قَلِقٌ في حَشَاءُ ، عَلِقَ عند بَلَوَاهُ .

وارتفع قطاة على أَنَّهُ خَيْرُ كَأَنَّ ، وعَزَّهَا^(٤) في موضع الصَّفة لقطاة ، يريد غَلَبَهَا . وانتَصَبَ « لَيْلَةً » على الظَّرْفِ مِمَّا دَلَّ عليه « كَأَنَّ الْقَلْبَ » من التَّشْبِيهِ ، ولا يجوز أن يكون ظَرْفًا بَقِيلَ ، لأنَّهُ بما بعده مضافٌ إليه ، والمضاف إليه لا يعمل

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ٤٩٥ م ١٢٨٩ . على أن الشعر نسب إلى الجنون في الأغاني (٢ : ٣ ، ١٤) والأمال (٢ : ٦١) واللوشح ٢٥٠ . وهذه النسبة أقرب إلى الصواب . ونسب في ديوان الماعني (١ : ٢٧٠) إلى قيس بن ذريح :
(٢) بعده عند التبريزي :

لَهَا فَرَحَانٍ قَدْ تَرَكَا بَوَكْرٍ فَغَسِمَا تَصَفَّقَهُ الرِّيحُ

إِذَا سَمِعَا هُبُوبَ الرِّيحِ نَصَا وَقَدْ أَوْدَى بِهِ التَّدَرُّ الْمُنَاجُ

فَلَا فِي اللَّيْلِ نَالَتْ مَا تُرَجَّى وَلَا فِي الصُّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَاغُ

نصا ، أى نصبا أعانقهما .

(ج) ل : « لا متنزَّع منه » .

(٤) في الحيوان (٥ : ٥٧٧) : « عزمها » بمعنى خدعها .

في المضاف . وقوله « تُجَاذِبُهُ » والمفاعلة تكون في الأكثر من اثنين ، فلا تَهْجَلُ مَنْعُ الشَّرْكَ لَلْقِطَاةِ مِنَ التَّهْلِصِ جَذْبًا مِنْهُ .

٥١٦

وقال أبو حية النميري^(١) :

- ١ - رَمَتْنِي وَسَيَّرُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَنَحْنُ بِأَكْنافِ الْحِجَازِ رَمِيمٌ^(٢)
- ٢ - فلو أَنَّهَا لَمَّا رَمَتْنِي رَمَتْنِيهَا وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنُّضَالِ^(٣) قَدِيمِ
رَمِيمٌ : اسم المرأة ، وارتفع لأنها فاعلة ، وقد بُنِيَ عَلَى رَمَتْنِي . وأراد
سَيَّرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ . فيقول : نظرتُ إِلَى رَمِيمٍ ، فَكَأَنَّهَا رَمَتْنِي بِهِمْ ، وَنَحْنُ
مَقِيمُونَ بِأَكْنافِ الْحِجَازِ ، وَالْإِسْلَامُ حَاجَزٌ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، يَمْنَعُ مِنْ مُغَازِلَتِهَا
وَمِرَاوَدَتِهَا . ومثل هذا قول المَهْدِيِّ^(٤) :
- فَلَيْسَ كَهَمْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ
وَعَادَ الْقَتْلَى كَالْكُهْلِ لَيْسَ بِقَاتِلٍ سِوَى الْحَقِّ شَيْئًا وَاسْتَرَحَ الْوَاوِلُ^(٥)
- كَتَبَ عَنِ الْإِسْلَامِ فِي مَنْعِهِ عَنِ الْقُبَاحِ وَأَنْوَاعِ الْفُحْشِ وَالظُّلْمِ بِالسَّلَاسِلِ فِي
الْأَغْلَالِ الْخِيطَةِ بِالْأَيْدِي وَالْأَعْنَاقِ .

(١) هو الهيثم بن الربيع بن زُرارة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نعيم بن عامر بن مصعب ، شاعر راجز من مخضري الدولتين الأموية والعباسية ، ومدح الخلفاء فيها جميعا ، وكان يسكن البصرة ، وكان أهوج جبانًا غيلا كذابا معروفًا بذلك أجمع . قال ذات يوم : عنِّي لِي ظِي فَرِمْتُهُ فَرَاغَ عَنْ سَهْمِي ، فَضَارِسُهُ وَأَقَّةُ ذَلِكَ السَّهْمِ ، ثُمَّ رَاغَ فَرَاوُغُهُ السَّهْمِ حَتَّى صَرَعَهُ يَمِينُ الْخَبْرَاتِ . الأغاني (١٥ : ٦١ - ٦٢) والحزاة (٤ : ٢٨٣ - ٢٨٥) واللؤلؤ (١٠٣) والأكل ٢٤٤ والشراء ٧٤٩ - ٧٥٠ .

(٢) الآيات بهذه النسبة في الكامل ١٩ ليسك ، وهدون نسبة في الحيوان (٣ : ٤٩) والبيان (١ : ٦٨ / ٣ : ٣٢٤) . وروى : « عَشِيَّةُ آرَامِ السَّكَنَاسِ » .

(٣) يروى بينه وبين سابقه :

رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ يَتِيهَا ضَمَنْتُ لَكُمْ أَلَا يَزَالُ بِهِمْ

(٤) هو أبو خراش المَهْدِيُّ . ديوان المَهْدِيِّين (٢ : ١٥٠) والأغاني (٢١ : ٤١) .

(٥) في الديوان : « سِوَى الْعَدْلِ شَيْئًا فَاسْتَرَحَ » .

وقوله « فلأنا لما رمتني ربيها » جواب لو محذوف ، والمراد لو تعرضت لها وقابلتها في عرض محاسنها بمثل ما يكون للشبان بمنزلة الشفاء عند النساء ، لحق الأمر وكان القدر يجرى إلى القدر^(١) ، ولكن قد شخت وكبرت ، فعهدى بمناضلة النساء قديم .

٥١٧

وقال آخر^(٢) :

١ - أَسِجَنًا وَقِيدًا وَاشْتِاقًا وَغَيْرَ وَنَأَى حَبِيبٍ إِنَّ ذَا لِعَظِيمٍ^(٣)
 ٢ - وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاتِيْقُ عَهْدِهِ عَلَى كُلِّ مَا قَاسَيْتَهُ لَكَرِيمٍ^(٤)
 انْتَصَبَ « سِجَنًا » بإضمار فعل ، كأنه قال : أجمع على حبس وتقيد ، واشتياقًا إلى حبيب وبكاء ، مع بُعْدِ يَنَى وبينه ، إِنَّ ذَاكَ أَمْرٌ مُنْكَرٌ فَظِيعٌ ، يتضايق نطاق الصبر عن احتماله والبقاء معه ، وأشباه هذا إلى اجتماع هذه الأشياء عليه ، ونبه على عجزه في احتمالها لولا كرم عرقه ، واستحكام عقده . ألا ترى أنه تَحَمَّلَ بحاله ، واعتد على حبيبه بقاءه على العهد له . ودوام ودّه على اجتماع هذه الأحوال عليه ، فقال : إِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاتِيْقُ عَهْدِهِ ، يريد : إِنَّ رَجُلًا ثَبَتَ عَلَى أَوَّلِيَّةِ شَأْنِهِ ، ومبادئ مَوَاتِيْقِهِ ، مع ما يقاسيه من تراحم هذه البلايا على قلبه ، لَكَرِيمٍ الْقَهْدِ ، نبيه الشأن ، وثيق العقيدة .

(١) كذا ضبط في النسخين . والقدر ، يسكون الهمزة لثة في القدر مجتمعا . وأنفذ :

كل شيء حتى أخذك متاع وبقدّر خرق واجتماع

(٢) هو أحد الأعراب كما هو في البيان (٤ : ٦٢) . ونسب في الحيوان (٦ : ١٥٩)

إلى بعض اللصوص .

(٣) الحيوان : « أقيد وحس واغتراب وفرقة وهجر حبيب » . البيان : « أقيد

وسجنا واغترابا وفرقة وذكر حبيب » .

(٤) التبريزي : « على مثل ما قاسيته » . البيان : « على كل ما لاقيته » . الحيوان :

« على غير ما بيّنه » .

وَرُوي: «أَسِجَنٌ وَقِيدٌ» بالرفع، والمراد: أجمعت هذه الأشياء على طريق التثنية والتحويل.

٥١٨

وقال آخر^(١):

١- رَعَاكَ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلِلَّهِ أَنْ يَشْفِيكَ أَغْنَى وَأَوْسَعَ^(٢)
٢- يَذْكُرُ نِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ
أشار بقوله «ضَمَانُ اللَّهِ» إلى ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فقال: أنا أدهو بأن يَشْفِيكَ اللَّهُ عَنْ وَجَلٍ^(٣) يَا أُمَّ مَالِكٍ. وقد ضمن الإجابة للداعي فَرَعَاكَ ضَمَانُهُ. ثم قال: وَلِلَّهِ بَأْنُ يَشْفِيكَ، حذف حرف الجر، والجاء يُحذف مع أن كثيراً، لَأَن حَذَفَهُ أَظْهَرَ غِنَاءً وَأَوْسَعَ قُدْرَةً. ونَبَّهَ بهذا الكلام أَنَّهُ فِي كَلِمَةِ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى النِّفَى الْقَادِرِ اعْتَمَدَ عَلَى مَا لَا بُدَّ مِنْ وَقْعِهِ.

وقوله «يَذْكُرُ نِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ» يريد أنه لا ينساها في شيء من الأحوال والأوقات، فسا يتقلب فيه من خيرٍ يا كَرِي، أو شرٍّ طارق، فهو يَذْكُرُهُ، وكذلك ما يخاف وقوعه أو يرجوه، ولم يَصِرْ منهما على يقين يَذْكُرُهُ أيضاً، وكذلك ما صار منه على يقين، فهو يتوقعه، يَذْكُرُهُ أيضاً. وإذا تأملت حوادث الدهر وجدتها لا تنقسم إلا إلى قسمين، لأنها لا تخلو من أن تكون محبوبة أو مكروهة، أو واقعة أو منتظرة، أو مخوفة أو مرجوة.

(١) هو امرأني من حذيل كما في الحيوان (٧: ١٤٨). وفي البيان (٣: ٣٣٠): «وقال امرأني».

(٢) في نسخة فيض الله من البيان: «أرعى وأوسع».

(٣) ل: «جل جلاله».

٥١٩

وقال الحكم الخضرى^(١) :

- ١ - نَسَامٌ ثَوْبَاهَا فِي الدَّرَجِ رَادَّةٌ . وَفِي الْمِرْطِ لَفَاوَانٍ رَدْفُهُمَا عَقْلٌ .
 ٢ - فَوَاللهِ مَا أَدْرَى أَزِيدَتْ مَلَاخَةً وَحُسْنًا عَلَى النَّسْوَانِ أَمْ لَيْسَ لِي عَقْلٌ .
 معنى نَسَامٌ تَقَاسَمٌ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ : سَهَبَتْهُ فَلَانٍ مِنْ هَذَا كَذَا ، أَيْ قَسَمَتْهُ وَنَصَبَتْهُ . وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ مِنَ السَّهَامِ : الْقِدَاحُ الَّتِي تُجَالُ بَيْنَ الْمُحْصُومِ إِذَا تَقَارَعُوا لِيَسْتَبِدَّ كُلٌّ بِمَا يَخْرُجُ لَهُ لِقِسْمَتِهِ وَيَدَّتِهِ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ فَتَسَامَ فَكَانَ مِنَ الْمُذْخَصِينَ ﴾ ، فَكَأَنَّهُ اسْتِمَارٌ - وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ مَا ذَكَرْتُ - لِلتَّقَاسُمِ ، إِذَا كَانَ يُفَعَّلُ لِلْقَسَمِ وَمَا يَشْبَهُهُ لِأَخِيرٍ ، فَيَقُولُ : انْقَسَمَ بَعْضُ هَذِهِ الْمُرَأَةِ بَيْنَ دِرْعَيْهَا وَإِزَارِهَا ، فِي دِرْعَيْهَا بَدَنٌ نَاعِمٌ وَخَصَرٌ دَقِيقٌ ، وَفِي مِرْطِهَا فَخِذَانِ غَلِيظَتَانِ عَلَيْهِمَا رَدْفٌ ضَخْمٌ .

وقوله « فَوَاللهِ مَا أَدْرَى » يَرِيدُ أَنْ الْخَيْرَةَ قَدْ مَلَكَتْهُ فِي أَمْرِهَا ، لِأَنَّ بَرَى مِنْ مَثِيلِ قَلْبِهِ إِلَيْهَا ، وَشَدَّةَ اقْتِنَانِهِ بِهَا ، فَهُوَ لَا يَدْرِي أَزِيدَتْ حُسْنًا وَمَلَاخَةً عَلَى نِسَاءِ الدُّنْيَا كُلِّهَا ، أَمْ هُوَ قَائِلُ الرَّأْيِ فِي الْإِخْتِيَارِ ، مَخْبُولُ الْقَلْبِ فِي الْإِعْتِبَارِ ، ضَعِيفُ التَّبَشُّرِ ، فِي الْإِرْتِيَادِ وَالتَّخْيِيرِ . وَالرَّادَّةُ وَالرَّوْدَةُ : النَاعَةُ . وَاللَّفَاءُ : الْكَثِيرَةُ الْبَحْمُ . وَالْعَقْلُ : الضَّخْمُ ، وَمَصْدَرُهُ الْقَبَالَةُ .

(١) هو الحكم بن معمر بن قنبر بن جحاش بن سلية بن مملبة بن مالك بن طريف بن عارب . وكان مالك بن طريف شديد الأمانة ، وكذلك خرج ولده ، فسبوا الخضر ، وهم خضر عارب . وهو شاعر إسلامي ، كان مناصرًا لابن ميادة ، وكان بينهما مهادنة . الأغانى (١٤: ٢٤٠) والآل ١٦ وسجع الأدباء (١٠ : ٢٤٠ - ٢٤٥) .

٥٢٠

آخر:

١ - أَرْوَحُ وَلَمْ أُحْدِثْ لِقَائِي زِيَارَةً لَيْتَسَ إِذَا رَأَيْتُ لِلْوَدَّعِ وَالْوَضَلِ
 ٢ - تُرَابٌ لِأَهْلِي لَا وَلَا نِعْمَةٌ لَمْ لَشَدَّ إِذَا مَا قَدْ تَعَبَّدَتِي أَهْلِي
 كَانَ مَنْ صَحْبِهِ مِنْ أَهْلِهِ اسْتَعْلَوْهُ عَنْ زِيَارَةِ لَيْلِي ، فَيَقُولُ مُنْكَرًا
 وَمَنْظَمًا : أَلرَّوْحُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَقْضَى حَقَّهَا ، أَوْ أَجَدَّ الْإِلَامَ بِهَا ، لَيْتَسَ رَأَيْتُ
 الْمَوَدَّةَ وَالْمَوَاصِلَةَ أَنَا . حَذَفَ اللَّذْمَ مِنْ لَيْتَسَ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ ، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ :
 ﴿ نِعَمَ التَّعْبُدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، وَالْمَعْنَى : نِعَمَ الْعَبْدُ أَيُّوبَ ، فَحَذَفَ الْمَدْرُوحَ بِنِعَمَ ،
 لِكُونِ الْمُرَادِ مَفْهُومًا . وَإِذَا جَوَابٌ وَجَزَاءٌ ، وَكَأَنَّهُ حَشَايِهِ الْكَلَامَ لِيُفْتَمَّ أَنَّ
 مَا يَقُولُهُ جَوَابٌ لِمَا سَمِعَ . وَاللَّامُ مِنْ «لَيْتَسَ» لَامُ الْإِبْتِدَاءِ ، وَارْتَفَعَ رَأْيِي الْمَوَدَّةَ بِهِ .
 وَقَوْلُهُ «تُرَابٌ لِأَهْلِي» دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ ، وَتَحْقِيرٌ لَهُمْ ، وَاسْتِخْفَافٌ بِهِمْ . وَجَازَ
 الْإِبْتِدَاءَ بِقَوْلِهِ «تُرَابٌ» وَهُوَ نَكْرَةٌ ، لِأَنَّ مَعْنَى الدَّعَاءِ مِنْهُ مَفْهُومٌ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :
 * فَتَقَرَّبْ لِأَفْوَاهِ الْوُشَاةِ وَجَنْدَلُ *

وَالْمُرَادُ فِي الدَّعَاءِ طَلِبُ النَّزْلِ لَهُ .

وقوله « لا ولا نعمة لم » يجوز أن يكون للنفي بلا الأولى حذف لما دلَّ
 عليه الكلام ، فكأنه قال : لأهله التُّراب لا عزٌّ لهم ولا نعمة . ويجوز أن يكون
 « لا » رَدًّا لِمَا عَرَضُوا عَلَيْهِ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ لِلْإِنْسَانِ : أَفْضَلُ لِفُلَانٍ كَذَا وَكَذَا ،
 فَيَقُولُ : لَا وَلَا كَرَامَةً ، أَيْ لَا أَفْضَلُ ذَلِكَ وَلَا أَكْرَمُ مِنْ يَسْؤُمُنِيهِ . وَقَوْلُهُ
 « لَشَدَّ إِذَا مَا قَدْ تَعَبَّدَتِي أَهْلِي » تَعَبَّدَهُ وَاسْتَعْبَدَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، أَيْ اسْتَذَلَّهُ ،
 وَ« لَشَدَّ مَا » هُوَ كَمَا يَقَالُ : لَمَزَّمَا . وَالْمَعْنَى الْإِنْكَارُ فَيَا عَرِضَ عَلَيْهِ وَدُعِيَ إِلَيْهِ ،
 وَأَنْتُمْ تَجَاوَزُوا كُلَّ حَدٍّ فِي امْتِنَانِهِ حِينَ عَرَضُوا عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ . وَهَذَا الْكَلَامُ

مُسْتَمِلٌ عَلَى اخِلَافِ وَقَلَّةِ الاحتفال . ويموز أن يُجْرَى شَدًّا ، يُجْرَى نِعَمَ وَيُنْسَ .

٥٢١

وقال أبو دَهَبٍ الجُمَحِيُّ^(١) :

١ - أَأَتْرَكَ لَيْلِي لَيْسَ يَفُو بَيْنَهَا سِوَى لَيْلِي إِذَا لَصَبُورُ
قوله « أَأَتْرَكَ » لفظه لفظُ الاستفهام والمعنى معنى الإنكار ، كأنه أنكر من نفسه أن يترك التَّعْرِيجَ على ليلي وبينهما مسيرةُ لَيْلٍ ، فقال : أَخِلُّ بِزيارتها وأداء واجبها مع قُربِ المسافة بيني وبينها ؟ إِيْ إِذَا لَمُنَّاهُ فِي الصَّبْرِ عن الأحباب ، كَسُولٌ عن البرِّ بذوى الأذمة والأسباب^(٢) . وإنما قال هذا باعثًا لِصَحْبِهِ على مُسَاعَدَتِهِ ، وطالبا منهم تمكينه من مراده . لذلك قال :

٢ - هَبُونِي أَرَأَيْتُمْ أَضَلَّ بَعِيرَهُ لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ النِّعَمَ كَبِيرُ

٣ - وَلِلصَّاحِبِ لِلتَّرْوِكَ أَعْظَمُ حُرْمَةً عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَقُولَ بَعِيرُ

٤ - عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلِي الْفَدَاءَ فَلَيْتَهَا إِذَا وَلَيْتَ حَكْمًا عَلَى تَجَوُّرُ

قوله « هَبُونِي » معناه احسبوني واجعلوني ، وهو يتعدى إلى مفعولين . وحكى ابن الأعرابي : وَهَبَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ بِمَعْنَى جَعَلَنِي فِدَاءَكَ . وقوله « أَضَلَّ بَعِيرَهُ » يقال في الشيء الزَّائِلِ عَنْ مَكَانِهِ إِذَا قُدِّدَ : أَضَلَّتْهُ ، فَإِنْ ثَبَّتَ فِي مَكَانِهِ

(١) هو وهب بن زمة بن أسيد بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حنيفة بن جهم بن عمرو بن حصيص بن كعب بن لؤي ، كان رجلا جيلا شاعرا ، وكانت له جمة يرسلها تضرب منكبيه ، وكان غفيا ، وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب ، ومدح معاوية وعبد الله ابن الزبير ، وكان ابن الزبير قد ولاء بسن أعمال اليمن . الأغاني (٦ : ١٤٩ - ١٦٥) والاشتقاق ٨١ وللؤتلف ١١٧ والشراء ٥٩٦ - ٥٩٩ .

(٢) الأذمة : جمع ذمام ، وهو الحرمة والمحق والهد .

ولم يُهْتَدَ إليه قيل : صَلَّيْتُهُ . وقوله « إِنَّ الذَّمَامَ كَبِيرٌ » كالاتفات ، وقوله « أَضِلُّ بَعِيرَهُ » في موضع الصفة لاثراً ، وكذلك « لَهُ ذِمَّةٌ » صفة أخرى . ومعنى منكم من خاصتكم ويطاعتكم ، وهو يُفيد معنى الوصف أيضاً . وللمعنى : أَجْرُونِي بِحَجَرٍ رَجُلٍ مِنْكُمْ نَدَّ لَهُ بَعِيرٌ ، وله ذِمَامُ الصَّحْبَةِ وَالنَّسَبِ وَالْقَرَابَةِ ، فَإِنَّ لَذَّمَامَ حَقَّهُ ، وَحُرْمَةَ الْمِرَافَقَةِ كَبِيرَةً ، وَدَعَوِي أَقْضَى مِنْ حَقِّ لَيْلٍ وَاجِبَةٍ ، وَلَا تَسْتَجِبُ لَوْنِي فِي ذَلِكَ وَلَا تَحْتَمُونِي عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : فَإِنْكُمْ إِذَا تَرَكَتُمُونِي وَلَمْ تَوْفَّرُونِي عَلَى مَا أُمُّهُ بِهِ فَيَا يَخْتَصُّ بِي لَهَا ، كُنْتُمْ تَرَكَتُمْ رَفِيقًا لَكُمْ وَضَيِّعْتُمُوهُ أَشَدَّ مَا كَانَ حَاجَةً إِلَيْكُمْ ، وَالرَّفِيقُ أَكْثَرُ حُرْمَةٍ فِي صَاحِبِهِ لِلتَّرَوُّكِ مِنْ ضَلَالِ بَعِيرٍ . يُرِيدُ : وَإِذَا عُدَّ تَرَكَ الاستِيفَاءَ ^(١) بَيْنَ أَرَادَ نَشْدَانَ صَلَّاتِهِ ، تَجَوُّزًا فِي الْحَافِظَةِ ، وَتَعْدِيًا فِي حُكْمِ الْمِرَافَقَةِ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ إِذَا فَعَلَ مَعَ مَنْ يَرُومُ تَجْدِيدَ الْعَهْدِ بِرُوحِهِ ، وَالِاسْتِيفَاءَ عَلَى لُبِّهِ ، أَكْثَرُ فِي الْجِنَايَةِ ، وَأَقْبَحُ فِي الْأَحْدُوثة .

وقوله « عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلِي الْغَدَاةَ » تَشَكَّرَ وَأَتَانِي مِنْ سُوءِ مَعَامَلَتِهَا وَأَنَهَا مَتَى حُكِمَتْ فِيهِ وَفِيهَا يَتَمَلَّقُ بِهِ جَارَتٌ وَلَمْ تُنْصَف . وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ إِذْ بَانَ بِأَنهَا تَسْتَغْفِرُ الصَّغِيرَ إِذَا وَقَعَ مِنْهُ ، بَلْ تَعُدُّهُ كَبِيرَةً وَتَغْلُظُ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهَا ، وَالْمُواخَذَةَ بِهَا .

٥٢٢

وقال آخر :

١- أَاخِرُ شَيْءٍ أَنْتِ فِي كُلِّ هَجْعَةٍ وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتِ عِنْدَ هُبُونِي

٢- مَرِيدُكَ عِنْدِي أَنْ أَفِيكَ مِنَ الرَّذَى وَوَدُّ كَلَامِ الْمُرْنِ غَيْرُ مَشُوبٍ

قوله « فِي كُلِّ هَجْعَةٍ » الْعَامِلُ فِيهِ أَاخِرُ ، وَكَذَلِكَ « عِنْدَ هُبُونِي » الْعَامِلُ فِيهِ أَوَّلُ شَيْءٍ . يَقُولُ : لَا أَخْلُو مِنْ ذِكْرِكَ سَاعَةً ؛ لِأَنِّي إِنْ نَسِيتُكَ كَانَ خِيَالُكَ

(١) مَوْصُورٌ اسْتَأْنَى ، أَيْ تَأَنَّى وَلَمْ يَجِبَل .

سَمِيْرِي مَدَّةً هَوْجِي ، وَإِنْ أَوْفَلْتُ كُنْتُ لَزِيْمَ ذِكْرِكَ مُدَّةً يَنْفَعُنِي ، فَأَنْتَ فِي
النَّوْمِ آخِرُ شَيْءٍ لِي ، وَلَا فَاصِلَ بَيْنَ الْحَالَيْنِ . ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي يَزِيدُكَ مِنْ
عِنْدِي أَلَّا أَشْهَرَّ بِكَ ، وَلَا أَبَوَحَّ بِسَرِّكَ ، وَلَا أَعْلَنَ النَّسِيبَ بِاسْمِكَ ، إِذْ كَانَ
فِي جَمِيعِهِ تَنْفِيرُكَ ، وَتَعْرِضُكَ لِلرَّذَى : فَضِيحَتِكَ ، فَأَنَا أَقْيَلُكَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنَا
أَضْيَعُ لَكَ الْوُدَّ حَتَّى لَا يَشْرَكَكَ فِي قَلْبِي أَحَدٌ ، فَيَصِيرُ نَاوِي الْوَدْمَشُوبَا ، وَصَافِي
الْهَوَى مَكْدَرًا . وَبِحُوزِ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ : مَزِيدُكَ عِنْدِي أَنْ أَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى
بِالضَّيَانَةِ لَكَ ، وَتَوْفِيرِ الْحِيَاطَةِ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا تَكْرَهُهُنَّ ، أَوْ يَزِدُّنِي إِلَى
شَيْئِكَ فَيَا تَرْوِمْنَهُ .

وَالَّذِي يَشْهَدُ لِقَوْلِهِ «مِنَ الرَّذَى» وَأَنَّ الْمَرَادَ بِهِ الْفَضِيحَةُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :
صَرَفْتُ الْهَوَى عَنْهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الرَّذَى وَلَسْتُ بِمَقِلِّ الْخِلَالِ وَلَا قَالَ
أَلَّا تَرَى أَنَّهُ كَانَ مُلَكًّا لَا يَخَافُ مَعَارِضَ لَهُ فَيَا بَتَمَاطَى مِنَ الْأَلْهَى ، وَيَخْتَارُهُ
مِنَ الصَّبَا وَالْبَطَالَةِ مَعَ مَنْ كَانَ وَفِيمَنْ اتَّفَقَ ، فَكَيْفَ مَا يَتَعَدَّاهُ مِنْ طَلَبِ
النَّوَائِلِ لَهُ ، لَكِنَّهُ عَدَا انْتِشَارَ الْحَدِيثِ فِيهِ ، وَقِيَامَ النَّاسِ وَقُعُودَهُمْ بِذِكْرِهِ
هَلَاكَ وَعَطَبًا .

وقوله «أَنْ أَقْيَلُكَ» فِي مَوْضِعِ خَبَرِ الْمُبْتَدَأِ وَهُوَ مَزِيدُكَ ، وَانْطَلَفَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ
«وَوُدُّكَ كَمَا الْوُزْنُ» .

٥٢٣

وَقَالَ آخَرُ :

- ١ - مَا أَنْصَفْتَ ذَلْفَاءُ مَا دُوَّهَا فَحَجَرْتُ وَأَمَّا نَأْيُهَا فَيَسْهُوُّ
- ٢ - تَبَاعَدُ مَنْ وَاصَلَتْ فَكَأَنَّهَا لِآخِرِ مَنْ لَا تَوَدُّ صَدِيقُ (١)

(١) الصَّبْرِيُّ : «وَكَأَنَّهَا» .

يقول : جارت هذه المرأة على في حكم الموى ولم تُنصف ، لأنى إن طلبت التّدانى منها هجرتنى وأطرحتنى ، وإن رُمْتُ التّنائى عنها شوقتنى وهاجتنى ، وإذا كانت من مواصلها متباعدة ، ولموادها مهاجرة ، فكأنها تصادق مُعاديها ، وتخالص مُبايذها من دون مواصلها ومقاربها ، وهذا عَجَبٌ من مثلها .

وقوله «أما دُئوها فحجر» المعنى أما في دُئوها فتُحجر . ألا ترى أنه قال «وأما نأيتها فَيَشوق» كأنه : وأما في نأيتها فتشوق . إلا أنه جعل فعلها منسوباً إلى دُئوها ونأيتها .

٥٢٤

وقال عبد الرحمن الزهرى^(١) :

١ — وَلَمَّا نَزَلْنَا مِنْزِلًا ظَلَمَ النَّدى أَنيفًا وَبُستانًا من النّورِ حالياً^(٢)

٢ — أَجَدُّ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مَنَى فَتَمَنَّينا فَكُنْتَ الْأَمَانِ

جواب «لما» قوله أَجَدُّ لَنَا . فيقول : لما خرجنا إلى ظاهر محالنا متزّهين ، ونزلنا موضعاً رايضه ركبها الطلُّ بالليل ، فتناثرَ عنها القطرُ بالندوات ، ونباتُه شَرِقَتْ بالرّى بعد الشّمس ، وضاحكت الشّمس بعد الشّروق ؛ وبساتينَ تحلت بالأزاهير ، وتحفّت من بركة الله بآثار الصّنع ، دَعَتْنَا نفوسنا إلى أن نتذكّر لطيب المكان ، ومُساعدة الوقت والزّمان ، ما يكمل به الشّروع ،

(١) هذا ما قاله . وفي الأصل : «الزيرى» . وعند التبريزى : «أبو بكر بن عبد الرحمن الزهرى» . وقد سبق لأبي بكر الجاسية ٤٦٩ ص ١٢٤٥ . وأبو عبد الرحمن بن السور بن غزوة بن نوفل بن أميب بن زهرة بن كلاب . وكان جده السور من أدرك الإسلام سفياً وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . الإصابة ٧٩٨٧ .
(٢) روى التبريزى قبل هذه المقطوعة أخرى لحسن الطيمى ، وستأتى مقطوعة حسن الطيمى هنا بعد المقطوعة رقم ٥٣٦ .

وتتمنى ما إليه تنهاى فى الاقتراح الميون والقلوب ، فوجدنا الأمانى كلها لا تتعلق
إلا بك ، ولا تحوم فىا تجال فيه وترود عنه إلا عليك ، ذهاباً فيك
وشمماً بك .

ويقال : طُلَّتِ الأرضُ فى مطلوة . والأنيق : المسحب . ويقال : خَلَى
بكذا ، وتحلّى بكذا .

٥٢٥

وقال معدان بن مضرب^(١) :

- ١ - إن كان ما بُلُفَتْ عَنِّي فَلَأَمْنِي صَدِيقِي وَشَكَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأُنَامِلُ
 - ٢ - وَكَفَنْتُ وَخَدِي مُنْذِرًا فِرْدَانِهِ وَصَادَفَ حَوْطًا مِنْ أُمَادِي قَاتِلُ
- قد مضى تفسيره فى باب الحماصة .

٥٢٦

وقال آخر :

- ١ - صَدَا وَدُّ لَيْلى مَا صَفَا لَمْ نَطْلَعْ بِهِ عَدُوًّا وَلَمْ نَسْمَعْ بِهِ قِيلَ صَاحِبِ
- ٢ - فَلَمَّا تَوَلَّى وَدُّ لَيْلى لَجَانِبِ وَقَوْمِ تَوَلَّيْنَا لِقُومِ وَجَانِبِ
- ٣ - وَكُلَّ خَلِيلٍ بَعْدَ لَيْلى يَتَخَفُنِي عَلَى الْقَدْرِ أَوْ يَرْتَضَى بُوْدَ مَعَارِبِ

(١) الذى فى معجم الرزبانى ٤٠٧ : « معدان بن جواس الكندى الكونى » . قال :
له حلف فى ربيعة ، فغضرم نزل السكوفة ، وكان نصرانيا فأسلم فى أيام عمر بن الخطاب ، ونام
الزبير بن العوام رضى الله عنه بأسمه فدحه . وهو القاتل :
ورثت أبا حوط حجة عمره وأورثني شمر الكون للضرب
أبو حوط هو حجة بن المضرب ، نظر بها . ثم أشد له للرزبانى بقى الحماصة هذين .
وقد نسب أبو تمام هنا إلى أحد أجداده ، ونسبته فى الإصابة ٨٤٣٥ : معدان بن جواس بن
غروة بن سلمة بن للتسر بن للضرب بن مطوية .

سلك في هذا مسلك ذي الرُّمَّة حين قال :

فَيَا مَيَّ هَلْ يُجْزَى مُبْكَأً بِمَثَلِهِ رِمَارًا وَأَقَامَسِي إِلَيْكَ الزَّوَارِفُ
وقد زَيْفَ الثَّقَادَ هذا وقالوا : ذُو الهوى لا يستدعى مَن يهواه المكافأة على
مما يتخمله فيه . وقد عاب ابنُ أبي عَتِيْقٍ على كثيرٍ قوله :

ولستُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِي بِنَائِلٍ قَلِيلٍ وَلَا رَاضٍ لَهُ بِقَلِيلٍ
وقال : هذا كلامٌ مُكَافٍ لا كلامٌ مُحِبٌّ . فقوله « وَدَّ لَيْلَى » يجوز أن
يكون الود مضافاً إلى المفعول ، والمراد وَدَّنا لَيْلَى ، فينتصب موضع قوله « مَا صَنَعَا »
لكونه ظرفاً ، والمعنى : صَنَعَا وَدَّنا لَيْلَى مَدَّةً بَقَاهُ خَالِصاً مِمَّا يَشُوبُهُ وَيُفْسِدُهُ
مِنْ طَاعَةِ عَدُوِّهَا ، وإصناؤه إلى قِيلٍ نَاصِحٍ يَنْتَضِعُ فِيهَا . ويجوز أن يكون
لِلرَّادِ : صَنَعَا وَدَّنا لَيْلَى مَدَّةَ صَفَاءٍ وَدَّهَا لَنَا ، لَحْمِينَاهُ مِنْ قَدَحِ الْأَعْدَاءِ فِيهِ ،
وَالْإِصْنَاءُ إِلَى قِيلِ الْأَعْمَى وَعَتِيهِمْ لَهُ . ويدل على هذا التفسير قوله مِنْ بَعْدُ :

فَلَا تَوَلَّى وَدَّ لَيْلَى الْجَانِبِ وَقَوْمٍ تَوَلَّيْنَا لِقُصُومٍ وَجَانِبِ
فإن قيل : كيف زعمتُ أَنَّ المعنى مَا صَنَعَا وَدَّهَا لَنَا ، وقد ذكرتُ أَنَّ الْوَدَّ
مُضَافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ ؟ قلتُ : إِنَّ الضَّمِيرَ فِي الثَّانِي هُوَ وَدَّ لَيْلَى ، وَالْمَصْدَرُ كَمَا يُضَافُ
إِلَى الْمَفْعُولِ يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ أَيْضاً ، وَالْفِعْلُ لَفْظٌ وَاحِدٌ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
صَلَحَ أَنْ يُتَوَصَّى فِي قَوْلِهِ « مَا صَنَعَا » عَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى وَدَّ لَيْلَى ، وَيَكُونُ لَيْلَى
فَاعِلَةً لِأَنَّ الْفِعْلَ ذَلِكَ الْفِعْلُ ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ : صَنَعَا وَدَّ لَيْلَى مَا صَنَعَا وَدَّ لَيْلَى .
وَالْمَعْنَى : صَنَعَا وَدَّنا لَيْلَى مَا صَنَعَا وَدَّهَا لَنَا ، أَيْ صَافِيْنَاهَا مَا دَامَتْ تُصَافِيْنَاهُ .
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَدَّ لَيْلَى أَضَافَ الْوَدَّ إِلَى لَيْلَى ، وَهِيَ الْفَاعِلَةُ ، لَكِنَّهُ حُذِفَ
لِلضَّافِ وَأَقَامَ لِلضَّافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ . وَالْمُرَادُ : صَنَعَا جَزَاءَهُ وَدَّ لَيْلَى مَتَى مَا صَنَعَا هُوَ فِي
قَسَمِهِ لَنَا . وَقَدْ رَوَى : « لَمْ نَطْلَعْ بِهَا عَدُوًّا » فَيَعُودُ الضَّمِيرُ إِلَيْهَا ، وَكَذَلِكَ « وَلَمْ

نسمع بها . وإذا رويت « به » يعود الضمير إلى الوُد .

وقوله « فلما تولى ود ليلى » يريد : ود ليلى لنا . والمعنى : لما مالت إلى جنبة غير جنبتى ، وقوم غير قوى ، نفَضْتُ يدي من الاعتقاد عليها ، وأخليت قلبى من هواها ، وصرَفْتُ نفسى إلى جنبة أخرى غير جنبتِها ، وطائفة أخرى غير طائفتها ، لأنى كما أصل أقطع ، وكما أخاط أزيل ، ولست أؤمن يقتل نفسه فى أثر من لا يُريدنى إذا تولى عني . وقوله « تولى » يجوز أن يكون من التولى الإعراض والذهاب ، ويجوز أن يكون من الولاء والطاعة .

وقوله « وكل خليل بعد ليلى يخافنى » يريد أن الناس لما رأوا وكُوى بليلى ، وصفاء عقيدى فى الليل إليها والتقاء على العهد معها ، ثم رأوا بعده انصراف عنها فى أقرب للدد ، ولأذى السب ، صار كل خليل فى ينى وبينه يخافنى على القدر ، ويتهمى فى الوُد ، فلا يطلب منى التناهى فيما يجمعنى وإيَّاه ، خوفاً من الإعراض عنه ، أو برضى منى ومن جهى بوذ قريب لا سرف فيه ولا اشتطاط .

٥٢٧

وقال آخر :

١- ألا ليت شعري هل أبيت ليلى وذكركِ لا يسرى إلى كذا يسرى

٢- وهل يدع الواشون إفساد بيننا وحقرنا لنا الماور من حيث لا ندري

هذا كلام متبرم بالهوى ، مستقيل من الوشاة وإفسادهم ، مقاد من تمرشهم وألهم ، ممن أن تنقطع أسباب الهوى ، وتنقل أغراس الوُد .

وقوله « ليت شعري » موضح شعري نصب لأنه اسم ليت . وقوله « هل

أَيِّنَ لَيْلَةٍ «سَدَّ مَسَدَ مَفْعُولِي شِعْرِي، لَأَن مَعْنَاهُ عَلِيٌّ، وَيَتَعَدَّى تَعَدِّيَةً، وَخَيْرَ لَيْتَ مُضْمَرٌ لَا يَظْهَرُ. وَالتَّقْدِيرُ: لَيْتَ عَلِيٌّ وَاقِعٌ، وَمَا يَجْرِي تَجَرُّاهُ. وَالْمَعْنَى: أَعْنَى أَنْ أَعْلَمَ هَلْ أَبْقَى أَمَّا لَيْلَةٌ مِنْ لَيَالِي الدَّهْرِ وَخَيَالُكَ لَا يَسْرِى إِلَى كَمَا يَسْرِى السَّاعَةُ، وَهَلْ أَرَى نَفْسِي سَلِيمَةً مِنْ رُثَى الْوَشَاةِ وَطَلَبِهِمْ إِفْسَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَحَفَرِ الْمُنْعَوَةِ لَنَا^(١) إِذَا غَيَّبْنَا عَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا نَشْعُرُ وَلَا نَدْرِي فَنَتَقَبَّحُهُ وَنَعْتَذِرُهُ.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ جَازَ أَنْ يُكَنَّى عَنِ الْخَيَالِ بِالذِّكْرِ حَتَّى قَالَ: «وَذِكْرُكَ لَا يَسْرِى إِلَى»؟ قُلْتُ: إِنَّ الْخَيَالَ فِي الْمَنَامِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ التَّذَكُّرِ فِي الْيَقَظَةِ، يَشْهَدُ لَنَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِي:

نَمَّ فَمَا زَارَكَ الْخَيَالُ وَلَكِنَّكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَائِفَ الْخَيَالِ
وَهَذَا ظَاهِرٌ وَعَلَيْهِ مَبْنَى وَصْفِ الْخَيَالِ.

وَالْمَأُورُ: مَصِيدَةٌ لِلْبَهَائِمِ، وَيُجْمَلُ اسْمًا لِلتَّالِيفِ، وَهُوَ قَائِلٌ مِنَ الْمِثَارِ وَالْمُؤَرِّ، وَكَذَلِكَ^(٢) اسْتَعْبِرَ لِلنَّقْصِ فِي الْحَسَبِ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَقْتَرِبُ بِهِ عَنْ غَايَةِ السَّابِقِ. وَانْتَصَبَ قَوْلُهُ «الْمَأُورُ» مِنَ الْمَصْدَرِ الْمُنَوَّنِ وَهُوَ حَفَرًا، وَأَقْوَى مَا يَكُونُ الْمَصْدَرُ فِي الْعَمَلِ إِذَا كَانَ مُنَوَّنًا، إِذْ كَانَ شَبَّهَ الْفِعْلَ فِيهِ أَقْوَى.

وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْمَعَانِي: إِنَّمَا يَقْتَضِي أَنْ يَمْلِكَهَا عَلَى حَدٍّ يَسْقُطُ تَسْوِيقُ الْمُفْسِدِينَ فِيهِ^(٣)، وَيَأْمَنُ التَّجَبُّةَ مَعَهُ، وَيَرْتَقِعُ الْعَشَقُ وَالْمُحَوَى مِنْ بَيْنِهِمَا.

(١) المنعوتة: حفرة كالزبية تحفر للأسد.

(٢) ل: «وذلك».

(٣) التسويق، بالعين المهملة في النسخين، وأصله من تسويق القوم، إذا باعوا واشتروا.

٥٢٨

آخر :

١ - إن كان هذا منك حقاً فإنني مُداوي الذي بيني وبينك بالهجر
 ٢ - ومُنصرفُ عنك انصراف ابن حُرّة طوى وُدّه والطّي أبقى من النّشر
 يقول : إن كان هذا الذي يظهرُ منك موافقاً لما يَبْطُنُ ، وهذا الإعراضُ
 عن جفاه وقلّي لا دلالٍ وهوّى ، فإنّي سأداوي ما بيني وبينك بالتهاجر ،
 وقاعدُ عنك قعودُ حُرّة لا يصيرُ على الجفاه والتدابر ، ولا يَرْضَى من وديده
 بالمأذقة دون الصّماء ، فأطوي وُدّي معه وأصونه عن النّشر ، لأنّ الطّي أوفى
 فيه ، وصيائته عن الابتال أَوْحَى له ^(١) .

وإنما قال « ابن حُرّة » والتّصّد إلى الكريم من الرّجال ، الذي يعشون
 نفسه ونفسَ صاحبه فلا يُوحِش مع التّهاجر ، ولا يُفحِش على التّنكّر والتّباغض ،
 لكنّه يلزم الجمالة والمُساترة في كلّ حال ، لأنّ الأمّ إذا كانت متعلّكة تبيها
 الولد في الرّق ، فيحصل الرّق والهُجْنَةُ معاً ، ومتى كانت الأمّ حُرّة لم يَنْبِيع
 الولدُ أباه في الرّق وإن كان عبداً مملوكاً ، لكنه يكون هجيناً غيرَ عربيٍّ
 خالص .

٥٢٩

آخر ^(٢) :

١ - وفي الجيرة النّادين من بطن وجرة غزال كَحِيلُ للقلتين رَيْبٌ ^(٣)

(١) ل : « أرى له » .

(٢) هو بعض الأعراب ، كما في معجم البلدان (٤٠١ : ٨) .

(٣) ياقوت : « أمّ المقلتين » . ويطن وجرة : منزل لأهل البصرة إلى مكة ، بينه وبين

مكة مرحلتان .

٢ — فلا تحسب أن التريب الذي نأى ولكن من تنأين عنه غريب
كان شعباً الشاعر وصديقه مجتمعين يبطلن وجرة زماناً ، فوقمت الألفة
بينهما ثم افرقوا ، فقال متأسفاً في إثرها ، ومتلهفاً لما فاتته من الاجتماع بينهما :
وفي الخطاء الباكرين من هذا المكان اسراء كأنها غزال مكحل العينين
مُربَّب في البيوت ، منعم بالافتناء ، ملك قلبي . ثم قال مخاطباً لها : لا تنظي
أن التريب من بعد عن سكّنه ، ونأى عن إلفه ووطنه ، ولكن التريب
هو من تبعدين عنه وفي يدك قيادته ، فعلى البعد تجذبيته ، ومن مراده تمنيعه ،
وقد ضاق عنه مكانه حتى صار فيه كمن نأى عن أهله ، وحصل في غير
أرضه ^(١) ومنزله .

٥٣٠

وقال آخر :

- ١ — بنفسى وأهلى من إذا عرّضوا له ببغض الأذى لم يذر كيف يجيب ^(٢)
٢ — ولم يعتذر عذر البرى ولم تزل به سكنته حتى يقال مريب
تعلق الباء من قوله « بنفسى » بفعل مضمر ، كأنه قال : أفدى بنفسى
وعشيري إنساناً — ويعنى به محبوبه — إذا اجتمع عليه اللوام ، وتصرفوا في
فنون النص منه والتعب عليه ، فأذوا قلبه وضيقوا صدره ، ارتبك في الجواب
وحار ، ولم يدر لفرارته بماذا يجيب ، ولسوء اهتدائه بوجوه الحيل كيف
يتخلص ، فلا عذره عذر من لا جناة له ، ولا سكوته سكوت من لا احتفال بهم

(١) هذا ما في ل ، وفي الأصل : « أهله » .

(٢) عرّضوا ، بالتشديد ، هو ضبط الأصل والتبريزي . وفي ل : « عرضوا »
بضمف الزاء .

معه ، فهو في إطراره وحقوته ^(١) إذا قضيتهم شذت فيه بأنه مريب ، سرتكب ،
ولما ربي به مكسب ، استدلالاً بسكوته على الذنب ، وبإسكاه عن إقامة
المآذير على صحة القرف .

٥٣١

وقال آخر :

١- أرى كل أرض دمتها ، وإن مضت لها حجب ، يزاد طيباً ترابها
٢- ألم تعلمن يارب أن رب دعوة دعوتك فيها مخلصاً لو أجبها
يقول : أرى كل مكان أقامت فيه هذه المرأة زمناً فأثرت فيه أثراً يزاد
على استمرار السنين والأحقاب تراباً طيباً ، وإن لم يكن لإقامتها أو أن تمتد
وزمان متصل ، قوله « يزاد » في موضع المفعول الثاني لأرى . ودمتها :
فعل مبنى من الدمنة : أثر الدار وما سود بالرماد وغيره ، فكان معنى دمتها
أثرت فيها بالإقامة . واتقصب « طيباً » على التمييز ، وقد نقل الفعل عنه لأن
الأصل يزاد طيب ترابها ، فجعل الفعل القرب فأشبه « طيباً » المفعول . وهل
هذا : قررت به عينا .

فإن قيل : هل في هذا دلالة على صحة قول المخالف لسيبويه في جواز
تقديم التمييز إذا كان العامل فيه فعلاً ، وهل يُفصل بين هذا اليت وبين
ما استدلوأ به من قول الآخر ^(٢) :

* وما كان نفساً بالفراق تطيب ^(٣) *

(١) هذا ما في ل . والحقوت : سكون الصوت . وفي الأصل : « وحقوته » تحريف .

(٢) هو الخيل الملقى ، أو أعني ميدان . شواهد النسخ (٣ : ٢٣٥) .

(٣) صدره : * أتهدر ليل للفراق حينها * .

قلت : لا دلالة في هذا الذي نحن فيه وإن كان البيت الذي أوردته
أسكن التعلق به ، حتى ذكر أصحاب سبويه أن الرواية على غيره ، وهو :
* وما كان نفسي بالفراق تطيب *

وذلك أن « طيباً » لم يُقدّم على العامل وهو الفعل ، وإنما قدّم على ما صار
فاعلاً ، وإذا كان كذلك لم يصح الاحتجاج به له ، لأنّ الموضع المتخلف فيه
هو جواز تقدّمه على العامل فيه وامتناعه منه لا غير ، فأما ما دام واقفاً بعد الفعل
فلا مُستدلّ به على موضع الخلاف .

وقوله « ألم تعلمن يا رب أن ربّ دعوة » ، أن مخففة من أن الثقيلة ،
والتقدير : أنه ربّ دعوة . وفي ربّ لئلا : إحداها التخفيف ^(١) . وكأنه يتضرّع
في هذا الكلام إلى خالقه ومن يستغيث به فيما يُقاسيه ، ويقرّر في الدعاء عليه
أنّه قد ضمن الاستجابة في قوله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فقال : إنك
تعلم يا رب أنني قد أخلصت دعائك في أوقات كثيرة لطليتي لواقترن بالدعاء إجابةً
واسعاف ، وضمنك الأصحّ الأوفى ، فأستجيب . وفيه أيضاً ما يجري مجرى
الاستزادة إذا توجه إلى غيره تعالى . وانتصب « مخلصاً » على الحال . وقوله
« لو أجابها » يريد به لو أجاب فيها .

٣ - وأقيم لو أني أرى نسباً لها ذئاب القلا حُبّت إلى ذئابها

٤ - لَمَرُّ ابْنِ لَيْلٍ لَيْنٌ هِيَ أَصْبَحَتْ بِوَادِي الْقَرْيِ مَا ضَرَّ غَيْرِي اغْتَرَابُهَا

قوله « أقسم » جملة تنوب عن اليمين ، والجواب « حُبّت إلى ذئابها »
متعلّقاً بالشروط المذكور ، وهو أن تكون مناسبة . وجواب لو هو ما صار جواباً

(١) في رب ست عشرة لغة : ضم الراء وقصها ، وكلاماً مع التشديد والتخفيف ،
والأوجه الأربعة مع تاء التانيث ساكنة أو محرّكة ومع التجرد منها ، فهذه اثنتا عشرة ، والضم
والفتح مع إسكان الباء ، وضم الحرفين مع التشديد ، ومع التخفيف ، فهذه أربعة أخرى ،
تكون كلها ست عشرة لغة .

اليمن ، وكذا يقع الشرط والجزاء بعدها . تقول : والله لئن جئتني لأكرمك .
ويروى : « حَبَّتْ » بفتح الحاء ، والأصل حَبَبْتُ ، وقُتل في المصنف قليل .
ويروى « حَبَّتْ » بضم الحاء ، وهو بناء لما لم يُسم فاعله . ويقال : حَبَبْتُهُ فهو
محبوب ، لغة في أَحَبَبْتُهُ .

وقوله « لَعَمْرُ أبي لَيْلٍ » إقسامه بأبيها تعظيم لها ، وتنبئ على محلّه من
قلبه ، وأنه منصب إلى من يحمله وإياها عُلقة وإن صُمقت ، فكيف أبوها
والمختص بها . وفي هذا زيادة على ما قاله الآخر ^(١) ، وهو :

وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْحُبِّ أَنْ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَى قَلْبِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي ^(٢)
واللام من « لئن » موطنة للقسم ، وجواب القسم ما ضُر ، والمعنى : إن
عادت هذه المرأة إلى موضعها من وادي القرى لم يضرّ غيري البعد منها ،
والاغتراب عنها . وقوله « اغترابها » يريد اغترابي عنها ، ويجوز أن يُريد تباعدّها .

٥٣٢

وقال آخر :

١ - لَعَمْرُكَ مَا مِعَادُ عَيْنَيْكَ وَالْبُكَاءُ بِدَارَاهُ إِلَّا أَنْ تَهَبَّ جَنُوبٌ ^(٣)

٢ - أَعْلَشِرُ فِي دَارَاهُ مَنْ لَا أَحِبُّهُ وَبِالرَّمْلِ مَهْجُورٌ إِلَى حَبِيبٍ ^(٤)

(١) هو الحسين بن مطير . المحاسنة ٤٧٣ ص ١٧٥٣ .

(٢) ضبطت نون « عيني » في ل بالفتح والكسر لقرأ بالثنية والإفراد ، مشفوعة
بكلمة « وما » تحقّقاً للضبطين .

(٣) أنشد ياقوت في معجم البلدان هذه الأبيات في رسم (داراه) بعد أن ذكر أن
« داراه » من نواحي البحرين . ثم قال : « وهذا موضع استعصب علينا معرفته ، وكثر تفتيشنا
إياه ، وظنه شارحو المحاسنة داراً التي يبلد الجزيرة ، فنقلوا ، حتى وجده الوزير صاحب
الأكرام جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني الفطلي ، أطلالاً لله جاءه ، بخط أبي عبد الله
المرزباني فيما كتبه عن الحسن بن عليل المزني ، فأخذناه » .

(٤) ياقوت : « من لا أوده » . وستأتي هذه الرواية في الفرج .

٣ — إِذَا هَبَّ عُلُوُّ الرِّيحِ وَجَدْتَنِي كَأَنِّي لِعُلُوِّ الرِّيحِ نَسِيبُ
يقول : وَبَقَائِكَ مَا الْمَوْعِدُ بَيْنَ الْبُكَاءِ وَأَنْتَ بَدَاءُ إِلَّا عِنْدَ هُبُوبِ
الْجَنُوبِ . وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ الْجَنُوبَ كَانَ مَهْجُومًا مِنْ أَرْضِ صَاحِبَتِهِ ، فَفِي
هَذَا التَّأْوِيلِ يَكُونُ « وَالْبُكَاءُ » فِي مَوْضِعِ الْجُرِّ عَطْفًا عَلَى عَيْنَيْكَ . وَلَا يَمْتَنِعُ
أَنْ يَكُونَ لِلرَّادُ : مَا مِمَّادِ عَيْنَيْكَ مَعَ الْبُكَاءِ بِهَذَا الْمَكَانِ إِلَّا إِذَا هَبَّتِ
الْجَنُوبُ ، فَيَكُونُ مَفْعُولًا مِمَّه . وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا تُهْدَى إِلَيْهِ أَرِيحَتَهَا ^(١) ،
أَوْ يَمْتَنِعُ أَنَّهَا رَسُولُهَا ، فَتُجَدِّدُ ذِكْرَهَا ، وَتَطْرُقُ الْوَجْدَ بِهَا ، فَيَبْكِي شَوْقًا إِلَيْهَا .
وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْيَمَادُ لَا يَكُونُ إِلَّا وَقْتُهَا أَوْ مَوْضِعًا . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْيَمَادُ مَبْتَدَأُ
وُخَيْرُهُ أَنْ تَهَبَّ ، وَالرَّادُ وَقْتُ هُبُوبِهَا ، حَتَّى يَكُونَ الْآخِرُ هُوَ الْأَوَّلُ ، إِلَّا أَنَّهُ
حَذَفَ لِلصَّافِ .

وقوله « أَعَاثِرُ فِي دَارَاءِ مَنْ لَا أَوْدُهُ » شَكُوهُ مِنَ الدَّهْرِ حِينَ جَمَعَ بَيْنَهُ فِي
دَارَاءِ وَبَيْنَ مَنْ لَا هَوَى لَهُ مَعَهُ ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبِهِ فَجَعَلَ بِالرَّمَلِ .

وقوله « إِذَا هَبَّ عُلُوُّ الرِّيحِ » يَرِيدُ : إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ عَالِيَةِ
نَجْدٍ ، فَكَأَنِّي ^(٢) يَجْمَعُنِي وَإِيَّاهَا نَسَبٌ ، لِأَهْتِزَازِي لَهَا ، وَارْتِيَا حِي لُحُوبِهَا ،
فَأَنَا أَنْتَظَرُهَا تَرْقُبُ السَّافِرِ وَقَدْ دَنَا مَوَاقِفُهُ .

٥٣٣

آخِرُ ^(٣) :

١ — هَلِ الْخُبُّ إِلَّا زَفْرَةٌ بِدَرْزَفَرَةٍ وَحَرٌّ عَلَى الْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدٌ

(١) كُنَّا قَدْ التَّضَخُّفِ وَالتَّبْرِيزِ . وَالْأَرِيحَةُ مِثْلُ الْأَرِيحِ : الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ ، وَالْجَمْعُ
الْأَرَايحُ .

(٢) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَمَلِ « وَكَانَ » .

(٣) هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَمِينَةِ . دِيَوَانُهُ ٢٦ .

٢- وقبض دُمُوعَ العينِ يَمَحِي كُلَّهَا . بَدَأَ عِلْمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو^(١)
 الإستفهام هنا في معنى التَّنْبِيْهِ ، كَأَنَّهُ حَاجَتُهُ صَاحِبَتُهُ أَوْ إِنْسَانٌ لَا تَمُوتُ أَوْ
 غَيْرُهُمَا ، فَيَا يَدْعِيهِ مِنَ الْحُبِّ ، فَقَالَ رَادًّا عَلَيْهِ حِينَ كَذَبَهُ فِي دَعْوَاهُ : مَا الْحُبُّ
 إِلَّا تَتَابُعُ الزَّفَرَاتِ تَحْسِرًا ، وَالتَّهَابُ تَوَجُّدٌ^(٢) فِي الْحَسَا لَا يَتَقَبَّهِ ابْتِرَادُ ،
 وَسِيلَانُ دَمْعٍ مِنَ الْعَيْنِ لَا يَرْقِيهِ انْقِطَاعُ ، فِي كُلِّ زَوْقٍ ظَهَرَ فِي مَرَأَى الْعَيْنِ لَهُ
 جَبَلٌ مِنْ أَعْلَامِ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو مِنْ قَبْلُ ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ أَعْتَادُهُ مِنْ نَفْسِي ،
 وَيُدْرِكُهُ مِنْ يَتَأَمَّلُ حَالِي ، وَتَصَدَّقُهُ لِلشَّاهِدَةِ مَتَى .

٥٣٤

وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ^(٣) :

١- كَأَنَّ مُوَادِي فِي يَدِي صَبَبْتُ بِهِ مُخَادَرَةً أَنْ يَقْبِضَ الْخَبْلَ قَاصِبُهُ
 ٢- وَأَشْفِقُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ وَإِنِّي أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ فَرَاحِيهِ
 الصَّبْتُ : الْقَبْضُ عَلَى الشَّيْءِ ؛ وَمَتَى نَاقَةُ صَبُوتٍ ، أَيْ لَا يَسْكُتُ فِي سَمْعِهَا
 إِذَا صُبَّتْ عَلَى سَنَامِهَا . وَانْتَصَبَ « مُخَادَرَةً » لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَمَوْضِعُ « أَنْ »
 يَقْبِضَ « نَصَبٌ مِنْ مَخَادَرَةٍ . فَيَقُولُ : كَأَنَّ قَلْبِي يُعْصِرُ بِقَبْضِ قَاصِبٍ عَلَيْهِ ،
 خَوْفِي مِنْ أَنْ يَقْطَعَ الْوَصْلَ قَاطِعُهُ مِنَ الْبَيْنِ ، وَنَمِيعُ ذَلِكَ أَخَافُ مِنْ وَقْعِهِ
 سَرِيعًا لِقُوَّةِ الْأَمَارَاتِ ، وَتَتَابُعِ الْمَحْذَرَاتِ لِلنَّذِيرَاتِ . وَإِنَّمَا قَالَ « أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ »

(١) فِي الْبُيَّوَانِ : « غَرِيبُ الْعَيْنِ بِالْمَعْنَى كَلَامًا .

(٢) ل : « يَوْجَدُ » .

(٣) هُوَ الرَّمَاحُ بْنُ أَبِرْدٍ . وَبَيَادَةُ أُمُّهُ وَكَانَتْ أُمُّ وَلَدٍ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي مِرَّةَ بْنِ غَوْفٍ
 ابْنِ سَعْدِ بْنِ دُبْيَانَ ، وَهُوَ شَامِرٌ مَخْضَرٌ مِنْ شِرَاءِ الدَّوْلَتَيْنِ ، وَكَانَ مِنْ مَدَحِ النُّصُورِ ، وَمَاتَ
 فِي صَدْرِ خِلَافَتِهِ . الْأَعْيَانُ (٢ : ٨٥ - ١١٦) وَالْحَرَاقَةُ (١ : ٧٦ - ٧٧) وَاللُّؤْلُفُ
 ١٧٤ وَالْإِشْقَاقُ ١٧٥ .

عليه « والظنُّ بمعنى اليقين ، فهو مثل قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ . وقوله « لمحمول عليه » إيدانٌ بأنه ليس يقعُ عن اتفاقٍ معه أو مشاركةٍ في تدييره . وأظنُّ مفعوله الأول ، والثاني مستدلٌّ عليه ، لأنَّ المراد ذلك في ظنِّي أو علمي ، فهو مُلَنِّي . والقَضْبُ : القطع ، ومنه سيفٌ مُقَضَّبٌ وقَضَابٌ . ووشكُ الفراق : سرعة القطيعة . ويقال أوشك هذا أن يكون ، أى أسرع .

٣ — فوالله ما أدرى أتغلبني الهوى إذا جدَّ جدُّ البين أم أنا غالبة
٤ — فإن استطعتُ أغلب وإن يغلب الهوى فتلُّ الذي لا قيتُ يُغلب صاحبه
يقول : شارفتُ فراقَ الأحبة باللائل اللامعة ، وأحلف بالله ما أعلم من حال إذا وقع ، ألا أجزع أم أصير .

وقوله « إذا جدَّ جدُّ البين » يجوز أن يكون المراد : إذا ازدادَ جدُّه جدًّا ، كأنه يظهر من جليلة أمره ما يَرُوُّ البسُّ والشبهة معه . ويجوز أن يريد : إذا صارَ هزلُهُ جدًّا ، فسماه بما يَؤُول إليه ، كما يقال : خرجتُ خوارجه ، وريمَ رَوْعِهِ . والمراد أنه التبس عليه إذا باغته الفراق حاله معه ، فلا يدري أى الأمرين يقع : أن يغلبه الهوى فيسلبه التبجُّل ، ويُلْبِسُهُ التهنُّك ، أم يغلبُ بدوام مُسْكِنِهِ وكما تثنِّيهِ الهوى فيستمرَّ حالُ السلامة به . ثم قال كالمتملَّى وللنفاد لخاتمة الكائنات : فإن أُلْقْتُ وكان في مقدوري — إذا اجتهدتُ — غَلَبَ الهوى فهو المراد ؛ وإن جرى القدر بخلافه فيتلُّ ما أفاقيه يغلبُ مُعَانِيَةٍ ، ويجتذبه إلى ما يكرهه ، وعُدْرُهُ لا تُنَحُّ .

٥٣٥

وقال آخر :

- ١ - فيا أهلَ ليلى أكثرَ الله فيكمُ مِنْ أمثالها حتى تجودوا بها ليلى^(١)
 ٢ - فامسّ جنبي الأرضِ إلا ذكرتها وإلا وجدتُ ربيها في ثيابيها
 بنى الكلام على أن عيورها والمالكين أمرها إنما ضنوا^(٢) بها لأنها
 معدومة النظر فيهم ، وأقبل يستعطفهم ويدعو لهم بأن يكثر الله أمثالها
 وأشباهها فيهم ، حتى يتركوا للنافعة فيها ، وتحمل قلوبهم الجود له بها .
 وقوله « فامسّ جنبي الأرض إلا ذكرتها » يريد : ما اضطجعت للتمائم
 خالياً بنفسى إلا امتنع النوم فقام ذكرها مقام خيالها ، ثم صرّت من الشوق
 والتحنن أتصورها معي ، وأجد راعيتها في ثيابي . وهذا للمنى هو مخالف للمنى
 الأنس بالخيال .

٥٣٦

وقال آخر :

- ١ - تقول المدى لا بركة الله في المدى قد أقصر عن ليلى ورثت وسائله^(٣)
 ٢ - ولواصبحت ليلى تدب على التصا لكان هوى ليلى حديثاً أو الله
 يروى : « وراثت وسائله » . والمراد بالمدى الوشاة للفسدون . وأصل

(١) أشير في هامشة لى رواية أخرى في نسخة ، ومى « كثر الله فيكم شيئا بليلى
 كى تجودوا » .

(٢) في الأصل : « متوا بها » ، سواءه فى ل .

(٣) التبريزى : « يقول » .

الْبَرَكَةُ الثَّابِتَةُ مُقْتَرَبًا بِالنَّمَاءِ ، وَمِنْهُ مَثَرُكَ الْإِبِلِ ، وَبَرَّكَ أَكْلُهُ الْقِتَالَ . وَيُقَالُ :
أَفْصَرَ عَنِ الشَّيْءِ ، إِذَا كَفَّ عَنْهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ؛ وَقَصَرَ عَنْهُ ، إِذَا عَجَزَ ؛ وَقَصَرَ ،
إِذَا فَرَطَ . يَقُولُ : ادَّعَى الْوُشَاءُ أَنِّي قَدْ كَفَّتُ عَنْ لَيْلِي وَزَالَ وَلَوْعَى بِهَا ،
لَوْ أَنَّ وَسَائِلِي لَدَيْهَا قَدْ أَخْلَقْتُ وَتَقَطَّعَتْ ، فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ فَإِهِمَّ ادَّعُوا بِاطْلَا ،
وَاخْتَلَقُوا إِنْكَارًا ، وَمُرَادُهُمْ إِفْسَادُ قَلْبِهَا عَلَيَّ ، وَصَرْفُهَا عَنِ الْإِنْطَوَاءِ عَلَى الْجَمِيلِ لِي
وَفِي . ثُمَّ ذَكَرَ مَا دَلَّ بِهِ عَلَى بَقَائِهِ عَلَى التَّهَدُّ ، وَاسْتِمْرَارِهِ فِي عِمَارَةِ الْوَدِّ ، وَعَلَى
بُطْلَانِ قَوْلِهِمْ فِيمَا صَنَفُوهُ ، وَبَهْتِهِمْ وَتَمْوِيهِهُمْ فِيمَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ وَوَضَعُوهُ فَقَالَ : لَوْ
شَاحَتْ لَيْلِي حَتَّى يَصِيرَ مَشْهُبًا دَيْبِيًا وَهِيَ مَتَوَكِّنَةٌ عَلَى عُكَّازٍ ، لَكَانَ هَوَاهَا فِي
قَلْبِي جَدِيدًا أَوْ أَوَّلَهُ ، شَدِيدًا أَرْكَانُهُ وَقَوَاعِدُهُ .

٥٣٧

وَقَالَ حَفْصُ بْنُ عَلِيٍّ (١) :

١- أَقُولُ لِحَلِيمِي لَا تَزْعِنِي عَنِ الصَّبَا وَلِلشَّيْبِ لَا تَذْعَرِي عَلَيَّ التَّوَانِيَا (٢)

٢- طَلَبْتُ الْهَوَى الْقَوْرِيَّ حَتَّى بَلَغْتُهُ وَسَيَّرْتُ فِي نَجْدِيَّةٍ مَا كَفَانِيَا

يَصِفُ إِنِّهْمَا كَهَ فِي الْبَعَالَةِ ، وَتَمَادِيَةِ فِي التَّوَانِيَةِ ، وَالتَّذَاذَةِ لِلصَّبَا وَاللَّهْوِ
وَالنَّخْسَارَةِ فَقَالَ : أَقُولُ لِحَلِيمِي : تَبَاطَأَ عَنِّي ، وَلَا تَمَاجَلْنِي فَتُكْفِنِي عَمَّا أَهْوَاهُ
وَقَصَّرْتُ شَغْلِي عَلَيْهِ ؛ وَلِلشَّيْبِ : تَرَانِخَ وَلَا تُبَادِرْ فِتْرَتِ النَّسَاءِ وَتَنْفَرِ . وَهَذَا
الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ تَلَطُّفًا وَسُؤَالًا فَإِنَّهُ يَجْرِي بِجَرَى التَّمَنَّى فِي اسْتِدَامَةِ
مَا كَانَ يَشْتَهِيهِ ، وَيُوزَعُّ بِهِ .

وَقَوْلُهُ «طَلَبْتُ الْهَوَى الْقَوْرِيَّ» يَرِيدُ : تَمَنَّنْتُ فِي الْهَوَى فَأَنْجَدَ بِي طَوْرًا ،

(١) التبريزي : « حفص الطليبي ، من جناب من كلب ، ويقال له قرش كلاب » .

(٢) سبق التنبيه على ترتيب هذه الحماسية عند التبريزي في ص ١٣٢٢ .

وغار بي طوراً ، إلى أن تناهيت ، وبلغت أقصى النيات فوقفت . وموضع « ما » من قوله « ما كفايا » نصب على المصدر من سيرت ، يريد : سيرت في نجدية سيراً كفايا . ومعنى سيرت أكرت السير وكررت . والتواني من النساء : اللاتي تستغني بجمالها عن التحلي . وقيل : الثانية : التي تستغني برزجها عن الرجال .

٣ - فيارب إن لم تقضها لي فلا تدع قذور لم واقبض قذور كما هي ؟
٤ - ويا ليت أن الله إن لم ألقها قضى بين كل اثنين ألا تلاقي البيت الأول دل به على ضيق صدره بحاله ، وشدة ضنه بصاحبه ، فدعا ربّه أن يقبض قذور إليه إن لم يقدر بينهما مرافاة والتحاماً ، ويتوفاها بالوقت ليأمن أن يملك أمرها غيره . وهذا يدل على شدة غيرة فيه ، ومضايقه للناس كافة في شيء يمتناه ثم يقصمه عنه . فأما قوله « كما هي » فوضعه من الإعراب نصباً على الحال ، وما من قوله « كما » يجوز أن يكون بمعنى الذي ويكون هي خبراً لمبتدأ محذوف ، كأنه قال : كالذي هو هي . ويجوز أن يكون ما كافة للسكاف عن عمل الجرة ويكون هي في موضع المبتدأ والخبر محذوف ، والمعنى : أقبضها كما هي عليه .

والبيت الثاني وهو « يا ليت أن الله إن لم ألقها » دل به على حسد شديد منه ، وقلة رضا بمساعدة القدر في شيء يحرم المشاركة فيه . وقوله « يا ليت » يريد : يا قوم ليت ، وللنادي محذوف ، والكلام بعده تمنّ في ألا يحصل الاجتماع بين متحابين إن لم يرزق . مثله في صديقه . وقوله « ألا تلاقي » أن فيه تخفيفاً من التقيّة ، والمعنى أنه لا تلاقي لنا ، فخير لا محذوف ، والجملة في موضع خبر

(١) قذور : اسم صاحبه . والقذور من النساء : التي تنزه عن الأقدار . وهي أيضاً التنحية عن الرجال .

أَنَّ ، والضمير للقدّر ضمير الأمر والشأن ، وخبر أَنَّ الله « قَضَى » وقد حصل في الجملة جواب الشرط ، وهو إن لم ألقها ، وخبرُ لَيْتَ .

٥٣٨

وقال آخر :

- ١ - وَقَفْتُ لَيْلِي بِالْمَلَا بَعْدَ حِقْبَةٍ بِمَنْزِلَةٍ فَانْهَلَتْ الْعَيْنُ تَدْمَعُ^(١)
 - ٢ - وَأَتْبَعُ لَيْلِي حَيْثُ سَارَتْ وَوَدَّعْتُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلِفٌ وَمُودَعٌ
 - ٣ - كَأَنَّ زِمَامًا فِي الْقَوَادِ مُتْلَقًا تَقْوُدُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرْتُ فَأَتْبَعُ
- يقول : وَقَفْتُ مِنْ أَجْلِ لَيْلٍ وَمِنْ أَجْلِ مَنَازِلِهَا بِالْمَلَا ، بعد زمانٍ مُتَمَتِّةٍ ،
ودهرٍ مُتَّصِلٍ ، فَتَجَدَّدَ لِي مِنَ الرَّجْدِ مَا يَهْجِي لِي بِكَاءٍ ، وَطَرَى لِي عُهْدًا^(٢)
فَأَتْبَعُ أَسِيرُهَا ، وَتَبِيعُ الْبَلَوَى فِيهَا ، فَنَلِىَ مَعَهَا حَيْثُ ظَلَعْتُ وَأَقَامْتُ .
وقوله « وَوَدَّعْتُ » معناه تَوَدَّعْتُ . ثم قال : « وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلِفٌ وَمُودَعٌ » يريد
أَنَّ النَّاسَ مِنْ بَيْنِ آلِفٍ لَهَا لِكَوْنِهِ مَسَافِرًا مَعَهَا وَمُرَافِقًا لَهَا فِي طَرِيقِهَا ، أَوْ
مَنْصَرِفٍ عَنْهَا بَعْدَ تَوْدِيعِهَا وَتَشْيِيمِهَا ، وَأَنَا عَلَى خِلَافِهِمْ كُلِّهِمْ ، لِأَنِّي مَلَا زِمَامًا فِي
كُلِّ حَالٍ .

وقد كَشَفَ عَنْ هَذَا الْفَرْصِ بِمَا يَبَيِّنُهُ فِي قَوْلِهِ :

- كَأَنَّ زِمَامًا فِي الْقَوَادِ مُتْلَقًا تَقْوُدُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرْتُ فَأَتْبَعُ
يريد طاعة قلبه وإتباعه لها . ومِثْلُ « وَوَدَّعْتُ » و « مُودَعٌ » يُسَمَّى
التَّجْنِيسُ النَاقِصُ .

(١) اللام : موضع بعينه ، كما ذكر ياقوت .

(٢) في الأصل : « جهودا » ، سواء في ل .

٥٣٩

وقال وَرَدُ الْجَعْدِيُّ^(١) :

- ١ - خَلِيلِي عُوْبَا بَارَكَ اللهُ فِيكَمَا وإن لم تَكُنْ هِنْدَ لَأَرْضِيكَمَا قَصْدَا
٢ - وَقُولَا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَارَنَا وَلَكِنَّا جُرْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدَا^(٢)
يَخَاطِبُ خَلِيلَيْنِ لَهُ مُتَلَفَّنَا لَهَا ، وَسَائِلًا تَمْرِيحُهُمَا عَلَى دِيَارِ هِنْدَ وَإِنْ لَمْ
تَكُنْ مُسَامِتَةً لِقَصْدِهِمَا ، وَأَنْ يَبْلُغَاهَا إِذَا التَّقْيَا مَعَهَا أَنَا تَعَمَّدْنَا زِيَارَتِكَ طَلِبَا
لِقَضَاءِ ذِمَامِكَ ، وَتَجْدِيدًا لِلْمَهْدِ بِكَ ، وَلَمْ يَكُنِ الْمَدُولُ إِلَيْكَ عَنْ ضَلَالٍ مَلَكَ
قِيَادَنَا ، وَصَرَفَنَا عَنْ وَجْهِ رِشَادِنَا ، اِيْتَمَعَ الْاِعْتِدَادُ مِنْهَا بِتَحْرِيتِنَا وَفِعْلَانَا .

٥٤٠

وقال^(٣) :

- ١ - وَمَا فِي الْخَلْقِ أَشَقُّ مِنْ مُحِبِّ وَإِنْ أُوجِدَ الْهَوَى حُلُوَ الْكَلْبِاقِ
٢ - تَرَاهُ بِأَكْيَا فِي كُلِّ حِينٍ خَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لَاشْتِيَاقِ
٣ - فَيُبْكِي إِنْ نَازَا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ
٤ - فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ الْفَلَاقِ
وَقَى هَذِهِ الْأَيَّاتِ حَقَّ التَّسْمَةِ ، وَأَقَامَ شَرْطَ الْمَقْسُومِ عَلَى حَذِّهِ لِلْأَلُوفِ مِنْ
الْتَجَرِبَةِ . فَيَقُولُ : لَيْسَ فِيمَنْ خَلَقَهُ اللهُ مِنَ الْبَشَرِ أَوْفَى شَقَاءً ، وَأَعْظَمُ بَلَاءً مِنْ

(١) هو ورد بن عمرو بن ربيعة بن جندة ، شاعر جاهلي ، وهو الذي قتل شراحيل
ابن الأصم الجلفي ، في حديث طويل رواه أبو الفرج في الأغاني (٤ : ١٣٣ -) .
وذكر في الأغاني (١٠ : ١٢٢) أن الأبيات للرفض الأكبر .
(٢) الأغاني « أجازنا . . . جزنا » ، بالزاي فيها .
(٣) التبريزي : « وقال آخر ، قال أبو ريش : هي موهبة » .

الحُبِّ ، وإن اسْتَحْلَى ذَواقَ الحُبِّ واستَلانَ جَسَدَهُ ، إذ كُنْتَ تَجِدُهُ كُلَّ وَقْتٍ مُتَأَلِّمًا مِنْ حالِهِ ، ضَجِرًا بِعَيْشِهِ ؛ وذلك أَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ إِحْدَى حَالَتَيْنِ : إما أَنْ يَكُونَ مُجْتَمِعًا مَعَ مَحْبُوبِهِ فَيَخَافُ الْإِفْتِرَاقَ ، أَوْ يَكُونُ مُبِيدًا مِنْهُ فَيَكْذِبُ الْإِشْتِيَاقَ ، وَلَا حَالَةَ ثَالِثَةً لِلْاجْتِمَاعِ وَالْإِفْتِرَاقِ ، وَهُوَ سَخِينُ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا ، قَلِيلُ التَّوَدُّعِ فِي عَقِبِهِمَا .

وقوله « وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى » جواب الشرط منه في قوله « مَا فِي الْخَلْقِ أَشَقُّ مِنْ مُحِبِّ » . وقوله « شَوْقًا إِلَيْهِمْ » انتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « خَوْفَ الْفِرَاقِ » وَ« غَشَاقَ فُرْقَةٍ » . الْأَوَّلَى أَنَّهُ عَطَفَ عَلَيْهِ « أَوْ لَا إِشْتِيَاقَ » لِمَجْلُ حَرْفِ الْجَزْءِ فِيهِ اللَّامُ .

٥٤١

وَقَالَ ابْنُ الطَّيِّرِ^(١) :

- ١- عُقْبِيَّةٌ أَنَا مَلَأْتُ إِزَارَهَا فَدَعَصَتْ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَيَنْبِيلُ
 - ٢- نَقِيطٌ أَكْنَفَ الْحَيَى وَيُظِلُّهَا بَنْعَانٌ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ مَقِيلُ
- الْمَلَأْتُ: لِلْوَضْعِ الَّذِي يُدَارُ بِهِ الشَّيْءُ . وَيُقَالُ : لُنْتُ عَلَى رَأْسِي الْعِمَامَةَ لَوْنًا . وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

* كَانُوا مَلَأَوْثَ فَاحْتَاجَ الصَّدِيقُ لَهُمْ^(٢) *

(١) هُوَ يَزِيدُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ سَمَرَةَ بْنِ سُلَيْمَةَ الْحِجَازِيِّ بْنِ قَتِيرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ دَيْعَةَ بْنِ عَامِرٍ ، وَالطَّيِّرِيُّ أُمِّيٌّ ، وَهُوَ مِنَ الطُّرُقِ ، فَاتَّجَعَ : حَتَّى مِنْ الْبَيْنِ . قَالَ ابْنُ خُلِّكَانَ : « الطَّيِّرِيُّ يَفْتَحُ الطَّاءَ الْهَامَةَ وَيَكُونُ آثَاءَ الثَّلَاثَةِ » ، وَضَبَّهَا صَاحِبُ الْقَامُوسِ بِالضَّرِكِ . وَكَانَ يَزِيدٌ جِيلًا وَشَبَابًا شَرِيفًا مُتَلَفًا ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٦ . وَكَانَ مِنْ شُعْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ مُقَدِّمًا عِنْدَهُمْ . الْأَفْأَنِيُّ (٧٥ : ٢٠٤ - ١١٧) وَابْنُ سَلَامٍ ١٥٠ - ١٥٢ وَابْنُ خُلِّكَانَ (٢ : ٣٩٥ - ٣٩٩) وَمُسَجِّمُ الْأَدْبَاءِ (٧ : ٢٩٩ - ٣٠٠) وَالشَّعْرَاءُ ٣٩٢ - ٣٩٣ وَحَوَاشِي الْحَيَوَانِ (٦ : ١٣٧) .

(٢) الْبَيْتُ لِأَبِي ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيِّ فِي دِيْوَانِهِ ٤٤ وَاللِّسَانُ (لُوثٌ) . وَعَجَزُهُ :

* قَدَّ الْبِلَادَ * إِنْ مَا تَجْعَلُ لِلطَّرَا *

أى كانوا الذين يُدارُ بهم ، ويُطاف عليهم ، ويرتجى خيرهم . والرد بالملآث هاهنا العجز . وشبهها بالدعص ، وهو الرمل المجتميع ، لكثرة اللحم عليها واكتنازه . والبئيل : الهضم الدقيق ، وأصل البئيل القطع ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَتَبْتَلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ . وصف للراءة بالنفمة والنفمة ، ومطلوعة الخبز لها والسمة ، فيقول : هى دقية الخضر ، جلية التجز ، وهى فى فصول سعتها تنتقل فى المواضع الطيبة المخصبة ، لا تُكابد ضيقاً ولا تُمانى جهداً . وتَقِيْظُ المكان : أقام قِيْظَه فيه ^(١) . ونمان : وادى الأراك . وأصل تَقِيْظُ تَقِيْظُ ، غذف إحدى التاوين .

٣ — أليس قليلاً نظرة إن نظرتها إليك ، وكلاً ، ليس منك قليل
٤ — فياخلة النفس التى ليس دونها لنا من أخلاء الصماء خليل
٥ — ويأتى كبتنا حبه لم يطع به عدو ولم يؤمن عليه دخیل
٦ — أما من مكان اشتكى غربة النوى وخوف اليدى فيه إليك سبيل
قوله « أليس » يقرر به فى الواجب التابت ، وكذلك ألم ، وألاً ؛ وذلك أن حرف الاستفهام يُضارع حرف النفى ، ونفى النفى إيجاب ، فإذا قال القائل : ألم أحسن إليك ؟ يجب أن يكون قد أحسن ، فنقريره به فيما قد وقع وثبت . وفى القرآن : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، فكأنه قال مدلاً بما يُقاسيه فيها ، ويتحمله من أجلها : أليس قليلاً نظرة منك إذا حصلت لى . ثم استدرك على نفسه راجعاً فيما أطلقه ، وناقضاً لما اعتقده ، فقال : « كلاً » — وهو حرف رذع ونفى — لا قليل منك . ومثل هذا قول الآخر :

هَلْ إِلَى نَظَرِ إِلَيْكَ سَبِيلٌ فَيُرَوِّى الظَّأَ وَيُسْفَى النَّالِيلُ
إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ بِكَثْرٍ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِنْ يُحِبُّ الْقَلِيلُ

قوله « القليل » مبتدأ ، و « كثير من يجب » خبره .

وقوله « فإخلة النفس » في هذا الكلام اعتداد في اللاداة بما يتوخاه معها ، فيقول : يا صديقة النفس التي تفرّدت بملسكها واجتذبتنا من أيدي خطايها ففازت بها ، فليس لنا خليل من يصافي للوذة من دونها^(١) ، وبأمن سترنا حبه عن الناس كافة ، صيانة له عن الانتشار والابتذال ، فلم نطبع فيه واثياً فيفسد ذات بيننا ولا مضرراً^(٢) ، ولم نأمن عليه دخيله بزاجه في حواء فيصير موضعه مشترراً ، أما عندك مقام لي فيه إليك سبيل أشتكى غزبة النوى ، وخوف المدى . فللنادى له قوله « أما من مقام أشتكى » .

- ٧ - قدّيتك أعدائي كثير وشقتي بعيد وأشتياي لديك قليل
٨ - وكنت إذا ماجئت جئت بعلّة فأفئيت علائي فكيف أقول
٩ - فما كل يوم لي بأرضك حاجة ولا كل يوم لي إليك رسول^(٣)

الشقة : بُعد مسير أرضي إلى أرض بعيدة ، وإنما لم يقل بعيدة ، لأنّ فعلاً كثيراً ما يقع للمؤنث والذكر على حالة واحدة ، حملاً على النسب أو على قول ، يقول : قدديك نفسي في أعدائي بمحضرتك وفي الطريق إليك كثرة وفي السير بيني وبينك بُعد ومشقة ، وفي النصّار لي بمحضرتك قلة ، وكنت متى جئتكم من قبل ، ولم تبلغ الحال منّا هذا البلع ، أقيم معذرة وأنصّب لفعلي علة . وقد كثر ذلك منّي حتّى قنيت الماذير والعمل ، فلا أدري ماذا أقول ، ومن أين

(١) في الأصل : « من دونها » ، صوابه في ل .

(٢) التصريب : الإغراء بين الغوم .

(٣) بصد عند التبريزي :

محائف عني للمتأب طويها سننشر يوماً والمتأب طويل
فلا تحبلي ذنبي وأنت ضعيفة فحل دمي يوم الحساب قيل

أَوْصَلَ ، وبأى شئ أتبلغ ، وعلى ماذا أعول ، ومع ذلك فاللحاجات بأرضيك
لا تكاد تغرض كل يوم فتذكر ، والرسل لا توجد فيتقاطر ، فإذا تَوَقَّلَ
حالى فإنَّ حيسر على للكاره ، أسير في أيدى التوائب ، ضيق المجال والشأير
في الزيادة ، موفور الحظ من الأسباب الصادة ، عظيم المحنة فيما اجتمع على من
أنواع التلاء ، وموانع القضاء . وقوله « فكيف أقول » ، يريد : كيف أقول
ما أقوله ، فحذف المفعول ، ويجوز أن يكون المراد بأقول أنكلم ، فيستغنى عن
المفعول ، كقول الآخر ^(١) :

بِاجْتِرَافِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا فَتُبْلِغُ عُذْرًا وَلِلْقَالَةِ تُفْضِرُ
أى لم تتكلم في جوابها .

٥٤٢

وقال آخر :

١ - أَبْقَدَ الَّذِي قَدْ لَجَّ تَتَخَذِينِي عَدُوًّا وَقَدْ جَرَعْتَنِي السَّمَّ مُنْقَمَا
٢ - وَشَفَعْتَ مِنْ يَتْبَعِي عَلَى وَلَمْ أَكُنْ لِأَرْجِعَ مَنْ يَتْبَعِي عَلَيْكَ مُشْفَعًا
ألف الاستهزاء تطلب القتل ، وإن كان المراد به هنا التفرغ ^(٢) وللعنى :
أَتَتَخَذِينِي عَدُوًّا بَعْدَ مَا لَجَّ مِنَ الْهَبِّ فِيكَ وَالْهَوَى ، وَغَلَبَ مِنْ عَصِيَانِ
الْقَلْبِ وَالْأَمْسَى ، وَبَعْدَ أَنْ سَقَيْتَنِي جُرْعَ السَّمِّ الْمُنْفَعِ ، وَأَذَقْتَنِي مَرَارَةَ اللَّعْنِ
الْجَامِدِ ، فَوَجَدْتَنِي صَابِرًا عَلَى الْأَذَى ، مُنْصَبًّا إِلَيْكَ بِنَوَازِعِ الصَّبَا ، لَا يُحَلِّي
وَرُودَهُ وَإِنْ حُلِّي ، وَلَا يَكْدُرُ صَفَاؤُهُ وَإِنْ دُوغِعَ . وَالْمُنْفَعُ : اللَّبَثُ ، يَقَالُ :
« أَتُبْعِي لَهُ الشَّرَّ حَتَّى يَسَامَ » .

(١) هو عمر بن أبي ربيعة . ديوانه ٢ .

(٢) في الأصل : « هذا الصريح » ، صوابه في ل .

وقوله « وشغمت من بيني على » ، أى رددت الباغى على مُشغما بما جاء له
في معنى وطلبه ، وبعيت أنا لأقبل نُصَح النُصاح ، ولا أصدق قول الوُشاة ،
ولا أوحى الشفيع عني مُنحجًا ، ولا أضرف الباغى عليك مظفرًا .

٣ - قالت وما همت برجع جوابنا بل أنت أبيت الدهر إلا تضرعنا
٤ - قلت لما كنت أول ذى هوى تحلل جملًا فادحًا فتوجعنا

يقول : أجابني بعد أن كانت في صورة من لا يعبأ بما يبدا به فلا يجيب ،
ولا يرق لمن يشكو إليه فيستجيب : بل أنت تأتي إلّا ضراقة وتوجعًا ، وانزعزلا
وتألمًا . هذا عادتك والمألوف من طرائقك ، فإلى متى هذه الشكوى ، وأنى
يكون متى في مقابلة عتيك المتعبى ؟ قلت في جوابها : ما أنا ببذع في الهوى ،
ولست بأول من حلّ ما لا يطيقه ، أو ثقل عليه ما كلفه فتشكى . والفادح :
الثقل . يقال : دينٌ فادحٌ ، وقد فدحه الدين . والتضرع : التصاغُر والتذلل .
يقال : رجلٌ ضرعٌ وضارعٌ وقومٌ ضرع . ويقال : خذه ضارعٌ ، وجنبه ضارعٌ .

٥٤٣

وقال آخر^(١) :

١ - أبى القلب إلا أم غيرو وجبها مجوزًا ومن يحب مجوزًا يفند
٢ - كسحق اليماني قد تقادم عهده ورقمته ما شئت في العين واليد^(٢)

(١) التبريزي : « وهو أبو الأسود الدؤلي » . وهو أبو الأسود ظالم بن عمرو ، الذي
ينسب إليه وضع النحو ، شهد مع علي بن أبي طالب صفين ، وولى البصرة لابن عباس ، ومات
بها وقد أسن ، سنة ٩٩ في الطاعون الجارف . وهو جد في الشعراء ، والكاظمين ، والمحدثين ،
والخلاء ، والقاليج ، والحنويين . انظر مصادر ترجمته مسهب في الجزء الأول من إنباه
الرواة بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٣ .

(٢) التبريزي : « كنوب اليماني » ، وأعاز لي الرواية الأخرى .

انتَصَبَ «مَجُوزًا» على الحال . والتعقيد : التوبيخ . والسحقُ : الخلق من الثياب الذي قد انسحق وانجرَد ، وأضافه إلى اليماني إضافة البعض إلى الكل . هذا إذا جَمَعَت اليماني البُرْدَ . ولك أن تجعله التاجرَ صاحب البُرْد ، فيكون الإضافة إليه . والمعنى : أبى قلبي إلا هذه المرأة وحُبُّها في حال تمجيزها ، ومن صَرَفَ وُدَّه إلى المجازِ وَبُخَّ ، لَكِبَها في النساءِ كَخَلَقَ البُرْدَ اليماني في الثياب ، وقد قَدَّمَ عهده ، أى سهوْدَه ^(١) ، وإذا مَسِسْتَه أُنظِرْتَ إليه وجَدْتَ رَقْعته زائدة على كلِّ رَقْعَةٍ دِقَّةً ومِثْلَةً ، ومنظره راجحاً على كلِّ منظرٍ حُسناً وجَوْدَةً ، وكذلك منظرُ أمِّ عمرٍو ومُخْتَبَرُها . وقوله «وَحُبُّها» أضاف المصدر إلى المفعول . وقوله «ما شئت» يريد ما شئتُه ، فحَذَفَ المفعول من الصلَّة تخفيفاً . وقوله «في العين» يريدُ في النَّظَر . و«في اليد» يريد عند اللِّس .

٥٤٣

وقال آخر ^(٢) :

١ — هَجَرْتُكَ أَيَّامًا بَنَى الْقَمَرُ لِنَنِي عَلَى هَجَرِ أَيَّامِ بَنَى الْقَمَرِ نَادِمٌ ^(٣)

٢ — وَإِنِّي وَذَلِكَ الْهَجَرَ لَوْ تَعْلَمِيْنَهُ كَمَا زِيَّةٌ عَنْ طِفْلَيْهَا وَهِيَ رَأِيْمٌ

الكلام اعتذارٌ من إخلاله بزيارتها ، وهجرانه لها لما رضى عَرَضَ بَنَى الْقَمَرِ ، ثم أظهرَ تَعَدُّه على ذلك ، وأنه مُدَّةَ هَجَرِهِ في وَجْدِهِ بها وشفقتِهِ عليها ونشوئِهِ لها ، كَأَمَّ حِيلَ يَبْنَاهَا وَيُنْ طِفْلٍ لَهَا ، وهى بِمِيدَةٍ عَنْهُ بِنَفْسِهَا ، وَرِثَانُهَا — أى عَظِيمُهَا — متوقِّفٌ عليه . قال : وكذلك كُنْتُ في انقطاعي بالنفس ،

(١) وضح أن يراد بالهد الزمان .

(٢) هو عبد الله بن العمينة ، للفرج في ١٢٢٣ . وانظر ديوانه ص ١٩ .

(٣) في الفيوان : «أَيَّامِي» .

وتوفّر بالقلب . شبه نفسه بالمازية ، والمهجورة بالطفل .

فإن قيل : إنما قال : وإني وذلك المجر ، فيقتضى كلاً أن يكون التشبيه متناولاً له ولمجره ؟ قلت : يجوز أن يريد إني مع ذلك المجر . وهذا كما يقال : إن الرجال وأعضادها ، أى مقرونان ؛ وإن النساء وأهازها ، أى مقرونان ، لأن المراد مع أعضادها ومع أهازها .

ويجوز أن يكون أراد بالمجر للمهجور ، لأن الصدر يُوصف به ؛ ويجوز أن يكون ذكر المجر لئلا كان من سببها ، والمراد تلك . وقوله « لو تملطينه » الضمير منه يعود إلى المجر ، والمراد ما ذكرته . والمازية : البعيدة . ويُقال : عزب عنه عقله . والعازب أيضاً ، الكلاً البعيد المطلب .

٥٤٤

وقال آخر :

- ١ - ما أخذت النأي للفرق بيننا سؤلوا ولا طول اجتماع تقاليا
- ٢ - خيل لي ألا تنبكي لي أشتعن خيلوك إذا أنيت ذنبي بكي ليا
- ٣ - كأن لم يكن بين إذا كان بعده تلاق ولكن لا إخال تلاقيا

قوله « ما أخذت النأي » يصف أن الوجد الذي به قد صار غراماً ، فلا البعد منها يحدث سؤلوا عنها ، ولا الاجتماع معها يوجب ملالاً منها ، لكنه في الحالتين جميعاً على حد واحد من تباريح الهوى . ثم أقبل على صاحبين له يخالهما فطلب منهما إسعاده في البكاء ، وأنهما متى لم يُسمعاً له بطلو به استمان بهرهما ، حتى إذا نَزَف دمه بكي له نائباً عنه .

وقوله « كأن لم يكن بين » شبه البين إذا تعبه المواصله أو الاجتماع

بما لم يكن ، لكنّه زعم أنّه يائس لا يظنّ تسهّل التّلاقى بينه وبين محبوبه واقعا . وقوله « ولا طول اجتماع » ارتفع بفعل مُضمر ، كأنه قال : ولا أحدث طول اجتماع .

وقوله « خليلي إلا تبكيا لي » تألم وتشكّ من زمانه ، حين لم يكن له من يساعده في شدّة أورشاء ، ويتحمل عنه ثقلا في مسرّة أو مضرّة .

وقوله « كأن لم يكن » كان هذه هي الثّابتة ، والمراد : كأن لم يقع بين . وكأنّ مخففة من الثّقيلة ، وقّع على محذوف ، كأنه قال : كأن الأمر والشأن لم يكن بين إذا حصل بعده التّفاء . وقوله « لا إخال تلاقيا » المفعول الثاني محذوف كأنه قال : لا أحسب تلاقيا بعده . وسأع ذلك لتقدّم ذكره ، فهو في حكم الملفوظ به .

٥٤٥

وقال جميل^(١)

وقد حاربَ الفخذَ الذين منهم بُيُوتُهُ :

١ - تفرّق أهلانا بئنيّ فنيهمُ فريقُ أقامَ واستقلّ فريقُ

٢ - فلو كنتُ حوَارَ القديّ باخِ ميسِي ولكنني صلبُ القنّاة عتيقُ

٣ - كأنّ لم نحاربْ يا بئنيّ لو أنّها تَكشِفُ مُعْهاها وأنتَ صديقُ

قوله « أهلانا » أراد شميمها . وقال الخليل : أهل الرجل : أخصُّ الناس به . وأهل البيت : سكانه . وأهل الإسلام : من يدين به . وبئنيّ : ندّاء

(١) سبقت ترجمته في الحاسية ١٠١ ص ٣١٤ . وانظر قصة الخلاف بين جميل وقوم

بئينة في الأغاني (٧ : ٨٨) .

مفردٌ مرشحٌ . وقوله فمنهم فريق أقام ، تفصيل لما أجمله في تفرق . وإنما افترقوا حتى ارتحل قومٌ وأقام قومٌ للخلاف الواقع كان بينهما .

وقوله « فلو كنتُ خَوَّارًا » تنبيه على كراهته لما حدث ، وإظهار أن ميّله مع أهله يبيّنه . فقال : لو كنتُ ضيف المُسَكَّةِ مُنْحَلَّ القُدَّة ، لكان يسيى وقد بانح ، أى زالت حرارته ، وسكنتُ حَمِيَّتُهُ ، بما أقاسيه وأشاهده حالاً بعد حال ، من عوارض الدهر ونوائب الزمان ، ولكننى عتيق النّبع ، صليب القناة . وهذا مثلُ ضربته لإيائه ، وبقائه على طريقة واحدة في العهد والوفاء . ثم اعتذر بعد ذلك فقال : « كأن لم نحارب يا بُنَيَّ » يريد أن جميع ما يجرى عليه يخفّ ويهون إذا بقيت له على ما فارقتها عليه ، وتماقداً له ، حتى كأنه لم يقع بمجاذب^(١) بين الحَيِّين ، ولا تحاربُ بين الأهلين ، إذا انكشفت^(٢) الغيابةُ الحاصلة ، وارتفعت السّاية الرّاكدة ، وتلك باقية على المصافاة . ويقال : باخت النار بَرَحًا وبُورُوحًا ، إذا حَمَدَتْ . والنمى ، هى الخصلة المُظْلِمَة . ولك أن تروى « تكشّف » بالرفع ، يريد تتكشّفُ ، فحُذِفَتْ إحدى التّاءين استمالةً لاجتماعهما . وإنما عدل عن الإدغام إلى الحذف ؛ لأنّه كان يحتاج عند الإدغام لسكون أوّل الحرفين ، إلى جلب ألفِ الوصل ، وألفُ الوصل لا تدخل على الفعل للمضارع . ولك أن تروى « تكشّف » على أن يكون التّاء الماضى . وجواب لو فى قوله كأن لم نحارب ، والواو من « وأنت » واو الحال . وذكر « صديق » لأنّ المراد ذات صداقة ، ولو قال صديقة لجاز . قال :

إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ بَغِيرَةٌ وَإِذْ أَنَا عَمَّارٌ صَدِيقٌ مُسَاعِفٌ^(٣)

(١) فى الأصل : « تحارب » ، صوابه فى ل .

(٢) ل : « تكشفت » .

(٣) يفهم من صنيع البيان (سبغ) أن البيت لأوس بن حجر ، وليس فى ديوانه فى القصيدة التى على هذا الروى ، وانظر نوادر المخطوطات ص ٩٥٩ .

٥٤٦

وقال آخر :

١ - شَبَبَ أَيَّامُ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي وَأَنْشَرَنْ نَفْسِي فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ
يقول : أَثَرْتُ أَيَّامُ الْفِرَاقِ فِي فَأَبْدَلْتَنِي بِالشَّبَابِ شَيْبًا ، وَبِالْجِدَّةِ وَالْقُوَّةِ
خُلُوفَةً وَهَنًا شَدِيدًا ، وَأَزْجَعْتُ نَفْسِي مِنْ مَقَرِّهَا فَارْتَمَعَتْ مِنْ مَرْكَزِهَا إِلَى
مَا فَوْقَهَا ، فَالشَّيْبُ وَإِنْ جَاءَ قَبْلَ حِينِهِ يُؤْذِنُنِي بِاقْتِرَابِ اللَّهْلِ ، وَتُسَوِّرُ النَّفْسَ
يَبْشُرِي ^(١) بِدُنُو الْأَجَلِ . هَذَا إِلَى مَا أَغَانِيهِ مِنْ حَوَادِثِ الْفِرَاقِ ، وَلَوَ اذْغَع
الِاسْتِثْنَاءُ . وَقَوْلُهُ « فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ » جَمَلٌ حَيْثُ اسْمًا وَأَضَافَ فَوْقَ إِلَيْهِ .
وَحَيْثُ فِي الْأَمْكَنَةِ ^(٢) بِمَنْزِلَةِ حِينٍ فِي الْأَزْمَنَةِ ، وَلِذَلِكَ احْتِجَاجٌ إِلَى جَمْعَيْنِ .
« وَتَكُونُ » : مُسْتَقْبَلُ كَانَ الثَّانِيَةِ ، وَمَعْنَاهُ يَقَعُ وَيَحْصُلُ . وَيَقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا
تَرَحَّفَ عَنْ مَجْلِسِهِ فَارْتَمَعَ فُوقِي ^(٣) ذَلِكَ : نَشَرَ نَشُورًا ، وَأَنْشَرَتْهُ إِنْشَازًا .
وَقَوْلُهُ « أَيَّامُ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي » يَسْتَعِي التَّجَنُّيسَ النَّاقِصَ . وَفَرَّقَ الرَّأْسَ وَمَفَرَّقَهُ وَاحِدًا .
٢ - وَقَدْ لَانَ أَيَّامُ الْوَلَوَى ثُمَّ لَمْ يَكُنْ مِنْ الْقَبِيضِ شَيْءٌ بَعْدَهُنَّ يَلِينُ
٣ - يَقُولُونَ مَا أَبْلَاكَ وَالْمَالُ غَايِرُكَ عَلَيْكَ وَصَاحِي الْجِلْدِ مِنْكَ كَغَيْنِ ^(٤)
٤ - فَقُلْتُ لَمْ لَا تَمْدُلُونِي وَانظُرُوا إِلَى النَّازِعِ الْمَقْصُورِ كَيْفَ يَكُونُ
حَدَّ آيَاتِهِ بِالْوَلَوَى إِذْ كَانَ فِيهِ اجْتِمَاعُ مَعَ الْأَحْبَةِ ، وَمُسَافَقَةٌ مِنَ الْقَدَارِ
وَالْأَفْضِيَةِ . ثُمَّ تَعَقَّبَ بِرُغْمِهِ مَا صُغِبَ مَعَهَا وَخَشِنَ ، لَمَّا حَدَّثَ مِنَ الْبِمَادِ فِيهِ

(١) يبشُرني ، من البشُر ، بمعنى التبشِير ، وهذا على التَّهْكِيمِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
فَيُبَشِّرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ . وَفِي الْأَصْلِ : « يَلْعَنُنِي » ، صَوَابٌ فِي لَ بِهَذَا الْبُطْطِ .

(٢) هَذَا مَا فِي لَ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْأَمْكَنُ » .

(٣) هَذَا مَا فِي لَ . وَفِي الْأَصْلِ : « فَوْقَ » .

(٤) التَّجَرُّي : « غَايِرُكَ » .

فاستنكر، فلم يستوفق بعدها شيئاً من الأوقات، ولا ارتضى حالاً من الأحوال،
لتشعر العيش، ونكد الفراق.

وقوله : « يقولون ما أهلك والمال غامر » يريد أن الناس مُتَجَبِّون من شأني
وأسرى، مستنكرون ما يشاهدون من حُؤُولِي وضميرى، فيرجعون بالسؤال على،
ويقولون : ما الذى بلاك، وهزلك وأفضاك، وفي مالك وفور، والضاحى من
جلدك بالكسوة مستور، فلا تبدل للحرور اعتراك، ولا إضافة في الماش
تفشاك. قال : فأجبتهم بأن اصر فوا عني المتب واللأم، واعتبروا حالى بالنظر
إلى البعير الحان إلى وطن، مع أنه أغلظ ما خلقه الله كيداً، وأثبت على الشدائد
نفساً وحيداً، كيف يضج، ولو خلى كيف يهيم على وجهه ويند. واعلموا أن
ما يبلغ به تلك الحالة من النزاع على ما به من المجة والنبوة، حقيق بأن
يُكَيِّدَ مثلى مع ما توحَّدت به من التميز والتحصيل^(١)، والفرق بين أحناء
الأموال وأحنائها.

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى فنقله إلى الدار وقد خلت من الشكان فقال :
إن شئت ألا ترى صبراً لمضطرب فانظر كل أى حال أصبغ الطلل^(٢)

٥٤٧

وقال أبو دهب الجمحي^(٣) :

١ - أقول والركب قد مالت همائمهم وقد سقى القوم كأس النفس السهر

(١) يقال : توحده الله بصنعه، أى عصمه ولم يكله إلى غيره. اللسان (وحد ٤٦٦).

(٢) ديوان أبى تمام ٢٢٦.

(٣) سبق ترجمته فى المحاسنية ٥٧١ ص ١٣١٩. التبريزى : « وقال أبو دهب
الأمرأى : ليس قوله ياليت أبى بأثوابى لأبى دهب، إنما وقع فى ديوانه مع ثلاثة أبيات أخر،
والمصحح أنها لـ محمد بن بشير الحارثى؛ وهذا البيت لا يكاد يعرف منه البتة إلا بالأبيات التى
تقدمه، وهى :

٢- يَ لَيْتَ أَنِّي يَا ثَوَابِي وَرَاحِلَتِي عَبْدٌ لَأَهْلِكَ هَذَا الشَّهْرُ مُؤْتَجَرٌ
أول البيت الثاني ، وهو « يَ لَيْتَ أَنِّي يَا ثَوَابِي » في موضع المفعول لأقول .
والواو من قوله « وَالرَّكْبُ » واو الابتداء ، وهو للحال . وقوله « وَقَدْ مَالَتْ
عَمَائِهِمْ » يريدُ لَنُكَبِّرَ النومَ عليهم ، ومجاهدة السير والسرى فيهم ، ومزاولة شهر
الشهر ، حتَّى كأنَّهم سَقَامُ كُذُوسِ الثَّماسِ فَسَكِرُوا ، والمعنى أَنِّي أَقُولُ ، على
معاناة هذه الأحوال : يَوَدُّ أَنِّي مُسْتَعْبِدٌ لَأَهْلِكَ طُولَ الشَّهْرِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ ،
مُؤْتَجَرٌ يَكْسُونِي وَزَادِي وَرَاحِلَتِي ، لَا أَكْلِفُهُمْ مَوْزُونَةً ، وَلَا أَحْلِمُهُمْ مَرْزُونَةً ، كلُّ
ذلك رغبة في التقرب إليك ، والاستسماة بخدمة أهلك ، والفوز بالترجيح على
تخلُّكِ ومصرحتك . وقوله « يَ لَيْتَ » ، المنادى محذوف ، كأنه قال : يا قوم
يَ لَيْتَ أَنِّي .

٣- إِنْ كَانَ ذَا قَدَرًا يُعْطِيكَ نَافِلَةً مِّنَّا وَيَحْرِمُنَا ، مَا أَنْصَفَ الْقَدَرُ
٤- جِنِّيَّةٌ أَوْ لَهَا جِنَّةٌ يُعَلِّمُهَا رَحْمَى الْقُلُوبِ بَيْنَهُمْ مَا لَمْ تَرَ^(١)
جواب الشرط في قوله « مَا أَنْصَفَ الْقَدَرُ » على إرادة القاء . وقوله
« يُعْطِيكَ نَافِلَةً » في موضع الصفة لقَدَرًا . وأشار بـ « ذَا » إلى ما بينه وبين
محبوبه . والمعنى : إِنْ كَانَ مَا يُرْسَى بَيْنَنَا وَيُشَاهَدُ قَدَرًا قَدَرَهُ اللهُ تَعَالَى ، يُعْطِيكَ
مِنَّا مَا تَسْتَغْنِيهِمْ وَتَسْتَغْنِيهِ ، ثُمَّ يَمْنُنَا مِثْلَ ذَلِكَ مِنْكَ فَلَا يُوجِبُهُ لَنَا ، فَمَا عَطَانَا
النَّصْفَةَ فِي الْقَضِيَّةِ ، وَلَا سَارَ بِالسَّيْرِ الْمَحْمُودَةِ^(٢) فِي الْحُكْمَةِ .

= يَا أَحْسَنَ النَّاسِ إِلَّا أَتَ نَاقَلَهَا قَدَمَا لِمَنْ يَرْحَمِي مَعْرُوفَهَا عَسِرَ
وَأَمَّا دَلِمَا سَعَرَ تَصِيدَ بِهِ وَإِنَّمَا قَلْبَهَا لِلْفَتَى حَسِرَ
هَلْ تَذْكُرِينَ وَلَا أَسَى عَهْدَكُمْ وَقَدْ يَدُومُ لِهَذَا الْخَلَقِ الذِّكْرُ
قَوْلِي وَرَبِّكَ قَدْ مَالَتْ عَمَائِهِمْ وَقَدْ سَقَامَ بِكَاسِ النُّوْمَةِ الْفَرَسُ
(١) التبريزي : « بقوس ملما وتر » ، وهذه الرواية أجود .
(٢) ل : « بالسيرة المحمودة » .

وقوله « جَنِيَّةٌ » ، يريد أن فقلها مُبَيِّنٌ لفعل الإنس ، وكذلك شكلها وحُسْنُها ، فلما أن تكون من الجن ، أو لها من الجن من يُعلمها افتتانَ العقول ، واختيالَ الأفتدة في الصدور . وقوله « بسهمٍ ماله وَرُّ » ، يريد سهماً لا يُنزَّه الوَرُّ على القِيَمَى ، بل تهَيَّته مَقْلُ العُيُون ، ونَواظرُ الفُتُون ، لإصابة حَبَاتِ القلوب ، وانتظام غِرَاتِ النفوس .

٥٤٨

وقال تَوْبَةُ بْنُ الْمُضَرِّسِ ^(١) :

١ - يقول أناسٌ لا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ النَّفُوسَ يَضِيرُهَا

٢ - أليس يَضِيرُ العَيْنَ أَنْ تَرَدَّ البُكَاءُ وَيُمْنَعَ مِنْهَا نَوْمُهَا وَسُرُورُهَا ^(٢)

يقال : ضَارَهُ يَضِيرُهُ ، في معنى ضَرَّهُ يَضُرُّهُ . وَشَفَّ النَّفُوسَ ، أى آذاها وأَذَابَهَا . والمعنى : أَنَّ النَّاسَ يَطِيبُونَ قَلْبِي وَيَرُدُّونَ بِمَحَاجَّتِهِمْ لِي تَسْلِيْقِي ، ويقولون إنَّ بُدْهًا لَا يُورِثُكَ حَبَالًا ، وَلَا يَكْسِبُكَ ضَرًّا وَوَبَالًا ، بَلْ يُعْقِبُكَ سَلَوَةٌ ، وَيُبْدِلُكَ مِنَ النَّاسِ بِالْاجْتِمَاعِ مَعَهَا نَفَرَةٌ ، فَأَثْبِتْ مَا نَفَوْهُ ، وَأَبْطَلْتُ مَا أَقْوَاهُ ^(٣) ، وقلت : بَلَى كُلُّ مَا يُذِيبُ النَّفْسَ وَيَهْزِلُهَا ، وَيُسْلِبُهَا الْقِرَارَ وَيُقْلِقُهَا ، فَهُوَ عَائِدٌ بِأَكْلِ الضَّرْرِ عَلَيْهَا ، ثُمَّ رَدَدْتُهُمْ إِلَى الشَّاهِدِ مُسْتَدْلًا بِهَا ،

(١) عند التبريزي : « توبة بن الحجير » ، وقد سبق ترجمته في الحاشية ٥١٣

ص ١٣١١ . وأما توبة بن المضرس فهو توبة بن المضرس بن عبد الله بن عباد بن محرز بن سعد بن حزام بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد ثناء بن تميم ، شاعر عمن ، قتل أخواه لجزع عليها جزعاً شديداً ، وكان لا يزال يبكيها ، فطلب إليه الأحنف بن قيس أن يكتب ، فأبى ؛ فسماه « الحسوت » ، وهو القى عنه النبط أو البكاء عن الكلام . المؤلف ٦٨ - ٦٩ .

(٢) « ترد » هي رواية الأصل . وفي التبريزي : « أن تكثر » ، وأشهر في حاشية ل إلى أنها في نسخة « ترد » .

(٣) هذا ما في ل ؛ وفي الأصل : « أقواه » ، وقد أشير إلى هذه الرواية الأخيرة في حاشية ل .

فقلت: أليس المين إذا أديم البكاء بها، ومُنِعَ النّومُ وما يُلتذُّ به من سآرح
اللبو والشرور منها، يضربها ذلك؟ كذلك النفس إذا أُجِيع عليها ما لا تنهوا،
وفُرقَ بينها وبين ما تلتذُّه وترضاه.

٥٤٩

وقال ابن أبي دباكل الخزاعي^(١):

١- يطولُ اليومُ لا أَلْفَاكِ فِيهِ وَحَوْلُكَ تَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرٌ^(٢)

٢- وقالوا لا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهْرٍ قُتِلْتُ لِمَصَاحِي فَتَى يَضِيرُ^(٣)

يقول: إنَّ السَّنةَ السَّكَّامَةَ إذا انَّصَلَ الالتقاءُ بيننا فيها، استقصيرُها
وأخصرُ على الاستزادةِ منها، التذاذُّ بها وبُعْدًا من اللَّلالِ لها، وإنَّ اليومَ
الواحدَ إذا حيلَ بيني وبينك فيه أُستطِيلُهُ تقاليلًا له، وتفاديًا منه، وكرهيةً لامتداده
والنَّاسُ يقولون لي: إنَّ الشَّهْرَ لَا يَجْلُبُ عَلَيْكَ ضَرَرًا، قُتِلْتُ لِمَصَاحِي: فتى
يضيرُ إذا؟ استبعادًا للأجلِ المضروب. ويروى: «لصاحبي فن يضير». والمعنى:
إذا لم يضرَّني القَطْعُ عما لم أرتوِ منه فن الضرور إذا.

(١) البريزي: «دباكل علم مرئيل، وليس مثقولا من جنس». وفي القاموس:
«وابن أبي دباكل، بالضم: شاعر خزاعي»، واسمه سليمان بن أبي دباكل، كما في الأغاني
(٧: ٢٩/١٨: ١٩٥) شاعر أموي، كان معاصراً للأخوس، وقد صنع قصيدته التي
يقول في أولها:

يا بيت خنساء الذي أتمنَّب ذهب الشباب وجها لا يذهب

فقال الأخوس في مروضها:

يا بيت عاتكة الذي أتمزل حنن المدى وبه الفؤاد موكل

(٢) ل: «وشهر تلتقي». البريزي: «ويوم تلتقي». وقد روى البريزي هذا

البيت بعد تأليه هنا.

(٣) ل والبريزي: «فن يضير»، وها روايتان نص عليهما في السرح.

٥٥٠

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ^(١) :

١- شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالْتَامَ الْفُطُورُ ^(٢)

٢- تَقَلَّلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورٌ

يصف استحكام أثر الهوى وشدة تسلطه على قلبه ، وتمكنه من عقله ، فيقول : شَقَقْتُ قَلْبِي ، وَجَعَلْتُ هَوَاكَ ذُرُوراً فِيهِ ، فَرَسَخَ فِي جَوَانِبِهِ بَعْدَ أَنْ دَبَّ فِي مَسَامِهِ وَمَوَالِجِهِ ، ثُمَّ جَمَعْتُ فُتُوْقَهُ حَتَّى التَّائَمْتُ شَقُوْقَهُ ، فَتَوَصَّلَ الْهَوَى مِنْهُ إِلَى حَيْثُ أَهْجَزَ كُلُّ سُرُورٍ وَحُزْنٍ . وَلِلْمَعْنَى أَنَّ الْهَوَى مَلَكَ بِجَمَاعِ قَلْبِي فَأَتَحَى مِنْهُ مَا كَانَ مُحَرِّمًا عَلَى غَيْرِهِ . وَقَوْلُهُ « لَيْمَ » أَصْلُهُ الْهَمَزُ فَأَبْدَلَ مِنْ هَمْزَتِهِ يَاءً وَانْكَسَرَ اللَّامُ لَهَا . وَالتَّقَلُّلُ : التَّوَصُّلُ عَلَى مَقَاسَةِ تَعَبٍ وَشِدَّةٍ . وَلَا يُقَالُ لِمَنْ تَوَصَّلَ وَاللَّذْبُ سَهْلٌ : تَقَلَّلَ . وَيُقَالُ : ذَرَرْتُ الشَّيْءَ ، إِذَا فَرَّقْتَهُ ؟ وَذَرَرْتُ الْحَبَّ فِي الْأَرْضِ . وَقَوْلُهُ « التَّامَ الْفُطُورُ » ، أَرَادَ الْفُطُورَ مِنْهُ ، خَذَفَ تَخْفِيفًا ، لِأَنَّ الْمُرَادَ مَعْلُومٌ . وَالْفَطْرُ : الشَّقُّ ، وَمِنْهُ تَفَطَّرَ الْوَرَقُ .

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود المذلل الناجي ، وعم أبيه هو عبد الله ابن مسعود . كان عالماً ثقة فقيهاً ، كبير الحديث والعلم ، شاعراً . قال ابن عبد البر : كان أحد الفقهاء المشرة ثم السبعة الذين يدور عليهم الفتوى ، وكان عالماً فاضلاً مقدماً في اللغة ، فقيهاً شاعراً محسناً ، لم يكن بعد الصحابة إلى يومنا هذا علمت فقيه أشعر منه ، ولا شاعر أظنه منه ؟ وكان له زوجة يقال لها « عتبة » فتب عليها في بعض الأمر فطلقها ، وله فيها أشعار كثيرة ، منها هذا الشعر ؟ وأوله عند تلعب في مجاله ٢٨٤ :

تتفلسح عتبة في فؤادي فبأديه مع الحافق يسير

وانظر الأغاني (٩٣: ٨) ومجموعة المأاني ١٦٢ . توفي عبيد الله سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب .

(٢) أنشد البربري بين هذا البيت وتاليه البيت الذي ذكر في الحاشية السابقة ، فمضى عنده ثلاثة أبيات .

٥٥١

وقال ابن ميادة^(١) :

١ - وما أنسَ ملُ أشياءَ لأنسَ قولها وأدُمُّها يُذِرِنَ حَشَوَ المَكاحِلِ
٢ - تَمَتَّعَ بِذا اليَوْمِ القَصِيرِ فَإِنَّهُ رَمِيْنُ بَأَيَّامِ الشُّهُورِ الأطَاوِلِ
انجزم « أنس » بما ، وما موضعه نصب على المفعول من أنس . والمعنى :
إن أنس شيئاً من الأشياء لا أنس قولها . فلا أنس انجزم على أنه جواب الشرط .
وقوله « ملُ أشياء » أصله من الأعْياء ، وجعل الحذف بدلاً من الإدغام لئلا
تعدّر إتيانه في المتقارنين ، وقد مرَّ مثله^(٢) مستقضى . وقوله « يُذِرِنَ » يريد
يُسْقِطُنَ حَشَوَ المَكاحِلِ . أراد أنها كفّله ، فكان السمع حين ذرف
صحبته السكحل .

وقوله « تَمَتَّعَ بِذا اليَوْمِ القصير » موضعه من الإعراب نصب على أنه مفعول
من قولها ، أى لا أنس قولها ، وقد شافهما الفراق من يوم التوديع والتشيع
وهي تبكى : تَمَتَّعَ بيومك القصير^(٣) لكونه يوم اجتماع ، فإنه مرتين^(٤) من الشهور
الطويلة ، لكونها أيام التّبيان ؛ أى مثلُ هذا اليوم لا يُفكُّ من الارتئاف ،
ولا يحصل إلا بعد تقضى تلك الأيام المستطالة .

(١) سبق ترجمته في الخامسة ٥٣٤ من ١٣٢٣ .

(٢) ل : « ذكره » .

(٣) ل : « هذا اليوم القصير » ، وأشير في هامشها للأنها في نسخة : « بيومك القصير » .

(٤) ل : « رحين » ، وأشير في حاشيتها للرواية الأخيرة .

٥٥٢

وقال محمد بن بشير^(١) :

- ١ — بَيْضَاهُ آيَةُ الْحَدِيثِ كَانَهَا قَمَرٌ تَوَسَّطَ جَنَعَ لَيْلِي مُبَرِّدٍ
 - ٢ — مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ إِنَّ الْحِسَانَ مِثْلُهُ لِلْحُسْدِ
 - ٣ — وَتَرَى مَدَامِعَهَا تُرْفِقُ مَقَلَّةً سَوْدَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الْإِمْدِ
- وصف المرأة يالمرق اللون . ومعنى « آية » ذات أنس ، لأن الحديث يُؤنس ولا يأنس ، فهو كقولهم : ثم ناصب ، والمراد منصّب . ثم شبهها بقمر توسّط السماء فيما جَنَعَ من ليل كان فيه غيمٌ وبرد . والقمر إذا خرج من حلك النعام في ليلة مطيرة كان أضواً وأحسن . ويموزان يكون قوله « ليل مُبرِّد » يُراد به ليل ذو برد أو برِّد ، ويكون من باب أشملنا ، أى دخلنا في الشمال ، وأشتينا ، أى دخلنا في الشتاء . ويُقال : بُرِدَتِ الْأَرْضُ ، إذا مطرت البرد ، فعلى مبرودة . وأبردنا ، أى دخلنا في البرد أو البرد ، وكذلك قوله شملنا : أصابتنا ريح الشمال ، وأشملنا : دخلنا في الشمال . وقال الخليل : يقال أبرد القوم ، إذا صاروا في وقت القُرِّ في آخر النهار . والأبردان : طرقتا النهار . وقال الشاعر^(٢) :

إذا الْأُرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَنِي خُدُودُ جَوَازِي بِالرَّمْلِ عَيْنِ
يصف بقرة وحشية بأنها تتوسّد غصون الأُرْطَى التي تلي الغرب بالغدّة ،

(١) سبق ترجمته في الخامسة ٢٦٩ من ٨٠٨ . وعند التبريزي : « وقال آخر » .
وقد نسب الشعر إلى محمد بن بشير أيضاً في الأغاني (١٤ : ١٤٧ — ١٤٨) ، ونسب في الأغاني (٢ : ١١) إلى مجنون ليلي .
(٢) هو الفياض بن شرار . ديوانه ٩٤ واللسان (جزأ) .

فإذا دارت الشمس دارت معها إلى ناحية الشرق ، فتوسّدت القصون التي مالت الشمس عنها .

وقوله « موسومة بالحسن » ، يريد أنه جميل سبأها الحسن ، فهي ممسوحة به موسومة . وأصل السمة العلامة ، ومنه السّما . ومعنى « ذات حواشيد » أى من يراها من الناس يحسدها ، لأنّ الحسان مملّك الحسد . وهكذا كما يقال : إنّ الحسد يتبع النعم .

وقوله « وترى مداستها ترقرق مقلّة » فالمدامع متايل الدمع من القبائل في الرأس . ومعنى « ترقرق مقلّة » أى ترقرق الدمع في مقلّة . والرقراق : الدمع الذى يترقرق في العين ولا يسيل . قال :

* أو الدرّ رقرقاهُ المنحدر^(١) *

والمنى أنّها كغلاء ، وأنّ الدمع يتجمع في مقلّة لها مستغنية عن سواد الكحل ، لكحلها .

٥٥٣

وقال آخر^(٢) :

- ١- صفره من بقر الجوّاء كأنما ترك الحياه بها رذاع سقم
- ٢- من مخذبات أحي الهوى جرع الأسى بدلال غانية ومقلّة ريم
- ٣- وقصيرة الأيام ودّ جليسها لو دأب تجلسها بقدر حميم وصفها بأنها ذرّة اللون ، وأنّ فيها مشابهة من بقر الجوّاء ، وأنها حيّة

(١) لأمري القيس في ديوانه ٧ . وسدره :

* فأسيل دمي كفض الجمان *

(٢) هو مجنون ليلي قيس بن معاذ . السان (رجع) .

قليلة الحركات لتعتمدا ، قليلة الكلام لقرط حياها ، فكان بها نُكْسٌ سقيم
لما أَلَفَتْهُ من الكسل . وقال الخليل : الرُدْعُ والرُدَاعُ : النُّكْسُ ؛ ورجُلٌ مَرْدُوعٌ .
وقيل : الرُدَاعُ : الوجع في الجسد . فأما قول الأعشى :

بيضاضه ضَحَوَتْهَا وَصَفَرُ اهْ العَشِيَّةِ كالقِرَارَةِ

فجعل لها لونين : بياضاً في أوّل النهار ، وصفرة في آخره ، حتى لو أنها لوّنُ
القرار . وإنما يريد أنها تَقِيلُ فيمتدُّ النومُ بها إلى آخرِ النهار ، والقائم من
نومِهِ أبداً يكون متغيّر اللون . ومثل قوله « ترك الحياه بها رُدَاعٌ سقيم »
قول الآخر ^(١) :

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًّا تَقْمُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُكَلِّمَكَ تَبْلَتْ

وقوله « مِنْ مُحْذِيَّاتِ أَخِي الْمَوَى » يريد أنها من النساء اللاتي تَسْقِي
الشُّبَّانَ وأربابِ الموى جُرْعَ الأُمى ، يريد أنها تَفْتِنُهُمْ بمحاسنها ، ثم لا تُنِيلُهُمْ
شيئاً ، وهى الحَذْيَا والحِذْوَةُ . والأُمى : العُزْنُ .

وقوله « بِدَلَالٍ غَانِيَةٍ » تعلق الباء منه بِمُحْذِيَّاتٍ . والغانية : التي تَسْتَغْنِي
بجمالها عن الخلق . والريم : الظئيرُ الخالصُ البَيَاضُ . والمعنى أنها تَفْتِنُهُ بغيرها
وكلامها رَغِيحاً .

وقوله « وَقَصِيرَةُ الْأَيَّامِ » يريد أنها لا تُبَلِّ ، فالأيام في مُلَازَمَتِها قصيرة ،
حتى أن مُجَالِسَتَهَا يُوْذُنُ أن يدوم مجلسها له وإن قَدَّ أَقَارِبُهُ . والقصدُ إلى أنها
طَيِّبَةُ الحديث ، مُؤَنِّسَةُ المجلس ، مُصَرِّقَةٌ لِلْأَظْمِ في أصنافِ اللَّادِّ حتى يَنْسَى
كلَّ شَيْءٍ غَيْرِهَا ، وَيَنْشَمَّ جَمِيعَ الْمَنَاطِرِ سِوَاهَا .

وقوله « بِقَدِّ حَيْمِ » الباء فيه يُفِيدُ معنى العِوضِ ، فهو كما يقال : هذا لك
بكذا ، أى عِوضاً منه .

٥٥٤

وقال آخر :

١ — ونار كسحر العود رَفَعُ ضَوْءُهَا مَعَ اللَّيْلِ هَبَّاتُ الرِّيحِ الصَّوَارِدُ^(١)
 ٢ — أَصْدُ بِأَيْدِي الْعِيسِ عَنْ قَصْدِ أَهْلِهَا وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِالْمَوْدَةِ قَاصِدُ
 شَبَّهَ النَّارَ فِي حُمَرِهَا وَتَصَاعُدِهَا بِسَحْرِ التَّوَدِ . وَالسَّحَرُ : الرُّتَّةُ وَمَا تَعْلَقُ
 بِالْحُلُقُومِ . وَيُقَالُ لِمَنْ نَزَتْ بِهِ الْبُطْنَةُ : انْتَفَخَ سَحَرُهُ ؛ كَمَا يُقَالُ : عَدَا طَوْرُهُ .
 وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ ذَلِكَ لِمَنْ جَبَنَ عَنْ شَيْءٍ . وَالتَّوَدُ : الْجَمَلُ الْمُسِنَّ ؛ وَقَدْ عَوَّدَ ،
 أَيْ نَيْبَ ، وَالْجَمِيعُ الْمَوْدَةُ ، فِي لُغَةِ الْعِمْدَةِ . وَيَسْتَعْمَلُ التَّوَدُ فِي الشُّرُودِ
 الْقَدِيمِ ، وَالطَّرِيقِ الْمَادِي .

وقوله « يرفع ضوءها » يريد أن هبَّاتِ الرياحِ الباردة تُهَيِّجُهَا ، فَكَأَنَّهَا
 تَرْفَعُ مِنْ ضَوْئِهَا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَمَتَّه . وَالصَّوَارِدُ : الْبُورَادُ ، وَهِيَ مِنْ صِفَةِ
 الْهَبَّاتِ .

وقوله « أَصْدُ بِأَيْدِي الْعِيسِ » جوابُ رُبِّ .

ويشبه البيتَ الثاني قولُ الآخر^(٢) :

يَا بَيْتَ عَانِكَةِ الَّتِي أَنْتَرُلُ حَذَرَ الْعِدَى وَبِهِ الْفَوَادُ مُوَكَّلُ

ومثل البيت الأول قوله :

تَنْوَرَتْهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا بِيئَرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرًا عَالِ^(٣)

(١) البرزى : « ترفع ضوءها » . وانظر الحيوان (٥ : ٦٣) وكتاب الزهرة

للأصفهاني ٢٣٥ .

(٢) هو الأحوس بن عبد الأضرى . الأغاني (١٨ : ١٧٥ ، ١٩٦) ، وذكر

أبو القرج أنه مارس بقصيدته قصيدة سليمان بن أبي دأكل وسطا عليها ، ومطلع قصيدة سليمان :

يَا بَيْتَ خُشَاءِ الَّتِي أَنْجَبَ ذَهَبَ الشَّابِ وَحِبًّا لَا يَنْجَبُ

(٣) البيت لامرئ القيس في ديوانه ٥٦ .

وهذا منهم على التشوق والتحقى، إلا أنهم كانوا يتلّون بما كان من نحو
أرض الحبيب.

٥٥٥

وقال الحسين بن مطير^(١) :

١- وكنت أذود العين أن ترد البكا قد وردت ما كنت عنه أذودها

٢- خليل ما بالعيش عتب لو أننا وجدنا لأيام ألقى من يمسدها

يقول : كنت أصبر النفس فيا ركبها وقفل عليها من الوجد ، وأحس
العين بما ترويه من البكاء ، فقد عيل الصبر ، وتسلب الحزن ، وغلب البكاء ،
فقد وردت معنى المورد الذي كنت أحلثها منه ، وأدفعها عنه .

وقوله « خليل ما بالعيش عتب » رواه بعضهم : « ما بالعيش عتب » ،
وذكر العتب أحسن ها هنا . والمراد أنه لا ممتعة على العيش ، لأن صفاءه بأن
تتصل له أيام كأيام الحى ، فلو وجدنا من بعيد أمثاله فاعد فيها قرب الزار ،
وإسكان الوصال ، لطلب وصفا كما كان من قبل ، فلا ذنب للعيش ، إنما
الذنب لما يكدره ويشعنه بالمكاره .

٥٥٦

وقال آخر^(٢) :

١- ولي نظرة بعد الشدود من الجوى كنظرة نكلى قد أصيب وليدها

٢- هل الله عاف عن ذنوب تسلفت أو الله إن لم ينف عنها معيدها^(٣)

(١) صحت ترجمته في المصنف ٣١٩ ص ٩٣٤ .

(٢) كنا في النسختين . أما التبريزي فقد جعل للتطوعتين مقطوعة واحدة .

(٣) التبريزي : « أم الله إن لم ينف عنها معيدها » .

يقول : قَذَيْتَ عَيْنِي بِمَا حَصَلَ مِنْ صُدُودِ الْحَيْبِ ، فَلَیْ نَظَرَةٌ بِهَذِهِ لِيَجُوزَ الْقَلْبَ وَالْجَوْفَ ، كَنَظَرَةِ أُمِّ أُصَيْبَتْ بَوْلِيدِهَا فَتَكَلَّمَتْ . ثُمَّ قَالَ مُتَنَبِّيًا : هَلْ يَغْفُو اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ لَنَا مِنْ ذُنُوبٍ ، أَوْ يَمِيدُ لَنَا تَسْهِيلَ أَمْثَالِهَا وَالتَّكِينِ مِنْ اقْتِرَافِ مُشَابِهَا إِنْ ضَاقَ عَفْوُهُ عَنْهَا . وَهَذَا كَلَامٌ مِنْ خَرَجَ صَدْرُهُ بِمُسْتَقْبَلِ أَمْرِهِ ، وَامْتِلَأَ قَلْبُهُ مِنَ التَّأَشُّفِ فِي إِثْرِ مُسْتَدْبَرِهِ .

٥٥٧

وَقَالَ سَوَّارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ ^(١) :

١ — يَا أَيُّهَا الْقَلْبُ هَلْ تَنْهَاكَ مَوْعِظَةٌ أَوْ يُحَذِّرُنَّ لَكَ طَوْلُ الدَّهْرِ نِسْيَانًا ^(٢)
٢ — إِنْ سَأَسْتَرْتُ مَا ذُو الْقَتْلِ سَايَرُهُ مِنْ حَاجَةٍ وَأَمِيتُ الشَّرَّ كَيْتَانَا
عَتَبَ عَلَى قَلْبِهِ فِي عَصْيَانِهِ لَهُ ، وَأَطْرَاحَهُ مَوَاعِظُهُ ، وَوَلَّوْعَهُ السَّمَرُ عَلَى تَطَاوُلِ الدَّهْرِ ، وَتَقَادُمِ الْأَمْرِ ، وَقَالَ : هَلْ لَيْنَ الْوَعْظِ مِنْكَ أَوْ أَحْدَثَ مَوَاصِلُهُ الْأَيَّامَ وَاسْتِمْرَارُهَا نِسْيَانًا لَكَ ، فَكَلَفَ عَمَّا يُكْرَهُ مِنْكَ ، أَوْ تَقَبَّلَ بَعْضُ مَا تَدْعَى إِلَيْهِ مِنْ رُشْدِكَ .

وقوله « أَوْ يُحَذِّرُنَّ » زاد النون الخفيفة في المعطوف من غير أن حصل في المعطوف عليه ، وهو « يَنْهَاكَ » مثله ؛ وساغ ذلك لأنهم أَلِفُوا زِيَادَةَ إِحْدَى التَّوْنَيْنِ فِيمَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ مِنَ الْأَفْئَالِ ، فَكَانَ قَدَّرَ أَنْ الْأَوَّلَ حَصَلَ فِيهِ الذَّنْوُ غَزَادٍ فِي الثَّانِيَةِ ، لِتَوَثُّمِ مِثْلِهِ فِي الْأَوَّلَى ، وَاسْتِمْرَارِ الْمَادَةِ بِزِيَادَتِهِ . وَهَذَا كَمَا عَطِيفٌ فِي بَيْتِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

(١) التبريزي : « المضرب » بالراء للشددة المفتوحة ، وقد مضت ترجمته في الحاشية

١٨ س ١٣٠ .

(٢) في نسخة الأصل : « طول الليل » ، سواه من ل والتبريزي .

فَقُلَّ مُلْهَأُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْصَجِرٍ صَفِيفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُمَجَّلٍ
قوله أَوْ قَدِيرٍ مُمَجَّلٍ ، وهو مجرور على صفيف شِوَاءٍ وهو منصوب لِتَبَيُّهِ
حذف التنوين ، وجعل الإضافة بدلًا منه في مُنْصَجِرٍ .

وقوله « إِنِّي سَأَسْتَرُ مَا ذُو الْقَلِّ سَأَرَهُ » ، وَصَفَ نَفْسَهُ بِحُسْنِ التَّمَاثُلِ فِيهَا
بَاتِيهِ ، وَاسْتَعَالَ الْعَلَّ فِي سَتَرٍ مَا يَجِبُ إِخْفَاؤُهُ مِنْ حَاجَاتِهِ ، وَضَبَطَهُ لِلسَّرِّ ،
وَقُوَّةَ كِتَابَتِهِ ، حَتَّى يَصِيرَ السَّرُّ كَالْمَثْبُوتِ الَّذِي لَا أَثَرَ لَهُ . وَيُشِيرُ بِذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى
دَوَامِ وَقَائِهِ ، وَاتِّصَالِ عَهْدِهِ ، وَكَيْفَ مَا يَجْرِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبِهِ . وَاتَّبَعَتْ
« كِتَابَانَا » لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، كَأَنَّهُ قَالَ :
كَاتِمًا لَهُ .

٣- وَحَاجَةٍ دُونَ أُخْرَى قَدْ سَنَعْتُ لَهَا جَمَلْتُهَا لَلَّتِي أَخْفَيْتُ عَنْوَانًا^(١)
٤- إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ بَيْنَ النَّاسِ عُرْيَانًا^(٢)
يريد : رَبُّ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَهَا وَأَظْهَرَتْهَا فِي النَّفْسِ خِلَافَهَا ، لِأَنِّي جَمَلْتُ
لِلظَّهْرِ فِي التَّوَصُّلِ بِهِ إِلَى الْمَضْمَرِ كَعُنْوَانِ الْكِتَابِ الَّذِي يَظْهَرُ وَمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ
الْكِتَابُ مَسْتَوْرٍ . يَصِفُ نَفْسَهُ بِأَلَّا كَاهُ وَجُودَةِ الْفِطْنَةِ ، وَحُسْنِ التَّأَتَّى ،
وَالْإِهْتِدَاءِ فِيَا يَوْمُهُ لِلْحِيلِ الْإِطِيفَةِ . وَكُلُّ ذَلِكَ لِنَلَّا يَقِفُ مَوْقِفًا يُوْجِّهُ إِلَيْهِ
الظُّنُونُ السَّيِّئَةُ ، وَيَجْلِبُ عَلَيْهِ الْقَالَةُ لِلْمُنْكَرَةِ .

وَالْعُنْوَانُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قُفُولًا مِنْ عَنِ الشَّيْءِ ، إِذَا اعْتَرَضَ ، وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ قُفُولًا مِنْ عَنَاءِ كَذَا ، وَفِيهِ لِنَاتٌ وَكَلَامٌ طَوِيلٌ أَتَيْتُ عَلَيْهِ فِي
(شَرَحِ الْفَصِيحِ) .

(١) التبريزي : « قد سعت بها » .

(٢) التبريزي : « وسط القوم عريانًا » .

وقوله «إِن كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ» ، يريدُ : مَنْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْحَيَاءِ ،
وَاطَّرَحَ حِشْمَةَ النَّاسِ ، وَعَرَّضَ الْأَمَانَةَ لِلضَّيَاعِ ، وَالرُّوْدَةَ لِلزَّوَالِ ، فَحُكْمُهُ
حُكْمُ مَنْ أَظْهَرَ عَوْرَتَهُ ، وَهَتَكَ لَمَائِيهِ سِتْرَهُ ، وَرَضَى بِمَا نَبِيلَ مِنْهُ ، وَتُخْفِفُ
مِنْ عَرَضِهِ وَدِينِهِ .

٥٥٨

وقال آخر^(١) :

١ - أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةً عَلَى وَلَكِنْ يَلْزَمُهُ عَيْنٌ حَبِيبُهَا
٢ - وَمَا هَجَرَتْكَ النَّفْسُ أَنْكَ عِنْدَهَا قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا
انْتَصَبَ «إِجْلَالًا» لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، جَمَلُهُ عَلَّةٌ فِي تَهْيِيئِهِ لَهَا . وَيُجُوزُ أَنْ
يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، فَيَقُولُ : أَحْتَشِمُكَ بظَهْرِ الْعَيْبِ ، وَأَخَافُكَ لَيْسَ لِاِقْتِدَارِ
سُلْطَانِي مِنْكَ عَلَى ، وَامْتِلَاكِ لِعَصْرِي وَنَفْعِي فِي يَدَيْكَ ، وَلَكِنْ رَفَقًا مِنْكَ ،
وَإِكْبَارًا لِقُدْرِكَ ، وَلِأَنَّ الْعَيْنَ تَمْتَلِي مِمَّنْ تَحِبُّهُ اسْتِكْبَارًا وَاسْتِعْظَامًا ، لِأَنَّهُ يَحْتَدِثُهَا
وَالضَّمِيرُ مِنْ «حَبِيبُهَا» الْعَيْنِ ، وَإِنْ جَمَعَتْهَا لِلرَّأَةِ ، أَيْ مَا تَحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ بِمَلَأَ
الْعَيْنِ ، جَاز . وَاللَّيْلَةُ : الْقَدَرُ الَّذِي يَمْتَلِي مِنْهُ الشَّيْءُ ؛ وَاللَّيْلَةُ ، بَفَتْحِ الْمِيمِ :
مَصْدَرٌ مَثَلَتْ .

وقوله «وَمَا هَجَرَتْكَ النَّفْسُ» يريدُ أَنَّ الْإِخْلَالَ بِالزِّيَارَةِ ، وَالتَّأْخُرَ عَنْ
إِقَامَةِ الْمَادَةِ ، لَيْسَ زُهْدٌ وَلَا لَاسْتِقْلَالٌ لِلْحَالِ ، وَإِزْرَاهُ بِالْحَقِّ ، وَلَكِنْ قَلَّ حَظِّي
مِنْكَ ، وَدَامَ إِعْرَاضُكَ عَنِّي ، فَرُمْتُ رِضَاكَ فِي الْبُعْدِ عَنْكَ ، وَتَرَكَ التَّنَاقُلَ عَلَيْكَ .
وقوله «يَلْزَمُهُ عَيْنٌ» جَازُ الْإِبْتِدَاءِ بِهِ وَإِنْ كَانَ نَكِيرَةً لِحَصُولِ الْفَائِدَةِ
فِي تَعْلِيلِ الْخَلْفِ .

(١) هُوَ نَصِيبٌ ، كَمَا فِي سَمَطِ الْأَلْفِ ٤٠١ .

٥٥٩

وقال ابنُ الدُّمَيْنَةِ^(١) :

١ — أَلَا لَا أَرَى وَادِيَّ لِلْيَاكِ يُشِيبُ وَلَا النَّفْسَ عَنْ وَادِي الْمِيَاءِ تَطْيِبُ^(٢)
 ٢ — أَحِبُّ هُبُوطَ الْوَادِيَيْنِ وَإِنِّي كَشْتَهَرُ بِالْوَادِيَيْنِ غَرِيبُ
 قوله « يُشِيبُ » أى يَحْمِلُ لِي قَوَامًا ، وَيَقْسِمُ لِي لِتَوْفُرِي عَلَيْهِ رِدًا وَنَفْعًا .
 ويجوز أن يكون من قولهم : يَبْزُلُهَا ثَائِبٌ ، إِذَا كَانَ مَاؤُهَا يَنْقَطِعُ أحيانًا ثُمَّ يَعُودُ ؛
 فَيَكُونُ أَثَابَ بِمَعْنَى صَارَ لَهَا ثَائِبٌ ، كَأَنَّ الْوَادِيَّ كَانَ اتَّفَقَ فِيهِ مَوَاصِلَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 مَجْبُورِهِ ثُمَّ انْقَطَعَ ، فَكَانَ لَا يَثُوبُ خَيْرُهُ . وهذا الذى قُلْنَا فِي أَثَابَ ذِكْرُهُ
 أَبُو زَيْدٍ . ويجوز أن يكون ذِكْرُ الْوَادِي كَالسَّكَايَةِ عَنْهَا ، فيقول : لَيْسَتْ تَسْلُو
 نَفْسِي عَنْ وَادِي الْمِيَاءِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ وَعَنْ أَحَبِّي فِيهَا ، وَأَرَادَ لَا يُوجِبُ لِي مِثْلَ
 مَا أَوْجِبُهُ ، وَلَا يَرْضَخُ لِي جَزَاءَهُ عَلَى مَا تَحْمِلُهُ ، وَأَنَا أَحِبُّ النُّزُولَ بِالْوَادِيَيْنِ ،
 وَالِاتِّمَاشَ بِزِيَارَتِهِمَا ، لَكِنِّي مُشْتَهَرٌ بِهِمَا ، غَرِيبٌ لَا نَاصِرَ لِي فِيهِمَا ، فَاحْتِاجُ
 أَنْ أَحَازِرَ الرُّقْبَاءَ خَوْفًا عَلَى نَفْسِي ، وَتَضَادِيًا ثَمًّا يَلْحَقُ صَاحِبِي مِنَ الْمَكْرُوهِ
 وَالْإِعْنَاتِ سَبِي .

٣ — أَحَقُّ عِبَادَةِ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ وَارِدًا وَلَا صَادِرًا إِلَّا عَلَى رَقِيبُ
 ٤ — وَلَا زَائِرًا فَرْدًا وَلَا فِي جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا قِيلَ أَنْتَ مُسْرِبُ
 هذا شَرَحٌ لِلْإِشْتِهَارِ الَّذِي أَجْمَلَهُ ، وَالِاغْتِرَابِ الَّذِي أَشْتَكَى مِنْهُ . وقوله
 « أَحَقُّ » فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَفَى حَقِّي . « وَأَنْ لَسْتُ » أَنْ مَخْفَفَةٌ
 مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَمَوْضِعُهُ بِمَا بَعْدَهُ مَوْضِعُ الْإِبْتِدَاءِ ، وَأَحَقُّ فِي مَوْضِعِ الظَّهِيرِ . وقوله

(١) عبد الله بن الدمينه ، سبقت ترجمته في الخامسة ٤٥٦ من ١٢٢٣ .

(٢) ديوان ابن الدمينه ٧ — ١٤ .

« فَرَدَا » اتَّصَبَ عَلَى الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ « وَلَا زَائِرًا » مِنَ الْعَمَلِ ،
 فيقول : أَيْ حَقٌّ يَا عِبَادَ اللَّهِ أَنِّي لَا أَرِدُ الْوَادِيَيْنِ ، يَعْنِي وَادِي الْمَيَاهِ ، وَمَا
 ذَكَرَهُ فِيمَا بَعْدَ مِنْ ذِكْرِ الْكُتَيْبِ الْقَرْدِ ، وَلَا أَصْدُرُ عَنْهُمَا إِلَّا وَطَى رَقِيبٌ
 مُحَافِظٌ يَمُدُّ لِحَظَاتِي وَأَنْفَاسِي ، وَيَتَأَمَّلُ قُصُودِي وَإِرَادَاتِي ، وَلَا أَزُورُهُمَا مُنْفَرِدًا
 وَلَا فِي حِمَاةٍ إِلَّا وَسَلَّطْتُ عَلَى النَّهْمِ ، وَنُسِبتُ فِيمَا أُنْعَمُ بِهِ إِلَيَّ الرَّيْبُ ، حَقٌّ
 خَافَ عَلَى الْجَمَالِ ، وَأَظْلَمَ لِي لِلشَّرْحِ وَاللَّطَافِ .

وقوله « إِلَّا قِيلَ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ لَا أَزُورُهُمَا إِلَّا مَقُولًا فِيهِ ذَلِكَ .
 وَمَوْضِعُ « أَنْتَ مَرِيبٌ » الْجَلَّةُ رَفَعَ عَلَى أَنَّهُ قَامَ مَقَامَ فَاعِلٍ قِيلَ .

٥ — وَهَلْ رَيْبٌ فِي أَنْ تَعِيَنَّ نَجِيبَةً إِلَى إِلْفِهَا أَوْ أَنْ يَحِينَ نَجِيبٌ
 ٦ — وَإِنَّ الْكُتَيْبَ الْقَرْدَ مِنْ جَانِبِ الْحَيِّ إِلَى وَاتٍ لَمْ آتِهِ لِحَيْبٌ
 قوله « هَلْ رَيْبٌ » لِقَطْعِهِ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ النَّفْيُ ، فيقول : لَا رَيْبَ فِي حَنِينِ
 أَحَدٍ لِلتَّالِفَيْنِ الْكَرِيمِيَّ الْعَهْدِ إِلَى الْآخَرِ ، وَلَا اسْتِنكَارَ فِيمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ النَّفْسُ
 مِنَ الْهَوَى وَالْوُدِّ ، وَلَا مُحَاسَبَةً فِيمَا يُوْجِبُ لِلتَّحَابِّانِ وَيُؤْثِرَانِهِ مِنَ الْمَصَافَةِ عَلَى
 الْبَعْدِ ، وَإِنَّ مَوْضِعَ الْحَيْبِ مِنْ جَانِبِ الْحَيِّ قَلْبِي مُوَكَّلٌ بِهِ وَإِنْ لَمْ أَرْزُهُ ،
 إِذْ كَانَ مُجَانِبَتِي إِيَّاهُ ، وَتَأَخَّرَ عَنْهُ ، لَا يَبْقَانِي عَلَى الْحَالِ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَحْتَشِمُهُ ،
 وَلَا يَنْشَارِي صِيَانَتَهُ مِنْ تَحَدُّثِ الْوُشَاةِ فِيهِ لَا لِنَعِيرِهِ .

٧ — لَكَ اللَّهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي وَمَنْ بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُنِيبٌ^(١)

٨ — فَلَا تَتْرُكِي نَفْسِي شَمَاعًا فَلَيْهَا مِنْ الْوَجْدِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكَ تَذَوُّبٌ

٩ — وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ حَقًّا كَأَنَّمَا طَلَى بَظْهَرِ النَّيْبِ مِنْكَ رَقِيبٌ

(١) بَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَتَالِيهِ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ :

وَأَخِذْ مَا أُعْطِيَ عَفْوًا وَإِنِّي لَأَزُورُ عَمَّا تَكْرِهِينَ هَيَّوْبٌ

(٢٢ — حَلْسَةٌ — ثَالِثٌ)

قوله « لك الله » يجوز أن يكون دعاء لها ، والمعنى : إحسان الله لك ، وحفظه مشتعل عليك . ويجوز أن يكون قسما ، كما يقال أعطيك الله ، وجوابه إني واصل . وكأنه أقسم لها أو دعا لها بأنه يبقى على العهد لها مدة دوام مواصلتها وبقائها على الصفاة والإيثارة ، وأنه يوجب من إعطائها والثناء عليها ، ومكافأتها بالحسنى فيما تُسدى إليه وتؤليه ما ينتقى عنه سببه التخصير والإقصار . وَوَجَّهَ الدُّعَاءَ لها استعطافها وترقيق قلبها ، ويكون كالنسيب من السائل .

وقوله « فلا تترك نفسى شماعا » فالشماع : للتشعر ، وكذلك الشَّعْ . والفعل منه شَعَّ . ويقال : تطايرَ القومُ شماعا ، أى متفرقين . فيقول : احفظى نفسى عن الانتشار والزوال ، فإنها شارفت الذوب والسيلان وَجَدًا بك ، وشافقت التلث والبوار شوقًا إليك . ثم قال : وإني مستحي منك على البُعد ، إعظامًا لك ، وتهيبًا منك ، حتى كأن لك رقيبًا معى فى كلِّ حال ، فأنصف عن المنكرات ، وأنزه عن ذم القلات ، فكوفى لى على ما توجبهُ صورى ، وتنضيه قصى . ومثل هذا قول الآخر^(١) :

وإني لأستحي فطيمَةً طارِياً خيماً وأستحي فطيمة طارِماً
وإني لأسبحيك والغرقُ بيننا مخافة أن تلقى أخاً لي لا مئماً^(٢)

٥٦٠

وقال آخر :

- ١- تحل أحبابي ولم يجدوا وجدي ولناس أشجانٌ ولي شجنٌ وحدي
- ٢- أحبكُم ما دمتُ حياً فإن أمتُ فوا كيدا من يحبكُم بشدي

(١) هو الرقش الأسفر . الفضليات ٢٤٦ طبعه المعارف الثانية .

(٢) في الفضليات : « مارما » .

الشَّجَن : الحاجة ، والجَمْعُ الأشْجَان والشَّجُون . قال :

* وَالنَّفْسُ شَقِيٌّ شُجُونُهَا ^(١) *

وموضع « وَحْدَى » نصبٌ على المصدر ، وهو موضوع موضع الإيحاء ^(٢) .
يقول : ارتحلَ أصحابي ولم ينلهم من الوجد ما نالني ، وفي نفوس الناس حاجاتٌ ،
وقد أوحَدْتُ نفسي بحاجةٍ إِيحَاداً . ثم أَقْبَلَ على المحبوب مفسِّراً لشَجَنِهِ الذي
تفرَّد به ، فقال : أَحْبَبُّكُمْ مَدَّةَ حَيَاتِي ، وإِذَا مِتُّ فَوَا كَبْدًا مِنْ بِلَى حَبِّكُمْ
بَمَدَى . وهذا تحمُّشٌ في إثر ما يفوته من الهوى إذا طارق الدنيا . وَيُرْوَى :
« مَنْ ذَا يَحْبِبُّكُمْ بَمَدَى » .

وقد عيب الشاعر بهذا فقيل : لم يَرْضَ أَنْ جَمَلَ لَهَا مُحِبًّا حتى صار
يتحزَّن له . وقال بعضُ أصحاب اللعاني : في هذا غُلْمٌ للشاعر ، وذلك أَنَّ غرضه
في التلمس مُحِبًّا لَهَا إِشَادَةً ذِكْرَهَا ، وإِعْلَاهُ قَدْرِهَا ، وتشهيرُهَا عند الناس حتى
يصيرَ لَهَا الجاهُءُ عند السلاطين . قال : وكثيرٌ من نساء العرب طَلَبْنَ التشبيب
من الشراء مع العِفَّة ، كعَزَّةَ ، وليلى ، ومَيْمَةَ ، وخلقاءَ بنى أُمَيَّةَ وأقرانها من
الأُمراء معهنَّ محاورات .

وَيُرْوَى عن بعض السَّلف الصالحين ^(٣) أَنَّهُ حَجَّ ، فلما قَضَى نُسْكَهُ قال
لصاحبٍ له : هَلَمْ تَتِمَّ حَجَّتُنَا ؟ أَلَمْ تَسْمَعْ قول ذِي الرُّمَّة :
تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ يَقِفَ اللَّطَائِلُ عَلَى خَرَائِفِ وَأَضِيعَةِ النَّاسِ

(١) وكذا استشهد بهذه القطعة ابن فارس في المعاني (شجن) . والبيت بتمامه كما
في اللسان :

ذَكَرْتُكَ حَيْثُ اسْتَأْمَنَ الْوَحْشُ وَالتَّغْتُ رَفَاقِي بِهِ وَالنَّفْسُ شَقِيٌّ شُجُونُهَا
(٢) انظر الكلام على « وحده » و « وحدي » بتفصيل في شرح الألفوني وهاشية
الصبان (باب المال) .

(٣) هو النبي ، أو محمد بن الحجاج الأسدي ، أو الحجاج الأسدي . الأغاني (١٦) :
١١٩ ، ١٢٠ / ٢٠ : ١٤٠ - ١٤١ .

والطريقة في نُصْرَتِهِ وتَحْسِينِ قَوْلِهِ ما قَدَّمْتُهُ .

وأشنع من هذا قول الآخر^(١) :

أَهْمُ بَدْعُهُ ما حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ أَوْ كَلَّ بَدْعُهُ مَنْ يَهْمُ بها بَعْدِي
وقد قيل في هذا أيضاً : إنه لو قال :

* فلا صَلَحْتُ دَعْدُ لَدَيْ خَلْفِ بَعْدِي *

لكان صواباً ، سلا عما يهجنه .

٥٦١

أبو حية التميمي^(٢) :

١ - رَمَتْهُ أُنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةٍ هَامِرٍ رَقُودُ الضُّحَى فِي مَأْتَمٍ أَيْ مَأْتَمٍ^(٣)

٢ - فَجَاءَ كَغُوطِ الْبَنَانِ لِمَتَابِيعٍ وَلَكِنْ يَسِيراً ذِي وَقَارٍ وَمِيسَمٍ
أُنَاةٌ أَصْلُهُ وَنَاةٌ ، لِأَنَّهُ مِنَ الْوَتِي : الْفَتُورِ وَالْكَسَلِ .

والواو المفتوحة لم تُبدَلْ منها الهمزة إلا في أحرف قليلة ، وهي « أُنَاة » في
صفة المرأة الثقيلة الناعمة . و « أَحَدٌ » صفةً واسماً للعدد ، وما جاء في الحديث من
قولهم^(٤) : « أَيْ تَالِ أَدْبَيْتُ زَكَاتُهُ قَدْ ذَهَبَتْ أَيْلَتُهُ » ، يُرَادُ وَبَالُهُ . وقال
أبو زيد : الْأَبْلَةُ فِي الْعُلَامِ أَصْلُهُ الْوَابِلَةُ . ويقال « أَيْجَتْ أَجُومًا » فِي وَجِئَتْ .
فهذه الأحرفُ جاءت على ما ترى .

(١) هو التمر بن تولب ، كما في الأغاني (١٩ : ١٥٩ ، ١٦٠) ، قال أبو الفرج :
« والناس يروون هذا البيت لنصيب ، وهو خطأ » . انظر أيضاً الأغاني (١١ : ١٨) .

(٢) سبقت ترجمته في الخامسة ٤١٦ ص ١٣١٤ .

(٣) التبريزي : « نَوْمُ الضُّحَى » .

(٤) هو حديث يحيى بن يسر ، كما في اللسان (أبل) .

وقوله « رقاد الضحى » وصفها بالترفة ، وأنها مكففة الخدمة ، فهي تنام القيلولة . وهذا كما قال امرؤ القيس :

* نَوَامُ الضُّحَى لَمْ تَنْطِقْ عَنْ تَفَضُّلٍ ^(١) *

وللأنم : الذساء يجهمن في الخير والشر . يقول : نظرت إلى هذا الرجل امرأة طلعت عليه في جملة نساء ، مترفة منسمة سمينة ، تنام عن شؤونها أوقات الضحى ، لأن لها من يكفيها كل ما نهم له فتفتته ، ثم أقص كيف نصبت الحيلة له ، ومن أين وقع فيها حتى اصطادته ، فقال : جاء الرجل وكأله غصن باني لحسن شطاطه وطراة شبابه ، لا متهافت في مشيه وتمرفه ، ولا خفيط طائش في وروده وصدوره ، ولكن بلامه ذي سكون ، وميسر ذي صلاح وهذو . والتتابع يوصف به الحيران والسكران إذا رمى بنفسه . وتتابع البعير في مشيته ، إذا حرك أواحه حتى كأنه يتفكك . وللأنم أصله من الأنم ، وهو أن تلتقي الخرزتان فتصيرا واحدة . وموضع « كخوط » نصب على الحال من جاء . والخوط : النصف الناعم لسنة . وقوله « لا متتابع » ارتفع لأنه خير مبتدا محذوف ، كأنه قال : لا هو متتابع . وقوله « ولكن » استدراك بعد نفى ، أى جاء غير متتابع ولكن بهذه السبب .

٣ - قُلْنَ لَهَا سِرًّا فَدَبْنَاكَ لَا بَرُحَ صَحِيحًا وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْهُ فَالْمِي

٤ - فَأَلْقَتْ فَنَاعَاكَ وَنَهَ الشَّمْسُ وَأَنْقَتَ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفَتْ وَمَقَصَمَ

٥ - وَقَالَتْ فَلَمَّا أَفْرَغَتْ فِي فُؤَادِهِ وَعَيْنِيهِ مِنْهَا السَّحَرُ قُلْنَ لَهُ قُمْ

قوله « سِرًّا » يجوز أن يكون مصدرًا في موضع الأمر ، كأنه قال ساربه .

مُسَارَّةً ، موضع الشر في موضع المسارة ، ويكون على هذا قوله « لا برح » جواب

الأمر الذي دلَّ عليه سراً . ويجوز أن يكون سراً مصدراً في موضع الحال ،
ويكون لا يَرَّحُ مجزوماً بلا النحر . وجعل النحر في اللفظ للرجل والمرأة هي
المنهية ، كما يقال : لا أرْيَنُكَ هنا . وللعنى : لا تكن هناك فأراك ، والرداد :
لا تدعيه يروح صحيباً . يقول : قالت النساء الحنَّفة بالأناة المذكورة لها : أشيرى
إليه في السرِّ إشارةً تفتنه ، واعرضي عليه من محاسنك ما يُجْبِلُ قلبه بعد تعرُّضه
لنا في سَمْتِه ووقاره حتَّى لا يروحَ عنَّا صحيبا ، وإن لم تُبَالِغِي في استغوائه وقتله
عن رشاده ، وإهلاكه ، فكوني منه على أوقى محلٍّ . فالتجرتُ لمنْ وألقتُ فِئاعاً
وراء الشمس ، أى وجهه إشراقه كإشراق الشمس ، فعرضت وجهها ثم سترته
فأبدت كَفَّها ومِعصمها - وهو موضع السوار من يدها - أيضاً ، وتكلَّمتُ
بكلامٍ كالمنكورة من نفسها ما اتفق عليها ، والمستحجية للتذمَّة من حالها ، فلما عَلِمَ
النساء أنها أفرقت في فؤاده بالكلام ، وفي عينيه بالكفِّ والوجه السَّحرَ أى
صَبَّتْ - قلن للشَّابِّ التمرُّض : قمْ عنَّا فأنك لِمَا نَابِكُ^(١) وأنت لا تعلم .
والسَّحر : إخراج الشيء في أحسن معارضة حتَّى يَفِنَ ، لذلك قيل للرائق
المُعجِب : هو السَّحر الحلال . يقال : سَحَرْتُ القِصَّةَ ، إذا طَلَّيْتُهَا بالذهب .

إن قيل : أين مفعولُ قالت ؟ قلت : إنَّه هنا في معنى تكلَّمتُ ، فاستغنى
عن المفعول . ومثله قولُ عمر بنِ أبي ربيعة :

* حُلَاجَةُ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا^(٢) *

أى لم تتكلم .

(١) في النسخين : فأنك لما بك . التبريزي : « وروى : قلن له اسم ، على الغلب
أى احزن وتوجد من العشق » .

(٢) مجزؤه : * تبتلع عنفراً واللغة عنبر * .

٦ - فَوَدَّ يَجْذَعُ الْأَنْفِ لَوْلَا أَنَّ صَحْبَهُ تَنَادَوْا وَقَالُوا فِي الْمُنَافِخِ لَهُ تَمَرٌ يَقُولُ : انصرفت عنهم وهو يتعنى أن جُدَعَ أَنْفُهُ فِي وَقْتِ مَا هُمْ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ ، وَيَمْنُهُ أَصْحَابُهُ مِنَ التَّعَرُّضِ لَهُمْ ، وَقَالُوا لَهُ : تَمَّ فِي الْمُنَافِخِ وَلَا تَبْرَحْ ، وَيَمْحُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : وَدَّ أَنْ يَتْرَكَهُ صَحْبُهُ وَيَقُولُوا لَهُ : تَمَّ فِي الْمُنَافِخِ وَلَا تَتَّبِعْنَا ، وَأَنَّ أَنْفَهُ قُطِعَ . وَالْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ « يَجْذَعُ » هُوَ الْقِي يُفِيدُ مَعْنَى الْيَوْضِ . يَقُولُ : هَذَا بِذَلِكَ ، أَيْ عَرَضٌ مِنْ ذَلِكَ .
وقوله « تَنَادَوْا » يَمْحُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ تَجَمَّعُوا ، مِنَ النَّدَى وَهُوَ الْجُلُوسُ ؛ وَيَمْحُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ النَّدَاءِ ، أَيْ تَدَاعَوْا وَقَالُوا لَهُ ذَلِكَ .

٥٦٢

وقال آخر^(١) :

١ - نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ رُجَاجِيَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
٢ - فَمِثْلِي طَوْرًا تَغْرَقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَعْنِي وَجِينَا تَحْصِرَانِ فَأُبْصِرُ
يقول : وَقْتُ بَدَارِ الْأَحْبَةِ فَتَوَهَّتُ آيَاتُهَا ، ثُمَّ عَرَفْتُهَا فَمِثْلُ لِي مَنْ كَانَ بِهَا ، وَتَطَرَّعِي مَا كَانَ دَارِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، فَأَعْنِي وَرَقَّتْ عَيْنَايَ مِنَ الدَّمْعِ تَحْصِرًا وَتَوَجُّعًا ، وَبَقِيتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَى الدَّارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ مِنْ وَرَاءِ رُجَاجِيَةٍ فَلَا أَتَبَيَّنُ الْأَمَارَ ، وَإِذَا انْهَمَكْتُ بِمَا فِيهَا عُدْتُ فِي صِحَّةِ الْإِدْرَاكِ بَعْدَ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ . وَقَدْ سَمِعْتُ الْقَوْلَ فِي حَقِيقَةِ النَّظَرِ .

فَأَمَّا « تَحْصِرَانِ » فَيَمْحُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِ : حَسَرَ الْبَحْرُ ، إِذَا نَصَبَ

(١) ابن جني في التلخيص : « وهو أبو حية » . وحسنه النسبة أيضا في اللآلئ ٢٦٥ .
وأما للرضي (١٠٣ : ٧) . ونسبت في زهر الأدب (٨٢ : ٤) إلى المجنون . ولبيت
الأول قصة في الأغاني (١٠٣ : ٢١) .

الماء عن ساحله ؛ ويجوز أن يكون من حَسَرَتْ القِنَاع ، ويكون على هذا مفعوله مخنوقاً . والأوّل أحسن . ومن الثاني قولهم : امرأةٌ حسنةٌ للمَحَاسِر ، كما يقال حسنةٌ للمَتَارِي . وتلخيص البيت الأوّل : كَأَنِّي مِنْ قَرطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ إِلَى الدَّارِ مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ . وَالْعُلُوزُ : التَّيَّارَةُ . ويقال : النَّاسُ أُلُطَارٌ ، أى على أحوالٍ شَتَّى .

٥٦٣

وقال آخر ^(١) :

١- فَمَا شَفَتَا خَرْقَاءَ وَاهِيَةِ الْكَلَى سَقَىٰ بِهِمَا سَاقِي فَلَمْ يَتَبَلَّلَا ^(٢)

٢- بِأَضْمِغٍ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كُلَّمَا تَوَهَّمْتُ رَبِّمَا أَوْ تَذَكَّرْتُ مَنَزِلَا

المخرقاء : التى لا يرفق لها فى الأعمال ولا بصيرة . والشَّئَةُ ، أراد بها هنا الدَّوَّ الخلق ، وهى السَّعَاءُ البالى فى الأصل . ويقال : لِقَطَرَانِ الماءِ مِنَ الشَّئَةِ شيئاً بعد شيء ، الشَّيْنُ ، ثم يُسْتَعْمَلُ فى الدَّمْعِ . قال :

* يَا مَنْ لِدَمْعٍ دَائِمٍ الشَّيْنُ ^(٣) *

ولم يرض بأن جعل الدَّوَّ خلقاً حتى جعلها لامرأة لا تحسن عملاً من خَرْزٍ وغيره ، فكانت تُصَلِّحُها ، ثم جعل سَقَى الإبل بها قبل تهللها وانسداد خَرْزِها وتُهْبِها . فيقول : ما دَلَّوْا نِ هذه صفتُهما بأشدَّ إضاعةٍ للماءِ من عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كلما تَوَهَّمْتُ دارَ الحبيبِ وهى مأهولة ، أو تَذَكَّرْتُ مَنَزِلَا من منازل سفرِها وهى متجمعة .

(١) هو غيلان ذو الرمة كما فى أمال الخليل (١ : ٢٠٨) وزهر الآداب (٤ : ٨٢)
واللسان (١٩ : ١١٦) وملحقات ديوان ذى الرمة ٦٧١ . وانظر مجاليس طب ٤١٣ .
(٢) الجيريزى : « وما شفتا خرقاء واهيتا الكلى » . وروى : « ولما تبللا » .
(٣) أنشده فى القاموس (٣ : ١٧٦) واللسان (هن) .

وقوله « بأضيق من عَيْنِكَ » كان الواجب أن يقول : بأشد إضاعةً للدمع ، فجاء به على حذف الزوائد ، أو على طريقة سيويه في جواز بناء التمجيب مما كان على أقل مما زاد على الثلاثي خاصة .

٥٦٤

وقال أبو الشيص^(١) :

١- وَقَفَ الْمَوَى بِحَيْثُ أَنْتَ فَبَلِسَ لِي مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ

٢- أَجِدُ لِللَّامَةِ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِدِكْرِكَ فَلَيْسُنِي الْوَمُ

يقول : حبسني الموى في الموضع الذي تستقرين فيه ، فأزمت ولا أفرقه ، فأنما ممتك مقيمة وظاعنة ، لا أعذل عنك ولا أميل إلى سواك ، ومن لامي فيك أستلذ لومته محبةً لذكرك ، ووجدًا باسمك ، فليستمر اللاعنون في أقوالهم ، ولتندم عظامهم على وإنكارهم ، فإنهم لا يحدون متى أتباعًا ولا رجوعًا ، ولا ملالًا في ولا قصورا . وقوله « حُبًّا لِدِكْرِكَ » انتصب لأنه مفعول له ، وبيان لعلته لذته ، بما يجلب على غيره ضجرًا ، وهو اللوم .

ومثل هذا قول الآخر^(٢) :

* وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرَّكْبَ عَهْدُكُمْ عَهْدِي^(٣) *

يريد ، أنه يستلذ ذكرها .

وقوله « حيث أنت » خبر المبتدأ وهو أنت محذوف ، كأنه قال : حيث

(١) اسمه محمد بن عبد الله بن رزين . وأصل معنى الشيص : الردى من التمر . وهو ابن عم دعلج الشاعر ، كان في زمن الرشيد معاصراً لأبي نواس ، وعمر في آخر عمره . وله مراث في عينية قبل ذهابها وبعده . توفي سنة ١٩٦ . الأغاني (١٥ : ١٠٤ - ١٠٨) ونكت المبيان ٢٥٧ - ٢٥٨ والشعراء ٨٢٠ - ٨٢٥ ومعاهد التخصيص (٢ : ١٤٢) .

(٢) هو ابن هرم السكاني ، كما سيأتي في اللطوعة ٥٨٨ .

(٣) صدره : * وأستغفر الأخيار من نحو أرضها * .

أَنْتِ وَاقِعَةٌ ، لِأَنَّ « حَيْثُ » فِي الْأَمْكَنِ بِمَنْزِلَةِ حَيْنَ فِي الْأَزْمَةِ ، فِي حَاجَتِهِ إِلَى جَلِيلَيْنِ ، وَلِلتَّأَخُّرِ وَالتَّقَدُّمِ بِمَنْزِلَةِ التَّأَخُّرِ وَالتَّقَدُّمِ ، فَهِيَ مُصَدِّرَانِ .

٣ - أَشْبَهْتُ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أَحِبَّهُمْ إِذْ صَارَ حَقِّي مِنْكَ حَقِّي مِنْهُمْ^(١)

٤ - وَأَهْنَيْتَنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي صَاحِرًا مَا مِنْ يَهُونَ عَلَيْكَ يَمِّنٌ أَكْرَمُ^(٢)

يقول : وَاقَعْتُ فِي مُوَاصَلَتِي أَعْدَائِي أَخْذًا فِيهِ أَكْرَهَهُ وَأَتَسَخَّطُهُ ، وَذَهَابًا عَمَّا أَحْبَبَهُ وَأَرْضَاهُ ، وَلِأَنَّ حَقِّي مِنْكَ فِيهِ أَرْوَمُهُ يَمَاطِلُ حَقِّي مِنْ أَعْدَائِي فِيهِ أَسْوَمُهُمْ فَأَتَقَرَّبُ قَلْبِي حُبِّهِمْ ، وَانْتَصَبَ إِلَى جَانِبِهِمُ اللَّيْلُ مَعَهُمْ لِمُشَابَهَتِكَ لَهُمْ ، وَمِمَّا ثَلَّةٍ فَعَاثَكَ لِقَاعُهُمْ ، وَأَذَلَّتَنِي فَأَذَلْتُ نَفْسِي عَلَى صُغُرٍ مِنِّي ، اقْتَدَاءً بِكَ ، وَعِبَانِيَّةً لِلْعُخْلَافِ عَلَيْكَ ، وَلِأَنِّي لَا أَرَى كِرَامَةً مِنْ تَرَيِّنِ هَوَانِهِ ، وَلَا إِرْضَاءً مِّنْ تَرَيِّنِ إِسْخَاطِهِ . وَاتَّصَبَ « صَاحِرًا » عَلَى الْحَالِ مِنْ أَهْنَتُ . وَقَوْلُهُ « يَمِّنٌ أَكْرَمُ » الْمَائِدُ إِلَى الْمَوْصُولِ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يَمِّنٌ أَكْرَمُهُمْ . وَقَوْلُهُ « حَقِّي مِنْهُمْ » يَرِيدُ بِهِ التَّشْبِيهَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : كَحَقِّي مِنْهُمْ ، وَمِنْكَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَكَذَلِكَ مِنْهُمْ .

٥٦٥

وقال آخر :

١ - وَلَا غَرَوُ إِلَّا مَا يُخَيَّرُ سَالِمٌ بَانَ بَنِي أَسْتَأْهِمَهَا نَذَرُوا دَيْمِي^(٣)

٢ - وَمَا لِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عَلَيَّ سَيَرَى أَنَّنِي قَدْ قَلْتُ يَا سَرَحُهُ أَسْلَمِي

٣ - نَعَمْ فَأَسْلَمِي نَعَمْ فَأَسْلَمِي ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمِي

(١) ل وَالتَّبَرُّزِي : « إِذْ كَانَ حَقِّي » .

(٢) فِي الْأَسْل : « يَا مَن يَهُونُ عَلَيْكَ » ، سِوَاهُ مِنْ ل وَالتَّبَرُّزِي . وَ « مَا » فِي قَوْلِهِ « مَا مِنْ » مِ النَّافِيَةِ .

(٣) حَقًّا مَا قُل وَالتَّبَرُّزِي . وَفِي الْأَسْل : « لَا غَرَوُ » بِالْهَرَمِ .

معنى « لا غَرَوْ » لا عَجَب ، وخبر لا محذوف ، كأنه قال : لا فَرَوْ في الدنيا ، أو موجود . وموضع « ما يُخَيَّر » رفع على أنه بدل من موضع لا غَرَوْ . وإنما قال « بنى أمتائها » لأنه يريد أنهم غَرُّوْنَ لا مولودون . فيقول متهافناً^(١) : لا عَجَب إلَّا ما يُخَيَّرُ به سالمٌ ، بأن سقاطها والذين لا عقول لهم فيها ، قالوا : لله علينا سَفَكٌ دَمِهِ . ثم قال : هذا اعتقادهم وأقوالهم ، ولا جناية لى عليهم ، ولا ذَنْبٌ مِنِّي أَهْتَدَى إِلَيْهِ فِيهِمْ سِوَى قَوْلِي : يَا سَرْحَةُ أَدَامَ اللَّهُ لَكَ السَّلَامَةُ - وكان جَمَلُ « سرحة » ، [وهي شجرة^(٢)] ، كناية عن امرأة فيهم - ثم قد قلتُ وأقولهُ مكرراً : أسلى أسلى . يُغَايِظُهُمْ وَيُنَاكِدُهُمْ بهذا المقال .

وقوله « سوى أُنْتِ » موضعه من الإعراب استثناء خارج . و « يا سرحة » إذا ضُمَّتْ فالضَّمَّةُ الْأَصْلُ في استعمال اللنادى للقرء المعرفة ، وإذا فَتَحَتْ فلاعتيادهم الترخيم في مناداة ما في آخره هاء التأنيث ، أُنْثَوِ وَنَوُوا الترخيم فحفظوا حركة حركة المرثمة منه ، وهي الفتحة .

وقوله « نم » وإن كان في الأصل حرفاً يُوجِبُ به ويُجَابُ في الاستفهام المحض فقد يُتَوَصَّلُ به إلى بَسْطِ الْكَلَامِ وَصِلَتِهِ . وقوله « ثلاث نحيات » انتصب على المصدر من فعلٍ دلَّ عليه قوله أسلى ، كأنه قال : أحيى ثلاث نحياتٍ ، وإن لم تَرَجِ الْجَوَابَ إِلَى . والسَّرْحُ من العضاء ، ويكون دَوْحُهُ مَحْلَلًا لَيَحْمِلُ النَّاسَ نَحْتَهَا فِي الصَّيْفِ . وقال القراء : كلُّ شجرة لا شوك فيها فهي سَرْحَةٌ ، ذهب إلى السَّرح ، وهو السَّهل .

وقال ابن هرمة وكفى بها عن امرأة :

سَقَى السَّرْحَةَ لِلْحَلَالِ دُونَ سَوْيَقَةٍ نَجَّاهُ الزَّيَا مَرْتَعًا هَطُولُهَا

(١) التهاف : التضاحك ، والضحك بالسخرة . وفي الأصل : « متهافا » تعريف .

(٢) الشجرة من ل .

وقد تسمى للرأه « سرحة » .

٥٦٦

وقال خلد مولى العباس بن محمد ^(١) :

١ - أما والرافصاة بذات عرق ومن صلى بئمان الأراك

٢ - لقد أضرت حبك في فواى وما أضرت حبا من سواك

٣ - أرتب الأمر بك بصرم حبل مريم في أحبتهم بذلك ^(٢)

٤ - فإن هم طاعوك فطاعهم وإن عاصوك فاعصى من عصاك

أقسم بالحبيج وبرواحلهم التى ترعى بهم فى السور متوجين بواى عرفة وذات عرق إلى بيت الله عز وجل . وأضاف نعمان إلى الأراك لكثرة بها .

وجواب البين قوله « لقد أضرت حبك » . والمعنى أنه أقسم أن ودّه لها

مكتوم انطوى عليه قلبه ، وخالف فيها قد أكنه ضميره لا يشاركها فيه عدل ،

ولا يمازىها بسببه قسم ، وإنما يتحمد عليها بحفظ السرار ، وتخليص العقيدة ،

وشغل القلب والعقل بعبارة الهوى لها . ثم أقبل عليها فقال يخاطبها : أعلمت

الذين يشيرون عليك بقطيقتى والتسكلى ، وجدّ الأسباب واللوايق بينى

وبينك ؟ كرمى عليهم مستدرجة لم ، وعاجلة تنصّحهم ، وأمرهم فى أحبتهم

بمثل ما أمروك فى ، فإن وجدتهم سامعين لك ، وصاترين إلى القبول منك ،

فخذى أنت أيضا مأخذهم ، والنزى طاعتهم . وإن وجدتهم متأينين عليك

مخالقين لك ، فأعصى من عصاك ، ودعى الاستقامة إلى رأى من لا يرى لك

(١) التبريزى : « مولى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس »

(٢) ل والتبريزى : « أعلمت الأمر بك » .

مثل ما يراه نفسه . وكان الواجب في قضية سياق الكلام أن يقول : وإن عاصوك فماصيهم ؛ فسدل عن الإتيان بالضمير إلى ذكر الظاهر ، ليبين فيه ما يشنع به عليهم ، وليظهر السبب الموجب للإغراء بهم ، والانصراف عن رأيهم . ولو قال : فاعصيهم لم يبين ذلك فيه .

وقوله « أَرَيْتَ » أصله أَرَأَيْتَ ، حذف الهمزة منه حذفاً كما حذف في يَرَى ، وترى ، وترى .

٥٦٧

وقال أبو القمقام الأسدي :

- ١- إقرأ على الوشل السلامَ وَقُلْ لَهُ كُلُّ الشَّارِبِ مُذْ هُجِرْتَ ذِمٌّ^(١)
 - ٢- سَقِيَا لِظِلِّكَ بِالْعِشْيِ وَالضُّحَى وَابْتَرِدِ مَائِكَ وَالْمِيَاهُ حِمٌّ
 - ٣- لو كنتُ أُمْلِكُ مُنْعَ مَائِكَ لَمْ يَنْقُ مَا فِي قِلَاتِكَ مَا حَيْثُ لَيْسِمُ
- الوشلُ هاهنا : ماء معروف في أرض محبوبه . وقال اللزدي : الوشلُ : موضع معروف بعينه . والوشل : الماء القليل يترقب على وجه الأرض . وقال صاحب العين : الوشلُ محركٌ : الماء القليل يتقلب من صخرة أو جبل ، يقطر منه قليلاً قليلاً . والواشل : القاطر ، يقال : جبسلُ واشِلٌ : يقطر منه الماء . والشاعر أهدى إليه التحية ، ورأسله أن للشارب كلها مذمومة عنده منذ تحول عنه وترك وزوده . ثم دعا لظلك بالسقيا فقال : سَقِيَا لِظِلِّكَ بِالْعِشْيِ وَالضُّحَى . والظلُّ يكون للشجرة وغيرها بالنداء ، والقي بالشيء ، فكان في الواجب أن

(١) ياقوت : « الجوهري : وشل اسم جبل عظيم بلحية تهامة » . وأند ياقوت بين حنا البيت وتاليه :

جبل يزيد على الجبال إذا بنا بين الرياح والجوهر ميم
تسرى السباحيت في أكتافه وميت فيه من الجنوب نسيم

يقول : سَقِيَا لظِلِّكَ بِالْغَدَاةِ ، وَلَقَيْتُكَ بِالْعَشِيِّ * . أَلَا تَرَى قَوْلَ الْآخَرِ (١) :
 فَلَا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى نَسْتَعْلِمُهُ وَلَا النَّيَّ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ نَذُوقُ (٢)
 إِلَّا أَنَّهُ سَمَى النَّيَّ ظِلًّا لَتَشَابُهِمَا فِي مَنَظَرِ الْعَيْنِ وَالْفَنَاءِ (٣) . فَلَمَّا تَسَاوَيَا
 وَأَجْرَى عَلَيْهِمَا مِمَّا لَفْظَةَ الظِّلِّ ، وَكَانَ الْوَاوُ يُفِيدُ الْجَمْعَ مِنْ دُونَ التَّرْتِيبِ — لَمْ
 يُبَالِ أَنْ يَقُولَ بِالْعَشِيِّ وَالضُّحَى ، فَيَقْدِمَ بِالْعَشِيِّ ، وَإِنْ كَانَ الظِّلُّ أَلْتَقَى بِأَنْ
 يَلِيقَ بِالضُّحَى لَوْ جُرِدَ . وَلَمْ يُشَبَّ هَذَا قَوْلَ الْقَائِلِ : فَلَانَ أَشْمَرُ الْحَيْنِ وَالْإِنْسِ ،
 لَعَرِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْمَطُوفِ وَالْمَطُوفِ عَلَيْهِ طَلَبٌ لِلطَّابِقَةِ وَالْمَوَاقِفَةِ . أَلَا تَرَى
 أَنَّ الْوَجْهَ فِي هَذَا أَنْ يَقَالَ : فَلَانَ أَشْمَرُ الْإِنْسِ وَالْحَيْنِ لِيَصِحَّ لَفْظُ الْأَوَّلِ ،
 وَيُضَافُ أَشْمَرُ إِلَى مَا هُوَ بَعْضُهُ نَحْوُ : يَحْيَى الثَّانِي ؛ وَأَنْ قَوْلَكَ : سَقِيَا لظِلِّكَ وَقَدْ
 نَوَيْتَ إِجْرَاءَ الظِّلِّ لِلْفَاءِ أَيْضًا صَارَ حَكْمُهُ حَكْمَ اللَّفْظَةِ الْمَوْضُوعَةِ لِشَيْئَيْنِ . فَإِذَا
 كَانَ كَذَلِكَ فَأَيُّهُمَا أَوْ لَيْتَهُ مِنَ الْعَشِيِّ وَالضُّحَى فَقَدْ وَقَعَ إِلَى جَنْبِ
 مَا يَطَابِقُهُ وَيُوَاقِفُهُ .

فَإِنْ قِيلَ : لَوْ سَلِمَ لَكَ مَا قَوْلُهُ وَتَدْعِيهِ مِنَ الْاسْتِمَارَةِ لِمَا سَلِمَ الْكَلَامُ الْمُنْتَازِعُ
 مِنْ أَنَّهُ جَاءَ عَلَى غَيْرِ حَدِّهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الظِّلَّ يَكُونُ فِي الضُّحَى حَقِيقَةً وَفِي الْعَشِيِّ
 تَجْزَاءً ، وَإِجْرَاءُ الْكَلَامِ عَلَى حَدِّهِ أَنْ يُقَدِّمَ مَا يَكُونُ حَقِيقَةً عَلَى الْجَزَاءِ . قُلْتُ :
 إِنَّ الظِّلَّ فِيمَا حَكَاهُ الْخَلِيلُ ضِدُّ الصَّحْحِ ، وَيُقَالُ : أَفَاءَ الظِّلُّ وَتَنَيَّأَ . وَفِي الْقُرْآنِ :
 ﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ (٤) ، هُوَ ظِلٌّ قَبْلَ التَّمَيُّؤِ وَبَعْدَهُ ،

(١) هُوَ حَبِيبُ بْنُ ثَوْرٍ . دِيوَانُهُ ٤٠ .

(٢) يَرَوِي : « تَسْتَعْلِمُهُ » وَ « تَذُوقُ » بِالتَّوَقُّفِ فِيهَا ، عَلَى التَّجْرِيدِ . وَقِيلَ :

حَتَّى ظَلَمَهَا شَكْسُ الْحَقِيقَةِ خَالَفَ عَلَيْهَا مُحَرَّمَاتُ الطَّائِفَةِ شَفُوقُ

(٣) الْأَصْلُ : « الْفَنَاءُ » ، سَوَابِغُهُ لَوْ . وَالْفَنَاءُ : الْفَائِدَةُ وَالنَّفْعُ وَالْكَفَاةُ .

(٤) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَيُضَوِّبُ وَالزُّبَيْرِيُّ : « تَنَيَّأَ ظِلَالُهُ » ، وَبَاقِي الْقُرْآنِ : « يَتَفَيَّأُ » ،

بِالنَّذْكَ ، لِأَنَّهُ تَأْنِيهِ جَزَائِي . لِخَصَافِ فَضْلَاهُ الْبَصَرِ ٢٧٨ فِي سُورَةِ النُّحْلِ .

وإنما نسخهُ للشمس هو الذي صار به فيثًا ، وإذا كان كذلك لم يكن من باب ما يكون حقيقة في شيء ، ومجازاً في آخر ، وهذا بين .

وقوله « والمياه جميع » فالواو فيه للابتداء ، وهو واو الحال .

وقوله « لو كنت أمّك منّعت ما بك » جواب « لو » هو قوله « لم يذق » .

وهذا الكلام فيه إظهار الضنّة بالماء المذكور ، واستمراره في الحسد إلى كل حذر معلوم بسببه ، حتّى كان يزعمه يمنع عنه اللّثام مدّة حياته ، ويعنى به أربابه فيأظنه ، لأنهم أعداؤه . والقلائت : جمع القلت ، وهى حفرة في الجبل يستنقع فيها ماء المطر .

٥٦٨

وقال ابن التميمية^(١)

وقد كتب بها إلى أمانة^(٢) :

١- وأنت التي كلّفتني دلّج الشرى وجون القطا بالجهلّتين جُثوم

٢- وأنت التي قطعت قلبي خرازة وقرّفت قرح القلب وهو كليم^(٣)

٣- وأنت التي أحفظت قومي فكلمهم بعيد الرضا داني الصدود كظيم^(٤)

قوله « دلّج الشرى » ، فالشرى : سير الليل ، والدلّج : السير في بعض الليل .

ويقال : سار دلّجة ، أى ساعة من أوّل الليل ، فلذلك أضاف الدلّج إلى

الشرى ، فجرى مجرى إضافة البعض إلى الكل . والشاعر يمدّد عليها ما ناله

(١) سبقت ترجمته في المحاسنة ٤٥٦ ص ١٢٢٣ . والشعر في ديوانه ٣٦ - ٣٧ والميوان (٣ : ٥٥) والأغانى (١٥ : ١٤٨) وسامد التنصيص (١ ، ٥٨) .

(٢) هذه البارة لم يذكرها التبريزي .

(٣) يروى : « وقرحت » . و « فهو كليم » .

(٤) الميوان : « أسخطت قومي » .

حالاً بعد حالٍ من ضروب المشقات والمتآلف فيها ، فيقول : تَحَمَّلْتُ فَيْكَ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَبَلِيَّةٍ ، فَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتَنِي الشَّرَّ وَالسَّيْرَ ، وَرُكُوبَ الْخَطَرِ بِاللَّيْلِ وَالطُّيُورِ سَاكِنَةً فِي عَيْشَتِهَا^(١) لَمْ تَبْرَحِ ، وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتِ جَوَانِحِي ، وَصَدَعْتِ جَوَانِبَ كِبْدِي حَزَازَةً بِدَوَامِ تَمَتُّعِكَ وَتَشْدِيدِكَ ، وَاتَّصَلَ جَفَانُكَ وَأَطْرَاحُكَ - وَالْحَزَازَةُ : وَجَعٌ فِي الْقَلْبِ - فَتَنَكَّاتِ الْكَلَمِ مِنْ قَلْبِي قَبْلَ انْدِمَالِهِ ، وَقَشَرْتَ جُلْبَتَهُ عِنْدَ صَلَاحِهِ وَالتَّثَامَةِ ، فَأَرَاهُ أَبَدًا دَائِمِي الظَّاهِرِ فَاسِدَ الْبَاطِنِ ؛ وَأَنْتِ الَّتِي أَغْضَبْتِ عَلَيَّ مَغْشَرِي ، وَأَفْسَدْتَ عَلَيَّ رَهْطِي وَأَعِزَّنِي ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِذَا خُبِرَ وَاسْتَكْشِفَ بَيْدُ الرِّضَا عَنِّي ، قَرِيبُ الْيَهْرَانِ لِي ، مِمْلَى الصَّدْرِ مِنْ بُغْضِي ، يَكْظِمُ غَيْظَهُ بِمِثْلَا ، وَيُسِرُّ نَكْرَهُ تَصَبُّرًا .

وقوله « جُونُ الْقَطَا » ، جَمْعُ جُونِيَّةٍ . قَالَ :

* جُونِيَّةٌ كَحِصَاةِ الْقَسَمِ *

وهذا كما يقال عَرَبِيٌّ وَعَرَبٌ ، وهذا الجمع كالجمع الذي ليس بينه وبين واحد في اللفظ إلا طرح الماء ، نحو تَمَرَةٍ وَتَمَرٌ وَمَا أَشْبَهَهُ . وَجُنُومٌ : جَمْعُ جَانِمٍ وَجَمَّ الطَّائِرُ ، إِذَا أَلْصَقَ صَدْرَهُ بِالْأَرْضِ ؛ وَيَسْتَعْمَلُ فِي السَّيْعِ وَغَيْرِهِ ، وَمِنْ الْجُنَّانِ لَجَسَمِ الْإِنْسَانِ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْجُنَّانُ الشَّخْصُ ، وَالْجُنَّانُ الْجِسْمُ . وَالْجَلَّةُ : مَا اسْتَقْبَلَكَ مِنَ الْوَادِي . وَمَعْنَى قَرَفْتِ : قَشَرْتِ وَلَمْ يَكُنْ بَرَأً . وَيُقَالُ : كَظَمَ غَيْظَهُ ، إِذَا جَرَّعَهُ . وَكَظَمَ الْبَصِيرُ جِرَّتَهُ ، إِذَا ابْتَلَمَهَا . وَالْكَظَمُ^(٢) : مَخْرَجُ النَّفْسِ . وَيُقَالُ لِلْمَحْزُونِ : أَنَّهُ لَمْ كْظُمُوكَ وَكَظِمَ .

(١) جمع عشي ، ومثله عشوش وأعشاش . وفي الأصل : « عشمها » .

(٢) بالتحريك ، وجهه أكظام ، ومنه حديث النخعي : « له التوبة مالم يؤخذ بكظله » أي عند خروج نفسه ، واقتطاع نفسه .

٥٦٩

فأجابته أمامة^(١) :

١ — وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَقْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
 ٢ — وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَمْ عَرَضًا أُرَى وَأَنْتَ سَلِيمٌ
 ٣ — فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجَنِّمْ قَدْ بَدَأَ بِجَنِّمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُّهُمْ
 أَخَذَتْ تَقَابُلُهُ بِمَثَلِ الَّذِي ابْتَدَأَهَا ، وَتَعَدَّدَ مِنْ جَنَائِيهِ عَلَيْهَا كِفَاءً مَا عَدَّدَهُ
 وَعَصَّبَ بِهِ رَأْسَهَا ، فَقَالَتْ : إِنْ مَا ارْتَكَبْتَهُ مَتَى أَشْنَعُ ، وَمَا حَمَلْتُهُ وَقَتًا بَعْدَ
 وَقْتٍ أَفْطَحُ ، لِأَنَّكَ الْتَمَيْتَ عَهْدِي ، وَتَقَضَّضْتَ مَوَاعِيدِي ، وَأَشْمَتَ بِي
 كُلُّ نَاصِحٍ فِيكَ ، وَصَدَّقْتَ مَقَالَ كُلِّ لَائِمٍ بِسَبِّكَ ، فَظَنُّونِي بِكَ مَكْذُوبَةً ،
 وَظَنُّونَ النَّصَاحَ وَالْأَوَّامَ مَصْدُوقَةً ؛ ثُمَّ جَعَلْتَنِي مُضْغَةً فِي أَفْوَاهِ النَّاسِ ، وَأَكَلَةً
 لِلْجَامِعِينَ ، يَتَلَوَّنُونَ بِحَدِيثِي ، وَيَتَبَلَّغُونَ عِنْدَ أَعْدَائِي بِقِسْقِي ، فَقَدْ صِرْتُ
 كَالنَّعْرَضِ الْمُنْصُوبِ لِكُلِّ قِدَحٍ مَزِيرٍ ، وَالْقَلَمِ الْقَصُودِ لِكُلِّ مَشَاهِدٍ بَنِيمٍ ،
 يُفَرِّقُ بِي مِنْ كَانَ لِي سَلَمًا ، وَيَرْقُ لِي مَنْ آلَ لِي حَرْبًا ، وَأَنْتَ سَلِيمٌ مِنْ
 الْمَكَارِهِ ، بَسِيدٌ عَنِ اللَّتَابِ ، تَعَرَّكَ بِجَنِّبِكَ مَا يَسْتَفِي ، وَتَتَقَى بِقَلَّةِ الْاِكْتِرَافِ
 مَا يُنْضِجُنِي ؛ لِأَنَّ نَارَ الْوَشَاةِ اعْتَادَهَا بِالْإِحْرَاقِ فِي النِّسَاءِ أَلْبَغُ مِنْهُ فِي الرِّجَالِ ،
 وَعَارُ الشَّنَاعَةِ أَلْصَقُ بِمَوَاقِبِهِ مِنْهُ بِمَوَاقِبِ أَمثَالِكَ ، فَلَوْ أَنَّ كَلَامًا كَلَّمَ جِسْمًا
 لَبَدَّتْ بِجَنِّمِي نُدُوبٌ وَمَقَاذِيرُ وَجُرُوحٌ بِأَنْيَابِ اللَّغْيَانِ ، وَفِيَالِ الرُّمَاهِ الْمُرَاصِدِينَ .
 وَقَدْ عُدِلَ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ وَفِيَا تَقَدَّمَ فِي صِلَاتِ الَّذِي وَالتِّي عَنِ الْإِغْيَارِ

(١) التبريزي : « على وزنها ورويا » . وفي الأغاني « أميمة » ، وأنها التي قالت هذا
 الشعر في بادئ الأمر ثم أجابها هو بالقطوعة السابعة ، ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهي عنده .
 والشعر في اللراجح المقدمة والبيان (٣ : ٣٧٠) .

إلى الخطاب . وقد مضى القول في جوازه مشروحا^(١) ، ويُنَبِّئنا كيف ساغ تَعْرِى الصَّلَة من الضمير المائد إلى للوصول .

٥٧٠

وقال الملوط الأسدي^(٢) :

- ١ — إِنَّ الظَّمآنَ يَوْمَ حَزَمِ سُوَيْقَةٍ أَبْكَيْنَ عِنْدَ فِرَاقِنَّ عُيُونًا^(٣)
 - ٢ — غَمَّضْنَ مِنْ عَيْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا^(٤)
 - ٣ — بَلْ لَوْ يُسَاعِدُنَا الْغَيُورُ بِدَارِهِ يَوْمًا لَقَدْ مَاتَ الْهَوَى وَحَيِينَا^(٥)
- الظلمية : للراء ، لأنها تظلمن إذا ظعن زوجها ، أى تشخص . وقيل : الظلمية : الجبل الذى تركبه ، سميت به كما قيل للزادة راوية . والحزم : ما غلظ من الأرض . وإنما وصف حاملن عند التوديع ووقت الفراق ، فيقول : إنهن بكين وأبكين ، ويجهدين منهن كففن الدموع ، وخفضن ما علا من النشيج ، ثم قلن متحسرات : أى شيء لقيت أنت وقاسيت من أحداث الهوى وأسبابه ، وقاسينا نحن ، ولو ساعدنا الغيور ودانانا بداره يومًا لقضينا من أوطارنا ما تحيا به نفوسنا وقلوبنا ، ويموت له كلفننا وهوانا .

(١) انظر ما مضى في ص ١١٥ ، ٢٩٧ ، ٤٠٧ ، ٦١١ ، ٦٤٢ .

(٢) التبريزي : « الملوط بن بدل السدي » ، وهو الصواب . والملوط بن بدل القريني ثم السدي شاعر إسلامي ، كما في اللآلي ٤٣٤ . وروى أبو الفرج في الأغاني (١٥ : ٦٥) وابن قتيبة في المعراة ١٢ أن جريراً سطا على بيتي الملوط وأدخلهما في شعره . وروا الأول : إن القى غدوا بليك فادروا وشلا بينك ما يزال معينا

(٣) التبريزي : « يوم جو سوقة » .

(٤) في الأغاني عن عبد المطلب بن عبد العزيز قال : أنشدت أبا السائب قول جرير هذا ، فقال : يا ابن أخي ، أتدري ما التنبيض ؟ قلت : لا . قال : هكذا . وأشار بإصبعه إلى جفنه كأنه يأخذ الدمع ثم ينفضه .

(٥) التبريزي : « بل لو يساعفنا » .

وَذِكْرُ مَوْتِ الْهَوَى كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

فَلَمَّا أَلْتَقَى الْحَيَّانِ أَقْبَيْتِ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَانِلُهُ
 وَقَوْلُهُ « غَيْضَنْ » أَيْ قَلْبَنْ . وَيُقَالُ : هَذَا مِنْ ذَلِكَ غَيْضَنْ مِنْ قَيْضٍ ،
 أَيْ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ . وَلِلْعَنَى مَسْحَنُهُ بِأَصَابِعِهِمْ تَسْتَرًا .
 وَأَخَذَ ذُو الرُّيَّةِ هَذَا فَقَالَ :

وَلَمَّا تَلَا فِينَا جَرَتْ مِنْ هَيُونِنَا دُمُوعٌ وَزَعَنَّا غَرْبَهَا بِالْأَصَابِعِ
 وَلَمَّا سَقَطًا^(١) مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ جَنَى النَّحْلِ مِمَّا مَزَّجًا بِمَاءِ الْوَقَائِعِ
 وَمَعْنَى « يَسَاعِفُنَا النَّمِيرُ بِدَارِهِ » يَفَارِبُنَا بِمَحَلِّهِ . وَالْإِسْعَافُ : قَضَاءُ الْحَاجَةِ
 وَإِذَا نَازَهَا . وَلَمْ أَنْ تَجْمَلِ « مَاذَا » بِمَنْزِلَةِ أَسْمٍ وَاحِدٍ ، فَيَنْتَسِبُ بِلِقَيْتِ : وَلَمْ
 أَنْ تَجْمَلِ ذَا مَعْنَى الذِّى ، وَيَكُونُ ضَمِيرُهُ الْمَائِدُ مِنَ الصَّلَةِ مَحْذُوفًا ، كَأَنَّهُ قَالَ :
 لَقَيْتُهُ وَلَقَيْتَاهُ .

٥٧١

وَقَالَ جَمِيلٌ^(٢) :

١- وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سَوَى أَنْ يَقُولُوا إِنِّى لَكَ وَابِقٌ^(٣)
 ٢- نَبِّىْ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتَ كَرِيمٌ عَلَيْنَا وَإِنْ لَمْ تَصْنَفْ مِنْكَ الْإِطْلَاقُ^(٤)
 مَاذَا فِي مَوْضِعِ الْمُبْتَدَأِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَيْ حَدِيثِ عَسَى الْوَاشُونَ يَتَحَدَّثُونَ
 سَوَى قَوْلِهِ : إِنِّى لَكَ مُحِبٌّ . فَهُوَ كَقَوْلِكَ : أَيْ ضَرْبِ عَسَى زَيْدٌ أَنْ يَضْرِبَهُ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَبَتْنَا سَقَطًا » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٢) سَبَّحَ تَرْجَمَهُ فِي الْحَاسِيَةِ ١٠١ ص ٣١٤ .

(٣) التَّبْرِيزِيُّ : « مَا شَقِ » .

(٤) التَّبْرِيزِيُّ : « أَنْتَ حَقِيقَةٌ لِي » .

وسبيله سبيل المصدر والمضاف إلى المصدر إذا ابتدئ بهما . ولا يجوز أن ينتصب
بمحدثوا ، لأنه في صلة أن ، فلا يعمل فيما قبل الموصوف . ولا يجوز أن يكون
ذامنه بمنزلة الذي ، لأن عسى لا يصلح كونه غير واجب أن يقع صلة له ،
وكذلك أخوات عسى . ألا ترى أن الاستفهام والنفي وأخواتهما لا يقعن
صلات ، إذ كانت الصلات إنما تكون من الجمل الخبرية الواجبة . والمعنى أنهم
لا يتدبرون في وشابهم على أكثر من قطع القول بأننى لك محب وعاشق .
ثم أوجب بنعم قال : قد صدقوا فيما ادعوا ولفقوا ، أنت تكرمين علينا وإن
لم يعمد علينا منك خير ، ولا صادفنا من إحسانك صفاء ولين . كأنه يُبرئ
ساحتها ، ويرى أن ميله وهواه لا يشينها مع سلامة طريقتها ، واستحكام عقافها .

٥٧٣

وقال آخر (١) :

- ١ - وإذا عتبت على بيت كائن بالليل فحتس أرفاد سليم
 - ٢ - ولقد أردت الصبر عنك فعاثني علق بقلبي من هوائك قديم
 - ٣ - يبق على حدث الزمان وزنيه وعلى جفائك إنه لسكريم
- يقول : اليسير من إنكارك ولومك يفظم عندي ويضئب على ، حتى
أبقى له ليلتي ساهراً مؤرقاً ، وسادماً قلقاً ، كأننى قد بينغ حمية ، أو مسلم إعارض
عله . ولقد رمت التسلى عنك ، والبصبر منك ، فدفعنى عن المراد ما علق بقلبي
من هوائك قديماً وملك قيادى لك ، حتى لا أجد دونك منصرفاً ويحيداً . ثم
وصف العلق اللازم له ، والحب الغالب عليه فقال : إنه يبقى على تغير الزمان ،

(١) البربرى : « قال أبو ريش : مى لابن النينة » .

وتلَوْنِ الْحَدَّانِ ، فَلَا يَغْرِضُ لَهُ قُتُورٌ وَلَا تَكْوِصُ ؛ وَعَلَى مَا يَتَجَدَّدُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ
حَالٍ مِنْ جِنَافِهِ فَيْكٍ شَدِيدٍ ، وَإِعْرَاضٍ أَلِيمٍ ، فَلَا يُبَدِّلُهُ قُصُورٌ وَلَا تُبَوُّ ؛ إِنَّ
هَذَا الْعَلَقَ لَكَرِيمٍ لِمُحَمَّدٍ ، مُحْكَمُ الْعَقْدِ ، ثَابِتُ الْأَسَاسِ وَالْبِنَاءِ ، مُقَدِّمُ
الَّذِ كَرِ فِي حُفِّ الْوَادِدِ وَالصَّفَاءِ .

وهذا الكلام ، أعنى قوله « إنه لكريم » يسمّى الالتفات .

٩٧٣

وقال آخر^(١) :

١ - أَلِيمٌ عَلَى دِمَنِ قَدَامَ عَهْدِهَا بِالْجِزْعِ وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ جَمَالَهَا
٢ - رَسَمٌ لِقَاتِلَةِ الْفَرَانِقِ مَا بِهِ إِلَّا الْوُحُوشُ خَلَّتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا
٣ - ظَلَّتْ تُسَائِلُ بِالْمَقَرِّ أَهْلَهُ . وَهِيَ الْبَقِيَّةُ فَعَلَّتْ بِهِ أَفْسَالُهَا
الإلام : الزّيارة الخفيفة . يُخَاطَبُ صَاحِبَهَا وَيَسْأَلُهُ مَسَاعِدَتَهُ فِي زِيَارَةِ دَارِ
أَحَبَّتِهِ ، فَقَالَ : زُرْ آثَارَ دَارٍ مُقَادِمَةٍ الْقَهْدِ بِسُكَّانِهَا ، مَسْلُوبَةٍ الْجَمَالِ لِتَأْفِيفِ
نَوَائِبِ الزَّمَانِ فِيهَا ، بِالْجِزْعِ - وَهُوَ مَنْطَفُ الْوَادِي . وَرَوَى بَعْضُهُمْ :
« جَلَّالَهَا » ، وَيُكْرَهُ هَذَا لِمَا حَكَاهُ الْأَصْمَعِيُّ مِنْ أَنَّهُ لَا يَقَالُ الْجَلَّالُ إِلَّا فِي اللَّهِ
تَعَالَى ، وَلَئِنْ جَاءَ فِي غَيْرِهِ عَزٌّ وَجَلٌّ فَهُوَ قَلِيلٌ فِي الْعَرَفِ وَالِاسْتِحْمالِ .

وقوله « رسمٌ لقاتلة الفرائق » ابتداء كلام ، أى هو رسمُ دارٍ لاسرائيل
كَانَتْ تَصِيدُ الْفَرَانِقَ وَتَقْتَتِلُهُمْ بِالْحُبِّ . وَالْفَرَانِقُ : الشَّابُّ النَّامِ الْحَسَنُ ، بَضْمُ

(١) التبريزى : « قال أبو ريث : هو عمرو بن الأيهم ، وقيل الأسم . وعمرو بن
الأيهم بن أنثى التعلبي شاعر نصراني إسلامي ، ويقال إن اسمه « عمير » . وقيل للأخطل وهو
يعوت : على من تخلف قومك ؟ قال علي المسيبين . يريد القطامي عمير بن شليم ، وعمير بن
الأيهم . اللال ٩٨٤ .

الذين ، وجمعه الغرائق بفتحها . ومثلها الغرائر والغرائر^(١) ، والجوالق والجوالق . وقد استبدلت بأهلها وحوشاً فهي خالية لها ، وهي راتمة فيها ، لا تغدِلُ عنها . وقوله « ظَلَّتْ تُسَائِلُ » أي تَبْقَى نهارها تسأل عشيرة العاشق عنه وعن استهتاره وعلته ، وهي أعرف الناس بأخباره ، إذ كانت للتولية لِفَتْنَتِهِ وخَبَالِهِ . والمُتَمِّم : المَبْدُ^(٢) ؛ يقال : تَبَّهَ الحب ، أي عَبَّده واستعبده . وقوله « خَلَّتْ لَهُ » في موضع الصفة للرسم .

٥٧٤

وقال آخر :

١- وما يَرِحَ الوائِشُونَ حَتَّى أَرْتَمُوا بَنَّا وَحَقَّى قُلُوبٌ عَنْ قُلُوبٍ صَوَادِفُ
٢- وَحَقَّى رَأْيُنَا أَحْسَنَ الْوَصْلِ بَيْنَنَا مُسَاكِنَةً لَا يَغْرِفُ الشَّرَّ قَارِفُ
قد تقدم القول في « ما يرح » وأنه في معنى ما زال . فيقول : لم ينفك الشعاعُ عن الوشاية والتقاط الأحاديث للنميمة ، واستدراج المختلطين بنا ، واستشفاف التليخين بأخبارنا وأخبار غيرنا ، حتى فرّقوا بيننا ، فأقبلوا يَرْمِي بعضها^(٣) بمصائب أمورنا ، وحَقَّى صَدَفَتِ القلوب ، فال كَلَّ من عَشِيرَتِنَا إلى الاستبدال بموضعه ، والانتقال عن جوار صاحبه ، وإلى أن رأينا أحسن المواصل بيننا ملازمة السكوت ، وأطراح الإيحاء والرموز ، توقفاً من فرقة تتوجه ، وتقادياً من همة تتسلط . هذا إذا رَوَيْتَ « لا يقرِف » بضم الفاء . و يروى « لا يَغْرِفُ » بكسر الفاء ، ويكون في موضع الجزم جواباً للأمر الذي يدلُّ عليه قوله مُسَاكِنَةً ، لأنه في هذا الوجه مصدر في معنى الأمر . والجلّة في موضع

(١) الغرائر : بضم الين الأولى : السيد ، والجمع غرائر ، بالفتح .

(٢) ل : « المتبذ » .

(٣) هذا ما في ل : وفي الأصل : « بضنا » تحريف .

النَّصَبُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا ثَانِيًا لِقَوْلِهِ رَأَيْنَا . وَالْمَسَاكِينُ لَا تَكُونُ مُوَاصَلَةً تُجْعَلُ بَدَلًا مِنْهَا . وَيَكُونُ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ الْآخَرِ ^(١) :

* نَحْيَةُ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ *

وَيَكُونُ الْمَعْنَى : رَأَيْنَا أَحْسَنَ الْمَوَاصِلَةِ بَيْنَنَا وَتَوَاصِينَا بِأَنْ سَاكِنُوا الْأَحْبَةَ وَمِنْ يَخْتَلِفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، لَا يَقْرِفُ الشَّرُّ قَارْفُهُ . وَفِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ يَكُونُ مَسَاكِينَةً مَفْعُولًا ثَانِيًا . وَالْمَعْنَى سَكُونًا مِنَ الْجَانِبَيْنِ ، أَيْ كِفَافًا لَا يَقُولُ مِنْهُ قَرْفٌ وَلَا تَهْمَةٌ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ « لَا يَقْرِفُ الشَّرُّ » تَصْمِيرًا لِلْمَسَاكِينِ ، وَبَيَانًا لاختيارهم لها . وَيُرْوَى « صَوَارِفُ » بِالزَّاءِ ، وَالْمَعْنَى قُلُوبٌ تَصْرِفُ الْوَدَّ بِمَا تَأْتِيهِ وَتَسْتَمْلِكُهُ مِنَ الْقُلُوبِ الْآخَرِ .

٥٧٥

وقال آخر :

١- فَإِنْ تَرَجَّحَ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا بَذَى الْأَنْثَلِ صَنِيفًا مِثْلَ صَنِيفِ وَرَمَيْتِي
٢- أَشَدُّ بِاعْتِلَاقِ النَّوَى بَعْدَ هَذِهِ مَرَّائِزٍ إِنْ جَاذَبَتْهَا لَمْ تَقْطَعْ
« رَجَعَ » هَذَا مُعْذَى ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى رَدٍّ . يُقَالُ : رَجَعْتُهُ رَجْعًا فَرَجَعَ رُجُوعًا . وَ« صَنِيفًا » انْتَصَبَ عَلَى الْمَفْعُولِ مِنْ قَوْلِهِ « تَرَجَّحَ » . وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ : صَنِيفًا وَرَمَيْتًا مِثْلَ صَنِيفِ وَرَمَيْتِي ، أَوْ يَقُولَ : بَذَى الْأَنْثَلِ صَنِيفِ وَرَمَيْتِي ، أَيْ أَيَّامًا كَأَيَّامِهَا ، فَلَمَّا لَمْ يَلْتَبِسِ الْمُرَادُ قَالَ : صَنِيفًا مِثْلَ صَنِيفِ وَرَمَيْتِي .

(١) هو عمرو بن معديكرب . الخزانة (٤ : ٥٣) .

(٢) صدره : * وخيل قد دلفت لها بجيل *

وقوله «أشدُّ بأعناق النَّوى» أشدُّ في موضع الجزم، لأنه جواب الشرط. ولك أن تضمَّ الدالَّ منه إتياعاً للضمَّة الضمة، وأن تكسرهما لالتقاء الساكنين وأن تفتحها، لأنَّ الفتحَةَ أخفُّ الحركات. والمعنى إن ردتَّ الأيامُ الدائرة بيني وبينها ريمًا مثل مرهبي، وصيفًا مثل مصيفي معها، استظهرتْ على النَّوى بأن أوثق أواخيها، وأمرًا حباليها التي أربطها بها، حتى إن جاذبتها قاومتك فلم تنقطع. وهذا مثل. والمراد أنني أحكم أسباب التآلف والتجشع بما يؤمنُ معه تعقب الآراء بالزيادة والافتراق.

٥٧٦

وقال كلثوم بن صعب^(١):

- ١ - دَعَا دَاعِيَايَ نَيْنَ مَنْ كَانَ بَاكِيًا مَعِيَ مِنْ فِرَاقِ الْحَيِّ فُلْيَا تَقَى عَدَا
 - ٢ - فَلَيْتَ عَدَا يَوْمَ سِوَاهُ وَمَا بَقِيَ مِنْ الدَّهْرِ لَيْلٌ يَحْيِيْسُ النَّاسَ سَرْمَدًا^(٢)
 - ٣ - لَقَبِكَ غَرَانِيْقُ الشَّبَابِ فَإِنِّي إِخَالُ عَدَا مِنْ فِرْقَةِ الْحَيِّ مَوْعِدَا
- كان شغبًا متجاوزين في النجعة، فلما تقضى أيامها وهما بالانصراف إلى اللزائف^(٣) وجوانب القرى، دعا داعي الفراق في كل شغب منهما، وبشوا على التهيؤ، لذلك نثي فقال: «داعيًا نَيْنَ». وقوله «فن كان باكيًا» يريد: فن آله ما أحسَّ به من النوى، وأزعجه ما عزم عليه من شق عصا

(١) قال الرزباني في معجمه ٣٥١: «ذكره أبو تمام في حماسه ولم ينسبه». ثم أهد هذه الأبيات بهذه الرواية. وضبط «يق» بفتح الفاء يشير إلى أنه ملأى. ولأبي تمام ولوح بالاختيار للملأين.

(٢) ضبطت «يق» في له بفتح الفاء وكسرهما، مقرونة بكلمة «مأ»، إشارة إلى الروايتين.

(٣) اللزائف: البلاد التي بين البر والريف.

الموى ، وأراد إسعادى على البكاء فليحضرنى غداً ، فإنه اليوم للوعود ،
والشاهد المشهود .

وقوله « فليت غداً يومٌ سواه وما بقى » ، يقول : بودى أن يكون بذكر
يومٍ غداً يومٌ آخر غيره ، تنادياً مما يجرى ويحدث ، وليت بدل الليلة الحائلة بيننا
وبين غداً ما بقى من الدهر كله ، فحبس الناس عن التزائل والافتراق دائماً .
« وما بقى » لغة طيى ، كأنهم فرّوا من الكسرة وبعلها يلا إلى الفتحة ،
فانقلبت الياء ألفاً .

وقوله « لتبك قرأنيك الشباب » فالقرائيق جمع ، واحدها قرأنيق . وقال
الخليل : يقال : شبابٌ قرأنيق . وأنشد :

ألا إن تطلّاب الصبا منك زلةٌ وقد فات ريعان الشبابِ القرائيق^(١)

وقال أيضاً : القرائيق : الشاب الأبيض الجليل ، والجمع قرأنيق . ومراد
الشاعر : لتبك من استصْلَح الصبا من الشبان وأرباب الهوى ، [فإن غداً فيها
أظنُّ أو أتيقن يومٌ مواعدة الحى بالزوال . وانتصب^(٢) سرمداً على الظرف ،
ويمحور أن يكون صفة لمصدر محذوف ، كأنه قال : حبساً سرمداً .

٥٧٧

وقال زياد بن حمل^(٣) ، وقيل زياد بن منقذ :

١ - لا حيداً أنت يا صنمنا من بلى ولا شعوب هوى منى ولا هم

(١) رواه الأزهري : « ألا إن تطلّاب لثلك زلة » . الحان (غرق) .

(٢) ل : « لتبك كل مستصْلح لمبا » ، وتبك بالهاء فيهما .

(٣) البكّة من ل .

(٤) التبريزي . « زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث » ، وفي اللآلي ٧٠ :
« أحد بني المدوية ، وممن بنى تميم » . وقد اضطرب الرواة في نسبة هذه الأبيات وفي نسبة
من تنسب إليه الأبيات أيضاً . انظر حواشي سمط اللآلي والأغانى (٩ : ١٥٤) وزهر
الآداب (٤ : ١٩٤) ومجمع البحار (أشي ، الأملح ، صنعاء) .

٢ — وَلَنْ أُحِبَّ بِلَادًا قَدْ رَأَيْتُ بِهَا عَنَسًا وَلَا بِلَادًا حَلَّتْ بِهِ قَدُمُ صِنَاعٍ : مَدِينَةُ الْيَمَنِ . وَشَعُوبٌ وَنَقَمٌ : مَوْضِعَانِ بِالْيَمَنِ . وَعَنَسٌ وَقَدُمٌ : حَيَاتَانِ مِنَ الْيَمَنِ . وَقَوْلُهُ « لَا حَبْدًا أَنْتِ » ذَا أَشِيرَ بِهِ إِلَى لَفْظَةِ الشَّيْءِ ، وَالتَّعْدِيرُ : لَا مَحْبُوبَ فِي الْأَشْيَاءِ أَنْتِ يَا صِنَاعَةَ مِنَ بَيْنِ الْبِلَادِ ، وَكَأَنْتِ لَسْتَ بِمَحْبُوبٍ إِلَيَّ ، فَكَذَلِكَ شَعُوبٌ وَنَقَمٌ لَيْسَا بِهَوًى مَنًى ، أَيْ لَا أَهْوَاهُمَا وَلَا أَجْنُ إِلَيْهِمَا . وَقَوْلُهُ « وَلَنْ أُحِبَّ بِلَادًا » يَرِيدُ : وَلَنْ أُحِبَّ أَيْضًا مَنَازِلَ هَذَيْنِ الْحَيَاتَيْنِ . كَأَنَّهُ كَرِهَ لِلْوَاضِعِ بِأَهْلِهَا فَاجْتَوَاهَا وَذَمَّهَا . وَقَوْلُهُ « بِلَادًا قَدْ رَأَيْتُ بِهَا عَنَسًا » خَمَّ إِلَى لَفْظَةِ بِلَادٍ مِنَ الْعَصَةِ مَا يَخْتَصُّهَا .

وَقَوْلُهُ « حَبْدًا » حَبٌّ فَعْلٌ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ حَبَبٌ ، وَذَا أَشِيرَ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ لِلذَّكَرِ وَاللُّؤْثَةِ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ قُلْتُ : حَبْدًا زَيْدٌ ، وَحَبْدًا هُنْدٌ ؛ لِأَنَّ لَفْظَةَ الشَّيْءِ يَشْمَلُ لِلذَّكَرِ وَاللُّؤْثَةِ ، وَالْوَاحِدَ وَالْجَمْعَ . فَهَكَذَا « مَا » ، وَضَمُّ الْجِنْسِ .

٣ — إِذَا سَقَى اللَّهُ أَرْضًا صَوَّبَ غَادِيَةً فَلَا سَقَاهُنَّ إِلَّا النَّارَ تَضَطَّرِمُ لَنَا كَانَ الْقَصْدُ فِي الدُّعَاءِ بِالشَّقِيَا بَقَاءَ لِلدَّعْوِ لَهُ عَلَى نَضَارَتِهِ ، وَالزَّيَادَةُ فِي طَرَاوَتِهِ ، وَاسْتِمْرَارِ الْأَيَّامِ بِهِ سَالِكًا ، ثُمَّ يُوْثَرُ فِي عُفُوفَانِ حُسْنِهِ ، أَوْ يَغْيَرُ رَوْنَقَ مَائِهِ ، جَمَلَ عِنْدَ الدُّعَاءِ عَلَى الْمَذْمُومِ عِنْدَهُ الشَّقِيَا بِالنَّارِ ، لِكُونِ النَّارِ ضِدًّا لِلْمَاءِ وَمَعِيًا لِمَا يُحْبِيهِ . فَيَقُولُ : إِذَا أَطَالَ اللَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ تَنَعَّمَ أَرْضِي بِمَا يُقِيمُ مِنْ خِصْيَاهَا ، وَيُدِيمُ مِنْ رَفَاقَتِهَا وَرَفَاهَتِهَا ، بِقَائِي الْأَمْطَارِ عَلَيْهَا ، وَتَبْكَيرِ الْعُقَاوِدِ نَحْوَهَا ، فَلَا سَقَى هَذِهِ الدِّيَارِ إِلَّا نَارًا يَهْبِجُ ضِرَامُهَا ، وَيُوجِّعُ لِبْهَاهَا وَسَمَارُهَا ، لِتُبَيِّدَ خَيْرَهَا ، وَتُنْفِتَ حُسْنَهَا وَزَهْرَتَهَا . وَقَوْلُهُ « تَضَطَّرِمُ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلنَّارِ .

٤ — وَحَبْدًا حِينَ تَمْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً وَادِي أَشِيرٍ وَفَتَيَانٌ بِوِ هُفْمُ
٥ — الْوَاسِعُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمْ عَلَى الْعَشِيرَةِ وَالْكَافُونَ مَا جَرَّ مَوْ

٦ - وَالطُّمُونُ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَّةٌ وَبَاكَرَ الْحَيُّ مِنْ صُرَادِهَا صِرْمٌ
 قوله « وَحَبْنَا حِينَ تَمْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً » ، جمل ما نفاه من الحب والحد
 عما قدّم ذكره من البلدان ثابتاً لوادى أُمّتي وأهله ، ونَبّه على أنّهم في أوّل
 الجذبِ والقَطْعِ يُشْرِكُون غيرهم من العشيرة في خيرهم ، وَيَسْتَفِدُّون الأموالَ
 التي يُتَنَافَسُ فيها فيما يَجْلِبُ الحدّ ، وَيَطْيِبُ النَّشْرُ ، إِذَا هَبَّتْ الرِّيحُ بَارِدَةً ،
 وَاقْتَسَمَتِ الْبِلَادُ هَامِدَةً ، حَتَّى يَصِيرَ وَسُعْمُهُمْ مَبْذُولاً لِمَنْ يَتَوَسَّمُونَ فِيهِ إِذَا جَرَّ
 غَيْرُهُمُ الْجَرَارَ عَلَى عَشِيرَتِهِ ، وَذَوَى ثَلْمَتِهِ ، ثُمَّ مَنِ اكْتَسَبَ جَرِيمَةً مِنْهُمْ
 تَكَلَّفُوا بِاسْتِنَافِذِهِ مِنْهَا ، وَأَقَامُوا ظُلّاً الْحَايَةَ وَالصِّيَانَةَ عَلَيْهِ فِيهَا .

وقوله « وَالطُّمُونُ » حذف مفعوله ، وَإِنَّمَا يَصِفُهُمْ بِأَنَّهُمْ يُقِيمُونَ الْقِرَى
 لِلْأَضْيَافِ إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ تَحْمَالاً ، وَغَادَى الْحَيُّ السَّحَابُ الْبَارِدَةَ طَوَائِفَ وَفِرْقًا .
 وقوله « هَضْمٌ » ، جمع هَضُومٍ ، وَهُوَ لِلْفَنَاقِ فِي الشِّتَاءِ . وقوله « هَبَّتْ شَامِيَّةٌ »
 انْتَهَصَبَ عَلَى الْحَالِ . وقوله « الْوَاسِمُونَ » مأخوذ من الوَسْعِ وَهُوَ الطَّاقَةُ ، وَيُقَالُ :
 لَا يَسْعُكَ كَذَا ، أَيْ لَسْتَ مِنْهُ فِي سَعَةٍ . وَالصَّرْمُ ، أَصْلُهُ فِي أَقْطَاعِ الْإِبِلِ ،
 فَاسْتَعَارَهُ .

٧ - وَشِتْوَةٌ فَلَّلُوا أُنْيَابَ لَزَبَتِهَا عَنْهُمْ إِذَا كَلَحَتْ أُنْيَابُهَا الْأَرُومُ
 ٨ - حَتَّى انْتَجَلَ حَدُّهَا عَنْهُمْ وَجَارُومٌ بَنَجْوَةٌ مِنْ حِذَارِ الشَّرِّ مُعْتَمِمٌ
 فَلَّلُوا : كَسَرُوا . وَالزَّبَّةُ : السَّيَّةُ الْمُجْدِيَّةُ ، وَجِلُّ الْأُنْيَابِ مَثَلًا لَشِدَائِهَا .
 وَالْكُلُوجُ : بُدُوُ الْأَسْنَانِ عِنْدَ الثُّبُوسِ . وَالْأَرُومُ : جمع أَرُومٍ ، وَهِيَ التَّوَاضُّ .
 وقوله « وَجَارُومٌ بَنَجْوَةٌ » أَيْ عَزٌّ وَمَنْعَةٌ . وَالنَّجْوَةُ : لِلرَّفِيعَةِ مِنَ الْأَرْضِ لَا يَلِيْنُهَا
 السَّيْلُ ، فَضَرَبَهُ مَثَلًا لِلْمَلَاذِ الَّتِي أَوْدَا إِلَيْهِ فِي فِتْنَتِهِمْ حِذَارًا مِنَ الشَّرِّ ، فَيَقُولُ :
 رَبُّ شَيْئَةٍ دَفَعُوا أَذَاهَا وَمَعْرِئَهَا عَنِ الْعَشِيرَةِ أَشَدَّ مَا كَانَتْ ، بِمَا قَامُوا بِهِ مِنْ

إصلاح أمورهم ، وإزالة ضررها عنهم ، إلى أن انكشفَ حَدُّها عنهم ، وجارهم
معتصِمٌ فيهم بأحى مكانٍ ، وأمنع عزٍّ ومَلَاذٍ .

٩ - ثُمَّ الْيَحُورُ عَطَاءٌ حِينَ تَسْأَلُهُمْ وَفِي اللَّقَاءِ إِذَا تَلَقَّى بِهِمْ بِهِمْ

١٠ - وَهُمْ إِذَا النَّخِيلُ حَالُوا فِي كَوَائِبِهَا فَوَارِسُ الْخَيْلِ لَا مِيلٌ وَلَا قَزَمٌ

انتصب « عطاء » على التمييز ، ويجوز أن يكون مفعولاً له . وارتفع

« بِهِمْ » بالابتداء ، وخبره في اللقاء ، ومفعول تَلَقَّى محذوف ، كأنه قال : إذا

تَلَقَّى بهم الأعداء . والبهيم : جمعُ بهيمةٍ ، وهو الشجاع الذي لا يُدرى كيف

يُؤْتَى له ، لاستبهام شأنه وتناهي شجاعته . والمعنى : هم الْيَحُورُ إذا اجتمع

لِلْجُبْتِدَى ، لكثرة عطائهم ، أى لا يَنْفَدُ عطاؤُهم على كثرة الاجتماع ، كما

لا يَنْفَدُ ماء البحر على كثرة الزَّوَادِ ، وهم بِهِمْ في اللقاء إذا لقيت بهم الأعداء ،

وإذا ركب الفرسان الخيل وثبَّتُوا في كوائِبِها - والسكابة : قُدَامُ النَّسِجِ منها -

فُرسانها لا تَنَامُ ضفافُ صفارِ الأجسام ، ولا مائلون عن وجوه الأعداء . والميلُ :

جمع أميل ، وهو الذي يُعْرِضُ عن وجه الكتيبة عند الطمان ، وقيل : هو الذي

لا يَثْبُتُ على ظهر الدابة . ويقال : حَالَ في ظَهْرِ دَابَّتِهِ ، إذا ركبها . وارتفع

مِيلٌ على أن يكون معطوفاً على فوارس الخيل . ويجوز أن يكون خبراً مبتدئاً

محذوف ، كأنه قال : لأنهم مِيلٌ ولا قَزَمٌ . وقدمضى القول في فوارس وشذوذِهِ (١) .

١١ - لَمْ أَلْقَ بَمَدِّمْ حَيًّا فَأَخْبَرْتُمْ إِلَّا يَزِيدُكُمْ حَبًّا إِلَى مُم

١٢ - كَمْ فِيهِمْ مِنْ قَتَى حُلُوِّ شَمَائِلِهِ جَمَّ الرَّمَادِ إِذَا مَا أَخَذَ الْبَرَمَ (٢)

يقول : لم أخالطُ بعد فراقٍ لم حَيًّا من الأحياء فخرتهم إلا وازدادوا في

عيني ورجحوا ، إذا قسَّمُهم بمن سوام في قياسي ونظري ، كَالِ آلَةٍ وتناهي رياسة

وتوفّر على من يفتابهم من مُتَحَرِّمٍ بِذِمَّةٍ^(١) ، أو مُدِلِّ بِقَرَابَةٍ . وارتفع «م» الأخير بيزيد ، وقد وضع الضمير للفصل موضع الاتصال لأنه كان الوجه أن يقول : إلا يزيدونهم حباً إلى . وهذا كما يُوضع الظاهر موضع الضمير والضمير موضع الظاهر إذا أُمنَ الالتباس . وانقصب « فأخبرهم » لأنه جواب النفي بالقاء ، والفاعل أن مضمرّة بين القاء والفعل .

وقوله « كم فيهم من فتى حلوٍ شمائله » فكم للكثير ، وموضعه رفع بالابتداء وخبره من فتى . ومعنى « جمّ الرماذ » أى كثير الأضياف ، لأن الرماذ إنما يكثر بحسب اتساع ضيافته ، وكثرة عاشقته . والبرم : الذى لا يدخل مع القوم فى اليسر ، ومفعول أخذ محذوف ، والمراد ما أخذ البرم النار لبعثه ولشدّة الزمان ونسكده . فجعل الفتى حلو الشمائل ، وهى الطبايع ؛ لأن الضيافة إنما تكثر وتشرّف بحسن خلق المضيف وخِفَتِهِ فى الخدمة ، وملاطفته لضيوفه ، وتحفيّه وبرّه بهم .

١٣ - تحب زوجات أقوام حلالله إذا الأنوف اشترى مكنونها الشيم
وصف النساء منهم بحسن التوفر على أشباههن ، وكال التفقد بما يهدين إليهن إذا قلت الهدايا واشتد الزمان ، وبلغ البرد حداً يستخرج مكنون الأنوف من الرعام^(٢) فيقول : زوجات الأبرام ومن يشبههم من ذوى الحاجة ، أو المتعنين من اليسر ، يخيبن أزواج هؤلاء القتيان إذا انحل الزمان واشتدّ التحط والجذب ، لحسن تعطفهن عليهن ، وصرف العناية وجميل التفقد إليهن . وامترى : استخرج . والشيم : البرد . وأراد بالمكنون للخطا . والحلالل : النساء للزوجات

(١) فى النسخين : « بضمه » ، وليس بضم .

(٢) الرعام ، بالضم : الخطا . وفى النسخين : « الرمال » ، تحريف .

تُحْنِ بِذَلِكَ لِأَنَّهُا تُحَالُ أَزْوَاجُهَا ، أَى تَنْزِلُ مَعَهَا ؛ وَالوَاحِدَةُ حَلِيلَةٌ . وَفِعْلُهُ نَحْنُ .
مُفَاعَلَةٌ ، كَقَمِيدَةٍ ، وَجَلِيلَةٍ .

١٤ - تَرَى الْأَرَامِلَ وَالْهَلَكَ تَنْبَعُهُ يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ رَذِمٌ
١٥ - كَانَ أَحْبَابُهُ بِالْقَفْرِ يَمْطُرُهُمْ مِنْ مُسْتَحْجِرٍ غَزِيرٍ صَوْبُهُ دِيمٌ
الأرامل : جمع الأرملة ، لأنَّه يقع على الذكر والأنثى ، وهم الذين
قد انقطع زَادُهُمْ وضاعت الأحوال بهم . وَالْهَلَكَ ، هم الفقراء الذين أُشْرَفُوا عَلَى
الْمَلَكَ ، وَإِنَّمَا قَالَ « تَنْبَعُهُ » لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَفْضَحُونَ بَظْلَهُ ، وَيَعِيشُونَ فِي أَفْيَقِهِ
مِنْ خَيْرِهِ . وَقَوْلُهُ « يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ » مَثَلٌ لِمَا كَانَ يَنْصَبُ عَلَيْهِمْ
وَيَجْرِي وَيَدُومُ ، مِنْ إِحْسَانِهِ لَهُمْ ، لِأَنَّ الْحَيَا يُغْنِي الْأَرْضَ ، كَمَا أَنَّ مَعْرُوفَ
هَؤُلَاءِ كَانَ يَجْعَلُهُمْ . وَالرَذِمُ : السَّائِلُ . وَمَعْنَى : يَسْتَنُّ يَنْصَبُ . سَنَنْتُ الْمَاءَ
وَأَسَنَّيْتُهُ بِمَعْنَى . وَالْوَابِلُ : الْمَطَرُ الضَّخْمُ الْقَطَرُ .

وقوله « كَانَ أَحْبَابُهُ بِالْقَفْرِ يَمْطُرُهُمْ » يريد أَنَّهُمْ فِي دُورِهِمْ وَمَحَلَّتِهِمْ ذَاكَ
فَعَلَهُمْ مَعَ عَشِيرَتِهِمْ ، وَمَعَ رُؤَادِهِمْ وَمَوْثِلَتِهِمْ ، فَإِذَا سَافَرُوا تَرَى الصَّحَابَةَ فِي
الْمَكَانِ الْخَالِيِ يَمْطُرُهُمْ مِنْ نَوَالِهِ مَا يَجْرِي تَجْرَى الصَّوْبِ مِنْ سَحَابٍ مُتَحَجِّرٍ مِمَّا تَلَى
مَاءَ ، غَزِيرٍ النَّوَى ، دَائِمٍ السَّيْلِ . وَالذِّيمُ : جَمْعُ دَيْمَةٍ ، وَهِيَ الْمَطَرُ يَدُومُ بِسَكُونِ ،
وَالْمُسْتَحْجِرُ وَالْمُتَحَجِّرُ . بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَهَذَا التَّحْجِيرُ إِنَّمَا هُوَ كُنَايَةٌ عَنِ الْإِمْتِلَاءِ .
وَيُقَالُ : اسْتَحَارَ شَبَابُهُ .

١٦ - غَرَّ النَّدَى لَا يَبِيتُ الْحَقُّ يَشْمُدُهُ إِلَّا غَدَاً وَهُوَ سَاحِي الطَّرْفِ يَنْبَسِمُ
١٧ - إِلَى السَّكَارِمِ يَنْبَسِمُهَا وَيَعْمُرُهَا حَتَّى يَنَالَ أُمُورًا دُونَهَا قُمْ
القمر : الواسع الطاء . وَمَعْنَى يَشْمُدُهُ يَكْثُرُ عَلَيْهِ حَتَّى يُفْنِيَ مَا عِنْدَهُ . وَالْمَاءُ
الْمُتَوَدِّعُ : الْمَزْدَحِمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْزُرَ نَزَقًا . وَقَوْلُهُ « وَهُوَ سَاحِي الطَّرْفِ » ،

أى لا يَكْسِبُه امتدادُ القطاء منه ، ودوامُ الإحسان ، غضاضةً طَرْفٍ وانكسار
نشاطٍ ، بل يُرَى بِمَقْبِهِ نَحْوُكَ عَلَى النظر . وقوله : « لا يَبِيتُ الْحَقُّ يَشْدَمُ
إِلَّا غَدَاً » ، يشتملُ على معنى الشَّرْطِ والجزاء ، أى كَلِمًا بَاتَ الْحَقُّ يَشْدَمُ مَا عِنْدَهُ
غَدَا سَائِيَ الطَّرْفِ مَبْتَسِمًا .

وقوله « يَبِينُهَا وَيَعْمَرُهَا » فى موضع الحال ، أى بَانِيًا عَامِرًا . وقوله « إِلَى
الْمَكَارِمِ » اتَّصَلَ « إِلَى » بقوله « إِلَّا غَدَاً » . والقَصَمُ : الشَّدَائِدُ ، واحْدَثَهَا
قُحْمَةً ، وَلَعْنَى أَنَّهُ بَذَلَ سَخِيًّا جَمَّ المَرْوِفِ ، لا يَبِيتُ تَوَرُّدُ الْحَقُّوْقِ نَحْوَهُ
يَسْتَمَرُّ مَا لَهُ إِلَّا ابْتِكَارٌ وَهُوَ نَحْوُكَ عَلَى النظر إِلَى ابتداء المَكَارِمِ ، جرياً عَلَى
العَادَةِ وَإِلْفَا لَهَا ، وَهُوَ يَعْمَرُهَا وَيَصِلُ جَوَانِبُهَا بِأَمْثَالِهَا حَتَّى يُصِيبَ أُمُورُهَا
تَعَوُّلٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَنْ يَرِيدُ^(١) نَيْلَهَا وَالْوَصُولُ إِلَيْهَا شَدَائِدُ وَتَكَالِيفُ . وَقَصَمُ
الطَّرِيقِ : مَا صَغُبَ مِنْهَا ، وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحْمًا » ، أى يَقْصِمُ
عَلَى الْمَهَالِكِ .

- ١٨ — تَشَقَّى بِهِ كُلُّ مِرْبَاعٍ مَوْدَعَةً عَزَفَاءُ يَشْتَوِ عَلِيهَا تَأْمِكٌ مَسْمُومٌ
١٩ — تَرَى الْحِفَانُ مِنَ الشَّيْزَى مُكَلَّلَةً قُدَامَهُ زَانَهَا التَّشْرِيفُ وَالْكَرَمُ
٢٠ — يَنْوِبُهَا النَّاسُ أَفْوَاجًا إِذَا نَهَلُوا عَلَوْا سَمَا عَلَّ بَعْدَ التَّهْلَةِ النَّهْمُ
لِلزَّبَاعِ : النَّاقَةُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَضَعَ وَلَدَهَا فِي الرَّبِيعِ ، وَهِيَ الْحُمُودُ مِنْ
النَّبَاتِ ، وَلَتِلْكَ قَالُ :

* أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونَ^(٢) *

وَمِرْبَاعٌ : بَنَاهُ الْمُبَالِغَةُ . وَالْمَوْدَعَةُ : الْمَكْرَمَةُ الْمَوْفَرَةُ عَلَى التَّيَنُّاسِ لَا تُعْمَلُ

(١) لِيَ الْأَسْلَى : « يَرِيدُ » ، صَوَابُهُ فِى .

(٢) لَا كَثْرَتُهُ بِنِصْفِ ، أَوْ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ ضَبْعَةٍ . الْهَاسَنُ (صَيْف) .

ولا تُحْمَل . والقراء : التي لستها صار لها كالغرف . والتأمل : السنام المشرف .
والسَّيْمُ : العالى ، ويقال : بغير سيم ، أى مشرف السنام ، والمضى : تَبَيَّنَ
شَتَوْنَهَا سَمِينَةً لَا يَغْيَرُهَا الْجَذْبُ وَالْقَحْطُ ، وإنما قال « نَشَقَّ بِهِ » ، وهو يريد
اللقى لأن المراد لا يَنْحَرُ من الجُرُزِ إلَّا مَا يُتَنَافَسُ فيه من مثل ناقةٍ هذه صفتها .
وقوله « تَرَى الْجِفَانَ مِنَ الشَّيْزَى مَكَلَّةً » ، يريد أن الجفان المدة
للأضياف عليها كالآ كليل من فِدَرِ اللَّحْمِ ^(١) ، وقد زيتها كَرَمٌ بَارِع ، وتشريف
آخر ، وهذا بما يَسْتَعْمِلُهُ من اللطف والتأنيس مع الأضياف ، ومن توفّر خدمة
الخدم عليهم ، ولكال بهاء المجلس وكونه مشحوناً بما يروق ويحسب .

وقوله « يَنْبُؤُهَا » أى يَنْبَأُوتُهَا طائفةٌ بعد طائفة ، وقَوْجاً بعد قَوْجٍ ،
فإذا تناولوا التَّهْلَ رجعوا فأعقبوه التَّلَلَّ ، كما يفعل ذلك النَّمُ عند وروده الماء .
وانتصب « أفواجا » على الحال . والنَّمُ يقع على الأزواج الثَّانِيَةِ ، والتألب
عليها الإبل .

٢١- زَارَتْ رُوَيْقَةَ شُعْنًا بَعْدَ مَا هَجَمُوا لَدَى نَوَاجِلَ فِي أَرْسَافِهَا الْغَدَمُ
٢٢- وَقْتُ لَزْزَرٍ مُرْتَاعًا وَأَرْقَسِي قَلْتُ أَهْيَ سَرَتْ أُمُّ عَادِي حُلْمٍ ^(٢)
٢٣- وَكَانَ صَدَى بِهَا وَالْمَشَى يَبْهَطُهَا مِنَ الْقَرِيبِ وَمِنْهَا النَّوْمُ وَالسَّامُ
يصف الخيال فيقول : زارت خيال هذه المرأة قَوْمًا غَيْرًا ، أنضاء مُرْهَا ^(٣) ،

بعد ما ناموا عند إبل ضواحر مهازيل ، شُدَّتْ فِي أَرْسَافِهَا سُيُورُ الْقِدَّةِ ، لشدة
سيرها وتأثير الكلال فيها ، قمت من مَضْجَعِي اللَّطِيفِ الزَّائِرِ خَائِفًا ، وطار
النوم عني ، وأخذني القلق ، ووسوس النفس والزَّمْعُ ، فَيَلَّتُ الْفَكْرَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ :

(١) الفدر ، بالفاء ، جمع فدره ، بالكسر ، وهى القطعة الملتصقة من اللحم . وفى
النسخين : « قدر اللحم » ، تحريف . (٢) التبريزى : « فأرقى » .
(٣) جمع أمره ومرعاه ، وهو من تسدت عينه لترك الكحل .

أحدهما زيارتها بنفسها ، والثاني حُلْمٌ نَأْتِيهِ اعْتَادَتِي فَأَرَانِيهَا ، وَصِرْتُ أَرَايَ نَفْسِي وَأَقُولُ : كَيْفَ يَجُوزُ حَيِّثُهَا ، وَكُنْتُ أَعْهَدُهَا وَقَطَعُ الْمَسَافَةَ الْقَرِيبَةَ كَأَنِّي تَتَكَلَّمُ بِشِقِّ النَّفْسِ ، وَتَعْمَلُ الثَّقْلَ وَالْكَدَّ . هَذَا وَالنَّالِبُ عَلَيْهَا لِلَّلَالُ مَا يُقْصِبُ وَإِنْ خَفَّ ، وَطَلَبُ الرَّاحَةِ بِالنَّوْمِ لَيْسَ بِالْخَطْبِ مِنْهَا بِيَالٍ وَلَوْ قَلَّ . وَاتَّصَبَ « مَرْتَعًا » عَلَى الْحَالِ .

وقوله « أَمَّ عَادَتِي حُلْمٌ » أَمَّ هَذِهِ هِيَ الْمَعَادَةُ ، وَالْمَعْنَى أَيْ هَذِهِ الْأُمُورُ مِنْ كَانَ . وَقَوْلُهُ « أَهْيَ سَرَتْ » أَسْكَنَ الْمَاءَ مِنْ هِيَ مَعَ أَلْفِ الْاسْتِغْنَاءِ ، لِأَنَّهُ أَجْرَاهَا يَجْرِي وَادٍ الْمَطْفِ وَقَاتِهِ ، فَكَمَا يَسْكُنُ مَعَهَا لِأَنَّهُ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهَا وَلَا تَسْتَقِلُّ كَذَلِكَ أَشْكِنُ مَعَ الْأَلْفِ . وَمَعْنَى يَهْبِطُهَا : يَثْقُلُ عَلَيْهَا وَيَشَقُّ . وَقَوْلُهُ : « وَالْمَشْيُ يَهْبِطُهَا » خَبَرَ كَانَ فِيهِ . وَقَوْلُهُ : « وَكَانَ عَهْدِي بِهَا » الْوَاوُ وَادٍ الْحَالِ مِنْ قَوْلِهِ أَهْيَ سَرَتْ .

٢٤- وَبِالْبَيْتِ كَالَيْفِ تَأْتِي بَيْتَ جَارَتِنَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا وَمَا تَبْدُو لَهَا قَدَمٌ
٢٥- سُوْدٌ ذَوَابِئُهَا بَيَضٌ تَرَائِبُهَا دُرٌّ مَرَاتِقُهَا فِي خَلْقِهَا عَمٌّ
يقول : وَمَا عَهْدُهَا عَلَيْهِ أَنَّهَا كَانَتْ تَأْتِي بَيْتَ جَارَتِنَا قَضَاءً لِنِمَامٍ ، أَوْ أَدَاءً لَوَاجِبٍ حَقٍّ ، بَعْدَ الْجُحْدِ وَالشَّدَةِ ، وَمَدَاوِرَةِ النَّفْسِ عَلَى أَدْوَى الْكُلْفَةِ وَالْمَشَقَّةِ ، وَمَشْيُهَا الْهُوَيْنَا ، أَيْ عَلَى رِفْقٍ لَا اسْتِعْجَالَ فِيهَا وَلَا تِهَانَةٍ ، وَلَا تَقَاذِفٍ فِي أَعْضَائِهَا وَلَا تَتَابُعٍ ، وَلَقْدِيلَهَا عَلَى الْأَرْضِ سَحْبٌ وَجَرٌّ ، فَقَدَّهَا لَا تَبْدُو ، وَوَقَارُهَا الْمُنْسَبُّ مِنْ كِبَرِهَا وَجُبْهَاتِهَا لَا يَهْفُو . وَالْهُوَيْنَا : تَصْغِيرُ الْهُوْنَى وَالْهُوْنَى : تَأْنِيثُ الْأَهْوَنِ ، وَمَوْضِعُهَا مِنَ الْإِعْرَابِ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ . وَقَوْلُهُ « تَمْشِي الْهُوَيْنَا » فِي ضَمْنِهِ مَا يُوصَفُ بِهِ مِثْلُهَا مِنَ الثَّرَفَةِ وَفَرْطِ الْحَيَاءِ ، كَمَا قَالَ :
كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًا نَقَصَهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تَكَلَّمْتُ تَبَلَّتْ^(١)

(١) البيت الشعرى الأزدى في اللغويات ١٠٩ .

وقوله «سود ذوائبها» يصفها بأنها في عفوان شبابها ، ففرغها أسود ،
وصدرها بما حوالته أبيض ، ومرافقها لا حجم لها لكثرة لحمها ، وخلفها
تام لا استكمالها .

٢٦- رُوِيَ إني وما حجّ الحبيب له وما أهلّ يجنّبي نخلة الحرم
قوله «وما حجّ الحبيب له» يجوز أن يكون ما بمعنى الذي ، كأنه أقسم
باليث الذي حجّ إليه الحجاج ، وبإهلاك الحرم ، وهو رفع الصوت بالتلبية ،
يجنّبي نخلة ، وهو مكان بقرب مدينة الرسول عليه السلام يقال له بطن نخلة .
وجوز أن يكون ما موضوعاً موضع من ، على ما حكى أبو زيد من قولهم : «سبحان
ما سبّح الرعد بحمده» ، ويكون الله تعالى المقسم به .

وقوله «ما أهلّ» يراد به وما أهلّ له ، غذف له لتقدم ذكره وطول الكلام
به . ويجوز أن يكون «ما حجّ» في موضع المصدر ، كأنه أقسم بحجّهم وإهلاكهم ،
ويكون الضمير من له يعود إلى الله تعالى وإن لم يجرّ ذكره ، لأن المراد مفهوم ،
أي حجّوا له إقامة لطاعته ، وابتغاء لرضاته . وجواب القسم في قوله «لم
ينسئ» . ويقال : أكرم الرجل بالحج فهو محرم ، وقوم حرام وحرم
ومحرمون .

٢٧- لم ينسئ في ذكركم منذم إلا فيكم عيش سلت به عنكم ولا قدم
٢٨- ولم تشاركك عندي بقدر غانية لا والذي أصبحت عندي له نعم^(١)

حلف بما حلف أنه لم يشغله عن ذكرهم منذ حصل الفراق بينهم ، لا عيش
استطاب لمساعدة الزمان له بما سرّه قسلى عنهم ، ولا بلى ما كان يستجده كل
وقت من الوجد بهم وتذكّار عهودهم تقادّم أيام فتناسام ، ولا شاركها في

(١) هذا ما نقله والتبريزي . وفي الأصل : « ولم تشاركك » .

يَطْنُ هَوَاهَا وَمَقَرُّ حَبِّهَ لَهَا اسْرَءُ غَانِيَةً ، فَتَضَاقِقُ عَنْهَا حَاجَاهَا . ثُمَّ تَنَى الْيَمِينَ
دَأْ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ الَّذِي أَصْبَحَتْ لَهُ عِنْدِي نَتْمٌ مُقَابَلَتُهَا بِالشُّكْرِ وَاجِبَةٌ
مَرَّ كَأَقَلْتِ ، فَغَذَفَ لِأَنِّ الْمُرَادَ مِنْهُومَ .

وقوله « لَمْ يُنْسَفِ ذِكْرُكُمْ » يُجَابُ الْيَمِينَ مِنْ حُرُوفِ النَّفْيِ بِمَا ، وَلَكِنَّهُ
رَفْعٌ فَوْضِعَ لَمْ يُنْسَفِ مَوْضِعَ مَا أَنْسَأَنِي . وَلَا يَجْتَنِعُ أَنْ يَنْفَرِدَ الْقَسَمُ الْأَوَّلُ بِهِ
بِأَ ، وَيَكُونُ جَوَابُ الْقَسَمِ الثَّانِي : وَلَمْ تَشَارِكْ^(١) عِنْدِي ، لِأَنَّهُ خَبَرٌ
، فَقَدَّمَ الْقَسَمَ لَهُ عَلَى الْقَسَمِ بِهِ ، كَمَا تَقُولُ : مَا فَعَلْتَهُ وَاللَّهِ .

— مَتَى أَمْرٌ عَلَى الشَّقَرَاءِ مُعْتَسِفًا خَلَّ النَّفَا بِمَرْوُحٍ لَعَمْرُهَا زَيْمٌ
— وَالْوِشْمُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا وَقَابَلَهَا مِنْ الثَّنَائَا الَّتِي لَمْ أَقْلِيهَا بِرَمٍّ^(٢)

قوله « مَتَى أَمْرٌ » اسْتِعْمَادٌ وَاسْتِعْجَالٌ بِمَا يَتِمَّنَاهُ مِنَ الْعَوْدِ إِلَى هَذِهِ الْأُمَامِ كُنْ
ذِكْرُهَا . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ « حَقٌّ أَمْرٌ » ، وَيَتَعَلَّقُ حَقُّ بَقَوْلِهِ « لَا وَالَّذِي
مَحْتُ عِنْدِي لَهُ نَتْمٌ » أَيْ حَصَلَتْ لَهُ نَتْمٌ عِنْدِي كَيْ أَمْرٌ ، لِأَنَّهُ لِيَحَقُّ
بَعِينٌ ، وَالْفِعْلُ بَعْدَهَا مَنْصُوبٌ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى لِأَنَّهُ وَكُنْ ، وَالثَّانِي
يَكُونُ بِمَعْنَى إِلَى أَنْ ، تَقُولُ : جِئْتُكَ حَقٌّ تُكْرِمُنِي ، وَاللَّعْنُ لِأَنَّهُ تُكْرِمُنِي ،
تُكْرِمُنِي . وَتَقُولُ : أَنْتَظِرْ حَقٌّ تَخْرُجُ ، وَاللَّعْنُ إِلَى أَنْ تَخْرُجَ . وَالشَّقَرَاءُ ،
الْأَصْمَى : بِمَعْنَى فَرَسُهُ ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الشَّقَرَاءُ وَاللَّرُوحُ فَرَسًا وَاحِدًا .
أَمْ مِنْ « بِمَرْوُحٍ » يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ مُعْتَسِفًا ، وَعَلَى الشَّقَرَاءِ بِأَمْرٍ ، وَيَكُونُ فِي مَوْضِعِ
لِ ، أَيْ رَأَى كَبَا الشَّقَرَاءُ . وَانْتَهَبَ مُعْتَسِفًا عَلَى الْحَالِ . وَالْإِعْسَافُ : الْأَخْذُ

(١) فِي لِسَةِ الْأَصْلِ : « وَلَمْ يَشَارِكْ » .

(٢) الْبَرْبَرِيُّ : « خَرَجَتْ مِنْهُ » . وَالْوِشْمُ ضَبَطْتُ فِي لِسَةِ الْأَصْلِ بِخَطِّ اللَّيْمِ وَكُسْرُهَا
مَوْجِبَةٌ بِكَلِمَةِ « مَمَّا » .

على غير هداية ولا دراية . ويقال : فلان يتعسف الناس ، أى يأخذهم بغير الحق . والخلّ : الطريق في الرمل . والنقا : الرمل . وللروح : النشيط . ومعنى زيم : متفرق . ووشم وبرم : موضان . والثنايا : العقاب . وبرى : « من العقاب التى لم أفلها ثرم » ، وهى جمع ثرمة ، وهى صدع يكون فى الثنية . ومنه قولم : فلان أثرم ، إذا سقط بعض ثناياه فصارت بينهما فوجة . ولم أفلها : لم أبغضها . وقد قيل فى الشعراء : إنه موضع أو هضبة . وانمط « الوشم » عليه ، وبرىح حينئذ يتعلق الباء منه بحى أمر . وعلى الوجه الأول تنصب الوشم وتطف على خلّ النقا .

٣١— يا ليت شعرى عن جنبى مكشحة وحيث ينبى من الحناء الأظم

٣٢— عن الأشاء هل زالت مخارمها وهل تغير من آراسها إرم

٣٣— وجنة ما يذم الدهر حاضرها جبارها بالندى والحمل مخزّم

قوله « يا ليت شعرى » يحرف النداء ، وللنادى محذوف . وهذا الكلام مخسر فى إثر ما فاتته من أمر الأرضين للذكورة . وشعرى اسم ليت ، وخبره محذوف لا يظهر البتة ، ومفعولا شعرى قوله « هل زالت مخارمها » :

وقوله « عن جنبى مكشحة » بيان ما تمى عليه ، وفى أى جانب هو .

وبروى : « عن جزعى مكشحة وحوث » . والجزع : جانب الوادى .

ومكشحة : أرض . وحوث لمة فى حيث ، لأن فيه أربع لفات : حيث ،

وحيث ، وحوث ، وحوث . فالضم تشبيها له بالنايات قبل وبعد ، والفتحة

خلفته . والحناء : أرض . والأظم : الحصى وكل بناء مرتفع ، والجمع أطام .

وقوله « عن الأشاء » ، فإن كان الأشاء موضعا وبعض ما يقع عليه

مكشحةٌ فإنه بدلٌ من عن جنبي مكشحة ، وقد أعيد حرف الجر معه . وإن كان النحلة فإنه يجوز أن يريد بقمعتها ، غذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ولا يمتنع أن يكون أراد : وعن الأشاءة ، غذف الماطف كما تقول : رأيت زيدا ، عمرا ، خالفا . وأنشدنا أبو علي الفارسي :

كيف أصبحت كيف أمسيت بما يزرعُ العُبَّ في فؤادِ الكريم^(١)
فيقول : ليت علي كان واقعا بأحوال هذه المواضع ، وهل هي باقية على ما عهدتها من قبل ، أو هل تغيّرت أعلامها وزالت مخارمها . وإنما يدل على حقيقته إليها ، وتأشفه على البُمد عنها .

وقوله « وجنة » يريد وعن جنه حاضرها يرصّي عن الدهر ويمحّده ، فلا يتسخط أيامه ، ولا يذم عوارضه . والجبار من النخل : ما فات اليد طولاً .

وقوله « بالندی والتحمل محترم » تنبيه على الخصب فيها ، وعلى غفارة عيش سكّانها . والاحتزام كالالتفاف^(٢) ، ويروي « جبارها بالندی والخير » .

٣٤ — فيها عقائل أمثال الذئبي خرد لم ينفذهن شقا عيش ولا يم^(٣)

٣٥ — يتأبهن كرام ما يذمهم جار غريب ولا يؤذي لهم حشم

٣٦ — مخدّمون يقال في مجالسهم وفي الرجال إذا صاحبهم خدّم^(٤)

قوله « فيها » أي في الجنة . عقائل ، أي نساء كريمات ، كأنهن الصور المنقوشة حسنا ، منعمات لم تمسهن فاقة وقفر ، ولا جُهدن بأيام أدبرت عنهن ،

(١) في باب الصلف من شرح الأعمش في اللّغية : « مما يقرس الود » .

(٢) في اللّغتين : « كالالتفاف » ، تحريف . وعند التبريزي : « والاحتزام اللّفاف » .

(٣) ضبطت في التبريزي « يم » بالنسريك ، وهي لغات ، يقال يم بضم الياء وضعها وبالنسريك . القاموس ، واللسان . ومحريك التاء بالضم هنا للشعر .

(٤) يقتضى شرح التبريزي أن ضبط « خدّم » بضمين . إذ قال : « خدّم ، وهو جمع خدوم ، ليقابل مخدّمون في اللّبن ، لأن كل واحد منهما يدل على اللّبالغة » .

وَلَا شَقِيحٍ بِنَاكَدَةٍ عَيْشِيَّةٍ ، وَلَا أُصْبِنَ بَمَوْتِ كَافِلِينَ أَوْ قِيَمِينَ ، عَفِيفَاتٍ ،
حَيِّاتٍ ، لَا يَمُرُّ فِي مَنَكْرِ الْأَخْلَاقِ ، وَلَا مَا يَشِينُ مِنَ الْأَفْعَالِ ، فَهِنَّ رَبَائِبُ
الذَّمِّ ، وَغِرَائِرُ الزَّمَنِ ، وَمُدَّ لَلَاتُ الْمَشَاوِرِ وَالسَّكَنِ ^(١) .

وقوله : « يَنْتَابِهِنَّ كِرَامٌ » مَدَحَ الرِّجَالَ عَطْفًا عَلَى مَدَحِهِمْ فَقَالَ : يَذُبُّ
هَؤُلَاءِ النَّسْوَةَ رِجَالُ كِرَامٍ أَعْرَاءَ ، يَحْمَدُهُمُ الْجَارُ الْغَرِيبُ ، لَوْفَاهُمْ لَهُ بِالْعَدَدِ ،
وَحُسْنُ تَعَطُّفِهِمْ عَلَيْهِ عِنْدَ الْهَلَاءِ وَالْجُهْدِ ، وَرِزْقُهُ عَنْهُمْ انْغِلَاطُ النَّسِيبِ لِلْجَالِ
عِشْرَتِهِمْ ، وَكَرَمُ أَخْلَاقِهِمْ ، لَا كَثِيرٌ فِيهِمْ ، وَلَا تَرْفَعُ مَعَهُمْ ، نَمَّ تَرَى حَسَمَهُمْ
يَسْأَلُهُمْ ^(٢) الدَّانِي وَالْقَاصِي ، لِيَزِمَ وَحَيَّتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ ، وَذَهَابَ صِيَّتِهِمْ ، وَهَمٌّ
فِي عِبَالِهِمْ فِي الْحَضَرِ رِزْقَانِ سَادَةٍ يَخْدُمُهُمْ مَنْ يَفْشَاهُمْ ، وَفِي السَّحْرِ خِفَافٌ لِفَاطٍ
يُكْرَمُونَ الصَّحَابَةُ وَالرَّافِقَةُ ، وَيَخْدُمُونَ الْفَاشِيَةَ وَالْجَاوِرَةَ ، وَيَحْتَمِلُونَ فِي أَحْوَالِهِمْ
لِلزُّونِ الْجَعِيفَةِ ، وَفِي أُمُومِهِمُ التَّوْبُ لِلثَّقَلَةِ . وَالْحَسَمُ : خَدَمَ الرَّجُلُ وَمِنْ يَحْسَمُ
لَهُ ، أَيْ يَنْقُصُ عِنْدَ التَّأَزُّلِ ، وَيُدَافِعُ دُونَهُ لَطُرُوقِ الْكَائِنَةِ . وَقَوْلُهُ « يَنْتَابِهِنَّ » ،
يُرْوَى : « بِأَنَابِهِنَّ » يَفْعِلُ مِنَ الْإِيَابِ .

٣٧- بَلْ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَغْدُو تَمَارِضِي جَرَدَاهُ سَابِغَةً أَوْ سَابِجٌ قُدُمُ

٣٨- نَحْوُ الْأَمْتِيلِحِ مِنْ سَمْنَانَ مُبْتَكِرًا بَفْتِيَةٍ فِيهِمُ لَمَرَارٌ وَالْحَكَمُ ^(٣)

٣٩- لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا يَنْغَدُونَ أَرْزِيَةً إِلَّا جِيَادُ قَيْسٍ النَّبْعِ وَالْجَعْمُ

بَلْ : حَرْفٌ يَدْخُلُ لِلإِضْرَابِ عَنِ الْأَوَّلِ وَالْإِثْبَاتِ لثَانِي ، كَأَنَّهُ لَمَّا صَرَفَ

السَّكْلَامَ عَمَّا كَانَ فِيهِ وَشَغَلَهُ بغيرِهِ أَنَّى بَيْتٌ ، إِذَا نَاكَ بِذَلِكَ . فَيَقُولُ : لَيْتَ عَلَيَّ

وَأَقَعٌ بِمَا يَقْتَضِي هَذَا السُّؤَالُ ، وَهُوَ مَتَى ابْتَكَرَ مِنْ سَمْنَانَ نَحْوِ الْأَمْتِيلِحِ - وَهِيَ

(١) السَّكَنُ : كُلُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ وَالطَّمَأْنَتُ مِنْ أَهْلِ وَغَيْرِهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « يَسْأَلُهُمْ » ، مَوَاقِفُ فِي ل .

(٣) التَّبَرُّزِيُّ وَيُقَوِّتُ فِي مَجْمَعِ الْبَلَدَانِ : « أَوْ سَمْنَانَ » .

موضعان — وتعارضى في السير حجرت قصيرة الشمر ، تسبح في عذوها ، أو ذكر
سابق يسبق أصحابه ^(١) ويتقدّمها من حيث جرى ، ومعى فتیان فيهم هذان
للذكوران ، ثم وصف الفتیان بأنهم لا يهيمهم إلا الفروسيّة وركوب الخيل ،
وإعداد آلات الحرب ، والصيّد والطرد . وقوله « إلا جيّاد » رَفَعَهُ والوجه
الجيد النصب ، لأنّه منقطع بما قبله ، لكنّ بنى تميم يرفسون مثل هذا حل
البدل . وهذا يشبه بدل الخلط ، لهذا حُصِفَ في الإعراب .
والبيت يشبه قول لييد :

* فُرُطٌ وشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِحَابِهَا ^(٢) *

وانتصب « مبتكراً » على الحال . وقسّ مغلوب ، وأصله قُورُوسٌ ،
ويروى : « قياس النّبع » ^(٣) . والمرار قيل هو أخوه ^(٤) . والحكم : ابن عمّه ،
كذا ذكره الأحمسي .

٤٠- من غير عُدَمٍ ولكن من تَبَذَّلِهِمُ الْعَصِيدُ حِينَ يُصْبِغُ الْقَائِمُ اللَّعِيمُ

٤١- فَيَفْرَعُونَ إِلَى جُرْدٍ مُسَحَّجَةٍ أَفْقَى دَوَابِرَهُنَّ الرِّكْضُ وَالْأَكَمُ ^(٥)

قوله « من غير عُدَمٍ ولكن » ، تعلق من بقوله « ليست عليهم إذا بغدوا
أردية » . والمعنى أن إخلالهم بلبس الأردية واستسراها والتأني فيها ، لا تقتر
وفاقة ، لكن تولوعهم بالعصيد ، وتبذّلهم له في الوقت البلى يستمع الصائد القريم

(١) في الأصل : « صاحبه » ، والصواب من ل .

(٢) صدره : * ولقد حيت الى تحمل شكتي *

(٣) والقياس : أحد جوع القوس ، ويقال قوس وقسى وقسى — ضم التالف وكسرهما

وأقواس ، وقياس .

(٤) للمرار المدوي شاعر إسلامي مشهور ، كان معاصراً لجرير ، وقد حاج الهجاء بينهما .

وهو المرار بن متعب بن عبد بن عمرو بن سدي بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم

المنظّل المدوي . انظر للفضليات ٧٧ .

(٥) التبريزي : « الى جرد نسومة » .

إلى اللغم إلى أصحابه ، في اختيار مواضع الصيد ، واقتناره لقلته . ويروى : « حين ينادى السائف اللجم » . قال الأصمعي : يريد يرتدون يقسمهم ولجهم خيلهم إذا اجكروا ، لا هم لهم غيره . والسائف : الذي يحوش الصيد على أصحابه ^(١) ، أي ينادى أصحابه باعثاً على الأخذ ، ومحدراً من القوت .

وقوله « فيمزعون إلى جرد مسجبة » أي يلتجئون إلى خيل قصيرة الشعر ، نشيطه ، قد سحج بعضها بعضاً بالعض والاستفان . ويموز أن يريد أن العمل والكذب مسجبة ، ألا ترى أنه قال : أفنى مأخويرة حوافره من ركض الفرسان لها ، واستمثناهم لبأها ، وتأثير الإكمام في حوافرها ، لأن جريتها كان عليها . ويقال : أكمة وأكم ، وإكام وأكم .

٤٢- يضر عن مَمَّ الصفا في كلِّ هاجرة كما تطايح عن مرضاحه المعجم ^(٢)
٤٣- يندو أمامهم في كلِّ مرباة طلاع أنجدية في كشجه هضم ^(٣)
أصل الصرح الرمي . وإنما وصف الخيل بصلابة الحوافر ، وأنها تكسر ما تطؤه من صلاب الصفا إذا سارت في الهاجرة . ثم شبه ما يتطاير من حوافرها من الخصى بما يتطاير من النوى عن مرضاحه . والمرضاح : الحجر الذي يكسر عليه النوى أو به . ومعنى تطايح : تطاير .

وقوله « يندو أمامهم » يعني في التصيد . والمرباة : للخرسة . وقوله « طلاع أنجدية » جمع تجدي كفرخ وأفرخية ، ولا يمتنع أن يكون أنجدية جمع تجاد ، ونجاد جمع تجدي ، فيكون أنجدية جمع الجمع . ويقال : طلع الجبل ، إذا علاه . والهضم : انضمام الضلوع . يصف خفته وشهامته ، وابتداله نفسه في الصيد والفروسة .

(١) لم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى في اللامع للتداولة .

(٢) التبريزي : « مرضض » ، و « مرضاخه » .

(٣) يندو ، بالنين للجمة ، كما في النسختين والتبريزي .

٥٧٨

وقال عمرو بن ضبيعة الرقاشي^(١) :

١- تَصِيْقُ جُفُونُ الْعَيْنِ عَنْ عِبْرَاتِهَا فَتَسْفَحُهَا بَعْدَ التَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ
٢- وَغُصَّةٌ صَدْرٍ أَظْهَرَتْهَا فَرَقَّتْ حَزَاةَ حَرٍّ فِي الْجَوَارِحِ وَالصَّدْرِ
الْعَبْرَةُ : الدِّمَّةُ ، وقد استعبر ، أى جرى عِبْرَتُهُ ، ويقال : لَأُمُّ الْعَبْرِ ،
وأراه عِبْرَ عَيْنِهِ ، أى سَخَنَ عَيْنِهِ وما أَبْكَاه . فيقول : تَمَلُّ الْعَيْنُ دَمْعًا حَتَّى
تَتَضَاقُ جُفُونُهَا عَنْ اسْتِبَاسِهِ ، فَتَصُبُّهَا بَعْدَ تَجَلُّدِهَا فِي الْإِخْفَاءِ ، وَتَصْبُرُ عَلَى
مُدَافَعَةِ الْبُكَاءِ .

وقوله « وَغُصَّةٌ صَدْرٍ » ، يريدُ غَمَّةً أَفْضَصَ بِهَا الصَّدْرُ فَأَظْهَرَتْهَا ، بعد أن
كَانَتْ لَا تَسُوغُ بِنَفْسِ الصُّمْدَاءِ ، فَسَكَّتْ تَقْطِيعَ لَوْعَةٍ تَمَكَّنَتْ بَيْنَ الْجَوَارِحِ
وَالصَّدْرِ . وَالْحَزَاةُ : وَجَعٌ فِي الْقَلْبِ مِنْ أَذَى يُصِيبُهُ . وَالْجَوَارِحُ : الْأَضْلَاعُ
الْقَصِيرَةُ ، الْوَاحِدَةُ جَانِحَةٌ . وَقَوْلُهُ : « رَفَّتْ » : وَسَعَتْ ؛ وَعَيْشٌ رَافٍ .

٣- أَلَا لَيَقُلَنَّ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا يُبْلِغُ الْفَقِيَّ فِيمَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْأَمْرِ
٤- قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِكِيَّةِ فَاصْطَبِرْ عَلَيْهِ فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ
أَلَا : افْتِتَاحُ كَلَامٍ . وَاللَّامُ مِنْ « لَيَقُلَنَّ » لَامُ الْغَائِبِ ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي فِعْلِ
الْحَاضِرِ ، عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَرَأَ : ﴿ فَيَذَلُكَ
فَلْيَفْرَحُوا^(٢) 》 . وَقَوْلُهُ « مَا شَاءَ » أَرَادَ مَا شَاءَ أَنْ يَقُولَهُ ، غَذَفَ لِلْفِعْلِ ، وَكَذَلِكَ
قَوْلُهُ « مَنْ شَاءَ » مَخْذُوفٌ لِلْفِعْلِ ، أَيْ مَنْ شَاءَ الْقَوْلَ ؛ فَإِنَّ لِللَّامِ يَسْتَحِقُّهُ الْفَقِيُّ

(١) ذكره للرزباني في معجمه ٢٢٥ — ٢٢٦ وساق له هذه الأبيات .

(٢) هي قراءة أبي وابن السكيت وابن عامر والحسن . تفسير أبي حيان (١٧٢ : ٥)

وجهور القراء بالياء على الخطاب .

فيا يطيقه ويدخل تحت مقدوره ثم لا يفعله ، فأما ما لا يطيقه فقد سقط اللوم فيه عنه .

وقوله « قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِكِيَّةِ » ، يريد حَقَّقَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَأَوْجِبَهُ ، فَحَكَلَ الصَّبْرَ فِيهِ ، فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ ، أَيْ عَلَى تَقْدِيرٍ ، تَضْيِيقُ السَّبُلِ عَنْ الْإِنْفِكَاحِ مِنْهُ ، فَلَا حِيلَةَ فِيهِ إِلَّا الزَّامُهَا . وَهَذَا تَسْلِيَةٌ مِنْهُ لِنَفْسِهِ وَبَعَثَ لَهَا عَلَى الرِّضَا بِمَا قُسِمَ لَهُ ، وَقُضِيَ عَلَيْهِ .

٥٧٩

وَقَالَتْ وَجِبَةٌ بِنْتُ أَوْسِ الضُّبِيَّةِ :

- ١ — وَعَاذِلِي تَسْدُو عَلَى تَلَوْنِي عَلَى الشَّوْقِ لَمْ تَمْنَحِ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي^(١)
 ٢ — فَإِنِ إِنِّ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وَأَبْنَضْتُ طَرَفَاءَ الْقُصْبِيَّةِ مِنْ ذَنْبِ^(٢)
 تقول : رَبُّ لَا نَمَّةَ هَمُّهَا مَقْصُورٌ عَلَى لَوْنٍ وَعَتْبِي ، فَمَا أَهْوَاءُ وَأَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَأَعِدْ نَفْسِي بِهِ فَتَشْوُكُهُ^(٣) ، فَلَا يُوْدِي عَتْبُهَا إِلَى طَائِلٍ لَهَا ، لِأَنَّ تَنْصَحَهَا سَرْدُودٌ ، وَوَعظَهَا مَدْفُوعٌ ؛ وَلَا إِلَى طَائِلٍ لِي ، إِذْ كَانَ لَا تَزْدَادُ الصَّبَابَةَ فِي قَلْبِي إِلَّا تَمَكَّنَا وَثِيئَاتًا ، وَلَا الْإِشْتِيَاقَ الْإِلَازِمَ لِي إِلَّا زِدْيَادًا وَدَوَامًا ؛ وَأَنَا إِذَا أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وَرَهْطِي ، وَوَلَدِي أَحْبَبْتِي وَأَهْلِي ، وَمَسَقَطُ رَأْسِي ، وَحَيْثُ حَلَّ الشَّبَابُ تَمَيَّمْتُ ، وَأَبْنَضْتُ الْقُصْبِيَّةَ مَنِيَّتِ الطَّرَفَاءَ ، أَرْضًا لَمْ أَغْنِ مَأْرَبَةً فِيهَا ، وَلَا أَوْجِبْتُ مَذْمَنَةً لَهَا ، فَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا فِيهِ ، وَلَا جَرِيرَةَ مَكْتَسَبَةً فَأَعْتَبَ عَلَيْهَا .
 وقوله « مِنْ ذَنْبِ » فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ ، لِأَنَّهُ اسْمٌ مَا لِي ، وَجَوَابُ الْجَزَاءِ مِنْ قَوْلِهِ

(١) أَشَدُّ يَأْلُوتُ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي (الْقُصْبِيَّةِ) ، وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ بِرَوَايَةِ : « وَعَاذِلِي هِبَتِ بِلِيلِ تَلَوْنِي » .

(٢) الْقُصْبِيَّةُ : مَوْضِعٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَخَيْرِ .

(٣) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَسْل : « فَتَشْوُكُهُ » . بِحَالٍ : تَشْوُفُ إِلَى الْعَمَى ، أَيْ تَطْلَعُ . وَتَشْوُفُ إِلَى الْعَمَى : اِشْتِيَاقٌ .

« إن أحببتُ أرضَ عَشِيرَتِي » في قوله « مَالِي مِنْ ذَنْبٍ » ، وجواب رَبِّ فِي قوله « لَمْ تَنْحُ الصَّبَابَةَ » .

٣ - فَلَوَ أَنْ رِيحًا أَبْلَنْتُ وَحَى مُرْسِلٍ حَفِيرٍ ، لَنَاجَيْتُ الْجَنُوبَ عَلَى النَّقْبِ

٤ - قُلْتُ لَهَا أَدَّى إِلَيْهِمْ تَحِيَّتِي وَلَا تَخْلُطِهَا ، طَالَ سَعْدُكَ ، بِالْتَّرِبِ

٥ - فَإِنِّي إِذَا هَبْتُ شِمَالًا سَأَلْتُهَا هَلْ أَزْدَادَ صَدَاحِ الثَّمِيرَةِ مِنْ قُرْبِ

الرَّحَى : مصدر وَحَيْتُ لَكَ بَخِير ، أَيْ أَخْبَرْتُ ؛ وَيَسْتَعْمَلُ أَوْحَى وَوَحَى فِي

مَعْنَى الْبَحْثِ وَالْإِلْهَامِ . وَالْإِيحَاءُ : الْإِيمَاءُ وَالْإِشَارَةُ . فَيَقُولُ : لَو أَنَّ رِيحًا أَذَّتْ

خَبِيرَ مُرْسِلٍ ، أَوْ بَثَّ مُلَحٌ مُنْفِذٌ لِسَارِزَتْ رِيحَ الْجَنُوبِ عَلَى الطَّرِيقِ — وَالْحَفِيرُ

يَكُونُ السُّلْحَ ، وَيَكُونُ اللَّطِيفُ ، وَمصدره الْحَفَايَةُ . وَالنَّقْبُ : الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ —

وَقُلْتُ : يَارِجُ بَلِّغْهُمْ تَحِيَّتِي ، وَصُونِهَا عَنِ الْإِذَالَةِ ، وَخَلْطِهَا بِالتَّرَابِ ، أَطَالَ

اَللَّهُ سَعَادَتَكَ . وَقوله « طَالَ سَعْدُكَ » دَعَا لَهَا ، وَهُوَ مِنَ الْاهْتِرَاضَاتِ لِلْمُسْتَحْسَنَةِ ،

وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

فَمَا مَكُنْتُمْ دَامَ الْجَمِيلُ عَلَيْكَا يَهْلَانُ إِلَّا أَنْ تَزِمَ الْأَبَاعِرُ^(١)

وقول الآخر^(٢) :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلُغْتَهَا قَدْ أَحْوَجَتْ تَمِيمِي إِلَى تَرْجُمَانِ

وقوله : فَإِنِّي إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ شِمَالًا ، انْتَصَبَاهُ عَلَى الْحَالِ . وَسَاغَ ذَلِكَ فِيهِ

لِكَوْنِهِ صَفَةً لَا اسْمًا . وَعَلَى هَذَا الْجَنُوبُ وَالْقَبُولُ وَالذَّبُورُ ، يَمْجُوزُ فِي جَمِيعِهَا أَنْ

تَقَعَ أَحْوَالًا لِكَوْنِهَا صِفَاتٍ . وَكَأَنَّ الْجَنُوبَ كَانَتْ تَهَبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ مُسْتَقْبِلَةً

لِدِيَارِ أَحِبَّتِهِ ، فَلِذَلِكَ جَعَلَهَا رَسُولَهُ . وَكَانَتْ الشِّمَالُ تَهَبُ مِنْ نَاحِيَةِ أَرْضِ حَبِيبِهِ

(١) ل : « فَمَا مَكْنَاهُ » . وَعِلْمَاءُ الْبَدِيعِ يَرْوُونَهُ : « دَامَ الْجَمَالُ عَلَيْكَا » وَيَجْمَعُونَ فِي الْبَيْتِ

جَنَاسًا مَعْنَوِيًّا بَيْنَ الْجَمَالِ وَبَيْنَ الْجِيمِ وَبَيْنَ « الْأَبَاعِرِ » لِأَنَّ الْأَبَاعِرَ جَمَالٌ يَكْسِرُ الْجِيمَ . فَضَّلَ

قَاتِلُ الْبَيْتِ ، وَهُوَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ ، عَنِ الْجَنَاسِ الْقَطْعِيِّ إِلَى الْجَنَاسِ الْمَعْنَوِيِّ .

(٢) هُوَ عَوْفُ بْنُ عِلْمٍ الْحِزَامِيُّ . مِنْ هَجْدَةَ فِي أَسَالَى الْعَالِ (١ : ٥٠ - ٥١) .

مستقبله بآلاده، فلذلك زعم أنه يسألها عما استعجم عليه من أخبارهم .
وقال ابن الأعرابي : مَهَبُ الْجَنُوبِ بَيَانٌ مِنْ قَبْلِ الْبَيْنِ ، وَلَقَدْ تَسْرَى
بِاللَّيْلِ ، وَهِيَ مَبَارَكَةٌ . وَالشِّتَالُ شَامِيَةٌ ، فَهِيَ أَكْثَرُ الرِّيَّاحِ هُبُوبًا ، وَهِيَ
صَاحِبَةُ الشِّتَاءِ .

و «صَدَّاحُ الثَّمِيرَةِ» الصَّدَحُ : الصَّوْتُ ^(١) ، يقال : صَدَحَ الدَّيْلُكَ وَالْفُرَابُ ،
إِذَا صَرَخَا . وَيَعْنِي جَلْبَةَ الصَّوْتِ وَنِدَاءَ دَاعِيهِمْ . وَالْمُنَادِي بِالرَّحِيلِ فِيهِمْ كَأَنَّهُ
يَنْظُرُهُمْ حُضُورِ وَقْتِ انْتِجَاعِهِمْ وَنَهَضَاتِهِمْ ، وَكَانَ يَصْرَفُ ذَلِكَ لِيَسْتَبْشِرَ ^(٢) بِهِ .

٥٨٠

وقال مرداس بن هاشم الطائي ^(٣) :

١ — هَوَيْتُكَ حَتَّى كَادَ يَقْتُلَنِي الْهَوَى
وَزُرْتُكَ حَتَّى لَأَمَنِي كُلُّ صَاحِبِ
٢ — وَحَتَّى رَأَى مِنِّي أَدَانِيكَ رِقَّةً
عَلَيْكَ وَلَوْلَا أَنْتَ مَا لَانَ بَجَانِي ^(٤)
٣ — أَلَا حَبْدًا لَوْ مَا الْحِيَالُ وَرُبَّمَا
مَنْحَتْ الْهَوَى مَا لَيْسَ بِالْمُقَارِبِ ^(٥)
٤ — بِأَهْلِي ظِلَاءٍ مِنْ رَيْعَةٍ عَامِرٍ
عَذَابُ الثَّنَائَا مُشْرِفَاتُ الْحَقَائِبِ
يقول : أِبْلَغْتُ الْغَايَةَ الْقَصْوَى فِي كُلِّ مَا كَانَ فِيكَ وَلَكَ ، خَمَلْتُ نَفْسِي مِنْ

(١) التبريزي : « وقيل المراد بصداح التهمة عليك ، وقيل : أهلها ، وقيل : حادي
إليها ، وقيل : صلاح التهمة موضع » .

(٢) هذا ما في ل . وعند التبريزي : « وكانت تصرف ذلك لتستبشر به » . وفي
الأصل : « يستبشر به » تحريف .

(٣) وكذا في ل . وعند التبريزي : « مرداس بن هاشم الطائي » ، وفي معجم الرزباني
١٧٤ : « مهاد بن ميس الطائي » ، وأنشد الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ . وروى التبريزي عن
أبي الصلاء أن الأبيات نسبت إلى « مهاد بن هاشم » .

(٤) التبريزي والمرزباني : « رقة عليهم » ، وأشير في هامش ل إلى رواية التبريزي
في إحدى النسخ .

(٥) التبريزي : « وروى : من ليس بالمقارب » .

أعباء الهوى وطلب التناهي فيه ما كاد يأتي علىّ ، أعدّ ذلك واجباً لك أوديه ،
وفرضاً من حقوقك أقيمه وآتيه ، ثم أذمنتُ الزبارة خادماً ، وترددت في التعرف
والاستمطاف متقرّباً ، حتى توجّه إلى اللوم من أحمائي ، واستسرفني في البرجيري
وأودائي ، وإلى أن ظهر لأقاربك شفقتي عليك ورفقي ، ووضع ما اشتهر به أمرى
عندهم وعُرف . ولولا أنت لبقيتُ على ما وجدت عليه قديماً من صيانة النفس
وإكرامها وتبعيدها^(١) عن المراكب الشائنة المؤدية إلى ابتذالها ، فلم يزلْ جانبي ،
ولم يزلْ جهازي وصوبي .

وقوله « آلا حَبَّذَا » المحبوبُ محذوفٌ ، كما حُذِفَ الحمود في قوله تعالى :
(نِمِ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) ، والمراد حبيبٌ إلى التهنُّك في الهوى ، ويجاوز للألوف
فيه إلى اللستشع القبيح ، لولا العياد ، على أني ربما منحتُ هوى ما لا مطمع
في بلوغه ودنوّه . وهذا كما قال أبو تمام :

غَالِيَ الْهَوَى ، يَمَّا يَرْقُصُ هَامِي أَرْوِيَّةُ الشَّعْفِ التي لم تُسهل^(٢)

وقوله « بأهلى ظبيلا » رجوعٌ منه إلى استلذاذ الهوى وإظهار التجلُّد فيه ،
فيقول : أفدى بأهلى نساء من ربيعة عامر ، عذاب للبايم ، حسان الثنور
وللصاحك ، عظيات الأكفال ، مُشْرِقاتِ الأرداف .

والحقائب : جمع الحقيبة ، وهي عجز الرجل والمرأة جميعا . ويقال : امرأة
نُفِجُ الحقيبة . والقصدُ بالتفدية في قوله « بأهلى ظبيلا » إلى صاحبه ، وإن كان
تلفظه عاملاً ولنيرها .

(١) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « وتبعها » .

(٢) رواية الديوان ٢٣٣ : « على الهوى مما تمذب مهجتي » ، أي من أجل تمذّب
أروية الشف لمهجتي . والشف : جمع شفة ، وهي رهوس الجبال . لم تسهل : لم تنصر
على السهل .

٥٨١

وقال بعض بني أسد^(١) :

- ١- تَبِعْتُ الْهَوَىٰ بِطَيْبٍ حَتَّىٰ كَأَنِّي
 ٢- تَمَجَّرْتُ دَهْرًا ثُمَّ طَارَعَ أَهْلَهُ فَصَرَفَهُ الرُّوَادُ حَيْثُ رُبِدُ
 ٣- وَإِنْ زِيَادَ الْحُبِّ عَنْكَ وَقَدْ بَدَتْ لِعَيْنِي آيَاتُ الْهَوَىٰ لَشَدِيدُ

يقول : أعطيت الهوى مقاديرى فبك ، فتبعت حيث جرتى ، لا أتمتع عليه ،
 ولا أطلب معدولاً إليه ، حتى صرت كأنتى بعير قد عضه الجريير فلأن وانقاد .
 والجريير : حبل مضمور من آدم . والصرس : العض . والقود : فحول فى معنى
 مفعول ، فهو كالفتوب والركوب ، والمرة فيه بدل من العين .

وقوله « تَمَجَّرْتُ » ، أى أخذ غير القصد زماناً ، لأنه كان صعباً ثم تذلل
 ودخل فى طاعة مداوريه ، وهذا مثل ضربته للنفس فى ابتداء هواه ، وأنه تأقّد
 عليه مدة ، فتردد بين حيدّه وهزيله ، واقتساره وليانه ، حتى ركب منه
 كل مركب ، واستقرطاً ظهره كل استطاه . فهذا معنى « وصرفه الرواد »
 حيث رُبد .

وقوله « وَإِنْ زِيَادَ الْحُبِّ عَنْكَ » ، يريد أن دافع حبه عنها وصرفه
 عسر صعب وقد بدت آيات الهوى . والمعنى أن للهوى علامات حيث مالت
 بالإنسان ذهب معها ، فيعدّ القى رشداً ، ويرى التهالك فيه حياة ، ولورام
 دفع حبه عنه ، ولّى نفسه دونه ، لتصدّر وامتنع .

٤- وما كل ما فى النفس للناس مظهر ولا كل ما لا تستطيع تذود^(٢)

(١) الأبيات رويت فى معجم البلدان (غضور) ، ومى بلدة فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة .
 (٢) التبريزى : « وما كل ما فى النفس لى منك مظهر » ، وأخبار لى الرواية الأخرى .
 وروى التبريزى أيضاً : « ما لا تستطيع تذود » .

٥- وإني لأرجو الوصل منك كرجاء صدي الجوف مرئاداً كداه صلود
يقول : ليس جميع ما يشتمل عليه صدرى ، ويشق في الهوى بتخلله
جوانحي ، ممكناً إظهاره ؛ ولا كل ما تطيقه النفس ، أو لا تنهض به ، يسهل
دفعه ؛ فإنا أسير الهوى وتبيعه ، متردد في بلواه ، لا أجد منه مخلصاً ، ولا أستطيع
عنه ملجأً ومناصاً .

وقوله « وإني لأرجو الوصل منك » يقول : وعلى ما أصفه من حال فيك
أرجو وصالك رجاء إنسان شديد العطش ، يطلب الماء من موضع حقره
فأكذى ، أى بلغ كد يقته ، وهى حجرة يمرض في البئر عند الاحتضار فيجتمع
قطعه بالماء ، وجمعها كدى . وهذا مثل ، والمعنى أن رجائي في خيرك سح
حاجتي رجاء رجل عطشان يطلب الماء ويرجوه من بئر هكذا . والصلود :
اليابس ، ويقال للبخيل : أصلد وصلد وصلود ، تشبيهاً به ، وكذلك زند صلود
إذا لم يور . والرتاد : الطأب ، ومنعوله محذوف ، ويجوز أن يُعنى بالرتاد
المطلوب ، ويراد به الماء ، وقد أقام الصفة مقامً للوصف ، وعلى الوجه الأول
ينقصب على الحال .

٦- وكيف طلاي وصل من لوسألته قذى العين لم يطلب وذلك زهيد
٧- ومن لورأى نفسى تسيل لقال لي أراك صحيحاً والفؤاد جليد
يصف بخلها وتمنمها فيقول : كيف أستجيز طلب وصال إنسان لو سألته
إزالة قذى العين لم يجبنى إليه ، وذلك قليل فيما يسأل ويبتمس . فحذف الضاف ،
وأظم المضاف إليه مقامه ، كما قال الآخر ^(١) :

يا صخر وراد ما قد تناذره أهل الوارد ما في ورده عار

(١) هو الخنساء من قصيدة في ديوانها . وانظر الكامل ٧٣٧ ليلى .

يريدُ : ما في ترك وُروده عارٌ، خَذَفَ للمضاف . ويمحوز أن يريدَ لوسألتَه
الأُ يُقْدَى عيني ، كما تقول : سألت فلاناً ضربَ فلان ، أى استوهبته ضربه
لم يطلُبني . ويمحوز أن يريد من لو سألتَه تافهاً لا خَطَر له ولا اعتداد به ،
فَضْرَبَ للثُل بالقدَى ، والمعنى : لوسألتَه ما يُقْدَى العين .

وقوله « مَنْ لو رأى نفسى » عَطَفَهُ عَلَى مَنْ لو سألتَه ، يريد : ولو رأى
دِى يَسِيلُ لقال لِقسوة قلبه على : أراك صحيحاً لا داء بك ولا آفة ، وقلبه
جليدٌ ، أى يريُّ لى ولا يرحنى ، والمراد على هذا بالقلب قلبُ المرأة ، ويكون
الواو فى « والقزاد » واو الحال ، ويمحوز أن يكون من تمام الحكاية ومن كلام المرأة ،
والمعنى أنها تقول مع ما ترى من سَيِّلان دى : أرى نفسك صحيحة ، وقلبك
ناپتاً ماضياً ، لا آفة بك ولا غائلة .

٨ — فَيَأْيَا الرَّبِّمُ الْمُحَلَّى لِبَائِهِ بَكْرَمَيْنِ كَرَمَيْنِ فَضِيَّةً وَفَرِيدُ

٩ — أَجِدَى لَا أُمْسَى بِرَمَانٍ خَالِيَا وَغَضُورًا إِلَّا قِيلَ أَيْنَ تُرِيدُ^(١)

كَأَنَّهُ اسْتَمَطَقَهَا وَذَكَّرَهَا اشْتِهَارَ بِهَا ، وَتَوَجَّهَ التَّهَمُ إِلَيْهِ بِسَبِّهَا ، حَتَّى ضَاقَ
بِهَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ بَحَالَهُ ، وَتَمَسَّرَ عَلَيْهِ وَإِنْ تَفَرَّدَ فِيهَا لِمَسَاوِهِ .

وَالرَّبُّمُ : الظَّهِىُ الْخَالِصُ الْبَيَاضُ . وَالْمُحَلَّى لِبَائِهِ ، أَى تَرَاتِبُهُ . بَكْرَمَيْنِ ،
أَى بَقْلَادَتَيْنِ . وَالتَّرِيدُ : الدَّرُّ . وَالتَّبَانُ : الصَّدْرُ . وَقَوْلُهُ « وَفَرِيدُ » إِنْ جُمِلَتْ
مَعطُوفاً عَلَى فَضَّةٍ يَكُونُ إِقْوَاءً ، وَلَكِ أَنْ تَرْفَعَهُ بِالْإِبْدَاءِ وَالْخَبَرُ مَحذُوفٌ ، كَأَنَّهُ
قَالَ : وَفَرِيدُ فِيهَا . وَيُرْوَى : « كَرَمًا فَضَّةً وَفَرِيدُ » ، فَيَنْعَطِفُ الْفَرِيدُ عَلَى
« كَرَمًا » وَيَكُونُ السَّكْلَامُ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ لَا الْإِبْدَالِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : هَا كَرَمًا
فَضَّةً وَفَرِيدُ . وَهَذَا أَصَحُّ وَأَجُودُ .

(١) التَّبَرُّزى : « لَا أُمْسَى » ، ثُمَّ قَالَ : « وَرَوَى : لَا أُمْسَى » .

وقوله « أَجْدَى » يريد : أعلى جِدَّةً مَنَى هذا الأمر ، وهو أُنَى لا أُنسَى
منفرداً بنفسى بَرَمَانٍ وَغُصُورٍ إِلَّا قِيلَ : أَيْنَ مُرَادُكَ . و « أَجْدَى » في موضع
المصدر ، والفعل العامل فيه محذوف ، وذكر الإسماء والمراد الإسماء والإصباح
جميعاً ، لكنه اكتفى بذكر أحدهما لعم الناس بأن حاله فيما ذكره يستوى فيه
الليل والنهار .

٥٨٢

وقال رجل من بني الحارث :

١- مَنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ النَّفَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا
٢- أَمَانِيٍّ مِنْ سُمْدَى حِسَانًا كَانَمَا سَقَطَتْ بِهَا سُمْدَى عَلَى ظَلَمٍ بَرْدًا^(١)
النفى : جمع مُنْيَةٍ ، وموضعها من الإعراب رَفَعَ على أنه خير مبدأ محذوف ،
كأنه قال : هي مَنَى . فيقول : هذه الخصال التي تَعِدُّ بها أَنْفُسَنَا فِي هَذِهِ لِلرَّاءِ
وَتَعِدُّنَا بِهَا ، لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ صَادِقَةً أَوْ كَاذِبَةً ؛ فَإِنْ جَاءَتْ صَادِقَةً مُحَقَّقَةً
فهي أحسنُ الأمانى وأَوْفَقُهَا لِلنَّاسِ ، وَإِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَإِنَّا نَفِيضُ بِذِكْرِهَا
مُنْتَظَرِينَ لَهَا زَمَنًا مَعْدُومًا ، وَعَيْشًا وَاسِعًا رَافِعًا .

وقوله « أَمَانِيٍّ مِنْ سُمْدَى » نَصَبَ بِإِضْمَارِ فَعْلٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَذْكُرُ أَمَانِيٍّ
مِنْ سُمْدَى . وَكَرَّرَ لَفْظَ سُمْدَى تَلْذِذًا لِإِسْمِهَا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي أَنَّ الْأَعْلَامَ
وَأَسْمَاءَ الْأَجْنَاسِ يُفَعَّلُ بِهَا ذَلِكَ . وَالْمَعْنَى : أَذْكُرُ أَمَانِيٍّ مِنْ هَذِهِ لِلرَّاءِ جَمِيلَةً تَرْجَى
أَوْقَاتِنَا ، وَكَأَنَّ مَوْضِعَهَا مِنْ قُلُوبِنَا مَوْضِعَ الْمَاءِ الْبَارِدِ مِنْ ذِي النَّفْلِ الْمَادِي . وَقَوْلُهُ
« زَمَنًا رَغَدًا » الرَّغْدُ : السَّعَةُ فِي الْعَيْشِ . وَيُقَالُ : عَيْشٌ رَافِعٌ وَرَغِيدٌ . وَانْتِصَابُ
رَغَدًا عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مُحْذَوْفٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : عَيْشًا عَيْشًا رَغَدًا بِهَا زَمَنًا .

(١) البرزى : « من سمدى رواء » ، مع رفع « أمانى » و « رواء » .

ولا يمتنع أن يكون صفة لقوله زَمَنًا ، كأنه قال عَيْشًا واسِمًا . وقوله « على ظمأ بردًا » يريد ماء ذا برد .

٥٨٣

آخر^(١) :

١ — وَخَبِرْتُ سَوْدَاءَ الْقُلُوبِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ أَهْلِ بَمِصَرَ أَعُوذُهَا

٢ — فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى إِذَا أَنَا جِئْتُهَا أَثْبَرْتُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا

قوله « خَبِرْتُ » تمتدَّى إلى ثلاثة مفاعيل ، ومريضةً للفصول الثالث .

وقوله « أَعُوذُهَا » في موضع الحال من أَقْبَلْتُ . ويجوز أن يريد بقوله « سَوْدَاءَ

الْقُلُوبِ » أَنَّهَا تَحُلُّ مِنَ الْقُلُوبِ محلَّ السُّوَيْدَاءِ منه ، كَأَنَّ الْقُلُوبَ عَلَى اخْتِلَافِهَا

(١) هو الويام بن عقبة بن كعب بن زهير . وكان من سبب الشعر ما روى التبريزي عن أبي محمد الأحمدي أن صواب رواية البيت الأول : « سَوْدَاءَ النِّمِ » ، وأن سَوْدَاءَ النِّمِ امرأة من بني عبد الله بن غطفان ، اسمها ليلي ولقبها سَوْدَاءُ ، وكانت تنزل النِّمِ من بلاد غطفان وكان عقبة بن كعب بن زهير ينسب بها ، ثم عطفها بعده ابنه الويام بن عقبة وكلف بها ، وكانت تحب به كذلك ، فخرج إلى مصر في مرة فبلغه أَنَّهَا مَرِيضَةٌ ، فترك ميرته وكرهوها وأنشأ يقول :

نيت سَوْدَاءَ النِّمِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ لِيَلِيهَا أَعُوذُهَا

فإليت شعري هل تغتبر بعدنا ملاحه عيني أم يجي وجيدها

ومهل أخلفت أثوابها بعد جدته أَلَا حَبْدًا أَخْلَقَهَا وَجَدِيدُهَا

ولم يبق يا سَوْدَاءُ شيء أحبه وَإِنْ بَقِيَتِ أَعْلَامُ أَرْضِ نَوِيدُهَا

فوالله ما أدري إِذَا أَنَا جِئْتُهَا أَثْبَرْتُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا

نظرت إليها نظرة ما تسرق بها حر أنعام البلاد وسودها

ولو أتت ما أجيبت متى معلق بهود غمام ما تأود عودها

فلم يزل يلفت حتى رآته وركبها ، فأومأت إليه أن ما جاء بك ؟ فقال : جئت عائداً حين غلبت عليك . فأشارت إليه أن ارجع فإن في عافية . فرجع لميرته واستنم بها للرمي ، فبلغت طولها إليه حتى ماتت ، فبلغ الخبر فقال :

سقى جدنا بين النِّمِ وزلفه أحم القدرى واهى الزمالي مطيرها

وفيها يقول :

ولأن تلك سَوْدَاءَ الشَّيْءِ ظَرَفَتْ قَدَمَاتِ مِلْحِ الْغَائِيَاتِ وَنُورُهَا

تميل إليها وتنطوى على حبها . ويجوز أن يكون كان اسمها سوداء وأضافها إلى القلوب ، كما قال ابن السميني :

فِي يَا أَيْمَمِ الْقَلْبِ تَقْضِي نَحِيَّةً وَتَشْكُو الْهَوَى ثُمَّ أَقْبَلِي مَا بَدَّالَكَ
 ويجوز أن يكون أراد أنها قاسية القلب سوداؤه ، فجمع القلب بما حوله فقال القلوب ، أو لأنها كان لها مع كل مُتَمِّم بها قلباً ، فقال القلوب على ذلك . فيقول : نُبِيتُ أَنَّهَا تَأَلَّمَتْ لِعَارِضٍ عَلَيْهِ ، فَأَقْبَلْتُ مِنْ أَهْلِ بَصَرَ عَائِدًا لَهَا ، وَوَاللَّهِ أَحْلَفُ مَا أَدْرَى إِذَا حَصَلْتُ عَنْدَهَا أَصْبِرُ شِفَاءَ مَا بَهَا ، أَوْ أُرِيدُ فِي شِكْوَاهَا لَتَبْرِمَهَا بِي ؛ كَأَنَّهُ ظَنَنَ بِهَا تَنَكُّرًا وَخَوْفًا عَنِ الْعَهْدِ . وقوله « أم أزيدها » يريد : أم أزيدها داء ، فحذف لأن المراد مفهوم .

٥٨٤

وقال آخر :

١- إني وإيَّاكَ كالصَّادِي رَأَى نَهْلًا وَدُونَهُ هُوَّةٌ يَنْخَسِي بِهَا النَّفَا
 ٢- رَأَى بِسَيْنِيهِ مَاءَ عَزٍّ مَوْرِدُهُ وَلَيْسَ يَمْلِكُ دُونَ الْمَاءِ مُنْصَرِفًا
 يقول : مَثَلِي وَمَثَلُكَ فِي مِثَاسٍ حَاجَتِي إِلَيْكَ ، وَتَنَاهَى رَغْبَتِي فِي وَصْلِكَ وَالنَّيْلِ مِنْكَ ، وَفِي احْتِجَازِكَ عَنِّي وَامْتِنَاعِكَ مِنِّي ، مَثَلُ رَجُلٍ عَطِشَانَ شَاهِدَ مَاءٍ ، وَقَدْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَرُودِهِ وَهَذِهِ عَمِيقَةٌ يَنْخَسِي مِنْ اقْتِحَامِهَا الْمَلَكَ ، فَالْمَاءُ بِمَرَأَى مِنْهُ ، وَقَدْ غَلَبَتْهُ الْمَانِعُ عَنْهُ ، لَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى انْصِرَافِهِ مِنْ دُونِهِ ، لِنَلْبَةِ الْعَطَشِ عَلَيْهِ ، وَشِدَّةِ الْفَاقَةِ إِلَيْهِ ، فَكَذَلِكَ أَنَا وَأَنْتَ . وقوله « رَأَى نَهْلًا » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَقَدْ مَقْدَرَةٌ فِي الْكَلَامِ ، لِأَنَّ رَأَى بَنَاءٌ لِلْمَاضِي . وَالنَّهْلُ وَالنَّهْلُ : الْمَاءُ ، وَمَوْضِعُ الْمَاءِ . وقوله « وَدُونَهُ هُوَّةٌ » فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلنَّهْلِ ، كَمَا أَنَّ عَزَّ مَوْرِدُهُ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلْمَاءِ . وَإِنَّمَا قَالَ « رَأَى بِسَيْنِهِ » فَذَكَرَ

العَيْنَ تَأْكِيداً لِرُؤْيَا . ومثله قوله تعالى : ﴿وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ وما أشبهه .

٥٨٥

وقال آخر :

١ - أَلَا بِأَيْدِي جَفَرٍ وَبِأَيْدِي نَقُولُ إِذَا الْهَيْجَاءُ سَارَ لَوَاؤُهَا

٢ - وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ مَاخُوفٍ قَوْمِهِ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَطُولَ بَقَاؤُهَا

قوله « أَلَا بِأَيْدِي » ، الجملة في موضع الفعل لقوله نقول . والباء من « بِأَيْدِي »

تعلق بفعل مضمر ، والمراد : نفدي بِأَيْدِي وَأَمْهَاتِنَا جَفراً إِذَا سَارَ الْحَيْسُ وَسَقَلَ

لَوَاءُ الْجَيْشِ قَاصِداً إِلَى الْهَيْجَاءِ . وأضاف اللواء إلى ضمير الهيجاء لحاجتها إليه .

وقوله « وَلَا عَيْبَ فِيهِ » يريد أن جفراً يرى من السيوف إلا من مخافة

قومه على نفسه أَلَّا يَطُولَ مُدَّتُهَا ، ولا يتنفس مَهْلُهَا . وليس ذلك بعيب ، وإنما

يُسَفِّقُونَ بِمَا ذَكَرَ تَفَافُساً فِي حَيَاتِهِ ، ورغبة في الانتفاع به وبمكانه ، لكنه

أراد أن من ذلك مَعِيبُهُ ، فكيف يكون سريره .

فإن قيل : لِمَ أَدخَلَ هَذَا فِي جُمْلَةِ النَّسِيبِ وَلَيْسَ هُوَ مِنْهُ ؟ قُلْتُ : لَطَافَةُ

لَفْظِهِ وَحِلَاوَةُ مَعْنَاهُ ، وَمُنَاسَبَتُهُ بِذَلِكَ لِلنَّسِيبِ ، أَدخَلْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ . وقد

قُلْتُ لِمَلِّ هَذِهِ الْمَلَّةِ مِثْلَ هَذَا فِيمَا تَقَدَّمَ ، وَنَبَّهْنَا عَلَيْهِ ^(١) .

٥٨٦

وقال آخر :

١ - وَإِنِّي عَلَى هِجْرَانٍ بَيْنِكَ كَالَّذِي رَأَى نَهْلًا رِيًّا وَلَيْسَ بِنَاهِلٍ

٢ - بِرِيٍّ بِرَدِّ مَا ذِيدَ عَنْهُ وَرَوْضَةٍ بِرُودِ الضَّحَى فَيَنَانَةٌ بِالْأَصَانِلِ

يقول : إِنِّي عَلَى مَا أَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ تَمَرُّلِي لِبَيْتِكَ ، وَمِهَاجِرَتِي لِفَنَائِكَ ، وَمَا

أتقى به من مكاشفة الرقباء على ترصدهم بالمكروه لى ولك ، واختلافهم فى التقاط
حديثي وحديثك ، لكالمطشان وقد رأى ماء مَرُوباً كثيراً ، بارداً شهباً ،
فمنع منه ، وشافه^(١) روضةً باردةً الظل عند الضحاه ، كثيرة الأقدان والنصون ،
إذا هبت رياح العشاء فحيل بينه وبينها . والنهل : لئلا . والنهل : الريان هاهنا ،
ويكون المطشان أيضاً فى غير هذا . وذيد عنه ، أى منعه منه . والفيانة : الكثيرة
الأقدان ؛ وهو فيعال . والقنن : الفصن . والأصائل : المشيت .

وقوله « يرى برد ماء » ، يقول : يرى ماء بارداً ، لأن البرد لا يدرك
بالتين . وإن شئت قلت : جملة المبالغة فى الوصف كالحسوس .

٥٨٧

وقال آخر :

١ - فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْفَضَا إِنَّ بِالْفَضَا رَقَارِقَ لَا زُرْقَ الْعُيُونِ وَلَا رُمْدًا^(٢)

٢ - أَكَاذُغَدَاةُ الْجَزَعِ أَيْدِي صَبَابَةٍ وَقَدْ كُنْتُ غَلَّابَ الْهَوَى مَاضِيًا جَلْدًا

يخاطب صاحبتين له يسألهما أن يحجوزا بأهل الفضا ، لأن فيها نساء يترقرق
مياه الشبَاب فيهن ، لا زُرْقَ فى عيونهن ولا رَمْد . ويقال : فتى رَقَارِقُ ، وفنأة
رَقْرَاقَةٌ ، والمراد به ابتداء الشبَاب . وذكر بعضهم أن للراد بالرقارق مياهاً رقيقةً ،
وأن الزُرْقَ الصَّافِيَّة ، والرَّمْدُ التَّغَيُّرُ الْأَلْوَان ، والأوَّلُ أقرب ، لأن الرَّمْدَ
لا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فى الْحَاسَةِ ، ولأنَّ الْفَائِدَةَ فى كَوْنِ مِيَاهِ الْفَضَا عَلَى هَذِهِ الصُّفَةِ
قَلِيلَةٌ . وقصد الشاعر فيما كَلَّفَ صَاحِبَتَيْهِ أَنْ يَحْدِثَا عَنْهُمَا بِأَهْلِ الْفَضَا ، ويترقا
من أخبار محبوبته ، ما تسكن نفسه إليه . وفى قوله « إِنَّ بِالْفَضَا رَقَارِقَ » ، إذا
جملت الرقارق نساء ، نسيب بها وبصواحبها . وقوله « لَا زُرْقَ الْعُيُونِ » ،

(١) كذا فى النسخين ، ومعنى بها المغاربة . (٢) ل والتبريزى : «رها» ، بالهمز .

تَبَّتْ لَهْمُنْ كَحَلِّ الْعِيُونِ وَسَلَامَتَهَا مِنَ الْآفَاتِ ، بِنَفْيِ الْأَصْدَادِ عَنْهَا ، وَهَذَا كَتَحْدِيدِ الشَّيْءِ بِالسَّلْبِ .

وَقَوْلُهُ « أَكَادَ غَدَاةَ الْجِزْعِ » يَصِفُ مَا نَالَهُ غَدَاةَ يَوْمِ التَّيْنِ ، وَأَنَّهُ مَعَ ثَبَاتِهِ فِي الشَّدَائِدِ ، وَصَبْرِهِ عَلَى النَّوَائِبِ ، وَحُسْنِ تَمَاسُكِهِ عَنْ جَوَالِبِ الْهَوَى ، يَفْتَضِخُ وَيُظْهِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْاِكْتِنَابِ وَالْوَجْدِ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مَسْكِنَاتِ صَبَابَتِهِ ، وَخَفِيَّاتِ أَحْوَالِهِ .

٣ - فَلِلَّهِ دَرَى أَىْ نَظَرَةٍ ذِي هَوَى نَظَرْتُ وَأَيْدِي الْعَيْسِ قَدْ نَكَبْتُ رَفْدًا^(١)

٤ - يُفَرِّقُنْ مَا قَدْ آمَنَّا مِنْ تَنَوُّفَةٍ وَيَزِدُّنْ عَمَّنْ خَلَفْنَاهُنَّ بِنَا بُعْدًا

قَوْلُهُ « اللَّهُ دَرَى » يَجْرَى مَجْرَى : اللَّهُ خَيْرِي . وَمِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَنْسُبُوا مَا يُعْجِبُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا فِي الْحَقِيقَةِ لَهُ . وَقَدْ فَارَقَ دَرَى بِالِاسْتِمَالِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ لِلْمَصَادِرِ ، فَلَا يَتَصَلَقُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مَقَالِفَاتِهَا . وَقَوْلُهُ « أَىْ » نَظَرَةٍ ذِي هَوَى » تَعْجِبُ ، وَاتَّصَبَ أَىْ بِنَظَرْتُ . وَكَأَنَّهُ لَمَّا صَبَرَ عِنْدَ مَا رَأَى مِنْ آيَاتِ الْفِرَاقِ وَلِإِذَاعِ التَّيْنِ ، وَصَارَ بِمَرَأَى مِنْهُ وَبَسَمَعَ ، مِنَ التَّهَيُّؤِ لِلْإِرْتِمَالِ ، وَمِنْ تَدْبِيرِ عَوَارِضِ السَّقَرِ ، عَدَّ ذَلِكَ مِنْ نَظَرِهِ وَجَلَدَهُ شَيْئًا عَجِيبًا . وَمَعْنَى « نَكَبْتُ رَفْدًا » وَهُوَ مَوْضِعُ كَانَ يَجْمَعُهُمْ . وَبِحُجُوزِ أَنْ يَرِيدَ بِذَلِكَ نَظَرَةً فِي لُغَةِ الظَّالِمِينَ تَحْشُرُ أَوْ صَاحِبَتُهُ مَعْنَى ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ^(٢) :

بِعَيْنِي ظُنُّنُ الْحَيِّ لِمَا تَحَمَّلُوا لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاحِ مِنْ جَنْبِ تَيْمَرَا
وَقَوْلُهُ^(٣) :

وَلَا بَدَأَ حَوَزَانُ فِي الْآلِ دُونَهَا نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنِيكَ مَنَظَرًا^(٤)

(١) التبریزی : « أَىْ نَظَرَةٍ نَظَرُ » ، وَأَشَارَ إِلَى الرِّوَايَةِ الْآخَرَى .

(٢) هُوَ أَمْرُ الْقَيْسِ . دِيَوَانُهُ ٩٠ .

(٣) هُوَ أَمْرُ الْقَيْسِ . دِيَوَانُهُ ٩٥ .

(٤) يَرُودُ أَيْضًا : « وَالْآلُ دُونَهُ » .

وبكون على هذا قوله « نَكَبْتُ رَفْدًا » منناه انحرفن عنه وترَكْنَه ، لكونه مفرق الطرق .

وقوله « يقرِّب ما قُدَّامنا من تنوفة » وصف العيس بالشرعة . والتنوفة : اللقازة . والمراد أن ما يقطعها غيرها في يومين تقطعها هذه في يوم . والكلام تحسر وتوَجَّع ، لتباغذه عن هواه مهم . ومثله قول الآخر :
إذا نحن قلنا وردهنَّ ضحى غدٍ تَمَطَّيْن حَتَّى وَرَدُهُنَّ طُرُوقُ
وتملق الباء من قوله « بنا » بقوله يَرَدَدْن . وبعدا ، انتصب على التمييز .

٥٨٨

وقال ابن هرم الطائي^(١) :

- ١ - إني على طول التجنب والنوى ووَاشٍ أَتَاهَا بِي وَوَاشٍ بِهَا عِنْدِي^(٢)
 - ٢ - لأحسين رَمِّ الوصل من أم جعفر يحذر القوافي والمنوفة الجرد
- يصف حسن تأثيه في عمارة الهوى والحب ، وبلغ لطفه في تلافى ما يخاف انقطاعه من علائق الوصل ، وانتكائه من وثائق العهد ، لوشاية واشٍ ، أو تضريب مفسيد ، أو قدح ساع بالنمام مزيد . فيقول : إني على مطاوعة البعاد ، ومعاونة الوشاة بالتجريس والإفساد ، لأحسين عمارة الحال بيني وبينها ، ورم ما يستريم من جوانب وصلها ، بما أنظمه من الشر ، وأحكمه من عقد الشر في رسالي ، وأردده من الرُّسُل المتوجهين إليها على رواجلي . وقيل في الحد : إنها الأبيات النافذة ، وقيل : هي الخفيفة الوزن ، اللطيفة السبك . وقيل : إنها المسقطة بأنفسها ، ويقال : بيت أخذ ، إذا لم يكن مضمنا . والمنوفة : المروضة

(١) التبريزي : « الكلابي » .

(٢) التبريزي : « التجنب والهوى » و « لما عندي » .

المُدَلَّة من التُّوق . كذا قال الخليل . والجُرد : السَّراع . ويقال : نَجَّاه أَجْرُد . قال الشاعر :

* جَذَبَ الْقَرِينَةَ لِلنَّجَاءِ الْأَجْرُدِ ^(١) *

وخبر إن في قوله « لَأَخِينُ رَمِّ الْوَصْلِ » .

٣- وأَسْتَخِيرُ الْأَخْبَارَ مِنْ تَحْوِ أَرْضِهَا وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرَّكْبَ عَهْدُهُمْ عَهْدِي
٤- فَلَنْ ذُكِرَتْ فَاصْتَمِنَ التَّيْنَ عَبْرَةً عَلَى لِحْيَتِي نَثْرَ الْجَبَانِ مِنَ الْعَقْدِ
قوله « وَأَسْتَخِيرُ الْأَخْبَارَ » ، يجوز أن يكون على حذف المضاف وإقامة
المضاف إليه مقامه . والراد : وأَسْتَخِيرُ ذَوِي الْأَخْبَارِ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا . ويجوز أن
يريد أَرَجِحُ فِيهَا أَعْرَفَ مِنْ أَخْبَارِهَا فِيَا يَبْقَى وَبَيْنَ نَفْسِهَا حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، طَالِبًا
لِاسْتِخْرَاجِ زِيَادَةٍ فِيهَا ، وَمُسْتَعْتِمًا بِمَا يَكُونُ حَاصِلًا فِيهَا ، فَكَأَنِّي أَسْتَخِيرُ نَفْسَ
الْخَبِيرِ . وقوله « وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرَّكْبَ عَهْدُهُمْ عَهْدِي » مثله قول الآخر :

* وَذِكْرُكَ مِنْ بَيْنِ الْحَدِيثِ أَوْيْدُ *

استحلا لاسمها ، وتلذذاً بذكرها .

وقوله « فَإِنْ ذُكِرَتْ » يقول : وَإِذَا قَرَعَ سَمِي ذِكْرُهَا بِكَيْتُ شَوْقًا إِلَيْهَا ،
ووجدنا بها ، فسال النَّاسُ مِنْ عَيْنِي ، وَانْتَهَرَ مَا غَشِيَ لِحْيَتِي مِنْهُ نَثْرَ الْجَبَانِ مِنْ
قِلَادَةٍ لَمْ يُتَّفَقْ نِظَامُهَا ، وَخَانَ سِلْسُكُهَا ، وَتَنَاثَرَ حَبَاتُهَا . وَانْتَصَبَ « نَثْرَ » عَلَى
الْمَصْدَرِ مِنْ غَيْرِ نَفْظِهِ ، فَهُوَ كَقَوْلِكَ : تَبَسَّمتُ وَمِيزُ الْبَرْقِ . وقوله « عَهْدُهُمْ
عَهْدِي » ، الْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ أَسْأَلُ .

(١) النجاء : السرعة . والقرينة : الناقة تشد للمي أخرى .

٥٨٩

وقال عمرو بن حكيم^(١) :

١- خَلِيلِي أَمْسَى حُبَّ خَرَقَاءَ عَامِدِي فِي الْقَلْبِ مِنْهُ وَقَرَّةٌ وَصُدُوعٌ

٢- وَلَوْ جَاوَزْنَا الْقَامَ خَرَقَاءَ لَمْ نُبَيِّنْ عَلَى جَذْبِنَا أَلَّا يَصُوبَ رَبِيعٌ

جمل « أَمْسَى » لاتصال الوقت . وخرقاء : اسم امرأة . وقوله عَامِدِي :

مُتْرَضِي ، يقال : أَيُّ شَيْءٍ يَمُتِدُكَ ، أَيُّ يُوجِمُكَ . والوقرة : الهزيمة والأثر .

يقال : وَقَرَّ الشَّيْءُ ، إِذَا جُمِلَ فِيهِ وَقَرَّتْ . قال المذلل^(٢) :

* فَوَقَّرَ بَرٌّ مَا هُنَالِكَ ضَائِعٌ^(٣) *

يَعْنِي بِالْبَرِّ سَبَقًا .

يقول : يَا خَلِيلِي ، إِنَّ حُبَّ خَرَقَاءَ أَمْسَى يَقْدَحُ فِي قَلْبِي ، قَدْ صَارَ فِيهِ مِنْ

أَجَلِهِ صُدُوعٌ ، وَأَثَارٌ وَشَقُوقٌ ، وَلَوْ اتَّفَقَ فِي هَذَا الْعَامِ مَعَهَا اجْتِمَاعٌ لَمْ نُبَالِ وَإِنْ

أَجَذَبْنَا أَلَّا يَقَعَ مَطَرٌ ؛ إِذْ كَانَ التَّبَرُّكُ بِهَا ، وَالِاسْتِسْمَادُ الشَّامِلُ بِمَكَانِهَا ، يَقُومُ

مَقَامَ كُلِّ خِصْبٍ . وقوله « لَمْ نُبَيِّنْ » جَزَمَهُ سَرَّيْنِ لِأَنَّهُ كَانَ نُبَالِي ، فَدَخَلَ

الْجَاوِزُ عَلَيْهِ لِحَذْفِ لَهُ الْيَاءِ فَصَارَ لَمْ نُبَالِ ، ثُمَّ أَسْكَنَ اللَّامَ بِمَدِّ أَنْ طَلَبَ تَخْفِيفَهُ

لِكَثْرَتِهِ فِي الْكَلَامِ ، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ : الْأَلْفُ وَاللَّامُ ، فَحُذِفَتِ الْأَلْفُ لِلاتِّقَاءِ

السَّاكِنَيْنِ ، فَصَارَ لَمْ نُبَيِّنْ ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَنْقَاسُ . وقوله « عَلَى جَذْبِنَا » فِي مَوْضِعِ

الْحَالِ ، تَقْدِيرُهُ مُجْدِدِينَ . وَيُقَالُ : صَابَ لِلطَّرُ يَصُوبُ ، إِذَا وَقَعَ . وَالرَّبِيعُ :

(١) التبريزي : « عمرو بن حكيم » . وفي معجم الرزبان ٢٤١ : « عمرو بن حكيم

ابن مية التيمي ، من ربيعة الجوع ، إسلاني » . وأما له البيت .

(٢) هو قيس بن عيزارة الملقب . ديوان المذللين (٣ : ٧٨) . وانظر ما سبق

في ١٤١ ، ٣٩٠ .

(٣) صدره : * فَوَيْلٌ لِمَنْ يَزْجُرُ شَمْلًا عَلَى الْحَصَى *

للصّر . ويقال : ما باليتُ بكذا وكذا بالةً وباليةً . أى لم تُبالِ بأن تنقطع الأمطارُ على ما بنا من جَدْب .

٥٩٠

وقال آخر ^(١) :

١ - ألبًا على الدارِ التي لو وَجَدْتُهَا بِهَا أَهْلُهَا مَا كَانَ وَحْشًا مَقِيلُهَا
٢ - وإن لم يكنْ إلَّا مُعَرَّجَ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا
يَأْمُرُ صَاحِبِيهِ بِزِيَارَةِ دَارِ حَبِيبِهِ ، ولو كان سَاعَةً . وَخَصَّصَ الدارَ بقوله « التي لو وَجَدْتُهَا بِهَا أَهْلُهَا » ، وللعنى التي لو وَجَدْتُهَا مأهولةً ما كان موضعُها وَحْشًا ، أى خاليًا مُوحِشًا ، لكثرة أَهْلِهَا وكثرة غواشي النعم فيها . وفى الحديث : « أن قريشًا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إِنَّا لَأَكْرَمُ مُقْلَمًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا » ، أى موضعًا ، فَأَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ - يعنى النبي عليه السلام وأصحابه - ﴿ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ . ويقال : هَاتِ فلان وَحْشًا ، أى خالى البطن ؛ وَتَوَحَّشَ للدَّوَاءِ ^(٢) .

وقوله « وإن لم يكنْ إلَّا مُعَرَّجَ سَاعَةٍ » ^(٣) ، يريدُ إلَّا مُعَرَّجَ سَاعَةٍ ، وَعَطَفَ سَاعَةٍ . ولم يرضَ بأن أَضَافَ المُعَرَّجَ إِلَى السَّاعَةِ حتَّى وَصَفَهُ بقوله قَلِيلًا ، وهذا على هذا التقدير يكون من الصفات المؤكدة ، لا التَّفِيدَةِ ^(٤) ، كما يجيء الحال كذلك . ولا يجتمع أن يريد تعريحا [قَلِيلًا] ^(٥) فى سَاعَةٍ ، فيكونُ الصَّعَةُ مفيدة .

(١) قال أبو رياش : « البيت الثانى لقى الرمة فى قصيدته التى أولها :

* أَخْرَقَاهُ الْبَيْنَ اسْتَغْلَتْ حَوْلَهَا *

والبيت الثانى ينسبته إلى ذى الرمة فى ديوانه ٥٥٠ . وأما القال (٣ : ٢١٦) والتفتية لابن جنى .

(٢) يراد بالدَّوَاءِ السَّهْل . وتوَحَّشَ للدَّوَاءِ ، إذا أَخْلَى سَدَّتَهُ لِيَكُونَ أَسهْلَ خُرُوجِ الْقُضُولِ .

(٣) فى الديوان : « فَإِنِّي لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَطْلُ سَاعَةٍ » .

(٤) المفيدة ، بالقاء فى النسخين والتبزي . (٥) التكلفة من ل .

وقوله « فَإِنِّي نَافِعٌ لِّ قَلِيلٍهَا » يجوز أن يرشح قليلها بنافع ، ونافع خبر إن ، كأنه قال : فَإِنِّي يَنْفَعُنِي قَلِيلُهَا . ويجوز أن يكون قليلها مبتدأ ونافع خبر له مقدم عليه ، والجملة في موضع خبر إن ، والتقدير إِنِّي قَلِيلُهَا نَافِعٌ لِّي ، وانتصب مُعَرَّجٌ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ لَمْ يَكُنْ ، أراد : وإن لم يكن الإلزام إلاَّ مُعَرَّجٌ سَاعَةً .

٥٩١

وقال آخر :

١ - مَاذَا عَلَيْكَ إِذَا أَخْبَرْتَنِي دَنِقًا رَهْنَ الْمَنِيَّةِ يَوْمًا أَنْ تَعُودِينَا^(١)
٢ - أَوْ تَجْعَلِي نُطْقَةً فِي الْقَعْبِ بَارِدَةً وَتَنَمِيصِي قَالِكٍ فِيهَا ثُمَّ تَسْقِينَا
قوله « دَنِقًا » أى مُسْرِفًا عَلَى الْهَلَاكِ ، وانتصابه عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ ثَالِثٍ لَخُبْرٍ . وقوله « مَاذَا عَلَيْكَ » لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ تَهْرِيعٌ وَبَشٌّ . وَانْتَصَبَ « رَهْنُ الْمَنِيَّةِ » لِأَنَّهُ صِفَةٌ لَدَنَاقَا ، وَمَعْنَاهُ فِي ضِمْنِ الْمَنِيَّةِ وَمَلَكَتِهَا ، وَكَالَرَهْنِ عِنْدَهَا ، إِنْ شَامَتْ أَغْلَقَتْهُ ، وَإِنْ شَامَتْ فَكَبَتْهُ . وَالْمُرَادُ : أَيْ شَيْءٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْ تَعُودِينَا ، إِذَا أَخْبَرْتَنِي عَلِيلًا . فَقَوْلُهُ « عَلَيْكَ » يَقْتَضِي فِعْلًا ، وَذَلِكَ الْقَعْلَ يَعْمَلُ فِي أَنْ تَعُودِينَا ، وَقَدْ حُذِفَ حَرْفُ الْجَزْءِ مِنْهُ ، أَيْ لَا عَارَ عَلَيْكَ وَلَا ضَرَرَ مِنْ عِيَادَتِنَا ، وَلَا مِنْ مُدَاوَنَاتِنَا بِمَا هَذِهِ صِفَتُهُ ، فَهَلَّا فَعَلْتِ . وَقَوْلُهُ « يَوْمًا » ظَرْفٌ لَخُبْرٍ تَتَى . وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي « مَاذَا » فِي مَوَاضِعٍ^(٢) .

(١) دقا ، بفتح الدال وكسرهما ، كما ضبطت في النسخين معروضة بكلمة « وما » فيها .

(٢) انظر ص ٨١١ ، ٩٣٤ .

٥٩٢

وقال جميل^(١) :

- ١ — بُدِّيْتُهُ مَا فِيهَا إِذَا مَا تَبُصَّرْتُ مَعَابُ وَلَا فِيهَا إِذَا نُسِبْتُ أَشْبُ
 ٢ — لَهَا النَّظَرَةُ الْأُولَى عَلَيْهِمْ وَيَسْطَةُ وَإِنْ كُرْتُ الْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا الْعَقْبُ^(٢)
 ٣ — إِذَا ابْتَدَلْتُ لَمْ يُزِرْهَا تَرْكُ زِينَةٍ وَفِيهَا إِذَا زِدَانَتْ لِيْذِي نَيْقَةٍ حَسْبُ
 تَبُصَّرْتُ ، أَيْ اسْتَقَمِيَ النَّظَرُ إِلَيْهَا ، وَالْكَشْفُ عَنْ حَالِهَا . وَالْمَعَابُ :
 الْعَيْبُ . وَالْأَشْبُ : اتَّخَلَطَ : يَقُولُ : إِنَّهَا عِنْدَ السَّيْرِ وَالنَّظَرِ ، وَالْكَشْفُ وَالتَّأَمُّلِ ،
 نَيْقَةٌ مِنَ الْعَيْبِ ، بَرِيئَةٌ مِنَ الشُّوبِ ، فَلَهَا عِنْدَ اللَّبَالَةِ فِي الْبَحْثِ النَّظَرَةُ الْأُولَى ،
 وَلَهَا الْبَسْطَةُ وَهِيَ النَّظَرَةُ الثَّانِيَّةُ ، وَيَعْنِي بِهَا أَنْ يُبَسِّطَ التَّيْمِيزُ عَلَى مَا يَتَجَلَّى
 مِنْ أَمْرِهَا ، وَيُسَلِّطَ التَّنْقِيحَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا يَخْفَى مِنْ أَحْوَالِهَا . قَالَ : وَلَهَا الْعَقْبُ
 أَيْضًا ، وَهُوَ النَّظَرُ بَعْدَ النَّظَرِ ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ الْجُرْيُ بِمَدِّ الْجُرْيِ . وَالْعَرَبُ
 تَقُولُ : « النَّظَرَةُ الْأُولَى حَقَّاهُ » فَلِهَذَا قَالَ : لِهَذِهِ الرَّأْيَةِ النَّظَرَةُ الْأُولَى ، وَلَهَا
 الْكَشْفَةُ الثَّانِيَّةُ وَهِيَ الْبَسْطَةُ ، وَلَهَا الْبَحْثَةُ الثَّالِثَةُ ، وَهِيَ تَعَقُّبُ التَّجَرُّبَتَيْنِ
 بِتَجَرُّبَةٍ ثَالِثَةٍ .

وقوله « إِذَا ابْتَدَلْتُ » يَقُولُ : إِذَا تَرَكْتُ التَّزْيِينَ وَانْكَسَتْ الْمِبَادِلُ
 لَمْ يَقْصُرْ بِهَا ذَلِكَ ، وَإِنْ تَزَيَّنْتُ كَانَ فِيهَا لِمَتَانِ الْكَفَايَةُ مِنْ جَمِيعِ مَا يَطَّابُ
 فِيهَا نَفْسًا وَخَلْقًا ، وَمُنَسَّبًا وَخُلُقًا . وَقَوْلُهُ « لَمْ يُزِرْهَا » أَيْ لَمْ يُزِرْ بِهَا ، يُقَالُ :
 زَرَيْتُ عَلَيْهِ وَأَزْرَيْتُ بِهِ ، لَكِنَّهُ حَذَفَ الْجَارَ . وَقَوْلُهُ « حَسْبُ » أَيْ كَافٍ ،

(١) سبقت ترجمته في الجلسة ١٠١ ص ٣١٤ .

(٢) التبريزي : « وروى : لها النظرة الأولى عليهن بسطة » .

فهو مبتدأ . على هذا تقول : حَسْبِيَ اللَّهُ وحده ^(١) ، ومثل هذا قول جرير :
إِذَا حُلِيْتُ فَالْحَلُّ مِنْهَا بِمَقِيدٍ مَلِيحٍ وَإِلَّا لَمْ يَشْنِهَا عَوَائِلُهُ

٥٩٣

وقال الحارثي ^(٢) :

١ - سَلَبْتُ عِظَامِي لِحِمَا فَتَرَكْتُهَا مُجْرَدَةً تَضَعِي إِلَيْكَ وَتَخْضَعُ ^(٣)

٢ - وَأَخْلَيْتُهَا مِنْ نُحْمَا فَكَأَنَّهَا قَوَارِيرُ فِي أَجْوَاهَا الرِّيحُ تَصْفِيرُ ^(٤)

يقول : أَذْيَنْتِي بهواك ، وانحسر اللحمُ من عظامي وتمرت ، فهي بارزة في النهار للشمس ، وعند الليل للبرد ، إِذَا أُوْبْتُ إِلَيْكَ وَأَسَاذْتُ . و « إِلَيْكَ » موضعه بالفعل الذي يقتضيه نصبُ على الحال ، وإنما قال هذا لأنَّ المهزول الحرَّ والبرد إليه أسرع وأشدُّ تأثيراً فيه . ويقال : ضَجَى يَضْجِي ضَجًى ، أصابه حرُّ الشمس ، ولُفَّةٌ : ضَحَا يَضْحُو ضَحْواً وضُوعاً .

وقوله « وَأَخْلَيْتُهَا مِنْ نُحْمَا » ، يريد أنها أذهبت النُّحَى من المظالم أيضاً ورققتها ، فخلت من نخها واستشفت ، فهي كالقوارير الخالية لو هبت الريح عليها لصفرت بما يتخللها من الريح صفيراً .

وقوله « فِي أَجْوَاهَا الرِّيحُ تَصْفِيرُ » . الجملة في موضع الصفة للقوارير ، وموضع تصفيرُ نصبُ على الحال إن جعلت الرِّيحُ ترتفع بالظرف ، وكذلك مجرَّدة في موضع الحال . ويروى : « فَكَأَنَّهَا أَنَايِبُ فِي أَجْوَاهَا الرِّيحُ » ، والأول أحسن .

(١) ابن جني في التثنية : « ليس حسب هذه هي التي في قولك في الأمر : حسبك يتم الناس . تلك اسم للقل ، أي اكتف ، وقوله جزم يتم كما يجزم جواب الأمر . لكن حسب هنا ، التي في قول الله تعالى : فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ ، أي كافيك . وأصلهما جميعاً من قول الله سبحانه : عطاء حساباً ، أي كافيًا » .

(٢) كذا في النسخين والتبريزي . والأبيات منسوبة للمجاهدين في مال الظالم (١: ١٦٧) .

(٣) الأماي : « معرفة ضحى ليدك » .

(٤) وكذا في الأماي . وعند التبريزي : « فَتَرَكْتُهَا أَنَايِبُ » .

٣— إِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّهُمُ الْفِرَاقَ تَقَطَّعَتْ مَفَاصِلُهَا مِنْ هَوْلٍ مَا تَنْتَظَرُ^(١)
 ٤— خُذِي يَدِي ثُمَّ أَتَيْتَنِي بِتَبَيِّنٍ بِي الضَّرَّ إِلَّا أَنِّي أَنْسَرْتُ^(٢)
 جميل الإخبار عن العظام ، وإن كان ما وصفه حالاً للجملة لا لها وحدها ،
 لقوله : سَلَبْتَ عِظَامِي لَهَا . والمعنى إنَّ ذِكْرَ الْفِرَاقِ يَبْلُغُ مِنْهَا هَذَا الْمَبْلَغَ الْعَظِيمَ .
 وهي أَنَّهَا لَا تَرْتَادُهَا تَتَدَاخَلُ مَفَاصِلُهَا وَيَحْتَكُّ بِقَضَاهَا بَعْضُ حَقِّي تَسْمَعُ لَهَا
 قَعْمَةً ، وَذَلِكَ لِهَوْلِ مَا يَنْتَظَرُهُ مِنْ وَقْعِهِ فِي نَفْسِهِ ، وَاسْتِعْظَامِهِ لِلخَطْبِ
 فِيهِ وَلَهُ .

وقوله « خُذِي يَدِي » أَرَادَ أَنْ يُرِيَّيَهَا مَا تَسْتَبْعِدُهُ مِنْ وَصْفِ حَالِهِ بِالْخَبَرِ
 مُشَاهِدَةً ، فَقَالَ : خُذِي يَدِي مُسْتَهْضَةً لِي بَيِّنَ لَكَ أَمْرِي ، وَيُظْهِرُ لِلْمَكُونِ
 نَيْكَ مِنْ ضَرْمِي ، وَالْجُلُوبُ عَلَى مَنْ هَزَّ أَلِي ، وَلِلْهُتُورِ عَنْكَ مِنْ سُوءِ حَالِي ،
 وقوله « إِلَّا أَنِّي أَنْسَرْتُ » اسْتِنْلَاءٌ مُنْقَطِعٌ مِنَ الْأَوَّلِ ، كَأَنَّهُ أَرَادَ : لَكِنِّي أَنْسَرْتُ
 بِتَجَلُّدٍ أَظْهَرُهُ ، وَبَصِيرَةٍ أَتَى النَّاسَ بِهِ : وَفِي الْبَيْتِ طِبَاقٌ بِقَوْلِهِ تَبَيَّنِي وَأَنْسَرْتُ .
 وَأَصْلُ تَبَيَّنِي تَبَيَّنِي ، فَخُذْ أَحَدِي الْتَّابِيَيْنِ .

تم باب النسب ، والحمد لله على تظاھر آلائه ، ونوالی نعمائه ،
 والصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ^(٣) .

(١) القال :

إِذَا سَمِعْتَ ذِكْرَ الْفِرَاقِ تَقَطَّعَتْ عِلَاقَتُهَا بِمَا تَخَافُ وَتَحْذَرُ
 (٢) التبريزي : « ثُمَّ ارْغَمِي الثُّوبَ فَانْظُرِي » . وَأَوَّلُهُ بَعْدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَلَمْ
 يَرْوِ الْقَالَ :

فَإِجْلِي إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ رَحْمَةٌ عَلَىَّ وَلَا لِي عَنْكَ صَبْرٌ فَأَصْبِرْ
 فَوَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِيمَا أَظْنَعُ رِضَالِكَ ، وَلَكِنِّي مُحِبٌّ مُكْفَرٌ

(٣) الكلام من أول « ثُمَّ » لِي هُنَا لَمْ يَرِدْ فِي ل .

بَابُ الْفَحَاءِ

بابُ الْمُجْمَاءِ^(١)

٥٩٤

قال موسى بن جابر^(٢) :

- ١ - كَانَتْ خَنِيفَةً لَا أَبَالَكَ مَرَّةً عِنْدَ الْإِقَاءِ أَسِنَّةٌ لَا تَنْكَلُ
 - ٢ - فَرَأَتْ خَنِيفَةً مَارَاتٍ بِأَشْيَاعِهَا وَالرَّيْحُ أَحْيَانًا كَذَلِكَ نَحْوُلُ
- هذا الكلام تهكم وسخرية . ولا أَبَالَكَ : بهت وتحميض ، وليس بنفي للأبوة ، وخبر لا محذوف ، لأن النية في لا أَبَالَكَ الإضافة ، ولذلك أثبت الألف في أبا ؛ فكانت قال لا أَبَالَكَ موجود أو في الدنيا . وقد مضى القول فيه مشروحا^(٣) . فيقول : كانت هذه القبيلة فيما مضى من الأيام ، وتقضى من الزمان ، عند لقاء الأعداء وفيما تباشره من الأمور والأحوال ، أسِنَّةٌ لَا تَكْبُو وَلَا تَضَعُفُ ، نَفَاذًا فِي الْمَزَامِ وَمَضَاءُ ، وَلَا تَنْبُو وَلَا تَقْفُ ، كُؤُلًا فِي الصَّرَامِ وَكُؤُلًا ، فقد عادت الآن مقتديةً بأشياءها ، وأخذت إخذهم في الارتداد والنكوص ، والإحجام والنبو ؛ والريح تتحول أحيانا [كذلك ، مرة تكون شمالا ومرة

(١) التبريزي : « المجاء هو الوقعة في الأسباب وغيرها ، ورى الإنسان بالعباء ، وأسله النكين ، من قولهم : هجا غنمه وجوعه وأحجى ، إذا سكن . فكانت لذا روى الإنسان باليوب سكن من إشرافه . وقيل : بل معناه التضميل ، ومنه حروف المجاء ، وهجا فلان الكلمة ، إذا فصل حروفها . فكان الشاعر إذا هجا غيره مزقه وفصله » .

(٢) سبقت ترجمته في الخامسة ١٢٣ من ٣٦٣ . قال التبريزي رواية عن يريف العميرة « إنما سمي موسى لأنه لما رفع من بين الله والشجر ظلوا : موسى ، كان معناه مقلوب ، أي نقلوه كما ينقل اللحم من القدر » . وهذا يطابق ماورد في سفر الخروج ٢ : ١٥ .

(٣) انظر ص ٥٠٠ - ٥٠١ .

جنوبا . وقوله « كذا » موضعه من الإعراب نصبٌ على المصدر من تحوّل . أراد :
والريح تتحوّل أحيانا^(١) [تحوّلًا كذلك . أى كما عرفت .

٥٩٥

[وقال قراد بن حنن الصاردي^(٢) :

- ١ - لقوى أرعى للعلّى من عصاةٍ من الناس يا حار بن عمرو تسودها
 - ٢ - وأتمّ سماءا يُعجبُ الناسَ رِزها بأيدةٍ تُنحى شديدٍ ويُدّها
 - ٣ - تُقطعُ أطنابَ البيوتِ بحاصِبٍ وأكذبُ شيءٍ برّقها ورعودها
 - ٤ - فويلُها خيالًا بهاءٍ وشارةٍ إذا لا قتِ الأعداءُ لولا صدودها
- يقول : لقوى أحسنُ رعايةً وتفقدًا ، وأوفرُ عنايةً وتكشُّبًا لأسبابِ العلّى
وحِفظِ أواخِيها وموادّها ، من طائفةٍ من الناسِ أنتِ تسوسُها وتُدبّرُها ، وما
أشبهُكم في كثرةِ دعاويكم وقلةِ فعالِكُم إلّا بسعايةٍ تكثرُ برُوقها ورعودها ،
ويُعجبُ متأمِّلُها ومستمتعها ربّابُها وهديرها ، بريحٍ تمُدُّ أبدًا — أى أمجوبةً
أوداهيةً تبقى على الأبد — شديدةَ الحفيف ، قُطاعةً لحبالِ البيوتِ بما يجيء
منها بالخصبَاء ، ثم تراها مُخلّقةً^(٣) فيما وعدت من اللطف ، فأكذبُ شيءٍ برّقها

(١) التكملة من ل .

(٢) التكملة من التبريزي وابن جني في التنبية . وقال المرزباني في معجمه ٣٢٧ : « قراد
ابن حنن بن عبد الله بن عبد البري بن صبيح بن سلامة بن الصارد بن صبة ، جاهل من شعراء
غطفان المعموورين . وهو قليل الشعر جيدة ، قال أبو عبيدة : كانت غطفان تغير على شعره
فتأخذه وتدعيه ، منهم زهير بن أبي سلمى ، ادعى الأبيات التي أولها :

لأن الرزقة لا رزقةً مثلها ما يفتنى غطفان يوم أخلت

وهم بنو الصارد بن صبة بن عوف بن غطفان . الاشتقاق ١٧٦ . قال التبريزي : « الصارد :
التأفد : صرد السهم يصرد صردا .

(٣) كذا في ل . وفي الأصل : « مخالقة » .

اللَّمَاع ، ورَعْدُهَا النَّبَّاح . والباء من قوله « بَابِدَة » تعلقَتْ بقوله « يُعْجِبُ الناس » أى يعجب رَزَاها بَابِدَة ، أى ومعا أَبِدَة .

وقوله « قَوَيْلُهَا خَيْلًا » انتصب خَيْلًا على التمييز ، وحذفت المدة من أم في قوله « وَيْلُهَا » لكثرة الاستعمال ، وليس الحذف هذا بقياس . واللَّفظة تعيد التَعْجِب . و « بهاء » انتصب على أنه مفعول له ، فيقول ساسخراً : وَيْلُهَا من خيل ، لكامل بهائها ، وحسن شارتها ، عند لقاء الأعداء ، لولا انهزامها وإعراضها .

وروى : « لَقَوَيْ أَدْعَى لِلْمَلَى » بالذال^(١) ، والأوّل أحسن وأصوب .

والمصابة : الجماعة . وقوله « يا حَارِ بْنِ عمرو » الترخيم في قول من يقول في النداء يا حارث بن عمرو ، فَيَضُم وينوّن في غير النداء ، فيقول : هذا زيد بن عمرو^(٢) . وأحسن منه في قول من يقول : يا حارث بن عمرو ، فيفتح ويحصل الأول والثاني بمنزلة شيء واحد ، وذلك أنه يُخرج آخر الاسم إذا جُعِل مع الصفة شيئاً من أن يكون آخرًا ، والترخيم يدخل الأواخر لا الأواسط .

وقوله « وأتم سماء » يُسمون السحاب سماء ، وكذلك المطر . ألا ترى قوله :

(١) التبريزي : « للراد أكثر دماء إلى الليل » .

(٢) هذا نص نحوي نادر . وقال ابن جني في التنبيه : « كان القياس ألا يجوز ترخيم الاسم الموصوف بابن ، من قبل أن العلم إذا وصف بابن فلان فقد جملا ما كالاسم الواحد ، ولذلك قالوا يا زيد بن عمرو ، ففتحوا الأول لفظة الثاني ، وإذا كانا كالاسم للفرد فقد حصل جزء الاسم الأول حشوا إذن لا مطرًا ، وإذا كان حشوا لم يحطرق عليه حذف الترخيم . فهذا وجه قياس امتناعه ، غير أنه جاز فيه الترخيم من حيث كان الموضع موضع إيجاز واختصار ، ولذلك حذف التنوين من الأول ، فلما جاز حذف تنوينه بنسب إضافة جاز أيضاً حذف آخره للترخيم » .

إذا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(١)
والرَّزُّ وَالْوَيْدُ جَمِيعًا : الصَّوْت . ومعنى تُنْجَى تُقْبَل . وقوله « لولا
صدودُها » جواب لولا في صدر البيت ، وقد تقدَّم القول في المبتدأ بعده وبحيثه
بلا خبر^(٢) .

٥٩٦

وقال عُمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ^(٣) :

١ — مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عَقِيلًا رِسَالَةً فَإِنَّكَ مِنْ حَرْبٍ عَلَى كَرِيمٍ
٢ — أَلَمْ تَعْلَمْ الْأَبَّامَ إِذْ أَنْتَ وَاحِدٌ وَإِذْ كُلُّ ذِي قُرْنٍ إِلَيْكَ مُلِيمٌ^(٤)
٣ — وَإِذْ لَا يَفِيكُ النَّاسُ شَيْئًا خَافَهُ بِأَنْفُسِهِمْ إِلَّا الَّذِينَ تَصْنِمُ
عَمَّى أَنْ يَتَّقَى مِنْ يَبْلُغُ عَقِيلًا عَنْهُ رِسَالَتَهُ ، فَأَنَّى بَلَفُظَ الاسْتِفْهَامَ ، والرسالة
« إِنَّكَ مِنْ حَرْبٍ عَلَى كَرِيمٍ » وما بعده . وبني كلامه على الاستعطاف ، ثم
أخذ في التقرُّيع . ومعنى قوله : « إِنَّكَ مِنْ حَرْبٍ عَلَى كَرِيمٍ » إِنَّكَ تَكْرُمُ
عَلَى^(٥) مِنْ جَهْلَةٍ مِنْ يَنْسَبُ إِلَى بَنِي حَرْبٍ .

(١) لمود المسكاه معاوية بن مالك ، كما في اللسان (٣٠٠) .

(٢) انظر ص ٢٨٣ .

(٣) كذا في النسخين . وعند التبريزي وابن جني : « مجلس بن عقيل بن علفة » .
وقد سقت ترجمة عقيل بن علفة في ص ٤٠٠ . وفي الأغاني (١١ : ٨٤) نسبة الأبيات إلى
علفة بن عقيل بن علفة ، وعلفة بن عقيل أخو مجلس بن عقيل . وأما عمارة فهو عمارة بن بلال
بن جرير بن عطية بن الحظفي . وكان شاعراً مقدماً فصيحاً ، يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء
في الدولة العبّاسية فيجزلون سلته ، ويمدح قوادهم فيخطي بكل قائمة . وكان التجويون بالبصرة
يأخذون عنه اللغة . الأغاني (٢٠ : ١٨٣) . ونسبة الشعر إلى عمارة نسبة خاطئة . وللأبيات
قصة في ترجمة عقيل بن علفة من الأغاني (١١ : ٨٤) .

(٤) التبريزي : « أَلَا تَعْلَمُ الْأَبَّامَ » . الأغاني : « أَمَا تَذَكُرُ الْأَبَّامَ » و « ذَمِيمٌ » .

(٥) وقد تابعه التبريزي في هذا الفهم ، وليس لعقيل بن علفة علاقة ببني حرب . وأما
الحرب هنا المداوة وللشاكسة التي كانت مستمرة بين عقيل بن علفة وبينه ، يعني أنه مع ذلك
يكنز له إكراماً واحتراماً .

وقوله « أَلَمْ تَعْلَمْ أَيَّامٌ » تذكيره بخذلان عشيرته إياه ، وتفرده بما كان يقاسيه ، فيقول : أتذكر حين كنت فرداً وحيداً لا ناصر لك ، وإذا كان كلُّ قريبٍ ونسيبٍ لك مُلياً عندك — والمُليُّ : الذي يأتي بما يُلامُّ عليه — وحين لا وافي لك من شيء تخافه إلا الذين أنت تظلمهم الساعة . قوله « إلا الذين » استثناء بدل ، ويجوز أن يكون في موضع النصب على الاستثناء المطلق ، والضمير المائد إلى الذين من الصلة محذوف ، استطالة للاسم ، والتقدير : تضييهم ، أى تظلمهم .

وقوله : « أَلَمْ تَعْلَمْ أَيَّامٌ » ، ألم : يقرُّرُ به فيما ثبت ووقع . ويرى « الأيام » بالرفع ، و « الأيام » بالنصب . فإذا رويت الأيام بالنصب يكون الخطاب لتعجيل ، ويكون تعلم بمعنى تعرف . والمعنى : أما عرفت الأيام التي كان حالك فيها ما ذكرت ، وأتنتسى تلك الأيام . والرد بالأيام حوادث الدهر . وقوله « إذا أنت » ظرف لها ، وإذا رفقت الأيام يكون للمعنى : ألم تعرف الأيام حالتك وقصصتك — والمعنى أهل الأيام وأصحاب الأيام — حين كنت كذا وكذا . فيكون الكلام على حذف للمضاف .

٤ — أَنْزَعُ وَهَى الْأَعْدِينَ وَلَمْ يَقُمْ لِرَهْجِكَ بَيْنَ الْأَقْرَبِينَ أَدِيمُ^(١)

٥ — فَأَمَّا إِذَا عَصَتْ بِكَ الْحَرْبُ عَصَةً فَأَنْكَ مَقْطُوفٌ عَلَيْكَ رَحِيمُ

٦ — وَأَمَّا إِذَا آتَسْتَ أَمْنَا وَرِخْوَةً فَأَنْكَ لِقَرَبَى أَلَدٌ خَصُوصُومُ^(٢)

وقوله^(٣) : أَنْزَعُ لفظه استفهام ، ومعناه التبريع ، فيقول : إنك تسعى في

(١) رواية الأغانى :

تأوله شأو الأعدين ولم يقم لتأوك بين الأقربين أديم

(٢) التبريزى : « خصيم » لكن شرحه يدل على أن الكلمة معرفة ، فهو يقول

خلا عن الرزوق ، وإن لم يصرح كما دته : « والمقصوم بناء للمبالغة » وهو أبلغ من خصيم لأنه أشد تباعداً من أبنية أسماء الناعلين . وانظر ما سيأتى في الحواشى من كلام ابن جني .

(٣) هذا ما فى ل ، وفى الأصل : « يقول » .

استعطاف الأبايد وإذنائهم ، وإصلاح الفاسد من أحوالهم ، رجاء الثناء أمرك بهم ،
وقد آتت نفسك حظك من أفاعيك ، ومن تحدثهم عليك ، لتسعيك في إفساد
أحوالهم ، ونحت أثلتهم ، وتضييع غيتهم . وهذا رأى قائل ، وتوفيق سئى .
وقوله « لم يتم لوحيك » ، يريد بالوحي الذى يحصل بك وبشريك واغتيالك .
وذكر الأديم مثل ، أى لا يبقى أصله لتمزيقك ، ولا يثبت صحته لتخريفك .
ويقال : فلان صحيح الأديم ، وفلان نفل الأديم . وفى اللؤلؤ : « أوسمت
وهيا فارقة » .

وقوله « فأما إذا عصت بك الحرب عصة » يريد : أنك إذا نابتك نائبة ،
وأصابك من أزمات الزمان وعصاته أزمة ، وأجأتك من مصارف الحرب
ضغطة فإنك تستعطف عليك ذويك وعشيرتك ، وتمتد رحمتهم لك ، وتطلب
شفقتهم والأخذ بالفضل فيك . وقوله « رحيم » هو فاعيل فى معنى مفعول ،
أى إنك معطوف عليك مرحوم .

وقوله « وأما إذا آنت » ، يقول : أما إذا آمنت ووجدت من مضايقتك
رخاء ، ومن شدائدك ليئا ، على حسب عادة الدهر فى تلوته ، فإنك تخرج
خصما للآلهم ، تطلب إغلاق الحجج عليهم ، وتسد أبواب الخير دونهم ،
وتصرف مفاخر الرشد عن وجوههم وطرقهم ، وهذا غاية اللؤم وسوء الاختيار .
والآلئ : الشئيد الخصومة ، العير الانقياد . وهو اليلندد والألندد . والخصوم :
بناء للبالغة ، وهو أبلغ من خصيم ، لأنه أشد تباعداً من أبنية أسماء الفاعلين ^(١) .

(١) ابن جنى : « خصوم أشد مبالغة من خصيم ، لأنها أقرب إلى الأصل الذى هو
فعل ، أعنى المصدر . فإن قلت : فإذا كانت فعول أشد مبالغة من فاعل فهلا جاءت الآية
بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قيل : قد حصلت المبالغة بالرحمن ، لأن فعلا من أبنيتها . وقد قال
ابن عباس : لأنها اسمان رقيقان من الرحمة أحدهما أرق من الآخر ، يبقى الرحيم ، فلما كانت الرحمة
فى الأصل من بنى آدم رقة ولينا وكانت هنا رافة وتعلفا ، كان قبيل أليق لها لفظا من فعول . »

٥٩٧

وقال أرطاة بن شهية المري^(١) :

١ - تَمَنَّتْ وَذَاكُمْ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا لِأَخْجَوْهَا لَنَا هَجَتْنِي مُحَارِبُ

٢ - مَعَاذَ الْإِلَهِ ، لَأَنْتِي بِقَبِيلِي وَنَفْسِي عَنْ ذَاكَ الْقَامِ لَرَأِيْبُ

ارتفع قوله « محارب » بفعلها وهو تَمَنَّتْ . فيقول : تَمَنَّتْ هَذِهِ الْقَبِيلَةَ لِمَا

تَحَكَّكَتْ فِي هَجَتْنِي ، وَتَشَبَّهَتْ مَقَابِلِي بِهَا مَا قَبَلْتُ ، وَذَلِكَ لَخِفَّةِ رَأْيِهَا ،

وَتَنَاهِي جَهْلِهَا . فقوله « وَذَاكُمْ » الواو واو الابتداء ، وهي للحال ، وَذَاكُمْ ابتداء ،

وَمِنْ سَفَاهَةِ خَبَرِهِ . وتلخيص البيت : تَمَنَّتْ مُحَارِبُ لِمَا هَجَتْنِي لِأَنَّهُ جَوْهَا ،

وَذَاكُمْ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا . والراد : حَدَّثَتْ مُنْدِيهَا لِهَجْوِي لَهَا . ومثله :

* أُرِيدُ لَأَنْتِي ذِكْرَهَا *

وفي القرآن : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ ﴾ .

وقوله معاذ الإله انتصب على المصدر ، أى أعوذ بالله معاذاً من أن آتَ

ذَلِكَ ، لَأَنْتِي أَرْغَبُ بِنَفْسِي وَأَرَبُّ بِأَصْلِي عَنِ الْوُقُوفِ فِي ذَلِكَ الْقَامِ ، وَأَصُونُ

شِرْكِي وَأَرْفَعُ عَقْلِي عَنْ مُسَاوَقَتِهِمْ لِقَطْعًا بَلَقَطْ ، وَفَعْلًا يَفْعَلْ .

(١) سبقت ترجمته في الجلسة ١٣٥ ص ٣٩٧ .

(٢) قطعة من بيت لسكيت في أمالي الثاني (٤ : ١١٩) . وهو يهمله :

أُرِيدُ لَأَنْتِي ذِكْرَهَا فَكَلَّمَا تَحَلَّى لِي لَيْسَ بَعْدَ سَبِيلِ

(٣) التبريزي : « فإذا جعل تحت من الأمانى للمروفة يلقى . ودت أن أهجوها بشعر بذلك ، ويكون الفعل ولها على شعر مجنوف ، كأنه يال : تهنيت . أمورا لأهجوها . وأكبر الكلام تمنيت أن يكون كذا ، فيصل الفعل إلى أن وصلتها من غير حرف متوسط ... وإذا جعل قوله تمنيت في معنى كذبت ظنراد أنهم تكذبوا على لي الجوى لأغضب بأهجوهم » .

٥٩٨

وَقَالَ زُمَيْلٌ^(١) :

١- إِنِّي اسْرُؤْ أَطْوَى لِمَوْلَايَ شَرًّا ، إِذَا أَثَرْتُ فِي أَخْدَعَتِكَ الْأَمَلُ

٢- خَلَقْتُ عَلَى خَلْقِ الرِّجَالِ بِأَعْظَمُ خِفَافٍ تَطْوِي سِينَهُنَّ الْأَمَلُ

٣- وَقَلْبٍ جَلَّتْ عَنْهُ الشُّؤُونُ وَإِنْ نَشَأَ يُخْبِرُكَ ظَهَرَ الْغَيْبِ مَا أَنْتَ فَاعِلُ

يعصف نفسه في البيت الأول بأنه يكفّ أذله عن مولاه ، وأنه إذا أجمع أهل الرأي على نسبة مخاطبته إلى القدر ، والخيانة والشر ، فأشاروا بأصابهم إذا ولى إلى قفاه ، فقالوا : هذا قفّا غادر ، فإنه يطوي شيرته في ذلك الوقت عن مولاه ومكروحه ، فلا يُعْنِتُ نسيبا ، ولا يؤذِي جارا قريبا ولا غريبا .

وقوله « خَلَقْتُ عَلَى خَلْقِ الرِّجَالِ » تبجح في هذا البيت بأنه شخّص من الرجال قليل اللحم ، تدبّد اللقمة ، فَخَلَقَهُ خَلَقُ الرِّجَالِ لَا خَلْقُ النِّسَاءِ ، فلا يَشِينُهُ سُمْنَةٌ^(٢) ولا فَشَلٌ ، ولا يقعد به آفة ولا كل ، فأعظمه خفاف ، ومفاصله بينها مطوية ممحصّة لطاف .

وقوله « وَقَلْبٍ » عطفه على بأعظم ، يريد : وَقَلْبٍ هَذَبُ الْأُمُور ، وكشف عنه الطبع والزين منازلة الشؤون ، فهو بتجاربه يتصور ما لم يكن بصورة ما قد كان ، ومتى شئت أَخْبَرَكَ بِخَبْرِهِ ومعرفته ، وقرط شهامته وتمييزه ،

(١) التبريزي وابن جني : « وقال زميل بن أبيه » ، وزميل وأبهر بهيمة التصغير ، ويقال في اسم أبيه أيضا « وير » و « دير » . وهو من غنصرى الجاهلية والإسلام ، أحد بني عبد الله بن عبد مناف وهو فاضل ابن دارة في خلافة عثمان ، ويقال فيه أيضا « زميل بن أم دينار » منسوباً إلى أمه . للمؤلف والمختلف ١٢٩ والإصابة ٣٩٧٣ والمزانية (١: ٢٩٣) — ٢٩٤ ، وكان بينه وبين أرملة بن سبية مهاجرة .
(٢) المعروف في السنة أنها دواء السن .

وَحِدَّةً نَقَرَهُ وَبَصِيرَتِهِ بِمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ بظُهرِ الغيب . وانتصب « ظَهَرَ الغيب » على الظرف ، و « ما أنت » ما فيه بمعنى القى ، وأنت فاعل من صلته ، وقد حذف حرف الجر معه ، كأنه قال : يُخَبِّرُكَ بِمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ . ويقال : خَبَّرْتُهُ كَذَا وَخَبَّرْتَهُ بِكَذَا ، وَحَدَّثْتَهُ كَذَا وَحَدَّثْتَهُ بِكَذَا .

٤ — وَلَسْتُ بِرَبِّكَ مِنْكَ احْتَلَمْتُ بِهِ عَوَانَ نَأَتْ عَنْ فَحْلِهَا وَهِيَ حَائِلٌ^(١)

٥ — فَجِئْتُ ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ وَلَمْ تَجِدْ لِيَصِيرِكَ إِلَّا نَفْسَهَا مِنْ تَبَاعُلٍ^(٢)

كان رواية الناس قبلنا « احتملت به » والصواب « احتلمت به » ، بدلالة قوله « فَجِئْتُ ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ » . والرُّبْل : السَّمين الرَّطْب ، وقد تقدم ذكره وتصاريفه^(٣) . والقَوَان : النِّصَف من النساء ، والفعل منه عَوَنْتُ ، ويقال : عَانَتْ الْبَقْرَةُ عَوْنًا ، صَارَتْ عَوَانًا . وَحَرْبُ عَوَانَ : قَوْلٌ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فيقول : لَسْتُ بِرَطْبٍ مُسْتَرْخٍ مِثْلِكَ ، احْتَلَمْتُ بِهِ امْرَأَةٌ عَوَانٌ بَعْدَ عَهْدِهَا بِفَحْلِهَا ، وَهِيَ بِمِثْلَةِ شَبَقَا ، فَحِلْتُ فَجَاءَتْ مِنْ احْتِلَامِهَا بِكَ . والمعنى : أَنَّهُ لَا وَالِدَ لَكَ إِلَّا مَا رَأَتْ أُمُّكَ عِنْدَ شِدَّةِ غَلَمَتِهَا مِنْ احْتِلَامِهَا ، فَأَنْتَ شَرٌّ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَيْنَةَ . ومعنى « وَلَمْ تَجِدْ لِيَصِيرِكَ » أى لَمْ تَصَاهِرْهُ فِيكَ ، أَيْ تَخَالُطَهُ . وقال الخليل : الصَّهْرُ حُرْمَةُ الْخَتَنِ . وَخَتَنُ الْقَوْمِ : صِهْرُهُمْ . وَحُكِّي عَنْ أَبِي الدُّقَيْشِ^(٤) : أَصْهَرَ بِهِمُ الْخَتَنَ ، أَيْ صَارَ فِيهِمْ صِهْرًا . فيقول : لَمْ تَجِدْ خَتْنًا

(١) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي : « ليس لزميل ، بل هو لأرطاة بن سببة يهجو زميلا . ونظام البيت أيضا مختل ، والصواب :

ولست برجل مثلك احلمت به
فجئت ابن أحلام النيام ولم يكن
ليضحك إلا طهرها من تباعل »

(٢) التبريزي : « لظهرك » وقال : « أى لظهر القى حلتك فيه . ومن روى : لظهرك ، فالمعنى لظهر القى خرجت منه » .

(٣) انظر ما سبق في ص ٧٨٨ .

(٤) أبو الدقيش القناني القنوي ، أحد الأعراب الصحراء الذين أخذت عنهم اللغة =

إلّا نفسها ، إذ كان ذلك الاحتلام لم يتجاوزها ، وإذ كان مباعلة النفس على ما وصفه إنما حصلت عن شبقٍ ولزومِ ذِكْرِ الجِماعِ في اليقظة . وإلّا نَفَسَها : مستقنًى مقدّم . وقوله « ابن أحلام النيام » نصبٌ على الحال ، لأنَّ أحلامَ النِّيام لا يتخصَّص ، فلا يصير المضافُ إليه معرفة ^(١) .

٥٩٩

وقال خارِجةُ بنُ ضرارِ المري ^(٢) :

١- أخرجَ هَلًا إذ سَفِهَتْ عَشِيرَةً كَفَفَتْ لِسَانَ السَّوْءِ أَنْ يَتَدَعَّرَا ^(٣)

٢- وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا حَوْتَكِيًّا أَلَا فُهُ بَنُو عَمِّهِ حَتَّى بَنَى وَتَجَبَّرَا

٣- فَإِنَّكَ وَاسْتِضَاعَاكَ الشَّعْرَ نَحُونَا كَسْتَبْضِعَ تَمَرًا إِلَى أَهْلِ خَيْرَا ^(٤)

قوله « سَفِهَتْ عَشِيرَةً » ، قال بونس : سَفِهَ لَفَةً فِي سَفَةٍ ، وعلى هذا تنصب

عَشِيرَةً عَلَى الْفِعُولِ بِهِ ، ويجوز أن يكون مما نُقِلَ عنه الفعل ، كأنه قال : سَفِهَتْ

عَشِيرَتَكَ فَتَقُلَّ السَّفَةُ إِلَى نَفْسِهِ قَال : سَفِهَتْ ، فأشبهه عَشِيرَةُ الْفِعُولِ ، فنُصِبَ

نَصَبُ التَّيْنِيزِ . وقوله « يَتَدَعَّرُ » أَيْ يَحْتَبِثُ وَيَفْجُرُ . يقال : رَجُلٌ دَاعِي بَيْنَ

نَهْرَسْتِ بْنِ النَّدِيمِ ٧٠ . وقال التبريزي في شرح الحماسة ٦٠٠ : « قال الليث : قلت لأبي

الديقيش : ما الدقش ؟ فقال : لا أدري . قلت : فما الديقش ؟ قال : لا ، ولا هذا أدري .

قلت : فأكتفيت بما لا تدري ما هو ؟ فقال : إنَّما الأسماء والمكشي علامات » .

(١) أوضح منه قول ابن جني في التنييه : « فإن قلت : فإنه معرفة . قيل : لا كان مثلا

لا حقيقة تحته ماد به للمنى إلى التذكير » .

(٢) التبريزي : « وفي بعض النسخ : وقال زميل لخارِجة بنِ ضرار » . وأشد صاحب

اللسان هذه الأبيات منسوبة إلى خارِجة بنِ ضرار المري ، ونقل عن ابنِ بَرِي أنها تروى لزميل

ابن أبي بهجو خارِجة . والشعر على رواية الرزوقي ينطق بأن ثأله غير خارِجة . وفيهم من هذا

أيضاً أن « خارِجة » كان معاصراً لزميل بن أبي التترجم آخفا .

(٣) التبريزي : « أخاه » وبهذا تحرب نسبة الشعر إلى خارِجة . وروى في اللسان مرة :

« أخاه » وصية : « أخرج » .

(٤) التبريزي : « أرض خيرا » .

الدَّعَاة . وَحِكِي : فِي خَلْقِهِ دَعَاةٌ ، فِي مَعْنَى رَعَاةٍ ، وَعَلَى زَمَتِهِ . وَمِنْهُ عُرِدَ دَعِرٌ ، أَيْ كَثِيرُ الدُّخَانِ . وَالْحَوْتَكِيُّ : الضَّائِرُ الضَّعِيفُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْحَوْتَكُ وَالْحَوْتَكِيُّ : الْقَصِيرُ الضَّعِيفُ . وَمَعْنَى أَلَا قَهُ : أَلَصَقَهُ وَصَمَّهُ ابْنَاهُ عَنْهُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَبَنَوْا لَنَا رَأْيَ ذَلِكَ . وَاسْتَبْضَاعُ السَّلْمَةِ : أَنْ تَحْمِلَهَا بِنَفْسِكَ ؛ وَابْضَاعُهَا : بَعَثُهَا ، وَكَأَقِيلٍ فِي اللَّثَلِ : « كَسْتَبْضِعَ تَمْرًا إِلَى أَهْلِ خَيْرٍ » لِكَثْرَةِ نَحْلِهَا ، قِيلَ أَيْضًا « كَسْتَبْضِعَ التَّمْرَ إِلَى أَهْلِ هَجَرَ » ، وَهَذَا كَمَا قِيلَ « كَسْتَبْضِعُ الْمَلَحَ إِلَى بَارِقٍ » .

وَمَعْنَى الْآيَاتِ : هَلَا إِذْ كُنْتَ سَفِيهَ الشَّيْطَانِ لَتِمْ الْفَصِيلَةَ ، أَمَسَكْتَ مِنْ الْخُلُقِ وَالْفَحْشَى ، وَصُنْتَ نَفْسَكَ وَلَمْ تَعْرِضْهَا لِلْهَجَاءِ الْمُبِينِ . هَذَا وَمَا كُنْتَ إِلَّا حَقِيرًا قَلِيلًا ، قِيْنًا صَغِيرًا ، رَقَّ لَهُ أَقَارِبُهُ بَعْدَ مَا كَانُوا يَنْقُونَهُ وَيَبْرُونَهُ مِنْهُ ، فَالْبَقْوَةُ بِأَنْفُسِهِمْ ، فَطَلَعَتْ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَمَلَى . وَأَمَّا عَلِمْتَ أَنَّكَ وَجَّهْتَ الْمُهْجَاءَ إِلَيْنَا فِي اللَّذَمِّ وَالْخُسْرَانِ ، وَسُوءِ الْعَاقِبَةِ ، كَمَنْ حَمَلَ التَّمْرَ إِلَى خَيْرٍ يَتَجَرَّ فِيهِ ، فَرَجَعَ نَادِمًا ، وَحَصَلَ خَاسِرًا .

٦٠٠

عمارة بن عقيل^(١) :

- ١- بَنِي مُنْقِذٍ لَا آمَنَ اللَّهُ خَوْفَكُمْ وَزَادَكُمْ ذُلًّا وَرِقَّةً جَانِبِ
 - ٢- قَتَنَ يَرْجِيكُمْ بَعْدَ نَائِلَةِ الَّتِي دَعَتْ وَيُلْهَى لَهَا رَأَتْ فَأَرْ غَالِبِ
 - ٣- دَعَتْهُ فِي أَثْوَابِهِ مِنْ دِمَائِهَا خَلِيطًا دَمٍ مِنْ تَوْبِهِ غَيْرِ ذَاهِبِ
- قَائِلَةٌ : امْرَأَةٌ زُوِّجَتْ قَاتِلَ أَبِيهَا أَوْ أَخِيهَا ، فَجَعَلَ عُمَارَةُ يَعْزِيمُ ذَلِكَ .

(١) سبكت ترجمته في المحاسنة ٥٩٦ ص ١٤٣٢ .

والعرب تقول : دُم فلان في ثوب فلان ، إذا كان قاتله .

قال أوس بن حجر :

نُبِيتُ أَنْ دَمًا حَرَامًا نِلْتُهُ فَهَرِيقَ فِي ثَوْبٍ عَلَيْكَ مُحَبَّرٌ

وقال الفرزدق :

نَمَشَى حَرَامٌ بِالْبَقِيعِ كَأَنَّهَا نَشَاوَى فِي أَثَوَابِهَا دُمٌ سَالِمٌ^(١)

فيقول : أبدلكم الله يا بني مُنْقِذَ الْأَمْنِ خَوْفًا لَا يَفَارِقُكُمْ ، وزادكم على مرءِ
الْأَيَّامِ ذُلًّا وَخُسُوعًا ، وَلَيْنَ بَجَسَ وَسُقُوطًا ، فَإِنَّهُ لَا يُعَلِّقُ الرَّجَاءَ بِكُمْ ،
وَلَا يَسْتَنِيمُ أَحَدٌ إِلَيْكُمْ ، بعد نائلة التي دَعَتِ بِالْوِلَاةِ لَمَّا رَأَتْ ثَارَ غَالِبٍ أَخِيهَا
أَوْ أَيْهَا ، وَقَدْ مَلَكَتْهُمُوهُ أَمْرَهَا ، وَجَعَلْتُمُوهُ بِالزَّوْجِ قَيْمَهَا ، ثم قال : دَعَتْ نَائِلَةً
الْوَيْلَ فِي أَثَوَابِ زَوْجِهَا لَهَا خَلِيطًا دَمَ هَا دُمُ أَيْهَا أَوْ أَخِيهَا ، بِقَتْلِهِ لَهُ ؛ وَالثَّانِي
دَمَ عُدْرَتِهَا ، لَتَزُوجَ بِهَا ، فَهِيَ لَا زِمَانَ لثَوْبِهِ لَا يَفَارِقَانَهُ . وَيُرْوَى « شَرِيبًا
دَمٍ » . وَكُلُّ لَوْنَيْنِ اجْتَمَعَا فَهِيَ شَرِيبَانِ . وَقَوْلُهُ « غَيْرُ ذَاهِبٍ » ، غَيْرُ صِفَةٍ
لِدَمٍ ، وَيُرْوَى : « مُهْرَاقُهُ غَيْرُ ذَاهِبٍ » ، وَيَكُونُ الْجُمْلَةُ صِفَةً لِدَمٍ أَيْضًا . وَقَوْلُهُ
« مَنْ يَرْجِيكُمْ » اسْتِفْهَامٌ عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيعِ ، وَفِيهِ مَعْنَى النَّفْيِ ، أَيْ لَا يَرْجُوكُمْ
أَحَدٌ . وَمَعْنَى « دَعَتْ وَيْلَهَا » صَاحَتِ بِالْوَيْلِ لِي . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ
أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(١) حرام : قبيحة ، وهم بنو حرام بن سحال بن سليم بن منصور . الاشتقاق ١٨٧

واللعارف ٣٨ . والبيت من أبيات في حياء عبد الله بن خازم السلمي ثم الحرابي ، وكان قتل
مولي لبني يربوع بخراسان يقال له سالم . ورواية الديوان ٧٧٦ : « كأنها حبال » .

٦٠١

وقال طرفة بن البدد^(١) :

- ١ — وفَرَّقَ عن بَيْنَيْكَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ وَعَمْرًا وَعَوْفًا مَا نَشَى وَتَقُولُ
- ٢ — وَأَنْتَ عَلَى الْأَذَى شَالٌ عَرَبِيَّةٌ شَامِيَّةٌ تَزَوِي الْوُجُوهَ لَيْلِيلُ
- ٣ — وَأَنْتَ عَلَى الْأَفْصَى صَبَاغِيْرُ قَرَّةٍ تَذَابَبَ مِنْهَا مُرَزِغٌ وَسَمِيلُ
- ٤ — وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا ذَلَّ مَوَلَى الرَّءِ فُؤَادَ لَيْسَ^(٢)

قوله « ما نَشَى » في موضع الفاعل لفرَّقَ . و « ما » إن شئتَ جملةً بمعنى الذي ، وصِلَتْهُ نَشَى ، والضمير المائد من الصَّلَةِ إليه محذوف كأنه قال : ما نَشِئِهِ وتقولُهُ . وإن شئتَ جملةً ما حرفًا ويكون مع الفعل في تقدير مصدر ، ولا يحتاج إلى ضمير من الصَّلَةِ يعود إليه ، لكونه حرفًا ، ويكون التقدير وشابَّتْكَ وقولُكَ . ويعني بَيْنَيْتُكَ : أخواله وأعمامه . فيقول : فرَّقَ عن بَيْنَيَّ أَهْلِكَ وذَوِيكَ من قَبْلِ أَيْكَ وَأَمَّا ما نَأْتِيهِ من إِبْلَغاتٍ تنقوُلُها ، ونَمَامٌ تخلفُها وتصفُفُها : سعد بن مالك وعمراً وعَوْفًا ؛ وإنما يعني بهم الخِذاً وبطوناً كان

(١) طرفة بن البدد : أحد شعراء الجاهلية الذين تنسب إليهم الملقبات ، وطرفة لقب له ، واسمه عمرو . والطرفة بالتحريك : واحدة الطرفاء ، وهو الأثل . وقال طرفة الشعر مشيراً ، يروون أنه قتل وهو ابن عشرين فيقال له : ابن العشرين . وقيل : وهو ابن ست وعشرين ، وفي ذلك قول أخيه في رثائه :

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعَشْرِينَ حَبِيَّةً فَلَمَّا تَوَلَّاهَا اسْتَوَى سَيْدًا ضَخْمًا

وخاله للتلطس الضبعي صاحب الصحيفة . انظر الخزانة (١ : ٤١٢ — ٤١٧) والشعر ١٣٧ — ١٤٩ والأغانى (٤١ : ١٢١ — ١٣٢) .

(٢) الأبيات من قصيدة في ذِوَائِهِ ٥٠ — ٥٣ يهجو بها عبد عمرو بن بهر بن عمرو ابن مرشد . وألشد بدمه التبريزي :

وإنَّ لسانَ الرءِ ما لم تَكُنْ لَهُ حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لِلدَّيْلِ

ضَلُّهُمْ مَعَهُمْ^(١) ، فَلَمْ يَرْكَزْ يَسْتَعِ بِالْتَحْرِيشِ ، وَيَمَشِي بِالنِّعَمِ . حَتَّى فَرَّقَ
جَعَهُمْ ، بِمَا أَوْقَعَ مِنَ الشَّرِّ فِيهِمْ .

وقوله « وَأَنْتَ عَلَى الْأَذَى شِمَالٌ عَرِيَّةٌ » فالعريّة : الباردة ، ومنه قولهم :
عُرِّواهُ الحُمَّى . فيقول : أَنْتَ عَلَى أَقَارِبِكَ فِي سُوءِ اعْتِقَادِكَ لَمْ ، وَسَوِّفَكَ
الشَّرَّ إِلَيْهِمْ ، وَجَزَّكَ الجِرَائِرَ عَلَيْهِمْ ، بِمَنْزِلَةِ الرِّيحِ الشِّمَالِ الْبَارِدَةِ ، الْحَرَقَةِ لِلْوُجُوهِ ،
إِذَا هَبَّتْ فِي الشِّتَاءِ ، وَيَضْحُجُهَا بَلَلٌ مِنَ الْمَطَرِ ، وَنَذَى يُقَبِّضُ الْجِلْدَ ، وَيُخَفِّفُ
لِلْفُصْلِ وَالْوَجْهَ . وَإِنَّمَا قَالَ شَامِيَةً ، وَإِنْ كَانَ الشِّمَالُ لَا تَهْبُ إِلَّا مِنْ نَاحِيَةِ
الشَّامِ تَأْكِيدًا . وَالصَّنَاتُ كَمَا تَجِيءُ مُفِيدَةٌ مَيِّزَةٌ^(٢) تَجِيءُ أَيْضًا مُؤَكِّدَةٌ لَا تُفِيدُ
فِي الْمَوْصُوفِ أَكْثَرَ مِمَّا عُرِفَ فِيهِ . وَعَلَى هَذَا قَدْ تَجِيءُ الْأَحْوَالُ أَيْضًا ، لَكُونِهَا
صَفَاتٌ فِي الْأَصْلِ .

وقوله « وَأَنْتَ عَلَى الْأَقْصَى صَبَاً غَيْرُ قَرَّةٍ » يريد أنه على الأجانب في
تَطْلُفِهِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِنْطَوَاءِ عَلَى الْجَمِيلِ لَمْ ، بِمَنْزِلَةِ رِيحِ الصَّبَا تَهْبُ وَلَا بَرْدٌ
مَعَهَا . وَقَدْ تَذَاعَبَ مِنْهَا ، أَيْ تَسَهَّلَ وَاضْطَرَبَ مِنْ أَجْلِهَا . وَالذُّنْبُ فِيمَنْ
هَمَزَهُ مِنْهُ اشْتَقَّ ، لِأَنَّهُ كَلَّمَ طُرِدَ مِنْ جَانِبٍ يَتَسَهَّلُ وَيَحْصُلُ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ،
لَوْ قَاحَتِهِ . وَلِلرُّزْغِ : الَّذِي يَأْتِي بِالرُّزْقَةِ ، وَهِيَ الْوَحْلُ . وَلِلسَّيْلِ : لِلذُّبِ
لِلجَامِدِ . وَلِلنَّيْ : أَنْتَ لِلْأَجَانِبِ بِمَنْزِلَةِ الْقَبُولِ الَّتِي تُرْزَغُ الْأَرْضُ فِي مَهَابِهَا ،
وَسَيْلُ النَّجَاعِ ، وَتَبَّتْ الْغَيْرَ ، وَتَوَسَّعُ الْخِصْبَ .

وقوله « وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ » لَمَّا كَانَ لَفْظُهُ الْعِلْمُ قَدْ يُطْلَقُ عَلَى الظَّنِّ
الغالب ، لِقِيَامِهِ مَقَامَ مَا هُوَ عِلْمٌ فِي الْحَقِيقَةِ ، أَكَّدَ قَوْلَهُ وَأَعْلَمَ بِقَوْلِهِ لَيْسَ بِالظَّنِّ ،
وَيَبَيِّنُ بِهَذَا الْكَلَامَ الْخَطَأَ فِيمَا يَأْتِيهِ الْخَطَاطِبُ ، وَأَنَّهُ إِذَا أَقَاتَ نَفْسَهُ حَظَّهُ مِنْ

(١) الضلع ، بالفتح : الميل والموى .

(٢) في الأصل : « لَا مَيِّزَةٌ » ، صوابه في ل .

أقاربه وعشائره بسوء معاملته ، فإنه لا يستفيد من الأجانب ما عند الحاجة يُغني ، وإذا ذلَّ أتباعه ولم يستقيمهم لنفسه فالتلُّ لاحقٌ له ، ومُحتَفٌ به . وبهذا الخطاب نعى عليه فعله ، وبيَّن له سوء التدبير فيما اختارَه ، وفعلَ الفَوَاقِيةَ فيما اعتقده واعتاده . والضمير من قوله « إنه » للأمر والشأن ، كأنه قال : وإنَّ الأمر الحقَّ إذا ذلَّ ابنُ عمِّ المرء هو ذليل .

٦٠٢

بُشَيْرُ بْنُ أَبِي جَذِيَّةٍ^(١) :

- ١ - أَتَخَطَّرُ لِلْأَشْرَافِ بِإِقْرَدَ حَدِيثِهِمْ وَهَلْ يَسْتَعِدُّ الْقَرْدُ لِلْخَطَرَانِ^(٢)
 - ٢ - أَبِي قَصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطُرُوا بِهَا وَلَوْمْ بَنَى قَرْدٌ بِكُلِّ مَكَانٍ^(٣)
 - ٣ - لَقَدْ سَمِئَتْ قَعْدَانُكُمْ أَلْ حَدِيثِهِمْ وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانٍ^(٤)
- قوله « أَتَخَطَّرُ » لفظة لفظ الاستغهام ، والمعنى التبكيت . ولما كان المخاطب من بني قردٍ^(٥) جعله قرداً في الحقيقة . والخطر : أصله إشالة الذنب من الفعل عند هياجه ومساوئته لفعل آخر ، فاستعاره لفعل هؤلاء المخاطبين لما حدَّثوا أنفسهم بمباراة الأشراف ومساجلتهم . فيقول : أتعِدُّ نفسك على بائعك

(١) التبريزي : « بشير بن أبي بن جذية بن الحكم بن مروان بن زباج بن جذية » . وهو بشير ، بهيئة التصغير ، ابن أبي جذية بن الحكم بن مروان بن زباج بن جذية البسي . ذكره الأمدى في المؤتلف والمختلف ٦١ .

(٢) أشهد الجاحظ هذه الآيات في الحيوان (٤ : ٦٧) . ورواية هذا البيت عنده : « أَتَخَطَّرُ لِلْأَشْرَافِ حَدِيثُ كَرِيَّة » . والكبرية بالكسر : التصغير والكبر .

(٣) التبريزي : « أَنْ يَخْطُرُوا بِهَا » . الجاحظ : « وَلَوْمْ قَرَدٌ وَسَطُ كُلِّ مَكَانٍ » . (٤) الجاحظ : « لَقَدْ سَمِئَتْ قَرْدَانُكُمْ » . والقردان ، بالكسر : جمع قرد بالضم ، وهي دويبة تترك الإبل ومعلتها . وسئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : « كنى بالقردان ماعنة عن القدر ، أي سميت أحسابكم ودقت أحسابكم ولؤمت . ويقال في اللئل للإنسان إذا سمن : دب قلبه » .

(٥) التبريزي : « قيل : بنو قرد تبرز قروا به » .

الضيّق ، وَذَنبَكَ الْقَصِير ، بِمَجَازِبَةِ الْأَشْرَافِ وَمَخَاطِرِهِمْ ، حَتَّى تَفْعَلَ مَا يَفْعَلُهُ
التَّحِلُّ فِي صِيَالِهِ ؟ أَنَّى لَكَ ذَلِكَ ، وَالْقِرْدُ لَا ذَنْبَ لَهُ يُشَاوِلُ بِهِ وَيَخْطُرُ ؟ وَهَذَا
مَثَلٌ ، وَفِيهِ مَعَ الْإِزْدَاءِ تَهْكُمُ .

وقوله « أَبَى قِصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطُرُوا بِهَا » رَجَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْقَبِيلَةِ
بِأَسْمَاهَا . وقوله « وَلَوْ بِبَنِي قِرْدٍ » الْوَاوُ لِلْإِبْتِدَاءِ وَمَقِيدَةُ الْحَالِ ، وَالْمَعْنَى اسْتِهَارَهُمْ
بِالْوَلُومِ حَتَّى لَا يَخْشَوْا أَسْرُومَ فِي جَوَانِبِ أَرْضِهِمْ ، وَعِنْدَ أَعْلَامِ مَعَارِفِهِمْ .

وقوله « أَبَى قِصْرُ الْأَذْنَابِ » تَسِيرٌ لِمَا أَنْكَرَهُ بِقَوْلِهِ : « وَهَلْ يَسْتَعِدُّ الْقِرْدُ
لِلْخَطَرَانِ » ، وَتَفْصِيلٌ لِمَا أَبْهَمَهُ .

وقوله « لَقَدْ سَمِعْتُ قِدْمَانَكُمْ » فَالْقِدْمَانُ : جَمْعُ الْقِدْمِ ، وَهِيَ النَاقَةُ تُقَدَّمُ ،
أَيُّ تَرَكَّبَ ^(١) .

وقوله « أَلْ حِذْبِي » إِضَافَتُهُ لَأَل ^(٢) إِلَى حِذْبِهِ إِضَافَةُ الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ .
وكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ « يَا قِرْدَ حِذْبِي » ، يَكْشِفُ لَكَ أَنَّهُ قَالَ : وَلَوْ بِبَنِي قِرْدٍ
بِكُلِّ مَكَانٍ . وَإِنَّمَا يَنْسُبُهُمْ إِلَى حُسْنِ تَقَدُّمِ الْأَمْوَالِمْ ، وَسَوْءِ إِهْمَالِهِمْ حَسَبِهِمْ ،
فَقَدْ سَمِعْتُ إِبْلَاهُمْ بِحُسْنِ رَغَبَتِهِمْ لَهَا ، وَتَوْفَرِهِمْ عَلَى إِصْلَاحِهَا ، وَتَرْفِيعِ عَيْشِهِمْ
بِتَشْمِيرِهَا وَتَكْثِيرِ نَسْلِهَا ، وَأَنَّ أَحْسَابَهُمْ مُضَيِّعَةٌ مَهْمَلَةٌ ، مَتْرُوكَةٌ مِنَ التَّفَقُّدِ بَاطِرَةٌ ،
لَا تُرْمَى فَرَوْعُهَا ، وَلَا تُضْبَطُ أَصُولُهَا ، وَلَا يُحْفَظُ بِحُسْنِ الرِّعَاةِ مِنَ السَّقُوطِ
وَالرُّزُوحِ هَزِيلُهَا .

(١) التبريزي : « ويقال : القود : الذكر ، والقودس : الأنثى من شواحب الإبل .
وإنما جعل قدماتهم سمينة لأنهم يؤثرونها بالبن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمينة لأنهم
يضيئون الحقوق فلا حسب لهم يمدحون به » . وانظر ما سبق من الكلام على رواية هذا
البيت وتوجيهه في المواضع السابقة .

(٢) ل : « لآل » .

٦٠٣

وقال أبو منازل^(١) في ابنه :

- ١ - جَزَتْ رَحِمُ بَيْنِي وَبَيْنَ مُنَازِلٍ جَزَاءَ كَمَا يَسْتَنْزِلُ الدِّينَ طَالِبُهُ^(٢)
 - ٢ - تَرَبَّيْتُه حَتَّى إِذَا أَصَّ شَيْطَانًا يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ الْفَعْلِ غَارِبُهُ^(٣)
 - ٣ - تَقَمَّدَ حَتَّى ظَلَمْنَا وَلَوَى يَدِي لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَايِبُهُ^(٤)
- قوله « جَزَتْ رَحِمُ » دعاء على ابنه منازل . وجعل فصل الجزاء للرحم .

والجاءى هو الله تعالى ، لأنه السبب في الجزاء ، ولتكون الشكوى أبلغ ، فيقول : جَزَى الله مُنَازِلًا عَلَى الرَّحْمِ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ قَطَعَهَا وَلَمْ يَقُمْ بِحَقِّهَا ، جزاء يستوفى له وعليه ما يحق ، كما يستنزل طالب الدين ممن عليه الدين حقه .

(١) التبريزي : « وقال فرغان بن الأعزف في ابنه منازل . وهو أحد بني مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن معاذ بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، شاعر لس مخضرم ، وله مع عمر بن الخطاب حديث في عقوق ابنه منازل . المؤتلف ٥٩ والمرزاني ٣١٦ والإصابة ٧٠٠٩ . وفرغان أخ يسمى « منازل » أيضاً ، ومن عجب أن يروى له الأمدى في المؤتلف ٥١ شعراً يذكر فيه عقوق ابنه له . لكن هذا الشعر رواه أبو رياح منسوباً إلى منازل بن فرغان بن الأعزف يشكو فيه عقوق ابنه المسمى « خليج » . فكان هذه الأسرة عريقة في أن يعق الولد منهم أباه .

(٢) الأبيات في معجم المرزاني والإصابة . وفي معجم المرزاني : « سواء كما يستنجز » .

(٣) المرزاني وابن حجر : « وأطمسته حتى إذا صار » .

(٤) المرزاني وابن حجر : « نخون مالى ظالماً ولوى يدي » . وأشد يده التبريزي :

وكان له عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَغَى مِنْ الزَّادِ أَحْلَى زَادِنَا وَأَطْلَابِيهِ
وَرَبَّيْتُه حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْتُهُ أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَفْنَى عَنِ السَّحَابِ شَارِبِيهِ
وَجَعَلْتُهَا دُهْمًا جِلَادًا كَأَنَّهَا أَشَاهُ نَخِيلٍ لَمْ تَقْطَعْ جَوَانِبِيهِ
فَأَخْرَجْتَنِي مِنْهَا سَلِيْبًا كَأَنِّي حُسَامٌ يَمَانٍ فَارَقْتُهُ مَضَارِبِيهِ
أَنَّ أُرْعِشْتَ كَمَا أَيْكَ وَأَصْبَحْتَ يَدَاكَ يَدَيَّ لَيْثٍ فَإِنَّكَ ضَارِبِيهِ

ثم أخذ يقتصر ما دار بينهما ، وما أوجب عليه الفرض الذي ضيَّعه فقال : تَرَبَّيْتُهُ طِفْلاً وَنَاشِئاً ، حتى إذا صارَ شاباً طَوِيلَ القامة يكاد غارِبُهُ يساوي غاربِ الفحل ، أى بلغ قَامَتُهُ قَامَةَ الفحل . والغارب : مُقَدِّمُ السَّنام . والشَّيْظُم : الطويل الغليظ . ويروى : « لَرَبَّيْتُهُ » ، ويكون اللام جوابَ قَسَمٍ انطوى عليه الكلام . ويقال : رَبَّيْتُهُ وَرَبَّيْتُهُ وَرَبَّيْتُهُ بِمَعْنَى واحد . حتى إذا أَصَرَ ، أى إلى أن صار . وإذا جوابُهُ قَوْلُهُ « تَتَمَدَّحُحِّي » يريد : لما بلغ هذا المبلغ سَتَرَحِّيَ ولم يَفْرِ به ، متمدِّحاً طَوْرَهُ ، وبأنحس ما استوجبتُهُ عليه بالولادة والتربية ، فلما جاذَبَتْهُ بلساني مَدَّ يَدَهُ فلوى يَدِي ، أى قَتَلَهَا وَأَزَلَّهَا عَنْ حَالِهَا وَهَيْئَتِهَا . ثم قال داعياً عليه : لَوَّى يَدَهُ اللهُ ، أى أَشْلَهَا وَأَبْطَلَهَا ، وهو القادرُ على ذلك منه ، والغالبُ له وعليه ^(١) .

٦٠٤

وقال طارقُ الطائي ^(٢) :

- ١ — وَاللَّهِ لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ جَارِكُمْ لَكَا أُلُوجُوهَ قَضَاضَةً وَهُوَ أَمَانَا
- ٢ — وَسَلَاسِلًا يُنْتَنِينَ فِي أَعْنَاقِكُمْ وَإِذَا لَقَطَّعَ مِنْكُمْ الْأَقْرَانَا
- ٣ — وَلَكَانَ عَادَتُهُ عَلَى جَارَاتِهِ مِثْكَا وَرَيْثُهَا رَادِعًا وَجِفَانَا

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « له عليه » .

(٢) هو قيس بن جرود بن سيف بن واثله بن عمرو بن مالك بن أمان بن ربيعة بن جرول ابن تميم الطائي الأجدى ، نسبة إلى أجدأ : أجدى طي ، وما أجدأ وسلمى . وهو شاعر جاهل . وطارق لب له ، قالوا : سمى به لقوله :

لئن لم تغير بسى ما قد صنم . لأصحين للعظم ذو أنا طارقه

انظر الحزاة (٣ : ٣٣٠ — ٣٣١) والأخاني (١٩ : ١٢٧) وللزهرى (٢ : ٤٣٨) وقال أبو ريش : ليس هذا الشعر لطارق ، إنما هو لرملة بن شعاع الأجدى ، قاله على لسان طارق . وذكر التبريزى سبب هذه الأبيات مقارباً لما رواه الرزوقي ، ولكنه نسب هذه الأبيات التونية إلى رملة ، وذكر أنه قالها على لسان طارق ليتجى طارقاً من كيد عمرو بن النضر .

لهذه الأبيات قصّة طريفة ، وأنا أذكرها بما عرّض من السهو فيها .
 ذكر هشام الكلبي أن عمرو بن اللندين ماء السماء — وأمه هند بنت الحارث
 الملك — كان عاقداً طليئاً ألا يُفَزَّوْا ولا يُفَاخَرُوا ، فانفق أن غزا عمرو البليمة
 فرجع مُنْفِضاً^(١) ، فرّ بطيئاً ، فقال زُرارة بن عُدُس : أبيت اللعن ، أصيب من
 هذا الحى شيئاً . قال : وبلك ، إن لم عقداً ! قال : وإن كان ، فإنك
 لم تكتب القصد لم كلهم . فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأخوداً ، قال في
 ذلك قيسُ ابن جِرْوَةَ الأَجَنِيّ :

أَلَا حَىَّ قَبْلَ الْبَيْنِ مَنْ أَنْتَ عَاشِقُهُ وَمَنْ أَنْتَ مُشْتَقِيٌّ إِلَيْهِ وَشَاقِقُهُ
 — وسجى به الأبياتُ في هذا الباب من الاختيار من بعدُ ، لكن في
 آخرها قوله :

لئن لَمْ تُنْغِرْ بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ لَا نَنْتَحِبِينَ لِلْعَظَمِ ذُو أَنَا عَارِقُهُ
 فلقب يومئذٍ عارِق — فلما بلغ عمرو بن هند هذا الشعرُ قال له زُرارة :
 أبيت اللعن ، إنه ليتوعدّك على انتقامه بزعمه . فقال عمرو لُزْمَةُ بن شعاثِ
 الأَجَنِيّ : أيهجوني ابن عمك ويتوعدّني ؟ فقال : والله ما هجأك ، ولكنه قال :
 والله لو كان ابنُ جَفَنَةَ جَارِكُم ما إن كاسكم غَصَّةً وَهَرَانَا
 وسلاسلًا يَبْرُقْنَ في أعناقكم وَإِذَا قَطَطَ مِنْكُمْ الْأَقْرَانَا
 وَلَكِنْ عَادَتْهُ عَلَى جِيرَانِهِ ذَهَبًا وَرِطًا رَادِعًا وَحِينَانَا^(٢)
 يعني بابتِ جَفَنَةَ عمرو بن الحارث ، وإنما أراد مُرْمَلَةً أَنْ يُقْبَحَ عَلَيْهِ^(٣)

(١) أخفى القوم : قد طلمهم وزادهم . والإقراض : الحاجة والحاجة وهلاك اللال .

(٢) وكذا عند التبريزي . وفي ل : « مسكا ورطلا » .

(٣) ل : « إليه » .

فَقُلْتَهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُذْهِبُ سَخِيمَتَهُ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ ، فَقَالَ عَمْرُو : وَاللَّهِ لَا قُتِلْتُهُ !
فَبَلَغَ ذَلِكَ عَارِيقًا فَقَالَ :

مِنْ مُتَيْلِخٍ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ رِسَالَةً إِذَا اسْتَحَقَّ بِهَا الْعَيْسُ تَنْفُسِي مِنَ الْبُيُودِ
وَمُسْتَجِيءٍ مِنْ بَعْدٍ أَيْضًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا اقْتَصَصْتُ ، بَانَ لَكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَوَّلَهَا : « وَاللَّهُ
لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ » ، لَيْسَ بِهَجْوٍ لِابْنِ جَفْنَةَ وَإِنَّمَا هُوَ مَذْحُجٌ لَهُ ، وَقَدْ عُبِّرَ بِذِكْرِ
عَمْرُو بْنِ هِنْدٍ ، وَأَنَّهُ لَوْ تَوَلَّى مِنْ طَائِفَةِ مَا تَوَلَّاهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ كَانَ مَعَامَلَتِهِ إِيَّاهُمْ
بِخِلَافٍ مَا عَامَلَهُمْ بِهِ هُوَ ، فَتَصَوَّرَ ^(١) أَنَّهَا هَجْوٌ لِابْنِ جَفْنَةَ ، وَجَعَلَ يَدُلُّ
« مَا إِنْ كَسَاكُمْ » : لَكَسَا الْوُجُوهُ ، وَبَذَلَ قَوْلَهُ « إِذَا لَقِيتُمْ تِلْكَ الْأَفْرَانَا » : مِنْكُمْ
الْأَفْرَانَا ، وَبَدَلَ قَوْلَهُ « وَلَكِنْ عَادَتُهُ عَلَى جِيرَانِهِ » : عَلَى جَارَاتِهِ ، وَمَعَ هَذِهِ
التَّعْيِيرَاتِ لَيْسَ يَخْلُصُ هَجْوًا .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : وَأَنَا أَمُودٌ إِلَى عَادَتِي مِنْ تَفْسِيرِهَا وَشَرَحَ مَعَانِيهَا :

قَوْلُهُ « غَضَّةٌ » فَعْلَةٌ مِنْ غَضَّ ، وَالنَّضَاضَةُ وَالنَّضُّ : الْفُتُورُ فِي الطَّرْفِ .

وَنَقَّبَ قَوْلَهُ « وَسَلَايَلَا » عَلَى اللَّغْوِ ، فَهُوَ مِنْ بَابِ قَوْلِ الْآخَرِ ^(٢) :

يَا لَيْتَ بَقْلِكَ قَدْ قَدَّأَ مَقْلَدًا سَيِّفًا وَرُتَحًا

لَأَنَّ السَّلَاسِلَ لَيْسَ مِنْ كُسُوةِ الْوُجُوهِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : مَا إِنْ كَسَاكُمْ
غَضَّةٌ وَلَا قَلْدَكُمْ إِذَا غَلَّكُمْ سَلَامِيلٌ تَبْرِقُ فِي أَهْطَاقِكُمْ . وَقَوْلُهُ « يُنْتَنِينَ » مَعْنَاهُ
يُفْطِنُونَ وَيُؤَيِّنُونَ . وَ « إِذَا لَقِيتُمْ تِلْكَ الْأَفْرَانَا » فَأَلْفَرَانُ الْحِبَالُ ، وَالْوَاحِدُ

(١) الضمير في هذا لأبي تمام مختار الحامسة ، والتعيرات التي نص عليها المرزوقي هي
تعيرات أبي تمام ، كما هي عادية ، انظر ما سبق في مقدمة المرزوقي ص ١٤ .

(٢) هو عبد الله بن الزبير . الكامل ١٨٩ ليسك . وانظر أمالي ابن السكيت
(٢ : ٣٧١) والنقص (٤ : ١٣٦ / ١٤ : ٢٣٢) .

قَرْنٌ. وَإِذَا رَوَيْتَ «يَبْرَقَنَ» فَلَمَنِي ظَاهِرًا. وَيُشِيرُ إِلَى مَا لَحَقَهُمْ مِنْ جِهَةِ غَمْرُو
ابنِ هِنْدٍ. وَقَوْلُهُ «إِذَا» أَجَابَ تَوَّيْدًا كَمَا أَجَابَهُ بِاللَّامِ مِنْ قَوْلِهِ «لَكَا»
وَبِمَا عَلَى الْأَصْلِ الْأَوَّلِ^(١). وَمَعْنَى «لَقَطَعَ تِلْكَ الْأَقْرَانَا» أَيْ لَوْ كُنْتُمْ
مَأْسُورِينَ لَكَانَ يَفْكَكُمْ، وَيَقْطَعُ تِلْكَ الْحَبَالَ الَّتِي صَارَتْ إِسَارًا لَكُمْ. وَإِذَا
رُويَ «وَإِذَا لَقَطَعَ مِنْكُمْ الْأَقْرَانَا» كَانَ مَعْنَى الْبَيْتِ: يَشْدُكُمْ فِي السَّلَاسِلِ
وَيَبْدُدُ جِهَتَكُمْ. وَقَوْلُهُ «وَلَسَانُ عَادَتِهِ عَلَى جَبْرَانِهِ»، يَرِيدُ أَنَّهُ يَفْعَلُ خِلَافَ
مَا فَعَلَهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ، لِأَنَّ عَادَتَهُ فِي الْجَبْرِ أَنْ يَمُوتَ لَهُمْ وَيَصْلَهُمْ، وَيَبْرَهُمْ وَيَخْلَعُ
عَلَيْهِمْ، وَيَقْرِبَهُمْ وَيُؤَمِّنُهُمْ. وَعَلَى الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ يَرْمِيهِ وَيَقْذِفُهُ بِالْجَارَاتِ، وَمَعْنَى
ذَلِكَ ظَاهِرٌ. وَالرَّادِعُ: لِلتَّغْيِيرِ أَلْوَنَ بِالطَّيِّبِ وَالْخُلُقِ. وَيَقَالُ: تَرَدَّعَ بِالْخُلُقِ،
إِذَا تَلَطَّخَ.

٦٠٥

وَقَالَ آخَرُ^(٢):

١- زَعِمْتُ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ أَلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا أَلْفٌ

٢- أُولَئِكَ أَوْمِنُوا جُورًا وَخَوْفًا وَقَدْ جَاعَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا

يَخَاطِبُ بَنِي أَسَدٍ وَيَكْذِبُ دَعْوَاهُمْ فِي انْتِهَاهِهِمْ إِلَى قُرَيْشٍ، وَتَنْشِيبُهُم بِالْقُرْبَى
وَالْقَرَابَةِ مِنْهُمْ، قَالَ: ادَّعَيْتُمْ أَنَّ قُرَيْشًا إِخْوَتُكُمْ، وَسَيَاءُ الْكَذِبِ ظَاهِرَةٌ
عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَى، لِأَنَّ لِقُرَيْشٍ إِيلَافًا فِي الرِّحْلَتَيْنِ لِلْمُرُوفَتَيْنِ لِلتَّجَارَةِ، وَلَيْسَ
لَكُمْ ذَا؛ وَقَدْ آمَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ، وَأَنْتُمْ خَافْتُمْ جَائِعُونَ.

(١) أَيْ عَلَى رِوَايَةِ: «مَا لِنْ كَسَاكَمْ غَضَةً».

(٢) هُوَ مَسَاوِرُ بْنُ هِنْدٍ بْنُ قَيْسٍ بْنِ زُهَيْرٍ، يَهْجُو بَنِي أَسَدٍ، كَمَا قَالَ التَّبَرِّزِيُّ، وَكَانَ فِي
اللسان (ألف). وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ «مَسَاوِرٍ» فِي الْحَاسِيَةِ ١٤٨ ص ٤٣٠.

وإنما يُشير إلى الشورة للنزلة : ﴿ لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ إِلَّا فِهِمْ . رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ ... إلى آخرها . ويقال : أَلِفَ يَأْلَفُ إلفًا وإِلَافًا ، وَأَلَفَ يُؤْلَفُ إِيْلَافًا .

٦٠٦

وقال آخر^(١) :

١ - إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مِثِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
٢ - صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذَكَّرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِّرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا
٣ - جَهْلًا حَتَّى وَجُبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَيْسَتْ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ
انتصب « فرحًا » على أنه مفعول له ، وكان الواجب أن يقول : يطيروا بها فرحًا ، لأنه لا يجوز أن يُعملَ حرفُ الشرط في الشرط بالجزم ويُجملَ الجوابُ فعلًا ماضيًا في الكلام ، وإن كان يجوز في الشعر . ومعنى البيت الأول أنهم إذا رأوا حسنةً كتبوها ، وإذا رأوا سيئةً أظهروها . وقوله « مِثِّي » أراد من جئني . ومعنى « طاروا بها » أى كثروها في الناس وأذاعوها ، ووصلوا القيام بالقوم في نشرها . وهذا ضد ما ذكره من الدفن في قوله « وما سمعوا من صالحٍ دَفَنُوا » في اللحن .

وقوله « صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا » ارتفع صُمٌّ على أنه خير مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هم صُمٌّ ، أى يتصاممون عما أنسبُ إليه من الخصال الصالحة . ويقال للمعرض عن الشيء : هو أصمُّ عنه . على ذلك قوله :

* أَصَمُّ عَمَّا سَاءَ تَمِيحُ *

(١) هو قنبر بن أم صاحب ، ومي أمه ، واسم أبيه ضمرة ، أحد بني عبد الله بن غطفان . وكان في أيام الوليد بن عبد الملك . والغضب : الصلب الشديد من كل شيء . عن شرح البربري ، والتنبية لابن جني .

قال : ومتى ذُكِرْتُ بَشَرٍ أَدْرِكُوهُ وَعِلِّمُوهُ . ويقال : أذِن يَأْذِن
أَذْنًا . قال :

* يَسْمَعُ يَأْذِنُ الشَّيْخُ لَهُ ^(١) *

ويجوز أن يكون اشتقاقه من الأذن الحاسة . وانتصب « جهلاً » لأنه مصدر
لعلَّة . ينسبهم إلى أنهم مع الأقارب يستعملون الجهل والحسد عليهم ومعهم ، وأنهم
جنباء عن الأعداء ضعفاء عَجَزَةٌ إذا طُلِبَ كُفَايَتُهُمْ ، لا يصلحون لدفع مكروه ،
ولا جلب محبوب . ثم سؤاً عليهم فلهم فقال يَسْتِ انْخَضَلْتَا كُنْ جَهْلُهُمْ عَلَى
أَقْرَبِهِمْ ، وَبَيْنَهُمْ عَنْ أَعَادِيهِمْ . وهذا تأكيد في التمييز ، ومبالغة في التفرير .

٦٠٧

وقال منصور بن مسجاح ^(٢) :

١ - تَأَرَّثُ رِكَابُ الْقَوْمِ مِنْهُمْ بِهَجْمَةٍ صَفَايَا وَلَا بُنْيَا لِمَنْ هُوَ ثَائِرٌ ^(٣)
٢ - مِنَ الصَّوْبِ أَثْنَاءَ وَجْدَعَا كَانَهَا عَذَارَى عَلَيْهَا شَارَةٌ وَمَعَايِرُ
قوله « رِكَابُ الْقَوْمِ » يُرْوَى « رِكَابُ الْقَوْمِ » . وأراد بالثَّيْرِ السَّيِّدَ ، وكان
استيفاقَ رئيسهم إِبِلٌ فارتجَعَ بدلاً منها على ما وصفه . ومعنى « تَأَرَّثُ رِكَابُ
الْقَوْمِ » أى أدركت الثَّارَ فيها منهم بأن أخذتْ هَجْمَةً مِنَ الْإِبِلِ — وهى المائنة
وماداناها — غِزَارًا سَمِينَاتٍ ، والثَّارُ ليس من حَقِّه أَنْ يُبْقَى ، والأصل فى
الثَّارِ الْقَائِلُ ، فوضعه موضعَ الْوَارِثِ لِلتَّقِيْمِ . يقال : تَأَرَّثُ فُلَانًا وَتَأَرَّثُ بَقْلَانِ ،
إِذَا قَتَلْتَ قَاتِلَهُ .

(١) لدى بن زيد البادي ، كما فى اللسان (أذن) . ومجزه :

* وحديث مثل ماذى مشار *

(٢) هو منصور بن مسجاح — ويقال مسجاح بتقديم الماء على الجيم — بن سباع

الضبي : شاعر جاهلي . مجمع للرزاني ٣٧٣ .

(٣) كُفَايَ لَوَالِدِ الْبَرِيْزِيِّ وَاللِّرْزَانِي . وفى الأصل : « منهم هجعة » .

وقوله « من الصُّلب أثناء وَجْدًا » ، هذا تفسير للهجّة ، وتفصيل للجملة ، يريد : من الإبل الصَّهب . والشَّهبة : حمرة يملؤها بياض . وتَمَلَّقَ من بقوله هَجَمَة . وأثْلا : جمع ثَقِي . والجُدْع جمع جَدْع ، وهو كخَشْبٍ وخَشَب . والحجة في أَنَّ التَّيْرَ السَّيْدُ قوله :

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ التَّيْرَ رَ مَسْوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاةُ^(١)

وهذا أحد الوجوه التي قيل فيه . وقوله « كَأَنَّهَا عَذَارَى » بمعنى حُسْنِهَا . والمعاصير : جمع لِلتَّيْصِر ، وهي من النَّسَاء التي شارفت الإدراك والبُلُوغ . قال :

* قَدْ أَغْصَرَتْ أَوْ قَدْ دَنَا إِغْصَارُهَا^(٢) *

والنَّشَارَة : الهيئة . ويقال : رَجُلٌ شَيْخٌ صَيَّرٌ ، من الصُّورَة والنَّشَارَة .

٣ - فَإِنْ نَلَقَ مِنْ سَعْدٍ هَنَاتٍ فَإِنَّا نُكَائِرُ أَقْوَامًا بِهِمْ وَنُفَاحِرُ^(٣)
٤ - لَقَدْ كَانَ فِيكُمْ لَوْ قُتِلْتُمْ لَجَارِكُمْ لِيَحْيَ وَرِقَابٌ عَرْدَةٌ وَمَنَاقِرُ^(٤)
يَبْنُ أَنَّ الَّذِينَ أَدْرَكَ مِنْهُمْ مَا أَدْرَكَ هَمْ بِنُوسِد . وهذا الكلام تهكم وسخرية . كأنه يريد : إِنْ اتَّفَقَ مِنْ سَعْدٍ الزَّلَّةُ بِعَدِ الزَّلَّةِ ، والسَّعْطَةُ المنكرة بعد السَّعْطَةِ ، فَإِنَّا عَلَى ذَلِكَ نُكَائِرُ بِهِمُ الْأَعْدَاءَ ، وَنُفَاحِرُ بِكَانِهِمْ . ثم أُقْبِلَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ نَقَلَ الْكَلَامَ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخَطَابِ ، قَالَ : لَوْ رُئِيتُمْ الْوَفَاءَ لَجَارِكُمْ ، وَلَمْ تَعْلَمُوا فِي مَالِهِ لَتَرُبَّ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ آلَاتِ الْوَفَاءِ مُعَدَّةٌ فِيكُمْ : لِيَحْيَ بِوَفُورَةٍ ، وَرِقَابٌ غَلِيظَةٌ ، وَمَنَاقِرُ وَاسِعَةٌ مُنْتَهَجَةٌ .

(١) البيت لجارح بن حازم البشكري في مملته .

(٢) الرجز لخلطور بن مهيد الأسدي ، في اللسان (عصر) . وقيل :

جارية بسفوات حارها تعفى الموبى ساقطاً خارها

(٣) للرزاني : « بها وقاهر » .

(٤) بعده عند التبريزي :

قَبْهَرًا لِمَنْ هَرَبَتْ كَفَالَةُ مُقَرٍّ وَإِنْ كَانَ عَقْدٌ بَيْنَهُمْ مُتَظَاهِرٌ

٦٠٨

وَقَالَ جَوَّاسُ الضَّبِيِّ لَامْرَأَةٍ^(١):

- ١ - وَاللَّهِ مَا أَخْشَى حَكِيمًا وَرَفِطَةً وَلَكِنَّا يَخْشَى أَبَاكَ حَكِيمٌ^(٢)
- ٢ - وَجَدْتِ أَبَاكَ تَائِبًا فَتَبِعْتِهِ وَأَنْتِ لِمُعَارِي الرِّجَالِ لَزُومٌ
رَأَى الْمَرْأَةَ الْخَاطِبَةَ وَقَذَفَهَا بِحَكِيمٍ ، قَالَ لَهَا مُعَيَّرًا وَمُسْتَهْزِئًا بِهَا : ائْتِي
لَا أَخَافُ صَاحِبَكِ حَكِيمًا وَلَا عَشِيرَتَهُ ، وَلَا أَحْتَشُمُهُمْ فِيكَ ، وَلَكِنْ حَكِيمٌ يَخْشَى
أَبَاكَ لِاجْتِمَاعِهِ مَعَكَ عَلَى الْفَاحِشَةِ . ثُمَّ قَالَ : تَمَاطِيكِ الْفُجُورَ وَرِاثَتَهُ ، لِأَنَّكَ
وَجَدْتِ أَبَاكَ فِي الْأَبْنَةِ تَائِبًا لَسَلَفِهِ فِيهَا ، فَاقْتَدَيْتِ بِهِ ، فَهُوَ يَطْلُبُ مَنْ يَشْفِيهِ
مِنْ دَانِهِ ، وَأَنْتِ أَيْضًا شَدِيدَةُ الزَّامِ لِلزَّانَةِ وَالْفَسَاقِ ، وَالْوَلَدُ يَتَّقِيكَ أَبَاهُ^(٣) .
- ٣ - عَلَى كُلِّ وَجْهِ عَائِذِي دِمَامَةً يُؤَافِي بِهَا الْأَحْيَاءَ حِينَ يَقُومُ^(٤)

(١) هو جواس بن نعيم ، أحد بني حرثان بن حنبل بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر
ابن سعد بن ضبة ، المؤنف ٧٥ وشرح التبريزي . وهذه الأبيات يقولها ردا على أبيات قالتها
امراة من فاطمة بن مالك ، وأنشدنا التبريزي . وهي :

مَتَى تَلَقَى جَوَّاسًا وَإِنْ كَانَ مُحَرِّمًا يَقُولُ لَكَ هَلْ تَخْشَى عَلَى حَكِيمًا
وَمَا لِي لَا أَخْشَى عَلَيْكَ مُحَرِّبًا أَخَا قَتْلَةٍ بَنَيْتُ قَتِيلًا كَرِيمًا
مَتَى تَلَقَّاهُ يَعْبُدُوهُ بِالْوَرْدِ جَانِلًا بِشِكْتِهِ تَلَقَى الْأُلْدُ النَّشُومًا

(٢) التبريزي : « قيل إن الصحيح من الروايات : وَلَكِنَّا يَهْرَاكُ أَنْتَ حَكِيمٌ . وعلى
هذا يجعل حكيما هاهنا وربما به . وإذا قلت : وَلَكِنَّا يَخْشَى أَبَاكَ حَكِيمٌ ، فمناه لأنه
منك بسبيل » .

(٣) يطيل أبيه : يترع إليه في العبه .

(٤) التبريزي : « حين يقوم » ، أي حين يقوم في مجالس اللوك .

٤ — وَأَوْرَثَهَا نِسْرَ التُّرَاثِ أَبُوهُمْ قَمَاءَةً جِنْمٍ وَالرَّدَاهَ دَسِيمٌ^(١)
 تعدّاها إلى فصيلتهما بل قبيلتهما فقال : على وجه كل رجل من بني عائذة
 قُبَيْحٌ وَخِزْيٌ ، إذا قامت أحياء العرب في أسواقهم ومجامعهم يوافيهم به . ولعنوا أنهم
 مشهورون باللؤم ودناءة النفوس ، فوجوههم مسودة بالعار ، مشوهة بسوء الفعل
 عند القبائل ، فتنى واقفوا يوماً مجموعاً فيه الناس وجد آثار الخيزي ، وغضاضة الطرف
 للخزاية ، تلوح على صفحات وجوههم . ودماثة الوجوه ضربها مثلاً لذلك .
 وقوله : « وأورثها » ، يريد أن اللؤم فيهم وراثته ، وقد عرفوا ذلك من
 أنفسهم واعترفوا به ، فترى أجسامهم في المحافل والمجاهد قبيحة تصاغراً وتذللاً ،
 وتقاصرًا وتحشماً . وقد رداهم الله برداء أعمالهم من الغدر والخيانة ، والغلول
 والسفاهة ، فرداؤهم مذموم في الألسنة عند الخاصة والعامة . ويجوز أن يكون
 المراد أن سيام كالرداء عليهم ، فهم مذمومون لما وعليها ، ويروى : « والرداء
 دسيم^(٢) » ، يعنى قُبَيْح الظلمة . وديم : اسم الفاعل من دَمَمْتُ دَمَامَةً . وفُلمت
 في المضاعف قليل . والرداء يجوز أن يكون فصلاً من الروية ، ويجوز أن يكون
 من الرئي .

٥ — كَانُ خُرُوءِ الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ وَسِيْمٌ إِذَا اجْتَمَعَتْ قَيْسٌ مَعًا وَتَمِيمٌ
 ٦ — مَتَى تَسْأَلِ الضُّبِّيَّ عَنْ شَرْفِ قَوْمِهِ يَقُلْ لَكَ إِنَّ الْمَائِذِيَّ لَتِيمٌ
 لما كان يوصف الوقور للثبوت في الأمور إذا حصل مع أشباهه من أهل

(١) ل : « وأورثهم » ورسم فوقها « نخشها » أى أنها في نسخة « أورثها » . وفي
 التثنية لأبى جنى : « قال أبو علي — يعنى الفارسي — كتبنا منذ أربعين سنة : يحتمل الرواء
 أمرين : أحدهما أن يكون فصلاً من رأيت لأنه يدركه الناظر ، غير أنه اجتمع على تخفيفه .
 والآخر أن يكون فصلاً من الرى . قال : وذلك لأن الريان تضارة وحسناً . فقله اجتمع على
 تخفيفه بذلك على أنه غير مهموز العين . ومنهم من يهزه » .

(٢) م رواية التبريزي .

الأناة والرفق والزناة وسكون الجأش في منتدئ لهم ، وتناجوا وتشاوروا ،
أو حضروا في مجلسٍ مُحَنَّمٍ فتجادبوا وتناظروا ، بقولهم : **« كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِم الطَّيْرُ ،**
وهذا التشبيه إِمَّا حَصَلَ عَلَى أَنَّهُمْ مِنَ السُّكُونِ وَمِنَارَةِ التَّمَجُّلِ بِمِزَالَةٍ مِنْ عَلَى
رَأْسِهِ طَيْرٌ فَيَخَافُ فِي حَرِّهِ ذَهَابَهَا وَطَيْرَانَهَا ؛ وَلِئَا كَانَ هَذَا الشَّاعِرُ يَهْجُو
بِئِي عَائِدَةَ وَيَزَأُ بِهِمْ ، جَعَلَ بَدَلَ ذَلِكَ الْقَوْلِ « كَأَنَّ خُرُوءَ الطَّيْرِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ » .
وقوله **« إِذَا اجْتَمَعَتْ قَيْسٌ مَعًا وَنَيْمٌ »** بيانٌ لاختلاطهم بأهلِ الحِلِّ والتَّقْدِيرِ
وُجُوهُ الْقَبَائِلِ ، وَرُؤُوسُ الْحَافِلِ . وَكَانَ الْحُكْمُ أَنَّ يَقُولُ : **« إِذَا اجْتَمَعَتْ قَيْسٌ**
وَنَيْمٌ مَعًا ، قَدْ دُمَّ « مَعًا » لِأَنَّ الْعَاطِفَ يُدْبِئُهُ عَلَى مَوْضِعِ الْمَعْلُوفِ .

وقوله **« مَتَى تَسْأَلُ الضَّبِّيَّ عَنْ شَرِّ قَوْمِهِ »** ، يَرُودُ : **« عَنْ سِرِّ قَوْمِهِ »** ،
وهو حَسَنٌ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَثَامٌ بِاعْتِرَافٍ مِنْ قَوْمِهِمْ بِهِ ، وَاتَّفَاقٍ مِنْهُمْ عَلَيْهِ ،
لِكُنْهِمْ يَسْرِوْنَ أَمْرَهُمْ وَيُخْفَوْنَهُ .

٦٠٩

وَقَالَ مُحَرِّزُ بْنُ الْكَبِيرِ الضَّبِّيِّ^(١) :

- ١— أَبْلَيْخَ عَدِيًّا حَيْثُ صَارَ بِهَا الْقَوَى وَلَيْسَ لِذَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ
- ٢— كَسَالَى إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مُنْطِقٍ يُبْلَى بِهِ الْقَبُولُ وَهُوَ عَنَاءُ^(٢)
- ٣— أَخْبِرْ مَنْ لَاقَيْتُ أَنَّ قَدْ وَقَعْتُمْ وَلَوْ شِئْتُ قَالَ لَلنَّدِيُونَ أَسَامُوا

(١) يَقُولُ ابْنُ عَدَى بْنِ جَنْدَبِ بْنِ النَّبَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نَيْمٍ ، كَمَا ذَكَرَ التَّبْرِيزِيُّ . وَقَدْ
مَفَتْ تَرْجَمَةُ « مُحَرِّزٌ » فِي الْحَاسِيَةِ ١٨٥ ص ٥٧٢ . قَالَ التَّبْرِيزِيُّ : « كَانَ مُحَرِّزُ بْنُ الْكَبِيرِ
جَارًا لِبْنِ عَدَى بْنِ جَنْدَبِ بْنِ النَّبَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نَيْمٍ ، فَأَغَارَ بَنُو عَمْرِو بْنِ كَلَابٍ عَلَى لُبْلِهِ فَذَهَبُوا
بِهَا ، فَطَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوهُ ، فَوَعَدُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَرَأَى أَنَّهُ لَا يَسْتَمُونَ
شَيْئًا أَنْى الْحَارِقِ وَالسَّاحِقِ ابْنِي شَهَابٍ لِلزَّانِينَ ، وَحَا مِنْ بَنِي خِرَازَةِ ، فَسَجَا لَهُ يَابِلُهُ
فَرَدَّهَا عَلَيْهِ . »

(٢) كَمَا فِي النُّسخِ بفتح الكاف ، وَفِي التَّبْرِيزِيِّ بِضمها . وَهِيَ جَمْعُ
صَحِيحَانِ لِكَلَّانِ .

يقول: أَدَّ إِلَى بَنِي عَدِيٍّ رَسَالَتِي حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى ^(١) بَأَنَّ زَمَنَ طَلَابِ الْأَوْتَارِ فِيمَا عَلَيْهِمْ مِنْ إِدْرَاكِ النَّارِ قَدْ انْقَطَعَ وَاسْتَدَّ ، فَلَيْسَ يَنْقَطِعُ لِكَسَلِهِمْ عَنْ السَّيِّئِ فِي رِيَاءِ اللَّغَارِ عَلَيْهِ ^(٢) ، وَاسْتَيْطَافَهُمْ مِرَاكِبَ الْعَجْزِ عَنْ نُصْرَتِهِ ، غَيْرَ مَوَاعِيدَ خَالِيَةٍ مِنَ الْفِعْلِ يَقْرَبُونَهَا ، وَأَقْوَالٍ مُزْخَرَفَةٍ عِنْدَ الْإِلْتِقَاءِ يَبْذُلُونَهَا ، إِذَا اعْتَمَدَهَا الْمُتَوَرِّقُ انْصَرَفَ بِهَا مَغْرُورًا ، فَكَانَتْ عِنْدَ السَّامِعِينَ لَهَا ضَلَالًا وَبُورًا ، وَعَنَاءَ لِقُلُوبِ الْجَوَارِحِ ، لَا يُعْطَى مِنْهُ بَطَائِلُ ، وَلَا يَرْجِعُ عَلَى أَحَدٍ بِعَائِدٍ . هَذَا وَأَنَا أَحْسَنُ أَمْرَكُمْ ، وَأَقُولُ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنْ أَخْبَارِنَا وَأَخْبَارِكُمْ : إِنَّهُمْ قَدْ وَفَوْا بِالْعَهْدِ ، وَأَدَّوْا مَا لَزِمَهُمْ مِنَ الثَّغِيرَةِ بِمَقْعِ الْجَوَارِ وَالْعَقْدِ ، لَكِنْ لِلْأُمُورِ أَوْقَاتٌ ، وَلِلْأَفْئِصَةِ أَجَالٌ وَأَمَادٌ ، فَيَنْثَنِي الذَّمُّ عَنْكُمْ ، وَيَنْحَطُّ الْعَارُ دُونَ فَنَائِكُمْ ، وَلَوْ شِئْتُ لَقَالَ السَّائِلُ وَالسَّامِعُ : أَسَاءُوا حِينَ بَدَلُوا الْخَفَارَةَ بِالْإِخْفَارِ ، وَضَيَّعُوا الْحَقُوقَ بِالتَّقْصِيرِ وَالْإِقْصَارِ . وَقَوْلُهُ « أَنْ قَدْ وَقَّعْتُ » أَنْ فِيهِ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَاسْمُهُ مُضَمَّرٌ ، وَهُوَ ضَمِيرُ الْأَمْرِ ، وَالْجَلَّةُ فِي مَوْضِعِ الْخَيْرِ . وَقَوْلُهُ « غَيْرَ مَنْطِقٍ » انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ خَارِجٌ . وَ« يُبْلَغِي بِهِ » مِنْ لَهَوْتُ عَنْ كَذَا وَلَهَيْتُ ، أَلْهُو لَهَوًا ، وَأَلْهَى لَهْيًا ، إِذَا انْصَرَفَتْ عَنْهُ . وَالتَّبَيُّوْلُ : لِلصَّابِ يَدْخُلُ وَتَبَلَّ .

٤ - لَهُمْ رَثِيَّةٌ تَمَلُّوْا صَرِيحَةً أَمَرِهِمْ وَلِلْأَمْرِ يَوْمًا رَاحَةً فَقَضَاهُ ^(٣)

٥ - وَإِنِّي لَرَأِيكُمْ عَلَى بَطْءٍ سَفِيحِكُمْ كَمَا فِي بَطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاهُ الرَثِيَّةِ : الضَّعْفُ . وَالصَّرِيحَةُ : مَا يُقَطَّعُ مِنَ الرِّيمَةِ وَيُجَزَّمُ بِمَضَاوِئِهِ بَعْدَ الْعَقِيدَةِ ، فَيَقُولُ مَصُورًا حَلَمٌ فِي التَّفْرِيطِ وَالْإِهْمَالِ : مَتَى هُمَا يَأْتَانِ عَزَائِمُهُمْ ، وَتَشْدِيدُ شَكَايَتِهِمْ ، وَإِنْجَازُ مَا يُتَقَنَّجُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَوَاعِدِهِمْ ، أَوْ يَهْتَمُّونَ لِرَحْصِ

(١) ل : « بهم النوى » .

(٢) الرده : اللون .

(٣) التبريزي : « رثية » ، بفتح الراء . وقال في شرحه : « رثية : إبطاء ، ورثية ضنف » .

دَرَنَ المَارِ عن شِيَمِهِم وأَخْلَاقِهِم ، وَلَسَدُ طَرِيقِ المَارِ ^(١) والتعير عن مذاهِبِهِم
وَأَفْئَالِهِم ، عَلاَهُمُ وَهَمَّتْهُمُ وَهْنٌ وَفُتْلٌ ، وَتَلَكَّ قِيَادَهُمْ وَفَقَوْدَهُمْ ضَعْفٌ وَكُسلٌ .
ثُمَّ أَخَذَ بِنَهْجِهِمْ وَيَهْرَأُ قَال : وَلِلْمَرْءِ فِي أَمْرِهِ يَمُضِي يَوْمًا وَيَكْفُ يَوْمًا ، فَمَا يَجِيرُ
كَسْرَ التَّقَبُّ إِلَّا مَا يَتَقَبَّهِ مِنَ الرَّاحَةِ .

وقوله « فَأَبَى لِرَاجِعِكُمْ عَلَى بَطْءِ سَعْيِكُمْ » ، يريد أنهم على تباطئهم وتأخر
فَعَالِمٍ عن مَقَالِمٍ مَرَجُوتٍ ، كما أن الحاملات على تأخر وضمن مَرَجُوتٍ ، فأنا
ناظرٌ في أعقاب الأمل متى يَتَحَقَّقُ .

وقوله « قَضَاءٌ » أى قضاء يومًا آخر . وقوله « كما في بُلُوتِ الحاملاتِ
رَجَاءٌ » أى أرجوكم مثل ذلك الرجاء .

٦- فَمَهْلًا سَمِيمٌ سَمَى غُصْبَةً مَازِينَ وَهَلْ كُفْلَانِي فِي الْوَفَاءِ سِوَاهُ
٧- لَهْمُ أَذْرُعُ بَادٍ تَوَاشِيرُ لَحْمِهَا وَبِمَضَى الرَّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُثْلُهُ
٨- كَانَتْ دَنَانِيرًا عَلَى قِيَمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوَجُوهُ لِقَاءَهُ
هذا الكلام بثٌ وتحميض . وهلا : حرف إغراء وتحميض . وذَكَرَ بَنِي
مَازِينَ تَحْرِيكًا مِنْهُمْ ، وَلِيُوجِعَهُمْ بِتَفْضِيلِ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ . وقوله « وَهَلْ كُفْلَانِي » ،
فَالْكَفِيلُ : الضَّامِنُ لِلشَّيْءِ . وهذا المصراعُ التَّفَاتُ ، كَأَنَّهُ لَمْ يَجْنِ فِعْلُهُمْ وَقَرَّعَهُمْ ،
وَأَطْرَى غَيْرَهُمْ مَوْثِرًا عَلَيْهِمْ ، التَّفَاتُ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ قَال : وَهَلْ ضَمِنَتَانِي مُسْتَوُونَ فِي
الْوَفَاءِ فَأَجْرِيَهُمْ بِجَرِيِّ وَاحِدًا . وهذا أَبْلَغُ مِنْ كُلِّ نَكِيرٍ ، وَمِنْ كُلِّ تَهْوِيٍّ قَطْعٍ .
و « سَوَاءٌ » وَإِنْ كَانَ فِي الْأَصْلِ مَعْدَرًا ، قَدْ صَارَ هُنَا كَأَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ لِنِبَاتِهِ عَنْهَا ،
لِذَلِكَ صَحَّ أَنْ يَعْمَلَ فِي الظَّرْفِ قَبْلَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ « فِي الْوَفَاءِ » ، لِأَنَّ الْمَصَادِرَ لَا تَعْمَلُ
فِيهَا قَبْلَهَا إِلَّا إِذَا أُبْرِيَهَا ، كَقَوْلِكَ : ضَرَبَا زَيْدًا ، أَوْ إِذَا أُجْرِيَ هَذَا الْمَجْرَى ^(٢) .

(١) هذا ما في ل ، وهو للوائق لما بعده . وفي الأصل : « الباب » بمعنى السب .

(٢) ابن جني : « الظرف متعلق بسواء لا بكفلائي . ألا ترى أن مناه : وهل من

يكفلي متساوون في الوفاء » .

وقوله «لَمْ أُذْرَعْ» صفةٌ للعصبية للآزنية . وهم يتمدّدون بالهزال . والنواثر : عُروقٌ ظاهرةٌ التّراعى . وقوله «وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُنَاءٌ» ، تعريضٌ بالآخرين ، وهم بنو عدى . والغُنَاءُ : ما يعلو السَّيلَ من الغَثِّ والزَّبدِ . والمعنى : بعضهم لا غُنَاءَ عنده ولا كفاية ، فتراهم كَيْبِيسَ النَّهَابِ وقد احتمله الماء .

وقوله «كَأَنَّ دَانِيئًا عَلَى قِسْمَتِهِمْ» ، القِسْمَاتُ : الوجوه ، وقيل هى تجارى الشموع . ويقال : وَجْهٌ مَقْسَمٌ ، أى حسن ، والقَسَمَةُ : الحُسن . وسرجه إلى القِسْمَةِ ، كأنه مُسِيحٌ كلُّ جزءٍ من الوجه يقسم من الجمال ، فصادت الأجزاء وَحُشِنَتْ . وقوله «وَأِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقَاءُ» تعريضٌ أيضًا ، والمعنى : أَنَّ وجوههم تُشْرِقُ فى الحرب وتُضَيُّ ، إذا صارت وجوههم مشفوفةً متغيرةً . ويقال : شَفَّ لِلرَّصُ ، إذا أذابَه وهزَلَه . وَذِكْرُ الدَّانِيَةِ فى إثباتِ ماء الوجه ونضارة الحُسن قد جاء فى النسيب ، ألا تَرَى قوله :

النَّشْرُ مِنْكَ وَالْوُجُوهُ دَانَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَمٌّ^(١)

٦١٠

وَقَالَ شَمَلَةُ بْنُ الْأَخْضَرِ^(٢) :

- ١- وَصَفْنَا عَلَى الْبِزَانِ كُوزًا وَهَاجِرًا فَالَتْ بَنُو كُوزٍ بِأَبْنَاءِ هَاجِرٍ
 - ٢- وَلَوْ مَلَأَتْ أَغْفَاجُهَا مِنْ رِثِيَّةِ بَنُو هَاجِرٍ مَالَتْ بِهَنْظِبِ الْأَكَادِرِ^(٣)
 - ٣- وَلَكِنَّا اغْتَرُّوا وَقَدْ كَانَ عِنْدَهُمْ قَطْلِيَانِ شَقَى مِنْ حَلِيبٍ وَحَازِرٍ
- هذا الكلامُ هُزْءٌ وَسُخْرِيَّةٌ . فيقول : نَظَرْنَا مَا بَيْنَ كُوزٍ وَهَاجِرٍ بِالْقِيَاسِ

(١) البيت للرقش الأكبر . وهو البيت ٦ من الفضيلة ٥٤ .

(٢) التبريزى : « وقيل : منذر بن الرقاد بن ضرار بن عمرو الضبي » . وقد سبق ترجمة « شَمَلَةُ » فى الخامسة ١٨٣ س ٥٦٥ . وأما منذر بن الرقاد فلم ينثر له على ترجمة .

(٣) ل والتبريزى : « وَلَوْ مَلَأَتْ » .

القائم ، والليزان الحاكم ، فوجدنا كِفَّةَ بنى كُوزٍ أَرْجَحَ وَأَوْزَنَ ، ولو عَلِمَتْ بنا
وَيَقْلَعْنَا لِلأَثَرِ بَطُونَهَا مِنَ الرَّثِيئَةِ ، فزادت زِنَتُهَا عَلَى هِضَابِ الأَكَادِرِ ، لَكُنَّهَا
أَصِيبَتْ غَفْلَتُهَا ، وَقُوجِثُوا بِالْوَزْنِ قَبْلَ الشَّرْبِ وَالإِمْتِلَاءِ ، وَالتَّجَرُّدِ لِلأَمْرِ
وَالإِسْتِمْدَادِ ، وَكَانَتْ الْحَالُ مُسَاعِدَةً ، وَأَنْوَاعُ الْحَلِيبِ مَكْنَةً ، وَذَلِكَ أَجْلَبُ
تَلَمُّسِهِمْ ، وَأَدْعَى إِلَى تَدَاتِهِمْ .

والأَضْفَاجُ : الأَمْعَاءُ ، وَالوَاحِدُ عَفْجٌ^(١) . وَيُقَالُ : اغْتَرَّ فُلَانٌ ، أَيْ أَخَذَ
عَلَى غِرَّةٍ . وَالْقَطِيبُ : لِلزَّوْجِ . وَالْحَازِرُ : الْحَامِضُ . وَالرَّثِيئَةُ : الْمَجْمُوعُ مِنْ
الْحَازِرِ وَالْحَلِيبِ . وَقَدْ رَمَاهُمْ بِأَنْ طَعَلَتْهُمْ ذَلِكَ لَا غَيْرَ .

٦١١

وَقَالَ قِرَوَاشُ بْنُ حَوَاطٍ الضَّبِّيُّ^(٢) :

١ - نُبَيْتُ أَنْ عِقَالًا ابْنَ خَوَيْلِدٍ يَنْعَافُ ذِي غُدُمٍ وَأَنْ الْأَعْلَى^(٣)
٢ - يَنْبِي وَيَعِيدُهُمَا إِلَيَّ وَبَيْنَنَا شَمٌ قَوَارِعُ مِنْ هِضَابٍ يَرْتَمَا
الأَجُودُ فِي الْعَلَمِ وَقَدْ وُصِفَ بِالابْنِ أَوِ الْإِبْنَةِ ، إِذَا كَانَ مَضَافِينَ إِلَى عِلْمِهِ ،
أَوْ مَا يَجْرِي بِجَرَاهُ ، تَرَكَ التَّنْوِينَ فِيهِ . وَقَدْ نَوَّنَ هَذَا الشَّاعِرُ عِقَالًا ، وَإِذْ قَدْ
فَعَلَ ذَلِكَ فَالْأَجُودُ فِي ابْنِ خَوَيْلِدٍ أَنْ يَحْمِلَ بَدَلًا ، وَيَحْوزُ أَنْ يُحْمَلَ صِفَةً عَلَى
اللُّغَةِ الثَّانِيَةِ^(٤) .

(١) الفج ، بالفتح ، والكسر ، وبالتحريك ، وككتف .

(٢) ذكره المرزباني في اللجم ٣٣٩ وقال : « قرواش بن حوط بن أنس بن صرمة بن
زيد بن عمرو بن طاهر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن خببة . جاهل » .

(٣) الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ في معجم البليان (غنم) و ١ ، ٤ ، ٥ ، ٣ في الحيوان
(٦ : ٣٨٣) و ٣ ، ٤ ، ٥ في معجم المرزباني . التبريزي : « غنم » بالعين للهمة ، تحريف .

وذو غنم : موضع من نواحي المدينة .

(٤) أضف إلى هذا ما ورد في المحاسنة ٥٩٥ ص ١٤٣١ ، وهو نص نادر .

والنَّصَفُ : جمع نَصْفٍ ، وهو المكان المرتفع في اعتراضٍ ، وأعلى كلِّ شيء ؛
ومنه مَنَافِئُ الجبل . والأعلم : اسم رَجُل ، وأعاد « أَنْ » معه تأكيداً ، والخبر
قوله « ينسى » ، والعامل فيه أَنْ الأولى ، لأنَّ الثَّانِيَةَ لا يُمْتَدُّ بها عاملاً وإن كانَ
مؤكِّداً . ومثل هذا قولُ الحُطَيْثَةِ :

* إِنَّ التَّرَاءَ وَإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ غَلِبَا ^(١) *

ويكون على هذا الألف في « غَلِبَا » ضمير المثنى . والشَّمُ : الجبال المرتفعة .
والقوارع : العوالى . ويُقَلَّمُ : عَلِمَ الجبل ^(٢) ، ويروى : « يَرْمَزُمُ » .

٣ - غَضًا الوَعِيدَ فَمَا كُنْ لِمُوْعِدِي قَنَصًا وَلَا أَكْلًا لَهُ مُنْخَضًا ^(٣)
٤ - ضُبْمًا بُجَاهَرَةً وَلَيْثًا هَذَنَةً وَنُعَيْبًا حَمِيرًا إِذَا مَا أَظْلَسَا
٥ - لَا تَسْأَلْنِي مِنْ دَسِيسٍ عَدَاوَةٍ أَبَدًا فَلَيْسَ بِعُنْشِي أَنْ تَسْأَلُنَا

يقول : أَقْصِرَا إِلَيْكَ مِنْ تَهْدُوكَا ، فَإِنِّي لَا أَحْضَلُ بِكَ وَلَا بِوَعِيدِكَ ، وَلَا
أَصْطَادُ بِإِعَادِكَ وَإِرْفَاكِكَ ، وَلَا أَصِيرُ مَأْكَلَةً لِأَحَدٍ فَيَا كَلْفِي بِفَمِهِ كُلُّهُ خَفْصًا
كَمَا يُؤْكَلُ الرُّطْبُ اللَّيْنُ ، لَا قَضًا . ثُمَّ أَخَذَ يُعَدِّدُ غَزَايَهُمَا فَقَالَ : عِنْدَ الْمَكَاشِفَةِ
وَالْمَلَاةِ تَخْبِيئَانِ وَتَحْمَمَانِ ، خُبْتُ الضُّيْعَ وَحَمَاقَتَهُ ، وَعِنْدَ الْإِصْطِلَاحِ وَالْهُدُوءِ
تَشْجَعَانِ وَتُقَدِّمَانِ إِقْدَامَ الْأَسَدِ وَشَجَاعَتَهُ ، وَفِي ظِلَامِ اللَّيْلِ تَسْرِقَانِ وَتَحْتَالَانِ
عَلَى النَّاسِ ، وَتُرَاوِغَانِ مُرَاوَغَةَ الثُّطْبِ وَسَرِيقَتِهِ . وَالخَصْرُ : مَا وَارَاكَ مِنْ شَجَرٍ

(١) صدره في ديوان الحطيثية ص ٥ :

* قَالَتْ أَمَامَةَ لَا تَجْزِعْ قَهْلًا لَهَا *

(٢) على ليلتين من مكة .

(٣) روى بهذه الملاحظة في الحيوان :

فَقَى الْأَفْكَا الْبِرَازَ الْبِرَازَ مُتْلَاقِيَا عَرِكًَا يَفْلُ الْهَدَّ شَاكًَا مُتْلَاقِيَا

وغيره . و « إذا ما أظلمنا » أى دَخَلَا فى الظلام ، والسَّائِلُ فى إذا ما دَلَّ على جوابه وقد تقدَّمه .

وقوله « لا تسأما » يقول : لا تَمَلًا مُدْجَانِي وطلَّبَ النوازل لى فى السَّرِّ وبظهر النيب ، فإني لكما على مثل حافكا لى ، ولا تَقْتَرَا عنه فإني لا أفتُر ولا أَمَلٌ وإن مَلَّيْنَا أيضا ، فإن مَلَّا لَكُمَا لا يُكْسِبُنِي فَتُورًا ولا إمساكا . واللهُ : إدخالك شيئًا تحت شيء ، وهو الإخفاء^(١) . وفى القرآن : « أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ » واللهَّسوس والجالسوس يتقاربان . ويروى : « مِنْ رَسِيسِ عِدَاوَةٍ » ، ويكون مثل ريس الحصى والهوى ورسيهما ، لما يبدأ منهما . وموضع « أَنْ تَسْأَمَا » من الإعراب رفع على أن يكون اسم ليس ، كأنه قال : ليس يَمْسِي سَامِيَكُمَا فهو كقولك : ليس بمنطَلِقٍ عَمْرُو .

٦١٢

وقال سويد بن مشنوء^(٢) :

- ١ - ذَرِي عَنْكَ مَسْعُودًا فَلَا تَذْكُرْنِي إِلَى بَسُودٍ وَأَعْرِضِي لِسَبِيلِ
 - ٢ - نَهَيْتُكَ عَنْهُ فِي الزَّمَانِ الْفَنَى مَضَى وَلَا يَنْتَهِي الْفَاوِي الْأَوَّلِ قِيلِ
- قوله « ذَرِي » ، أى دَعَى . والأمر يُبْنَى على المستقبل ، وهو يَنْدَر ، وقد استُعمل . فأما وَذَرَّ فَمِنْ الرفض استعماله استغناءً عنه يَتَرَك . وقوله : « لَا تَذْكُرْنِي إِلَيَّ » كَسَرَ الرَّاءَ مِنْهُ لِأَنَّهُ خَطَابِيَّةٌ مُؤَنَّثٌ ، وَالْأَصْلُ تَذْكُرِينِي ، فَحُذِفَ النُّونُ الْأَوَّلَى لِلْجَزْمِ ، ثُمَّ حُذِفَ الْيَاءُ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ ، فَصَارَ تَذْكُرْنِي .

(١) هنا ما فى ل . وفى الأصل : « وهو فى خفاء » .

(٢) ذكره أبو الفرج فى الأغانى (١٦ : ٣٨) فى خبر مع الحطيئة ، وقال : إنه حليف بنى عدى بن جناب الكلبيين .

واللعن : لا يَتَمَهَّنْ ذِكْرُهُ إِلَى ، ولا يَتَجَاوِزَنَّ ذِكْرُهُ إِلَى بَسْوَةٍ . فَعَدَى تَذَكُّرَنَّ
تَعْدِيَةً تَتَجَاوِزَنَّ إِلَى ، حَلًّا عَلَى اللَّعْنِ . وما جاء على هذا قوله :

إِذَا تَفَقَّى الْحَمَامُ الْوُرُقَ هَيَّجَنِي ، وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عَنْهَا ، أُمَّ عَمَّارٍ ^(١)

عَدَى هَيَّجَنِي تَعْدِيَةً ذَكَّرَنِي ، لَأَنَّهُ فِي مَعْنَاهُ . وهذا كما يحلون في التَّعْدِيَةِ
النَّقِيضَ عَلَى النَّقِيضِ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا رَضِيْتَ عَلَى بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أُعْجِبْنِي رِضَاهَا ^(٢)

عَدَى رَضِيْتَ تَعْدِيَةً غَضِبْتَ لَأَنَّهُ نَقِيضُهُ ، كما عَدَى هَيَّجَنِي تَعْدِيَةً
ذَكَّرَنِي لَأَنَّهُ نَظِيرُهُ . وكما حُكِيَ :

* قَدْ قَتَلَ اللَّهُ زَيْدًا عَنِّي ^(٣) *

عَدَى قَتَلَ تَعْدِيَةً صَرَفَ .

وقوله « نَهَيْتُكَ عَنْهُ » ، يقول : كُنْتُ أَحْذَرُكَ عَنْهُ فَمَا سَلَفَ مِنَ الزَّمَانِ
وَتَقَضَى ، لَكِنَّ الْجَاهِلَ لَا يَرْتَدِعُ إِلَّا زَجْرَةَ الْأَوَّلِ حَتَّى يَرُدَّعَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى .
وهذا مَثَلٌ ، أَعْنَى قَوْلِهِ :

* وَلَا يَنْتَهِي النَّارِيُّ لِأَوَّلِ قِيلٍ *

وقوله « وَأَعْرِضْ لِسَيْلٍ » أى اعْرِضْ إِلَى طَرِيقٍ غَيْرِهِ ، وَاذْكُرْ بِهِ بَسْوَةً .
ويقال : لَا تَعْرِضْ عِرْضَهُ ، أى لَا تَذْكُرْهُ بَسْوَةً .

(١) للثابتة القدياني في جهرة أشعار العرب ص ٥٣ وكتاب سيبويه (١ : ١٤٤) .

وقد سبق في ٣١٥ .

(٢) للتحيف القليل في الكامل ٣٤٢ ، ٤٨٨ .

(٣) للفرزدق في ديوانه ١٨١ ، والسان (قتل) ، قاله حين خرج من المدينة بعد

موت زياد ، وكان زياد قد شابه وآذاه وتذر قتله . وقد سبق في ٣١٥ .

٦١٣

وقال معدان بن عبيد^(١) :

١ - عَجِبْتُ لِعِيدَانِ هَجَوْنِي سَفَاهَةً أَنْ اصْطَبَحُوا مِنْ شَانِهِمْ وَتَقَيَّلُوا^(٢)

٢ - بِجَادٍ وَرَيْسَانَ وَفَهْرٍ وَغَالِبٍ وَعَوْنٍ وَهَذْمٍ وَابْنِ صِفْوَةَ أَخِيْلٍ

٣ - فَأَمَّا الَّذِي يُخَصِّصُهُمْ فَمُكَثَّرٌ وَأَمَّا الَّذِي يُطَرِّبُهُمْ فُمُقَلَّلٌ

يقال : عَبَدُوا وَعَبَدَ وَعَبَادٌ وَعَبِيدٌ وَعَبْدِي وَعَبْدَانِ وَمَعْبُودُهُ وَمَعْبُودَةٌ وَعَبْدٌ .

فبعض هذه الأسماء مما صيغ للجمع ، وبعضها جمع في الحقيقة . وانتصب « سَفَاهَةً » لأنه مفعول له . وهم يَكُونُونَ عن الثَّامِ بالقييد والعِيدَانِ ، والقَزَمَ والقَزَمَانِ^(٣) . و « أَنْ اصْطَبَحُوا » يريد لأن اصْطَبَحُوا ، أى شَرَبُوا الصُّبُوحَ ، وهو ما يُشْرَبُ صباحا . والقَتِيلُ ، وهو شرب نصف النهار . وكما قال تَقَيَّلُوا ، يقال تصبَّحوا أيضا . والمعنى عَدَوَا طَوْرَهُمْ فَهَجَوْنِي ، لأنهم رأوا بأنفسهم ما لم يسهوه ، فطنوا عند النَّقَى ، وأصابوا من شَانِهِم الصُّبُوحَ والقَتِيلَ ، بعد أن كانوا كَلَالًا على غيرهم . ثم ذكرهم بأسمائهم تَخْصِيصًا^(٤) وتشنيها . ويرتفع بجَادٍ إِنْ شئتَ على الاستئناف ، يريد : هم بِجَادٍ وَرَيْسَانَ ؛ وَإِنْ شئتَ على التبدل من الضمرين في قوله اصْطَبَحُوا .

وقال من بَقْدُ : مَنْ يَمُدُّهُمْ يُكَثِّرُ لَوْفُورَ عَدَمِهِمْ ، ومن يُثْنِي عَلَيْهِمْ يَقَلِّلُ لِقَلَّةِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الثناء فيهم ومنهم . ويجوز أن يكون أن من قوله أن اصْطَبَحُوا أن المُفْتَرَةَ ، كأنه فُسِّرَ لَمْ طَفَنُوا فَهَجَوُوا .

(١) هو معدان بن عبيد بن عدي بن عبد الله بن خبزي بن أفلت الطائي ثم اللقي .

شرح التبريزي ومجموع الرزاي ٤٠٧ .

(٢) ضبطت « عيدان » في النسختين والتبريزي بكسر العين ، ويقال فيها أيضا

« عيدان » بضم العين .

(٣) لم تذكر اللامجمل المتبادلة هنا الجمع . وللمروف أقزام ، وقزاي ، وقزم بضمتين .

(٤) ل : « تَخْصِيصًا » .

٦١٤

وقال يزيد بن قنافة^(١):

- ١ — لَعَمْرِي وَمَا عَمِرِي عَلَى يَهْيَيْنِ لَيْسَ الْقَتْلُ لِلدَّعْوِ بِاللَّيْلِ حَاتِمٌ^(٢)
 ٢ — غَدَاةَ أَنْى كَالثَّوْرِ أُخْرِجَ فَاتَّقِ يَجْهَتُهُ أَقْبَالُهُ وَهُوَ قَاتِمٌ
 ٣ — كَانَ بَصَحْرَاهُ لِلرَّيْطِ نَمَامَةً تَبَادُرُهَا جَنَحُ الظَّلَامِ نَمَامٌ
 ٤ — أَعَارَنَكَ رِجْلَيْهَا وَهَاتِي لُبَّهَا وَقَدِجَرَدَتْ بِيضُ الْمُتُونِ صَوَارِمٌ
- قد مضى الكلام في قوله لَعَمْرِي . وقوله « وما عَمِرِي عَلَى يَهْيَيْنِ » تحقيق لليمين ، وأنَّ عَمْرَهُ ليس يَهْوَنَ عليه فيحلف به كاذبا . وفي الكلام إزراء بالمُجَبَّرِ عنه . وقوله « اللَّذْعُو بِاللَّيْلِ » كثير من التحويين يذهبون في مثله إلى

(١) البرزى : « وقال يزيد بن قنافة بن عبد قيس السدي ، من بني عدى بن أخطم ابن أبي أخطم ، من ثعل بن عمرو بن النوث ، رجع حاتم بن عبد الله » . وقال ابن جني : « القنف صفر الأذنين وغظلهما ، رجل أقنف وامرأة قنفاء ، وبه سمي الرجل قنافة ، إذا كان مضطرب الألف ، ويقال : هو الطويل الجسم . فقد يجوز أن تكون الهاء في قنافة لحقت بـيائنة ، ويجوز أن يكون أيضا لحاقها ضربا من ضروب تغيير الأعلام ، كما أن الهاء في رواحة قد يجوز أن تكون كذلك . وقد يجوز أن يكون قنافة علما مرتجلا من غير طريق الصنعة التي ذكرت » .

(٢) قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أنه عهد رجل من بني السيد بن مالك ابن بكر بن سعد بن ضبة ، يقال له زيد بن ثابت ، لجاور في طي وكانت له نمة فيهم ، وكان جيرانه منهم بنو معن ، فقتلوه وأخذوا ماله : فبلغ ذلك بني السيد فركبوا فيمن تبهم من بني ضبة حتى لقوا رجلا من طي فقالوا له : من أنت ؟ فكشفهم فصرفوا لته ، فقالوا له : أنت آمن إن دلتنا على أقرب أبيات بني من منك . فسلم على بني ثور بن ود من بني معن ، وذلك من المعنى ، فقتلهم إلا قليلا ، وانفلت منهم رجل حتى أتى حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحضرج ، وهو حاتم طي ، وهو في بقة له من أدم فدار ليس معه فيها أحد غير أهل بيت أو بيتين من بني عدى ، فيهم يزيد بن قنافة ، وهو بمكان يقال له صحراء الريط ، فأخبره الخبر فأمر أمته أن تودع في قبة واحتمل تحت الليل فنجبا ، وبقي يزيد بن قنافة لم يعلم الخبر حتى سمعته الخيل خدوة ، وكانت امرأته لا تكلمه فدعته باسمه فأخبرته الخبر ، فثار إلى قومه ففتح بناته وابنيه وامراته وذهب به . وإنما كان الثور أرادوا حاتمًا فأقلت » . وفي ذلك يقول يزيد بن قنافة بهذا الشعر هاجيا .

أنه بدل لاصفة ، لأنَّ نَمَ وبئس برفعان من المَعَارِف ما فيه الألف واللام وذلك على الجنس ؛ وما بدل على الجنس [لا^(١)] يَتَأَنَّ فيه الوصفية . والصواب عندى تجويز كونه وصفاً ، بدلالة أنه يثنى ويُجمع ، فيقال : نعم الرجلان الزيدان ، ونعم الرجال الزيدون ، والفتنية والجمع أبعد الأشياء من أسماء الأجناس ، إلا إذا اختلفت ، فكما يجوز ثنية هذا وجهه لدخول الاختلاف فيه ، كذلك يجب أن يجوز وصفه لمثل هذه العلة ، ولا فصل . وإذا كان كذلك كان قوله للدعوى بالليل صفة للفتى ، كأنه قال : منموم في الفتيان للدعوى بالليل حاتم . وهذا ظاهر .

وذكر الليل لشدة الهول فيه .

وقوله « غداة أتى كالثور » يعنى حاتماً ، وإنسا يهزأ به . ومعنى أخرج : ضيق عليه وأخرج من عادته فأخرج إلى أن يميث . والأفتال : الأقران والأعداء ، والواحد قتل . فيقول متكبها : جاء كالثور المائج غضباً وجهية ، وقد بان له من طلأيه ترك الإيقاع عليه ، فجعل بينه وبين أقرانه قرنيه يتفهم بهما ، ويمدح الشر بإعمالهما ، فهو ثابت القدم متهيئ للقتال . هذا كان حاله في الجيـء ، فلما جاء وقت الدّفاع والمصادمة ، والقرع والمكافضة ، انهزم فسكن في العائمة سابقها حين جنح الظلام نمتهم إلى أداحيها ، أعارت حاتماً رجلها وطائر قلبها ، وهو يمدو مذعوراً ، ويطلب النجاء مفولاً ، وقد جردت السيوف من أغادها ، وصار الأمر في الطلب والهرب جدّاً . وإنما قال « أعارتك رجلها » لأنه نقل الكلام عن الإخبار إلى الخطاب .

٦١٥

وقال عارق، وهو قيس بن جروة الطائي^(١) :

- ١ — من مبلّغ عمرو بن هند رسالة إذا استحببت العيس تنص من البند
 - ٢ — أبوعدي والرمْلُ بيني وبينه تبين رويدا ما أمانة من هند
 - ٣ — ومن أجبا حولي رعان كأنها قنابل خيل من كمين ومن وزد
- كان عمرو بن هند غزا البمامة على ما حكيت من قصته فيما تقدم^(٢) ،
 فأخفق ورجع مُنفضاً ، فرّ بطي ، وكانوا في ذمته بكتاب عقداً اكتبه لم ،
 وعهد أحكمه معهم ، فقال زُرارة بن عدس له : آبيت اللن ، أصب من هذا
 الحبي شيئا . قال : ويلك إن لم عقدا لا يجوز لنا تخطيه . فأخذ زُرارة يهون
 أمر العهد عليه ، ويحسن الإقناع بهم ؛ فلم يزل يفتل في الذروة والغارب معه
 لشيء كان في نفسه على طي حتى أصاب أذواداً ونساء ، فهجا عارق عمرو بن هند
 بأبيات يعصّب رأسه فيها بالنادر الذي كان منه ، فوقمت الأبيات إلى عمرو بن هند
 هند ، فتوعد عارقاً وحلف أنه يقتله ، فاتصلت مقالته بعارق فقال هذه الأبيات .
 ومعنى « استحببت » حملتها في الحقائق . وجعل الفعل العيس اتساعاً . ومعنى
 تنص : تهزل ، لبند المسافة .

وقوله « أبوعدي » استفهام على طريق التبريع لعمرو ، واستعظام منه
 للأمر . والمعنى أنه لا يتألى مع حصانة حبل وداري ، ولا يتمكن مني على بند
 طرقي وأرضي ، فليظن برفقي ، وليمئل بين أمه وأمي ، وليكن النحل والتوعد

(١) سبقت ترجمته في الحاشية ٦٠٤ ص ١٤٤٦ .

(٢) في الحاشية ٦٠٣ ص ١٤٤٧ .

بمقدار فضله وقدرته . وذكر الأُم إظهار لقلة المبالاة ، وأنه يجسر على تناول الحرم منه باللسان .

وقوله « ومن أجا حولى رعان » أجا : أحد جبلين^(١) . والرعان : جمع رغن ، وهو أنف يتقدم من الجبل . والمراد بيان حال جبل طي في وثاقهما وحصانتها ، وأمن من ينزل بهما ، وأن رعانه كأنها جماعات خيل أحاطت بالجبل وأحدثت ، فهي تذب عنها^(٢) كمننا ووردا^(٣) . وذكر القنابل في التشبيه ، والعز بأربابها يحصل .

٤ — غدرت بأمر كنت أنت اجتذبنا إليه رئيس الشيعة القندر بالهند
٥ — وقد يترك القندر الفتى وطامه إذا هو أمسى جل من دم القندر
يروى : « أنت احتدبنا » ، وهو افتعل من الخدو : السوق . واجتذبنا ، من الجذب . ويروى : « أنت دعوتنا » .

والشاعر يشير إلى ما كان في يد طي من عقد الجوار وكتاب العهد ، فيقول : كنت أنت الباع لذلك ، والمؤنس لثناره ، فأبيت إلا أن تنقضه ، وبس العادة القندر مع المقود ، وتكت عرى العهود . والفتى قد يؤثر الإقامة على الوفاء مع الإضافة ، وشدة الفاقة ، ويطلب اكتساب الحمدة ، وإن كان مسكيناً ذا مزية ، حتى إذا أمسى يكون جل طامه قصيد النهم . ويروى : « إذا هو أمسى حلبة من دم القندر » ؛ والأول أحسن . ويرفع « جل » على

(١) والآخر « سلى » .

(٢) أى عن طي القبيلة .

(٣) التبريزي : « وجعلها خلفه الألوان لاختلاف ألوان الجبال » .

أنه مبتدأ ثان ، والجملة خبر للمبتدأ الأول ، وهو طعنه . ويتنصب إذا من قوله « جُلّه من دم القصد » ، لأنه الدال على جوابه ^(١) .

٦١٦

وقال آخر :

- ١- لعمري وما عمري على بهي . قد ساءني طوزي في الشعر حاتم
 - ٢- أيقظان في بفضائنا وهجائنا وأنت من المعروف والبر نائم
 - ٣- بحسبك أن قد سدت أخزم كلها لكل أناس سادة ودعائم
 - ٤- فهذا أوان الشعر سلت سهايم متابلهما وللهفات السلايم
- أقسم بحياة نفسه ، وخبر للمبتدأ محذوف ، والمراد : لعمري ما أقسم به ؛ لأنّ اللام منه لام الإهداء ، وجواب القسم قد ساءني . وقوله « ما عمري » اعتراض ، وقد مرّ القول في فائدته ^(٢) . والطوز : التارة . أى تعرض لى مرتين بما ساءني . ثم أقبل عليه فقال : أيقظان ؟ والمعنى : أنت يقظان ، أى مُنتبه في هجونا وبُعضنا وعداوتنا ، ونائم عن الخير والإحسان ، وإسداء المعروف والبر والإفضال ؟ ثم أخذ يهزأ به فقال : بحسبك . والمراد حسبك ، لكنهم يريدون الباء في المبتدأ ، نحو قولك : بحسبك أن تفعل كذا ، وفي الخبر أيضاً يريدون ، نحو قوله :
* ومنعكها بشئ يُستطاع ^(٣) *

(١) ابن جني : « لا يصح أن ينصب إذا شيء ما قبلها ، طعنه ولا غيره ، من حيث كان الفطر لا ينصب ما قبله ، لكن العامل ما دلت عليه حلية ، أى إذا هو أسى يحلب له من دم القصد . ولا يجوز أن يطلق بحلية ، من حيث كان مصدراً فلا تقدم ملته عليه . يعنى أن للمصدر لا يصلح فيها قبله — فإن قلت : فإن الحلية هنا بمعنى المحلوبة واسم المفعول يقدم عليه ما عمل فيه ، فذلك وجه مستقيم ، يجوز انتصاب إذا عليه بنفس الحلية » .

(٢) انظر البيت الأول من الحماسة ٦١٤ ص ١٤٦٤ .

(٣) لبيبة بن ربيعة بن لحقان ، كما سبق في حواشي الحماسة ٤٨ ص ٢٠٩ . وصدره :

* فلا تلعب أيت الأمن فيها *

وانظر الحرة (٢ : ٤١٣) .

أى شئ يستطيع . وهذا أحد ما قيل فيه ، وقال آخر^(١) :
يَحْسَبُكَ فِي التَّوَمِ أَنْ يَمْلُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ عَنِّي مُضِرٌ^(٢)
واللفظ : كأنك أن ترأست على أخزَم ، وأخزَم : رَهَط حاتم . ثم أزرى
برياسته وبهم ، فقال : ولكل طائفة من طوائف الناس رؤساء وعُدد ، وهذا
يَجْرِي تَجْرَى الانْتِفَات . كأنه يَند ما قال ذلك التفت إلى من حوله يؤنسهم
ويقول : ليس ذا بمتكبر ، فلكل قوم من يسوسهم ويدعهم .
وقوله « فهذا أوان الشعر سلت سبأه » ، يعنى شعره . فيقول : لكل
زمان قى ، يظهر فيه ويغيب ، وزماننا هذا مع قرصك للشعر زمان الشعر ، وقد
انزعت سبأه من كفايتها بعد أن نيزت ، فجردت للرعى بها مسايلها ، وهى
العراض ، وسلاجها وهى الطوال . وللهفقات : للرقات الحد . والمراد بهذا
التنويح فنون الشعر وأساليبه . أى أنت فيه ذوفنون ، والمقبل^(٣) : الذى مته
مقابل^(٤) . وعيقلته : أصبته يميميلة .

٦١٧

وقال رجل من طي :

- ١ — إِنْ امْرَأٌ يَغْفِي الْأَسِنَّةَ تَغْفِرُهُ وَرَاءَ قُرَيْشٍ لَا أُعَدُّ لَهُ عَقْلًا
٢ — يَذْمُونَ لِي الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا بِهَا فَارَكُّوا فِيهَا الْمُتَمِيسَ مُنْجَلًا^(٥)

- (١) هو الأشعر الرقبان الأسدى . اللسان (ضرر) .
(٢) المضر : الذى له قطة من الإبل أو النعم .
(٣) وردت فى القاموس ، ولم ترد فى اللسان .
(٤) فى الأصل : « فيه مقابل » ، سواءه فى ل .
(٥) مثل هذا للفق لبيد الله بن عامر السلولي ، قال يهجو العلماء فى شعر يخاطب به النعمان
ابن بشير الصائري :
وفدوا لنا الدنيا وهم يرثونها أفاويق حتى ما يذ لها شمل
اللسان (٩ : ٤٨٤ / ١٣ : ٨٨) والأفاني (١٤ : ١١٦) . وأظفر جالس عليه
٥١٥ ومقاييس اللغة (٢ : ٤٠١) .

وَصَفَّ الْأَمْراءَ الَّذِينَ أَسَارَ إِلَيْهِمْ بَسْوَءَ الْحَافِظَةِ ، وَذَهَابَهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِيقِ
وَمِرَاعَاتِهَا ، وَإِزْزَالَ الْمَوَالِيْنَ مَنَازِلَهُمْ فِيهَا فَقَالَ : إِنْ مَنْ يَنْتَرُ بِكُمْ بَعْدَ هَذَا الْوَقْتِ
وَاعْتَمَدَكُمْ ، فَبَذَلَ نَفْسَهُ وَرَاءَكُمْ لِلتَّعَالَفِ ، وَرَكِبَ فِي هَوَاكُمُ الْمَعَاطِبَ ، لَا عَقْلَ
لَهُ وَلَا رَأْيَ .

ثُمَّ بَيَّنَّ مَا أَشْكَاهُ مِنْهُمْ ، وَسَوْأَ مَعَامِلَتِهِمْ فَقَالَ : يَذْمُونَ الدُّنْيَا لِي ،
وَيَزْهَدُونَ فِيهَا وَفِي الْأَخْذِ مِنْهَا ، وَقَدْ فَازُوا بِهَا حَتَّى لَمْ يُبْقُوا فِيهَا فَضَالَةً لِأَحَدٍ ،
أَيَّ تَعَمَّرُوا كُلَّ عَطْلٍ فِيهَا ، وَلَمْ يُبْقُوا فِي ضَرْعِهَا شَيْئًا حَتَّى لَمْ يَتْرَكُوا نُشْلًا
فِيهَا . وَهَذَا مَثَلٌ ، وَالنُّشْلُ هُوَ الطُّغْيَانُ الزَّائِدُ ، وَالسُّنُّ الزَّائِدَةُ . وَيُقَالُ : تَمَلَّتْ
سَيْتُهُ . وَشَاءَ تَمُولُ : لَهَا تُعْلَى ^(١) . وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْلُغَةِ أَنَّ التَّمُولَ مِنَ الشَّاءِ :
الْقِيُّ يُكْمِنُ أَنْ يُحْلَبَ مِنْ تُعْمِلِهَا أَيْضًا .

وَقَوْلُهُ « وَرَاءَ قُرَيْشٍ » يَكُونُ وَرَاءَ بَعْضِ خَلْفَةٍ وَقَدْ آمَ ، وَالْأَوَّلَى بِهِ هُنَا أَنْ
يَكُونُ بَعْضُ قَدْ آمَ . وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلَكٌ ﴾ .

٦١٨

وَقَالَ رُوَيْشِدٌ ^(٢) :

١ - وَمَوْقِعُ تَنْطِقُ غَيْرَ السَّدَادِ فَلَا جَيْدَ جِزْعِكَ يَا مَوْقِعُ

٢ - فَا قَوْقَ ذَلَّتْكُمْ ذِلَّةٌ وَلَا تَحْتَ مَوْضِعِكُمْ مَوْضِعُ

مَوْقِعُ ^(٣) : قَبِيلَةٌ . يَرِيدُ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِالْفُحْشِ وَغَيْرِ الصَّوَابِ ، لِسَفْهِهَا

(١) يُقَالُ تَمَلَّ ، بِالضَّمِّ ، وَابْتَدَعَ ، وَابْتَصَرَ ، وَابْتَصَرَ .

(٢) هُوَ رُوَيْشِدُ بْنُ كَثِيرٍ الطَّائِي ، الَّذِي سَبَقَتْ لَهُ الْجُمُوعُ ٣٢ ص ١٦٦ .

(٣) مَوْقِعٌ ، بِضَمِّ الْمِيمِ ، كَمَا فِي الْأَسْلَمِ وَالتَّبْرِيزِيِّ . وَفِي الْقَامُوسِ : « وَمَوْقِعٌ بِالضَّمِّ :
قَبِيلَةٌ » ، لَكِنْ ضَبَطْتُ قِيْلَ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْكَافِ .

وسوء تمييزها ، ثم دنا عليها ، فقال : لا مُطَرَّ جَابِيكَ وَفَنَاءَ وَاذِيكَ بِالْجَوْدِ ،
ولا أصابكم خُصْبٌ .

وقوله « فافوق ذلتكم » طابق بتحت وفوق فيه ، وهو غريب حسن . يريد :
لا عزَّيْبَةٌ فِي الذَّلِّ أَعْلَى مِنْ مَرَاتِبِكُمْ ، فَإِنَّهَا النَّايَةُ الْقُصْوَى ؛ ولا موضع أشدُّ
تأخراً وانحطاطاً في العزَّ من موضعكم ، فإنه للنزل الأخس الأدنى . وقوله « غير
السَّدادِ » ، يريد به تنطِقُ التَّنَطُّقُ غَيْرَ السَّدَادِ . ويقال : جَيِّدٌ جَوْدًا ، في المطر ،
وتوسَّعَ فيه هَئِيلٌ :

* وَجُودٌ مِنْ صُبَابَاتِ الْكَرَى ^(١) *

ويقال جَيِّدٌ جَوَادًا ^(٢) ، إِذَا عَطِشَ .

٦١٩

وَقَالَ جَابِرٌ ^(٣) :

- ١ - أَجِدُّوا النَّعَالَ بِأَقْدَامِكُمْ أَجِدُّوا قَوَّيَهَا لَكُمْ جَرَوُكُ
 - ٢ - وَأَبْلَغُ سَلَامَانَ إِنْ جِئْتَهَا فَلَا يَكُ شَيْهًا لَهَا الْمَنْزَلُ
 - ٣ - يُكْسَى الْأَنَامُ وَيُعْرَى اسْتُهُ وَيَنْتَلُ مِنْ خَلْمِهِ الْأَسْفَلُ
- يقول : استجِدُّوا النَّعَالَ لِأَقْدَامِكُمْ ، أَوْ فِي أَقْدَامِكُمْ اسْتَجِدُّوْهَا يَا جَرَوُكُ ،
وَيَهَا لَكُمْ . وَإِنَّمَا كَرَّرَ الْأَمْرَ تَأْكِيدًا لِلْقَوْلِ عَلَيْهِمْ . وَيُقَالُ فِي الدُّعَاءِ : أَيْلُ
وَأَجْدِدُ . وَوَيْهًا : اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَفْصَالِ يُعْرَى بِهِ ، وَلَا يَجِيءُ إِلَّا مُنَوَّنًا ،

(١) البيت لبيد في اللسان (جود) . ومجزه :

* طالِبُ الْمَرْقِ صَدَقَ الْمَيْتَلُ *

(٢) وجودة أيضا بفتح الجيم ، وفيه قول في الرمة :

طالِبُه أحياناً إِذَا جَيِّدٌ جَوْدَةً رَضَا بِكَلِمِ الزَّجْجِيلِ الْمَسْلُ

(٣) كذا ورد اسمه بدون لبة .

وذلك علامة لتفكيره . وإِنَّمَا قلنا هذا لأنَّ في أسماء الأفعال ما يُنكَر ويعرف ،
ومنه ما لا يحى إلا منكورا . ومثل وَبَيْهَا إِيَّهَا ، وَيُسْتَعْمَل في الكف ، ووَاعَا
وهو للتجَبُّ ، وكل ذلك يحى منوثة منكورة . وجَرَوُل : اسم رجل . وجعل
أَوَّل الكلام خطابا لجماعتهم ، ثم خَصَّ بالنداء واحدا منهم وجعله للأمور بما
أراد . الأ ترى أَنَّهُ قال : « وَأُبْلِغُ سَلَامَانَ إِن جِئْتَهَا » . وسَلَامَانُ : قبيلة .
ومثل هذا التخصيص قول المذنب^(١) :

* أَحْيَا أَبَا كُنٍّ يَا لَيْلَى الْأَمَادِجِ^(٢) *

قال : أبا كُنٍّ ، ثم قال : يَا لَيْلَى ، وهذا التخصيص مثل التخصيص الذي
في قوله تعالى : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى » ، وما أشبهه . وقوله
« فَلَا يَكُ شَيْئًا لَّهَا الْفِزْلُ » ، لو قال لكم لساغ ، لَأَنَّهُمْ يَفْتَنُونَ في مثل هذا
الموضع بين الخطاب والإخبار ؛ على هذا قول الله تعالى : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ » ، قرئ : « لَا يَفْقِدُونَ » بالياء والقاء^(٣)
فَالْيَاء للخطاب ، والياء للإخبار . والرَّسَالَةُ التي يريد إبلاغها قوله :

* فَلَا يَكُ شَيْئًا لَّهَا الْفِزْلُ *

والعنى لا يكون سبيلكم سبيل مَنْ يَتَّبِعُ الْغَيْرَ وَيَضُرُّ نَفْسَهُ ، كالْفِزْل الذي
يُكْسَى الْخَلْقَ ويحمل استه غُرَيَان . وهذا مثل . وكَا ضَرِبَ اللَّئْلُ بِالْفِزْلِ ضَرْبَ
أَيْضًا لَهُ بِالسَّرَاجِ قَتِيل :

وَلَا تَكُونَنَّ ذُبَابَةً نُصِبَتْ نُصْبِي لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

فَأَمَّا قوله « وَيَسْلُ من خَلْمِهِ الْأَسْفَل » ، فَإِنَّهُ كَانَ يَرَوِي : « من خَلْفِهِ »

(١) هو أبو ذؤيب . ديوان المذنبين (١ : ١١٣) . وقد سبق في ٢٤٨ .

(٢) صدره : * لو كان مدحى أُنْشِرت أحدا * .

(٣) قرأ بالياء التحية ابن كثير وحزرة والكسائي . وقرأ أبو وابن مسعود :

« لَا يَبِيدُوا » ، على النهي . خضير أبي حيان (١ : ٢٨٧) .

وليس يصح له معنى . والمستقيم كما روينا : « من خَلِمَ الأسفل » . وذلك أن
الغزل ينسل أسفله بأن يختلج كُتْبُهُ ، وهذا ظاهر . وكان سَلَامَان كانت تقضم
أهوالاً غَنَمُهَا يصير لغيرها ، وغَرْمُهَا يكون لها ، فذلك جعل للغزل مثلاً له .

٤ - قَابَتْ بِجَعْرِهَا وَأَشْيَاعُهُ كَمَا تَبَحُّثُ الشَّاةُ إِذْ تَذَالُ^(١)

٥ - أَثَارَتْ عَنِ الْخَنَفِ فَأَغْنَاهَا فَمَرَّ عَلَى خَلْقِهَا لِلغَزَلِ

٦ - وَأَخَّرَ عَهْدَ لَهَا مُوْتَقٍ غَدِيرٌ وَجَزَعٌ لَهَا مُتَبَقِلُ

قوله « كَمَا تَبَحُّثُ الشَّاةُ » محمولٌ على اللعى ، لأنَّ اللعى أنْ بَحَثَ بِجَعْرِهَا
وأشْيَاعِهِ كَبَحَثَ الشَّاةُ فِي ذَا لَانِهَا ، وهو جنسٌ من عَذْوِهَا ، وذلك لِأَنَّهُ يُشَبِّهُ
الْحَدِيثَ بِالْحَدِيثِ ، وَالذَّاتُ بِالذَّاتِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَوْلُهُ إِنَّ جَعْرَهَا حَذَفَ
المُضَافَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْقَصْدَ تَشْبِيهُ الْبَحْثِ بِالْبَحْثِ . وَفِي الْمَثَلِ : « خَنَفُهَا تَحْمِلُ
ضَانٌ بِأَخْلَافِهَا » ، وَ« كَمَا تَبَحُّثُ الشَّاةُ عَنْ مُدَيَّتِهَا » وَ« لَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ
عَنِ الشَّرَّةِ » ، وَإِنَّمَا يَنْهَى بِهَذَا مَنْ يَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ فِيمَا يَأْتِيهِ ، وَيَسْتَقْبَلُ
إِهْلَاكَه بِرَجُلِهِ ، فَيَقُولُ : لَا يَكُونُ سَبِيلُهُ سَبِيلَ الشَّاةِ الَّتِي كَشَفَتْ عَنِ اللَّذِيَةِ ،
وَقَدْ اسْتَقَرَّتْ عَنِ الذَّامِجِ ، بِطَلْقِهَا ، حَتَّى ذُبِحَتْ بِهَا . وَمَعْنَى أَثَارَتْ عَنِ الْخَنَفِ ،
أَثَارَتْ عَنِ اللَّذِيَةِ ، ثُمَّ كَانَ الْخَنَفُ فِيهَا . فَفِيهِ تَوْشُّعٌ . وَهُمْ يُقِيمُونَ السَّبَبَ
مَقَامَ السَّبَبِ كَثِيرًا . وَاغْتَالَ : افْتَقَلَ مِنَ الْقَوْلِ ، وَهُوَ الْهَلَاكُ . وَلِلغَزَلِ :
السَّكِينُ ، وَقَدْ اشتهرت بِهَا إِذَا جُمِلَتْ فِي وَسْطِ السَّوْطِ فَصَارَ كَالْغِلَافِ لَهَا .
وقوله « وَأَخَّرَ عَهْدَ لَهَا مُوْتَقٍ غَدِيرٌ^(٢) » ، يَعْنِي الشَّاةَ بَعْدَ إِثَارَتِهَا السَّكِينُ .

(١) فِي النُّسخِ : « وَأَشْيَاعُهَا » ، سِوَاهُ عِنْدَ الْخَبْرِيِّ . قَالَ : « بِجَعْرِهَا » .

اسْمُ رَجُلٍ .

(٢) ابْنُ جَنِي : « أَرَادَ أَنْ يَقُولَ غَدِيرٌ مُوْتَقٌ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدَّمَ وَصَفَ النُّكْرَةَ عَلَيْهَا
فَأَمْرَهَا إِصْبَاهَا وَأَجْلَاهَا مِنْهَا ، كَقَوْلِكَ : مَرَدْتُ بِطَرِيفِ رَجُلٍ . وَلَوْ نَسَبَ لِأَنَّهُ وَصَفَ نُّكْرَةَ
قَدَّمَ عَلَيْهَا فَنَسَبَ حَالًا مِنْهَا لَجَازَ عَلَى قَوْلِكَ : فِيهَا قَاتِمًا رَجُلٌ . غَيْرَ أَنَّ سَبَبَهُ قَالَ : هَذَا كَلَامٌ
أَكْثَرُ مَا يَجِيءُ فِي الْعَمْرِ وَقَلْبًا يَجِيءُ فِي الْكَلَامِ » .

وهو إظهارها إيّاها . فيقول : كان آخرُ عهدِها للنجبِ لها روضةٌ قد أبْقَلَتْ ،
 وغديرًا مبهلاً ماءً وكان شِبْهه ورِيه منها ، قَبِطَرَتْ وأَنارت عن حَتَفِها حتى
 مَلَكَتْ . ولك أن تروى « مُونِقٌ » بالرفع ، فيكون صفةً لآخرِ عَهْدٍ ،
 و « مُونِقٍ » بالجر فيكون للعهد . وجعل الإيناق للعهد لأن المراد بالعهد المهود ،
 وهو المرعى للنجب . ويجوز أن يجعل المونِقُ من صفة الغدير وقد قُدِّم عليه ،
 وجعل هو بدلًا منه ، ويكون التقدير : وآخرُ عهدٍ لها غديرٌ مونِقٌ وجَزَعٌ مُنْبِلٌ .
 ويقال : أبَقَلَ المكانُ فهو باقِلٌ ومُنْبِلٌ . وأَقْطَلَ فهو قاعِلٌ شاذٌّ ليس بكنية .

٦٢٠

وقال إياس بن الأرت^(١) :

١ - كَانَ مَرَعَى أُمِّكُمْ إِذْ بَدَتْ عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرَبَانٌ

٢ - إِكْلِيلُهَا زَوْلٌ وَفِي شَوْلِهَا وَخَزْ أَلِيمٌ مِثْلُ وَخَزِ السَّانِ

٣ - كُلُّ عَدُوٍّ يَتَّقِي مُقْبِلًا وَأُمُّكُمْ سَوَرُهَا بِالْعِجَانِ

قوله « كَانَ مَرَعَى أُمِّكُمْ » ، يجوز أن يكون « مَرَعَى » اسمًا لها ،

وأُمُّكُمْ بدلًا منه ، ويجوز أن يكون لقبها الشاعر به . وسئل الأحنف عن شيء

من أمور النساء ، فقال : « الرَّجَالُ حَيٌّ وَالنِّسَاءُ مَرَعَى » ، فمَدَّتْ من سَعَطَاتِهِ .

ومثل قوله « عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرَبَانٌ » قول الآخر :

كَالْجُمْلَيْنِ رَكَبَا دُخْرُوجًا دَمَامَةً وَمَنْظَرًا سَمِيجًا

والعقربان : ذكر المقارب . والكوم : السَّادُ . وقوله « إِكْلِيلُهَا زَوْلٌ »

(١) سبقَت ترجمته في المحاسبة ٣٥٧ من ١٠٢٨ .

(٢) انظر الحيوان (٢ : ٢٨٦ / ٤ : ٢٥٩ — ٢٦٠) .

كفى عن قرني المقربة بالإكليل . والزؤل : الخفيف الظريف . وقوله « وفي شولها وخز » أى فيها تشوّل المقربة من ذنبها . وزاد الماء في عقربة توكيدا للتأنيث . وهذا كما قالوا : جمل وناق ، وكبس ونسجة ، ووعل وأزوية ألحقوا الماء توكيدا وتحقيقا للتأنيث ؛ ولو لم تلحق لم تحتاج إليها . وحكى : عجوزة . والوخز : الطمن الشديد للوجع . وإنما يعنى شوكتها إذا ضرب بها ، فشبه تأثيرها بتأثير السنان .

وقوله « كل عذو يتقى مثيلا » ، أراد أن يذكر السوء فيها استهزاء بها واستهانة بذكرها ، فقال : كل عذو يتقى شره إذا أقبل ، وأثكم يتقى شرها إذا أدبرت . واليجان يريد الذبزة ^(١) . وهو فى الأصل ما بين الخصىة إلى سم الذبزة . والسورة : الوتبة .

٦٢١

وقال آدم بن أبي الزعرار ^(٢) :

١- بنى خبيري نهنيها من قنذع أتت من لدنكم وانظروا ماشؤونها ^(٣)

٢- فكائن بها من ناشين قد هلئتم إذا فترت كانت بيطيئا سكونها

هذا الكلام منه توعّد واستهزاء . فيقول : يا بنى خبيري ، كفوا عن أبيات هجاء وفخر جاءتنا من عندكم ، وانظروا كيف ترسلونها وماذا شؤونها حتى اهتاجت وجاءت . والقنذع ، أصله القنحش . ويقال للذئب : القنذع .

(١) ل : « يريد به الذبزة » .

(٢) سبقت ترجمته فى الخامسة ٢٠٠ ص ٦١٣ .

(٣) التبريزي : « عن قنذع » .

وقوله « فكَانَ » بناء كأنَّ لنةً في كم . و « بنا » أى عِنْدَنَا .
 « نَاشِصٌ » أصله في المرأة ، يقال : نَشِصَتِ المرأةُ على زوجها وَنَشِصَتْ ، إذا
 تَمَنَّتْ . فاستعاره للشعر والمجور . يريد : كم من قافية إذا نَفَرَتْ كانت بطيئاً
 سكونها . وهذا توعدٌ ، والمراد : إنما نُسِكُ عن القول ما أمكن ، فإذا تكلَّمنا
 استمرَّ القول بنا فيبطؤُ سكوننا ؛ لأنَّ الاحتمال غايَةٌ والشكون نهاية ، إذا
 بلغتْما فقد أَقَمْنَا المُذَرَّ ، وما وراء ذلك نبلغُ فيه الأقصى ، ولا تَرْضَى بالمثل
 الأدنى . والكناية عن القصائد والقوافي بالهدى والترويس مشهورة . وقد قيل :
 المراد بالنشيص الحرب ، وقيل : أراد به امرأة سَيِّئَةُ الخُلُقِ والعِشرة ، لُجِبَها
 بنفسها . كأنه لما جاءهم خاطباً زهدهم في نساءهم ترفعاً عنهم . والصواب فيما
 بدأت به .

- ٣- وبالحجل للقصور حول بيوتنا نواشي كالنزالان نجل عيونها^(١)
 ٤- وإنما لتحفوقون حين غضبكم بأيمه عبد الله أن سنيهنا^(٢)
 ٥- فليست لمن أدعى له إن تفقات عليها دمايل استيه وحبونها
 الحجل : جمع حَجَلَةٍ . والقصور : المرسل عليه الشثور . والنواشي : النساء .
 الشواب . وقصد الشاعر إلى أن يحسرهم ويقصر بشأنهم ويهينهم حين عدوا
 طولهم ، فخطبوا غير كقوم ، قال : إن عندنا نساء كالنزالان في جديدها ،
 وبقر الوحش في عيها^(٣) ، مخدرات في الحجال ، مُنَمَّاتُ حوائى بيوتنا ، ترباً
 بأقدارها عن مواصليكم بهن ، فتحسروا وارجموا عنا مقدوعين مذللين ؛ فإننا

(١) التبريزي : « خلف ظهورنا » .

(٢) التبريزي : « وروي : حين غضبهم بلحية عبد الله » .

(٣) الجيد ، بالتصريك : طول النقي وحسنه . والعين ، بالتصريك أيضاً : سمة

العين وحسنها .

أَحْقَاءَ حِينَ غَضِبْتُمْ بِسَبِّ أَيْمَةِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَتَرْفُئَنَا مِنْ مَنَاجِئِهِ ، بَأَنَّا لَا نَسْتَعْظِمُهَا
بِلِ نَهْوَتِهَا^(١) ، وَنُقِلُّ فِكْرَنَا فِيهَا . وَقَوْلُهُ « أَنْ سُنِيْهَا » أَنْ غَفَقَتْ مِنْ
الثَّقِيلَةِ . وَالْمَعْنَى : إِنَّا لَمُحْتَوِقُونَ بِأَنَّا سُنِيْهَا لَا تَحَالَةَ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ^(٢) :

فَا أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي حِرَازَةُ بَأْنِ أَثْبَتَ مَزْرِيًّا عَلَيْكَ وَزَارِيَا

وَقَوْلُهُ « فَلَسْتُ لِمَنْ أَدْعَى لَهُ » يَمْرَى يَجْرَى الْعَيْنِ ، أَيْ الْوَالِدِ الْقَدَى أَنْسَبُ
إِلَيْهِ ، أَنْ أَنْكَحَ عَبْدُ اللَّهِ فِينَا ، وَتَشَقَّقَتْ خُرَاجَاتُ اسْتِثْنَاءِهَا . وَهَذَا الْكَلَامُ
لِإِزَالَةِ بِهِ ، وَاحْتِقَارِهِ ، بِذِكْرِ السَّوَاءِ مِنْهُ . وَذِكْرُ التَّامِيلِ تَشْبِيْهُ لِلْحَالِ ، وَأَنْ
الْمُزْبَةِ^(٣) بَلَقَتْ بِهِ هَذَا الْمُبْلَغُ لَزُهدِ النَّاسِ فِي مُنَاجَتِهِمْ . وَقَالَ « دَمَامِيلُ »
لَأَنَّهُ أَشْبَحَ كِسْرَةَ اللَّيْمِ فَأَحْدَثَ عَنْهَا يَاءً . وَمِثْلُهُ :

* نَقَى الدَّرَاهِمَ تَنْقَادِ الصَّيَارِفِ^(٤) *

وَالْأَصْلُ الدَّرَاهِمُ وَالصَّيَارِفُ .

٦٢٢

وَقَالَ حُرَيْثُ بْنُ عَثَابٍ^(٥) :

١- بَنِي تُعَلِّ أَهْلَ الصَّنَا مَا حَدِيثُكُمْ لَكُمْ مَنطِقٌ غَاوٍ وَالنَّاسِ مَنطِقُ

(١) ل : « بِلِ نَهْوَتِهَا » .

(٢) هُوَ جُزْءُ بَنِ كَلْبِ الْقَدَسِيِّ . وَالْيَتِ فِي الْحَاسِيَةِ ٦٢ ص ٢٤٢ .

(٣) الْعَرَبِيَّةُ بِالضَّمِّ : الْعَرَبِيَّةُ .

(٤) لَفَرْزُوقُ ، فِي خِرَازَةِ الْأَدَبِ (٢ : ٢٥٥) وَكِتَابُ سَيَبَوِيهِ (١ : ٢٠) . وَالْيَتِ

جَاءَ شَاهِدًا عَلَى الْفَصْلِ بَيْنَ الْمُضَافَيْنِ بِالْمَعْمُولِ ، فَإِنْ أَسْلَمَ « نَقَى تَنْقَادِ الصَّيَارِفِ الدَّرَاهِمِ » ،
وَرَوَى أَيْضًا بِجَرِّ الدَّرَاهِمِ عَلَى الْإِضَافَةِ وَرَفَعَ تَنْقَادَ . فَيَكُونُ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَعْمُولِ .

وَرَوَى أَيْضًا بِرَفْعِ الدَّرَاهِمِ وَنَسَبِ تَنْقَادَ عَلَى الْقَلْبِ .

(٥) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَاسِيَةِ ٦٩ ص ٢٥٥ . وَفِي اللَّيْثِيِّينَ : « عَثَابٌ » ، صَوَابُهُ

فِي التَّبْرِيزِيِّ .

٢- «كَأَنَّهُمْ مِعْزَى قَوَاصِحُ جِرَّةٍ» من المِئى أو طَيْرٌ بِخَفَانٍ تَنْفِقُ^(١)

٣- دِيَافِيَّةٌ غُلْفٌ كَانَ خَطِيئَتُهُمْ سَرَاةُ الضُّحَى فِي سَلَحِهِ يَتَمَطَّقُ^(٢)

قوله «بِى تُقَلِّ أَهْلَ الْخَلَا» يجوز أن يكون أهل الخَلَا انصَابُهُ عَلَى النَّهْمِ والاختصاص، كأنه قال: يا بَنِي تُقَلِّ، أَذْكَرُ أَهْلَ الْخَلَا. وقوله «ما حديثكم» يريد: ما لَكُمْ. ويُسَمَّرُهُ قوله بعده «لَكُمْ مَنْطِقٌ غَاوٍ وَلِلنَّاسِ مَنْطِقٌ»، يَنْسُبُهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ نَبَطٌ، وَأَنَّ لِنَتِهِمْ ذَاتُ غَوَايَةِ وَزَيْغٍ. ويعنى بقوله «ولِلنَّاسِ مَنْطِقٌ» العرب. ويجوز أن يكون معنى ما حديثكم: ما شَأْنُكُمْ لِلسَّهْدِثِ وَمَا أَمْرُكُمْ؟ يَنْسُبُهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ لَا قَدِيمَ لَهُمْ وَلَا حَدِيثَ.

وقوله «كَأَنَّهُمْ مِعْزَى قَوَاصِحُ جِرَّةٍ»، يقول: إِنَّهُمْ لَيْسَ بِهِمْ إِذَا تَكَلَّمُوا كَأَنَّهُمْ مِعْزَى تَجَمُّعٍ، أَوْ طَيْرٌ بِخَفَانٍ^(٣) تَنْفِقُ. يعنى بالطَّيْرُ الْغُرَابُ، لِيَكُونَ أَشَامٌ، وَالْقُلُوبُ مِنْ ذِكْرِهَا أَنْفَرُ. وَيَقَالُ: قَصَعَ الْبَعِيرُ يَجْرَتَهُ، إِذَا دَفَعَهَا مِنْ جَوْفِهِ.

وقوله «دِيَافِيَّةٌ»، دِيَافٌ: أَرْضٌ بِالشَّامِ. وَقَصْدُهُ إِلَى أَنَّ يُجْرِهِمْ مِنْ أَنْ يَكُونُوا عَرَبًا، وَجَمَلَهُمْ غُلْفًا إِخْلَاقًا لَهُمُ بِالْحَجَمِ. وَالْقُلَّةُ وَالْفُرْلَةُ وَالْقُلَّةُ تَتَقَارَبُ. وَرَجُلٌ أَغْرَلُ وَأَغْلَفُ وَأَقْلَفُ. وَقوله «كَانَ خَطِيئَتُهُمْ» أَى الْقَصِيحِ مِنْهُمْ، وَلِلنَّدَى يَوْمَ فِخَارِهِمِ، وَالنَّبَايَةِ عَنْهُمْ فِي نِفَارِهِمْ، كَأَنَّهُ يَتَمَطَّقُ فِي سَلَحِهِ. وَالنَّطَقُ: تَذَوُّقُ الشَّيْءِ بِغَمٍّ إِحْدَى الشَّفَتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى مَعَ صَوْتٍ بَيْنَهُمَا. وَجَمَلَهُمْ كَذَلِكَ فِي سَرَاةِ الضُّحَى، أَى إِنَّهُمْ يَتَبَايَطُونَ فِي كُلِّ حَالٍ، حَتَّى لَا يَقُومُوا مِنْ فُرْسَتِهِمْ إِلَّا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

(١) التبريزى: «كَأَنَّهُمْ». و «مِعْزَى» يجوز أن ينون وألا ينون، بجمل الله للإخلاق أو لتأنيث.

(٢) التبريزى: «غُلْفٌ»، بدل «غُلْفٌ».

(٣) خفان: أجة قرية من مسجد سعد بن أبي وهاس بالكوفة.

٦٢٣

وقال شعيب^(١) ، من كِنَانَةٍ :١- أَرْجُو حَيٍّ أَنْ تَجِيءَ صِفَارَهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا عَلَيْكَ كِبَارُهَا^(٢)

٢- إِذَا النَّجْمُ وَاقَى مَغْرِبَ الشَّمْسِ أَجْجَرَتْ مَقَارِي حَيٍّ وَاشْتَكَى الْقَدَرُ جَارَهَا

أجود الرويتين « أَرْجُو حَيًّا » ، كَأَنَّهُ يَخَاطِبُ إِنْسَانًا وَيُلَوِّمُهُ فِي تَطْلِيْقِهِ

الزَّجَاءِ بِرِشَادِ صِفَارِ حَيٍّ ، وَقَدْ أَعْيَا كِبَارُهَا . وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَا يُفْلِحُونَ أَبَدًا ،

وَإِذَا كَانَ رُؤْسُهُمْ وَأَهْلُ الْخَلِّ وَالْقَدَرُ مِنْهُمْ مُعْجِزِينَ فِي دُعَائِكَ إِنَّمَا إِلَى الْخَيْرِ

وَالصَّلَاحِ فَرُؤْسُهُمْ أَوَّلَى بِذَلِكَ . وَإِذَا رُوِيَ « أَرْجُو حَيٍّ » كَأَنَّهُ جَعَلَ الْفِعْلَ

لِلْقَبِيلَةِ بِأَسْرَاهَا ، أَيْ إِنَّمَا وَحَالَهُمْ ذَلِكَ فِي ضَلَالٍ إِذَا رَجَوْا مِنْ صِفَارِهِمْ فَلَا كَمَا

وَحَالَهُمْ مَعَ كِبَارِهِمْ ذَلِكَ .

وقوله « إِذَا النَّجْمُ وَاقَى » أَشَارَ بِالنَّجْمِ إِلَى التَّرْيَا . وَهُمْ يَقُولُونَ :

طَلَعَ النَّجْمُ غَدِيَّةً وَابْتَنَى الرَّايِي شُكِّيَّةً

فَهَذَا يَكُونُ فِي الصَّيْفِ وَعِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَرِّ .

و : طَلَعَ النَّجْمُ عِشَاءً وَابْتَنَى الرَّايِي كِسَاءً

(١) التبريزي : « وقال شعيب بن عبد الله ، وهو من كِنَانَةٍ بَلْقَيْن ، يهجو رجلا من

بَلْقَيْنِ يَمَالُ لَهُ عِفَالٌ بْنُ هَاشِمٍ . وَعِفَالٌ يَقُولُ نَبِيَّهُمْ :

فَا كِنَانَةٌ فِي خَيْرٍ بِخَاطَرَةٍ وَلَا كِنَانَةٌ فِي شَرٍّ بِأَشْرَارِ

وشعيب : تَعْبِيرٌ شَمْتُ ، وَإِنْ شَمْتُ كَانَ تَعْبِيرٌ أَشَمْتُ عَلَى الْفَرَحِ » .

(٢) التبريزي : « وَرَوَى أَبُو هِلَالٍ : أَرْجُو حَيٍّ ، قَالَ : حَيٌّ : قَبِيلَةٌ .

وَرَوَى غَيْرُ أَبِي تَمَامٍ هَذِهِ الْآيَاتِ لِحُرَيْثِ بْنِ عَنَابٍ ، أَحَدِ بَنِي نُبَهَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْقُوْثِ

مِنْ طَلِيٍّ . وَأَخَذَ الْفَرَزْدَقُ مِنْهُ فَقَالَ :

أَرْجُو رَيْحَ أَنْ تَجِيءَ صِفَارَهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رَيْسَا كِبَارَهَا

وَأَخَذَهُ أَيْضًا الْبَيْتَ فَقَالَ :

أَرْجُو كَلْبَ أَنْ يَمِيءَ حَدِيثَهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كَلْبِيًّا قَدِيمَهَا

فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

إِذَا مَا قُلْتَ لَاقِيَةً شَرُودًا تَحْمِلُهَا ابْنُ حِرَاءِ الْحِجَانِ » .

وهذا يقال في شِدَّة البرد . فيقول : إذا طَلَعَ النِّجَمُ عند غُرُوب الشَّمْسِ ، — يشير إلى تَجَرُّد اللَّحْلِ ، وتكشُّف الجَلْدِ — أُخِرَّتْ مَقَارِي هذه القبيلة وسُتِرَتْ ، تفادياً من الضَّيَافَةِ ، وهرباً من الصَّيْفَانِ . والمَقَارِي : جمع مِقْرَاةٍ ، وهي ما يُطْعَمُ فيه الضَّيْفُ من الجَفَانِ . والمراد أنه لا مِقْرَاةَ تَمَّ ، لأنَّهم في الشتاء يُضَيِّفُونَ ويستضيفُونَ ، فإذا غَطَّتْ جَفَانُهُمْ في ذلك الوقتِ فلا تَنَّهُ لا قِرَى عندهم ولا مَقَارِي . وقوله « واشتكى التَّدَرَّجَارُها » ينسبهم إلى أن إساءتهم مقصورة على الجار ، وطمعهم فيه وفيمن جَرَى بحراهُ ؛ فَمِنْدُ الحاجة لا يَشْقَى بهم إِلَّا جَارُهُمْ . وجواب إذا النِّجَمِ « أُجْجِرَتْ » . و « مَنَرِبَ الشَّمْسِ » يجوز أن يكون مفعولاً ، وأن يكون اسماً لموضع الغروب ، ويكون وَاقِي من المواقاة . ويجوز أن يكون ظرفاً^(١) ، ويكون معنى وَاقِي طَلَعَ .

٦٢٤

وقال آخر^(٢) :

فما كِنَانُهُ في خَيْرٍ بِخَائِرَةٍ وما كِنَانُهُ في شَرٍّ بِأَشْرَارٍ
يقال : خَائِرَتُهُ فخيرته خَيْرًا . وأنا خَائِرُهُ ، إذا كنتَ خَيْرًا منه . واستَخَرْتُ اللَّهَ فَخَارِلِي . وهذه خَيْرَتِي^(٣) ، أى التى أختارهُ . وللعنى لا يَرْجِعُونَ إلى حالٍ يُعْتَدُّ بهم لها ، ويُعْتَمَدُ بمكانهم عليها ، فلا عِنْدَ اتِّخَاذِ وتعدادِ أهلِهِ يَنُوزُونَ بِسَهْمَةٍ ، ولا في الشَّرِّ وتعدادِ أهلِهِ يَحْصُلُونَ على خُطَّةٍ .

(١) ويجوز أن يكون ظرفاً ، ساقط من ل .

(٢) هو عقاب بن هاشم ، كما سبق في حواشي الحاشية السابقة . وهذا البيت لم يبعده التبريزي في عداد الحاشيات ، بل ذكره استطراداً كما سبق في التل عنده .

(٣) قال بكسر ففتح ، ويكسر فكون ، والأولى أفصح .

٦٢٥

وقال حريث بن عئاب^(١) :

- ١ - قولاً لصخرة إذ جدَّ الهجاء بها عوجي علينا يحْيِيكَ ابنُ عئاب
 ٢ - هلاً تهَيَّمْتُ عَوْجِيَّاً من مفاذَعِي عَبْدَ لَقْدُ دَعِيَّاً غيرَ صُيَّابٍ
 ٣ - مُسْتَحْقِّينَ سُلَيْمَى أُمِّ مُنْشِيرٍ وَأَبْنَ الْكَفِّ رِدْقاً وَأَبْنَ خَبَابٍ
 قوله « يحْيِيكَ » ، يجوز أن يكون في موضع الحال ، أى عوجي عبيّاً لك
 هذا ، ومثله : « فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً . بَرِّئْتُ وَبَرِّثُ » أى وارثاً . ويجوز
 أن يكون في موضع الجزم جواباً لقوله عوجي ، وأجرى الممثل تجزى الصحيح .
 ومثله :

ألم يأتيك والأنياء تنيى بما لاقت لبون بن زياد^(٢)
 وهذا الكلام تهكم وسخرية . وإنما يخاطب صاحبه ليه يبعثها^(٣) على أن
 يبلّغا بنى صخرة ويمسأها وقت تهيجها بالهجاء وكون تصرّفهم فيه جدّاً منهم
 ومهما لم على أن يمتطفوا عليهم ، ليسلم عليهم ابنُ عئاب ، يعنى نفسه . وذكر
 التهمة ها هنا هزلاً منه . وهذا كما قال الآخر^(٤) :

* تحيُّه بينهم ضربٌ وجميع^(٥) *

إلا أن هذا في الأفعال ، وابنُ عئاب جعلها في الأقوال .

(١) سبق ترجمته في الخامسة ٦٩ ص ٢٥٥ .

(٢) ليس بن زهير بن جذعة بن رواحة البسّى ، في الحزاة (٥٣٦ : ٣) وكتاب سيبويه

(١ : ١٥ - ٢ : ٥٩) .

(٣) ل : « فيشما » .

(٤) هو عمرو بن معديكرب . الحزاة (٤ : ٥٣) .

(٥) صدوره : * وخيل قد دلفت لها غيل *

وقوله « هَلَّا هَتَيْتُمْ » تَفْرِيعٌ وَلَوْمْ وَتَذَكِيرٌ بِسُوءِ تَأْتِيهِمْ ، وَقُبْحُ فِعْلِهِمْ .
 فيقول : هَلَّا كَفَفْتُمْ عَنْ مَفَاحِشِي عُرْيًا — وهو رجل منهم ... وجملة عبد
 اللَقْدُ ، أَيْ لَيْثِيًّا وَدَعِيًّا فِيهِمْ غَيْرَ خَالِصِ النَّسَبِ . وَالْقَاذَعَةُ : الْمَفَاحِشَةُ . وَيَقَالُ :
 أَقْدَعَ الرَّجُلُ ، إِذَا أُنِيَ بَفَحَشٍ . وَانْتَصَابَ « عَبْدُ الْمَقْدِّ » بِمَجُوزٍ أَنْ يَكُونَ عَلَى
 الْبَدَلِ ، وَمَجُوزٌ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْقَتْلِ ، وَمَجُوزٌ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْحَالِ . وَالْمَقْدُّ :
 مَنِيتُ الشَّعْرِ مِنْ مَقْدَمِ الرَّأْسِ وَمَوْخِرِهِ . وَيَقَالُ : فَلَانٌ عَبْدُ الْقَفَا ، وَعَبْدُ الْمَقْدِّ ،
 وَيُرَادُ بِالْمَقْدِّ الْقَفَا . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ فِي ضِدِّهِ : هُوَ حَرُّ الْوَجْهِ ، وَكَرِيمُ الْحَيَاةِ .
 وَالصُّيَّابُ : الْخَالِصُ ، كَأَنَّهُ يَهْجُنُهُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الصُّيَّابُ وَالصُّيَّابَةُ : أَصْلُ
 كُلِّ قَوْمٍ . وَقَالَ أَيْضًا : الصُّيَّابُ : الْخِيَارُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ^(١) . وَأَنْشَدَ :

* يَحْتَلُّ مِنْ كِنْدَةَ فِي الصُّيَّابِ *

وقوله « مُسْتَحْبِبِينَ سُلَيْمِي » ، أَفْحَشَ فِيهِ ، أَيْ جَتَمَ لِمُجَاتِي وَقَدْ
 اسْتَحْبَبْتُمْ هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَابْنَ الْمَكْكَفِ مَعَهَا رِدْفًا وَابْنَ خَتَّابٍ . كَأَنَّهُ يَرَى سُلَيْمِي
 بِهِمَا أَوْ يَتَذَمُّ جَمِيعًا مِنْ مَخَازِيهِ . فَهَذَا هُزْلٌ أَيْضًا . أَيْ جَازِي يَتَمَوَّنِي بِمَنْ هُوَ
 شَيْنُكُمْ ، وَجَمَلْتُمْ عِيُونََكُمْ بِمِرْأَى وَمَسْمَعٍ إِذَا كَانَ غَيْرُكُمْ يَخْفِي أَسْرَهُ وَيَسْتُرُهُ .
 يَرِيدُ : اسْتَهْدَقْتُمْ لِي بِهَؤُلَاءِ . وَسُلَيْمِي كَانَتْ لَهَا قِصَّةٌ . وَالْإِسْتِحْقَابُ : شِدَّةُ الْحَقِيقَةِ
 مِنْ خَلْفٍ ، وَكَذَلِكَ الْإِسْتِحْقَابُ . وَكَتَبَ عَنِ الْمَجْزُ بِالْحَقِيقَةِ لَذَلِكَ .

٤ — يَاسِرٌ قَوْمٌ بَنِي حِصْنٍ مُهَاجِرَةٍ وَمَنْ تَمَرَّبَ مِنْهُمْ شَرُّ أَعْرَابٍ

٥ — لَا يَزِيحِي الْجَارُ خَيْرًا فَيُؤَيِّسُهُمْ وَلَا تَحَالَةَ مِنْ شَتْمٍ وَأَقَابٍ

يَنْسُبُهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ شَرُّ قَوْمٍ هَاجَرُوا إِلَى الْأَمْصَارِ أَوْ بَقُوا فِي الْبُدُو . وَ « بَنِي

(١) ابن جني : « وَذَلِكَ أَنَّهُمَا فَعَالٌ مِنْ صَابٍ يَصُوبُ ، أَيْ اطمأن واستقر . يقولون :
 فَلَانٌ مِنْ صِيَابَةِ قَوْمِهِ ، أَيْ ثَابِتٌ رَأْسِي الْقَدَمِ فِيهِمْ . وَقِيَّاسُهُ صَوَابَةٌ ، غَيْرُ أَنَّهُمْ آثَرُوا الْيَاةَ
 اسْتِصْنَاءً لَا وَجُوبًا » .

حصن « يجوز أن يكون انتصب على النداء ، كأنه قال : يا شر قوم يا بني
حصن . وانتصب « مهاجرة » على الحال ، نادام في هذه الحالة . أى أتم شر
قوم في مهاجرتكم . ومثله :

* يا بوس للجهل ضاراً لأقوام^(١) *

ويؤنسُ بوقوع الحال بعد النداء قولهم : يا زيد دعاء حقاً . فإذا ساء أن
يقع للصدر بعده تأكيداً ، فكذلك الحال . قوله « ومن تمرّب » فيه معنى
التكلف ، لأنّ تفرّب يحىء لذلك كثيراً . وصرف الكلام عن السّن الأول
وجهه استئناف خبر . ويجوز أن يكون انتصب بنى حصن على الذم
والاختصاص .

وقوله « لا يرتجى الجار » يريد أن جارهم مبتذل فيهم ، يأس من خيرهم
مادام معهم ، وملتقى من جهنم بالاستخفاف والتقليب^(٢) ، والشتم القبيح .
وأجرى قوله « لا محالة » بحرى قولهم لا بدّ ، كأنه أراد : الجار لا يرجو خيراً
فيهم ، ولا بدّ له من شتم يُقصّد به ، ولقب يعرف بذكره . وقال الخليل :
« يقولون في موضع لا بدّ : لا محالة » . ويقال : حال حوّلًا وحيلةً ، أى احتمال .

٦٢٦

وقال آخر :

- ١ - بئى أسدٍ إلا تنحّوا تظاًسُم مناسيمُ حتى تُخطئوا وحوافِرُ
- ٢ - وميماد قومٍ إن أرادوا لقاءنا ميماء تَحَامَسَها تَمِيمٌ وعامِرُ

(١) النابتة القدياني في ديوانه ٧١ والسان (خلا) والفرعاء ٤٢ ، ١٢٥ والخزاة
(١ : ٢٨٥) . وصدره :

* قالت بنو عامر خالوا بنى أسد *

(٢) أى الرى بالألقاب . وهذا ما فى ل . وفى الأصل : « والتقليب » ، تحريف .

٣ - وما نَامَ مَيَّاحُ الْبِطَاحِ وَمَنْعَجٍ وَلَا الرَّسَّ إِلَّا وَهُوَ عَجَلَانُ سَاهِرٌ
يقول : يا بني أَسَدَ ، خَلَوْا الطَّرِيقَ وَتَبَاعَدُوا عَنْهَا ، فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ
وَمِثْلَكُمْ الْإِبِلُ وَالْخِلْ لِحُطَمَتِكُمْ . يَنْسُبُهُمْ إِلَى الْقِلَّةِ وَالضَّعْفِ ، وَيَتَهَكَّمُ مَع
ذَلِكَ بِهِمْ .

وقوله : « وَمِمَّادُ قَوْمٍ » بمعنى بنى أَسَدٌ وَأَنْصَارَهُمْ ، وَالْيِمَادُ وَالْوَعْدُ وَاحِدٌ ،
وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ الْمَعْنَى : وَمَوْضِعُ الْوَعْدِ لِمَنْ أَرَادَ الْإِلْتِقَاءَ مَعَهَا مِيَاهُ تَهَامَاهَا
بِنَوْمِهِمْ وَبِنَوْمَائِهِمْ — بِمَعْنَى أَحْيَائِهِمْ — فَلَا تَجْشُرُ عَلَى وُرُودِهَا وَإِنْ كَثُرُوا .
حُذِفَ لِلضَّافِ ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ .

وقوله « وَمَا نَامَ مَيَّاحُ الْبِطَاحِ وَمَنْعَجٍ » ، فَالْمَيَّاحُ : الَّذِي يَتَمَيَّحُ مَاءَ الرِّكْبَةِ .
وَأَرَادَ بِالْبِطَاحِ وَمَنْعَجٍ وَالرَّسَّ مَوَارِدَ الْمَاءِ . وَالرَّسَّ : الْبَيْتُ الْقَدِيمَةُ . جَعَلَ الْمُسْتَقَى
مِنْ هَذِهِ الْأَكَارِ يَتَمَيَّحُ . وَأَرَادَ بِمَيَّاحٍ الْكَثْرَةَ ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ
لِلذِّكْرِ مَاءَةً . وَالْمَيَّاحُ : الدُّخُولُ إِلَى أَسْفَلِ الْبَيْتِ لِيُغْرِفَ الْمَاءَ فِي الدَّلَاءِ ، إِذَا
قُلَّ الْمَاءُ . وَالْمَيَّاحُ : الْاسْتِغْنَاءُ ، يَرِيدُ : سَتَبَحُوا أَوَّلًا ثُمَّ مَاحُوا ، لِكثْرَةِ الْوَارِدَةِ .
وَأَمَّا وَصَفَ سُكَّانَ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ — وَهُمْ جَيْشُهُمْ — بِوُفُورِ الْعَدَدِ ، وَأَنَّ
سُقَاتِهِمْ بِهَذِهِ الصُّمَّةِ مِنَ الْعَجَلَةِ وَالسَّهَرِ . وَقَوْلُهُ : وَمَا نَامَ إِلَّا وَهُوَ عَجَلَانُ سَاهِرٌ ،
يَرِيدُ : نَوْمُهُمْ تَرَكَ النَّوْمَ ، وَالْإِسْتِحْجَالَ فِي السُّقَى . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(١) .

* فَإِنَّ الصَّنْدَى رِحْلَةً فَرُكُوبٌ ^(٢) *

وكقول أبي تمام :

* تَمْلِيْقُهَا الْإِسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ ^(٣) *

(١) لُغَةُ الْعِلِّ فِي الْفَضْلِ ١١٩ وَاللَّسَانُ (نَدَى) .

(٢) صَدْرُهُ : * تَرَأَى عَلَى حَمْلِ الْمِيَانِ فَإِنَّ تَفْ

(٣) صَدْرُهُ فِي دِيَوَانِهِ ٢٨١ :

* بِسَوَائِهِمْ لِحَقِّ الْأَيْمَلِ هَزَبُ *

٤- تَضَاءُكُمْ مِنَّا كَمَا ضَمَّ شَخْصَهُ أَمَامَ الْبُيُوتِ الْخَارِيَةِ الْمُتَقَامِرُ
 ٥- تَرَى الْجَوْنَ ذَا الشَّرَاخِ وَالْوَرْدُ يَبْتَنَى لِيَالِي عَشْرًا وَسَطْنَا وَهُوَ عَائِدٌ^(١)
 قوله « تضاءلتم » أى تصاغرتم منا وانزويتم ، فقللكم وذهاب منبتكم ،
 كما يفعله المنزوط أمام البيوت إذا استولى عليه الخجل لما يريد من قضاء
 الحاجة ، فهو يتقاصر ويخفى شخصه لئلا يرى . وهذا التشبيه في المنخزل وقد
 مسه الحياء والخجل غاية .

وقوله « ترى الجون ذَا الشَّرَاخِ » يريد به ذَا النُّرَّةَ السَّائِلَةَ عَلَى الْأَنْفِ .
 وَالشَّرَاخُ مِنَ الْجَبَلِ : الْمُسْتَدِرُّ الطَّوِيلُ ، عَلَى التَّشْبِيهِ . وَالْعَائِدُ : الْخَتْلَفُ ،
 وَالسَّهْمُ الْعَائِدُ مِنْ هَذَا . يَقُولُ : إِنَّا لَكَثَرْنَا وَأَسَاعَ مَنَاحِنَا وَأَقْطَرْنَا ،
 لَوْ أَقْلَتْنَا فَيُنَاقِرُ أَدَمُ ذَوْغَرَّةٍ سَائِلَةً — وَجَعَلَهُ كَذَلِكَ لِيَكُونَ أَشْهَرُ أُمُرًا
 وَأَقْلَ خَفَاءَ — وَفَرَسٌ وَرَدَّ أَفْرَأُ أَيْضًا ، ثُمَّ طَلَبَ عَشْرَ لِيَالٍ فَيَا بَيْنَا لَمَّا ظَنَرَبَهُ .
 ٦- وَلَمَّا رَأَيْنَاكُمْ لَثَلَمًا أَدَقَّةً وَلَيْسَ لَكُمْ مَوْلَى مِنَ النَّاسِ نَاصِرُ
 ٧- صَمَمْنَاكُمْ مِنْ غَيْرِ فَقَرَّ إِلَيْكُمْ كَمَا صَمَّتِ السَّاقُ الْكَسِيرَ الْجَبَائِرُ
 وصف حالهم القديمة معهم ، وَكَيْفِيَّةَ اتِّصَالِهِمْ بِهِمْ وَانْطِقَافِهِمْ عَلَيْهِمْ حَتَّى
 أَبْطَرَمَ ذَلِكَ ، فَاسْتَقْصَوْا عَلَيْهِمْ ، وَوَسَّوَتْ نَفْسُهُمْ إِلَيْهِمْ بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ ،
 وَالْإِكْتِفَاءِ مِنْ دُونِهِمْ . فَيَقُولُ : لَمَّا رَأَيْنَاكُمْ أَدْنِيَاءَ فِي أَنْفُسِكُمْ ، أَدَقَّاءَ فِي أَحْوَالِكُمْ
 لَا نَاصِرَ لَكُمْ ، وَلَا مُدَافِعَ دُونَكُمْ ، تَطْلُقْنَا عَلَيْكُمْ لَنَرْفَعَ خَيْسِيَّتَكُمْ ، رَحْمَةً لَكُمْ ،
 وَضَمَمْنَاكُمْ إِلَى أَنْفُسِنَا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْكُمْ وَلَا تَكْثُرُ بِكُمْ ، لَنَجْزِيَ كَسْرَكُمْ ، وَنُوقِرَ
 نَفْسَكُمْ كَمَا تَضُمُّ الْعَصَائِبُ الَّتِي يُصْصَبُ بِهَا الْكَسْرُ ، وَالْجَبَائِرُ الَّتِي يُسَوَّى بِهَا
 الْعَظْمُ الْكَسِيرُ الْجَبُورُ . وَهَذَا مِنَ التَّشْبِيهِ الصَّائِبِ ، وَالْكَلَامُ لِلْمُخَيَّرِ . وَالْأَدَقَّةُ :
 جَمْعُ الدَّقِيقِ ، وَهُوَ الرَّجُلُ الْقَلِيلُ الْخَيْرِ . وَالْفِعْلُ دَقَّ دَقَّةً . وَقَالَ : الْكَسِيرُ ،

وَالسَّاقُ مُؤَنَّةٌ لِأَنَّهُ قَبِيلٌ فِي مَعْنَى مَفْعُولَةٌ . وَعِنْدَ أَصْحَابِنَا اللَّبَصِيُّ هَذَا لَا يَنْقَاسُ ،
بَلْ يُتَّبَعُ فِيهِ الْحَكِيُّ عَنْهُمْ .

٦٢٧

وَقَالَ أَبُو صَغَرَةَ ^(١) :

- ١ - أَنهَجُونَا وَكُنَّا أَهْلَ صِدْقِي وَتَنَسَّى مَا حَبَّلَكَ بَنُو بَرَاءِ
 - ٢ - ثُمَّ نَتَجَوَّكَ تَحْتَ اللَّيْلِ سَقْبًا خَبِثَ الرِّيحُ مِنْ خَمْرِ وَمَاءِ
 - ٣ - وَهُمْ جَهَلُوا عَلَيْكَ بِغَيْرِ جُرْمٍ وَبَلَّوْا مَنَكِبَيْكَ مِنَ الدَّمَاءِ
- يَخَاطَبُ رَجُلًا مِنْ عَشِيرَتِهِ ، وَيَقْرَأُهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ ثَلْبَةٍ وَهَجْوَةٍ ،
فَيَقُولُ : أَنَدَمْنَا مَعَ إِحْسَانِنَا إِلَيْكَ ، وَكُونْنَا أَهْلَ صِدْقٍ لَكَ ، وَرَهْطَ صَفَاهِ
وَوِدَادِ مَعِكَ ، وَتَنَسَّى مَا كَانَ مِنْكَ حِينَ تَعَرَّضْتَ لِبَنِي بَرَاءِ بِمَثَلِ تَعَرُّضِكَ
لَنَا ، وَمَا قَالُوا لَكَ بِهِ مِنْ عَطِيَّةٍ وَحِبَاهِ ، وَحُسْنِ مَكَافَاةٍ وَجَزَاءٍ عَلَى فِعْلِكَ ، وَقَدْ
كَانَ فِي الْحُكْمِ أَنْ يُؤَدَّبَكَ ذَلِكَ وَيَرُدَّكَ ، وَيُنَبِّهَكَ عَلَى رَشَادِكَ وَصَلَاحِكَ ،
وَيَمْنَعَكَ مِنْ مُعَاوَدَةِ شَيْئِهِ وَيَقْمَعَكَ . ثُمَّ أَخَذَ يَصِفُ الْحَبَاءَ الْوَاصِلَ إِلَيْهِ مِنْ
جَهَنَّمَ ، وَالْجَزَاءَ لِلْقَدَلِ ، قَالَ : هُمْ نَتَجَوَّكَ تَحْتَ اللَّيْلِ سَقْبًا ، أَيْ وَلَدُوكَ لَيْلًا
سَقْبًا خَبِثًا . وَهُوَ فِي الْأَصْلِ لِلذَّكْرِ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ . وَيَقَالُ : اسْتَقْبَتِ النَّاقَةُ ،
وَهِيَ مُسْتَقْبَةٌ . وَالْمَعْنَى : ضَرْبُكَ حَتَّى سَلَحْتَ شَيْئًا مَفْكَرًا . وَالذَّاكِرُ أَرْدَلُ
الْتَّاجِينَ ، فَلِذَلِكَ خَصَّهُ . وَقَالَ « تَحْتَ اللَّيْلِ » لِأَنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ .
- وَقَوْلُهُ « وَهُمْ جَهَلُوا عَلَيْكَ » [بِغَيْرِ جُرْمٍ ^(٢)] ، يَعْنِي أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ بِكَ ،
وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَانُوا أَسْلَفُوكَ ، بِلَا جُنَايَةٍ كَانَتْ مِنْكَ عِنْدَهُمْ ، وَلَا جَرِيرَةٍ سَبَقَتْ
عِنْدَكَ إِلَيْهِمْ ، أَنْ جَرَحُوكَ حَتَّى بَلَّوْا مَنَكِبَيْكَ مِنَ الدَّمَاءِ السَّالِةِ عَلَيْكَ .

(١) سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ فِي الْمَجْلُودِ ٣٥٩ م ١٠٣٣ .

(٢) التَّكْلُفُ مِنْ ل .

٦٢٨

وقال الطرمّاح^(١) :١ — إِنْ بَعْنِ إِنْ فَخَرْتَ لَفَخَرًا وفي غيرها تُبْنَى بُيُوتُ الْكَارِمِ^(٢)٢ — مَتَى قُدَّتْ يَا بْنَ الْحَفْظَلِيَّةِ عُصْبَةٌ مِنْ النَّاسِ تَهْدِيهَا فِجَاجَ الْمَخَارِمِ^(٣)

هذا الكلام هُزْءٌ وسخرية . يقول : لك أن تفخري بيني معني ، فإنهم في موضع ذاك ، لكونهم يجمع الفضائل ، لكن مباني الكرم تؤسس في غيرهم . ثم أقبل عليه فقال : أخبرني متى حدثت نفسك بأن تكون قائد طائفة من الناس فقدسهم^(٤) وتهديهم الطرقي ، وهم يطؤون عقبك ، ويدورون على مرادك ؛ لقد رأيت ما لم تؤمله ، ونلت ما لم ترتقي إليه همتك .

والفجّاج : الطرقي . والمخاريم : جمع تحريم ، وهو منقطع أنف الجبل . وهذا مثل ، أي تصرّفهم حيث أردت ، وتوجههم كيف شئت .

٣ — إِذَا مَا بُنْ جَدِّ كَانَ نَاهِزَ طَلِيٍّ فَإِنَّ الدَّرَى قَدْ صِرْنَ تَحْتَ النَّكِيمِ

٤ — قَدْ بَزِمَامٍ بَطَرَ أَمَّكَ وَأَحْتَفِرَ بِأَبْرِ أَيْكَ الْفَسَلِ كَرَاثَ عَائِمٍ^(٥)

« ابن جدّ » يريد به صاحب جدّ وحظّ في الدنيا . فيقول : إذا اتفق

(١) التبريزي : « وقال الطرماح بن جهم النسبي ، لئانذ بن سعد اللقي » . وهو أحد بني سنس بن معاوية بن جرويل بن نعل بن عمرو بن القوث بن طلي ، كما في المؤتلف ١٤٨ . وهو غير الطرماح الشاعر المشهور ، فذاك الطرماح بن حكيم بن هر ، الذي سبق ترجمته في الخامسة ٥٦ ص ٢٢٧ .

(٢) أنشد ياقوت هذه الأبيات في معجمه في رسم (طاسم) ، وهو رمل لبني سعد .

(٣) ياقوت : « يا ابن النيرة » .

(٤) ل : « تقدّمهم » .

(٥) قال ياقوت : « قيل : كان أحد جديه جالا والآخر حراثا ، فلذلك قال : قد بزمام بطر أمك واحتفر الكراث » .

لمتقدم بنفسه مجدود ، لا أولية له ، خارجي ، أن يكون ناهز طيبي ، أي يذرههم
وكبيرهم والذي ينهز الدلو من البئر ، أي ينزعها ، كأنه أراد : الذي يقوم
بأمرهم عند السلطان ، ويتجزأ عليه حاجاتهم ومهماتهم ، فقد انقلب الدهر ،
وانحط الأعالى ، وصارت الأشراف أدلاء ، لأنه لا يتقدم الوضع إلا بتأخر
الرفيع . وحكى غير واحد من أهل اللغة أنه يقال : هو ناهز القوم ، أي كاسيهم
والساعي لهم .

وقوله « قَدْ بَرَمَام » استهزأ وإزراء بهم ، وقلة احتفال ، بتناول التبييع
من ذكركم . لذلك سمى السومة من طرفه ^(١) . والفعل : الرذل . والفعل :
الضعيف ، وما روايتان . وعاصم : موضع .

٦٢٩

وقال الكروس بن زيد ^(٢) :

- ١ - أَلَا لَيْتَ حَطَى مِنْ عَطَانِكَ أَنْتَى عَلِمْتُ وَرَاءَ الرَّمْلِ مَا أَنْتَ صَانِعُ
 - ٢ - قَدْ كَانَ لِي عَمَّا أَرَى مُنْزَخُحٌ وَمُنْشَعٌ مِنْ جَانِبِ الْأَرْضِ وَاسِعُ
 - ٣ - وَمِمَّا إِذَا مَا الْجَبَسُ قَصَرَ هَمُّهُ طُلُوعٌ إِذَا أَعْيَا الرَّجَالُ الطَّلَاعُ ^(٣)
- يقول : تخليت أن يكون الذي حظيت به من عطائك لي أنني خليت وأنا
وراء الرمل ما أنت صانعه وقد قدمت عليك . فقله « وراء الرمل » ظرف
لعلت ، وأننى علمت خبر ليت ، كأنه ود أن يكون بدل حظه من العطاء علمه
بما يفعله ، فكان اختياره بحسبه . ولا يجوز أن يكون وراء الرمل يتعلق بصانع ،

(١) أي صرح بذكر سومة طرفيه : أيه وأمه .

(٢) التبريزي : « وقال الكروس بن زيد بن حصن بن مصاد بن مالك بن مغل
ابن مالك » . وقد سبقت ترجمته في الخامسة ٢١٠ ص ٦٣٩ .

(٣) التبريزي : « قصر قسه » .

لأنك إن جعلت ما موصولا فالصلة لا تتقدم هي على الموصول ، ولا شيء مما يتعلق بها^(١) . وإن جعلت ما موصوفا فالصلة لا تتقدم على الموصوف ولا ما يتعلق بها ، وإن جعلت ما استفهاما فما بعد الاستفهام لا يعمل فيا قبله . وإذا كان كذلك ظهر فساد تعلقه به على الوجوه كلها ، من طريق الإعراب ومن طريق المعنى^(٢) ، فالصحيح ما قدمته . ألا ترى أنه قال : فقد كان لي عما أرى متزحزح ومتسع . والمتزحزح : اللبث . أي كان لي جانب من الأرض واسع أترزح فيه عما أراه وأرد عليه ، وكان لي هم طويل يمتد الشأ يذهب صعدا ، إذا كان هم الجبس قصيرا . طلوع إلى أعالي اليز وذراه إذا أجز الرجال مطالع اليز . والجبس هو الثقل الجاني . أي يقصر هم نفسه فيرضى بالحصيل له . وقوله « إذا ما الجبس » ظرف لما دل عليه هم ، و « إذا أعيا » ظرف للطلوع . ولا يجتمع أن يكون إذا ما الجبس ظرفا للطلوع ، ويعمل إذا أعيا بدلا منه ؛ لأن المعنيين يتقاربان . والأول أقرب وأجود .

(١) أي ولا شيء مما يتعلق بالصلة يتقدم على الموصول . وفي النسختين : « ولا على شيء مما يتعلق بها » وليس بصواب . وعبارة ابن جني في التنبيه : « لاستحالة جواز تقديم الصلة أو شيء منها على الموصول » .

(٢) أما ابن جني فيرى أن التعلق صحيح من جهة اللفظ ويقول : « التفسير ما أنت صانع وراء الرمل » . وأما التعلق من جهة الإعراب فيراه غير جائز في الأوجه الثلاثة للضمه . ثم يقول : « فإذا كان اللفظ عليه — أي على التعلق — وسبيل الإعراب ضيقة عنه — أي لا تحتله في الصناعة — أضر له ما يتأوله مما يدل الظاهر عليه » ، فيرى أن الظاهر تفسير لاملل مقدر يشبهه . ثم قال بعد أن ذكر هذا الوجه : « ويجوز أن يكون وراء الرمل متعلقا بنفس علت ، أي علت في هذا الموضع كذا وكذا ، على سفر مناه . ويجوز وجه ثالث غير هذين ، وهو أن ينصب وراء نصب للنبول به بعلت ، أي ليتى عرفت هذا الموضع ، وتبدل منه ما أنت صانع ، أي التي أنت صانعه ، كقولك : عرفت هذا الذي تجد من أمرها . ويجوز إذا أبدلت ما أنت صانع أن تجعل ما استفهاما ، كقولك : قد عرفت زيدا أبو من هو ، فتبدل أبو من هو ، من زيد ، فتصير إلى أنك كأنك قلت : قد عرفت أبو من زيد . ويجوز أيضا إذا جعلت وراء مفعولا به أن تجعل علت . للتعدية إلى مفعولين وتجميل ما بعدها من الاستفهام في موضع للنبول الثاني ، كقولك علت زيدا كم ماله » .

٦٣٠

وقال وضاح بن إسماعيل^(١).

- ١- مَنْ مَبْلَغُ الْحِجَابِ عَنِّي رِسَالَةٌ فَإِنْ شِئْتَ فَاقْطَعْنِي كَمَا قُطِعَ السَّلَا^(٢)
 - ٢- وَإِنْ شِئْتَ أَقْبِلْنَا بِمُوسَى رَمِيضَةً جَمِيعًا نَقْطَعُنَا بِهَا عُقْدَ الْعَرَى^(٣)
 - ٣- وَإِنْ قُلْتَ لَا إِلَّا التَّفَرُّقَ وَالنَّوَى فَبَشِّرْ أَدَامَ اللَّهِ تَفَرُّقَةَ النَّوَى^(٤)
 - ٤- فَإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجِدْعَ مُعْرِضًا وَتَعْجَبُ أَنْ أَبْصُرْتَ فِي عَيْنِي الْقَذَى^(٥)
- هذه أبيات ذهب الناس من طريق الرواية والمعنى فيها مذاهب طريفة ،
والصحيح ما أورده . وذلك أنه رتب ما بينه وبين الحجاب مراتب ثلاثاً ، خبره
فيها بالشروط للينة .

(١) التبريزي : « وضاح بن إسماعيل بن عبد كلال بن داود بن أبي أحمد » . والصواب
« بن داود بن أبي حمد » . كما أسلفنا في ترجمته في الحاشية ٢١٢ من ٦٤٣ . يؤيد ذلك ما رواه
أبو الفرج في الأغانى (٦ : ٣١) من قوله في نبات عمه :

من نبات السكرم داذ وفي كنه
هنة ينبتن من أباة اللعن
وقوله يخضر بجده أبي حمد :

بني لي إسماعيل عملاً مؤثلاً وعبد كلال بيده وأبو حمد
(٢) في الأغانى (٦ : ٤٢) أن هذه الأبيات يقولها وضاح في أخيه « سماعة » وقد
عجب عليه في بعض الأمور . وقد روى البيت الأول مكنياً :

فإن مبلغ هنى سماعة ناهيا
فإن شئت فاقطعنا كما يقطع السلى
(٣) التبريزي وابن جني : « ناقطنا بموسى » و « نقططنا » بصيغة الأمر . وقال التبريزي
في تفسيره : « ونصب عقد اليرى على للصندر ، أى نقططنا تقطيع عقد اليرى » ، ثم حذف
الضاف وأقام للضاف إليه مقابله . « ونحو هذا الكلام لابن جني .
(٤) الأغانى :

وإن شئت صرماً للتفرق والنوى
فبصنا أدام الله تفرقة النوى
(٥) متيسر من قول عيسى عليه السلام : « لماذا تنظر القذى فى عين أخيك ،
وأما الخشبة التى فى عينك فلا تظن لها » . إنجيل متى ٧ : ٣ ولوقا ٦ : ٤١ . وفى عيون الأخيار
(٢ : ٢٧١) : « كيف تبصر الغنائة فى عين أخيك ولا تبصر السارية فى عينك » .

فالشَّرْطُ الأولُ قوله « إن شئتَ قَطَعْتُ كما قُطِعَ السَّلا » وهذا يحتمل معنيين : أحدهما أن يريد إن شئتَ خُصَّني بقطيعةٍ لا وِصالَ يَتَمَقَّها ، كما أنَّ السَّلا ، وهو الجِلْدَةُ التي يلتفُّ فيها الولدُ عندَ خروجه من بطنِ أمِّه ، إذا قُطِعَ عنه لم يَعدْ إليه . ويجوز أن يكون المعنى : أَقَطَعْتُ قَطيعةً لا يُرْجى معها وَصْلٌ ؛ لأنَّ السَّلا إذا انقطعَ في بطنِ الحامل لم يمكنَ استخراجُه ، ولا يُرجى الصَّلاصُ معه . ولهذا ضَرِبَ المَثَلُ به في الشَّدائدِ قَليل : « انقطعَ السَّلا في البطن » . والرداد في هذه القطيعة المذكورة أنَّ تَبَقَّ العلائقُ التي بينهما على ما حَصَلَتْ وثَبَّتْ لا يَغيَّرُ منها شيء .

والشَّرْطُ الثاني : « وإن شئتَ أَقْبَلْنَا بِمُوسَى رَمِيضَةً » ، يقول : وإن شئتَ أَخَذْ كُلُّ مَنْأٍ مُوسَى مُحَدَّدةً ، فَقَطَعْنَا بها الأواصرَ التي بيننا . وهذا مَثَلٌ ، والمعنى أنَّ لنا الأسبابَ التي تَوَاصَلْنَا بها فصارتِ مِثْلَ الأنسابِ ، وحَلَلْنَا عَقْدَ العَمْرِ الوثيقِ فيما تَوَاصَلْنَا فيه حتى نَصِيرَ كالأجانبِ لا وَصْلَ تَجْمَعُنَا ، ولا أواخِيَّ تَنْظِمُنَا ، إلَّا ما حَلَوَى البعادُ بيننا من قُرْبِ الجِوارِ والدَّارِ .

والشرط الثالث : وإن قلتَ لا إلَّا التفرُّقُ بالأبدانِ معها ، فيكونُ الدَّوى مُبَدَّدةً شَمَلْنَا ، فلا نلتقي في شَعْبٍ وَمَسَلَّتْ ، ولا نَتَجَادَى في منزلٍ وَجَمْعٌ ، ولا نَتَجَاوَرُ في سَحْلٍ وَمَقَرٍّ^(١) ، فَإِنَّا نَبْعُدُ بُعْدًا كما نَخْتَارُ ؛ وأدامَ اللهُ تَفَرُّقَهُ النَّوى بيننا ، ولا جَمْعَ ما شِئْتُمْ منها .

ويقال : سَكَيْنُ رَمِيضٌ : حادٌّ . وكلُّ حادٍّ رَمِيضٌ ، ومنه ارتَمَضَ مِنْ كَذَا ، إذا اشْتَدَّ عليه وأَغْصَبَهُ .

وقوله « فَإِنِّي أَرى في عينِكَ الجِذْعَ » ، يقول : إنَّ العِداوةَ بيننا رَسَخَتْ

(١) هنا ما في ل . وفي الأصل : « وسفر » .

وَبُثَّتْ وَاسْتَحَكَّتْ مِنْ جَهَنكِ ، فَلَا اسْقَاءَ مَعَكَ ، وَلَا صَبْرَ عَلَى أَدَى مُضْضٍ
مَعَكَ ، حَتَّى تَجِبَ لِأَدَى شَيْءٍ يَحُولُ ، وَتَسْتَظِلَّ أَصْفَرَ مَا يَحْدُثُ وَيَدُورُ ، وَأَنَا
أَرَى الْجَذَعَ يَعْتَرِضُ فِي عَيْنِكَ فَلَا أَنْكَرُ ، وَلَا أَحَاسِبُ عَلَيْهِ وَلَا أَضَاقُ . وَهَذَا
كَمَا يُقَالُ فِي الْمَثَلِ : « تُبْعِرُ الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيكَ ، وَتَدْعُ الْجَذَعَ الْمُعْتَرِضَ
فِي حَلْقِكَ » .

٦٣١

وَقَالَ جَوَّاسُ الْكَلْبِيِّ ، مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ جَنَابٍ ^(١) :

- ١- ضَرَبْنَا لَكُمْ عَنْ مَنِيرٍ لِلْمَلِكِ أَهْلَهُ يَجِيرُونَ إِذْ لَا تَسْتَطِيعُونَ مَنِيرًا
 - ٢- وَأَبَايَا صِدْقِي كُلَّهَا قَدْ عَلِمْتُ نَصَرْنَا وَبَوَّيْنَا الْمَرْجَ نَصْرًا وَوَزْرًا ^(٢)
 - ٣- فَلَا تَكْفُرُوا حَسْبِي مَضَتْ مِنْ بِلَانِنَا وَلَا تَمْنَحُونَا بَقْدَ لَيْنٍ تَجِيرَا
- يُخَاطَبُ بِهَذَا الشَّعْرُ بَنِي مَرْوَانَ عَمَّتًا عَلَيْهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي
سُفْيَانَ لَمَّا هَلَكَ اسْتَعْمَلَ ابْنَهُ يَزِيدَ ، فَتَابَعَهُ النَّاسُ مَا خَلَا بَنِي قَيْسٍ فَلَهُمْ قَالُوا :
لَا نَبَايِعَ ابْنَ الْكَلْبِيَّةِ ، فَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ أُمَيَّةٍ وَقَيْسٍ . وَيَجِيرُونَ : يَأْبِ مِنْ
أَبْوَابِ دِمَشْقٍ ، وَأَوَّلُكَ كَانَ مُسْتَقَرَّهُمْ بِالشَّامِ . وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ « أَهْلَهُ » بَنِي هَاشِمٍ ،
وَبِالْمَلِكِ الْخُلَافَةَ .

وَقَوْلُهُ « إِذْ لَا تَسْتَطِيعُونَ مَنِيرًا » ، أَيْ ارْتِقَاءَ مَنِيرٍ وَصَعُودَهُ ، خَذَفَ
لِلْمُضَافِ . وَالْمُرَادُ : إِنَّا نَصَرْنَاكُمْ فِي طَلَبِ أَمْرِ كَانَ لِنُفُوكُمْ لَا لَكُمْ يَجِيرُونَ ،

(١) التَّبْرِيزِيُّ : « وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عِلَاقَةَ الْخَلَارِ الْكَلْبِيُّ » . وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ عَمْرُو بْنِ
عِلَاقَةَ الْخَلَارِ فِي الْخَمَاسَةِ ٢١٤ ص ٦٤٧ . وَأَمَّا جَوَّاسٌ ، فَهُوَ جَوَّاسُ بْنُ الْقَطْلِ بْنِ سُودِ
بْنِ الْخَارِثِ بْنِ حَصَنِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ جَنَابِ الْكَلْبِيِّ . وَهُوَ هَاشِمٌ إِسْلَامِي كَانَ مُصَاحِرًا لِرُفْرُ بْنِ الْخَارِثِ
الْكَلْبِيِّ . لِلْوُثْلَفِ ٧٤ .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « قَدْ مَرَقَ » .

حين لا تقديرون على صمود منبر، ولا تستقيم لكم قناة مُلك، ونصرنا أيضاً^(١)
يوم سرج راطط، وأياماً آخر قبله وبعده، صادقناكم فيها ونصرناكم نصراً
قوياً، فلا تحسدوا نعمة فيها، فكفران النعم ذم، ولا تتكبروا علينا بمد
ملايتكم لنا، فإن التكبر منكم عظيم. وقوله «حتى مضت» مصدر في معنى
الإحسان، وليست بتأنيث الأحسن، لأن تلك تلوّمه الألف واللام.

- ٤- فكم من أمير قبل سروان وأبنيه كشفنا غطاء النعم عنه فأبصرنا
٥- ومستسلم نفسه عنه وقد بدت نواجذُه حتى أهلّ وكبراً
٦- إذا افتخر القيسى فاذكر بكاءه برزاعة الضحك شرقى جوراً
٧- فما كان في قيس من ابن حفيظ يُعدّ ولكن كلهم نهب أشقرا

قوله «كم من أمير» أراد به معاوية وأشياعه. أى ذبكنا دونه وأزلنا
ما كان تراكم عليه من رواكد الظلم حتى أبصر رُشدَه، وعادت إليه بصيرته،
بعد أن كان غير في أسره، والتبس عليه ما يتنقل فيه، فلا يعرف ما عليه مما له.

وقوله: «ومستسلم» عطفه على «من أمير»، والضمير في «نفسن»
للخيل ولم يجر لها ذكر، ولكن عُرِف منه المراد. يريد: «كم من مُنقاد لما
دعاه، ومستسلم لشرّ الفاجي له والمحيط به، نفست خيلنا عنه بعد أن ييسر
ريقه، وتقلّصت شفتاه فظهرت نواجذُه، لما مئى به من شدة البلا، وجهد
البأساء، حتى أهلّ، أى رفع بالحدّ لله صوته، وأظهر شكره، وعظّمه
وكبره، لما أعقب من الأمن عقيب الخوف، والسلامة بعد الهلك. ويروى:
«كشفنا غطاء الموت». ويروى: «ومستسلم نفست عنه وقد بدت مقائله»
والمنى فيهما ظاهر.

(١) هذا ما في ل، وهو الأوفق. وفي نسخة الأصل: «ونصرنا نصراً».

وقوله « إذا افترق القيسى فاذا كُرِّبلاءه » ، يصيِّم ما كان منهم من التصغير والتقصير في ذلك الموضع . وأخرج الكلامَ نَحْجَ الهُزءِ ، لأنهم قَصُرُوا ولم يُبْنَلُوا ؛ لذلك قال : اذْ كُرِّبلاءه . والزَّرَاعَات : مواضع الزرع ، كالملاحات . والزَّرِيع : القَتْرِىُّ الذى يُسْقَى من السماء ، فكلُّ ناعم زَرِيعٌ تشبيهاً به . وَجَوَّيزٌ : نهر . وانتَصَب « شرق » على الظرف ، يعنى ما وُلِىَّ المشرق منه . والضَّحَّاك^(١) كان على شُرطة معاوية ، ثم صار مع ابن الزُّبَيْر بعد موت يزيد .
وفى جملة هذه الآيات :

فلو كنتُ من قَيْسِ بنِ عِيْلَانَ لم أُجِدْ فخرًا ولم أُعَدِلْ بأنْ اُنْتَصَرَا
يَقْبَحُ صورتهم كما ترى .

وقوله : « فا كان فى قَيْسٍ من ابْنِ رَيْهَةَ يُعَدُّ » وروى : « فا كان فى قيس بن عيلان سَيْدٌ يُعَدُّ » ، وَيَعْنِي بَنِيَّ أَشَقَرٍ فَرَسٌ طُفِيلٌ بن مالك ، وكان فَرَّازًا^(٢) . يقول : كَأَنَّا اتَّبَعْنَاهُمْ طُفِيلٌ فى ذلك اليوم . وكان اسمُ فَرَسٍ طُفِيلٍ قُرْزُلًا ، لذلك قال الآخر^(٣) يصف قومًا منهزمين :

يَعُدُّوهُمْ قُرْزُلٌ وَيَسْتَعِ الْنَّاسُ مِنْ إِلَيْهِمْ وَتَحْقِيقُ اللَّحْمُ
جبل فرس كلِّ منهم كَقُرْزُلٍ لَمَّا هَرَبُوا .

(١) هو الضحَّاك بن قيس الهجرى ، ولد فى زمان الرسول بعد الهجرة ، وولاه معاوية الكوفة ثم عزله ، ثم ولاه دمشق ، ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية دعا إلى نفسه فقاتله مروان بن الحكم ، فقتل بمرج راحط سنة ٦٤ . الإصابة ١٦٤ : ٧ والطبرى (٣٧ - ٤١) .
(٢) الحق أنه كان يتظاهر بالهوية لابن الزبير ، واستغل هذا فى استمداد أنصار ابن الزبير ليقوى بهم على محاربة مروان .

(٣) وهال ابن الكلبى : أشقر : رجل من كلب ، أصاب صندوقًا فى إغارة لـكلب على إياد ، فظن أن فيه خيراً كثيراً ، فإذا فيه عظام ، فصرته العرب مثلاً لا خير فيه . وقيل : إنه أراد بالأشقر العبد . والعرب تسمى العجم « الحمر » لأن الثال على ألوان الفرس الصلبة . وعلى هذا معناه : كلهم نهب من لا قدرة له ولا مية . عن شرح التبريزى .

(٤) هو الجيـحجـح الأسدى . المفضليات ٤١ الطبعة الثانية بالمعارف .

٦٣٢

وقال جواس الكلبي أيضاً :

١ - اعْبُدْ لِلَّيْلِ مَا شَكَرْتَ بِلَاءَنَا فَكُلَّ فِي رَحَاءِ الْأَمْنِ مَا أَنْتَ آكِلُ
٢ - بِجَايِيَةِ الْجَوْلَانِ لَوْلَا ابْنُ بَحْدَلٍ هَلَكْتَ وَلَمْ يَنْطِقْ لِقَوْمِكَ قَائِلُ
يعاتبُ عبدُ اللّٰكِ بنَ مروان ، وذلك أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَسَكَتَ الْحَرْبُ
وصفاه الأُمَرَاءُ ، أَقْبَلَ يَتَأَلَّفُ قِيَسًا وَمُأَدَّاءَ ، وَيُوجِسُ بَنِي كَلْبٍ وَمُأَنصَارَهُ ،
حَتَّى انْتَهَى الْحَالُ بِهِ إِلَى أَنْ عَزَلَ كَثِيرًا مِمَّنْ اسْتَعْمَلَهُ مِنْ كَلْبٍ عَلَى أَعْمَالِهِ ،
وَجَعَلَ أَبْدَاهُ مِنْ قَيْسٍ ، فَقَالَ جَوَّاسٌ : يَا عَبْدَ اللّٰكِ ، مَا حَدَّثَ بِلَاءَنَا فِي
نُصْرَتِكَ ، وَلَا قَابَلْتَ انْقِطَاعَنَا إِلَيْكَ وَسَعِينَا لَكَ بَعْضَ مَا وَجِبَ لَنَا عَلَيْكَ ،
فَكُلَّ مِنْ دُنْيَاكَ فِي سَعَةِ الْأَمْنِ وَظِلِّ الْهُدَى مَا أَنْتَ آكِلُهُ ، لَا مُدَافِعَ لَكَ
وَلَا مُعَرِّضَ عَلَيْكَ ، فَلَوْلَا ابْنُ بَحْدَلٍ وَقِيَامُهُ بِأَمْرِكَ بِجَايِيَةِ الْجَوْلَانِ لَهَلَكْتَ
وَلَمْ يَنْطِقْ لِقَوْمِكَ قَائِلُ ، أَيْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ خَلِيفَةٌ يَخْطُبُ عَلَى مَنِيرٍ فَيَدْعُو وَيُدْعَى
لَهُ . وَتَمَلَّقَ قَوْلَهُ « بِجَايِيَةِ الْجَوْلَانِ » بِقَوْلِهِ مَا شَكَرْتَ بِلَاءَنَا . وَهَلَكْتَ
جَوَابَ لَوْلَا ، وَخَيْرٌ لِلْبِتْدَاءِ مَحْذُوفٌ ، وَقَدْ سَرَّ أَمثَالُهُ .

٣ - فَلَمَّا عَلَوْتَ الشَّأْمَ فِي رَأْسِ بَاذِخٍ مِنَ الْعِزِّ لَا يَسْطِيعُهُ التَّنَاوُلُ
٤ - نَفَحَتْ لَنَا سَجَلُ الدَّوَاوَةِ مُعْرِضًا كَأَنَّكَ مِمَّا يُحَدِّثُ الدَّهْرُ جَاهِلُ
يقول : فَلَمَّا مَلَكَتِ الْمَطْلُوبَ وَأَدْرَكَتِ لِلْأُمُورِ ، وَاسْتَوَيْتَ عَلَى الشَّأْمِ فِي
عِزِّ بَاذِخٍ وَجَدَّ صَاعِدٍ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى تَنَاوُلِ مِثْلِهِ أَحَدٌ بِأَمْلٍ أَوْ هِمَّةٍ ، أَطْرَحْتِنَا
وَأَعْرَضْتَ عَنَّا ، مَطِيلًا سَجَلُ الدَّوَاوَةِ لَنَا ، كَأَنَّكَ جَاهِلٌ بِالدَّهْرِ وَقَتْلَانِهِ ،
وَحَوَادِثِهِ وَمُلَمَّاتِهِ . وَمِنْ رَوَى : « كَأَنَّكَ مِمَّا يُحَدِّثُ الدَّهْرُ » ، يَرِيدُ كَأَنَّكَ مِمَّا
أَحْدَثَهُ الدَّهْرُ لَكَ مِنَ الرَّيَاسَةِ جَاهِلُ . أَيْ اغْتَرَبْتَ فَكَأَنَّكَ اسْتَعْدَدْتَ جِهَالَةَ .

وَيُرَوَّى : « كَأَنَّكَ عَمَّا يُجْذِثُ الدَّهْرُ [غافل] ^(١) » ، فجاهلٌ يجرى مجرى غافلٍ .
وهذا يجرى مجرى الوعيد . أى لا تأمنَ غيرَ الأيامِ ومعاودتك ما يَحْتَمُ عليك
بالفقر إلينا ثانية .

وفى هذه الطريقة ما أنشده لِحَمْدِ بن غالب :

فَقِ مَسْتَجٍ أَنْتَ مِنْ مَسْتَجٍ بِحَيْثُ السَّوِيدِ وَالنَّاطِرِ
مَلَكَتْ فَاسْتَجِيعَ وَزُعْ بِالزَّمَامِ وَخَفَ مَا يَدُورُ بِهِ الدَّائِرِ
٥- وَكَنتَ إِذَا أَشْرَفْتَ فِي رَأْسِ رَامَةٍ تَضَاءَلَتْ إِنْ الْخَائِفَ الْمُتَضَالِّ ^(٢)
٦- فَوَطَّوَعُونِي يَوْمَ بَطْنَانَ أَسْلَيْتَ لِقَيْسٍ فُرُوجٌ مِنْكُمْ وَمَقَاتِلُ ^(٣)
رَامَةُ : هضبة . يَذْكُرُهُ ضَيْقُ أَطْفَارِ الْأَرْضِ عَلَيْهِ ، فيقول : إناك حينئذٍ
مَتَى أَشْرَفْتَ فِي رَأْسِ هَذِهِ الْهَضْبَةِ تَخَاشَعْتَ وَتَذَلَّتْ ، لاسْتِعْمَارِكَ الْخُوفِ
الشديد ، واستظهاركَ بالانقياد من أعدائك البالغ . والخائف هذا دأبه وعادته .
على أنهم — يعنى أصحابه — لو طوَّعوني في هذا اليوم وَقَبِلُوا نَصْحِي ، وعَمِلُوا
بِرَأْيِي ، لَأَسْلَيْتَ لِقَيْسٍ فُرُوجَكُمْ ، وهى مواضع للخافة ، ومقاتلكم . والمعنى :
كُنَّا نَخْذَلُكُمْ وَنُسَلِّمُكُمْ حَتَّى يَتِمَّ الْقَتْلُ مِنْكُمْ ، وَتَمْلَوْا سِمَةَ الذِّلِّ عَلَى أَحْوَالِكُمْ .
وإنما قال هذا لأن القيسية كانت تدعو إلى ابن الزبير ، وكلبٌ تدعو إلى
الروائية ، وكان الناسُ يومئذٍ إنما يُعرفون بالبخديلية أصحاب مروان ،
والزبيرية ، وهم أنصار ابن الزبير . لذلك قال عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان :
وما الناسُ إِلَّا بَخْدِلِيٍّ عَلَى الْهَدْيِ وَإِلَّا زُبَيْرِيٌّ عَصَى قَتْرَبْرًا ^(٤)

(١) هذه الكلمة ساهمة من الأصل ، وبهذا فى ل : « جاهل » ، والوجه ما أثبتنا ،
لما يقتضيه سياق الكلام .

(٢) التبريزى : « من رأس هضبة » .

(٣) التبريزى : « وروى : أسلمت فروج نساء منكم » .

(٤) سبق البيت مرثا بدون نسبة فى ص ٦٥٠ .

٦٣٣

وقال جوامع أيضا :

- ١ - صَبَقَتْ أُمِّيَّةٌ بِالذَّمَاءِ رِمَاحَنَا وَطَوَّتْ أُمِّيَّةٌ دُونَنَا دُنْيَاهَا
 - ٢ - أُنْمِي رُبَّ كَتِيبَةٍ بِجَهْلَةٍ صَيْدِ الْكُفَاةِ عَلَيْنَكُمُ دَعَاها
 - ٣ - كُنَّا وَلَاةَ طِعَانِيَا وَضَرَابِيَا حَتَّى تَجَلَّتْ عَنْكُمُ غَمَاهَا
- يقول : استنصرنا أُمِّيَّةٌ ودافعَ الأعداءَ بنا ، وعرضنا للقتل والقتال ، والضرب والطعان ، حتى رويت قناتنا من دماء مجاذيبهم ، والتكرهين لآيائهم ودولهم ^(١) ، فلما وضعت الحرب أوزارها ، وارتفع التهيجُ والفتنُ من أبحاثها ومقاصدها ، استبدوا ببطيئ الدنيا وزينها ^(٢) ، والقوز بها وبأعراضها من دُوننا . ثم أخذ يخاطبها فقال : يا أُمِّيَّةُ ^(٣) ، رُبَّ كَتِيبَةٍ بِجَهْلَةٍ الشان ، لم تَدْرِ كيف يُدفع في وجهها ، ولا من أين يُصرف شرفها ، متكبري الأبطال ، بهم الشجعان ، دعواها عليكم لا لكم ، ودفعها فيكم لا عنكم ، توليتنا مطاعنها ومكافئها ، وافترضنا على أنفسنا دفعها . ويموز أن يكون للراد بقوله « مجهولة » أننا لا نعرفها ، ولا مجاذبةً بيننا وبينهم ولا مُعاملةً ، فهي مجهولةٌ لنا ، اتخذنا كالأعداء لنا في هواكُم ونصرتكم .

فأما قوله « صَيْدِ الْكُفَاةِ » فإنما جمع فقال صَيْدًا ، حملاً على معنى الكَتِيبَةِ ، ولو تحل على اللفظ لقال : رُبَّ كَتِيبَةٍ صَيْدَاءِ الْكُفَاةِ .

والصَيْدُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى وَجْهَيْنِ : يقال : مَلَكٌ أَصَيْدٌ ، أى متَكَبِّرٌ لا يُلْتَفَتُ

(١) كذا ضبطت في النسخين بكسر فتح . ويقال أيضا « دول » بضم فتح ، كلاهما

جمع دولة .

(٢) الطي ، بالكسر : واحد الأطواء ، وهى من التوب والشعم طرائقه ومكاسر طيه .

(٣) ل : « أُمِّي » .

إلى الناس ميمًا ولا شمالًا. وحكى الخليل أن الصيد ذباب يدخل في أذن البعير فيلقى له، فيظن رافعا رأسه. فشبه الملك ذو الزهو به. فهذا وجه. والوجه الآخر: أن يراد بالأصيد الذي لا يستطيع الالتفات من دانه.

وقوله: «حتى تجلت عنكم غماها»، يقال: هم من أسرهم في غماها، أى فى شدّة والتباس شديد عليهم. ومعنى حتى: إلى أن. والولادة: جمع الوالى، وهو المتولى لشيء والفاعل له. ولا يمتنع أن يريد به الملاك، كأنهم ملكوا تدبير الحق فصاروا كالولادة لها وفيها.

٤ - والله يجزى لا أمية سمينا وعلى شدتنا بالراح عمرها^(١)

٥ - جتم من ألحجر البعيد نياطه والشأم تُنكر كنهها وفتاها

٦ - إذ أقبلت قيس كأن عيونها حدق الكلاب وأظهرت سيها

يقول: الآن وقد جحدت أمية نعمتنا عندها، وبعدت عن الصلاح بكفرانها، فإن الاعتماد على الله تعالى جدّه فى أن يتولى جزاء سمينا، ويعرف لنا ما أنكرته أمية من بلاننا، وعلى معال أحكمتنا وثاقها، وشدتنا عقدها وعلاقتها، فتوجب لنا من إثابة الله عز وجل ما يكون فيه عوض من كل فائت.

وقوله «جتم من ألحجر» أراد بالحجر الجنس. والمراد: جتم من المكان الكثير الحجر، ومن بلاد الحجر، يعنى الحجاز. ومعنى «البعيد نياطه» البعيد مُعلّقه. ويقال: نُطتُ الشيء أنوطه نياطًا ونوطًا، إذا علّقته. وروى بعضهم:

« من الحَجَزِ » ، بازاء ، وقال : يريد الحِجَاز . فهذا كما قيل في تهامة :
التَّهَم . قال :

* نظرتُ والتَّيْنُ مُبَيَّنَةُ التَّهَمِ ^(١) *

والحاجز والحِجَاز والحَجَز ، واحد . قال : وبني الحِجَاز حِجَازاً ، لأنه يَفْصِلُ
بين النُّور والشَّام وبين البادية . وقوله « والشَّامُ تُنْكِرُ كَهْلَهَا وقَالَهَا » ، أى لم
يكونوا من أهلها فاستنرَ بهم . وهذا كما قال في المقطوعة الأولى ^(٢) : « رُبَّ
كُتَيْبَةٍ مَجْهُولَةٍ » .

وقوله « إِذْ أَقْبَنْتُ قَيْسُ » ، إِذْ ظَرَفْتُ لقوله جِئْتُمْ من الحَجَرِ ، أى جِئْتُمْ
وقت إقبال قيس . ويمحوز أن يكون ظرفاً لقوله « تُنْكِرُ كَهْلَهَا » أى تنكر في
ذلك الوقت . ويروى : « وَتَرَبَّرْتُ قَيْسُ كَانَ عُمُونَهَا » ، أى صار هواها زُبَيْرِيًّا .
وقوله « كَانَتْ عُمُونَهَا حَدَقُ الْكَلَابِ وَأُظْهِرَتْ سِيَاهَا » قَسَدَهُ إِلَى النَّمِ
وإلى أن نظروهم نظراً الكلاب ، لكنه جَرَّدَ التَّشْبِيهَ أولاً ، ثم قال : « وَأُظْهِرَتْ
سِيَاهَا » أى أظْهِرَتْ سِيَا الْكَلَابِ في إقبالها ، فَتَرَكَ لَفْظَ التَّشْبِيهِ ، وصار كأنه
يُخْبِرُ عن حقيقة .

٦٣٤

وقال عبدُ الرحمن بنُ الحكم ^(٣) :

١- لَعَا اللهُ قَيْسًا قَيْسَ عَمِلَانَ إِنَّمَا أَضَاعَتْ مُنُورَ اللَّسَلِينَ وَوَلَّتْ

(١) جده في اللسان (تهم) :

للى سنا تار وقودها الرثم شيت بأعلى عاتدين من اضم

(٢) كذا . وإنما يعنى ما ورد في البيت الثانى من قس هذه المقطوعة .

(٣) هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبى الماس بن أمية بن عبد حمس ، حاكم إسماعى ، وهو

القاتل لمعاوية حين استلحق زياتا :

ألا أبلغ معاوية بن حرب منقلبة من الرجل المبجل

أخضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زان =

٢- فشاوِل بَقِيسَ في الرَّخَاءِ وَلَا تَكُنْ أَخَاها إِذا ما الشَّرَفِيَّةُ سُلِّتِ^(١)
 قوله « سَخا الله » ، يجوز أن يكون بمعنى قسر الله ، ويجوز أن يكون بمعنى
 سَبَّ الله . وقوله « إِنَّها أَضَاعَتْ ثُغورَ » ، يروى بفتح الهمزة ، والمعنى لَأَنها ،
 ويروى بالكسر على الاستئناف . ومعنى وَلَتْ انْهَرَمَتْ وأَعْرَضَتْ .
 وقوله « فشاوِل بَقِيسَ » ، أى خاطِرٌ غيرك ورافِئهم بهم في الرِّخاء والسَّعة ،
 والأمن والدِّعة ، وإياك والاعتدَاء عليهم ومُؤاخاتهم في الحرب وعند استلال
 السُّيُوف ؛ فإنهم يُسَلِّطونك وينهزمون ، ويَحْذُلونك ولا يَنْصُرُونَ . ويقال :
 شَاوِل الفُخْل وخاطِرُهُ ، إِذا هابَتْهُ .

٦٣٥

وقال أبو الأسد^(٢) في الحسن بن رجا^(٣) :

١ - فَلَا نَظَرَنَّ إِلى الجِبالِ وأهلِها وإلى مَنابِرِها بِطَرَفِ أَخْزَرِ^(٤)
 ٢ - ما زِلْتُ تَرَكِبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِماً حَتَّى اجْتَرَأْتُ على رُكوبِ اللَّيْثِ

= الأغانى (١٢ : ٦٩ - ١٣ / ٧٣ : ١٤٤ - ١٤٨) . وفى تاريخ الطبرى
 (٤٢ : ٧) أن هذه الآيات يجب بها زفر بن المارث فى قوله :

أبى الله أما بمعدل وابن محمدا فبينا وأما ابن الزبير فيقتل
 كذبهم وبين الله لا تخطونه ولما يكن يوم أمر عجل
 ومى الخامسة ٢١٥ . انظر ص ٦٤٩ .

(١) التبريزى : « بَقِيسَ فى الطمان » . الطبرى : « فباه بَقِيسَ فى الرِّخاء » .
 (٢) هو أبو الأسد نَباتة بن عبد الله الحناني ، شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل
 الدينور ، وكان طليبا مليح النوادر مدحا خيث الهجاء . الأغانى (١٢ : ١٦٧) .
 (٣) التبريزى : « الحسن بن رجا ابن أبى الضحاک » . وهو أحد ولادة الدولة العباسية
 كان واليا على الجبال ، وكان هذا علما لما بين أسبهان لى زنجيان وقزوين وهمدان والدينور
 وقربهم والرى وما بين ذلك . وهو عن مدحهم أبو تمام ومحمد بن وهيب . الأغانى
 (١٤٢ : ١٧) .

(٤) البيتان مع ثالث برواية أخرى فى البيان (١ : ٢٩٦) بنون لسة .

قوله « بطرفٍ أخزر » تملق الباء منه بقوله فلا نظرن ، والمراد بنظرٍ يميل إلى ناحية ، أى نظري بُنضٍ وشنان ، لسكونه متوكلًا لها . واللفظ : هانت في عيني وصنرت قدرها عندي ، فصرت أتكبرها ، وأبنيض أهلها وكوزها ، ومتواضع الدعوة منها ، مَذَّ حيرت أميرها ومَذَّ برها .
وقوله « ما زلت تركب » ، معناه ظاهر .

٦٣٦

وقال آخر^(١) :

- ١- نَجَّيْتُ مِنَ السَّارِبِ وَالرَّيْحِ قَرَّةً إِلَى ضَوْءِ نَارِ بَيْنِ قَرْدَةٍ وَالرَّحَى^(٢)
 - ٢- إِلَى ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي الْقَدَّ أَهْلُهَا وَقَدْ يَكْرُمُ الْأَضْيَافُ وَالتَّدُّ يَشْتَوِي
 - ٣- فَلَمَّا أَتَوْنَا فَاشْتَكَيْنَا إِلَيْهِمْ يَكُونُوا وَكَلَّا الْحَيْنِ مِمَّا يَدُ بَكَى
 - ٤- بَكَى مُعَوِّزِينَ أَنْ يَلَامَ وَطَارِقُ يَشُدُّ مِنَ الْجُوعِ الْإِزَارَ عَلَى الْخَشَا
- يقول : تَجَبَّيْتُ مِنَ الْمُصِيبَةِ الَّتِي سَرَتْ لِي لَيْلًا إِلَى ضَوْءِ نَارٍ أَوْقَدْتُ فِي مَكَانٍ يَتَوَسَّطُ قَرْدَةَ وَالرَّحَى ؛ وَهِيَ مَوْضِعَان . وَالرَّوَايَةُ لِلتَّحْقِيقَةِ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ : « بَيْنَ قَرْدَةٍ فَالْرَّحَى » ، وَهَذَا هُوَ مَا كَانَ الْأَصْمَعِيُّ يُنْكِرُهُ فِي بَيْتِ اسْمِ الْقَيْسِ ، وَهُوَ :
- * بِسِقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ غُجُولِ^(٣) *

وقد مرَّ القولُ فيه وفي أشباهه^(٤) ، وفي حكم بَيْنٍ ومقتضاه أن الاسم الذي

(١) هو الراعي ، كما ذكر التبريزي . وقد سبقت ترجمته في الخامسة ٨٠ ص ٢٢٥ . قال التبريزي : « ونزل بالراعي النهرى رجل من بني كلاب في ركب معه ليلاً في سنة مجدة وقد حزبت من الراعي إبله ، فنحر لهم ناقة من رواحلهم ، وصبحت الراعي إبله فأعطى رب الناب ناباً مثلها وزادها ناقة ثنية ، فقال ... » .

(٢) التبريزي : « فالرحى »

(٣) صلوه مشهور ، حتى قيل : « أشهر من قبا بك » .

(٤) انظر ما سبق في ص ٧٩٨ ، ١٢٤١ .

يليه يجب أن يكون كاسم الجمع في تناوله أكثر من واحد ، حتى يصح ترتيبُ
الفاء عليه في العطف .

وقوله « والريح قرّة » ، أى تهبّ شمالاً ببردٍ شديد . والواو منه واو الحال .
وقوله « إلى ضوء نار يشترى القِدَّ أهلها » ، أبدلَ إلى ضوء نارٍ ما في البيت
الأوّل بإعادة حرف الجرِّ معه . ويعنى ناراً لقومٍ مضطرينّ إلى شئٍ القِدِّ ، لأنهم أعوزهم ما هو خيرٌ منه .
فصعّبَ وقد استضافهم هؤلاء السّارون ، ثمّ قال : وقد يُكرّم الأضيافُ مع
مجاهدة الفقر ، ومزاولة الضّرِّ ، إذا كان للضيف لطيف الحيلة ، رفيعِ الهمة .

ويقال : شويتُ اللحمَ واشتويتهُ ، فانشوى هو . وحكى سيبويه في بناء
المطاوعة اشتوى أيضاً . ومثله نطّمتُ الشئَ وانتظمتُهُ فانتظمتُ هو .

وقوله « فلما أتونا » يقول : فلما حصلوا عندنا تباثنا وتباكينا ، وكلُّ واحدٍ
من الاثنين شكاً إلى الآخر دهره ، وأنهى إليه في إضافته أمره .

وقوله « بكى مغرور » ، هذا بيان وجهِ العلة في البكاء . يقول : بكى قديرٌ
خفاةً أن يُتهمَ ولا يُصدّقَ ظاهرُ حاله فيما ينطق به من ضرِّه ، وأن تلحق به
اللائمة إذا ذكر واجباتُ ضيقه ؛ والضيقُ الطارقُ بكى لما سته من نائباتِ
دهره ، ولما يظهر من ميساس حاجته ، ويُقيم به المُدر في الملامه ، حتى شدَّ
حشاهُ لخلاء جوفه .

- ٥- فألطفْتُ عيني هل أرى من سميحة ووطئتُ نفسي القرامَةِ والقري
٦- فأبصرْتُها كوثاء ذات عريكة هجاناً مِنَ اللَّائِي تَمْتَعْنَ بالشورى
٧- فأومأتُ إيماء خفيّاً لحبّترِ ولله عينا حَبِترِ أيما فتى
٨- وقلتُ له أليس بآبئسٍ ساقها فإنَّ بغيرِ المُرقوبِ لا يرقُ النسا

قوله « أَلْطَفْتُ عَيْنِي » أى نظرتُ ببنى نظراً لطيفاً ، هل أرى فى إبلِ
المُسْتَضْمِينَ ورواحِلِهِمْ نَاقَةً سَمِيَّةً أَحْمَرُهَا لَمْ ، وَإِذَا رُدَّتْ إِلَى مِيَاهِهَا أَعْوَضَ
صَاحِبُهَا خَيْراً مِنْهَا ، وَأَغْرَمُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَهَا أَرْضِيهِ بِهِ . وَيَقَالُ : أَلْطَفْتُ أَخِي
بِكَذَا ، إِذَا تَخَفْتَهُ بِمَا يُعْرِفُ بِهِ بِرِّكَ وَلُطْفِكَ . وَأَلْطَفْتُ الْأُمُّ بِالْوَلَدِ ، وَأُمُّ لَطِيفَةٌ ،
أَيُّ أَكْرَمَتْهُ وَبَرَّتَهُ .

وقوله « أَبْصَرْتُهَا كَوْماء » ، الكَوْماء : الطَّوِيلَةُ السَّنَامُ الْغَلِيظَةُ ، وَقِيلَ :
الْكَوْمُ : الْعِظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَالْعَرِيكَ : السَّنَامُ إِذَا عَرَكَهُ الْحِجْلُ . وَنَاقَةٌ
عَرُوكٌ : لَمْ يَكُنْ فِي سَنَامِهَا إِلَّا الْبَسِيرُ مِنَ الشَّحْمِ . وَالْهَجَانُ : الْكَرِيمَةُ . وَيَقَالُ :
نَاقَةٌ هِجَانٌ وَتَوْقُ هِجَانٌ . وَقَدْ سَرَّ الْقَوْلُ فِي وَقْعِهِ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ عَلَى صُورَةٍ ^(١) .
وقوله « تَمْتَمُنَ بِالصَّوَى » فَالصَّوَى : الْأَعْلَامُ وَالْهَجَارَةُ . أَيْ رَعَتْ الْخَزْنَ
وَالسَّهْلَ . وَمَعْنَى تَمْتَمُنَ ، أَيْ أَقْنَنَ بِهَا وَيَقِينَ حَتَّى اسْتِمْتَمَنَ . وَيَقَالُ : مَتَعَ
الْمَاءَ الشَّجَرَةَ ، إِذَا أَنْشَاهَا . وَنَحْلَةً مَاتَمَةً ، أَيْ طَوِيلَةً .

ويروى :

..... مِنْ سَمِيَّةٍ تَدَارِكُ فِيهَا نَيَّ عَامَيْنِ وَالْعَصْرَى

وَالنَّيَّ ^(٢) : الشَّحْمُ . وَالْعَصْرَى : حَبَسُ الْإِبِلِ فِي الرَّغْيِ ^(٣) ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمَاءُ الَّذِي
قَدْ طَالَ إِقْتَاعُهُ فِي مَوْضِعٍ : الْعَصْرَى . وَيُرْوَى : « وَالصَّوَى » ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ
إِلَيْهَا وَالْإِبْقَاءُ عَلَيْهَا .

وقوله « فَأَوْمَاتُ إِعَاءَ خَفِيًّا خَلْبَتِرٍ » خَلْبَتِرٌ : اسْمُ ابْنِهِ ، وَإِنَّمَا رَسَمَ لَهُ

(١) انظر ما سبق فى ص ٩٤ .

(٢) النى ، بفتح النون وكسرهما ، وضبط فى التسخين بالفتح ، وما لثان فيه .

(٣) الرمى ، بالكسر : الكلاً والرعى . وفى ل : « للرعى » .

عَرَفْتَهَا فِي السَّرِّ بَعْدَ أَنْ اخْتَارَهَا مَخَافَةً أَنْ يَمْتَنِعَ صَاحِبُهَا مِمَّا هُمْ بِهِ فِيهَا . وَقَوْلُهُ « عَيْنَا حَبْتَر » اعْتِرَاضٌ . وَانْتَصَبَ « أَيْضًا فَتَى » عَلَى الْحَالِ ، كَأَنَّهُ أَخَذَهُ حِينَ حَسُنَتْ فَعِلَتُهُ وَتَسَرَّعَ إِلَى مُرَادِهِ . وَيُقَالُ : مَرَدْتُ بِرَجُلٍ أَيْ رَجُلِي ، فَتَجَمَّلَهُ صِفَةً لِلتَّكْرَةِ ؛ وَبَزِيدُ أَيْ رَجُلٌ ، فَيَصِيرُ حَالًا لِلْعُرْفَةِ . وَعَلَّقَ اللَّدَحَ بَيْنِيهِ ، لِأَنَّهُ بِهِمَا أَدْرَكَ إِيمَاءَهُ . وَإِذَا عَظَّمُوا الشَّيْءَ نَسَبُوا إِلَيْكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وقوله « أَلَمِصْ بِأَبْيَسِ سَاقِيهَا » الْأَبْيَسُ : مَا قَلَّ عَلَيْهِ اللَّحْمُ مِنَ السَّاقِ وَغَيْرِهَا . وَالصِّيفُ أَعْلَى فِيهِ . وَقَوْلُهُ « فَإِنْ يُجِيرُ الْمُرْقُوبُ » الْمُرْقُوبُ : عَقَبٌ مُؤْتَرٌّ خَلْفَ الْكُتَمِيِّينَ فُوقَ الْعِقَبِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَهُوَ مَوْصِلُ الْوُظُفِ وَالسَّاقِ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ . وَالْمَعْنَى : أَصِيبْ سَاقَهَا فَإِنَّ الْمُرْقُوبَ إِنْ أَمْسَكَ التَّلَافِي مِنْهُ بِالْجُرِّ وَالْعِلَاجِ وَالشَّدِّ ، فَإِنَّ نَسَاهُ لَا يَنْقَطِعُ الدَّمُ مِنْهُ ، فَصَاحِبُهَا يَتَّقِي مِنْهَا عِنْدَ ذَلِكَ . وَالْمَعْنَى : اضْرِبْهَا ضَرْبَةً لَيْسَ فِي الْبَرِّ مِنْهَا مَطْمَعٌ ، لِيَرْضَى صَاحِبُهَا بِالتَّمَوُّيْضِ مِنْهَا ، وَيَسْتَقِيمَ أَمْرُ الضَّيْفِ وَالضِّيَافَةِ ، وَإِنْ لَحِقْنَا غُرْمُ فِيهَا .

٩ - فَأَعْجَبْنِي مِنْ حَبْتَرٍ إِنْ حَبْتَرًا مَضَى غَيْرَ مَنْكُوبٍ وَمُنْصَلٍّ ائْتَضَى

١٠ - كَأَنِّي وَقَدْ أَشْبَقْتُهُمْ مِنْ سَنَامِهَا جَلَوْتُ غِطَاءَهُ عَنْ فَوَادِي فَانْجَلَى

١١ - فَيَنْتَازُوا بِاتِّ قَدَرْنَا ذَاتَ هَرَّةٍ لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَالَا وَمُضْطَلَى

قوله « غير منكوب » ، أى غير مدفوع في صدره . ويقال : حافرٌ منكوب ونكيب ، إذا أثر فيه ما يبطؤه من حصي أو حجر . وقوله « وَمُنْصَلٍّ ائْتَضَى » أى جَرَدَ سيفه . وانتصب مُنْصَلٍّ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ . وقوله « جَلَوْتُ غِطَاءَهُ » ، يقول : كُنْتُ مِنْهَا قَلَقًا ، فَلَمَّا شِعْمُوا مِمَّا أَعْدَدْتُ لَهُمْ وَتَمَحَّلَتْ مِنْ أَجْلِهِمْ سَكَنَتْ فَكَأَنَّهُ كَانَ عَلَى قَلْبِي غِطَاءٌ مِنَ التَّمَرَانِ عَلَيْهِ ، فَأَجْبَلِي وَذَهَبَ .

وقوله « فَيَنْتَازُوا بِاتِّ قَدَرْنَا » خبرُ بَيِّنَاتِهِ قَوْلُهُ « لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَالَا » ،

وشوآء ارتفع بالابتداء . يريد : بَنَيْنَا لَنَا قَبْلَ مَا أُودِعَ الْقَدْرُ شَوَاءً واصطلاء بالنار ، كأنه طال عليهم انتظار القدر ، فعمد إلى أطيب الجزور وشوى . وقوله « ذَاتَ هَزَّةٍ » خبر بانت قدرنا ، أى لها هز ز بالقلبان . ويجوز أن يريد : لقدّر اللحم فيها اهتزاز واضطراب ، كما قال :

* قُرْشِيَّةٌ يَهْزُ موكبها *

وهذا الذى اقتصه من حاله وحالم ، بيان اهتمامه بأمر الضيف وحسن التأني في تفقده .

١٢ - وَأَصْبَحَ رَاعِيْنَا بُرَيْثَةً عِنْدَنَا بِسِتَيْنَ أَقْبَتَا الْأَخِلَّةَ وَالْخَلَا

١٣ - قَدَلْتُ رَبَّ النَّابِ خُذْهَا نَيْفَةً وَنَابٌ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي الْحِيَا

يقول : أصبَحْنَا وَرَاعِيْنَا بُرَيْثَةً رَدَّ إِلَيْنَا مِنْ مَرَطَاهَا ، وَهِيَ سِتُونَ قَدْ أَقْبَتَا

— أَى جَعَلَ لَهَا نَفِيًّا — الْأَخِلَّةَ ، وَهِيَ جَمْعُ خِلَالٍ ، وَهُوَ مَا اخْتَلَّ وَاجْتَزَّ مِنْ

الْعُشْبِ وَهُوَ أَخْضَرُ . وَالْخَلَا : الرُّطْبُ . وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْمَانِي : لَا يُقَالُ

أَنْقَتِ النَّافَةَ ، إِذَا سَمِنَتْ ؛ وَلَكِنْ لَمَّا سَمِنَ مِنَ الْحَشِيشِ ، وَكَانَ الْحَشِيشُ وَالْخَلَا

سَبَبَ سَمِنَتْهَا جَعَلَ الْفِعْلُ لَهَا عَلَى سَمَةِ الْكَلَامِ ، وَالْأَصْلُ أَقْبَتُ هِيَ . قَالَ :

لَا يَشْكِكُنِ أَلْمَا مَا أَنْقَيْنَ مَا دَامَ مُخٌّ فِي سَلَامِي أَوْ عَيْنٍ^(١)

وَقَالَ غَيْرُهُ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَنْقَى هَاهُنَا مُعْدَى ، وَيَكُونُ عَلَى غَيْرِ

مَا فَسَّرْتُمُوهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ يُقَالُ : أَنْقَيْتُهُ فَأَنْقَى ، كَمَا يُقَالُ : أَمْلَأْتُ الدَّرَاهِمَ فَأَمْلَأَتْ

هِيَ^(٢) . وَالْمَعْنَى سَمِنَتْهُ وَجَعَلَتْ لَهُ نَفِيًّا فَسَمِنَ وَاحْتَمَلَ .

قَالَ الْبَرْقِيُّ : الرَّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ عِنْدِي : « أَقْبَتَا الْأَخِلَّةَ » ، أَى أَقْبَتَا عَلَى

الْبَرْدِ وَالْجَدْبِ ، لِأَنَّا كَفَّنَاهَا وَخَلَيْنَا لَهَا . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ : « الْأَجِلَّةُ » بِالْجِيمِ .

(١) الرجز لأبي ميسون الضر بن سلمة ، كما في اللسان (نقي) . وانظر مقاييس اللغة (١ : ٢٠٦) .

(٢) أى صارت مائة .

قال : ويقال : جُلٌّ وِجَالٌ وأَجَلَّةٌ ، أى لم ندعها ولم نهملها ، بل أَلَبَّسناها وتقَدَّناها .

وقوله « وقلتُ لربِّ الناب خُذْهَا نِزِيَّةً » ، أى حَكَمْتُ صاحبَ النابِ التى عَقَرْتُهَا فى أن يختار من إِبِلِي نِزِيَّةً على ما يشتهيهِ ، وتصطفيه عينه وتنقيهِ ، وقلتُ مُضِيْعاً إلى العِوضِ الواجبِ له : لك علينا نابٌ مثل نابِكَ فى السَّمَنِ . والحيا من باب ما سَمِيَ باسمٍ غيره إذ كان منه بسبب . فالحيا : المطر ، لأنه يُحْيِي العباد والبِلاد ، ثم يَسَى النَّبْتُ حَيًّا لأنه بالمطر يكون ، وَيُسَمَّى الشَّعْمُ حَيًّا لأنه من النَّبْتِ يكون . وهذا البابُ كثيرٌ واسع ^(١) .

٦٣٧

فقال فى [ذلك ^(٢)] خَزَرُ بن أَرَقَم ^(٣) :

- ١ - بَنِي قَطَنِ مَا بَالُ نَاقَةٍ ضَيْفِكُمْ تَعَشُّونَ منها وفى مُلْقَى فُتُوْدُهَا
 - ٢ - عَدَا ضَيْفُكُمْ يَمْشِي وَنَاقَةٌ رَحَلُهُ عَلَى طُلُبِ الْفَقَسَاءِ مُلْقَى قَدِيدُهَا
 - ٣ - وَبَاتَ الْكِلَابِيُّ الَّذِي يَنْتَقِي الْقَرَى بَلِيلَةً نَحَسٍ غَابَ عَنْهَا سُعُودُهَا
- أَخَذُوا سَائِلُهُمْ عَمَّا عَرِّمَ بِهِ تَهْكُكَا [وسُخْرِيَّة ^(٤)] . ومعنى الكلام الإنكارُ .
يقول : لِمَ تَعَشُّونَ من نَاقَةٍ ضَيْفِكُمْ ؟ وكيف اسْتَجَزْتُمْ ذلكَ حقى صارت قد

(١) التَّكَلُّفُ من ل والتَّبَرُّزُ ، وهذا نص على علاقة هذه الأبيات بسابقتها .

(٢) قال التبريزي فى آخر شرحه لهذه القصيدة : « وليس هذا من المَجْزُوعِ شئ » ، وإنما أوردته أبو تمام لما يقيمه من قصيدة خنزَر بن أَرَقَم .

(٣) كذا فى نسخة الأصل . وفى ل التبريزي « أَرَقَم » وأشير فى ل إلى أنه فى نسخة « أَرَم » . وخنزَر ، قال التبريزي : « واسمه الحلال ، وهو أحد بنى بدر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن تميم . والراعى من بنى قطن بن ربيعة » ، فهما بنو عجمية . وقد سبقت ترجمة الراعى فى المحاسنة ٨٠ ص ٢٧٥ .

(٤) التَّكَلُّفُ من ل .

أَلْتَقَى قَتُودُهَا وَهِيَ مَطْبُوخَةٌ مَا كَرُولَةٌ ؟ وَالْقَتُودُ لَا وَاحِدَ لَهَا عِنْدَ أَصْحَابِنَا
الْبَصْرِيِّينَ . ثُمَّ قَالَ مَقْبُحًا الصَّوْرَةَ : ابْتَكَّرَ ضَيْفُكُمْ عِشَى وَرَاحِلَتُهُ قَدْ نُحِرَتْ
وَقُدِّدَتْ لِحَوْمِهَا ، وَكُتِّمَتْ عَلَى طَنْبِ الْفَقَاءِ . وَهَذَا تَفْطِيعٌ لِلشَّأْنِ . وَالطَنْبُ :
حَبْلٌ مِنْ حَبَالِ الْخَيْمَةِ . وَالْفَقَاءُ ، يَعْنِي بِهَا امْرَأَةُ الرَّاحِي ، لَقَّبَهَا بِذَلِكَ .

وَقَوْلُهُ « وَنَاقَةُ رَحْلِهِ » ، رَوَاهَا النَّضَلُ : « وَنَاقَةُ رَجُلِهِ » ، كَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ
غَدًا ضَيْفُكُمْ عِشَى ، قَالَ : وَنَاقَةُ رَجُلِهِ ، يَرِيدُ النَّاقَةَ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُ رَجُلَهُ .
وَمَنْ رَوَى : « وَنَاقَةُ رَحْلِهِ » لَهُ أَنْ يَقُولَ : كَمَا قَالَ ^(١) : وَهِيَ مُلْتَقَى قَتُودُهَا ، قَالَ :
وَنَاقَةُ رَحْلِهِ ، أَيْ الرَّاحِلِ الْمُلْتَقَى .

وَقَوْلُهُ « وَبَاتَ الْكِلَابُ » يَعْنِي بِهِ بَاتَ لِلْمُسْتَضِيفِ الطَّالِبُ لِقَرَى عِنْدَكُمْ
بِلَيْلَةٍ شَوْمٍ قَدْ فَارَقَهَا الشُّعُودُ ، لِأَنَّكُمْ غَضِبْتُمْ نَاقَتَهُ ، وَلَمْ يَنْلِ الْقَرَى عِنْدَكُمْ .
٤ — أَمِنْ يَنْقُصُ الْأَضْيَافَ أَكْرَمُ عَادَةٍ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَمْ مِنْ يَزِيدُهَا
٥ — كَأَنَّكُمْ إِذْ قُتِمُ تَنْحَرُوهَا بَرَازِينَ مُشْدُودٌ عَلَيْهَا لُبُودُهَا
٦ — فَمَا فَتَحَ الْأَقْوَامُ مِنْ بَابِ سَوَاءٍ بَنَى قَطَنَ إِلَّا وَأَتَمَّ شُهُودُهَا
يَقْرُرُ عَلَى تَقْيِيحٍ مَا كَانَ مِنْهُمْ ، فَيَقُولُ : خَبَّرُونِي أَيُّ الْمَادَنِينَ أَقْرَبُ إِلَى
الْكُرَمِ ، وَآخَرَنِي ^(٢) فِي وَفَاءِ الشَّيْمِ : أَعَادَةُ مَنْ يَسْتَنْزِلُ الْأَضْيَافَ عَنْ أَمْوَالِهِمْ
وَيَنْقُصُ مَا تَوَفَّرَ لَهُمْ ، أَمْ عَادَةُ مَنْ يَزِيدُهُمْ وَيُسَرُّ حَقْلُونَهُمْ .

وَقَوْلُهُ « عَادَةٌ » اتَّصَبَ عَلَى التَّمْيِيزِ . وَإِذَا نَزَلَ ظَرْفُ قَوْلِهِ « أَمِنْ يَنْقُصُ
الْأَضْيَافَ » . وَكَرَّرَ لَفْظَ الْأَضْيَافِ وَلَمْ يَأْتِ بِالضَّمِيرِ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي تَكَرُّرِ
الْأَعْلَامِ وَالْأَجْنَاسِ ، وَقد مضى مثله .

وَقَوْلُهُ « كَأَنَّكُمْ إِذْ قُتِمُ تَنْحَرُونَهَا بَرَازِينَ » شَبَّهَهُمْ فِي التَّجَزُّعِ وَالثَّقَلِ وَقِلَّةِ

(١) ل : « لَمَّا قَالَ » .

(٢) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَسْل : « أَجْرَى » بِالْجِيمِ .

النَّاءِ ، والتباطؤ والبلادة ، بالبراذين . وهم يضرُّونها مثلاً للذموم . وجعلها قد
شدَّت اللُّبودُ عليها تقييحاً لصورها .

وقوله « فَاَفْتَحَ الْأَقْوَامَ مِنْ بَابِ سَوَاءٍ » ، يريد : لا يسبقُ طوائفُ
الناسِ وفِرَقُهُمْ إلى خَصْلَةٍ مذمومة أو سَوَمَةٍ مشوهة منكِّرة ، إلاَّ وبنو قُطَيْنِ
حضورُها ؛ أى لا يمكن الإغراب في المخازى عليهم ، لأنَّهم السابقون في البَذَارِ
إلى كلِّ عار ، والأولون عند الولوج في كلِّ باب ، والهاضرون لكلِّ
نُكْرٍ وعاب .

٦٣٨

فَأَجَابَ الرَّاعِي^(١) :

- ١ - ماذا ذكركم من قُلُوبٍ عَقَرْتَهَا بِسَيْفِي وَضِيْفَانُ الشَّتَاءِ شُهُودُهَا^(٢)
 - ٢ - قَدْ عَلِمُوا أَنِّي وَقَيْتُ لِرَبِّيهَا فَرَأَحَ عَلَى عَنَسٍ بِأَخْرَى يَقُودُهَا
 - ٣ - قَرَيْتُ الْكِلَابِيَّ الَّذِي يَبْتَنِي الْتَرَى وَأَمَّا إِذْ تَخْدِي إِلَيْنَا فَعُودُهَا^(٣)
- الرواية الجيدة : « ماذا نكركم » . ويقال : نَكِرْتُ الشَّيْءَ ، وأنكرته
واستنكرته بمعنى . فأنا « ذكركم » فراهه ماذا عيَّرتُم فذكركم من ناقةٍ
لتبري عقرتها حين عَرَبْتُ إبلِي لِضِيْفَانِ الشَّتَاءِ بِمَحْضَرْتِهِمْ ، وجرأى منهم . وقد
جرى رسمُ الْكِرامِ بمثل ذلك إذا دَعَتِ الْحَالُ إِلَيْهِ ، موطنين أنفسهم للقرامة ،
وردَّ الاثنينِ بدلَ الواحدِ على الضَّمِّ فيه .

وقوله « قَدْ عَلِمُوا » يستشهد بالضيفان فيقول : حضروا وتيقنوا أني وقَّيتُ

(١) سبق ترجمته في الجلسة ٨٠ ص ٢٧٥ .

(٢) التبرزي : « وروى : من كزوم عقرتها » . والكزوم : الناقة للسنة التي
مفرها الأعلى أطول من الأسفل » .

(٣) التبرزي : « يحدى إلينا »

لربها بمثلها وزدته أخرى ، فراح راكباً إحداهما وقائداً الأخرى معها . ثم اقتصر مادعاه إليه فقال : قَرَيْتُ الْكِلَابِيَّ الْبَيْتِيَّ الْقَرِيَّ وَقَرَيْتُ أُمَّكَ ، يعني أُمَّ خَنْزَرِ بْنِ أَقْرَمَ ^(١) الْمُعَيَّرَ لِلْمُسْكِرِ . وَالْخَدْيُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ . وَالْقَعُودُ : الْبَكْرُ إِذَا بَلَغَ الْإِنْتَاءَ ؛ وَالَّذِي يَقْتَعِدُهُ الرَّاعِي فَيَرْكَبُهُ وَيَحْمِلُ زَادَهُ عَلَيْهِ قَعُودٌ أَيْضاً . وَفِي ذِكْرِ الْأُمِّ وَأَنَّهُ أَضَافَهَا مَعَ الْكِلَابِيَّ بِمَعْنَى النَّصِّ وَالْإِيْهَامِ .

٤- رَفَعْنَا لَهَا نَارًا تَنْقُبُ الْقَرِيَّ وَلِقَعَةً أَضْيَافٍ طَوِيلًا رُكُودَهَا
٥- إِذَا أُخْلِيَتْ عُودُ الْهَيْشِمَةِ أُرْزَمَتْ جَوَانِبُهَا حَتَّى نَبَيْتَ نَذْرُودَهَا
٦- إِذَا نُصِبَتْ لَطَّارِقِينَ حَسِبَتْهَا نَعَامَةً حِرْزَاءَ تَقَاصَرَ جِيدُهَا
يُروى : « رَفَعْنَا لَهَا مَشْبُوبَةً يَهْتَدِي بِهَا » . وَمَعْنَى « تَنْقُبُ » تُذَكِّي وَتَضَاءُ . وَقِيلَ : الْكُوكَبُ الثَّاقِبُ وَالْحَسْبُ الثَّاقِبُ ، لِلضَّوِّ وَالنَّارِ . وَمَعْنَى « الْقَرِيَّ » لِإِقَامَةِ الْقَرِي ، وَ « اللَّقَعَةُ » يَرَادُ بِهِ الْقِدْرُ هَاهُنَا ، وَأَصْلُهُ فِي النَّاقَةِ الْكُلُوبُ . وَجِيلُ رُكُودَهَا طَوِيلًا لِثِقَلِهَا وَكِبَرِهَا ، وَلِأَنَّهَا لَا تُنْزَلُ ^(٢) إِلَّا لِلْمَسَلِ ثُمَّ تُعَادُ . وَالْجَفْنَةُ الرَّكُودُ : الثَّقِيلَةُ الْمُتَمَلِّتَةُ .

وقوله « إِذَا أُخْلِيَتْ » أَيُ جِيلِ الْحَطَبِ لَهَا بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ ، فَهُوَ لَهَا كَالْوَلَدِ ، وَهِيَ لَهُ كَالنَّاقَةِ الْخَلِيَّةِ ^(٣) ، وَهِيَ الَّتِي تَمْلِطُ عَلَى وَلَدِهَا وَتَرَأُّهُ . وَالْهَيْشِمَةُ : الْيَابِسُ مِنَ الشَّجَرِ وَغَيْرِهِ . وَأُرْزَمَتْ : صَاحَتْ بِقَلْبَانِهَا ، لِكِبَرِهَا ، حَتَّى نَبَيْتَ نُسْكُنَ مِنْهَا . وَإِذَا نُصِبَتْ عَلَى الْأَثَافِي لَزَّوَارِ الْقِيلِ — يَعْنِي الْأَضْيَافَ — حَسِبَتْهَا لِإِسْرَافِهَا نَعَامَةً حِرْزَاءَ . وَالْحِرْزَاءُ ^(٤) : الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ الْمُرْتَفَعَةُ . شَبَّهَ الْقِدْرَ

(١) ل : « أَرَقَم » ، وَقَدْ سَبَقَ التَّنْبِيْهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَمْرُكٌ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٣) الْبَهْرِيْزِيُّ : « إِذَا أُخْلِيَتْ ، أَيُ جِيلِ الْحَطَبِ لَهَا بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ فَأَوْقَدَ نَحْنَهَا .

وَيُروى : إِذَا أُخْلِيَتْ ، أَيُ جِيلِ الْحَطَبِ لَهَا بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ ، فَهُوَ لَهَا كَالْوَلَدِ وَهِيَ لَهُ كَالنَّاقَةِ الْخَلِيَّةِ » .

(٤) هِيَ جَمْعُ حِرْزَاءَةٍ .

بالنعامة ، لأنها تُكْثِرُ رَفْعَ رَأْسِهَا وَوَضْعَهُ ، لِجُبْنِهَا وَنُفُورِهَا ، فَكَذَلِكَ الْقِدْرُ تَرْفَعُ اللَّحَالَ وَتُخَفِّضُهَا ، لِشِدَّةِ غَلِيَانِهَا . وَقَالَ « تَقَاصَرَ جِيدُهَا » لِتَبَيَّنِ وَجْهَهُ التَّشْبِيهِ مِنْهُ وَيَصَحُّ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ ^(١) :

* غَضُوبٌ كَحَيَومِ النَّعَامَةِ أَحْشَتْ ^(٢) *

٧ - تَبَيَّنَتْ لِلْحَلَالِ الْفَرْقُ فِي حَجَرَاتِهَا شَكَارَى مَرَاهَا مَاوْهَا وَحَدِيدُهَا

٨ - بَشَنَّا إِلَيْهَا لِلنَّزَلَيْنِ فَعَاوَلَا لَكِنِّي يُنْزِلَاهَا وَهِيَ حَامٍ حَيُودُهَا

٩ - فَبَاتَتْ نَمْدُ النُّجْمِ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيحٍ بِأَيْدِي الْأَكِلِينَ جُودُهَا ^(٣)

الْحَلَالُ : قَرَّرَ الظَّهْرَ ، وَالوَاحِدَةُ مَحَالَّةٌ . وَجَعَلَهَا غُرًّا لِسِمَنِهَا . وَالْحَجَرَاتُ :

النُّوْحَى ، وَجَعَلَهَا شَكَارَى لِامْتِلَائِهَا وَدَكَاً . وَيَقَالُ : شَاةٌ شَكِرَةٌ ، إِذَا

كَانَتْ غَزِيرَةَ الْحَمِّ ، وَضَرَّةً شَكَرَى ، أَيْ مَمْلُوءَةً . وَشُكْرُ النَّمِّ مِنْ ذَلِكَ ،

لأنَّهُ بِهِ تُسْتَدَامُ وَتُتَقَرَّى الزَّيَادَةُ ^(٤) . وَيُرْوَى : « سَكَارَى » بِالسِّينِ غَيْرِ مَعْجَمَةٍ ،

وَالرَّادُ مِثْلُ ذَلِكَ لِأَنَّ الشُّكْرَ مِنَ الْامْتِلَاءِ يَكُونُ . وَمَعْنَى مَرَاهَا اسْتِخْرَاجُ

دَسَمِهَا . مَاوْهَا ، أَيْ مَرَقَتْهَا . وَحَدِيدُهَا أَيْ مَفَرَقَتْهَا .

وَقَوْلُهُ « بَشَنَّا إِلَيْهَا لِلنَّزَلَيْنِ » إِنَّمَا تَنَبَّأَ لِيُرَى أَنَّ الْوَاحِدَ لَا يُطِيقُهَا وَلَا يَنْهَضُ

بِحَمْلِهَا لِثِقَلِهَا . وَاللَّامُ مِنْ قَوْلِهِ « لَكِنِّي يُنْزِلَاهَا » يَحْمِزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ بَشَنَّا ،

(١) حُو الْفَرْزَقُ ، كَأَنَّ فِي الْحَيَوَانَ (٣٣٢ : ٤) وَمَا سَبَّأَنِي فِي الْحَالِيَةِ ٧٠٣ .

(٢) عَجْزُهُ : * أَجْذَلُ خَشَبٍ زَالَ عَنْهَا مَشِيمُهَا *

(٣) يَلْمِزُهُ عِنْدَ التَّبَرُّزِ :

فَلَمَّا سَقَيْنَاهَا التَّكْيِسَ تَمَلَّاتْ مَذَاخِرُهَا وَارْفَضَتْ رَشْحًا وَرِيدُهَا

وَلَمَّا قَضَتْ مِنْ ذِي الْإِنَاءِ لُبَانَةً أَرَادَتْ إِلَيْنَا حَاجَةً لَا نَزِيدُهَا

وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ مِنْهَا مَنْسُوبٌ إِلَى السَّانِ (عَكْسٌ) إِلَى أَبِي مَنْظُورِ الْأَسَدِيِّ . وَالْمَكْيِسُ : الْحَلِيبُ تَصَبُّ عَلَيْهِ الْإِهَالَةُ وَلِلرَّقِ تَمُّ يَغْرِبُ .

(٤) ابْنُ جَنِّي فِي التَّغْنِيَةِ : « وَالشُّكْرُ مَوْضِعُ زِيَادَةِ الْفُظِّ الْإِطْلَابِ فِي حَسَنِ الْقَوْلِ ... وَمِنْهُ الْعَكْبَرُ لِمَصَارِ الْوَرَقِ وَالرِّيشِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ زِيَادَةٌ عَلَى الْجِسْمِ » .

كَأَنَّهُ قَالَ : بَعَثْنَا الْمُرَّيَيْنِ إِلَيْهَا لِكَيْ يُزِيلَاها غُفْلَاهُ ، وَحَذَفَ مَفْعُولَ حَاوَلَ . وَكَتَبَ هَذِهِ النَّاصِبَةَ لِلْقَمَلِ ، لِذَلِكَ دَخَلَهَا اللَّامُ الْجَارَةُ . وَالْحَاوَلَةُ : مَطَالِبَةُ الْأَمْرِ بِالْحَيْلِ ، وَبِحُجُوزِ أَنْ يَتَمَلَّقَ بِحَاوَلَا . وَالْحَيُودُ : الْجَوَانِبُ ، أَيْ إِذَا أَرَادَا إِنْزَالَهَا وَفِي جَوَانِبِهَا بَشَدُ حَيٍّ ، اسْتِمْجَالًا .

وقوله : « فَبَانَتْ تَعَدُّ النُّجُومِ » إخبار عن أم خنزب بن أقرم^(١) . وللمستحيرة : الْمُتَحِيرَةُ لَا مَتَلَأُهَا . أَيْ فِي سَرَقَةٍ أَوْ قَدِيرٍ قَدْ تَحَيَّرَتْ ، فَهِيَ مِنْ صِفَاتِهَا وَكَثْرَةِ دَسِيمِهَا تَرَى فِيهَا نُجُومَ السَّمَاءِ . وَقِيلَ : شَبَّهَ الرَّاعِي التَّفَاعَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى رَأْسِهَا مِنْ كَثَرَةِ الدَّسَمِ بِالنُّجُومِ ، وَبِحُجُوزِ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنْ هَذِهِ الْقَدَرُ سَرَقَتُهُ الشَّانُ ، عَالِيَةُ الْأَمْرِ ، فَأَمَّا كَانَتْ تَعَدُّ النُّجُومَ فِيهَا لِمَا أُطْعِمَتْ مِنْهَا كَأَنَّهَا بَلَفَتْ النُّجُومَ فِي عُلُوقِهَا ، لِأَنَّهَا لَمْ تَرَ مِثْلَهَا قَطُّ^(٢) . وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ عِنْدِي ، لِيَكُونَ قَدْ غَضَّ مِنْ أَمِّهِ جِزَاءً عَلَى مَا قَالَهُ وَأَنْكَرَهُ . وَقَوْلُهُ « حَيُودُهَا » ارْتَفَعَ بِحَاوَلٍ ، وَكَذَلِكَ « حَيُودُهَا » ارْتَفَعَ بِسَرِيعٍ . وَبِحُجُوزِ أَنْ يَرُودَ : « سَرِيعٌ » بِالرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لِلْمَبْتَدِئِ وَقَدْ قَدَّمَ عَلَيْهِ ، وَلِلْبَتْدَاءِ حَيُودُهَا .

٦٣٩

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدَ :

- ١- دَبَبَتْ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَّفُوا جَهْدَ النُّفُوسِ وَالْقَوَا دُونَهُ الْأَزْرَا
- ٢- فَكَبَّرُوا لِلْمَجْدِ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبَرَا

(١) فِي هَذِهِ اخْتَفَتِ النَّفْسَانِ . وَانْظُرِ الْمَاشِيَةَ الْأُولَى لِهَذِهِ الْحَاسِبَةِ .
(٢) قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَمْرِيُّ : « لَا يَحُجُوزُ أَنْ يَكُونَ النِّجْمُ هُنَا إِلَّا التَّرْيَا ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي الْبَيْتِ خَيْفَةً لَمْ يَخْرِجْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - مَعْنَى الْفَرَى - وَذَلِكَ أَنَّ التَّرْيَا لَا تَكَادُ تَرَى فِي قَرَارِ الْجَفْنَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَوَانِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَمَرُ الرَّأْسِ ، وَلَا يَكُونَ قَمَرُ الرَّأْسِ إِلَّا فِي صَمِيمِ الْفَتَاةِ ، وَقَالَ حَيْثُ : أَفْسَرَ النِّجْمَ ... وَقَوْلُهُ تَعَدُّ النِّجْمَ ، أَيْ لَصْنًا الْوَدَّ فِي الْجَفْنَةِ تَعْرِفُ عِدَدَ التَّرْيَا فِيهَا . وَهَذَا مَعْنَى طَبِيعٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ نِجْمَ التَّرْيَا لَا تَكَادُ يَمْلِكُ إِلَّا ذُو بَصَرٍ حَدِيدٍ ، وَلَقَدْ يَقُولُ الْقَائِلُ : إِذَا مَا التَّرْيَا فِي السَّمَاءِ تَمَرَضَتْ بِرَأْسِهَا حَدِيدَ الْعَيْنِ سَبْعَةَ أَتْنِمْ .

٣- لَا تَحْسَبِ الْجِدَّ نَمْرًا أَنْ يَكُلَهُ لَنْ تَبْلُغَ الْجَدَّ حَتَّى تَلْقَى الصَّبْرَ يقول : نباطأ سَعْيُكَ لِلجِدِّ ، وَلَمَّا سَمِعْتَ كَانَ سَعْيُكَ دَيْبًا وَطَلَّابُ الجِدِّ قَدْ جَهَدُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَأَلْقُوا الْأَزْرَ دُونَهُ ، تَخْفِيفًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَتَشْهِيرًا فِي طَلِبِهِمْ ، وَهَذَا مِثْلُ . وَالْمُرَادُ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ السَّاعِي فِي سَعْيِهِ إِذَا طَلَبَ شَيْئًا مِنَ التَّجَرُّدِ وَالتَّخَفُّفِ لِيُذَرِّكَ مَطْلُوبَهُ [قَدْ فَعَلُوهُ ^(١)] . ثُمَّ أَخَذَ بِفَصْلِ مَجْهُودِهِمْ مِنْ بَعْدُ ، فَقَالَ : كَابَرُوا الْجِدَّ ، أَيْ جَاهَدُوهُ لِيَبْلُغُوهُ قَسْرًا لَا خَتَلًا ، فَمَنْ صَبَرَ وَأَوْفَى نَالَهُ وَاحْتَوَاهُ ظَافِرًا بِهِ ، مَعَانِيًا لَهُ ، وَمَنْ مَلَّ وَقَصَرَ - وَمِنَ الْأَكْثَرِ - خَابَ وَأَخْفَقَ وَرَجَعَ نَادِمًا لَا هِيََا عَنْهُ .

وقوله « لَا تَحْسَبِ الْجِدَّ » تَفْرِيعٌ ، وَالْمُرَادُ : لَا تَنْظُنَّ الْجِدَّ يُدْرِكُكَ بِالسَّعْيِ التَّصْعِيرِ ، وَاسْتِعْجَالِ التَّمْذِيرِ ، وَعَلَى مَلَازِمَةِ الرَّاحَةِ دُونَ تَوَطُّيَةِ النَّفْسِ عَلَى الْكَدِّ الشَّدِيدِ وَالْجَاهِدَةِ ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُنَالُ إِلَّا بِتَجَرُّعِ الْمُرَارَاتِ دُونَهُ ، وَاقْتِحَامِ الْعَاطِبِ بِسَبَبِهِ . وَيُقَالُ : لَمَعَتِ الصَّبْرَ لَمَعًا . وَاسْمُ مَا يُلْقَى هُوَ اللَّعُوقُ .

٦٤٠

وَقَالَ آخِرُ :

- ١- وَمُسْتَعْجِلٍ بِالْحَرْبِ وَالسَّلْمُ حَظُّهُ فَلَمَّا اسْتَدْبَرَتْ كُلٌّ عَنْهَا عَافِرُهُ
 - ٢- وَحَارِبٍ فِيهَا أَمْرِي حِينَ كَثُرَتْ مِنَ الْقَوْمِ مِجْبَازٍ لِيُثِمَّ مَسَاكِيرُهُ
 - ٣- فَأَعْطَى الَّذِي يُعْطَى الذَّلِيلُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سَعْيٌ صِدْقٍ قَدَمَتُهُ أَكَابِرُهُ
- يُقَالُ : اسْتَعْجَلَ بِالشَّيْءِ ، إِذَا طَلَبَ عَجَلَتَهُ وَلَمْ يَصْبِرْ إِلَى وَقْتِهِ وَإِنَاءِهِ . فَيَقُولُ : رَبِّ أَمْرِي يُعْجِلُكَ فِي هَيْجِ الْحَرْبِ لَهُ ، وَنَصَبِ الشَّرِّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، فَتَرَاهُ يَرْتَقِي فِي الْإِيذَاءِ وَالْكَاشَفَةِ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْقَصْدِ ، وَحَظُّهُ فِي أَنْ يُسَالِمَ ،

لكنه بسوء تأنيه ونقص اختياره ، أتى لنفسه إلا تعريضها لما يستوخم عاقبته ، ويتجمل شره ، فلما هيئت الحرب له وأجيب في إثارته ، وإيقاد نائرتها ، إلى مراده منها ، تجز فيها عن الإيفاء والاستيفاء ، وكل عن مباشرة الورد والصدور ، واستعان فيها برجل ركاب لرواحل التجز ، لئيم للكسر والختبر ، ضيق المعن والمزك ، ومعنى به نفسه ، وهذا كما يقال : إذا لقيتني لقيت بني قرناً بأسلا . ومعنى بالقرن نفسه . وقوله « حين ثمرت » يريد حين كشفت الحرب عن ساقها ، وأبدت أهازجها وهوايتها ، ففعل فعل الدليل ، وأعطى من الاقياد ما يعطيه الضعيف الفريد ، ولم يكن سفيه سعيًا مصدوقًا فيه ، ولا وقوفه وإساره إسارًا يُذكر له ، ففراة عند الأمائل من جملة الأراذل ، وعند طلاب الخير مقبحا في الشر . ومعنى « قدمت أكا بره » أسلافه وأمائل قومه .

٦٤١

وقال إسماعيل بن عمار^(١) :

- ١- بكت دار بشر شجوها إذ تبدلت هلال بن مرزوقٍ يبشر بن غالب
 - ٢- وهل هي إلا مثل عرس تحولت على رغيها ، من هاشم في محارب^(٢)
- « شجوها » انتصب على أنه مفعول له ، والشاعر يفضل بشرًا على هلال ، ويقول : إن الدار التي كان يستوطنها بشر لما ارتحل عنها وصار فيها بدلًا منه هلال بكت وتحسرت ، وحق لما ذلك ، فإني في استبدالها إلا كروم زوجت

(١) التبريزي : « إسماعيل بن عمار الأسدي » ثم قال : « قال دحبل بن طي : هي وليد بن كعب ، فلما مات بسر بن غالب واشترى داره هلال بن مرزوق » .
 وإسماعيل بن عمار الأسدي : شاعر مقل مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية .
 وأخباره في الأغاني (١٠ : ١٢٨ - ١٣٥) .
 (٢) التبريزي : « مثل عرس تبدلت » .

في هائم ، ثم انتقلت إلى محارب . ومُحَارِبٌ قَبِيلَةٌ فِيهَا ضَعْفٌ وَخَوْلٌ ، حَتَّى قَالَ
بِمَضِ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ يَخْلَفُ :

* فَصَيَّرَنِي رَبِّي إِذَا مِنْ مُحَارِبٍ *

٦٤٢

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ قَتَلَ زَوْجَهَا^(١) :

١ - مَتَى تَرِدُوا عُكَاظَ تَوَاقِعُوهَا بِأَسْمَاعٍ تَجَادِعُهَا قِصَارُ

٢ - أَجِيرَانِ ابْنِ مِيَّةَ خَبِرُونِي أَعَيْنَ لَابِنِ مِيَّةَ أَمْ صِمَارُ

٣ - تَجَلَّلَ خَزِينُهَا عَوْفُ بْنُ كَتَبٍ فَلَيْسَ لِحَلْفِهَا مِنْهُ اعْتِدَارُ

٤ - فَإِنَّكُمْ وَمَا تُضْفُونَ مِنْهَا كَذَاتِ الشَّيْبِ لَيْسَ لَهَا إِخَارُ

عُكَاظُ : وَادٍ لِلْعَرَبِ فِيهِ سَوْقٌ لَمْ يَجْتَمِعْ فِيهَا طَوَائِفُ النَّاسِ مِنْ [جَمِيعِ^(٢)]
الْأَحْيَاءِ ، فَيَتعارَفُونَ فِيهَا وَيَتَعَلَّقُونَ بِالْأَخْبَارِ بَعْدَ التَّذَاكُرِ بِهَا وَالتَّنَسُّمِ لَهَا ، وَبَيْنَهُمْ
الْمَوَاعِدَاتُ وَالْمَقَابِضَاتُ ، وَالْإِحْنُ وَالتَّرَاتُ ، وَالْمَنَافِرَاتُ وَالْمَنَاقِضَاتُ ، فَكُلُّ فِرْقَةٍ
تَتَجَمَّلُ لِلْأُخْرَى^(٣) وَتُوَدُّ أَنْ تَسْمَعَ فِيهَا مَا لَيْسَ عِنْدَهَا مِنْ حَسَنِ وَفِيحٍ ، وَنَحْمُودُ

(١) التبريزي : « قتل زوجها في جوار الزبرقان فلم يطلب بثأره ... وخبر هذه الأبيات
أن رجلا من عبد القيس كان يقال له ابن مية ، وكان جاراً للزبرقان بن بدر ، قتله رجل من بني
عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة في جوار الزبرقان ، وكان الذي قتله يقال له هزان ، قتله
بموضع يقال له ذو شبرمان ، خلف الزبرقان ليقتل هزالا . وقالت امرأة هذه الأبيات . ثم
سمعت بنو سعد في القصة حتى أصلحوها وفدى ابن مية ، ثم مكثوا هنية من الزمان وخطب هزال
للى الزبرقان أخته خليفة فزوجه لها ، فلما حاجاه المحتل نبي ذلك عليه فقال :

وَأَنْكَحْتُ هَزَالَ خَلِيفَةَ بَدْنِمَا زَهَمْتُ بِرَأْسِ الْعَيْنِ أَنَّكَ قَاتِلُهُ

. وَأَنْكَحْتَهُ رَعْوَى كَأَنَّ عَجَائِيهَا مَشَقَّ لَهَا بَ أَوْسَعِ السِّلْعِ نَاجِلُهُ

يَلَامُهَا تَحْتَ الْقَرَارِشِ وَجَارَكُمُ بَنَى شَبْرِمَانَ لَمْ تَزِيلْ مَفَاصِلَهُ .

(٢) النكبة من ل . (٣) هنا ما في ل . وفي الأصل : « تتجمل الأخرى » .

ومذموم ، إلى غير ذلك من الأنباء السائرة ، والأوابد العائرة ^(١) ، التي يُتهدى بها ، ويُستطَرَف وقوعها ، ويُبلَّغُ باستماعها وأدائها . فيقول : متى وردتم عكاظ وافقيتموها أذلاءً قد اكتسبتم عاراً يُجزىكم ويلازمكم ، فيصير كالثلثِ عليكم ، فكانَ آذانكم قد استوعبَ ضلَّها ، عقوبةً لكم بما عاملتم به جاركم من إخفار وإسلامٍ ، حين ^(٢) قُتل في جواركم ، واستبيحَ محرَّماته في ذِمِّكم . ثم قال مستهزئاً ومعيراً : يا جيرانَ ابنِ مَيَّةَ ، أنبشوني أنضرتكم له عينٌ أم ضمائرٌ ، ووافؤكم بما عَدَدْتُمْ له حقَّ أم كِذَّاب . والتمينُ : ما يُحْضَر ويُشاهد ، فذلك قيل في المثل : « يَدْعُ العَيْنَ وَيَتَّبِعُ الأثر » . والغيار : الغائب الذي لست منه على ثقة . قال الأعشى :

رَأَانَا إِذَا اضْمَرَّتْكَ الْبِلَادُ نَجَحَى وَتَقَطَّعَ مَنَا الرَّحِمَ
وقوله « تَجَلَّى خِزْيُهَا عَوْفُ بْنُ كَعْبٍ » ، يريد : لَيْسَ خِزْيَ هَذِهِ الْفَذْرِقَةِ
وَتَقَطَّى بَنِيهَا قِبَائِلُ عَوْفِ بْنِ كَعْبٍ كُلُّهَا لَا أَنْتُمْ لِحَسْبٍ ، فليس لأعتابها بعدها
عُدْرٌ يُقْبَل ، وَلَا تَنْصَلُ يُسْمَع .

وقوله « وَإِنَّكُمْ وَمَا تُخْفُونَ مِنْهَا » ، يريد مَتَلَكُم في سِتْرِكُمْ أَمْرَهَا ،
وتقديركم إخفاءها ، على انتشارها وذهابها في الناس ، وعلى تَفَشِّيكم بِدَرَسِهَا ،
واستقذار الناس لكم لوسخها ، مَثَلُ امْرَأَةٍ شَابَ رَأْسُهَا وَلَا حِجَارَ لَهَا ، فَخَجَرُوا
مَعَ مِيلِهَا إِلَى أَنْ لَا بَرَى شَيْبَهَا . والمعنى : الأمرُ أَظْهَرَ مِنْ أَنْ يُكْتَمَ أَوْ يُدْفَنَ .

(١) العائرة : السائرة .

(٢) ل : « حَى » .

٦٤٣

وقال آخر :

- ١ - تَوَلَّتْ قُرَيْشٌ لَذَّةَ الْعَيْشِ وَانْقَتَ بِنَا كُلِّ فَجٍّ مِنْ خُرَاسَانَ أَغْبَرَا
 ٢ - فَلَيْتَ قُرَيْشًا صَبَحَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ تَوُجُّ بِهَا مَوْجًا مِنَ الْبَحْرِ أَكْثَرَا
 هذا كلامُ رجلٍ قد جَمَرَهُ الْوَالِي ^(١) ، وَتَبَرَّمَ بِغُرْبَتِهِ ، وَشَقِيَ بِالتَّبَاعُدِ عَنْ
 أَهْلِهِ وَوَطْنِهِ ، فَيَقُولُ : تَفَرَّدَ قُرَيْشٌ بِالْتَّمُّمِ وَالتَّلَذُّذِ ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْعَيْشِ الطَّيِّبِ
 وَالرِّثْمَةِ الْمُهْنِيَةِ ^(٢) ، وَرَمَتْ بِنَا سَرَائِي مُنْكَرَةً لَا رَاحَةَ مَعَهَا ، وَلَا طَائِلَ فِيهَا ،
 وَسَدَّتْ طُرُقَ الْمَفَاوِزِ الْغَيْرِ الَّتِي لَا تُسَلِّكُ وَلَا تُعْبِرُ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ ،
 وَبَوَدَّتِي ^(٣) أَنْ تُبْقِيَ قُرَيْشٌ عَلَى لَيْلَةٍ تُقْضَى بِهَا صَبِيحَتُهَا إِلَى أَنْ تُسَلِّمَهَا إِلَى
 مَوْجٍ أَكْثَرَ ، يَمْرُقُهَا إِلَى الْبَحْرِ وَيُغْرِغُهَا . وَهَذَا مِثْلُ ، وَلِلْعَنَى : أَمْنَى أَنْ
 تَشْلُمَهَا بِلَيْتَةٍ تُقْنِيهَا وَتُرِيحُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ مِنْهَا . وَالْكَدَّرُ : نَقِيعُ الصَّعَاءِ .
 وَيُقَالُ : عَيْشٌ أَكْثَرُ ، وَقَدْ كَدَرَ . وَجَعَلَ لِلْوَجِّ كَذَلِكَ تَهْوِيلًا ، وَتَكْثِيرًا
 لِمَاءِ بَحْرِهِ . وَقَوْلُهُ « ذَاتَ لَيْلَةٍ » يَرِيدُ السَّاعَةَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا اللَّيْلَةُ الْمَطْلُوبَةُ .
 وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ : فَلَيْتَ كَذَا ذَاتَ الْعِشَاءِ ، يَرِيدُ السَّاعَةَ الَّتِي فِيهَا الْعِشَاءُ . وَلِلْعَنَى :
 أَصْبَحَتْ مَنَاعًا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ قُرَيْشٌ ، أَيْ حَصَلَتْ مِنْ لَيْلَتِهَا عَلَى صَبَاحٍ هَكَذَا .

(١) تجمير الجند : أَنْ يَجْبِسَهُمْ فِي أَرْضِ السَّعْوِ وَلَا يَقْلَهُمْ مِنَ الشَّغْرِ .

(٢) ل : « وَالتَّمَّةُ الْمُهْنِيَةُ » .

(٣) كَذَا ضَبَطَتْ بِالْفَتْحِ فِي النَّخَعِ . وَالْوَدَّ وَالْوَدَادَ مَثَلَتَانِ ، كَمَا فِي الْقَامُوسِ .

٦٤٤

وقالت امرأة^(١) :

١- حَلَفْتُ وَلَمْ أَكْذِبْ وَلَا أَفْكُلْ مَا مَلَكَتُ لَيْتِ اللَّهِ أَهْدِيهِ حَافِيَةَ

٢- لَوْ أَنَّ النَّايَا أَعْرَضَتْ لَأَقْتَحَمْتُهَا مَخَافَةَ فِيهِ إِنَّ قَاهُ لِدَاهِيهِ^(٢)

٣- فَمَا جِيْفَةُ الْخَنَزِيرِ عِنْدَ ابْنِ مَغْرِبٍ قِتَادَةَ إِلَّا رَيْحُ مِسْكٍ وَغَالِيَةِ

٤- فَكَيْفَ اصْطَبَارِي بِإِقْتَادَةِ بَدْمَا تَمِثُّتُ الَّذِي مِنْ فَيْكَ أُنْمَأَى صِمَاحِيَةِ

قولها « ولم أكذب » في موضع الحال ، أى حلفت صادقة في خبري ، وإلا

فأملكه لبيت الله — تعني لمن حول بيت الله ، فحذف المضاف — أهديه إليه

بنفسى حافية لا حذاء لى . قولها « أهديه » ، يجوز أن يكون في موضع خبر المبتدأ ،

كأنها قالت : وإلا فأملكه أهديه لبيت الله حافية ، أى في هذه الحال . ويقال :

أهديت إلى البيت والبيت هدياً ، إذا تقربت فيه بقرآن . واللام من « لبيت

الله » على هذا يتعلق بأهديه . ويجوز أن يكون لبيت الله خبر المبتدأ . وأهديه

إن شئت كان مستأنفاً وإن شئت كان خبراً ثانياً ، وإن شئت كان بدلاً .

وقولها « لو أن النايأ أعرضت » أى مكنت من النظر إلى عُرْفِهَا ، أى إلى

الجانب الذى تسمى منه « لاقتحمتها » ، أى لو قمتُ فيها وصرت في قُحْمَتِهَا .

وانتصب « مخافة فيه » على أنه مفعول له .

وقولها « فما جيفة الخنزير » تُريد : مارأحة جيفة الخنزير إلا ریحُ مِسْكٍ

لأنَّ الحدَث يشبَّه بالحدَث ، والعين بالعين .

(١) التبريزى : « وقالت امرأة تهجو قتادة بن مغرب البعكري ، وهو زوجها » .

وقتادة بن مغرب : شاعر من شعراء الدولة الأموية كان معاصراً لزيد الأعمى ، وكانت بينهما

مهاجاة . انظر الأغاني (١٠ : ١١٢ / ١٤ : ١٠٠ ، ١٠٣) والضرع ٣٩٦ . ومغرب

بضم اللام وسكون النون ، ويقال بفتح النون وكسر الراء للشعدة ، كما ذكر ابن قتيبة في الضعراء .

(٢) التبريزى : « إن فيه » ، فإن صحت كان معناها إن في فيه .

وقولها « فكيف اصطباري يا قتادة » ، يريد : كيف أتكلف صبرا على مجاورتك والكون معك ، بعد ما بليت به من بحر ك ونن فك ، الذي أفسد على آلة الشم والسمع . ومعنى أثنى صمخيه ، أى أفسده . والشمخ : قُب الأذن الذي يُفِي إلى الرأس . وآلة الشم الأنف دون الأذن ، ولكن تريد أنه فسد بمجاورته .

٦٤٥

وقال عبد الله بن أوفى الخزامي^(١) :

- ١- نَكَحْتُ ابْنَةَ الْمُتَقَى نَكْحَةً عَلَى الْكَرْهِ ضَرَّتْ وَلَمْ تَنْفَعِ^(٢)
 - ٢- وَلَمْ تُنْجِ مِنْ فَاقَةٍ مُسَدِّمًا وَلَمْ تُجِدْ خَيْرًا وَلَمْ تَجْمَعْ^(٣)
 - ٣- مُنْجَذَةً مِثْلُ لَبِ الْهَرَّاشِ إِذَا هَجَّ النَّاسُ لَمْ تَهْجَعْ
 - ٤- مُفَرَّقَةً بَيْنَ جِيرَانِهَا وَمَا تَسْتَطِيعُ يَنْهَمُ تَقَطَّعَ
 - ٥- بِقَوْلٍ رَأَيْتُ لَهَا لَا تَرَى وَقِيلَ سَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمَعْ
- قوله « على الكره » في موضع الحال من نكحت . وقوله « ضرت » من صفة نكحة ، وكذلك ما في البيت الثاني من الجمل كل في موضع الصفة

(١) التبريزي : « في إصرائه » . ثم قال في نهاية تفسير الآيات : « وقع في بطن النسخ هذه الآيات منسوبة إلى أبي الهندي ، قالها في إصرائه . وأول البيت :

* نَكَحْتُ بِشَيْئِذٍ نَكْحَةً *

وشهينق ، ذكرت في الفاموس ، ولم تذكر في اللسان ولا في مجمل البلدان ، قال في الفاموس : « شهينق : بلد » . وعبد الله بن أوفى الخزامي لم ينثر له على ترجمة . والآيات ٣ ، ٧ ، ٩ في اللسان (قد) منسوبة إلى عبد الله .

(٢) التبريزي : « للتمنى » بالصاد للهامة . و « ولم تنفع » هنا ما في ل والتبريزي .

وفي الأصل : « فلم تنفع » .

(٣) ولم تن ، كنا في ل والتبريزي . وفي الأصل : « فلم تن » .

لها . فيقول : نَكَحْتُ هذه المرأة مُكْرَهاً نَكَحَةً ضَارَةً غير نافعة في شيء من الوجوه ، فما أَفْنْتُ من عُدْمِ عديها ، ولا أَنالت خيراً ، ولا جَمَعْتُ شَملاً . وحذَفَ منقول « ولم تجمع » ، لأن المراد مفهوم .

وقوله « منجدة » من الناجذ ، وهو ضِرْسُ الحِلْمِ . والنواجذ : أربعة أضرار ، وقال بعضهم : هي الضواحك ، محبباً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم « أنه ضحك حتى بدت نواجذه » . ويقال : نَجَدَ فلاناً انلطوبُ ، إذا أحكمته . وقال :

« وَنَجَدَنِي مَدَاوِرَةُ الشُّؤُونِ ^(١) »

فيقول : إنها قد جَرَبْتُ وُملَّ منها وِملَّتْ . وقوله « مثل كلب الهراش » يعني في خَلْقها وخُلُقها . ومعنى « إذا جمع الناس لم تهجع » ، يصفها بأنها تمشي بالثأم . ولذلك قال الآخر ^(٢) :

قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ حَدَجُوا قَنَافِدَ الْفَيْمَةِ تَمَرَعُ
لأنَّ التُّفْعَدَ لا ينام بالليل . فيقول : هي بوشايتها تفرق بين الخُلطاء ، وتُقطع الوُصَل والأواصرَ بينهم .

ولك أن تنصِبَ « منجدة » و « مفرقة » على الحال ، ولك أن ترفعهما على الاستثنا . وقوله « وما تستقطع » شرطٌ وجزاء ، والمفعول محذوف ، فهو كقولك : ما تُطِيقُ تفعل .

فإنما قوله : بقول رأيتُ وقيل سمعتُ ، فالباء تتعلق بقوله تقطع . والمعنى أنها تُبَاهِتُ وتُكَايِرُ ، وتزِيدُ في القول وتُجَاهِرُ ، فتدعى مشاهدة ما لا نشاهده ،

(١) لسحب بن وهب الراسي في الأسميات ٦ طبع المعارف .

(٢) صدره : * أخو حسين مجتأ أشد * .

(٣) هو عجة بن الطيب ، في اللفضية ١٤٧ .

وَسَمِعَ مَا لَا تَدْرُكُهُ . وَهَذَا زَائِدٌ عَلَى مَا قَالَهُ الْآخَرُ حِينَ فَقِيَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ ، وَهُوَ :
وَلَيْسَتْ مِنَ اللَّائِي يَكُونُ حَدِيثُهَا أَمَامَ بُيُوتِ الْحَيِّ إِنْ وَإِمَّا^(١)
وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ :

تَقُولُ رَأَيْتُ لِمَا لَا تَرَى وَقَالَتْ سَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمَعْ
وَالَّذِي رَوَيْلَهُ أَحْسَنُ تَلَاوُثًا وَأَقْرَبُ .

٦ - فَإِنْ تَشَرَّبَ الزَّقُّ لَا يُزَوِّهَا وَإِنْ تَأْكُلَ الشَّاةَ لَا تَشْفَعُ
٧ - وَلَيْسَتْ بِقَارِكَةٍ تَحْرِمُهَا وَلَوْ خُفَّ بِالْأَسَلِ الشَّرْعُ^(٢)
٨ - وَلَوْ صَدَّتْ فِي ذُرَى شَاهِقٍ تَزِلُّ بِهَا الْعُغْمُ لَمْ تُضَرَّعْ^(٣)
٩ - فَبِئْسَتْ قِمَادُ الْقَتَى وَحَدَّهَا وَبِئْسَتْ مَوْقِيَّةُ الْأَرْبَعِ
تَحْرِمُهَا ، أَيْ حَرَامًا . وَالْحُرْمَةُ : مَا لَا يَحِلُّ اتِّهَاكُهُ ، وَكَذَلِكَ الْحَارِمُ .
وَفِي اللَّثْلِ « لَا بُقْيَا لِلْحَيَّةِ بَعْدَ الْحَرَامِ » أَيْ عِنْدَ الْحُرْمَةِ . وَهُوَ ذُو تَحْرِمٍ
وَحُرْمَةٍ فِي الْقِرَابَةِ . وَالشَّرْعُ : جَمْعُ شَارِعٍ ، وَيُقَالُ : أَشْرَعَتِ الرُّمَحَ قَبْلَهُ
فَشَرَعَ . وَصَفَهَا بِالنَّمِيَةِ وَشِدَّةِ الْحِرْصِ عَلَى تَنَاوُلِ الْحَرَمِ وَلَوْ أَنْزَعَتْهُ مِنْ بَيْنِ
الْأُصْنَةِ . ثُمَّ وَصَفَهَا بِالتَّجْلِيحِ^(٤) ، وَحُسْنِ التَّنْقِيحِ^(٥) ، وَالْحَذَقِ فِي التَّوَشُّلِ إِلَى
الْمَنْوَعِ ، وَلَوْ احتاجتْ إِلَى أَنْ تَتَرَقَّى فِي مَصَاعِدِ الْجِبَالِ ، وَمَدَارِجِ الْمُضَابِ
الْمُفْجِرَةِ لِلْعُغْمِ .

وَقَوْلُهُ « فَبِئْسَتْ قِمَادُ الْقَتَى وَحَدَّهَا » انْتَهَبَ قِمَادَ وَمَوْقِيَّةَ عَلَى التَّمْيِيزِ ،

(١) لَحِيدُ بْنُ ثَوْرٍ ، فِي دِيَوَانِهِ ١٨ طَبْعُ دَارِ السُّكُوتِ .

(٢) فِي اللِّسَانِ : « الْمَصْرَعُ » .

(٣) بِهَا ، أَيْ بِالْقَدْرِ . وَفِي الْأَصْلِ : « تَزِلُّ بِهِ » ، وَأَبْتِنَا مَا فِي لُ وَالتَّبَرِيزِي .

(٤) التَّجْلِيحُ : الْإِقْدَامُ الشَّدِيدُ ، وَالتَّنْقِيحُ فِي الْأَمْرِ وَالْمَضَى .

(٥) فِي اللِّسَانِ : « كُلُّ مَا نَحِيتُ عَنْهُ شَيْئًا قَدْ نَحِيتُهُ » . وَالتَّنْقِيحُ أَيْضًا : الْإِصْلَاحُ

وإِزَالَةُ الْعُيُوبِ . وَهَذَا مَا فِي لُ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَحُسْنُ التَّنْقِيحِ » .

لأنه وإن كان معرفة في اللفظ ، فلا اختصاص فيه ^(١) . ويُروى بالرفع في
الموضعين . فإذا نصبت فهو كقولك : بنيت ربة البيت هند . وإذا رفعت
فهو كقولك : بنيت دار الكافر النار . وفي القرآن : ﴿ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ .
والمذمومة بنيت في الوجهين محذوفة . وانتصب « وحدها » على المصدر . فيقول :
هي مذمومة في النساء تفردت أو اجتمعت مع ثلاثٍ آخر . والقاد والتعيدة
واحدة ، ويقال : ليست له قميدة تعيده ، أي امرأة تمزبه ، أي تزيل عزبته .

وحكى أن الأعمى ألقى على أصحابه يومًا هذا البيت ، وهو :

واحدة أعضلكم شأنها فكيف لو قُنت على أربع
[أربع ^(٢)] يعني النساء .

٦٤٦

وقال بعض آل الملهب ^(٣) :

١- قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم واستوتقوا من رجاج الباب والدار
٢- لا يقيس الجار منهم فضل تاريخ ولا تكف يد عن حرمة الجار ^(٤)

معناها ظاهر ولا إعراب فيها . والقبس : الشعلة من النار . والقابس
طالب النار وأخذها ، ويقال : قبست النار واقتبستها وأقبستها وأقبسيتها فلان .
والمقباس نحو من القبس . والرجاج : النلق . ويقال : رجت الباب وأرجحته .

(١) ابن جني : « ذلك تعريف الجنس ، لا يضي واحدًا بينه ، فصارح بشياع النكرة ،
ولأجل ذلك ما كان أسد وهو نكرة ككلمة وهو معرفة ، وغدوة وهو معرفة ككلمة وهي نكرة
وكذلك مثل ومثالة . وهو كثير طاعنه لطيفاً » .

(٢) النكلة من ل . وفي التنبيه لابن جني : « أي لو تزوجت أربع نسوة » .

(٣) اسمه عبد الله بن عبد الرحمن ، ولقبه أبو الآواء ، كما ذكر التبريزي رواية عن

دعبل .

(٤) تكف ، بالناء في ل والتبريزي . وفي الأصل : « يكف » بالياء .

٦٤٧

وقال آخر :

- ١- كَانِرٌ يَسْتَعِدُّ إِنْ سَعِدَا كَثِيرَةٌ وَلَا تَبْغِ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءٌ وَلَا نَصْرًا
 - ٢- وَلَا تَدْعُ سَعْدًا لِلْقِرَاعِ وَخَلَّهَا إِذَا أَمِتَتْ وَنَعْنَهَا الْبَلَدَ الْقَفْرَا
 - ٣- يَرُوعُكَ مِنْ سَعْدَيْنِ عَمْرٍو جُسُومُهَا وَتَزْهَدُ فِيهَا حِينَ تَقْتُلُهَا خُبْرَا
- كَاْنِرٌ : أَسْرٌ مِنْ كَاَثْرَتِهِ ، إِذَا غَلَبَتْهُ بِالْكَثَرَةِ ، وَيُقَالُ : كَاَثَرَتْهُ فَكَثَّرَتْهُ أَكْثَرَهُ بَضْمُ الْعَيْنِ . وَعَلَى هَذَا يَحْيَى هَذَا الْبِنَاءُ ، سِوَاهُ كَانَ مَفْتُوحًا فِي الْأَصْلِ أَوْ مَضْمُومًا أَوْ مَكْسُورًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْبِنَاءُ مَعْتَلًا ، فَإِنَّهُ يُتْرَكُ عَلَى حَالِهِ . يُقَالُ بِأَكْيْتِهِ فَبِكَيْتِهِ أَبْكِيهِ لَا غَيْرَ . وَذَلِكَ لِثَلَاثِ بَنَاتِ الْيَاءِ بَيْنَاتِ الْوَاوِ . وَقَوْلُهُ : « وَنَعْنَهَا الْبَلَدَ الْقَفْرَا » ، يَصِفُهُم بِالسَّلَامَةِ فِي حَالِ الْأَمْنِ ، وَبِحُسْنِ تَصَرُّفِهِمْ فِي فُنُونِ الْقَوْلِ ، وَأَنْ لَمْ يَلْمِ الْمُنَظَّرَ الْحَسَنَ دُونَ الْخُبَرِ ، ثُمَّ لَا وَفَاءَ لَمْ فِي الدِّمِّ وَالْعُقُودِ وَلَا نَصْرَةٍ فِي الدِّفَاعِ عِنْدَ الْحُرُوبِ . وَمَعْنَى يَرُوعُكَ يُعْجِبُكَ . يَرِيدُ : أَعْطُوا الْبَسْطَةَ فِي الْأَجْسَامِ ، فَإِذَا خَبَرْتَهُمْ صَغَّرْتَهُمُ الْخُبْرَ ، فَأَوْرَثَكَ الزُّهْدَ فِيهِمْ . وَيُقَالُ : لِي بِهِمْ خُبْرٌ وَخَيْرَةٌ .

٦٤٨

وقال آخر :

- ١- أَعَارِبٌ ذُووُ فَخْرٍ يَأْفِكُ وَالْأَسَنَةُ لِطَافٍ فِي الْمَقَالِ
 - ٢- رَضُوا بِصِفَاتِ مَا عَدِمُوهُ جَهْلًا وَحُسْنُ الْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ الْقَعَالِ
- يقول : إِنَّهُمْ يَفْتَخِرُونَ بِمُفَاخِرَ مَا فُكِرَ مَكْذُوبَةٌ ^(١) ، وَلَمْ الْأَسَنَةُ يُلْطَفُونَ بِهَا ،

(١) مَا فُكِرَ ، مِنْ الْإِفْكِ ، وَهُوَ الْكُذْبُ .

ويصورون الباطل من مفاخرهم بصورة الحق ، فهم أصحابُ مقالٍ لا فصال ، وأربابُ كذبٍ وزور ، لاحقٌ وصِدْقٌ ، ولجلهم يرضون من أنفسهم ولها بأن يصفوها بما هو معدومٌ فيهم ، وقنعوا بحسن الصفات من أنفسهم يقولون ، وإن عديموا شهادةً الأشهاد على دعوائهم ، اعتقاداً منهم أن القولَ ينفي عن الفعل ، وأن الخبرَ يُكفّي به عن الخبرة ، وأن الكرمَ في الدعاوى لا في الحقائق .

٦٤٩

وقال مالكُ بنُ أسماءَ^(١) :

١- لو كنتُ أُحِلُّ حَرَاحِينَ زُرْتُكُمْ لَمْ يُنْكِرِ الْكَلْبُ أُنَى صَاحِبِ النَّارِ^(٢)

٢- لَكِنْ أَتَيْتُ وَرَيْحُ الْمِسْكِ تَقْنَمُنِي وَغَبَرُ الْهِنْدِ مَشْهُوبًا عَلَى النَّارِ^(٣)

٣- فَأَنْكَرَ الْكَلْبُ رِيحِي حِينَ أَبْصَرَنِي وَكَانَ يَعْرِفُ رِيحَ الزُّوقِ وَالْقَارِ^(٤)

قوله « تقمنى » ، أى تسدُّ خياشيمي وتملؤها . ويقال : الريح الطيبة تقنم المزكوم^(٤) . وقوله « مشبوا على النار » ، يقال : رأيتُ شَبَةً النَّارِ ، أى اشتعلها ، وقد شَبَّتْهَا . وتوسَّوا فيه فقالوا : فلانة يشبها قرعها ، إذا أظهرَ بياضَ وجهها سوادَ شعرها . واتجصب « مشبوا » على الحال . ومعنى الأبيات ظاهرٌ .

(١) قال دعبل : بل قالها عينة بن أسماء بن خارجة ، وكان زار صديقاً له فلما بلغ باب دار بيته شد عليه كلب صديقه فضمه . عن شرح التبريزي . والشعر ورد في الحيوان (١ : ٣٨٠) والبخلاء ٢٠٢ بدون نسبة معينة ، وفي البيان (٣ : ٣١١) لبعض المجازين . ومالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري : شاعر إسلامي غزل ، وأخته هند بنت أسماء ، زوج الحجاج ، وهو ممن عرف بالجمال في العرب . ترجم له في الأغاني (١٦ : ٤٠ — ٤٦) وسيم للرزباني ٣٦٤ — ٣٦٥ واللاكي ١٥ — ١٨ والشعراء ٧٥٦ — ٧٥٨ .

(٢) التبريزي والملاحظ : « يوم زرتكم » .

(٣) التبريزي والملاحظ : « والغبر الورد أذكى » .

(٤) الريح بمعنى الراحة مؤنثة .

٦٥٠

وقال آخر :

- ١ - هجوتُ الأدعياءَ فناصرَني معائيرُ خلتها عَرَبًا صِحاحا
 ٢ - قفلتُ لهمْ وقد نبَّحوا طويلاً عَلَى فلمْ أُجِبْ لهمْ بُباحا
 ٣ - أَمِنَهُمْ أُنْتُمْ فَأَكْفَ عَنْكُمْ وَأَدْفَعَ عَنْكُمْ الشَّتْمَ الصَّرَاحا^(١)
 ٤ - وإلا فَاثْمُدُوا رَأْيِي فَإِنِّي سَأُنْفِي عَنْكُمْ التَّهْمَ الصِّبَاحا
 ٥ - وَحَسْبُكَ نُهْمَةٌ يَرَى قَوْمٌ يَضُمُّ عَلَى أَخِي سَقَمَ جَنَاحا
 هذه الطريقة في ذمّ الأدعياء غريبةٌ حسنةٌ جداً . وفيما قال أبو التّمّاهية

في والبة بن الحباب ما هو مُستبدعٌ أيضاً ، وهو :

- ما بال من آباؤه عَرَبٌ ۖ أَلَوَازِ اصْبَحَ مِنْ بَنِي قَيْصَرَ^(٢)
 أَكْذَا خُلِقْتُ أَبَا أَسَامَةَ أَمْ لَوْنْتُ سَالِفَتِكَ بِالْمُصْفَرِ^(٣)

وأخذه أبو نواس^(٤) فقال أيضاً :

وإِنَّ الْحَبَابَ صَلِيبةٌ زَعَمُوا وَمِنْ لِلْحَالِ صَلِيبةٌ أَشَقَرُ

ومصدر اللّعيى الدّعوة والدّعاوة . وناصرَني ، أى عادتني ، ويقال :
 ناصبتُ فلاناً الحربَ والعداوة ، ونصبنا لهم حرباً . ويقال : العربُ المارية

(١) في نسخة الأصل : « فأكف عنهم » ، تحريف .

(٢) في الأغاني (١٦ : ١٤٤) : « يحسب من بني قيسر » .

(٣) أبو أسامة : كنية والبة بن الحباب ، وفيه يقول علي بن ثابت :

بحكت البرية قلبه جزعاً لمصرع والبه

قلبت لموت أبي أسامة في الرقاق الناديه

وكلة « أبا » ساقطة من الأصل ، وهي والكلمة التي بعدها ساقطتان من ل . والتعقيق

يقتضى ما أثبتنا .

(٤) كذا . والبيت التالي في الأغاني منسوب إلى أبي التّمّاهية مع البيتين السابقين وأبيات

أخرى .

والعزباء ، أى الخُلص . والعرب المستعربة : الذين دخلوا فيهم بَعْدُ .
 وقوله « عَرَبُ الألوان » مثل قولهم : سُرُوجُ خَزْ الصِّفَاتِ ^(١) .
 و « عَرَبًا صِحاها » أى صِحاحَ الأنساب . والنباح يُستعمل فى صوت
 التيس عند السَّاد ، وفى الهدْدُ والظُّبى . ويستعمل فى الشاعر على طريق الذَّم .
 ويقال : نَبَحَهُ وَنَبَحَ عَلَيْهِ . قال الهذلي ^(٢) :

* ولو نبحتني بالشكاةِ كلابها ^(٣) *

والمراد بقوله « لَهْمُ نُباحًا » : لم أُجِبْ نُباحهم . و « لم » تبين .
 وقوله « أَمِنْهُمْ أَنْتُمْ » فى موضع للقول من قلت ، وانتصب « فَأَكْفُ »
 بإضمار أن ، وهو جواب الاستفهام بالقاء . والصرّاح : الخالص من كل شيء ،
 وكذلك الصريح والصرّاح . ورجلٌ صريحٌ : ضَدَّ هَجِينٍ ، من قومٍ صُرّحاء .
 و « حَرَّ صُرّاحٍ » : لم تُشَبَّ بمزاج .
 وقوله « حَسْبُكَ نُهْمَةٌ » ارتفع على الابتداء ، ويُكفَى به لأن فيه معنى
 الأمر ، أى اكْتَفَ . وانتصب نُهْمَةٌ على التمييز ، ومعنى الأبيات ظاهر .

٦٥١

وقال مُدْرِكٌ ^(٤) :

- ١- لقد كنتُ أَرى الوَحْشَ وَفَى بِنِزَّةٍ وَتَسْكُنُ أحيانًا إِلَى شَرُودِها
- ٢- قَدْما كُنْتُنى الوَحْشَ مُدْرِكٌ أَنهى وما ضَرَّ وَحْشا قَانِصٌ لا يَصِيدُها

(١) الصفة للسرَج بمنزلة الليثة من الرجل .

(٢) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ٨٠) ، وقد سبق فى ص ٣٧٦ .

(٣) صدره : * ولا همها كلابي ليمد نحرها *

(٤) التبريزي : « مدرک ، أو منس بن حسن الفقيص » . وفى مجمع الرزبانى ٣٩١ :
 « مدرک أو منس بن حسن الفقيص إسلامي » . قال أبو محمد الأرماني : « وليس لواحد
 منهما ، وإنما هو لمخاد بن المخلف — وهو الريح — بن عبد الله ، أبو مليل البربري . يقوله
 لبني زهير بن جذيمة بن رواحة الميبي » .

(٣٣ — حاسة — ثالث)

٣— فَأَعْرَضْتُ عَنْ سَلَى وَقُلْتُ لَصَاحِبِي سِوَا عَلَيْنَا بُخْلُ سَلَى وَجُودُهَا
 جَعَلَ الْوَحْشَ كَنَاءَةً عَنِ النِّسَاءِ . وَإِنَّمَا يَذُرُ أَيَّامَ شَبَابِهِ ، وَوَقْتَ صِبَاهِ
 وَلُحُوهٍ ، فيقول : كُنْتُ أَتَعَرَّضُ لِلنِّسَاءِ وَهِيَ مَغْتَرَّةٌ وَفِي غَضَلَةٍ عَنِّي ، فَأَصِيبُهَا
 بِمَحَاسِنِ وَأَصْطَادُهَا . وَالشَّارِدَةُ مِنْهَا النَّافِرَةُ مِنَ الرَّيْبِ تَسْكُنُ إِلَيَّ ، وَتَمِيلُ
 نَحْوِي وَقَبْلًا بَعْدَ وَقْتٍ ، وَحَالًا بَعْدَ حَالٍ . هَذَا فِيَا مَضَى مِنْ عَمْرِي ، وَالْآنَ قَدْ
 شِخْتُ فَسَهَمِي قَدْ رَنَّتْ ، وَالْآنَ كَلَّتْ . وَإِنَّمَا يَرِيدُ مَحَاسِنَهُ عِنْدَهُنَّ مِنْ
 قَبْلُ ، وَأَنَّهُمَا قَدْ بَارَتْ ، وَمَا كَانَ يُنْفَقُهُ عِنْدَهُنَّ مِنْ نُفُوزِ نَصَالِهِ عِنْدَ الرُّمَاءِ
 فِيهِنَّ كَلَّتْ . قَالَ : فَالْوَحْشُ تُمْسِكُنِي وَأَنَا لَا أَرْمِيهَا ، وَتُكْسِبُنِي وَأَنَا غَافِلٌ
 دُونَهَا . وَمَعْنَى تُمْسِكُنِي أَنَّ النِّسَاءَ تَنْبَسِطُ إِلَيَّ فَلَا تَنْقَبِضُ ، وَتَسْتَقْبِلُنِي فَلَا تَنْفِرُ
 لِأَنَّهُمَا مِنْ تَوْجِهِ الرِّيَّةِ . قَالَ : وَالْعَائِدُ لَا يَضُرُّ الْوَحْشَ إِذَا لَمْ يَصِدَّهَا ، بِعَنَى
 نَفْسِهِ . وَهَذَا الْكَلَامُ يَجْرِي بِجَرَى الْأَمْثَالِ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَنْفِرُنْ مِنِّي ،
 وَقَدْ سَكَنَ إِلَيَّ وَأَمِنَ رَنَمِي .

وقوله « فَأَعْرَضْتُ عَنْ سَلَى » ، يقول : تَرَكْتُ صَاحِبَتِي الَّتِي كُنْتُ
 أُولِعُ بِهَا ، وَاسْتَلْذِذْتُ بِكَرَاهَا ، زَاهِدًا فِيهَا ، وَقُلْتُ لِقَرِينِي وَأَلِيْفِي : بُخْلُهَا وَجُودُهَا
 يَسْتَوِيَانِ عَلَيَّ مَعَ إِعْرَاضِي وَضَعْفِ حَاجَتِي ، وَكِلَالِ حَدِّي ، وَغِجْرِ قُدْرَتِي ،
 وَتَسَلُّطِ رِيَّاتِ الشَّيْبِ عَلَيَّ^(١) ، وَتُمْكُنِ أَبْدَالِ الْأَوْمِيِّ . وَقَوْلُهُ « سِوَا عَلَيْنَا »
 سِوَا مُصْدَرٌّ فِي الْأَصْلِ ، وَقَدْ وَصَفَ بِهِ .

٤— فَلَا تَصُدَّنْ عَبْسًا عَلَى مَا أَصَابَهَا وَذِمَّ حَيَاةً قَدْ تَوَلَّى زَهِيدُهَا .
 ٥— تَشَبَّهَ عَبْسٌ هَاشِمِيًّا أَنْ نَسَرَّ بَلْتُ سَرَايِيلَ خَزَرٍ أَنْكَرَتْهَا جُلُودُهَا
 كَانَ الْوَلِيدُ وَسَلِيمَانُ ابْنَا عَبْدِ الْمَلِكِ أُمَمَا عَبْسِيَّةً^(٢) ، فَارْتَفَعَ شَأْنُ بَنِي عَبْسٍ

(١) الرِّيَّةُ : الضَّعْفُ ، وَانْخِلَالُ الرِّكْبِ وَالْفَاسِلُ .
 (٢) وَكُنَّا قَالِ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي مَجْمَعِهِ ٣٩١ . قَالَ أَبُو عَمْرِو الْأَمْرِي : « هَذَا غَلَطٌ ، لِأَنَّ
 أُمَّ الْوَلِيدِ وَسَلِيمَانَ هِيَ وَلَادَةُ بَقْتِ خَلِيدِ بْنِ جَزْءِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهَيْرٍ » .

بها، واختلطوا بمُبرّي الخلافه وسُوّاس الرعيّة، والذّائنين عن الماسكة. فيقول
مخاطباً لصاحب له: لا تُخسِدَنَّ بني عبّس على ما نالت من التُّلك والرّئاسة،
وذمّ زماناً ساعدها على ذلك وأهلها له، وحياته قد تولى زهيدها في الشّقاء بها،
ومكابدة الأوابد منهم فيها. والزّهيد: القليلُ الخَيْر، ويقال: رجلٌ زهيدٌ وامرأة
زهيدة، وهما القليل الطعم، يريد أن أسرم خُلسةً من خُلس الدهر، وسيقطع
مكرهه ويعود إلى دون ما يحبُّ له.

وقوله «نَشَبَ عَبْسٌ هاشمًا»، يُقال: شَبَهْتُهُ كَذَا وبكذا، ونَشَبَهُ زيد بكذا
وكذا. يقول: تنصموا بلذات الدنيا وزخارفها، وشاركوا أرباب الخلافه وولائتها
في ملابسهم التي تُنكرها جلودهم، ومطاعهم التي لم تذُقها لهواتهم، فخذثوا
أنفسهم بأنهم أمثالهم، ووسوس الشيطان إليهم بمائلة حالهم لأحوالهم عند
الفتل، وفي الفتلات. وقوله «أَنْ تَسْرَبَلَتْ» يريد: لأن تسربلت. كأنهم
لئسامة الأحوال لم فعلوا ما فعلوا. وإنما قال «أفكرتها جلودها» لأنها لم
تعدّها من قبل. ومثله قول الآخر:

بَكَى الْخَزْءُ مِنْ عَوْفٍ وَأَنْكَرَ جِلْدُهُ وَضَجَّتْ ضَجِيحًا مِنْ جُذَامِ الْمَطَارِفِ

٦ — فَلَاتَحْصِينَ الْخَيْرَ عَرَبِيَّةً لَا زَيْبَ لِعَبْسٍ إِذَا مَا مَاتَ عَنْهَا وَلَيْدُهَا

٧ — فَسَادَةُ عَبْسٍ فِي الْحَدِيثِ نِسَاؤُهَا وَقَادَةُ عَبْسٍ فِي الْقَدِيمِ عَيْبُهَا

هو ذا يسلى صاحبه عما تداخله من القيظ على زمان بلغ بيني عبس ما بلغ،
فيقول: لا تظنّ أن هذه الأمور تجري على ما تشاهدها سليمة من الحوادث،
وأن الدولة تمتدُّ لبني عبس وتصير كالواجب لها، بريئة من الصّوارف، نقيّة
من الشوائب؛ فإن كلَّ ذلك بمرّض الزّوال والتّغير، متى مات من تقدموا به،
وهو الوليد بن عبد الملك.

وَحُكِّيَ عَنِ الْحُصَيْنِ ^(١) بَنِ الْمُنْذِرِ أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ تَنَازَعَا فِي شَيْءٍ : « إِنَّمَا أَنَا بَابِي عَبْسٍ بِحَرِّ ^(٢) ، فَإِنْ ابْتَلَّ ابْتَلَمْتُ ، وَإِنْ يَبَسَ يَبْسَمُ » .
 وقوله فسادُ عَبْسٍ نساؤها ، يعنى أم الوليد والمتصلات بها . هذا في الحديث زعم . قال : وفي القديم كانوا بالعبيد ، يعنى به عنترة بن شداد ، لأنه عَبْسِي ، وكان هيناً ، ولذلك قال :

إِنِّي أَسْرُؤُ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنَصِبًا شَطْرِي وَأَخْيَ سَائِرِي بِالْمَنْصِلِ
 وقال أيضاً :

أَنَا الْهَجِينُ عَنْتَرَةَ كُلِّ امْرِئٍ يَخِي جِرَهُ ^(٣)
 أسودُهُ وأحمرُهُ

وهو أحدُ الفرسان الذين جلَّ أمرُهم ، وعظم شأنُهم .

٦٥٢

وقال آخر :

١ - أَقُولُ حِينَ أَرَى كَثْفًا وَلِغَيْتَهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي بَضِيعِ وَسِيتَيْنِ
 ٢ - مِنَ السَّيْنِ تَمَلَّاهَا بِالْأَحْسَبِ وَلَا حَيَّاهُ وَلَا قَدْرٍ وَلَا دِينَ
 أَجْرِي جَمْعُ السَّلَامَةِ فِي أَنْ أَعْرَبَ آخِرُهُ تَجْرِي جَوْعِ التَّكْسِيرِ ، وَقَدْ
 جَاءَ ذَلِكَ كَثِيرًا . عَلَى هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ ^(٤) :

* وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ ^(٥) *

(١) في النسختين : « الحسين » بالصاد المهملة ، وصوابه بالمججمة ، كما في التبريزي وللؤتلف ٨٧ وتهذيب التهذيب ، والخزانة (٢ : ٨٩ - ٩٠) والفاطوس (حزن) .

(٢) بين أن قدومهم ومزلتهم ، إنما هو بنسبتهم وصهرهم في الحقاء .

(٣) الحر : حر المرأة . والرجز في اللسان (حرج) .

(٤) هو سجين بن وثيل الرياحي - الأسميات ٦ طبع للعارف .

(٥) صدره : * وماذا يدرى الشعراء مني * .

وقوله :

* وابنُ أَيْنٍ أبِي مِن أَيْبِنٍ ^(١) *

وقوله « من السنين » تعلق بقوله في يَضَعُ . واليَضَعُ مُخْتَلَفٌ فِيهِ ، ففهم من يقول : يتناول ما بين الثلاثة إلى العشرة كُلَّهُ ، ومنهم من يجعله متناوِلاً للنصف من ذلك . والأوَّل هو الصحيح . وقيل في قوله : ﴿ يَضَعُ سِنِينَ ^(٢) ﴾ إنها سبعة ، وقد حُكِيَ الفتحُ في الباء منه أيضاً ، وأصله من القطع .
وقوله « تَبَلَّأَهَا » : عاشَ مِلَادُوتَهَا . والمِلَادُوتُ تَكْسَرُ مِيعَهُ وتَضَمُّ . ومنه التِّلْهُ من الذَّهَر ، وقولُهُم : تَمَلَّيْتُ حَبِيبَتَا .

٦٥٣

وقال عُوَيْفُ الْقَوَافِي ^(٣) :

- ١ - وما أُنْصَحُكُمْ تَحْتَ الْخَوَافِقِ وَالْقَنَا بَشَكْلِي وَلَا زَهْرَاءَ مِنْ نِسْوَةِ زُهْرٍ
 - ٢ - أَلَسْتُ أَقْلَ النَّاسِ عِنْدَ لَوَانِهِمْ وَأَكْثَرَهُمْ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ وَالْقَذِيرِ
- وصفهم بأنهم يتصوِّنون ، فلا يبتذلون أنفسهم في الحروب ، فأَمَّهَاتُهُمْ تُشَكِّلُهُمْ تَحْتَ الْأَعْلَامِ إِذَا خَفَّتْ ، وَالرَّمَاحُ إِذَا أُشْرِعَتْ . وقوله « وَلَا زَهْرَاءَ » ، أَيْ لَيْسَتْ هِيَ بِكَرِيمَةٍ فِي نَفْسِهَا . وَهَذَا ضِدُّ قَوْلِ الْآخَرِ ^(٤) :
- * أُمَّكَ بِيضَاءُ مِنْ قُضَاعَةٍ ^(٥) *

(١) البيت لدى الإصح المدون في اللقبليات ١٦٠ طبعة الماروف الثانية . وصدره :

* إني أبى أبى ذو محافضة *

(٢) من الآية ٤٢ في سورة يوسف : « فَأَنسَاءَ الشَّيْطَانِ ذَكَرَ رَبَّهُ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ

بضْعَ سِنِينَ » .

(٣) سبق ترجمته في الخامسة ٧٢ ص ٢٦٢ .

(٤) هو ابن قيس الرقيات . ديوانه ٨٣ . وقد سبق في ١٥٠ ، ٤١٩ .

(٥) تمامه : أُمَّكَ بِيضَاءُ مِنْ قُضَاعَةٍ فِي الدَّ * بيت الذي يمتكن في طنبه

يريد بياض السكرم لا بياض اللون .

وقوله : « أَسْنَمُ أَقْلُ النَّاسِ » ، يقرّرهم على لومهم وتأخرهم في الحروب ، وقتلهم عند خفق البتود ، وعند عقدتها للرياسات ؛ وعلى أنهم يكثرون في المآذب ، ويتزاحمون على الذبائح . وإنما يقرّر بأليس وبألم وما أشبهه في الواجب ، لأن الاستنهام كالنقى ، والنقى إذا دخل على النقى صار واجبا ، وقد مرّ الكلام فيه فيما تقدّم .

٦٥٤

وقال آخر :

١— وَنُبِيتُ رُكْبَانَ الطَّرِيقِ تَنَازَرُوا عَقِيلًا إِذَا حَلُّوا الذَّنَابَ فَصَرَحَدَا
٢— فَتَنِي بِجَمَلِ الْمُحْضِ الْعَرِيحِ لِبَطْنِهِ شِعَارًا وَيَقْرَى الضَّيْفَ عَضْبًا مَهْنَدًا

قوله « تناذروا » ، أى أنذر بعضهم بعضا ، وموضعه من الإعراب نصب على أن يكون مفعولا ثالثا لنُبِيتُ . والذَّنَابَ وصَرَحَدَا : موضعان . والمعنى أن السفر والسابلة والمارة قد عرفوا عقيلا بالفدر والخيانة ، والطمع في مال الضيف والجار والتحليف ، فإذا نزّلوا هذين الوضعين وما مما يقاربُ محلَّ عَقِيلٍ ومأواه ، حذر بعضهم بعضا ، وتواصوا بالاحتراز منه ، ثم قال : هو فتى يملأ بطنه من خالص المحض ، فالخصُّ شِعَارُ بطنه ، يليه ويشخته ويلتبس به ، ويمدُّ لِقْرَى ضيفه سيفا قاطعا . والأصل في الشعار ما يلي الجسد من الثياب ، ثم توسّع فيه فقيل : أشعر قلبي هـما أى أبطنه . وحكى بعضهم : هَنَدَتُ السَّيْفَ : شحذته وأخدذته . والمشهور نبيته إلى هِنْدٍ ^(١) .

(١) كذا في النسخين . وفي اللسان أيضا : « وهند : اسم يلاذ » . ومن عجب أنه لم يعد للهند رسم في مجيى البلدان .

وقد استسَلَّ القِرَى على هذا غيره فقال ، وهو أبو وَجْزَةَ :
 ذَاكَ القِرَى لَا قِرَى قَوْمٍ رَأَيْتُهُمْ يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ اللُّوِيَّةَ الْجُدْدَ (١)
 يعني السَّيَاط .

٦٥٥

وقال آخر :

- ١ - اَنَاحَ اللُّؤْمَ وَسَطَ بَنِي رِيَّاحٍ مَطِيئَتُهُ فَاَقْسَمَ لَا يَرِيحُ
 - ٢ - كَذَلِكَ كُلُّ ذِي سَفَرٍ إِذَا مَا تَنَافَى عِنْدَ غَايَتِهِ مَقِيمٌ
- يقال : اَنَحْتُ البعير فبرك ، ولا يقال فَنَاحَ . وهذا من باب ما استغنى به
 عن غيره ، ومعنى لا يريح لا يبرح .

وقوله « كذلك » في موضع الحال ، لأنَّ « كُلُّ ذِي سَفَرٍ » مبتدأ ،
 ومُعَيَّنٌ خبره ، كأنه قال ، وكلُّ مسافر إذا ما انتهى إلى غايته يُبْلَغُ عَصَاؤُهُ ،
 ويَحْطُّ رَحْلُهُ . كذلك ، أى مثل إقامة اللؤم فيهم .

وهذا المعنى قد نقله البحرئ إلى اللدح فقال :

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْجَدَّ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلٍ طَلْحَةٍ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ (٢)

٦٥٦

وقال آخر :

- ١ - إِذَا بَكَرِيَّةٌ وَكَدَتْ غُلَامًا فَيَا لَوْ مَا لَدَيْكَ مِنْ غُلَامٍ
- ٢ - يُرَاجِمُ فِي اللَّادِبِ كُلَّ عَبْدٍ وَلَيْسَ لَدَى الْحِفَاظِ إِذَى زِحَامٍ

(١) كذا في ل والكامل ١٠٧ ليك ، ومن جمع جديد . وفي الأصل : « الحمد » .

(٢) في الأصل : « طلحة لم يتحرك » ، صوابه في ل .

قوله « يا لؤمًا » لفظه لفظ النداء واللعن معنى التعجب ، أى ما أشدّه من لؤم . ومثله : (يا حُسرةً على العباد) ، وقول الشاعر ^(١) :

فيا شاعراً لا شاعِرَ اليومَ مثلهُ جريرٌ ولكن في كُتَيْبٍ تَوَاضَعُ

وقوله « يُرَامُ في المآدب » يشبه قول عُوفٍ :

أَلَسْتُ أَقْلَ النَّاسِ عِنْدَ لَوَائِهِمْ وَأَكْثَرُهُمْ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ وَالْقَدْرِ ^(٢)

وإن كان زاد عليه لما جعل مزاحته على الطعام مع العبيد . وقوله « من

غَلَامٍ » أى لتلك الغلام من بين الغلمان . وواحد للمآدب مأدبة ^(٣) ، والغفل منه أدبْتُ .

٦٥٧

وقال آخر :

١ — رِدَى ثُمَّ اشْرَبِي نَهْلًا وَعَلَا وَلَا يَنْفُرُكَ أَقْوَالُ ابْنِ ذَيْبٍ ^(١)

٢ — فلو كان القلبُ على لِحَامٍ لَأَمْنَهْلَ وَطَوْهَا شَفَةَ الْقَلْبِ

يشجها على الورود والصدّر ، وشرب اللبل بعد النهل . وعلى ألا تحفل

بتهدؤ ابن ذئب وإرعاده وإراقه ، فإنه قول لا فعل معه ، وقصعة لا وقع

بمدها . وكان التّخامُ في بئر ، فذلك قال ما قال .

وقوله « فلو كان القلب على لِحَامٍ » استخفاف بهم وإهانة . ومعنى أمهل :

وجدها سهلاً ، ويعنى بوطئها وطء الإبل ، ولم يتجر لها ذكر ، ولكن المراد مفهوم .

والمعنى : كانت تجدُ حَرْفَ البئر سهلاً لا حَزَنًا . يقول : لو كان موضع البئر

(١) هو الصلتان المبني . الخزانة (١ : ٣٠٤ — ٣٠٨) . وقد سبق في ٥٣٨ .

(٢) البيت الثاني من الحماسة ٦٥٣ م ١٥٢٩ .

(٣) للمجور في « المأدبة » ضم المآل ، وأجاز بعضهم الفتح .

(٤) التبريزي : « ولا تنفرك » .

لِحَاكُمَ مَا جَسَرُوا عَلَى الْمَنَعِ ، وَلَا عَلَى التَّمَانَعِ ، وَلَا كَانَ يَتَّقِبُ وَرُودَهَا إِنْكَارًا وَلَا وَبَالَ .

٦٥٨

وقال آخر :

- ١- إِنْ تُبْغِضُونِي فَقَدْ أَشْخَنْتُ أَعْيَنَكُمْ وَقَدْ أَتَيْتُ حَرَامًا مَا تَنْظُنُونَا^(١)
 - ٢- وَقَدْ صَنَعْتُ إِلَى الْأَخْشَاءِ جَارِيَةً عَذْبًا مُقْبَلَةً مِمَّا تَصُونُونَا
- يقول : لَا مَلَامَ عَلَيْكُمْ فِي بَغْضَائِكُمْ لِي ، فَقَدْ نِلْتُ مِنْكُمْ مَا اسْتَحَقَّتْ بِهِ ذَلِكَ . وَانْتَصَبَ « حَرَامًا » عَلَى الْحَالِ مِنْ أَتَيْتُ ، وَمَا تَنْظُنُونَا فِي مَوْضِعِ الْفُصُولِ ، وَالضَّمِيرُ الْمَائِدُ مِنَ الصَّلَةِ مَحْذُوفٌ . وَقَوْلُهُ « مَا تَصُونُونَا » وَلَمْ يَقُلْ مَنِّ ، لِأَنَّ الْقَصْدَ إِلَى الْجِنْسِ وَ« مَا » لِلصَّغَاتِ وَالْأَجْناسِ وَلَا دُونَ النَّاطِقِينَ . فَأَمَّا قَوْلُهُ « تَنْظُنُون » فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَالِبِ الظَّنِّ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْيَقِينِ .

٦٥٩

وقال آخر :

- ١- يَا قَبِّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُثَيْمَةَ رَهَطَ الْيَوْمِ وَالْغَارِ
 - ٢- قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُّوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُحِطُوا بِأَسْتَارِ
- الْمُنَادَى فِي قَوْلِهِ « يَا قَبِّحَ اللَّهُ » مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يَا قَوْمَ ، أَوْ يَا نَاسَ قَبِّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا ، أَيْ أَبْغَضَ اللَّهُ . وَ« بَنِي عُثَيْمَةَ » انْتَصَبَ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ أَقْوَامَ ، وَالْمَقْفُوفُ فِي قَوْلِهِ « إِذَا ذُكِرُوا » أَيْ وَقْتُ ذِكْرِهِمْ فَأَبْغَضَهُمُ اللَّهُ . وَ« رَهَطَ »

(١) تَبْغِضُونَ ، هُوَ مَا قِيلَ وَالتَّبْرِيزُ . وَفِي نَسْخَةِ الْأَسْلِ : « تَبْغِضُونَا » .

الْزُّمُّ « انتصبَ على النِّمِّ والاختصاص ، والعامل فيه فِعْلٌ مُضَمَّرٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ :
أَذْكَرَ رَهْطَ الْوُجَرِ .

وقوله « قَوْمٌ » ارتفعَ على أَنَّهُ خيرُ المبتدأ ، أى هم قوم إذا خَرَجُوا مِنْ
سَوْدَةٍ وَخَزِيرَةٍ ، أى من اكتسابهما وفيلهما ، دَخَلُوا فِي مِثْلِهَا أَوْ أَسْوَأَ مِنْهَا
وَأُخْرَى لَا يَسْتَرُونَ فِيهَا وَلَا يَسْتَحْيُونَ مِنْهَا .

٦٦٠

وقال آخر

يَهْجُو الضَّعْفَى وَيَتَدَحُّ الْبَدْوَى :

١ - جَوَابُ يَدَاءَ بِهَا عَرُوفٌ^(١)

٢ - لَا يَأْكُلُ الْبَقْلَ وَلَا يَرِيضُ

٣ - وَلَا يُرَى فِي يَنْتِيهِ الْقَلِيفُ

٤ - إِلَّا الْحَصِيَّتُ الثُّفَمُ الْمَكْشُوفُ

٥ - لِلجَارِ وَالضَّيْفِ إِذَا يَضِيفُ

٦ - وَالضَّعْفَى مُبْطِنٌ مَطْلُوفٌ^(٢)

٧ - لِلْفَسْوِ فِي أَثْوَابِهِ شَقِيفُ

٨ - أَعَجَبُ يَنْتِيهِ لَهُ الْكَئِيفُ

٩ - أَوْطَايَةُ مُبْقَلَةٌ وَسِيفٌ^(٣)

(١) رواه التبريزي : « عزوف » ، وقال : « يقال رجل عزوف وعزوفة وعزيف » .
وقى اللسان (ريف) : « مرهوف » ، تحريف .

(٢) التبريزي : « بطنه ملوف » .

(٣) التبريزي : « أوطائه » ، ثم قال : « وروى : أوطاية مبقة وريف » .

قوله « جَوَابُ يِدَاء » يصف به البدوي ، أى قطعاً المتجاوز بليغ المعرفة بها . ويقال : رجل عَرُوفٌ وَعَرُوفَةٌ وَعَرِيفٌ ، أى عَارِفٌ . ويقال من اليرف بكسر الهمزة ، وهو الصبر : عَارِفٌ وَعَرُوفٌ أى صَبُورٌ ؛ فيجوز فيه الوجدان . ويروى : « جَوَابُ يِدَاءٌ عَرُوفٌ » ، والآية : الصَّبْتُ الْمُتَقَيِّظُ الْحَيُّ الْقَلْبُ وَالنَّفْسُ . وَالْيَدُ : جمع يِدَاء .

وقوله « لا يأكل البقل » ، أى هو قَوِيٌّ صُلْبُ الرُّوق ، لأنَّ البقول تُرَخِي الأَعْصَاب . و « لا يريف » أى لا يدخل الحَصْرَ . وَالرَّيْفُ : الْخَصْرَةُ . وقال التُّرَيْدِيُّ : الرَّيْفُ : مَا قَارَبَ السَّوَادَ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ ، وَالْجَمِيعُ أُرْيَافٌ وَرُيُوفٌ . وَتَرَيْفَ الْقَوْمِ وَرَافُوا : دَنَوْا مِنَ الرَّيْفِ .

وقوله : « ولا يُرَى في يَتِّهِ الْقَلِيفُ » أى طَعَامُهُ طَعَامُ الْبَدَوِيِّينَ : اللَّبَنُ وَالزَّمْر ، لَا الْخُبْزَ . وَقَلَاةُ الْخُبْزِ وَقَلِيفُهُ : الَّذِي يَلْزَقُ مِنْهُ بِالْتَّنَوُّورِ .

وقوله : « إِلا الْحَيِّتُ » بدل من الْقَلِيفِ ، وَهُوَ نَعْيُ السَّمَنِ . وَالْمَقْعَمُ : الْمَلُوءُ . وَجَمَلُهُ مَكْشُوفًا لِلْجَارِ وَالضَّيْفُ لِيَدُلَّ عَلَى سَخَاةِ مَا فِيهِ ، وَلَا سِتْرَ عَلَيْهِ وَلَا حِجَابَ دُونَهُ ، فَالْإِلَامُ مِنْ قَوْلِهِ لِلْجَارِ يَتَعَلَّقُ بِالْمَكْشُوفِ .

وقوله « وَالْحَصْرِيُّ مُبْطَنٌ مَعْلُوفٌ » ، أى يُطْعِمُهُ مَا يَأْكُلُهُ ، وَبَرَعَ فِيهِ فَيَمْنَهُ فِيهِ وَيَتَجَاوَزُ حُدُودَ أَكْلِ النَّاسِ حَتَّى يَصِيرَ مَعْلُوفًا كَمَا تُكَلِّفُ الدَّوَابُّ السَّمَنَ . وَالْمُبْطَنُ : الْمَوْسَعُ الْبَطْنُ . وَقَدْ بَطَّنَ بَطْنًا ، أَيْ عَظُمَ بَطْنُهُ ، وَأَصَابَتْهُ الْبِطْنَةُ . وَفِي التَّمَثَلِ : « الْبِطْنَةُ تُنْهَبُ الْفِطْنَةُ » ، أَيْ كَثُرَتْ الْأَكْلُ تُحْدِثُ الْبَلَادَةَ . وَرَجُلٌ بَطْنٌ وَمُبْطَنٌ : عَظِيمُ الْبَطْنِ . وَالْمُبْطَنُ : الْخَمِيصُ الْبَطْنُ . قَالَ :
* فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفَوَادِ مُبْطَنًا ^(١) *

(١) البيت لأبي كبير الهذلي ، كما سبق في ص ٨٨ . ومجازه :

* سبها إذا ما نام ليل الهوجل *

وقال مُتَمِّمٌ :

* فَتَى غَيْرَ سِنْطَانٍ الصَّيَّاتِ أَرْوَعًا ^(١) *

والشَّيْفُ : بَرْدٌ رِيحٌ فِي نُدُوءٍ ، واسمُ تلك الرِّيحِ الشَّغَانُ .
وقوله « أَعْجَبُ بَيْتَيْهِ » أى الذى يَأْكُلُ فيه والذى يُخْذِلُ فيه .
والكَنِيفُ جملةُ أَعْجَبَ إِلَيْهِ لِكَثْرَةِ أَطْيَافِهِ ^(٢) .

والطَّايَةُ : الأرضُ الفُضَاءُ الواسعةُ . والشَّيْفُ : ساحلُ البحرِ . وأَبْقَلَ
لِلْمَكَانِ : كَثُرَ بَنُوهُ .

٦٦١

وقال رَبَّعَانُ ^(٣) :

١ - إِذَا كُنْتَ عَمِّيًّا فَكُنْ قَرَقَرٍ وَلَا فَكُنْ إِنْ شِئْتَ أَيْزَجَارٍ ^(٤)
٢ - فَا دَارُ عَمِّيْ يَدَارِ خَفَارَةٍ وَلَا عَقْدُ عَمِّيْ بِعَقْدِ جَوَارِ
يعنى بالفَقْعِ الكَثَاةُ . ويضربُ المثلُ بهذا فى التَّلِّ فيقال : « أَذَلُّ مِنْ
فَقْعِ بَقَاعٍ » ، وذلكُ لأنه يَحْتَنِيها من يَشَاءُ ، وَأَصَافُهُ إِلَى قَرَقَرٍ مَدِيَّتِهِ . ويقال :
فَاعُ قَرَقَرٍ ، أى مُسْتَوٍ . وأنى بالَصِّفَةِ لأنَّ المرادَ مفهوم ، والمعنى : إِذَا كُنْتَ
عَمِّيًّا فَكُنْ ذَلِيلًا كَالْفَقْعِ ، أَوْ شَيْئًا يُتَحَايَ ذِكْرُهُ وَمَنْظَرُهُ كَذَلِكَ الْمُضْجُو .
وَأَخْفَرْتُهُ ، إِذَا نَفَضْتَ عَهْدَهُ . والمعنى ظاهراً . وسجّلَ لَأَمِنْ قَوْلِهِ « وَلَا عَقْدُ »
بَدَلًا مِنْ مَا ، وَلِذَلِكَ أَدْخَلَ الْبَاءَ فِي بَعْقَدٍ .

(١) صدره فى المصنّفات ص ٢٦٥ طبع الماروف :

* لَقَدْ كَفَنَ لِلنَّهَالِ تَحْتَ رِدَائِهِ *

(٢) أطاف يطاف الأطياف : تنوط وذعب إلى البراز .

(٣) التبريزى : « وقال ريعان ، ويقال ريعان » .

(٤) المسمى : نسبة إلى بنى المم ، وهم بنو صمية بن مالك بن حنظلة . (السان عم) .
واظفر الأغانى (٣ : ٧٣) .

٦٦٢

وقال آخر :

١ - أَرَانِي فِي بَيْتِي حَكَمَ غَرِيْبًا عَلَى قُتْرِ أَزُودُ وَلَا أَزَارُ

٢ - أَنَا نَسِيًّا كَلُونَ اللَّحْمَ دُونِي وَتَأْتِينِي الْمَاعِزُ وَالْقَتَارُ

قوله « عَلَى قُتْرِ » أى على حرف . ويقال : قُتِرَ وَقُتِرَ . يقول : ليس فيهم تمسكن ، لُقِرَ بَقِي . والقُتَرُ والقُطَرُ والحَرْفُ والجَانِبُ تتقارب . وقد استعمل الحرف استعمال القُتَرِ ، بل هو أشهر في هذا المعنى ، وأكثرُ تصريفًا ، يقال : هو على حَرْفٍ من أَمْرِهِ ، أى انحراف ، وانحرفت بهم دُنْيَاهُمْ ، ومال عن كَذَا مَحْرَفٌ ، أى مَصْرِفٌ وَمُنْتَحَى . وفي القرآن : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْعُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ . وإنما وصفهم بأن من جاورهم يسيئون عشرته ولا يؤمن له ما يراه لهم مِنْ قِضَاءِ دِيْنَاهُمْ ، وإيجاب حق ، بل يَطْرَحُونَهُ وَيُهْلِكُونَهُ . وقوله « وَتَأْتِينِي الْمَاعِزُ » ، أراد ريج عَذْرَاتِهِمْ وَأَفْنِيَتِهِمْ ، فحذف المضاف . « وَالْقَتَارُ » ، أى وتأْتِينِي رِيجُ اللَّحْمِ لِلشَّوَى . وقيل في الماعِزِ : إنها جمع مَعْدِرَةٍ . والأوَّلُ أبلغ . والماعر والماعِزَةُ والمَعْدِرَةُ : الحَدَثُ ، وقد أَعْدَرَ ، أى أحدث . ويرتفع أَنَا نَسِيًّا على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه أراد : هم أَنَا نَسِيًّا ، وقد وَصَفُوا بِمَعْلَتَيْنِ . وقد كان يجب أن يقول : وتأْتِينِي الْمَاعِزُ وَالْقَتَارُ مِنْهُمْ ، فحذف الضمير . ويجوز أن يكون « وتأْتِينِي » على الاستئناف .

٦٦٣

وقال آخر :

١ - مَا لِيَنَّ فِي الْحَرِيْشِ وَلَا عَقِيْلٍ وَلَا أَوْلَادٍ جَفْدَةً مِنْ كَرِيْمٍ^(١)

(١) كذا بالحرم في النسختين . وفي التبريزي : « وما لِيَنَّ » .

٢ - ولا يُزِمُ الفَقاحَ بَنِي نُمَيْرٍ ولا العَجَلانَ زائِدَةَ الظَّلِيمِ
 ٣ - أولئك معشرُ كِبَناتٍ نَعَشٍ رَوَاكِدَ لا تَسِيرُ مع النُّجُومِ
 يعني بزائِدَةِ الظَّلِيمِ الخُفَّ ، لأنَّه لا يكون للطَّيْرِ . أي هم زيادةٌ في النَّاسِ
 بمنزلةِ تلك الزائدة في الظلِيمِ .

وقوله « أولئك معشرُ كِبَناتٍ نَعَشٍ » ، يريد أنهم لا يَنْهَضُونَ لا كِتَابٍ
 مَكْرُومَةٍ ، ولا يقومون لاجتلابِ مَنَقَبَةٍ ، فهم لا خيرَ فِهم يَلْزِمُونَ مضاجِعَهُمْ
 كَتَلًا وقِصْرَ هِمَةٍ ، ورَضَى بِأَدْنَى الهِمَّتَيْنِ وأسقطَ المِشْتَيْنِ . والعرب تسمي
 مَنْ كان كذلك ضاجِعًا وضَجِيعًا^(١) . وضجعة . وبنات نعش ليست من النُّجُومِ
 السَّيَّارة ، فذلك شبهه بها .

٦٦٤

وقال رجلٌ من بني جَرَمٍ^(٢) :

١ - دَلَّغْتُ إلى صَمِيمِكَ بالقَوافي عَشِيَّةً غَفِيلٍ فَهَمَّتْ فَاكَا
 ٢ - وَصَدَّقَ ما أَقُولُ عَلَيْكَ قَوْمٌ عَرَفَتْ أبايَهم وَنَفَوْا أباكَ
 التَّصْمِيمُ : الخالصُ من السَّبِّ والقُحْرِ . وجعل له ذلك على طريق الهُزْنِ ،
 فهو كقولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ ذُنُوبُكَ أَنْتَ التَّزْيِيزُ السَّكْرِيمُ ﴾ . يقول : ما كان
 مِنْ حَسَبِكَ خالِصًا ، ومن نَسَبِكَ صَافِيًا لا شَوَبَ فيه ولا لَبْسَ دُونَهُ ، أَبْلَغَتْهُ
 بِقَوافي ، وَزَيَّفَتْهُ حينَ اخْتَلَفْنَا في الصَّجْمَةِ بِمِزاجي ، فَهَمَّتْ أَسنانُكَ ، وأُخْرِسَتْكَ
 في دَعَاوِيكَ . والهُمُّ : كسرُ الثَّنِيَّةِ مِنَ الْأَصْلِ ، وجعلَ التَّمَّ كنايةً عن الْأَسنانِ .

(١) بضم الصاد وكسرهما . ومثله « الضمى » بكسر القاف وضها .
 (٢) التزيزي : « وقال رجل من جرم لزيد الأحمم ، وقيل إنه لزيد الأحمم » . وسنأق
 ترجمة زيد الأحمم .

أى جعلتك بحيث لا مَعَصَ لك ، ومَشْهَدُنا مشهود^(١) ، وأهل التميز حضور ،
وصدَّقني من له التَّدَمُّعُ والسَّابِقَةُ عليك ، وأنت تعرفهم وتُعرف أوليَّتهم ، وم
ينكرون سلفك ، ويُبطِلون دعاويك .

٦٦٥

وقال زياد الأعجم^(٢) :

- ١ - وَمَنْ أَنْتُمْ إِنَّا نَسِينَا مَنْ أَنْتُمْ وَرَيْعُكُمْ مِنْ أَى رَيْحِ الْأَعْمِيرِ
 - ٢ - وَأَنْتُمْ أَوَّلَى جَنَّتْ مَعَ الْبَقْلِ وَالذُّبَا فَطَارَ وَهَذَا شَخْصُكُمْ غَيْرَ طَائِرٍ
 - ٣ - فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بَيْنَ كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَمْ تَدْرِكُوا إِلَّا مَدَى الْحَوَافِرِ
- قوله « إِنَّا نَسِينَا مَنْ أَنْتُمْ » يجوز أن تجعل من استفهاما ، وقد كرره ،
وعَلَّقَ نسيانا قبله ، وإن لم يكن من أفعال الشك واليقين ، لأنه أجراه بحرى
تقيضه ، وهو عَرَفْتُ وَذَكَّرْتُ ؛ وم يجوزون النظر [بحرى التظهير^(٣)] ،
والتقيض بحرى التقيض . وقد مرَّ له نفاثر . ويجوز أن تجعل من بمعنى الذى .
وقد حُذِفَ صلته ، كأنه قال : إِنَّا نَسِينَا الَّذِينَ هُمْ أَنْتُمْ . والأول أوجه . ونظيره
الأول^(٤) عند أصحابنا البصريين قوله تعالى : ﴿ لَنَلْمَأْ أَى الْحَزْنِ بَيْنَ أَحْصَى لِمَا
لَيْثُوا ﴾ . وفى باب الذى قوله تعالى : ﴿ تَمَّا عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ^(٥) ﴾ لأن المعنى من

(١) هذا الصواب من ل . وفى الأصل : « لا يشهدنا مشهود » .

(٢) زياد الأعجم : أحد شعراء الدولة الأموية ، وقد شهد فتح إصطخر مع أبى موسى
الأشعري ومالك عمره ووفد على هشام بن عبد الملك . وفى الاشتقاق ٢٠١ عند الكلام على
عبد القيس : « ومنهم زياد بن سلمى الذى يقال له زياد الأعجم الشاعر » . وقال له أيضا :
زياد بن سليمان . انظر البيان (١ : ٧١) والجزانة (٤ : ١٩٣) ومجمع الرزبانى ١٣٣
والصراء لابن قتيبة والأغاني (١٤ : ٩٨ - ١٠٥) .

(٣) التكملة من ل ..

(٤) فى النسختين : « الثانى » والتظهير للأول ، وهو التعليل بالاستفهام .

(٥) هذه قراءة يحيى بن يسر ، وإن أبى إسحاق ، وفى القراءة التى يثبت بها الاستفهام

وقراءة الجمهور : « أحسن » بفتح التاء ، على أنها فعل . وقال يضى نحاة الكوفة فى =

هو أحسن . وقوله « من أيّ ريح الأعاصير » ، والأعاصير : جمع الإعصار ، وهو الغبار الساطع للستدير ، وفي التمثيل : « إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً » . وإنما خصّها بالذكّر لأنها نسوق غيثاً ، ولا تذّر سحاباً ، ولا تلقح شجراً ، فضرِبَ المثلُ بها لقلة الانتفاع بهم . وهذا كما قال الآخر ^(١) :

وأنتَ على الأدنى شمالٌ عَرِيَّةٌ شَامِيَّةٌ تَرَوِي الوُجُوهَ بِلِيلٍ
وهم يعملون الرّيحَ كنايةً عن الدولة ، فيقال ، فلانٌ هبّت له ريحٌ ، فكأنه جعل دولتهم لا تجبدي ولا تردّ فضا ، بل تُتَوَي ^(٢) وتجرّ شراً ، وقوله « وأنتم أولى جثثهم » ، يريد الذين جثثهم مع البقل . وللعنى أن شرفكم حديث . ومثله قول الآخر :

تموتونَ هَزَلَى في السَّنينِ وأنتمُ أساريُّعُ تحيا كلُّما نبتَ البقلُ
وقوله « فطارَ وهذا شخصُكم غير طائر » ، تضجّرُ بهم وتعجبُ من بقائهم ، وعُتِبَ على الزمان في استبقائهم .

وقوله « فلمَ تَسْمَعُوا إلّا بمن كان قبلكم » ، يريد أن كلَّ من يُذَكَّرُ لكم ^(٣) وعندكم فهو سابقٌ لكم ، مقدّمٌ عليكم ، بالزمان والفضل ، فأنتم على السّاقفة لم تُذَكَّرُوا بمن أحرَزَ قصباتِ السّبقِ إلّا مدقَّ الحوافر ، ومواطئُ الأقدام . جمَعَهُمْ فَمَّا كَلَّ ، ومتأخّرين عند الفضائل .

== تخريجها : يصح أن يكون أحسن هذه أسما ، وهو أفضل تفضيل بمرور الفسحة صفة لذى وإن كان نكرة ، من حيث تارب المعرفة إذ لا يدخله « أل » ، كما تقول العرب : مررت بالذي خير منك ، ولا يجوز مررت بالذي عالم . تفسير أبي حيان (٤ : ٢٥٥) .

(١) هو طرفة بن العبد ، كما سبق في الحاشية ٦٠٢ ص ٦٤٤١ .

(٢) أتواه : أهلكه . وفي الأصل : « توى » تحريف . وفي ل : « توى » .

(٣) في الأصل : « من يهلككم » ، سواءه في ل .

٦٦٦

وقال عمرو بن الهذيل^(١) :١- نحنُ أئمةُ أمّركَ بكُركِ بنِ وائلٍ وأنتَ بِشَاجِرِ مائِثٍ وما تُحِلِّي^(٢)

٢- وما تَسْتَوِي أَحسابُ قومٍ تُورِثُ قديماً وأحسابُ كَبِيتٍ مع البَقْلِ

فَاجٍ : اسمُ ماء . وما تُيِّرُ وما تُحِلِّي ، أي لا تأتي بِمُحَلٍّ ولا مُرٍّ . يصف
جَمْرَهُ وَضَمَّهُ ، وقَمُودَهُ عن اللعنة أَوَّانَ الحاجة . وقول زُهَيْر :* عَلَى صِيْرِ أَمْرِ ما يُيِّرُ وما يَحُلُّ^(٣) *فَأَمْرٌ فِيهِ معنى صار مُراً . ويقال في هذا مَرٌّ أيضاً . وقولهم في المَثَلِ :
« ما أَمْرٌ فُلانٌ وما أَحَلَّى » فهو مِثْلُ اللَّحْنِ الذي في البيت . وللمنى : ما أَتَى بِمُحَلٍّ
ولا مُرٍّ . وسرَّادُ الشَّاعِرِ في هذا البيتِ ظاهر ، وهو للمنى التَّقَدُّمُ .وقوله « وما تَسْتَوِي أَحسابُ قومٍ » تَسْتَوِي بمعنى تُساوِي وتُماثِلُ ، وقد
يَكُونُ اسْتَوَى بمعنى اسْتَحَلَّ . على ذلك قولهم :* قد اسْتَوَى بِشَرٍّ على العِراقِ^(٤) *

(١) التبريزي : « وقال عمرو بن الهذيل الصدي . وقال أبو رياش : من لرجل من بني
عجل » . وفي معجم الرزباني ٧٤١ « عمرو بن الهذيل الربي » . قال الرزباني : « يقوله لأبي
حسان مالك بن مسع حين فر أيام الصبية ، فترل بأجأحي تجلت الصبية » .
(٢) الرزباني : « لا تمر ولا تحل » . وقيل عند التبريزي :

لا تَرُجُ خَيْراً عِنْدَ بابِ ابنِ مِسْعَمٍ إِذا كُنْتَ مِنْ حَيٍّ حَنِيفَةٍ أَوْ عِجْلٍ

(٣) ثاني بيت له من القصيدة التي مطلعها :

صحا القلب عند سلمي وقد كاد لا يسلو وأقتر من سلمي الصائيق والتقل
وصدوره : * وقد كنت من سلمي سنيئاً عانياً *

(٤) بعده في السنان (سوى) :

* من غير سيف ودم مهران *

(٣٤ — حاشية — ثالث)

٦٦٧

وقالت كنزة في مئة^(١) :

- ١ - ألا حبذا أهل اللآ غير أنه إذا ذكرت مئ فلا حبذا هيا
 - ٢ - على وجه مئ مسحة من ملاحه ونحت الثياب الخزي لو كان باديا
 - ٣ - ألم تر أن الماء يخلف طعمه وإن كان لون الماء في التين صافيا^(٢)
 - ٤ - إذا ما أتاه وازده من ضرورة تولى بأضفاف الندى بناء غلاميا
 - ٥ - كذلك مئ في الثياب إذا بدت وأوابها يفتن منها المخازيا
 - ٦ - فلا أن يحلان الشقي بدت له سجرة دة يوما لما قال ذا ليا
 - ٧ - كقول مئ منه ولكن لردة إلى غير مئ أو لأصبح صاليا
- قوله ذا من لفظة «حبذا» أشير به إلى الشيء، وهو مع حب بمنزلة الرجل من نعم الرجل، إلا أنه أجري منه مجرى الأمثال لا يميز ولا يفصل بينهما. والمعنى: محبوب في الأشياء أهل اللآ غير مئ، فإنها إذا ذكرت لا تسحق مدحا ولا اختصاصا، ولا ثناء ولا إبطاء، فلا تعطى هذا القول، ولا تذكر عند الدعاء بالشعيا، ولا تدخل عند الحمد أو العيب في الذكرى. وقولها «فلا حبذا هي» جعل ألف ذا على انفصالها تأسيسا، لأن الروي من اسم مُضَمَّر وهو هي.

(١) التبريزي: «كنزة أم حلة للفرى في مئة صاحبة ذي الرمة. وقيل: هي لدى الرمة، وذلك أنه كان يذهب بجة وكانت من أجل الناس ولم تره قط. فجلت له عليها أن تحر بدنة أول ما تراه. فلما رآته رأته رجلا دنها أسود، فقالت: واسوءتاه! فقال ذو الرمة فيها: «وقد سقت ترجمة «كنزة» في الخامسة ٢٤٠ ص ٧٠١. وفي الأغاني (١٦): (١١٤) وأمال الزباجي ٥٧ أن تلك الأبيات قيلت على لسان ذي الرمة بنية الإضاد بينه وبين صاحبه. وانظر ملحقات ديوان ذي الرمة ٩٦ - ٩٧.

(٢) التبريزي: «أي صافيا».

وقولها « على وجهي مسحة » تريد أن تظهرها حسن ، كأن الله جز وجل قد مسحها بالجمال مسحاً ، ويكون أصله من المسح باليد ، وقد استعمل في الشفاء قليل للريض : مسح الله مابك من علة ، وقيل أيضاً : هو مسح الوجه أى مستوى الخلقة . وقولها « وتحت الثياب الخزي » تريد أن ماسوى الماري منها مما هو موارى من بدنها ، ومستور بثيابها ، فيجب . وقولها « لو كان بادياً » جواب لو مقدم عليه .. أرادت لو ظهر انطافى منها كان خزيناً . ثم شبهتها بالماء بتناهى صفائه ولونه ، ويقراءى فلناظر زرقته ، ويحسب عذباً سلسلاً فإذا هو ملح أجاج ، حتى إذا وردة الوارد فظفر إليه صار كأنه ينفذ من نفسه بظاهره عذوبة ، فإذا طعمه يخلف ولا يقي ، بل يبعثه مرارة . هذا إذا روي « يخلف » لأنه من الخلف في الوجد ، وقد روي « يخلف » فيكون من الخلوف : التثير . وفي الحديث « خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » . والمراد أن ظاهر هذه المرأة كظاهر هذا الماء ، وباطنها كباطنها فكما أن وارد هذا الماء قد اضطره للتطش وساقه حرارة الجوف والعدة يصدر عنه وقد تضاعف ظمؤه وتزيفت حرته ، كذلك هذه المرأة لكاشف عن أورها ، في الذائق بعد الاغتراب بها . وقولها « بأضلاف النبي جاء » : [تريد جاء ^(١)] عليه ، فحذف حواف البحر ووصيل القمل بنفسه مغطار جاءه ، ثم حذف الضير من العلة استقالات واستطالة لكون أربعة أشياء شيئاً واحداً : الوصول ، والقمل ، والفاعل ، والمفعول . ومن جواز حذف الجار والمجرور من الصلة فالأجر عنده أقرب . وانحصب « ظامناً » على الحال .

وقولها « قلوا أن غيلان الشقي » تعنى بهذا اللفظة لأنه كان ينسب بجملة ^(٢) ، وكان يسمى مرة ميا ومرة مية . فقول : لو أنها تجردت له لغير أمنها وتندم

(١) بالصفة بيند .

(٢) في الأصل : « يصبها » . سوا جازل .

على ماسيرُهُ من النَّسِيبِ فيها . واتَّصَبَ «مُجَرَّدَةٌ» على الحال . وأشارت بهذا قولها «لما قال ذالِيا» إلى مُجَرَّدِ مَيَّةَ ، أى ما حَدَّثَ نَفْسَهُ بأنه له . ويروى : «لما قال آليا» وهذا يَتعلَّقُ بما بعده . أرادت : لما قال كقوله فيما سَلَفَ ذالِيا . وآليا ، أى مَقْصُراً عندَ نَفْسِهِ فى دَعْوَاهُ ، وَلَصَّرَفَ تَشْيِيبَهُ^(١) إلى غيرها ، وَلَقَّسَ من اللَّسَاءِ رأساً ، وَزَهَّدَ فِيهِنَّ اسْتِشْأَةً لَهَا . وآليا ، من قولك : لا آلو فى كذا ، أى لا أَقْصُرُ ، ويتَّصَبُ على الحال . وقولها : «لَرَدَّةٌ» ، اللام جواب يعين مضرة . وذكر بعضهم أن معنى آليا حالياً ، أى كان لا يُقَسِّمُ بها ، وهذا خطأ ، لأنَّه كان يَجِبُ أن يكون مَوْلِياً . ألا تَرَى أَنَّهُ يُقالُ : أَلَيْتُ فى المِمينِ إِبِلًا . وقيل : آ : تَوَجَّعَ فهو كَأَوْه ، وللغى : لم يَقُلْ لِمَا يَسْتَحِجُّ من الزُّهْدِ فيها آ إلى ، مَتَأَوَّهاً وَمَتَوَجَّهاً — وهذا كما يُقالُ فى الأمرِ وقد نَكَّأَ فى مَتَوَلَّيْهِ : شَفَّاهُ لى ، بكاءً لى ، وأَشَقَّى لى ، وأَبْكَى لى — وَجَدَّها بها ، فلى هذا يكونُ آ لى حكاية صوتٍ موضعه رَفْعٌ بالابتداء ، ولى خَبَرُهُ ، والأوَّلُ أَقْرَبُ عِنْدِي .

٦٦٨

وقال أبو المتاهية^(٢) :

- ١ - جُزِيَ البَحِيلُ عَلَى صَالِحَةٍ . عَنَى بِخَفَّتِهِ عَلَى ظَهْرِي
- ٢ - أَعْلَى وَأَكْرَمَ عَنْ يَدَيْهِ يَدِي . فَمَلَّتْ وَتَرَةً قَدْرُهُ قَدْرِي
- ٣ - وَرَزَقْتُ مِنْ جَدَّوَاهُ عَاقِيَةً . أَلَّا يَضِيقَ بِشُكْرِهِ صَدْرِي
- ٤ - وَغَنِيْتُ خِلَواً مِنْ تَفَضُّلِهِ . أَحْنُو عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الثَّنَرِ
- ٥ - مَا فَاتَنِي خَيْرُ امْرِئٍ وَضَعَتْ . عَنَى يَدَاهُ مَوْوَنَةَ الشُّكْرِ

(١) ل : «نسيه» .

(٢) لقب له ، واسمه إسماعيل بن القاسم ، شاعر عباسي منشؤه بالكوفة . وأكثر شعره فى الزهد . تولى سنة ٢٠٠ هـ . الأغانى (٣ : ١٢٢ - ١٧٦) والشعراء ٧٦٥ - ٧٦٩ .

يَقُولُ : جَزَى اللَّهُ الْبَخِيلَ عَلَى بَالِهِ خَصْلَةً صَالِحَةً ، قَدْ خَفَّ حِمْلُهُ عَلَى ظَهْرِي ، لِسُقُوطِ مِثْقَلِهِ عَنِّي ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَجَلَنِي عَنْ صَنِيعَتِهِ ، وَأَكْرَمَ عَمَلِي إِذْ أَخْلَانِي مِنْ عَارِفَتِهِ ، وَصَانَ قَدْرِي حِينَ لَمْ يَتَذَلَّ لِعَطِيَّتِهِ ، وَرَفَعَ يَدِي وَكَرِهَتَهَا حِينَ لَمْ يَسْهِنْهَا بِمِرْزِيَّتِهِ ، فَرَزَقَنِي اللَّهُ عَافِيَةً مِنْ ضَيْقِ الذَّرْعِ بِشُكْرِهِ ، وَالتَّطَوُّقِ بِأَفْضَالِهِ ، وَاسْتَفْنَيْتُ عَنْهُ خَالِيًا مِنْ بَرٍّ ، مُنْصَرِفًا مِنْ تَفَضُّلِهِ ، مُتَعَطِّيًا عَلَيْهِ يَسْطُ عُدْرَتِهِ حِينَ لَمْ يَحْدُ عَلَى ، وَلَمْ يَتَلَقَّ إِقْبَالِي عَلَيْهِ بِقَبُولِهِ لِي .

وَلَمَّا قَالَ : أَعْلَى يَدِي قَلَّتْ ، كَانَ الْأَحْسَنُ فِي مُقَابَلَتِهِ أَنْ يَقُولَ : وَنَزَعُ قَدْرِي قَزَعُ . وَيُقَالُ : فَلَانٌ نَزِيهٌُ كَرِيمٌ ، إِذَا كَانَ بَعِيدًا مِنَ اللَّؤْمِ . وَقَوْلُهُ « أَلَّا يَضِيقُ » ذَلِكَ أَنْ تَرْفُسَهُ وَأَنْ تَنْصَبَ ، فَالْتَّصِبَ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَنَّ النَّاصِبَةَ لِلْأَفْضَالِ ، وَالرَّفْعُ عَلَى أَنْ تَكُونَ أَنْ تُخَفِّفَ مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَيَكُونَ اسْمُهُ مُضْمَرًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَنَّهُ لَا يَضِيقُ ، وَالْجُمْلَةُ حَبِيرَةٌ . وَالْعَافِيَةُ : مُصَدَّرٌ كَالْعَاقِبَةِ ، وَمِثْلُهُ مَا أَبَا إِلَيْهِ بِالِجَنَةِ ، وَقَدْ قَامَا ؛ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ أَنَّ أَسْمَ الْفَاعِلِ يَكُونُ اسْمًا لِلْمَصْدَرِ وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي بِنَاءِ الْمَفْعُولِ . وَمَوْضِعُ « أَلَّا يَضِيقُ » تَنْصِبٌ بِكَوْنِهِ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ عَافِيَةً . وَانْتِصَبَ « خَلَوْا » عَلَى الْحَالِ . وَجُمْلَةُ الْمَعْنَى : أَنَّهُ لَمْ يَفْتِنِي إِحْسَانُ رَجُلٍ لَمْ يَلْزَمْنِي لَهُ شُكْرُ أَفْضَالٍ ، وَلَمْ يَجِبْ بِفَضْلِهِ بِي عَلَى اعْتِدَالِهِ .

٦٦٩

قَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ^(١) :

- ١ - أَضْحَى عُرَاجُهُ قَدْ تَوَجَّجَ دِينُهُ بِمَدِّ الْمَشِيبِ تَوَجَّجَ السَّمَارِ
 - ٢ - وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُرَاجَةِ خَلَّتْهُ فُرَجَتْ قَوَائِمُهُ بِأَيْرِ حِمَارِ
- أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ أَنَّهُ يَحْمُرُّ عَلَى تَشْبِيهِهِ بِالسَّوْدَةِ . وَضَرَبَ الْخَنَاءَ وَالْفُحْشَ مَثَلًا

(١) سَبْعُ تَرْجُمَاتٍ لِلْحُكْمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي الْمَجْلَدِ ٤٥٠ ص ٢٢٠٤ .

له في جهوه ، فأما الملقى فظاهر ، وإنما شبهت تَمْوِجَ دينه على كِبَرِهِ وسِنِّه بتَمْوِجِ
 للسَّيَّار في التَّمَلُّ ، وقد عَجَزَ عَمَّا حُمِّلَ ، فإن أُكْرِهَ على النِّقَازِ انكسَرَ ، وإن
 طَلِبَ تَرْغُهُ لِيُجْعَلَ أَقْوَى منه بَذَلَهُ تَمَسَّرَ ، فكذلك عُرِجُهُ في اعوجاج دينه
 والتهوانه ، لا صَرْفُهُ وَرَدُّهُ ممكنٌ ، ولا احتالُهُ عليه مُسَوِّغٌ .

٦٧٠

وقالت أم عمرو بنت وقدان :

١ — إِنْ أَلْتُمْ لَمْ تَطْلُبُوا بِأَخِيكُمْ فَذَرُوا السَّلَاحَ وَوَحِّشُوا بِالْأَبْرِقِ

٢ — وَخُذُوا التَّكَاحِلَ وَالتَّجَاسِدَ وَالنِّسْوَ نَقِبَ النِّسَاءِ فَيَنْسَ رَهْطُ الْمَرْهَقِ

٣ — أَلْهَأَكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا بِأَخِيكُمْ أَكُلُّ الْخَزِيرِ وَلَقَى أَجْرَهُ أَتَمَقِ

تقول : إن ضيَّعتم دَمَ أَخِيكُمْ ، وقدمتم عن الانتقام له ، لتقصروكم في طلب

ثأره ، فضعوا السَّلَاحَ واطَّزَعُوا بِالْأَبْرِقِ . ويقال : وَحَّشَ بَقُوهُ ويسفه ، إذا

رَحَى به بعيداً . وفي الحديث : « وَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ »^(١) ، أي رَمَوْا بها . ويجوز

أن تزيد وَحَّشُوا : أَيْ صِيرُوا مع الْوَحْشِ حَيَاءً من فعلكم ، وهاجَرُوا النَّاسَ

وَجَانِبُوا . والعرب تقول : إذا أَظْلَمَ اللَّيْلُ تَأَنَّنَ كُلُّ وَحْشٍ ، وَوَحَّشَ كُلُّ

إِنْسِي . يريدون بتَأَنَّنَ اسْتَأْنَسَ ، وَوَحَّشَ اسْتَوْحَشَ . ومثل وَحَّشَ بمعنى

تَوَحَّشَ قَدَّمَ بمعنى تَقَدَّمَ ، وثَبَّه بمعنى تَلَبَّه .. وعلى هذا يُحْمَلُ قول امرئ القيس :

وَأَنَا لِلنَّبِيِّ بَعْدَ مَا قَدْ نَوَّوْا وَأَنَا لِلْعَالَيْنُ صَمْعَةُ النَّوَامِ

لأنه إن لم يحل منبّه بمعنى متنبّه يصير عجز البيت كصدره في أنها بمعنى

(١) هو من حديث علي رضي الله عنه ، أنه لقي الخوارج فوحشوا برماحهم واستلوا
 السيوف . السائل (وحش) . وفيه أيضاً : « ومنه الحديث : كان لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم خاتم من حديد ، فوحش به يعضظوناني الكهابة » ، فوحش الناس يجرؤ عليهم .

واحد . وقال بعضهم : وحشوا معناه اطلبوا صيد الوحش وتقوتوه . وهذا يرجع معناه إلى ما ذكرناه ؛ لأن معناه فارقوا الناس والكون معهم .
وحصت الأبرق لأنه كان عما ولتهم ، وهو المكان فيه حجارة سود وبيض .
ويقال : جبل أبرق ، إذا كانت طاقاته سودا وبيضا .

وقولها « وخذوا الكاحل » ، تريد : اجعلوا بدل السلاح آلات النساء .
والجسد : جمع الجسد ، وهو الثوب المشيع صيفا . والجساء : الزعفران .
والثقب : جمع ثقبية ، وهي إزار تجعل له حيزة كحيزة التراويل ، تلبسه المرأة . قال :

بيضاء مثل الثقبية^(١) في ثقبية وإنث

والإنث : القميص .

والمنى : إن لم تشاروا لصاحبكم فزينا بزى النساء فلنكم إنث ، وبنى
رهما المرقق : المغنيق عليه أنتم . وحذف المذموم بنى ، وهو أنتم ، لأن المراك
مفهوم . وهذا الكلام بمن وتخصيص على طلبه المذموم ، فهو كفول أنث عمرو
حين يمت عذرا على طلب دمر أخيه عبد الله قالت :

فلن أنتم لم تشاروا بأخيك فمشوا بأذان النمام المصل^(٢)

ولا تردوا إلا فضول نسامكم إذا أدملت أعضائهم من الدم

وقولها « أهلكم أن تطلبوا » ، تهيج وإضرار . والتحزير : حساء يحسى .

والأجرد : الأحمق ، براد به نحي أوزق ديس . والأحق : القليل ، كأنه يصير
لكم تحفا لا يبارك الله فيه . وأحق من باب أقتل الذي لا قتلاء له . والحق ، هو
ليما في النحي لا له ، فهو سعي فيه .

(١) سبق الشبان في المحاسبة ٥٧ ص ٢١٨ — ٢١٩ .

(٢) القلب ، بتثنية القاف : قلب النخلة ، وهو جملها .

٦٧١

وقالت امرأة من طلي^(١) :

١ — فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي قَتَلْتَهُمْ عِمَارَةً مِنْ السَّرَوَاتِ وَالرُّهُوسِ الدَّنَوَائِبِ^(٢)
 ٢ — صَبَرْنَا لِمَا بَيَّأَنِي بِهِ اللَّهُمَّ عَمِيدًا وَلَكِنَّا أَثَارُنَا فِي مُحَارِبِ
 ٣ — قَبِيلٍ لَنَاقٍ إِنْ ظَفَرْنَا عَلَيْهِمْ وَإِنْ يَغْلِبُونَا يُوجِدُوا شَرًّا غَالِبِ^(٣)
 العِمَارَةُ : الحَيُّ العَظِيمُ يُطَبِّقُ الْإِنْفِرَادَ ، وَقَدْ يُفْتَحُ الْعَيْنُ مِنْهُ فَيَقَالُ الْعِمَارَةُ ،
 لُفَّةٌ . وَمِثْلُهُ الْعِمِيرَةُ ، وَقِيلَ : هَا جَمِيعًا الْبَطْنُ . وَالسَّرَوَاتُ : الرُّهُوسُ .
 وَالدَّنَوَائِبُ : الْأَعَالَى ، وَهُوَ جَمْعُ دَوَابَةٍ . وَاسْتَمَلُوا الدَّنَائِبَ فِي خِلَافِهِ ، وَهُوَ جَمْعُ
 دُنَابَةٍ ، وَهِيَ إِسْمَانٌ فِي الْأَصْلِ وَصِفَتْ بِهَا . وَأَثَارٌ : جَمْعُ الثَّأْرِ . يَقُولُ : هُمُ
 الَّذِينَ أَصَابُونَا عَنْ ذِلَّتِهِمْ وَخِسَّتِهِمْ ، فَالْبَلَاءُ أَعْظَمُ ، وَقَرَحُ الْقَلْبِ أَوْجَعُ ،
 وَلَوْ أَصَابَنَا غَيْرُهُمْ كَانَ الْخَطْبُ أَيْسَرَ ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ أَوْسَعُ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ فِي الْمَثَلِ
 السَّائِرِ : « لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي » .

وقولها « قَبِيلٌ لَنَاقٍ » ، هُوَ تَفْصِيلٌ مَا أَجْهَلَهُ . وَقَوْلُهَا « إِنْ ظَفَرْنَا عَلَيْهِمْ »
 عَدَى ظَفَرْنَا تَصْدِيقَةً عَلَوْنَا ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَاهُ ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ الضَّمِيرَ عَلَى الضَّمِيرِ .
 وَالْمَعْنَى : لَا اشْتِغَاءَ فِي الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ إِذَا نِيلُوا ، وَلَا يُنِيمُونَ طُلُوبَ الْأَوْتَارِ إِذَا
 تَأَدَّرُوا . وَجَوَابُ الشَّرْطِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ إِنْ ظَفَرْنَا ، مُتَقَدِّمٌ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « قَبِيلٌ
 لَنَاقٍ » ، لِأَنَّهُ فِيهِ مَعْنَى الْقَعْلِ .

(١) التبريزي : « ومى عاصمة البولانية » .

(٢) روى قبله التبريزي :

أَعَامَى جُودَى بِاللُّهُمَّ عَمِيدًا وَبَكَى لِكِ الْوَيْلَاتِ قَتْلَى مُحَارِبِ

(٣) التبريزي : « لَنْ ظَهَرْنَا » .

ومثل قولها « وإن يغلبونا يوجدوا شرًّا غالب » قولُ امرئ القيس :
 * ولم يغلبك مثلُ مُغَلِّبٍ ^(١) *
 إلا أنه في النسيب .

٦٧٢

وقال آخر ^(٢) :

١- إذا ما الرِّزْقُ أحجمَ عن كريمٍ فالجأهُ الزَّمانُ إلى زيادٍ ^(٣)
 ٢- تلقَّاهُ بوجهٍ مكفَّهرٍ كأنَّ عليه أرزاقَ العبادِ
 الإجماع : النكوص عن القرن هيبة له . وقد توسَّعَ به هنا . وضدَّه
 الإقدام . ويقال : تكصَّ على عَمِيه . والمكفَّهر : المستقبل بكرامةٍ وتفضُّلٍ
 ووجهٍ . ويقال : سحابٌ مكفَّهرٌ ، إذا تراكمَ ، ووجهٌ مكفَّهرٌ . ويُروى :
 « بوجهٍ مقشَّيرٍ » ، والأصل في الاقشعرار تقشُّصُ الجلد وانتصابُ الشَّعر ، ثم
 يُتوسَّعُ فيه فيقال : اقشعرت الأرضُ والنباتُ والسَّنة . والمنحى ظاهرٌ ، وهو
 أنَّ المافي إذا ورَدَ عليه تلقَّاهُ بمُهموسٍ ، كأنه اجتمع عليه لورود واحدٍ من الناس
 أرزاقُ الخلقِ كلَّهم . وجوابُ إذا « تلقَّاه » .

٦٧٣

وقال أبو محمد الزيدى ^(٤) :

١- عَجَبًا لأحدٍ والمجائبُ جَمَّةٌ أُنِّي يُلومُ على الزَّمانِ تَبَذُّلِي

(١) قامة :

فإنك لم يَغترِ عليك كفاخرٍ خفيف ولم يَغلبك مثل مغلب

(٢) التبريزي : « وقالت غيرها :

(٣) التبريزي : « والجاء » .

(٤) هو يحيى بن المبارك بن الغيرة السدي ، أبو عبد الزيدى التحوي القرى القنوي =

- ٢ - إِنَّ الْعَجَبَ لِمَا أُتِيَكَ أَمْرُهُ مِنْ كُلِّ مَنَاجِزِ الْفَوَادِ مُهْبِلٌ
 ٣ - وَغَدَ يُلُوكُ لِسَانَهُ بِلَهَائِهِ وَتَرَى مَسَابِقَهُ قَلْبِهِ لَا تَنْجَلِي
 ٤ - مُتَصَرِّفٍ لِلنُّوْكِ فِي غُلُوَاتِهِ زَمِيرُ الرُّوءَى جَامِعٍ فِي الْمُسْتَعْلِ
 ٥ - وَإِذَا شَهِدَتْ بِهِ تَحَالُوسُ ذِي النُّهَى وَبَكَتْ مَسَابِقُهُ بِنُوكٍ مُشْبِلٍ^(١)
 ٦ - غَلَبَ الزَّمَانُ بِجَدِّهِ فَسَا بِهِ وَكَثَبَ الزَّمَانُ لُجْجَهُ وَالْكَلْكَلُ

بقوله « والسجائب جمة » اعتراض بين أحد: وقمته التي عجب منها .
 ويقال : أمر عجب وعجائب وعجيب وعاجب . وأبلغ هذه الأبنية العجائب .
 ولتتصّب « عجباً » على المصدر . يقول : أتعجب لأحمد : كيف أنكر خلقى
 وطريقى ، سقى لاجئى فى تبدل على تنكر الأيام وتغيرها ، ومن أين استطوف
 مارأى من حلقه وقصقى ، ومقتضى الوقت وموجب حكمة لا يتدعوان إلى غيره .
 ثم أقبل يفتا طيب أحمد بعد الإخبار عنه فقال : : « لئن العجب ما أطمحك عليه
 ولأنك فيه » وأكشفت لك مستور وخافيه ، من كل رجل بهي « نالهم » ميت
 انطالع ، متغير عليه بلبل لثقله وحجزه ، حتى عجز لئن سجدت أذار لسانه
 فى فيه بمضغ كلامه ، وإن أثبت خلقى ، وكان ذا ليين لثاقه ، وكان قلبه
 قد رين عليه لما يضيره من غل ، « فقلبه لكل أحد ضيابة » ، فلا تصفو
 نيته ، ولا تخلس طويته ، تنصرف فى غلواه أخلق وارثاه واتهائه ، قليل

١ - يقول أبو علي بن عبد مناف : بصرى سكن بغداد وحدث عن أبي حمزة والحليل ، وأدب
 أولاد يزيد بن منصور الحنظلي خالي للهدى ، ولب إليه ، ثم أدب الأمان . قال الرزاني :
 « وكانت صباه أن يسأل إليه مع الصبر ، ويصل معه ، ويدرس عليه الأمان ثلاثين آية » .
 وسأله مرة عن شيء فقال : لا واصلنى إني فداك فقال للأمان : قد درك ، وناوضت الواو
 فى مكان أحسن من موضعها ، فلما اتوفى بخراسان سنة ٢٠٢ . بنية الوفاة ١٤٤ - ١٥٠
 ومجم الأدباء (٢٠ : ٣٠ - ٣٢) وابن خلكان : (٢ : ٢٣٠ - ٢٣٣) . ومجم
 الرزاني ٤١٩ وتاريخ بغداد ٧٣٦٥ .

(١) حقاً لما فى « العجيب » وفى الأصل : « جوء » .

المروءة ، زمرًا لحية ، يركبُ رأسه فيا ينعن ، وينهل من القصد فيا فيه
يحيّد ، ويمضي قدّمًا في البثرة فلا يرتدع ، ويعلو على زاجره فلا يرجع ، ولا
يقف . وإن كبح بلجام المنع ، ولا يزعجوى وإن أودن بالهلك ؛ ثم إن
حضرت به مجالس الفضل والعقل ، سألت سحابة جوله بحقوق تلطم أمواجه ،
وتدافع بصوته أركانه ؛ وعلى ما به من النذالة والجهالة رزق جدًّا فعطى ،
وغلب على أهل زمانه بما قسم له قتل ، وذلك له الدهر فكبأ لصدرة ووجهه
ضارعًا ، وانقاد لأسره ونهيه صاغرا ، حتى أدرك ما شاء مهيّدًا في شأوه ، مُتَرَفِّفا
في شأنه ، أخذًا قصب السبق في ميّدانه ، فإن تعجبت فالعجب هذا ، وإن
استكرت فالتكبر هذا .

ويروى :

غلب الزمان بجمده وسما به : فكبأ الزمان

فيجمل الفعل للزمان ويكون معنى سَمًا به رفقه . ثم أخذ يذهب على الزمان
فقال : سقط لوجهه وكلّله ، حين اختيار مثله لإحسانه ، وهذا حسن جدًّا .
والوعد : الدنى ، من قولك : وعدت القوم إذا خدمتهم^(١) . والنهى :
القول ، والواحدة نهيّة . واللوك : الخلق . والسحلان : حلقًا شكيم اللجام ،
والجميع للساحل . ومعنى « على الزمان » ، على تصاريّف الزمان ، فحذف
للضاف .

وقوله « أيتك أسرّه » أى أجمل أمره مما تبث وتخرن له . وللشؤج
الغزاد : البليد الخالى من الذكاء والحدة . واللوك : اللضع .

(١) فى الأصل : « إذا خدمتهم » ، ملوحيه فى لـ « يوفى الصان » : « والوعد : خادم
القوم ، وقيل الذى يخدم طعام بطنه » .

- ٧ - ولقد تَمَوَّنْتُ بِهَيْتِي وَتَمَّا بِهَا طَلَبِي الْمَكَارِمَ بِالْفَعَالِ الْأَفْضَلِ
 ٨ - لِأَنَّا لَمْ نَكْرُمَةَ الْحَيَاةِ وَرُبَّمَا عَاثَرَ الزَّمَانَ بِذِي الدَّهَاءِ الْخَوَلِ
 ٩ - فَلَمَّا فَلَيْتُ لِنَمُضِينَ ضَرْبِي كَلَبَ الزَّمَانِ بَعْفَةً وَتَجَبَّلَ
 رَجَعَ إِلَى صِفَةِ نَفْسِهِ عَلَى تَنَكُّرٍ^(١) الزَّمَانِ لَهُ ، قَالَ : إِنِّي وَإِنْ لَمْ تَسَاعِدْنِي
 الْحَالُ ، وَلَا يَقُومُ لِمَا أَنُوبُهُ الْمَالُ ، فَلَئِمَّةٌ رَفِيعَةٌ ، وَنَفْسٌ أُجِيَّةٌ ، يَسْمُوهُمَا
 ارْتِقَانِي فِي دَرَجَاتِ الْفَضْلِ ، وَطَلَبِي الْعَالِي بِأَحْسَنِ الْفَعْلِ ، لِأَعِيشَ مَكْرَمًا
 مَصُونًا ، فَلَا يَقُوتُنِي سَلَامَةُ الدِّينِ وَالرُّوَدَةُ ، وَإِنْ فَاتَنَنِي الزِّيَادَةُ فِي الْحَالِ
 وَالْمَقْدَرَةِ ؛ وَاللَّهِمَّ قَدْ يَمُتُّ بِالزَّجْلِ التَّامُّ الشُّكْرُ ، الْمُرِيرُ الْقُوَّةُ وَالْخَوَلُ ،
 لَجَلِهِ بِمَوْضِعِ الصَّنِيعَةِ ، فَإِنْ غَلَبَنِي عَلَى حَظِّي ، وَتَخَطَّأَنِي عِنْدَ الْقَسَمِ إِلَى غَيْرِي ،
 فَلَطِيقِي تُسَلِّنِي وَتُرْضِينِي ، وَمَعْرِفِي بَيْنَ عِنْدِهِ الْمَالُ وَالتَّكَادُّ تَصْرِفُ الْمَهْمُ عَنِّي ؛
 فَيَنْتَحِي أَمَارُ الْأَخْدَانِ ، وَحَرَامَةُ اللَّيَالِ وَالْأَيَّامِ^(٢) ، بِغَفَاةٍ أَسْتَحِيلُهُ ، وَتَيْمُلُ
 أَنْزِمُهُ ، لَنَلَّا يَشْمَتَ عَدُوٌّ ، أَوْ يَفْرَحَ حَسُودٌ .

تم باب المعجاء بحمد الله وعونه^(٣)

والحمد لله على تظاھر آلائه ، والصلاة على سيّدنا محمد وآله .

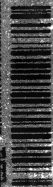
[تم القسم الثالث من شرح الرزوق للعجاسة]

(١) في الأصل : « شكو » ، صوابه في ل .

(٢) الغرامة : الفعّة والعرامة . وفي ل : « غرامة » تحريف .

(٣) ل : « ومنه » ، وما بعده من الكلام ليس في ل .

Bibliotheca Alexandrina



0494970